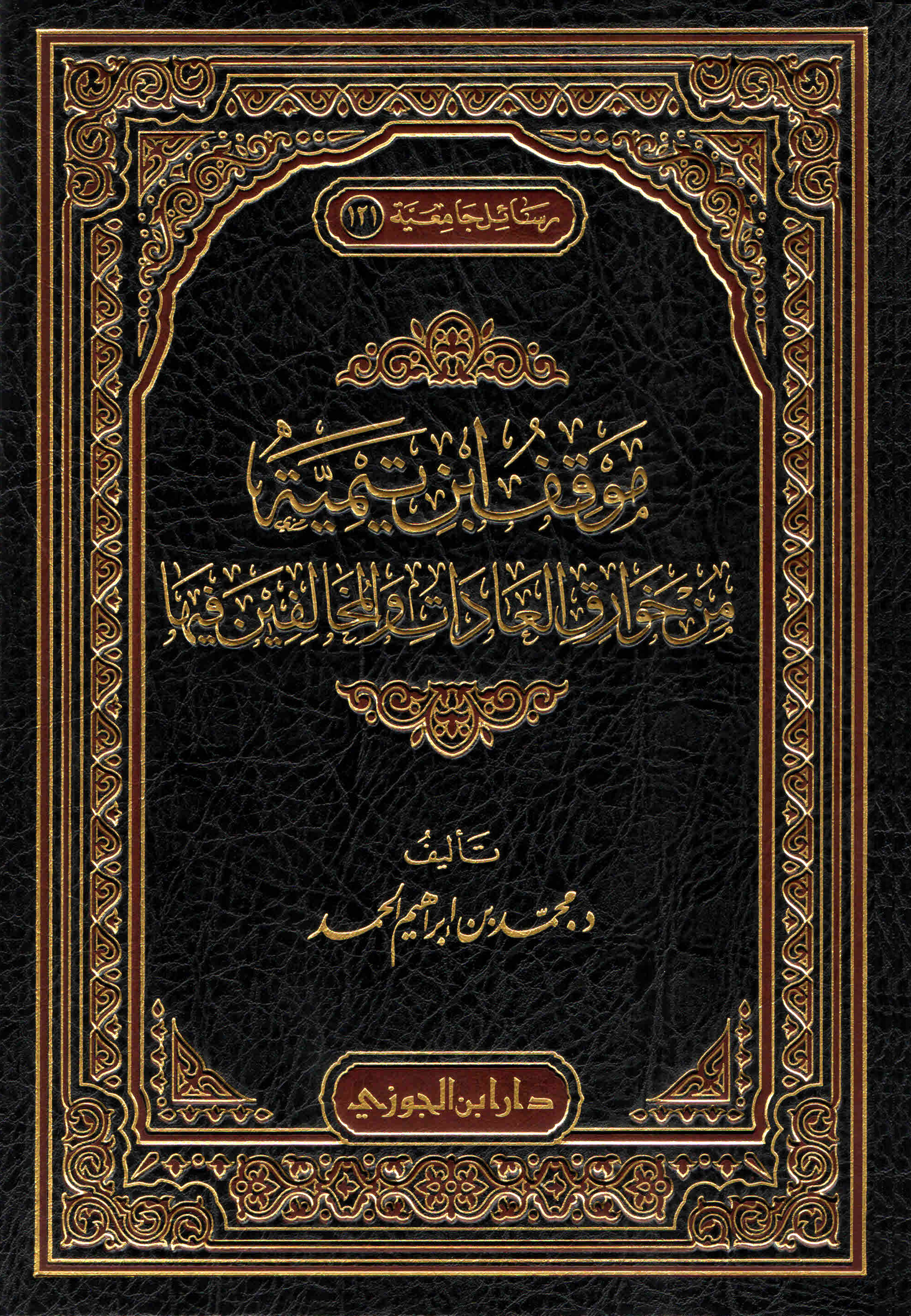
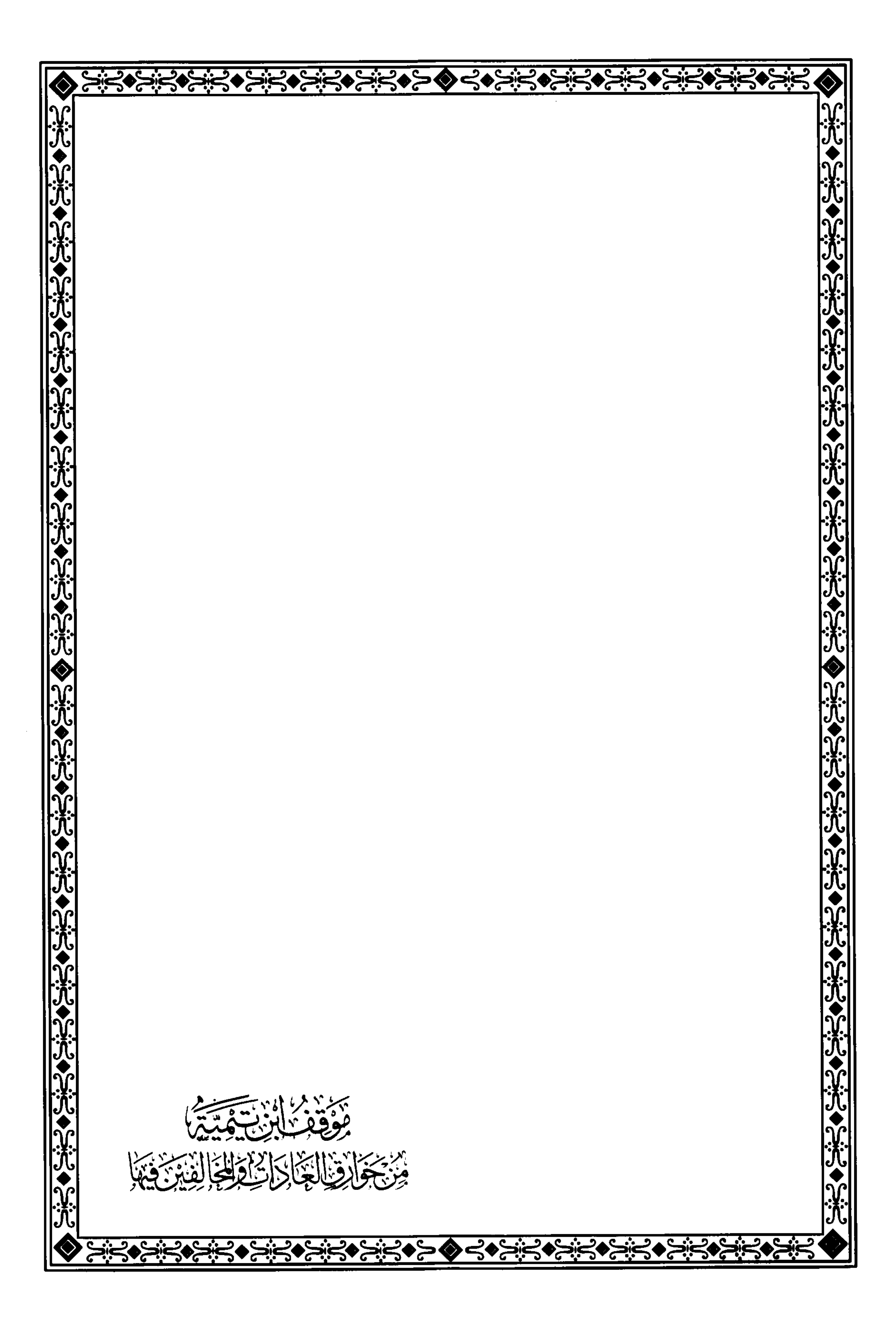

رسائل جامعية (١٢١)
موقف ابن تيمية
من خوارق العادات والمخالفين فيها
تأليف
د. محمد بن ابراهيم الحمد
دار ابن الجوزي


موقف ابن تيمية
من خوارق العادات والمخالفين فيها



ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحمد، محمد إبراهيم

موقف ابن تيمية من خوارق العادات والمخالفين فيها./ محمد إبراهيم الحمد - ط١.. - الدمام، ١٤٣٩هـ

٦٦٨ص؛ ١٧×٢٤سم

ردمك: ٩٧٨ - ٦٠٣ - ٨٢٤٥ - ١٠ - ١

١ - الفرق الإسلامية أ. العنوان

ديوي ٢٤٥ ١٤٣٩/٩١٥٣



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية:

الدمام - حي الريان - شارع عثمان بن عفان

ت: ٠١٣٨٤٢٨١٤٦ - ٠١٣٨٤٦٧٥٩٣ - ٠١٣٨٤١٢١٠٠

ص ب. واصل: ٨١١٤

الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦

الرقم الإضافي: ٤٩٧٣

الرياض - ت: ٠٥٩٢٦٦٢٤٩٥

جوال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨

الأحساء - ت: ٠١٣٥٨٨٣١٢٢

جدة - ت: ٠١٢٦٨١٤٥١٩

جوال: ٠٥٨٣٠١٧٩٥١

لبنان:

بيروت - ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠

فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر:

القاهرة - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠

جوال: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨

الطبعة الثانية

١٤٤٣هـ

الباركود الدولي: 9786038245101

aljawzi@hotmail.com

+966503897671

aljawzi

eljawzi

aljawzi.net



أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه في العقيدة في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية وقد حصل الباحث فيها على درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى والتوصية بالطباعة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين **أما بعد**:

فلقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ بدين الإسلام؛ فأكمله ﷻ وأتم به على عباده النعمة، ورضيه لهم ديناً، فجاء خاتماً سمحاً واضحاً، يلائم الفطرة، ويساوق العقل والنظر الصحيح.

ولم يفارق رسول الله ﷺ هذه الدنيا إلا وقد بين للأمة جميع ما تحتاج إليه من أمر دينها؛ فبلغ رسالة ربه، وأقام على الناس الحجة من بعده.

ثم تلاه أصحابه من بعده، فتلقوا عنه، واتبعوا طريقه القويم، وساروا على منهجه المستقيم؛ لقرب العهد، ومباشرة التلقي؛ فكانوا خير أمة أخرجت للناس.

ثم سلك أَثَرَهم التابعون لهم بإحسان؛ فاقتفوا طريقهم، واهتدوا بهداهم، ودعوا إلى ما دعوا إليه، ومضوا إلى ما كانوا عليه.

ولا يزال الله ـ جل ثناؤه ـ يغرس لهذا الدين غرساً؛ فيقيِّضُ ـ لطفه وكرمه ـ من يجدد لهذه الأمة أمر دينها من العلماء الربانيين، والبُنَاةِ المصلحين الذين يقولون بالحق وبه يعدلون، ويحسنون عرض الإسلام، والدعوة إليه، ويتصدون لمن يحاول الطعن فيه، أو النيل منه.

وإن من تلك الطليعةِ الظافرةِ المجددة لدين الله ﷻ شيخَ الإسلام أحمدَ بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني المعروف بابن تيمية رحمه الله فكان ظهوره بداية نهضةٍ إسلامية، واسعة المدى، بعيدة الأثر؛ إذ كانت له يدٌ طولى، وقدحٌ معلى في تجديد الدين، والدعوة إليه، والذب عنه، ومنازلة خصومه في شتى الميادين؛ فطبقت شهرته الآفاق، وكُتِبَ له ولدعوته ولمؤلفاته القبول، ولا يزال النفع به يزداد إلى يومنا الحاضر.

ولقد تطرق في مؤلفاته إلى فنون شتى من علوم الشريعة، ومن تلك العلوم التي برع فيها وأبدى وأعاد حولها ـ علومُ العقيدة، وما يتصل بها من دراسة الأديان، والمذاهب، والفرق، والطوائف، وما جرى مجرى ذلك.

وإن من تلك الموضوعات العقدية التي نالتها عنايتُه **موضوعَ خوارقِ العادات** الذي يندرج تحته ثلاثة موضوعات مهمة في باب الاعتقاد، ألا وهي: **معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء، والأحوال الشيطانية**؛ فقد تناولها ابن تيمية بالبحث الواسع، والدراسة العميقة، والتحليل الدقيق، سواء ما أفرده من التآليف في هذا الموضوع، أو ما خصص له من المباحث في بعض مصنفاته، أو ما يمر به عرضاً في غضون تآليفه المختلفة.

ولما عزمت على إعداد رسالتي للدكتوراه في تخصص العقيدة والمذاهب المعاصرة وقع الاختيار ـ بعد طول تردد واستخارة واستشارة ـ على دراسة هذه الناحية المهمة من شخصية ابن تيمية العلمية، فجاء عنوان هذه الرسالة حاملاً المسمى التالي:

(موقف شيخ الإسلام ابن تيمية
من خوارق العادات والمخالفين فيها)

آملاً أن يكون لهذا البحث نصيبٌ من الجِدَّة، والطرافَة، والأهمية، والله المستعان وعليه التكلان.

○ مشكلة البحث:

هذا البحث يسعى إلى الإجابة عن السؤال العام التالي: ما موقف ابن تيمية من خوارق العادات، والمخالفين فيها؟

ويندرج تحت هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:

ـ ما موقفه من معجزات الأنبياء والمخالفين فيها؟

ـ ما موقفه من كرامات الأولياء والمخالفين فيها؟

ـ ما موقفه من الأحوال الشيطانية والمتلبسين بها؟

○ أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

١ ـ التعرف على موقف ابن تيمية من خوارق العادات عموماً.

٢ ـ بيان موقفه من معجزات الأنبياء، والمخالفين فيها.

٣ ـ إيضاح موقفه من كرامات الأولياء، والمخالفين فيها.

٤ ـ إبراز موقفه من الأحوال الشيطانية، والمتلبسين فيها.

○ أهمية الموضوع:

للبحث في هذا الموضوع أهمية علمية، ويمكن إجمالُها فيما يلي:

١ ـ أنه يبحث في ناحية مهمة من نواحي شخصية علمية موسوعية فذة لها حضورها المميز، ومكانتها العلمية؛ فابن تيمية من أهم الشخصيات الإسلامية التي حظيت بالدراسة والبحث؛ فبيان موقفه من **خوارق العادات والمخالفين فيها** من الأهمية بمكان.

٢ ـ أن موضوع **الخوارق** من أهم الموضوعات في باب العقيدة؛ فله تعلق بأصول الاعتقاد كالإيمان بالله، والإيمان بالرسل؛ فالمعجزات ـ وهي من خوارق **العادات** ـ من أعظم الدلائل اليقينية التي يعلم بها ثبوت الصانع، وصدق الرسول.

وإن فِقْهَ المعجزات، والتمييزَ بينها وبين ما يأتي به السحرة والكهان لَبَابٌ عظيم؛ إذ هو من أشرف العلوم ـ كما يقرر ذلك ابن تيمية ـ.

وكرامات الأولياء ـ وهي من جملة **الخوارق** ـ من أدَلِّ الدلائل على صدق الرسل؛ إذ هي نتيجة اتباعهم.

وكل ذلك مما يدل على أهمية الموضوع، وشرفه.

٣ ـ أن موضوع **خوارق العادات** مذكور في الكتاب والسنة، وأن علماء الأمة سلفاً وخلفاً قد أولوه عناية فائقة؛ حيث أودعوه مصنفاتهم، وأفرده بعضهم بالتأليف، وعَدُّوا الإيمان بالمعجزات والكرامات أصلاً من الأصول التي اتفق عليها سلف الأمة، كما عدوا التمييز بينها وبين الأحوال الشيطانية من صميم موضوعات علم العقيدة.

٤ ـ أن الانحراف في باب **خوارق العادات** قديم حديث؛ إذ لم يسلم الصحيح منه من الإنكار والتأويل، ولم يسلم ـ في الوقت نفسه ـ من المبالغة فيه والتهويل؛ فلا يزال المنكرون المكذبون بالمعجزات والكرامات موجودين إلى يومنا هذا، ولا يزال الدجالون والكذابون يُدْخلون فيها ما ليس منها؛ فالحاجة إلى فهم هذا الباب، وتنزيل الأحكام الصحيحة عليه قائمة إلى يومنا هذا.

٥ ـ أن ابن تيمية من أكثر علماء الإسلام تطرقاً لهذا الموضوع؛ حيث أبدى في **خوارق العادات** وأعاد، وناقش ورد، وذكر الفروق بين الخوارق، وميز الحق فيها من الباطل، والصحيح من الزيوف.

وهذه المادة الكثيرة المتنوعة المتناثرة بحاجة إلى جمع ودراسة؛ ليتوصل من خلالها إلى تحديد موقفه من هذا الموضوع المهم، فالبحث فيه سدٌّ للنقص في الدراسات العقدية من هذه الناحية.

٦ ـ أن الفهم الصحيح لهذا الباب من أعظم الأسباب الداعية لدخول الإسلام، وزيادة اليقين به، والانحراف في مفهومه من أعظم ما يصد عن دين الإسلام، ويثير الشبه حوله.

○ أسباب اختيار الموضوع:

لاختيار هذا الموضوع أسباب يمكن إجمالها فيما يلي:

١ ـ الإسهام في إلقاء مزيد من الضوء على شخصية ابن تيمية العلمية الفذة التي كانت سبباً في بعث الأمة، وتجديد علومها.

٢ ـ الرغبة في تجلية موقف ابن تيمية من **خوارق العادات والمخالفين فيها**.

٣ ـ الرغبة في الإفادة من منهجه في تناولِ موضوع **الخوارق**، وبيانِ الحق فيها، وطريقتِهِ في مناقشة المخالفين في شأنها.

٤ ـ الإسهام في معالجة الانحرافات الحاضرة المشابهة في باب الخوارق؛ ذلك أن الانحرافاتِ والضلالاتِ التي واجهها ابن تيمية في موضوع **خوارق العادات** لا تزال تُطرح، وتَتجدد وتتطور إلى يومنا هذا؛ فالموضوع قديم حديث؛ فمعرفة موقفه منها يعين على الوقوف على أطوارها، ومواجهة انحرافاتها المتجددة.

○ الدراسات السابقة:

هناك عِدَّة دراسات حول موضوع خوارق العادات، أو بعض أنواعها كالمعجزات، وكرامات الأولياء.

وهناك ـ أيضاً ـ دراساتٌ كثيرةٌ جداً حول ابن تيمية في موضوعات شتى، والقليل منها يَمُتُّ إلى موضوع الرسالة بشيء من الصلة.

أما موقف ابن تيمية من **خوارق العادات والمخالفين فيها**، أو موقفه من بعض الخوارق فلا يوجد دراسة علمية متخصصة بذلك.

هذا وإن أهم الدراسات السابقة في ذلك الشأن ما يلي:

١ ـ خوارق العادات، وحقيقة الولاية، والفرق بينها وبين الأحوال الشيطانية: وهي رسالة ماجستير، مقدمة لكلية أصول الدين في العقيدة والمذاهب المعاصرة

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، عام ١٤٠٢هـ، إعداد الباحث: وليد محمد مصطفى السعد، وإشراف معالي الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان.

وقد اشتملت تلك الرسالة على مقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة.

فهذه الدراسة ـ إذاً ـ كانت حول الخوارق عموماً دون تخصيص لموقف شيخ الإسلام ابن تيمية منها، أو من المخالفين فيها.

ثم إنها كانت مختصرة إلى حدٍّ ما؛ إذ الموضوع كبير، ويحتاج إلى مزيد إشباع، ومع ذلك فقد جاءت في مائتين وثلاث صفحات.

٢ ـ **خوارق العادات في القرآن الكريم**: وهي رسالة ماجستير للباحث: عبد الرحمن بن إبراهيم الحميضي، من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في مكة المكرمة التابعة لجامعة الملك عبد العزيز، عام ١٤٠٠هـ، إشراف الدكتور محمد عبد المنعم القيعي.

وقد قسم المؤلف الكتاب إلى ثلاثة أبواب، وجعل له مقدمة، ومدخلاً لدراسة خوارق العادات.

وقد جاء **الباب الأول** في مباحث وتعريفات في معنى الخارق، والمعجزة، والكرامة، والسحر، والمعجزات العلمية، والفروق بينها.

وأما **الباب الثاني** فجعله في معجزات الأنبياء، وقسمه إلى قسمين:

الأول: في معجزات الأنبياء السابقين، والآخر: في معجزات نبينا محمد ﷺ.

وأما **الباب الثالث** فجعله في كرامات الأولياء الواردة في القرآن الكريم ـ كرامات مريم عليها السلام، وكرامة أصحاب الكهف، وكرامة صاحب سليمان الذي أحضر عرش بلقيس ـ.

ثم ختم البحث بخاتمة ذكر فيها ما توصل إليه من نتائج، ونَبَّه على بعض الاقتراحات والتوصيات في هذا الشأن.

وقد خرج في كتاب نشرته مكتبة عكاظ، جدة، ١٩٨٢م ـ ١٤٠٢هـ.

والكتاب ـ كما مر ـ يبحث عن خوارق العادات في القرآن الكريم فحسب؛ إذ الرسالة في تخصص الدراسات القرآنية.

وهو كالدراسة السابقة، من جهة أنه بحث عام في الخوارق دون أن يكون خاصاً بتناول ابن تيمية لهذا الموضوع.

٣ ـ كرامات الأولياء دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة: وهي رسالة ماجستير مقدمة من الباحث الدكتور عبد الله بن عبد العزيز العنقري، بجامعة الملك سعود في الرياض عام ١٤١٣هـ.

وقد طبعت عام ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م، دار التوحيد، الرياض، المملكة العربية السعودية، وتقع في ٦٠٠ صفحة.

وجاءت خطة البحث مشتملة على **مقدمة وتمهيد وبابين، وخاتمة.**

حيث بدء بالمقدمة، ثم مهد لرسالته في تعريف الكرامة، مبيناً الفرق بينها وبين آية النبي.

ثم انتقل **إلى الباب الأول** الذي عنون له بـ: الكرامة في معتقد أهل السنة والجماعة، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الكر امة في القرآن.

الفصل الثاني: الكرامة في السنة وسير السلف الصالح وعصرنا القريب.

الفصل الثالث: تفصيل عقيدة أهل السنة في الكرامة.

وأما الباب الثاني فكان عنوانه: الكرامة بين الإنكار والغلو، وفيه فصلان:

الفصل الأول: منكرو الكرامات ومناقشتهم، **والثاني:** المغالون في الكرامات ومناقشتهم.

وتحت كل فصل من الفصول مباحث، ومطالب، ومسائل.

ثم ختم البحث بخاتمة بين فيها أهم النتائج التي توصل إليها.

وهكذا يتبين من خلال ما مضى أن الرسالة كانت في نوع من أنواع الخوارق وهو كرامات الأولياء، وأنها تبحث في دراسة الكرامات بحثاً عامًّا مستقلاً دون أن يكون لها اختصاص بدراسة موقف ابن تيمية من هذا الخارق.

٤ ـ كرامات الأولياء بين أهل السنة ومخالفيهم حقيقتها ومجالاتها، عرض ونقد: وهي رسالة دكتوراه، للباحث: عبد الله بن عيد بن صالح المالكي، مقدمة لقسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية ١٤٣٢ ـ ١٤٣٣هـ.

وقد جاءت خطة البحث مشتملة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب وخاتمة.

وهي قريبة من الرسالة السابقة من جهة بيان مفهوم الكرامة، ومن جهة ضوابطها، ومناقشة المخالفين فيها.

وإن كان فيها زيادة في البابين الأخيرين، وذلك بذكر مجالات الكرامة، وآثارها.

فهذه هي أهم الدراسات القريبة من الموضوع، وهي ـ كما مر ـ لم تتناول بالدراسة تحديد موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من خوارق العادات والمخالفين فيها، وإن كانت مشتملة على إيراد بعض آرائه، أو أقواله في ذلك الشأن.

أما الدراسات التي تناولت شيخ الإسلام ابن تيمية فكثيرة جداً، ولا زال الباحثون ينهلون من بحر ذلك الإمام إلى يومنا الحاضر في شتى ميادين العلم والمعرفة.

وقد وقفت على مائتين وثلاثين رسالة عن ابن تيمية ما بين ماجستير ودكتوراه.

وليس فيها دراسة خاصة في موضوع خوارق العادات والمخالفين فيه.

وأقرب تلك الدراسات التي لها صلة جزئية ببعض موضوعات البحث ما يلي:

١ ـ **موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها**، رسالة دكتوراه، أعدها د. صالح بن غرم الله الغامدي.

حيث جاء **الباب الثالث** من تلك الرسالة تحت عنوان: (موقف ابن تيمية من آراء الفلاسفة من الاعتقاد من خلال عرضه لها).

وعقد تحت هذا الباب فصلاً عنون له بـ: (**الفصل الرابع**: آراؤهم في الملائكة، والجن، والنبوات، وموقف ابن تيمية منها).

وجاء المبحث الثالث من ذلك الفصل تحت عنوان: (آراؤهم في النبوات، وموقف ابن تيمية منها).

ثم تحدث في الفقرة (د) من ذلك المبحث عن معجزات الأنبياء عند الفلاسفة، وموقف ابن تيمية منها.

فهذا وجه الصلة بين هذه الدراسة، وبين موضوع البحث.

هذا وإن عرض الباحث مرتبط بموقف ابن تيمية من الفلاسفة عموماً دون ربط له بموضوع الخوارق.

٢ ـ **موقف ابن تيمية من الأشاعرة**، وهي رسالة دكتوراه أعدها د. عبد الرحمن ابن صالح المحمود.

حيث عقد في الفصل الثالث من الباب الثاني من رسالته مبحثاً عنون له بقول: (المبحث الخامس: مسائل متفرقة) وتناول في هذا المبحث مسائل الرؤية، والنبوات والمعجزات.

وقال: «وفي هذا المبحث ـ المختصر جداً ـ سيتم عرض بعض المسائل المتفرقة، والكلام عنها بإيجاز».

وتطرق في فقرة النبوات والمعجزات إلى موقف ابن تيمية من الأشاعرة في المعجزات بإيجاز شديد.

ويقال ههنا ما قيل في الدراسة السابقة من جهة أن موقف ابن تيمية في هذه المسألة يحتاج إلى مزيد عناية، وربط له بموضوع البحث.

٣ ـ **النبوة عند ابن تيمية ورده على المخالفين**: وهي رسالة ماجستير أعدها الباحث سعيد إبراهيم سعيد مرعي.

وجاءت بعد المقدمة والتمهيد في بابين:

الباب الأول: وتحدث فيه عن مفهوم النبوة، **والباب الثاني**: وتحدث فيه عن رد شيخ الإسلام ابن تيمية على المخالفين في النبوة.

وفي **الفصل الرابع** من الباب الأول عقد مبحثاً سماه: (المعجزات).

وتطرق فيه لمفهوم المعجزة، وبعض آراء ابن تيمية فيها، ولم يقتصر على ذلك، بل ساق آراءاً أخرى لابن القيم، والفيرز آبادي، والسفاريني، وابن كثير، وابن هشام، وابن حزم، والقرطبي، وغيرهم.

وفي **الفصل الخامس** من فصول **الباب الأول**: تعرض لمناقشة ابن تيمية للمتكلمين في اقتصارهم على المعجزات وحدها على إثبات النبوة.

وتطرق في غضون ذلك الفصل لبعض مواقف ابن تيمية من المعتزلة والأشاعرة في المعجزات.

ويقال في هذا البحث ما قيل في سابقيه من جهة الحاجة إلى مزيد بحث، وربط ببقية الخوارق.

٤ ـ **موقف ابن تيمية من الصوفية**: وهي رسالة دكتوراه أعدها د. محمد بن عبد الرحمن العريفي، وقد اشتملت بعد المقدمة والتمهيد على خمسة أبواب.

وقد جاء المبحث الثالث من **الفصل الرابع** من **الباب الثالث** تحت عنوان: الكرامات.

ويقال فيه ما قيل في الدراسات الثلاث السابقة.

فهذه أهم الدراسات التي تناولت ابن تيمية، وتَمُتُّ إلى موضوع الرسالة بشيء من الصلة الجزئية.

ومن خلال ما مضى يتبين أن الحاجة قائمة إلى جمع شتات ذلك الموضوع، ودراسة موقف ابن تيمية المحدد المفصل فيه؛ إذ هو من أهم وأكثر ما تناوله ابن تيمية، ومع ذلك فلا يوجد رسالة خاصة في شأنه، خصوصاً وأن أكثر هذه الدراسات قد كتبت قبل سنوات عدة، وقد خُدِمَت كتب ابن تيمية بعد تلك الدراسات خدمة تليق بها، بل قد خرجت في رسائل علمية خصوصاً في باب الخوارق؛ حيث حُقِّقَتِ الكتب التي دارت حول هذا الموضوع كالنبوات، والجواب الصحيح، والصفدية، والأصبهانية، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وغيرها.

○ **خطة البحث:**

اشتمل هذا البحث على مقدمة تضمنت ديباجة البحث، ومشكلته، وأهدافه، وأهميته، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة فيه، وتقسيماته، ومنهجه، وإجراءاته.

تقسيمات البحث: وقد اشتمل على تمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وذلك كما يلي:

تمهيد: التعريف بابن تيمية:

وفيه: مبحثان:

المبحث الأول: نشأته، وعلمه، وآثاره.

المبحث الثاني: أحواله، وأخلاقه، ووفاته.

مدخل: مفهوم خوارق العادات.

وفيه: مطلبان:

المطلب الأول: تعريف خوارق العادات.

المطلب الثاني: مجمل قول ابن تيمية في مفهوم خوارق العادات.

الباب الأول: موقف ابن تيمية من معجزات الأنبياء والمخالفين فيها.

وفيه: فصلان:

الفصل الأول: موقف ابن تيمية من معجزات الأنبياء.

وفيه: ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم معجزات الأنبياء عند ابن تيمية.

وفيه: ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهومها عنده باعتبار مفرديها.

وفيه: مطلبان:

المطلب الأول: أصناف المتلبسين بالأحوال الشيطانية عنده.

المطلب الثاني: ما يحصل للمتلبسين بالأحوال الشيطانية.

المبحث الثاني: إبطاله لما عليه أصحاب الأحوال الشيطانية.

وفيه: مطلبان:

المطلب الأول: إبطاله لما هم عليه بالحجة.

المطلب الثاني: إبطاله لما هم عليه بالمواجهة المباشرة.

الخاتمة: وفيها ذكر لأهم نتائج البحث، وعدد من التوصيات.

○ منهج البحث:

موضوع البحث ـ كما مر ـ موقفُ شخصيةٍ علمية وهو ابن تيمية من موضوعٍ عقدي، وهو **خوارق العادات والمخالفين فيها**، ويُراد من هذا البحث بيانٌ مُفَصَّلٌ محدد لموقف تلك الشخصية من هذا الموضوع؛ من حيث **مفهومُه** له، وتقسيمه لأنواعه، وذكرُهُ الفروقَ بينها، وردودُه على المخالفين في ذلك؛ لذا فإن الباحث سيتَّبع في بحثه هذا مسلكاً يجمع فيه بين المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي.

○ إجراءات البحث:

تتلخص إجراءات هذا البحث فيما يلي:

١ ـ ترقيم الآيات القرآنية، وبيان سورها بعد ذكر الآية مباشرة في أعلى الصفحة؛ حتى لا تكثر الهوامش.

٢ ـ تخريج الأحاديث النبوية، وبيان ما ذكره أهل الاختصاص في شأنها إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما؛ فإن كانت كذلك اكتفيت بالعزو إليهما أو إلى أحدهما، واكتفيت بالعزو إلى رقم الحديث، وذلك إذا كان الكتاب الحديثي مرقماً؛ فأكتفي برقمه،ووضعه بين قوسين؛ هكذا ـ على سبيل المثال ـ : (١٣٨٥).

أما إذا كان غير مرقم فأشير إلى الجزء والصفحة إذا كان ثَمَّ أجزاء؛ هكذا ـ على سبيلِ المثال ـ : ١/ ٢٠، أو إلى رقم الصفحة إذا لم يكن ذا أجزاء؛ هكذا: ص٢٠.

٣ ـ الرجوع إلى كتب ابن تيمية سيكون حسب الطبعة المعتمدة للرجوع إليها أول مرة، وإن كان ثَمَّ اختلاف، أو التباس ـ رُجع إلى طبعة أخرى، أو تحقيق آخر ـ إن وجد ـ لأجل الترجيح، أو التصحيح مع الإشارة إلى ما رجع إليه أخيراً.

مثال ذلك: أن الرجوع إلى كتاب النبوات يعتمد في الرجوع إليه على طبعة أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، تحقيق د. عبد العزيز الطويان، وهي رسالة علمية ـ دكتوراه ـ من الجامعة الإسلامية.

وإذا حصل إشكال في كلمة أو نحوها رُجع إلى طبعة أخرى للنبوات، وهي طبعة دار الكتاب العربي، دراسة وتحقيق محمد عبد الرحمن عوض، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، أو طبعة دار ابن الجوزي المعنونة بـ: (ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً، والمعجزات والكرامات) تحقيق د. محمد يسري سلامة، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م، وإذا أحيل إلى أيٍّ من الطبعتين بُيِّن ذلك، وإلا فالأصل هو الرجوع إلى طبعة د. الطويان، وهكذا.

٤ ـ العناية بإخراج البحث في حلة قشيبة منظمة.

٥ ـ الحرص على ترابط البحث، وتماسك أجزائه.

٦ ـ الحرص ـ قدر الإمكان ـ على أن تكون خطة البحث متقاربة الحجم في الأبواب، والفصول، والمباحث، والمطالب، والمسائل؛ فإن كثُرت المباحث ـ على سبيل المثال ـ قلَّت صفحات كل مبحث، وإن قلَّت المباحث كثرت صفحات كل مبحث، على أن لا يكون ذلك على حساب المادة العلمية زيادةً أو نقصاً.

٧ ـ لعناية بعنونة أجزاء البحث، وأن تكون العنوانات ـ قدر المستطاع ـ مختصرة، معبرة، مطابقة لما تحتها؛ لأجل أن تتمايز أجزاء البحث عن بعض، ولإبعاد الملل والسآمة.

٨ ـ الحرص على ارتباط عنوانات البحث ببعض؛ بحيث ترتبط عنوانات الأبواب بعنوان البحث الرئيس، وترتبط عنوانات الفصول بالأبواب، وعنوانات المباحث بالفصول، وعنوانات المطالب بالمباحث، وعنوانات المسائل بالمطالب، وهكذا.

٩ ـ ترقيم العناصر التي تكون تحت المسائل، هكذا: أولاً، ثانياً.

وإن كان ثَـمَّ تفريع عليها أو على بعضها رُقِّمت هكذا: ١، ٢، ٣.

وقد يقتضي السياق أن ترتب من البداية هكذا: ١، ٢، ٣ خصوصاً إذا كانت الأرقام كثيرة.

١٠ ـ العناية بسلامة الأسلوب، وتيسيره، وسيره على قواعد اللغة العربية، والحرص على جعله حالاً بين حالين: بين الوحشي الغريب، والسوقي القريب.

١١ ـ مراعاة قواعد الإملاء، من علامات ترقيم ونحوها؛ مما ييسر فهم المقصود، ويعين على إبعاد اللبس.

١٢ ـ الحرص على فصل كل مسألة عن غيرها؛ ذلك أن مسائل البحث في معظمها متشابكة متداخلة، والنص الواحد قد يكون مرتبطاً بأكثر من مسألة؛ لذا قد يتكرر نقلُ النصِّ الواحدِ أو الحادثة الواحدة أكثر من مرة؛ لاختلاف الزاوية التي يُنظر من خلالها إلى ذلك النص، أو تلك الحادثة.

والذي ينظر بادي الرأي في بعض أجزاء البحث قد يظن أن ذلك تكرار يغني بعضه عن بعض.

وليس الأمر كذلك؛ إذ كل نقل مرتبط بعنوان المسألة، أو المطلب، أو المبحث، أو الفصل، وهكذا؛ فلا يُغني نقلٌ في موضعٍ عن إعادته في موضع آخر.

١٣ ـ توجيه النصوص المنقولة عن ابن تيمية؛ من جهة أن توضع في سياقاتها الملائمة، ومراعاة نقلها بنصها، أو بفحواها؛ ذلك أن المراد من البحث بيانُ موقفٍ، وذلك يستدعي كثرة النقول؛ فمراعاة ذلك يعين على تجلية الموقف، وتحديد الآراء.

وإذا كان النقل يغني في بعضٍ دون بعض اكْتُفي بالإشارة إلى نقلٍ سابق دون تكرار بنصه، أو دون تكراره كاملاً.

١٤ ـ قد يقتضي المقام أن يكون تحرير بعض المسائل من خلال كتاب، أو كتابين من مؤلفات ابن تيمية؛ حيث تكون المسألة المرادُ بحثُها قد أُشبعت في كتاب، أو موضعٍ منه؛ فيكون تحرير المسألة مُنْصبًّا على ذلك الكتاب مع الإشارة إلى المواضعِ الأخرى التي مرت بتلك المسألة عَرَضاً؛ فالمقام مقامُ بيانِ موقفٍ لعالم في موضوع معين، وليس بحثاً في موضوع عام.

مثال ذلك في: المبحث الأول من الفصل الثاني من الباب الأول، وهو: موقف ابن تيمية من قول الفلاسفة في المعجزات؛ فهذه المسألة قد بحثها ابن تيمية في توسع في كتابه (الصفدية) ولم يبحثها بذلك التوسع في كتاب آخر؛ فلا غرو أن يكون المعتمد في بحث هذه المسألة من خلال ذلك الكتاب، مع الإشارة إلى ما مر به عَرَضاً من بحث تلك المسألة في كتب أخرى، وهكذا.

١٥ ـ الترجمة للأعلام غير المشهورين ممن لهم صلة وثيقة بموضوع البحث، وممن لم تكن لهم ترجمة في البحث؛ إذ قد يُحتاج إلى تعريف ببعض الأعلامِ الوارد ذِكْرُهم، ولكن قد يكون له تعريف في أصل البحث في موضع أو أكثر، أو قد ترد

الإشارة إلى شيء من سيرته، أو سِنّه، أو تاريخ وفاته؛ فيكتفى بذلك دون أن تخصص له ترجمة في الهامش.

١٦ ـ الاقتصار على ذكر اسم الكتاب، والمؤلف، والناشر، وتاريخ الطبعة، ورقمها عند أول رجوع للكتاب.

وإذا كان هناك اشتباه بين الكتب، وخُشي اللبس أُعيد ذكر الكتاب والمؤلف فحسب.

١٧ ـ إلحاق البحث بالفهارس التي يتطلبها البحث وهي كما يلي:

أ ـ فهرس الآيات القرآنية.

ب ـ فهرس الأحاديث، والآثار.

ج ـ فهرس قوافي الأشعار.

د ـ فهرس الأعلام المترجم لهم.

هـ ـ فهرس البلدان.

و ـ فهرس الفرق والطوائف.

ز ـ فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة.

ح ـ فهرس المصادر والمراجع.

ط ـ فهرس الموضوعات.

وفي ختام هذه المقدمة لا يسعني إلا أن أتوجه بأوفى الشكر، وأتمه لله ـ جلّ ثناؤه ـ على تيسيره، ولطفه، وإعانته.

ثم أشكر لوالديَّ حرصهما على رعايتي، وتعليمي، والعناية بشأني منذ نشأتي إلى أن فارقا الدنيا؛ فرحمهما الله رحمةً واسعة، وجزاهما عني خير الجزاء، وأجزله.

وأشكر الجامعة الإسلامية ممثلة بمعالي مديرها، وفضيلة عميد الدراسات العليا، وعميد كلية الدعوة وأصول الدين، ورئيس قسم العقيدة على ما بذلوه من جهدٍ، وتذليلٍ للعقبات.

كما أشكر لشيخي وأستاذي المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي ما لقيته من فضيلته من غزارة علم، وسعة بال، وحسن توجيه، ودقة ملاحظة؛ فلقد أفدت من علمه، وحلمه، وخلقه، وكرم نفسه؛ فجزاه الله عني خير الجزاء، وأوفاه.

وأشكر لكلٍّ من الشيخين الفاضلين: الأستاذ الدكتور: عبد الله بن محمد السند، والدكتور: أحمد بن عبد الله الغنيمان تفضلهما بمناقشة هذه الرسالة، وما أبدياه من ملحوظات تجاهها.

كما أشكر لكل من أعان على إتمام هذا البحث بمشورة، أو نصح، أو فائدة، أو مراجعة.

والله المستعان، وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

د. محمد بن إبراهيم الحمد
الزلفي؛ ص.ب: ٤٦٠
ط١ ١٤٤٣/٢/١٧هـ
جامعة القصيم ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
@M__ALHAMAD




تمهيد

التعريف بابن تيمية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نشأته، وعلمه، وآثاره، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نشأته.

المطلب الثاني: علمه.

المطلب الثالث: آثاره.

المبحث الثاني: أحواله، وأخلاقه، ووفاته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أحواله.

المطلب الثاني: أخلاقه.

المطلب الثالث: وفاته.




تمهيد

التعريف بابن تيمية

شيخ الإسلام ابن تيمية ـ كما مرَّ في المقدمة ـ شخصية إسلامية عظيمة، ولها حضورها الكبير في شتى ميادين العلم، والدعوة، والجهاد، وذلك منذ بزوغ نجمه في أواخر النصف الثاني من القرن السابع الهجري إلى يومنا الحاضر؛ فهو يأتي في طليعة علماء المسلمين الذين نالتهم عناية العلماء، والباحثين بالتحقيق لآثاره، والتحليل والدراسة لمواقفه وآرائه.

ولا يُبَالَغُ إذا قيل: إنه لا يكاد يضارعه عالم آخر من علماء المسلمين من بعده في ذلك الشأن.

ويشهد لذلك كثرةُ المؤلفات والدراسات الأكاديمية حوله، وتنوعُ موضوعاتها تنوعاً يشهد له بسعة العلم، وطول الباع، وعظم المكانة التي تبوأها في ميادين شتى.

ومن أجل ذلك كانت حياتُه، وتفصيلاتُ سيرته، وجوانبُ نبوغه وألمعيتِه متوافرةً جداً، وتكاد تكون معلومةً لدى من له أدنى عناية بتراث هذا الإمام[1].

---

(١) انظر في ذلك على سبيل المثال: العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي، دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م، والأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للحافظ عمر بن علي البزار، حقَّقه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٦هـ، والبداية والنهاية لابن كثير، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، ٨/٢٤٠، و٥٤٩، و٥٧٩، و٩/٢٨٩، و١٥/١١٢، ١٨٤، ٢٧٨، و١٧/٣٢٤، ٤٥١، ٤٨٠، ٤٨٣، ٥٩١ ـ ٥٩٣، و٦٥٩، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٧٨، و١٨/٣٣، ٤٥ ـ ٤٩، والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي، مطبعة السُّنَّة المحمدية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ١٩٥٣م، ٢/٣٨٧ ـ ٤٠٨، والشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، تحقيق وتعليق: نجم عبد الرحمٰن خلف، دار الفرقان، دار الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م، وغيرها كثير جدّاً.

وأما الكتب المعاصرة التي تناولت سيرة ابن تيمية فكثيرة جدّاً، ومنها: كنوز الأجداد لمحمد =

ومهما يك من شيء فلا بد في هذا المقام من التعريف بهذا الإمام ولو على سبيل الإجمال؛ فذلك ما تفرضه مقتضيات البحث العلمي ولوازمه، وهذا ما سيتبين من خلال المبحثين التاليين:

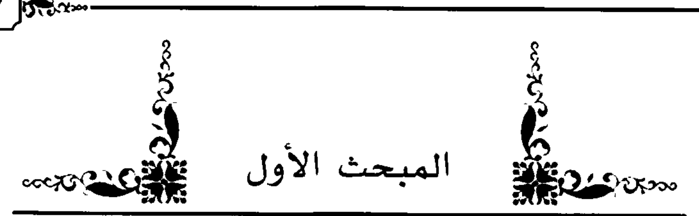
المبحث الأول: نشأته، وعلمه، وآثاره.

المبحث الثاني: أحواله، وأخلاقه، ووفاته.



= كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م، وابن تيمية لعبد العزيز المراغي، دار إحياء الكتاب العربي، حقَّقه: عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، وابن تيمية، د. محمد يوسف موسى، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، والجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، جمعه ووضع فهارسه: محمد عُزير شمس، وعلي العمران، إشراف وتقديم: د. بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٢هـ.

أما الرسائل الجامعية التي عُنيت بتراث ابن تيمية وسيرته فتزيد على أربعمائة رسالة إلى الآن، ومن أهمها، وأوعبها لسيرة ابن تيمية: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمٰن المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.



المبحث الأول



نشأته، وعلمه، وآثاره

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: نشأته.

المطلب الثاني: علمه.

المطلب الثالث: آثاره.

❁ ❁ ❁

المطلب الأول

نشأته

○ **أولاً: اسمه ونسبه:**

هو: شيخ الإسلام، أبو العباس، تقي الدين، أحمد بن شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الإمام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني النميري.

وينسب إلى قبيلة عربية من بني نمير، ويرجع نسبهم إلى قيس عيلان(١).

○ **ثانياً: سبب تلقيبه بابن تيمية:**

قيل في ذلك سببان:

أحدهما: أن جدَّه محمد بن الخضر حج على درب تيماء، فرأى هناك طفلة، فلما رجع وجد زوجته ولدت بنتاً، فرفعوها إليه، فقال: يا تيمية يا تيمية؛ أي: إنها تشبه تيمية التي رآها بتيماء.

الآخر: أن جدَّه محمداً كانت أمُّه تسمى تيمية، وكانت واعظةً؛ فنسب إليها، وعرف بها(٢).

○ **ثالثاً: مولده:**

قال ابن عبد الهادي(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ: ....

---

(١) انظر: الأعلام العلية ص١٦، وانظر: أعيان العصر وأعوان النصر لخليل بن أيبك الصفدي ضمن الرسائل الموجودة في كتاب الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، ص٣٤٧، وانظر: الجامع ـ أيضاً ـ ص٦، و٣٦٧، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ١/١٣٦.

(٢) انظر: العقود الدرية ص٤ ـ ٥.

(٣) هو: محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي، أبو عبد الله الجُمَّاعيلي الأصل، ثم الصالحي، ولد في دمشق عام ٧٠٥هـ، وتوفي ٧٤٤هـ، الشيخ الإمام العالم العلامة، الناقد البارع في فنون العلوم، حصَّل من العلوم ما لم يحصِّله الشيوخ الكبار. =

«ولد شيخنا أبو العباس بحران[١]، يوم الاثنين عاشر، وقيل: ثاني عشر، شهر ربيع الأول، سنة ٦٦١هـ، وسافر والده به، وبإخوته إلى الشام عند جور التتار؛ فساروا بالليل، ومعهم الكتب على عجلة؛ لعدم الدواب؛ فكاد العدو يلحقهم، ووقفت العجلة؛ فابتهلوا إلى الله، واستغاثوا به، فنجوا، وسَلِموا، وقدموا دمشق في أثناء سنة ٦٦٧هـ»[٢].

○ رابعاً: أسرته:

نشأ ابن تيمية في أسرة اشتهرت بالعلم، والمكانة؛ **فجدُّه** أبو البركات مجد الدين عبد السلام بن عبد الله من العلماء الأعلام؛ إذ كان محدِّثاً فقيهاً أصوليّاً نحويّاً[٣].

قال عنه الذهبي[٤]: «كان إماماً كاملاً، معدوم النظير في زمانه، رأساً في الفقه وأصوله، بارعاً في الحديث ومعانيه، وله اليد الطولى في معرفة القراءات والتفسير»[٥].

= كان حافظاً بصيراً بعلل الحديث، وله فوق السبعين مؤلفاً من أهمها: الأحكام الكبرى، والإعلام في ذكر مشايخ الأئمة والأعلام، والعقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، والمحرر في أحاديث الأحكام. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٨/ ٢٥٤، و٤٢٢، و٤٦٦ - ٤٦٧، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٣٦ - ٤٣٩، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن العماد الحنبلي، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، ٦/ ١٤١.

(١) حَرَّان: بلدة في الجزيرة بين الشام والعراق، وهي مدينة قديمة بين الرها والرقة.
وإلى حرَّان ينسب ابن تيمية، فيقال: ابن تيمية الحراني. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢/ ٢٣٥، ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، ١/ ٣٨٩.

(٢) انظر: العقود الدرية ص٥.

(٣) انظر: ذيل طبقات الحنابلة ٤/ ٢٤٩.

(٤) هو: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الأصل، الدمشقي الذهبي، الإمام العلّامة المحدث، الناقد، مؤرخ الإسلام، صاحب التصانيف الكبيرة كتاريخ الإسلام، وميزان الاعتدال، وسير أعلام النبلاء، ولد سنة ٦٧٣هـ، وتوفي سنة ٧٤٨هـ. انظر: الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧٣م، ٣/ ٣١٥، وشذرات الذهب ص١٥٣.

(٥) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي، حقَّقه: د. بشار عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي عباس، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢/ ٦٥٤.

وقد ولد المجد سنة ٥٩٠هـ، وتوفي سنة ٦٥٢هـ[١].

وأما والده شهاب الدين عبد الحليم فقد ولد سنة ٦٢٧هـ، وتوفي سنة ٦٨٢هـ[٢].

كان إماماً في التفسير، مبرزاً في المذهب والخلاف، وأصول الدين، والنحو، واللغة، وله معرفة تامة بعلم الحساب والجبر والهندسة، وكان يعرف علوماً كثيرة، وكان حسن الأخلاق لطيفاً[٣].

أما والدة شيخ الإسلام ابن تيمية فهي ست النعم بنت عبد الرحمٰن بن علي بن عبدوس الحرانية، عمرت فوق السبعين، وتوفيت سنة ٧١٦هـ[٤].

هذا وإن لشيخ الإسلام ثلاثةً من الإخوة اشتهروا بالعلم والفضل، وهم:

١ ـ **أخوه لأمه، وهو بدر الدين** أبو القاسم محمد بن خالد الحراني، ولد سنة ٦٥٠هـ تقريباً، وتوفي سنة ٧١٧هـ، وكان عالماً فقيهاً إماماً، تولى التدريس عن أخيه تقي الدين[٥].

٢ ـ **شقيقه زين الدين** عبد الرحمٰن، ولد سنة ٦٦٣هـ، وتوفي سنة ٧٤٧هـ، كان زاهداً عابداً، كما كان تاجراً، وقد حَبَس نفسه مع أخيه تقي الدين في الإسكندرية ودمشق، ليخدمه[٦].

٣ ـ **شقيقه شرف الدين** عبد الله بن عبد الحليم، ولد سنة ٦٦٦هـ، وتوفي سنة ٧٢٧هـ، لما كان أخوه مسجوناً في القلعة، وكان عالماً متبحراً، وذهب مع أخيه إلى مصر، وناظر خصومه وحده؛ فانتصر عليهم[٧].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، خرَّج أحاديثه وأشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، ط٤، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٣/ ٢٩٢، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٦٥٤، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٩.

(٢) انظر: ذيل طبقات الحنابلة ٤/ ٢٤٩.

(٣) انظر: عيون التاريخ لابن شاكر الكتبي، تحقيق: فيصل السامر، ونبيلة عبد المنعم محمود، نشر وزارة الثقافة والإعلام العراقية، سلسلة كتب التراث، ١٩٨٤م، ٢٢/ ٣٣٩، وانظر: ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣١٠، وشذرات الذهب ٥/ ٣٧٦.

(٤) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٨/ ١٥٩.

(٥) انظر: ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٧٠، وشذرات الذهب ٦/ ٤٥.

(٦) انظر: البداية والنهاية ١٧/ ٤٨٠، و٤٨٣، و١٨/ ٥٦، و٦٧، و١٦٦، و١٩٣، و٢٩٦، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، ط٢، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م، دار المعارف العثمانية، الهند، ٢/ ٤٣٧، وشذرات الذهب ٦/ ١٥٢.

(٧) انظر: العقود الدرية ص٦.

وهكذا نشأ شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الجو العلمي الحافل بالمعارف، والتنوع، والشمول؛ فكان له أبلغ الأثر في تكوين شخصيته العلمية، مع ما وهبه الله من مواهبَ وألطافٍ جمَّة، وما كان عليه من النبوغ، وعلو الهمة، وتلقي العلم على يد الجِلَّة من علماء عصره[١].

○ خامساً: صفاته الخَلْقيَّة:

مما قيل في وصفه الخَلْقي: أنه كان رحمه الله أبيضَ اللون، أسودَ الرأس واللحية، قليلَ الشيب، شَعره إلى شحمة أذنيه، كأنَّ عينيه لسانان ناطقان، رَبْعَةً من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوريَّ الصوتِ، فصيحاً، سريعاً في القراءة، تعتريه حِدَّة يقهرها بحلمه[٢].

○ سادساً: نشأته الأولى:

نشأ ابن تيمية في كنف والده؛ فتلقَّى العلم عنه، وعن غيره من شيوخ عصره؛ بل لم يقتصر على التلقي عن المعاصرين له، وإنما اتجه إلى مؤلفات من سبقه من العلماء حفظاً، وفهماً، واطلاعاً.

وقد لوحظ عليه منذ الصغرِ النجابةُ، والألمعيةُ، والحافظةُ الواعيةُ، والذكاءُ المفرط.

كما لوحظ عليه ـ أيضاً ـ سرعة الإدراك، وقوة التأثير، وحضور البديهة، وقوة الحجة.

وقد كان منذ صغره ذا تألُّهٍ، وعفاف، وصيانة، ومحافظة على الوقت، وتنزهٍ عن السفاسف[٣].

قال ابن عبد الهادي متحدثاً عن شيوخ ابن تيمية، والكتب التي سمعها وقرأها والعلوم التي برع فيها في بداية طلبه، وعن فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته قال: «وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ.

وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرات، وسمع الكتب الستة الكبار، والأجزاء.

---

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١/١٣٦ ـ ١٣٨، ومقدمة كتاب النبوات لابن تيمية، تحقيق: د. عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، ٢/٤٩ ـ ٥١.

(٢) انظر: ذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٩٥.

(٣) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١/١٣٨.

ومن مسموعاته: معجم الطبراني الكبير، وعني بالحديث، وقرأ، ونسخ، وتعلم الخط، والحساب في المكتب، وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، وقرأ العربية على ابن عبد القوي، ثم فهمها، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه؛ حتى فهم في النحو، وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً، حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك.

هذا كله وهو ـ بَعْدُ ـ ابن بضع عشرة سنة؛ فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه»(١).

ثم ذكر ابن عبد الهادي قصة طريفة تدلّ على ما ذكره آنفاً؛ حيث قال: «واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق، وقال: سمعت في البلاد بصبي يقال له: أحمد بن تيمية، وأنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصداً لعلي أراه، فقال له خياط: هذه طريق كُتَّابه، وهو إلى الآن ما جاء؛ فاقعد عندنا الساعةَ يجيء يَعْبُر علينا ذاهباً إلى الكُتَّاب؛ فجلس الشيخ الحلبي قليلاً، فمر صبيان، فقال الخياط للحلبي: هذاك الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية»(٢).

إلى أن قال ابن عبد الهادي: «فناداه الشيخ(٣)، فجاء إليه، فتناول الشيخ اللوح، فنظر فيه، ثم قال: يا ولدي امسح هذا؛ حتى أملي عليك شيئاً تكتبه، ففعل، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثاً، وقال له: اقرأ هذا، فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه، ثم دفعه إليه، وقال: اسمعه علي، فقرأه عليه عرضاً كأحسن ما أنت سامع، فقال له يا ولدي: امسح هذا، ففعل فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال: اقرأ هذا، فنظر فيه كما فعل أول مرة، فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا الصبي؛ ليكونن له شأن عظيم؛ فإن هذا لم يُرَ مثلُه، أو كما قال»(٤).

فهذه نبذة عن نشأته، وبداية حياته.



---

(١) انظر: العقود الدرية ص٦.
(٢) المرجع السابق ص٦ ـ ٧.
(٣) يعني: أن الشيخ الحلبي نادى ابن تيمية.
(٤) العقود الدرية ص٧.

المطلب الثاني

علمه

مرّت الإشارة فيما مضى إلى ما كان عليه ابن تيمية من العلم إبان نشأته؛ حيث كان مثار الإعجاب، والإبهار لكل من رآه، أو سمع به.

ولم يزل يترقى في العلم حتى بلغ مكانةً لا يكاد ينالها أحد من معاصريه، أو من جاء بعده؛ حيث برع في شتى فنون العلم، وأصبح محط الأنظار لعلماء عصره، ومن جاء بعده.

قال الذهبي متحدثاً عن غزارة علمه: «قرأ القرآن، والفقه، وناظر، واستدلَّ وهو دون البلوغ، وبرع في العلم والتفسير، وأفتى، ودَرَّس وله نحو العشرين سنة، وصنف التصانيف، وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه، وله من المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان»[١].

إلى أن قال: «ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر، وفسَّر كتاب الله ـ تعالى ـ مدة سنتين من صدره أيام الجمع، وكان يتوقد ذكاءاً، وسماعاته من الحديث كثيرة، وشيوخه أكثر من مائتي شيخ»[٢].

ثم تكلم على تفننه، وتنوع معارفه؛ فقال: «ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى، وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يلحق فيه.

وأما نقله للفقه، ومذاهب الصحابة والتابعين فضلاً عن المذاهب الأربعة ـ فليس له فيه نظير.

وأما معرفته بالملل، والنحل، والأصول، والكلام ـ فلا أعلم له فيه نظيراً.

ويدري جملة صالحة من اللغة، وعربيته قوية جدّاً، ومعرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب»[٣].

---

(١) العقود الدرية ص٢١، وانظر: ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٨٩ ـ ٣٩١.

(٢) العقود الدرية ص٢١.

(٣) المرجع السابق ص٢٢، وانظر: الأعلام العلية ص٢٣ ـ ٢٤.

وقال: «كان آية في الذكاء، وسرعة الإدراك، رأساً في معرفة الكتاب والسُّنَّة والاختلاف، بحراً في النقليات، هو في زمانه فريد عصره، علماً وزهداً، وشجاعة وسخاءً، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وكثرةَ تصانيفَ.

وقرأ وحصل وبرع في الحديث، والفقه، وتأهل للتدريس، والفتوى وهو ابن سبع عشرة سنة، وتقدم في علم التفسير، والأصول، وجميع علوم الإسلام: أصولها، وفروعها، ودقها، وجلها سوى علم القراءات»[١].

إلى أن قال متحدثاً عن تفرده، وإمامته في شتى العلوم: «فإن ذكر التفسير فهو حامل لوائه، وإن عد الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق، وإن حضر الحفاظ نطق وخرسوا، وسرد وأبلسوا، واستغنى وأفلسوا، وإن سمي المتكلمون فهو فردهم، وإليه مرجعهم، وإن لاح ابن سينا يقدم الفلاسفة فلَّسهم وتَيَّسهم، وهتك أستارهم، وكشف عوارهم»[٢].

إلى أن قال: «وله يد طولى في معرفة العربية، والصرف، واللغة، وهو أعظم من أن يصفه كلمي، أو ينبه على شأوه قلمي؛ فإن سيرته، وعلومه، ومعارفه، ومحنه، وتنقلاته تحتمل أن ترصع في مجلدتين.

وهو بشر من البشر له ذنوب؛ فالله ـ تعالى ـ يغفر له، ويسكنه أعلى جنته؛ فإنه كان رباني الأمة، وفريد الزمان، وحامل لواء الشريعة، وصاحب معضلات المسلمين، وكان رأساً في العلم يُبَالَغ في إطراء قيامه في الحق والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مبالغة ما رأيتها ولا شاهدتها من أحد، ولا لحظتها من فقيه»[٣].

ثم تكلم على من تقدمه في علوم الحديث، وإمامته في التفسير[٤].

وقال الحافظ البزار[٥] رحمه الله عن علم ابن تيمية، مستهلاً حديثه عنه ببيان براعته في علوم القرآن: «أما غزارة علومه فمنها ذكر معرفته بعلوم القرآن المجيد، واستنباطه

(١) العقود الدرية ص٢٢.
(٢) المرجع السابق ص٢٢.
(٣) المرجع السابق ص٢٢ ـ ٢٣.
(٤) انظر: المرجع السابق ص٢٣.
(٥) هو: الفقيه المحدث سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى الخليل البغدادي الأزجي الحنبلي البزار، ولد في بغداد سنة ٦٨٨هـ تقريباً، عُني بالقرآن الكريم، كما عني بالفقه، وقرأ على كثير من علماء عصره، واتصل بشيخ الإسلام ابن تيمية، فرعاه أعظم رعاية، فقرأ عليه البزار بعض مؤلفاته، ولازمه؛ فأثر فيه شيخ الإسلام أعظم تأثير، وقد توفي البزار عام ٧٤٩هـ. انظر: ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥، وشذرات الذهب ٦/ ١٦٣.

لدقائقه، ونقله لأقوال العلماء في تفسيره، واستشهاده بدلائله، وما أودعه الله ـ تعالى ـ فيه من عجائبه، وفنون حكمه، وغرائب نوادره، وباهر فصاحته، وظاهر ملاحته؛ فإنه فيه الغايةَ التي يُنتهى إليها، والنهاية التي يُعَوّل عليها.

ولقد كان إذا قُرِىء في مجلسه آيات من القرآن يشرع في تفسيرها، فينقضي المجلس بجملته، والدرس برُمَّتِه، وهو في تفسير بعض آية منها»[1].

وقال البزار واصفاً مقدار وقت مجلسه للدرس: «وكان مجلسه مُقَدَّراً بقدر ربع النهار، يفعل ذلك بديهة من غير أن يكون له قارئ معين يقرأ له شيئاً معيناً يبيِّته؛ ليستعد لتفسيره.

بل كان كل من حضر يقرأ ما تيسر له، ويأخذ هو في القول على تفسيره.

وكان غالباً لا يقطع إلا ويفهم السامعون أنه لولا مضي الزمن المعتاد لأورد أشياء أخر في معنى ما هو فيه من التفسير، لكن يقطع نظراً في مصالح الحاضرين.

ولقد أملى في تفسير ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص]، مجلداً كبيراً، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] نحو خمس وثلاثين كراساً»[2].

ثم بيَّن البزار رَحِمَهُ اللهُ علو كعب ابن تيمية في السُّنَّة، والآثار، فقال: «وأما معرفته، وبصره بسُنَّة رسول الله ﷺ وأقواله، وأفعاله، وقضاياه، ووقائعه، وغزواته، ومعرفته بصحيح المنقول عنه وسقيمه، وبقية المنقول عن الصحابة رضي الله عنهم في أقوالهم، وأفعالهم، وفتاويهم، وأحوالهم، وأحوال مجاهداتهم في دين الله، وما خصوا به من بين الأمة ـ فإنه كان رضي الله عنه من أضبط الناس لذلك، وأعرفهم فيه، وأسرعهم استحضاراً لما يريده منه؛ فإنه قلَّ أن ذكر حديثاً في مصنف أو فتوى، أو استشهد به، أو استدلَّ به إلا وعزاه في أي دواوين الإسلام هو، ومن أي قسم من الصحيح، أو الحسن، أو غيرهما، وذكر اسم راويه من الصحابة.

وقلَّ أن يسأل عن أثر إلا وبيَّن في الحال حاله، وحال أمره، وذاكره»[3].

وقال ـ أيضاً ـ مؤكداً ما سبق، وموضحاً دقة نقله وأمانته العلمية: «ومن أعجب الأشياء في ذلك أنه في محنته الأولى بمصر لمّا أخذ وسجن، وحيل بينه وبين كتبه صنف عِدَّةَ كتبٍ صغاراً وكباراً، وذكر فيها ما احتاج إلى ذكره من الأحاديث والآثار، وأقوال العلماء، وأسماء المحدثين، والمؤلفين، ومؤلفاتهم، وعزا كل شيء من ذلك

---

(١) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للبزار ص٢٢.

(٢) المرجع السابق ص٢٣. (٣) المرجع السابق ص٢٣ ـ ٢٤.

إلى ناقليه وقائليه بأسمائهم، وذكر أسماء الكتب التي ذكر فيها، وأي موضع هو منها كل ذلك بديهة من حفظه؛ لأنه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطالعه.

ونُقِّبت، واختُبرت، واعتبرت فلم يوجد فيها ـ بحمد الله ـ خلل ولا تغيير»[(١)].

وقال ابن عبد الهادي متحدثاً عن تفننه في شتى العلوم: «قال العلامة كمال الدين ابن الزملكاني[(٢)]: كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك»[(٣)].

إلى أن يقول مبيِّناً براعته في المناظرة، وقوة الحجة، وحسن التأليف: «ولا يُعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم سواء أكان من علوم الشرع، أم غيرها إلا فاق فيه أهله، والمنسوبين إليه، وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب، والتقسيم والتبيين»[(٤)].

ثم يضرب أمثلة على ذلك، فيقول: «ووقعت مسألة فرعية في قسمة جرى فيها اختلاف بين المفتين في العصر، فكتب فيها مجلدة كبيرة.

وكذلك وقعت مسألة في حدٍّ من الحدود، فكتب فيها مجلدة كبيرة.

ولم يخرج في كل واحدة عن المسألة، ولا طوَّل بتخليط الكلام، والدخول في شيء والخروج من شيء، وأتى في كل واحدة بما لم يكن يجري في الأوهام، والخواطر، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها»[(٥)].

وقال الأستاذ محمد كرد علي[(٦)] مبيِّناً تفرد ابن تيمية، ومعرفته بسائر المذاهب،

---

(١) الأعلام العلية ص٢٤.

(٢) هو: كمال الدين محمد بن علي بن عبد الواحد بن الزملكاني، شيخ الشافعية في زمانه في الشام، ٦٦٦هـ ـ ٧٢٧م.
قال عنه ابن كثير: «وبرع، وحصَّل، وساد أقرانه من أهل مذهبه، وحاز قصب السبق عليهم بذهنه الوقَّاد في تحصيل العلم الذي أبهره ومنعه من الرقاد، وعبادتُه التي هي أشهى من كل شيء معتاد، وخطه الذي هو أنضر من أزاهير الوهاد».
وذكر عنه توليه عدداً من الأعمال، وقيامه بالتدريس، والتأليف. انظر: البداية والنهاية ١٨/ ٢٨٦ ـ ٢٨٨، والدرر الكامنة ٤/ ١٩٢، وطبقات الشافعية للسبكي ٩/ ١٩٠.

(٣) العقود الدرية ص٩.

(٤) المرجع السابق ص٩.

(٥) المرجع السابق ص١٠.

(٦) هو: الأستاذ العلَّامة محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي، المولود سنة ١٢٩٣هـ، والمتوفى سنة ١٣٧٢هـ، ومؤسس ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، وصاحب مجلة =

ومدى مخالفتها للشريعة: «ولو ادعينا أنه لم يأت عالم[١] يعرف ما طرأ على الدين، ومذاهب أهله فيه ساعة ساعة، ويوماً يوماً ما قدر أحد على ردِّ دعوانا.

ردَّ على المعتزلة، وعلى الجهمية، وعلى الشيعة، وعلى الفلاسفة، وعلى غيرهم، فجاء بالعجيب من الآراء التي استخرجها من روح الشريعة، واستنبطها ببعد نظره، وشدة بحثه، فما كتب لإمام من الأئمة في عصره، وبعد عصره أن يناقضه، ويرد أقواله»[٢].

والحقيقة أن الكلام في تفننه، وتفرده في سائر العلوم يطول، والمقام لا يتسع للتفصيل.



= المقتبس، ومؤلف: خطط الشام، وأمراء البيان، وكنوز الأجداد، وغيرها. انظر: الأعلام للزركلي ٦/٢٠٢ ـ ٢٠٣، ومحمد كرد علي مؤسس المجمع العلمي العربي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة الحجاز، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

(١) كأن في الكلام سقطاً وربما كان: لم يأت عالم مثله، أو بعده...

(٢) كنوز الأجداد لمحمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، مطبعة الترقي بدمشق، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م، ص٣٦٥.

المطلب الثالث

آثـــاره

لقد فُتح على ابن تيمية في باب التأليف فتحاً عظيماً؛ حيث وهبه الله بركة في الوقت، وقدرة فائقة على التأليف، والكتابة، برغم ما كان فيه من الجهاد، والأسفار، وفترات السجن، ونحو ذلك من القواطع التي تأكل الأعمار أكلاً، ولا تدع مجالاً للتأليف الذي يحتاج إلى استقرار، وصفاء ذهن، ووفرة كتب.

ومع ذلك كله فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ آية في التأليف، والتحرير، وتنوع المادة العلمية، وكثرتها؛ بحيث يتعذر على باحث أن يحيط بها جميعاً.

وتلك ميزة يعز نظيرها؛ إذ يغلب على من يكثر التأليف أن تكون تآليفه أو بعضُها متخاذلة، متفاوتة.

أما ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فكانت تآليفه غايةً في الجودة مع كثرتها، وتنوع مادتها؛ حيث اتسمت بسمات كثيرة تدلّ على طول باعه، ورسوخ قدمه، وامتلاكه ناصيةَ التأليف، واستكماله أدواتِه؛ فلا غرو أن جاءت مؤلفاته على هذا الطراز المتميز، وعلى نحو السهل الممتنع[1]، وإن كان أسلوبه يختلف أحياناً من ناحية القوة، وصعوبة الفهم.

ومَرَدُّ ذلك إلى اختلاف الموضوعات التي يتناولها؛ خصوصاً ما كان منها في باب الرد والنقض؛ إذ إن ذلك يفرض عليه التنزل مع الخصوم، ومخاطبتهم باصطلاحاتهم، ومنازلتهم على وَفْق ما تقتضيه مناهجهم، وطرائق بحثهم.

بل لا يُبالَغ إذا قيل: إنه جدَّدَ في عالم التأليف، وأضاف إليه ثروة ضخمة، ومناهج علمية مبتكرة؛ تتسم بالقوة، والجدة؛ فجاءت على نحو أشبه ما يكون بخرق

---

(١) المقصود بالسهل الممتنع: **السهل**: الذي يفهمه من قرأه وسمعه، **والممتنع**: المتعذر على من رام أن يكتب أو يقول مثله. انظر: كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تصنيف: أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ، ص٦١.

العادة[١].

يقول الدكتور محمد رشاد سالم ـ وهو من خَبَرَ مؤلفات ابن تيمية، وقضى معظم عمره العلمي والأكاديمي في خدمتها[٢] ـ يقول رَحِمَهُ اللَّهُ مبيِّناً أهمية مؤلفات ابن تيمية: «ولا تقتصر أهمية مؤلفات ابن تيمية على ما بها من علم غزير، وآراء ناضجة، ونظرات صائبة.

ولكنها تُعَدُّ ـ فوق ذلك كلِّه ـ سِجِلاً حافلاً يضم معلومات شتى لها أعظم القيمة»[٣].

إلى أن يقول مبيِّناً أهمية تلك المؤلفات وقيمتها العلمية: «وابن تيمية ـ كما نعلم ـ من رجال القرن الثامن الهجري، ويمكنني القول بأنه قد استوعب أهم ما أُلف، وكُتب قبل عصره من العلوم المختلفة، ثم نَقَل إلينا خلاصةَ ما علمه ضمن مؤلفاته»[٤].

إلى أن قال موضحاً كيفية هذا النقل: «وكان هذا النقل عن طريق الإشارة إلى الآراء المختلفة، والتعليق عليها أحياناً، وعن طريق ذكر نصوص كاملة من أقوال من سبقه من العلماء أحياناً.

ولذلك؛ فكثيراً ما نجد ضمن مؤلفاتِه صفحاتٍ كاملةً منقولةً من كتب أخرى قد تكون مفقودةً، أو ما زالت مخطوطةً في كثير من الأحيان»[٥].

ولقد كُتب لتلك المؤلفات القبول، فطارت شهرتها في وقته؛ فكانت كما يقول تلميذه الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «أشهر من أن تذكر، وأعرف من أن تنكر، وسارت مسير الشمس في الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار، وقد جاوزت حد الكثرة؛ فلا يمكن لأحدٍ حصرها، ولا يسع هذا المكان لعدِّ المعروف منها ولا ذكرها»[٦].

قال ابن عبد الهادي في معرض الكلام على تأليفه نقلاً عن الذهبي: «ويكتب في

---

(١) انظر: مقدمة ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً، والمعجزات والكرامات لابن تيمية، تحقيق: د. محمد يسري سلامة، دار ابن الجوزي، القاهرة ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م، ص٤١ ـ ٤٣.

(٢) وهو الذي اعتنى بإخراج مؤلفاته مثل: درء تعارض العقل والنقل، ومنهاج السُّنَّة النبوية، والصفدية، والاستقامة، وجامع الرسائل.

(٣) مقدمة منهاج السُّنَّة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار الكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٩٦م، ١/ ٨٠.

(٤) مقدمة منهاج السُّنَّة النبوية ١/ ٨٠.

(٥) المرجع السابق ١/ ٨٠.

(٦) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٠٣.

اليوم والليلة من التفسير، أو من الفقه، أو من الأصولين، أو من الرد على الفلاسفة والأوائل ـ نحواً من أربعة كراريس، أو أزيد، وما أُبْعِدُ أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلدة، وله في غير المسألة مصنف مفرد في مجلد.

ثم ذكر بعض تصانيفه، وقال: ومنها كتاب في الموافقة بين المعقول والمنقول في مجلدين»[١].

إلى أن قال: «قال الشيخ أبو عبد الله[٢]: لو أراد الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ اللهُ أو غيره حصرها ـ يعني: مؤلفات الشيخ ـ لما قدروا؛ لأنه ما زال يكتب، وقد مَنَّ الله عليه بسرعة الكتابة، ويكتب من حفظه من غير نقل.

وأخبرني غير واحد أنه كتب مجلداً لطيفاً في يوم، وكتب غير مرة أربعين ورقة في جلسة وأكثر، وأحصيت ما كتبه وبيَّضه في يوم، فكان ثمانَ كراريسَ في مسألة مِنْ أشكل المسائل، وكان يكتب على السؤال الواحد مجلداً»[٣].

ويضيف ابن عبد الهادي قائلاً: «وأما جوابٌ يكتب فيه خمسين ورقة وستين وأربعين وعشرين ـ فكثير.

وكان يكتب الجواب؛ فإن حضر من يُبَيِّضه وإلا أخذ السائل خطه وذهب.

ويكتب قواعد كثيرة في فنون من العلم في الأصول، والفروع، والتفسير، وغير ذلك، فإن وُجِد مَنْ نَقَلَه مِنْ خطه، وإلا لم يشتهر، ولم يُعرف، وربما أخذه بعض أصحابه، فلا يقدر على نقله، ولا يرده إليه؛ فيذهب.

وكان كثيراً ما يقول: قد كتبت في كذا وفي كذا»[٤].

ثم يتطرق ابن عبد الهادي لشيء من أسباب ضياع شيء من علمه، فيقول: «ويُسأل عن الشيء فيقول: قد كتبت في هذا، فلا يدري أين هو، فيلتفت إلى أصحابه، ويقول: ردوا خطي، وأظهروه؛ لِيُنْقَلَ؛ فمن حرصهم عليه لا يردونه، ومن عجزهم لا ينقلونه؛ فيذهب، ولا يعرف اسمه.

فلهذه الأسباب وغيرها تَعَذَّرَ إحصاء ما كتبه وما صنفه»[٥].

---

(١) العقود الدرية ص٢٤.

(٢) يعني به: ابن رشَيِّق وهو من أخص أصحاب ابن تيمية، وأبصرهم بخطِّه، وأكثرهم كتابةً لكلامه، وحرصاً على جمعه. انظر: العقود الدرية ص٢٥.

(٣) العقود الدرية ص٧٢.

(٤) المرجع السابق ص٧٢.

(٥) المرجع السابق ص٧٢.

ثم يضيف أسباباً أخرى لذلك، فيقول: «وما كفى هذا إلا أنه لما حبس، وتفرق أتباعه، وتفرقت كتبه، وخوَّفوا أصحابه من أن يُظهروا كتبه ـ ذهب كل أحد بما عنده، وأخفاه، ولم يظهروا كتبه؛ فبقي هذا يهرب بما عنده، وهذا يبيعه أو يهبه، وهذا يخفيه ويودعه، حتى إن منهم من تسرق كتبه، أو تجحد؛ فلا يستطيع أن يطلبها، ولا يقدر على تخليصها، فبدون هذا تتمزق الكتب، والتصانيف»[١].

ثم يُلْمِحُ ابن عبد الهادي إلى إشارة لطيفة لسبب حفظ آثاره، فيقول: «ولولا أن الله ـ تعالى ـ لطف، وأعان، ومَنَّ، وأنعم، وجرت العادة في حفظ أعيان كتبه، وتصانيفه ـ لما أمكن لأحد أن يجمعها.

ولقد رأيت من خرق العادة في حفظ كتبه، وجمعها، وإصلاح ما فسد منها، وردِّ ما ذهب منها ـ ما لو ذكرته لكان عجباً يعلم به كل منصف أن لله عنايةً به وبكلامه؛ لأنه يذب عن سُنَّة نبيِّه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[٢].

هذا، وقد أُفْرِدَ جزءٌ لطيفٌ في (أسماء ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية)، منسوباً إلى ابن القيم، وذكر فيه ما رآه منها في التفسير، والأصول، والقواعد، والفتاوى، فذكر ثلاثمائة وخمسة وأربعين اسماً منها[٣].

وقال الدكتور محمد رشاد سالم رَحِمَهُ اللَّهُ مؤكداً على أهمية العناية بآثار ابن تيمية: «وقد كنت أعتقد ـ وما زلت ـ أن ابن تيمية هو من أجدر علماء المسلمين بالعناية والاهتمام، وأن مؤلفاته يجب أن تكون ضمن أول ما يجب المبادرة بنشره، ودراسته من كنوز سلفنا الصالح»[٤].

إلى أن قال: «وما أدعي أن ابن تيمية يفوق في الفضل والعلم أئمة السلف، وأهل السُّنَّة.

ولكنني أقول: إنه قد أتيحت له فرصة لم تُتَحْ لأكثر من كان قبله من أجِلَّة

---

(١) العقود الدرية ص٧٢. (٢) المرجع السابق ص٧٣.

(٣) انظر: أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
هذا وقد نُسب هذا الكتاب لابن رُشيِّق كاتب ابن تيمية.
وهذا ما رجحه صاحبا كتاب: «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» لاعتبارات عدة. انظر: الجامع ص٨ ـ ١٣.

(٤) مقدمة منهاج السُّنَّة النبوية ١/ ٨٠.

العلماء؛ فقد استنار عقله، وقلبه بعلوم الكتاب والسُّنَّة، ثم سلط هذا النور على ما ذاع ونشر في زمانه من الأفكار المنحرفة، والآرء الزائغة؛ فكشف عن عوارها، وأبان عن مواضع خطلها، وفسادها»[١].

إلى أن قال: «واستقى ذلك من المنبعين الطاهرين الصافيين ما يقابل كل فكرة ضالة من الأفكار الصحيحة التي توافق كتاب الله، وسُنَّة رسوله؛ فوجدنا في تصانيفه بياناً لهدى الإسلام في كل مشكلة فلسفية أو كلامية، أو غيرهما من المشكلات الخلافية، أو محاولة مخلصة ـ على أقل تقدير ـ لمعرفة هذا الهدى، واستنباطه، ولبيان مدى موافقة كل رأي ذائع، أو مخالفته للكتاب والسُّنَّة»[٢].

ثم أوضح أن ذلك كان باعثه ليكون موضوع دراسته العلمية الأكاديمية، فقال: «ولهذا كله اخترت مذهب ابن تيمية ليكون موضوع الرسالة التي وفقني الله ـ تعالى ـ للحصول على الدكتوراه بها من جامعة كمبرج بإنجلترا، والتي كان عنوانها: (موافقة العقل للنقل عند ابن تيمية)»[٣].

وبالجملة؛ فقد امتازت مؤلفات ابن تيمية عموماً، وطريقته فيها بميزات عظيمة تستحق أن تفرد بالدراسة، والتحليل؛ لتتجلى من خلالها معالمُ العبقرية فيها.

وفيما يلي إجمال لبعض ما امتازت به مؤلفاته، وطريقته فيها:

١ ـ الاستدلال بالكتاب، والسُّنَّة، وأقوال الصحابة، والتابعين، وأئمة السلف.

٢ ـ إيراده لأقوال الفقهاء، والمفسرين، والنحويين، واللغويين، ومناقشة تلك الأقوال، وترجيح ما يراه، وبيانه السببَ لذلك.

٣ ـ إيراده لما جاء في كتب أهل الكتاب، ومقارنته بما في القرآن والسُّنَّة، وجعل ما وافقه القرآنُ، والسُّنَّة حجةً على أهل الكتاب.

٤ ـ اعتزازه بالسلف الصالح، وتعظيمه لأئمة الإسلام.

٥ ـ اعتداده بتاريخ الأمة المجيد، وذبُّه عما ألصق به من تهم، وأباطيل.

٦ ـ عنايته بشأن العقيدة، والرد على المخالفين في شأنها.

٧ ـ إيراده شُبَهَ الخصوم بنصها، أو فحواها دون إخلال، أو تزيُّد، أو ظلم؛ إذ كان مضرب المثل في العدل، والأمانة العلمية.

٨ ـ مقارنة كلام المخالفين ببعض، والإفادة من ردود بعضهم على بعض.

---

(١) مقدمة منهاج السُّنَّة النبوية ١/ ٨٠ ـ ٨١. (٢) المرجع السابق ١/ ٨١.

(٣) المرجع السابق ١/ ٨١.

٩ ـ إيضاحه لمدى بعد المخالفين من الإسلام، أو السُّنَّة، أو قربهم منهما.

١٠ ـ الإيجاز في بعض الأحيان؛ إذ يكتفي بالإشارة إلى موضع آخر بسط فيه الكلام، أو يكتفي بإيراد القول، ويشير إلى أن تصوره كافٍ في رده، وأن فساده يغني عن إفساده.

١١ ـ الاستطراد، وهو سمة بارزة في مؤلفاته.

ولا يعني ذلك أن في استطراداته حشواً لا داعي له؛ بل إن الباحث في آثاره ليجدُ في تلك الاستطرادات فوائد يعزُّ وجودها في غير تلك المواطن.

ولو فهرست كتبه فهرسة دقيقة لوجد فيها العجب العجاب.

١٢ ـ سرعة النفاذ من موضوع إلى موضوع، والانتقال من مسألة إلى أخرى، ومن الرد على طائفة ثم الانتقال إلى طائفة أخرى، دون تأثير على المسألة الأصل.

١٣ ـ إشرابه الردودَ معانيَ العزة، والكرامة، والثقة بالدين.

١٤ ـ خلط الردودِ، ومناقشةِ المسائل بالوعظ، وما يرقق القلوب، ويزيد الإيمان.

١٥ ـ عنايته بروح الشريعة، ومقاصدها العليا، وإبرازه ما فيها من اليسر، والسماحة، ورفع الحرج.

١٦ ـ إعلاؤه من شأن مكارم الأخلاق، ومقومات المروءة من نحو الكرم، والسماحة، والشجاعة، وما جرى مجراها.

١٧ ـ عنايته بأعمال القلوب، وتصحيح ما وقع فيه أرباب السلوك من الخطأ في هذا الباب.

١٨ ـ مراعاة مقتضى الحال في التأليف؛ فتارة تراه يرتفع في أسلوبه؛ فلا يكاد يفهمه إلا خاصة المتخصصين، وذلك عندما ينازل الفلاسفة، أو المتكلمين، ونحوهم، كما في كتابه «درء تعارض العقل والنقل».

وتارة تراه يكتب بأسلوب سهل يكاد يفهمه كل من قرأه، كما في الواسطية، والوصية الصغرى.

١٩ ـ التماس العذرِ للمخالف، وفتح باب الرجوع له.

٢٠ ـ طول النفس، ومحاصرة المسألة المتنازع عليها من جميع الجوانب.

٢١ ـ الأخذ بالشدة، والنقد اللاذع في بعض الأحيان.

٢٢ ـ مطالبته الخصم بصحبة الدليل، وصدق الدعوى.

٢٣ ـ قوة الملاحظة، وقراءة ما بين السطور.

٢٤ ـ اطراد المنهج؛ فكلامه متشابه ـ في الأغلب ـ يفسر بعضه بعضاً؛ فلا ترى في أوائل تآليفه ما يناقض آخرها مناقضة تامة.

٢٥ ـ شمولية الثقافة، وحسن التوظيف للمعارف، واستجماع ذلك لخدمة الموضوع، أو الغرض الذي يرمي إليه.

٢٦ ـ افتراع المعاني اللطيفة، والأساليب البارعة التي يكاد أكثرها يكون من مبتكراته.

٢٧ ـ حرصه على بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، ودرء ما يتوهم ما بينهما من التعارض.

٢٨ ـ عرضه للكثير من الكتب، والمصنفات، وبيانه لمناهج أصحابها، وذكره ما فيها من الميزات، وما عليها من المآخذ، وذلك في شتى الفنون.

٢٩ ـ عنايتُهُ بالمواضع، والمسالك، والممالك، وبحثه في أسرار الاجتماع وطبائع الشعوب.

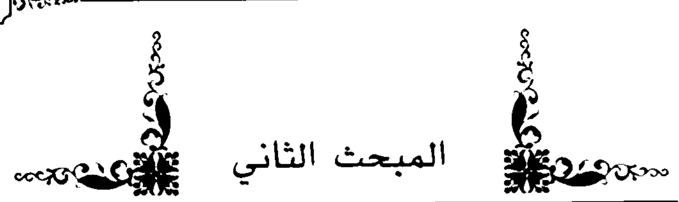
فهذه أبرز المعالم التي امتازت بها مؤلفات ابن تيمية، وطريقته فيها، والمقام ليس مقام بيان وتفصيل لذلك.

وسيأتي في غضون هذا البحث نماذج من ذلك تؤكد أكثر ما ذكر(١).

فهذه لُمَعٌ في بيان تآليفه، وتنوعها، وعِظَمِ منزلتها، وطريقته فيها.



(١) ولقد يَسَّر الله لي أن أَفْرَدْتُ كتاباً متوسط الحجم يتناول سمات مؤلفاته، وميزاتها، ونحو ذلك، سميته «شيخ الإسلام ابن تيمية: أضواء على سيرته ومنهجه».



المبحث الثاني

أحواله، وأخلاقه، ووفاته

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: أحواله.

المطلب الثاني: أخلاقه.

المطلب الثالث: وفاته.



المطلب الأول

أحـــواله

لقد كانت أحوال ابن تيمية ـ وخصوصاً الإيمانية منها ـ مُذَكِّرة بأحوال أكابر سلف الأمة؛ من حبٍّ لله، وخوفٍ منه، ورجاءٍ له، وتوكل عليه، وقوة إقبال على عبادته، والتقرب إليه؛ حتى صارت تلك الأحوال مضرب المثل في ذلك.

قال تلميذه ابن القيم[1] رحمه الله **مُبيْناً عن شيء من عبادته:** «وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله ـ تعالى ـ إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغدَّ سقطت قوتي، أو كلاماً قريباً من هذا.

وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها؛ لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر، أو كلاماً هذا معناه»[2].

وقال البزار رحمه الله **متحدثاً عن عبادته، وأحواله فيها:** «أما عن تعبُّده رضي الله عنه فإنه قلَّ أن سُمعَ بمثله؛ لأنه قد قطع جُلَّ وقته وزمانه فيه، حتى إنه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله ـ تعالى ـ ما يراد له لا من أهل، ولا من مال.

وكان في ليله متفرداً عن الناس كلهم، خالياً بربه عز وجل ضارعاً، مواظباً على

---

(١) هو: الإمام الفقيه الأصولي المفسر النحوي الحافظ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين المعروف بابن القيم، أو ابن قيم الجوزية.
ولد في دمشق سنة ٦٩١هـ، وتوفي فيها سنة ٧٥١هـ، سمع عن جماعة من العلماء، وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية، فكان أبرز تلاميذه، وكان حسن الخلق، محبوباً للناس، ذا عبادة وورع، ونهم بالعلم، وله مؤلفات كثيرة منها: إغاثة اللهفان، ومدارج السالكين، وبدائع الفوائد، وأقسام القرآن، والفوائد، وغيرها. انظر: ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٤٧ ـ ٤٥٢، والأعلام لخير الدين الزركلي، ط٢، بدون تاريخ، ط٤، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م، ٦/ ٢٨٠، وجهود الإمام ابن القيم الجوزية في تقرير توحيد الأسماء والصفات، د. وليد العلي، دار البشائر الإسلامية، لبنان، ط٢، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب للإمام ابن قيم الجوزية، دراسة وتحقيق: محمد عبد الرحمٰن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ص٦٣.

تلاوة القرآن العظيم، مكرراً لأنواع التعبدات الليلية والنهارية»[١].

وقال: «وكان إذا ذهب الليل، وحضر مع الناس بدأ بصلاة الفجر يأتي بسُنَّتها قبل إتيانه إليهم.

وكان إذا أحرم بالصلاة تكاد تنخلع القلوب؛ لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام.

فإذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه، حتى يميله يمنة ويسرة»[٢].

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ **في معرض كلامه عن ابن تيمية متحدثاً عن عبادته، وأحواله الإيمانية:** «... مع ما اشتهر عنه من الورع، وكمال الفكرة، وسرعة الإدراك، والخوف من الله، والتعظيم لحرمات الله»[٣].

إلى أن قال: «فإنه دائم الابتهال، كثير الاستغاثة، قوي التوكل، ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجمعية»[٤].

أما عن خشوعه، ومسكنته، وتذلله، وافتقاره إلى الله ﷻ فكان يُقضى منه العجب، وقد تقدم شيء من ذلك.

يقول تلميذه ابن القيم في معرض حديث له في منزلة الخشوع في كتابه «مدارج السالكين»: «فلا شيء أنفع للصادق من التحقق بالمسكنة، والفاقة والذل، وأنه لا شيء، وأنه ممن لم يَصِحَّ له بعدُ الإسلام حتى يدَّعي الشرف فيه»[٥].

ثم ضرب لذلك مثلاً بابن تيمية؛ فقال: «ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ من ذلك أمراً لم أشاهده من غيره، وكان يقول كثيراً: ما لي شيء، ولا مني شيء، ولا فيَّ شيء، وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

أنا المكدِّي وابن المكدي ... وهكذا كان أبي وجدي

وكان إذا أُثني عليه في وجهه يقول: والله إني إلى الآن أجدِّد إسلامي كل وقت، وما أسلمت بعد إسلاماً جيداً»[٦].

إلى أن قال ابن القيم: «وبعث إليَّ في آخر عمره قاعدة في التفسير بخطه، وعلى ظهرها أبيات بخطه من نظمه:

---

(١) الأعلام العلية ص٣٨.
(٢) المرجع السابق ص٣٨.
(٣) العقود الدرية ص١٠٩.
(٤) المرجع السابق ص١٠٩.
(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق وتعليق: المعتصم بالله البغدادي، توزيع دار النفائس، الرياض ط١، ١٤١٠هـ، ١/ ٥٢٠.
(٦) المرجع السابق ١/ ٥٣٠.

أنا الفقير إلى رب البريات ... أنا المسكين في مجموع حالاتي
أنا الظلومُ لنفسي وهي ظالمتي ... والخيرُ إن يأتِنا من عنده ياتي
لا أستطيع لنفسي جَلب منفعةٍ ... ولا عن النفس لي دفع المضراتِ
وليس لي دونه ربٌّ يدبرني ... ولا شفيعٌ إذا حاطت خطيئاتي
إلا بإذن من الرحمن خالقِنا ... إلى الشفيع كما قد جا في الآياتِ
ولست أملك شيئاً دونه أبداً ... ولا شريكٌ أنا في بعض ذراتِ
ولا ظهير له كي يستعين به ... كما يكون لأرباب الولاياتِ
والفقر لي وصفُ ذاتٍ لازمٌ أبداً ... كما الغنى أبداً وصفٌ له ذاتي
وهذه الحالُ حال الخلقِ أجمعهم ... وكلُّهم عنده عبد له آتي
فمن بغى مطلباً من غير خالقه ... فهو الجهول الظلوم المشرك العاني
والحمد للّه ملءُ الكون أجمعه ... ما كان منه وما مِنْ بَعْدُ قد ياتي[(١)]

ومن أحواله التي كان يتصف بها: الفراسة[(٢)] الصادقة، فلقد كان له قِدْحٌ مُعَلَّى، ونصيب أوفى من الفراسة، وله أخبار في ذلك يطول ذكرها.

يقول تلميذه ابن القيم متحدثاً عن فراسة ابن تيمية: «ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أموراً عجيبة، وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم، ووقائع فراسته تستدعي سفراً ضخماً»[(٣)].

ثم يضرب لذلك أمثلة، فيقول: «أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة، وأن جيوش المسلمين تُكْسَر، وأن دمشق لا يكون بها قَتْلٌ عامّ ولا سَبْي عام، وأن كَلَب الجيش، وحِدَّته في الأموال، وهذا قبل أن يَهِمَّ التتار بالحركة.

ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام:

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٥٢٠ ـ ٥٢١.

(٢) الفراسة: تعني التأمل والتثبت، وصحة النظر.
وسببها ـ كما يقول ابن القيم ـ نور يقذفه الله في قلب عبده، يفرق بين الحق والباطل، والحالي والعاطل، والصادق والكاذب.
وحقيقتها أنها خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضاده، يثب على القلب وثوب الأسد على الفريسة.
وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان؛ فمن كان أقوى إيماناً فهو أحدُّ فراسة. انظر: مدارج السالكين ٢/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٤٥٨.

أن الدَّائرة والهزيمة عليهم، وأن الظفر والنصر للمسلمين، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يميناً، فيقال له: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً»[١].

إلى أن قال ابن القيم: «وكانت فِراستُه الجزئية في خلال هاتين الواقعتين مِثْلَ المطر»[٢].

ويواصل ابن القيم كلامه على فراسة ابن تيمية، فيقول: «ولما طُلبَ إلى الديار المصرية، وأريد قتله ـ بعدما أنضجت له القدور، وقُلِّبت له الأمور ـ اجتمع أصحابه لوداعه، وقالوا: قد تواترت الكتب بأن القوم عاملون على قتلك، فقال: والله لا يَصِلُون إلى ذلك أبداً، قالوا: أفتحبس؟ قال: نعم، ويطول حَبْسي، ثم أخرج، وأتكلم بالسُّنَّة على رؤوس الناس، سمعته يقول ذلك»[٣].

فهذا نزر يسير عن أحواله، والمقام ليس مقام تفصيل.



(١) مدارج السالكين ٢/٤٥٨.
(٢) المرجع السابق ٢/٤٥٨.
(٣) المرجع السابق ٢/٤٥٨.

المطلب الثاني

أخـــلاقه

لقد جُبل ابن تيمية على كريم الخلال، وحميد الخصال، وكان معروفاً عند أهل زمانه بمكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، ومحاسن الشيم، وجزالة المروءة.

يشهد له بذلك كل منصف عاقل؛ فكان متصفاً بالحلم، والبر، والكرم المنقطع النظير، والعدل، والإنصاف، والوفاء، وثبات الود، والتواضع، وعزة النفس، وإباءة الضيم، والشجاعة النادرة، والهيبة الوافرة، ونحو ذلك من مكارم الأخلاق، وتفاريق المروءة.

يقول ابن القيم في معرض حديث له عن حسن الخلق، والعفو، ومقابلة الإساءة بالإحسان: «وما رأيت أحداً أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ـ قدَّس الله روحه ـ.

وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه.

وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم، وجئت يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوةً وأذىً له، فنهرني، وتنكر لي، واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله، فعزَّاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجونه فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا الكلام، فسرُّوا به، ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه، فرحمه الله ورضي عنه»[(١)].

وقال ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللهُ **مبيناً ما كان عليه ابن تيمية من التسامح والعفو، وسلامة الصدر، والبعد عن التشفي والانتقام، قال:** «وسمعت الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ اللهُ يذكر أن السلطان لما جلس بالشباك أخرج من جيبه فتاوى لبعض الحاضرين في قتله[(٢)]، واستفتاه[(٣)] في قتل بعضهم.

---

(١) مدارج السالكين ٢/٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(٢) يعني ببعض الحاضرين: بعض العلماء الذين ناصبوا ابن تيمية العداء، وأفتوا بقتله.

(٣) يعني: أن السلطان استفتى ابن تيمية بقتل هؤلاء؛ ظناً منه أن ابن تيمية سيشفي غيظه منهم؛ بسبب أذيتهم له، وإفتائهم بقتله.

قال[١]: ففهمت مقصوده، وأن عنده حنقاً شديداً عليهم؛ لما خلعوه وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير؛ فشرعت في مدحهم، والثناء عليهم، وشكرهم، وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك.

أما أنا فهم في حل من حقي، ومن جهتي، وسكَّنت ما عنده عليهم.

قال: فكان القاضي زين الدين ابن مخلوف[٢] قاضي المالكية يقول بعد ذلك: ما رأينا أتقى من ابن تيمية؛ لم نُبْقِ ممكناً في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا عنا»[٣].

إلى أن قال ابن عبد الهادي: «ثم إن الشيخ بعد اجتماعه بالسلطان نزل إلى القاهرة، وسكن بالقرب من مشهد الحسين، وعاد إلى بث العلم، ونشره، والخلق يشتغلون عليه، ويقرؤون، ويستفتونه، ويجيبهم بالكلام، والكتابةِ، والأمراءُ، والأكابرُ، والناسُ يترددون إليه، وفيهم من يعتذر إليه ويتنصل مما وقع.

فقال: قد جعلت الكل في حلٍّ مما جرى»[٤].

ويلفت البزار النظر إلى بعض ما كان عليه ابن تيمية من الأخلاق، فيقول عن زهده: «ولقد اتفق كل من رآه خصوصاً من أطال ملازمته أنه ما رأى مثله في الزهد في الدنيا، حتى لقد صار ذلك مشهوراً؛ بحيث قد استقر في قلب القريب والبعيد من كل من سمع بصفاته على وجهها.

بل لو سُئل عامي من أهل بلد بعيد من الشيخ: من كان أزهد أهل هذا العصر، وأكملهم في رفض فضول الدنيا، وأحرصهم على طلب الآخرة؟ لقال: ما سمعت بمثل ابن تيمية ـ رحمة الله عليه ـ»[٥].

ثم ينتقل إلى الكلام عن تواضعه فيقول: «أما تواضعه فما رأيت ولا سمعت

---

(١) القائل هو: ابن تيمية.

(٢) هو: القاضي زين الدين علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم بن منعم بن خلف النويري المالكي، ولد سنة ٦٣٤هـ.
قال عنه ابن كثير: «سمع الحديث، واشتغل، وحصَّل، وولي الحكم بعد ابن شاس سنة خمس وثمانين، وطالت أيامه، وكان غزير المروءة والاحتمال والإحسان إلى الفقهاء والشهود، ومن يقصده. توفي ليلة الإربعاء حادي عشر جمادى الآخرة ودفن بسفح المقطم بمصر». انظر: البداية والنهاية ١٨/ ١٨٥ ـ ١٨٦.

(٣) العقود الدرية ص٢٢١، وانظر: البداية والنهاية ١٨/ ٩٤ ـ ٩٥.

(٤) العقود الدرية ص٢٢١.

(٥) الأعلام العلية ص٤٧ ـ ٤٨.

بأحد من أهل عصره مثله في ذلك؛ كان يتواضع للكبير، والصغير، والجليل، والحقير، والغني الصالح، والفقير.

وكان يدني الفقير الصالح، ويكرمه، ويؤنسه، ويباسطه بحديثه المُسْتَحْلَى زيادة على مثله من الأغنياء، حتى إنه ربما خدمه بنفسه، وأعانه بحمل حاجته؛ جبراً لقلبه، وتقرباً بذلك إلى ربه»[١].

إلى أن يقول مبيِّناً سعة صدره على السائلين والمستفتين: «وكان لا يسأم ممن يستفتيه، أو يسأله؛ بل يقبل عليه ببشاشة وجه، ولين عريكة، ويقف معه حتى يكون هو الذي يفارقه كبيراً أو صغيراً، رجلاً أو امرأة، حُرّاً أو عبداً، عالماً أو عاميّاً، حاضراً أو بادياً.

ولا يجبهه، ولا يحرجه، ولا يُنفِّره بكلام يوحشه؛ بل يجيبه، ويفهمه، ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط»[٢].

ثم يبيِّن ما كان عليه من الكرم، فيقول: «كان رَحِمَهُ اللهُ مجبولاً على الكرم، لا يتطبَّعه ولا يتصنعه؛ بل هو له سجية، وقد ذكرت فيما تقدم أنه ما شد على دينار ولا درهم قط؛ بل كان مَهْمَا قَدِر على شيء من ذلك يجود به كله»[٣].

ثم ذكر نوعاً من جوده، **فقال:** «وكان لا يرد من يسأله شيئاً يقدر عليه من دراهم، ولا دنانير، ولا ثياب، ولا كتب، ولا غير ذلك؛ بل ربما كان يسأله بعض الفقراء شيئاً من النفقة، فإن كان حينئذ متعذراً لا يَدَعُه يذهب بلا شيء؛ بل كان يعمد إلى شيء من لباسه؛ فيدفعه إليه، وكان ذلك المشهور عند الناس من حاله»[٤].

وقال الذهبي واصفاً كرمه ومروءته: «وما رأيت في العالم أكرم منه، ولا أفرغ منه عن الدينار والدرهم، لا يذكره، ولا أظنه يدور في ذهنه.

وفيه مروءة، وقيام مع أصحابه، وسعي في مصالحهم، وهو فقير لا مال له»[٥].

أما عن شجاعته، وقوة قلبه، ورباطة جأشه فحدِّث ولا حرج؛ إذ هي مما أجمع عليه كل من عرفه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ **عن شجاعة ابن تيمية وقوة قلبه:** «وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم؛ بل

---

(١) الأعلام العلية ص٥٢.
(٢) المرجع السابق ص٥٢.
(٣) المرجع السابق ص٦٥.
(٤) المرجع السابق ص٦٥.
(٥) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٩٥.

ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس، والتهديد، والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسَرِّهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه»[١].

إلى أن قال: «وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض ـ أتيناه، فما هو إلا أن نراه، ونسمعَ كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحاً، وقوة، ويقيناً، وطمأنينة.

فسبحان من أشهد عباده جَنَّتَهُ قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من رَوْحها، ونسيمها، وطيبها ما استفرغ قُواهم لطلبها، والمسابقة إليها»[٢].

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ **مبدياً إعجابه الشديد بشجاعته:** «وأما شجاعته فبها تضرب الأمثال، وببعضها يتشبه الأبطال»[٣].

وقال البزار رَحِمَهُ اللهُ **عن شجاعته:** «كان رضي الله عنه من أشجع الناس، وأقواهم قلباً.

ما رأيت أحداً أثبت جأشاً منه، ولا أعظم عناءً في جهاد العدو منه، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده، ولا يخاف في الله لومة لائم»[٤].

إلى أن قال واصفاً حاله في ميدان القتال: «وأخبَرَ غيرُ واحدٍ أن الشيخ رضي الله عنه كان إذا حضر مع عسكر المسلمين في جهاد يكون بينهم واقيتَهُم، وقطبَ ثباتهم، إنْ رأى من بعضهم هلعاً، أو رِقَّةً، أو جبانةً ـ شَجَّعَه، وثبَّته، وبشره، ووعده بالنصر والظفر والغنيمة، وبيَّن له فضل الجهاد والمجاهدين، وإنزال الله عليهم السكينة»[٥].

إلى أن قال واصفاً حاله في ميدان الوغى: «وكان إذا ركب الخيل يتَحَنَّك[٦]، ويجول في العدو كأعظم الشجعان، ويقوم كأثبت الفرسان، ويكبر تكبيراً أنكى في العدو من كثير من الفتك بهم، ويخوض فيهم خوض رجل لا يخاف الموت.

وحدثوا أنهم رأوا منه في فتح عكة أموراً عظيمة يعجز الواصف عن وصفها.

قالوا: ولقد كان السبب في تملك المسلمين إياها بفعله، ومشورته، وحسن نظره»[٧].

---

(١) الوابل الصيب ص٧٠.

(٢) المرجع السابق ص٧٠.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٩٥.

(٤) الأعلام العلية ص٦٩.

(٥) المرجع السابق ص٦٩ ـ ٧٠.

(٦) **التحنك:** التَّلَحِّي: وهو أن تدير العمامة من تحت الحنك. انظر: لسان العرب ١٠/ ٤١٧.

(٧) الأعلام العلية ص٧٠.

وقال الدكتور محمد خليل هراس رَحِمَهُ اللَّهُ **عن صبره، واحتسابه في معرض كلام له عما جرى له من الفتن بعد الفتوى الحموية عام ٦٩٨هـ، قال:** «ولم يزل ابن تيمية بعد ذلك ينتقل من محنة إلى محنة، وهو صابر محتمل، لا يبالي ما يلاقي من الأذى في سبيل دعوته، ولا يتبرم بغياهب السجون التي قضى فيها معظم أيام عمره إلى أن وافاه أجله وهو محبوس بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ»[١].

هذه بعض الإشارات إلى أخلاقه رَحِمَهُ اللَّهُ.



(١) باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي نقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات، تأليف: د. محمد خليل هراس، المطبعة اليوسفية بطنطا، ط١، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م، ص٢٦.

المطلب الثالث

وفاته

توفي شيخ الإسلام ابن تيمية بعد حياة حافلة بالعلم، والتعليم، والتأليف، والدعوة، والجهاد في محبسه بقلعة دمشق، وذلك إلى الثلث الأخير من ليلة الاثنين المسفرِ صباحُها عن عشرين من ذي الحجة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة للهجرة.

وكان مرضه سبعة عشر يوماً، وصَلَّى عليه بباب القلعة الشيخُ محمد بن تمام، ثم صلوا عليه في الجامع الأموي، ثم دفن في مقابر الصوفية إلى جانب أخيه الشيخ شرف الزين.

وقد امتلأ الجامع وقت الصلاة أكثر من يوم الجمعة، وحضرت الأمراء، والحجاب، وحملوه على رؤوسهم، وخرجوا به من باب الفرج، وامتد الخلق إلى مقابر الصوفية[1].

يقول ابن عبد الهادي في معرض حديث له عن آخر ما جرى لابن تيمية في سجنه الأخير: «ثم إن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بقي مقيماً بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأياماً، ثم توفي إلى رحمة الله ورضوانه، وما برح في هذه المدة مكبّاً على العبادة، والتلاوة، وتصنيف الكتب، والرد على المخالفين.

وكتب على تفسير القرآن العظيم جملة كثيرة، تشتمل على نفائس جليلة، ونكت دقيقة، ومعان لطيفة، وبيَّن في ذلك مواضع كثيرة أشكلت على خلق من علماء أهل التفسير[2].

---

(١) انظر: تقريظ العلَّامة بدر الدين العيني للرد الوافر لابن ناصر الدين، ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٥٦٣.

(٢) يشير بذلك إلى كتابه «تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد في طائفة من كتب في التفسير فيها القول الصواب؛ بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ» وهذا الكتاب من آخر كتب ابن تيمية، وقد كتبه في سجنه الأخير، وعنوان الكتاب أطول عنوانات كتبه، وقد خرج هذا الكتاب في مجلدين في رسالة علمية نال بها الباحث عبد العزيز بن محمد الخليفة درجة =

وكتب في المسألة التي حُبس بسببها عدة مجلدات:

منها: كتاب في الردِّ على ابن الإخنائي قاضي المالكية بمصر، تُعْرَف بالإخنائية، **ومنها**: كتاب كبير حافل في الردِّ على بعض قضاة الشافعية، وأشياء كثيرة في هذا المعنى أيضاً»(١).

ثم بيَّن ما لقيه ابن تيمية في سجنه من إكرام، وتعظيم، فقال: «وما زال الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ اللهُ في هذه المدة معظماً مكرماً، يكرمه نقيب القلعة، ونائبها إكراماً كثيراً، ويستعرضان حوائجه، ويبالغان في قضائها.

وكان ما صنفه في هذه المدة قد خرج بعضه من عنده، وكتبه بعض أصحابه، واشتهر، وظهر»(٢).

وأشار ابن عبد الهادي إلى ورود مرسوم السلطان بإخراج جميع ما عند ابن تيمية، فقال: «فلما كان قبل وفاته بأشهر ورد مرسوم السلطان بإخراج ما عنده كله، ولم يبق عنده كتاب، ولا ورقة، ولا دواة، ولا قلم، وكان بعد ذلك إذا كتب ورقة إلى بعض أصحابه يكتبها بفحم، وقد رأيت أوراقاً عدة بعثها إلى أصحابه، وبعضها مكتوب بفحم»(٣).

وقال ابن عبد الهادي: «ولما أخرج ما عنده من الكتب والأوراق، حمل إلى القاضي علاء الدين القونوي، وجعل تحت يده في المدرسة العادلية.

وأقبل الشيخ بعد إخراجها على العبادة، والتلاوة، والتذكر، والتهجد حتى أتاه اليقين.

وختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين، أو إحدى وثمانين ختمة، انتهى في آخر ختمة إلى آخر اقتربت الساعة ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر]، ثم كملت عليه بعد وفاته، وهو مسجى.

كان كل يوم يقرأ ثلاثة أجزاء، يختم في عشرة أيام، هكذا أخبرني أخوه زين الدين»(٤).

إلى أن قال: «وكانت مدة مرضه بضعة وعشرين يوماً، وأكثر الناس ما علموا

= الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد طبعته مكتبة الرشد الرياض، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

(١) العقود الدرية ص٢٨٤.

(٢) المرجع السابق ص٢٨٥.

(٣) المرجع السابق ص٢٨٦.

(٤) المرجع السابق ص٢٩٠ ـ ٢٩١.

بمرضه، فلم يفجأ الخلق إلا نعيه، فاشتد التأسف عليه، وكثر البكاء والحزن، ودخل إليه أقاربه، وأصحابه، وازدحم الخلق على باب القلعة، والطرقات، وامتلأ جامع دمشق، وصلوا عليه، وحمل على الرؤوس، رحمه الله ورضي عنه»(١).

هذا وقد ذكر ابن رجب أخباراً، وعجائب مما حصل في وفاته، ومن ذلك **قوله**: «وذكره(٢) مؤذن القلعة على منارة الجامع، وتكلم به الحرس على الأبراج؛ فتسامع الناس بذلك، وبعضهم أُعلم به في منامه، وأصبح الناس، واجتمعوا حول القلعة حتى أهل الغوطة والمرج، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئاً، ولا فتحوا كثيراً من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أول النهار، وفتح باب القلعة»(٣).

إلى أن قال: «واجتمع عند الشيخ في القلعة خلق كثير من أصحابه يبكون، ويثنون، وأخبرهم أخوه زين الدين عبد الرحمٰن أنه ختم هو والشيخ منذ دخلا ثمانين ختمة، وشرعا في الحادية والثمانين؛ فانتهيا إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝﴾ [القمر]»(٤).

ثم قال: «وخرج الرجال، ودخل النساء من أقارب الشيخ؛ فشاهدوه، ثم خرجوا، واقتصروا على من يغسله، ويساعد في تغسيله، وكانوا جماعة من أكابر الصالحين وأهل العلم؛ كالمزي وغيره.

ولم يُفْرغ من غسله حتى امتلأت القلعة بالرجال وما حولها إلى الجامع؛ فَصَلى عليه بدركات القلعة: الزاهد القدوة محمد بن تمام وضج الناس حينئذٍ بالبكاء، والثناء، والدعاء، والترحم»(٥).

ثم ذكر ابن رجب أن الشيخ «أخرج إلى جامع دمشق عند الساعة الرابعة أو نحوها، وكان قد امتلأ الجامع وصحنه، والكلاسة، وباب البريد، وباب الساعات إلى الميادين، والفوارة، وكان الجمع أعظم من جمع الجمعة، ووضع الشيخ في موضع الجنائز مما يلي المقصورة، والجند يحفظون الجنازة من الزحام.

وجلس الناس على غير صفوف؛ بل مرصوصين لا يتمكن أحد من الجلوس والسجود إلا بكلفة، وكثرة الناس لا توصف»(٦).

ثم ذكر أنه لما أذَّن المؤذن الظهر أقيمت الصلاة، فصلوا الظهر، ثم صلوا على

---

(١) العقود الدرية ص٢٩١.
(٢) أي: ذكر وفاته.
(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٠٥ ـ ٤٠٦.
(٤) المرجع السابق ٢/٤٠٦.
(٥) المرجع السابق ٢/٤٠٦.
(٦) المرجع السابق ٢/٤٠٦ ـ ٤٠٧.

الشيخ، وساروا به، والناس في بكاء، ودعاء، وثناء، وتهليل، وتأسف، والنساء فوق الأسطحة من هناك إلى المقبرة يدعين، ويبكين.

وكان يوماً مشهوداً لم يشهد بدمشق مثله، ولم يتخلف من أهل البلد وحواضره إلا القليل من الضعفاء والنساء.

وذكر أنه صرخ صارخ: هكذا تكون جنائز أئمة أهل السُّنَّة؛ فبكى الناس كثيراً عند ذلك[(١)].

إلى أن قال: «وأخرج من باب البريد، واشتد الزحام، وألقى الناس على نعشه مناديلهم، وعمائمهم، وصار النعش على الرؤوس يتقدم تارة، ويتأخر أخرى، وخرج الناس من أبواب الجامع كلها وهي مزدحمة، ثم من أبواب المدينة كلها، لكن كان المعظم من باب الفرج، ومنه خرجت الجنازة، وباب الفراديس، وباب النصر، وباب الجابية، وعظم الأمر بسوق الخيل»[(٢)].

وقال: «وتقدم في الصلاة عليه هناك أخوه: زين الدين عبد الرحمٰن، ودفن وقت صلاة العصر، أو قبلها بيسير إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله بمقابر الصوفية.

وحُزِر الرجال بستين ألفاً أو أكثر، إلى مائتي ألف، والنساء بخمسة عشر ألفاً، وظهر بذلك قول الإمام أحمد: بيننا وبين أهل البدع يوم الجنائز»[(٣)].

ثم ذكر ابن رجب أن الناس ترددوا إلى قبره أياماً كثيرةً ليلاً ونهاراً، ورئيت له منامات كثيرة صالحة، ورثاه خلق كثير من العلماء والشعراء بقصائد من بلدان شتى، وأقطار متباعدة[(٤)].

إلى أن قال: «وصلي عليه صلاة الغائب في غالب بلاد الإسلام القريبة والبعيدة.

حتى في اليمن والصين، وأَخْبَر المسافرون أنه نودي بأقصى الصين للصلاة عليه يوم جمعة: الصلاة على ترجمان القرآن»[(٥)].

وهكذا طويت تلك الصفحة العظيمة طي السجل للكتب، وأفضى صاحبها إلى ربه الغفور الرحيم الشكور الكريم؛ فرحمه الله، وغفر له، ورفع درجاته، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

---

(١) انظر: ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٠٧.
(٢) المرجع السابق ٢/ ٤٠٧.
(٣) المرجع السابق ٢/ ٤٠٧.
(٤) انظر: المرجع السابق ٢/ ٤٠٧.
(٥) المرجع السابق ٢/ ٤٠٧.




مدخل
مفهوم خوارق العادات

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف خوارق العادات؛ وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تعريف خوارق العادات باعتبار مفرديها.

المسألة الثانية: تعريف خوارق العادات باعتبار تركيبها.

المطلب الثاني: مجمل قول ابن تيمية في مفهوم خوارق العادات.




مدخل

مفهوم خوارق العادات

خوارق العادات مصطلح يَرِدُ كثيراً في كتب العقائد والفِرق والمقالات، ويندرج تحته ـ كما مرَّ ـ ثلاثة مصطلحات عقدية، وهي: معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، والأحوال الشيطانية.

والكلام هٰهنا إيضاح لمفهوم **خوارق العادات**، وذلك من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: تعريف خوارق العادات؛ وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تعريف خوارق العادات باعتبار مفرديها:

أولاً: تعريف كلمة (خوارق).

ثانياً: تعريف كلمة (العادات).

المسألة الثانية: تعريف خوارق العادات باعتبار تركيبها.

المطلب الثاني: مجمل قول ابن تيمية في مفهوم خوارق العادات.



المطلب الأول

تعريف خوارق العادات

المسألة الأولى: تعريف خوارق العادات باعتبار مفرديها

مصطلح **(خوارق العادات)** مركب إضافي من كلمتين هما: **خوارق، والعادات**، ويحسن قبل تعريف هذا المصطلح باعتبار تركيبه أن يُعَرَّف باعتبار إفراده، وهذا ما سيتبين من خلال تعريف كلٍّ من كلمتي: **خوارق، والعادات**، بحيث تُعرف كلٌّ واحدةٍ منهما على حدة:

○ أولاً: تعريف كلمة (خوارق):

أصل هذه المادة: الخاء، والراء، والقاف **(خرق)**.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخاءُ، والراء، والقاف أصل واحد، وهو مَزْقُ الشيء، وجَوْبُـهُ، إلى ذلك يرجع فروعه؛ فيقال: خرقت الأرض؛ أي: جُبتُها، واخْتَرَقَتِ الريحُ الأرض: إذا جابتها، والمُخْتَرَق: الموضع الذي يخترقه الرياح»[1].

والفعل من ذلك: خَرَقَ يَخْرِقُ خَرْقاً، والتخرق: خلْقُ الكذب، والخرقاء من الشاء: مثقوبة الأذن، والخرق في البناء: فتح نافذة فيه، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ [الكهف: ٧١]. قيل: خلع لوحين من ألواحها.

وقال ـ جلَّ ثناؤه ـ: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ [الإسراء: ٣٧]؛ أي: لن تُحْدِثَ فيها خرقاً بشدة وطأتك؛ أي: لن تشقها؛ فالخرق: الشق.

والخرق في العادة: تجاوزها، ونقضها، ومنه قولهم: خرق العوائد.

والخَرْقُ: الفرجة، وجمعه: خروق.

ويقال ـ أيضاً ـ: اخترقه، فتَخَرَّق، وانخرق، يكون ذلك في الثوب وغيره، والخرقة: المزقَةُ منه.

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، ٢/١٧٢.

والمخاريق، ما تلعب به الصبيان من الخِرَق المفتولة(١).

والخوارق، جمع: خارق، وهو في عِرْف العلماء: الأمر الذي يخرق العادة.

والحاصل: أن الخارق يطلق باعتبار **لغوي وعرفي**.

أما اللغوي: فيأتي على وجهين:

أحدهما: حسي مادي: وهو بمعنى: النفوذ؛ كالشق في الثوب، والنافذة في البناء، ونحو ذلك، ويأتي بمعنى الجوب ـ كما مرَّ ـ.

وثانيهما: معنوي؛ كصنع الكذب.

وكلا المعنيين مقدور للعباد، وواقع تحت اختيارهم وجوداً وعدماً.

وأما العرفي: فيأتي بمعنى: نقض العادة، وتجاوزها على هيئة مخصوصة، ولغرض مخصوص، وهو من فعل الله ـ تبارك وتعالى ـ وهو ما سيتبين في المعنى الاصطلاحي لخوارق العادات(٢).

○ ثانياً: تعريف كلمة (العادات):

العادات، جمع: العادة، وهي الدأب، والديدن، وسميت بذلك من الرجوع؛ لأن صاحبها يعودها؛ أي: يرجع إليها مرة بعد أخرى.

وأصل المادة: عود، قال ابن فارس في مادة (عود): «العين، والواو، والدال

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٣، ولسان العرب، دار الفكر، بيروت، ١٠/ ٧٣ ـ ٧٨، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، ٤/ ٥٣٢ ـ ٥٣٥، وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيد معمر بن المثنى، عارضه بأصوله وعلّق عليه: د. محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، ١/ ٣٨٠، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للشيخ أحمد بن يوسف بن عبد الدايم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، ١/ ٤٩٨ ـ ٥٠٠، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ٢/ ٥٣٤، وياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن لأبي عُمَر بن محمد بن عبد الواحد البغدادي الزاهد المعروف بغلام ثعلب، حقَّقه وقدَّم له: د. محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحِكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، ص٢٢٣.

(٢) انظر: المراجع السابقة، وخوارق العادات في القرآن الكريم لعبد الرحمٰن الحميضي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في مكة المكرمة التابعة لجامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٠هـ، ص٢٠ ـ ٢١.

أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما على تثنية الأمر، والآخر جنس من الخشب»[١].

ثم شرع في بيان معنى الأصل الأول الذي هو بمعنى الدأب، والعادة؛ فقال: «فالأول: العَوْد: قال الخليل: هو تثنية الأمر عوداً بعد بدءٍ، تقول: بدأ ثم عاد.

والعَوْدة: المرة الواحدة، وقولهم: عاد فلان بمعروفه، وذلك إذا أحسن ثم زاد.

ومن البابِ: العيادةُ: أن تعود مريضاً، ولآل فلان معادة؛ أي: أمرٌ يغشاهم الناس له»[٢].

وتطلق العادة ـ كذلك ـ على الدَّرَبة، والتمادي في شيء حتى يصبح سجية[٣].

وتطلق ـ كذلك ـ على ما استمر الناس فيه على حكم المعقول وعادوا إليه مرة بعد أخرى.

وهناك ـ أيضاً ـ **العادة** العرفية الخاصة؛ كاصطلاح كل طائفة مخصوصة كالرفع عند النحاة.

وهناك **العادة** الشرعية؛ كالصلاة، والزكاة، والحج[٤].

وهكذا يتبين أن **العادة** تدور حول معنى التكرار، والدأب، والدربة، وتثنية الأمر، ونحو ذلك.

وعليه فإن **خرق العادة**: هو الخروج عما اعتاده قوم في أمرٍ ما، وإن كان معتاداً عند غيرهم؛ ذلك أن العادة ـ كما يقول ابن تيمية ـ أمر إضافي؛ فقد يعتاد قوم ما لم يعتده غيرهم، وأهل كل بلد لهم عادات في طعامهم ولباسهم، وأبنيتهم لم يعتدها غيرهم؛ فما خرج عن ذلك فهو خارق لعادتهم، لا لعادة من اعتاده غيرهم[٥].

المسألة الثانية: تعريف خوارق العادات باعتبار تركيبها

وبعد أن تبين معنى **الخوارق والعادت** باعتبار إفرادها يصل الحديث إلى تعريف خوارق العادات باعتبار تركيبها، ذلك أن التركيب والإضافة والوصف تفيد تخصيصاً، ومعنىً جديداً.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤/ ١٨١.

(٢) المرجع السابق ٤/ ١٨١، ولسان العرب ٣/ ٣١٥ ـ ٣٢٣.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة ٤/ ١٨١، والمحكم والمحيط الأعظم ٢/ ٢٣٠.

(٤) انظر: التعريفات للشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ص١٤٦، والمحكم والمحيط الأعظم ٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣٥، وخوارق العادات ص١٩ ـ ٢٠.

(٥) انظر: النبوات ١/ ١٧٣، و٢/ ٨٦٧.

ومن هنا كان مصطلح (**خوارق العادات**) في حال تركيبه يفيد معنى خاصّاً، ويحمل في طياته مدلولاً غير ما تفيده كلُّ كلمةٍ منه على حدة.

ومما يعين على الوصول إلى تعريف محدد لخوارق العادات أن ينظر في معنى العادة المعتبرة في هذا الباب، وهي التي تكون راجعة إلى فعل الله ـ تعالى ـ أو ما يتصل بفعله؛ لأنه لا اعتبار في أفعال العباد في هذا الباب؛ ذلك أن العادة ـ كما يرى بعض الباحثين ـ تنقسم **إلى ثلاثة أقسام**[١]:

القسم الأول: عادات تتمثل في أفعال العباد: فهذه تختلف باختلاف البلدان والأجناس والأحوال؛ فهذه لا ضابط لها، وليست في شيء مما يتعلق بموضوع البحث، وهو خوارق العادات.

القسم الثاني: عادات كونية: وهي التي تتمثل في قوانين الطبيعة، وخواص المادة، ونظام الأسباب والمسببات؛ فلفظ العادة ـ بهذا الاعتبار ـ يراد به السُّنَّة المعتادة المنتظمة للمخلوقات، وَفْقَ تدبير الله ـ تعالى ـ فكل مخلوق فلِلّهِ في خلقه وتدبيره سُنَّة جارية وَفْقَ ضوابطَ ثابتةٍ محددةٍ لا يتجاوزها[٢].

وهذه يجوز عليها الخرق بفعله ـ تعالى ـ حسب ما تقتضيه سُنَّته، وحكمته ﷻ.

وهذا القسم يتحقق به معنى **العادات** في مصطلح **خوارق العادات**، وهو محل البحث هٰهنا.

القسم الثالث: عادات تتعلق بفعله ـ تعالى ـ: وتتمثل في الوعد والوعيد، وهي سُنَّته، وعادته في إكرام أوليائه، وجعل العاقبة لهم، وإهانته لأعدائه، أو إمهاله وإملائه لهم ثم أخذهم أَخْذَ عزيزٍ مقتدر.

وهذه العادات لا تتغير ولا تتبدل[٣].

وعلى كل حال؛ فإن مصطلح (**خوارق العادات**) اصطلاح جرى، وصار له مدلوله في كتب أهل العلم، وإن لم يرد في لسان الشرع؛ حيث ارتضاه العلماء، وجعلوا يذكرونه في مصنفاتهم في العقائد، ويتناولونه بالبحث والدراسة، وأصبح عَلَماً

---

(١) انظر: خوارق العادات في القرآن الكريم ص١٩ ـ ٢٠.

(٢) انظر: دلالة المعجزة على صدق النبوة عند الأشاعرة، دراسة نقدية، د. عبد الله بن محمد القرني، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، ط١، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م، المملكة العربية السعودية الخبر، ص٣٤.

(٣) خوارق العادات في القرآن الكريم، ص١٩ ـ ٢٠.

يدخل تحته الأنواع الثلاثة: **معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء، والأحوال الشيطانية**(١).

ومن خلال ما مضى يمكن تعريف مصطلح خوارق العادات بأنه: **ما كان خارجاً عن قوانين الطبيعة، وخواص المادة، وعارياً عن الأسباب المعقولة المعتادة في الكون**(٢).

فخوارق العادات ـ إذاً ـ **تجمع وصفين**:

أحدهما: كونُها خارجةً عن قدرة البشر.

والآخر: كونُها غيرَ معتادةٍ للناس.

فالخارق للعادة على هذا المعنى هو المخالف للسُّنَّة الكونية التي قدَّرها الله للمخلوقات(٣).

وهذا يشمل **معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء، والأحوال الشيطانية**(٤).

وهذه المصطلحات الثلاثة هي محور الكلام في هذا البحث.



---

(١) انظر: النبوات ١/ ١٦٣ و٢١٥.

(٢) انظر: خوارق العادات في القرآن الكريم ص٢٩.

(٣) انظر: دلالة المعجزة ص٢٤.

(٤) انظر: النبوات ١/ ١٤١.

المطلب الثاني

مجمل قول ابن تيمية في مفهوم خوارق العادات

لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ كما مرَّ ـ عنايةٌ بالغة في موضوع الخوارق؛ حيث فَصَّل القول في هذا المصطلح في مواضع كثيرة من كتبه، سواء في بحثه في تلك الخوارق، أو من خلال ردوده على المخالفين في شأنها.

وقبل الدخول في تفاصيل كلامه على كل نوع من أنواع الخوارق الثلاثة والمخالفين فيها ـ يحسن الوقوف على **مجمل قوله في مفهوم الخوارق** على سبيل الإيجاز، وذلك من خلال ما يلي:

أولاً: **يقرر** رحمه الله أنَّ «كون الآية خارقةً للعادة أو غير خارقة ـ هو وصف لم يَصِفْهُ القرآن والحديث ولا السلف»[1].

وأنْ «ليس في الكتاب والسُّنَّة تعليق الحكم بهذا الوصف، ولا ذكر خرق العادة، ولا لفظ المعجز.

وإنما هي آياتٌ، وبراهينُ، وذلك يوجب اختصاصها بالأنبياء»[2].

ثانياً: **يقرر** ـ في معرض كلام له على معجزات الأنبياء ـ أن «آية النبي لا بد أن تكون خارقة للعادة؛ بمعنى: أنها ليست معتادة للآدميين؛ لأنها حينئذٍ لا تكون مُختصةً بالنبي؛ بل مشتركة»[3].

وأن «الخوارق التي تكون بأفعال الملائكة تختص بالأنبياء وأتباعهم ـ لا تكون للكفار، والسحرة، والكهان»[4].

ثالثاً: يرى أن الذين سموا آيات الأنبياء خوارق لا بد أن يخصوا ذلك بالأنبياء

---

(١) النبوات ١/ ١٦٣.

(٢) المرجع السابق ١/ ٢١٥، وانظر: الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق: د. علي بن حسن بن ناصر وصاحبيه، دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، النشرة الأولى، ١٤١٤هـ، ٥/ ٤١٢، والرد على المنطقيين لابن تيمية دار المعرفة بيروت، لبنان، ص٣٩١.

(٣) النبوات ١/ ١٦٤.

(٤) المرجع السابق ١/ ١٥١.

دون غيرهم[١].

رابعاً: يرى أن «الآيات الخارقة جنسان: جنسٌ في نوع العمل، وجنس في نوع القدرة»[٢].

خامساً: يقرر في معرض كلام له على كرامات الأولياء «أن الصالحين الذين يَدْعُون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها؛ فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء»[٣].

سادساً: يقول في كلام له عن الأحوال الشيطانية: «وأما خوارق مخالفيهم[٤]؛ كالسحرة والكهان فإنها من جنس أفعال الحيوان من الإنس وغيره من الحيوان والجن»[٥].

سابعاً: يقرر أن مراتب الخوارق ثلاث، فيقول: «المراتب ثلاث: آيات الأنبياء، ثم كرامات الأولياء، ثم خوارق الكفار والفجار كالسحرة والكهان، وما يحصل لبعض المشركين، وأهلِ الكتاب والضُّلال من المسلمين»[٦].

ثامناً: يقول في موضع آخر: «اسم المعجزة يَعُمُّ كلَّ خارقٍ للعادة في اللغة وعرف المتقدمين كالإمام أحمد وغيره، ويسمونها: الآيات.

لكنْ كثيرٌ من المتأخرين يفرق بينهما في اللفظ، فيجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة»[٧].

تاسعاً: يقرر رحمه الله أن من الخوارق ما يكون من باب العلم، ومنها ما يكون من باب القدرة والتأثير[٨].

عاشراً: يرى أن الخارق إن حصل به فائدة مطلوبة كان من الأعمال الصالحة الواجبة أو المستحبة.

وإن حصل به أمر مباح كان من نعم الله التي تقتضي شكراً.

---

(١) انظر: النبوات ٢/ ٨٤٨.

(٢) المرجع السابق ١/ ١٥١.

(٣) المرجع السابق ١/ ١٤١.

(٤) أي: مخالفي الأنبياء.

(٥) النبوات ١/ ١٤٤، وانظر: جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، المجموعة الأولى، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٢هـ، ١/ ٩٥.

(٦) النبوات ١/ ١٤١.

(٧) انظر: المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات ومضارها ومنافعها لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق ودراسة: أحمد العيسوي، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ص٩.

(٨) انظر: المعجزات والكرامات ص١١ - ١٥.

وإن كان الخارق على وجه يتضمن ما هو منهيٌّ عنه نهي تحريمٍ أو نهي تنزيهٍ كان سبباً للعذاب أو بعضه.

ويَخْلُصُ من ذلك إلى أن الخارق ينقسم ـ بهذا الاعتبار ـ إلى ثلاثة أقسام: محمود في الدين، ومذموم في الدين، ومباح[1].

حادي عشر: يرى أن الخوارق قد تكون مع الدين، وقد تكون مع عدمه، أو فساده أو نقصه، وأن أنفع الخوارق: الخارق الديني، وبعده الخارق المؤيد للدين.

وأما الخارق الذي لم يُعِنِ الدينَ فإما متاع دنيا، أو مُبْعَدٌ صاحبُه عن الله ـ تعالى ـ[2].

فهذه نبذة يتبين من خلالها شيء من مفهوم **خوارق العادات** عند ابن تيمية على سبيل الإجمال، وإلا فإن هذا المصطلح ـ بمختلف تصاريفه وإضافاته ـ يتردد كثيراً في غضون كتبه[3].

وبهذا المدخل يتبين مفهوم خوارق العادات، وسيرد في أبواب هذا البحث ـ بإذن الله ـ تفصيل لمفهوم تلك الخوارق، والفروق بينها، وبيان حال المخالفين فيها، وذلك من خلال موقف ابن تيمية من ذلك كله.

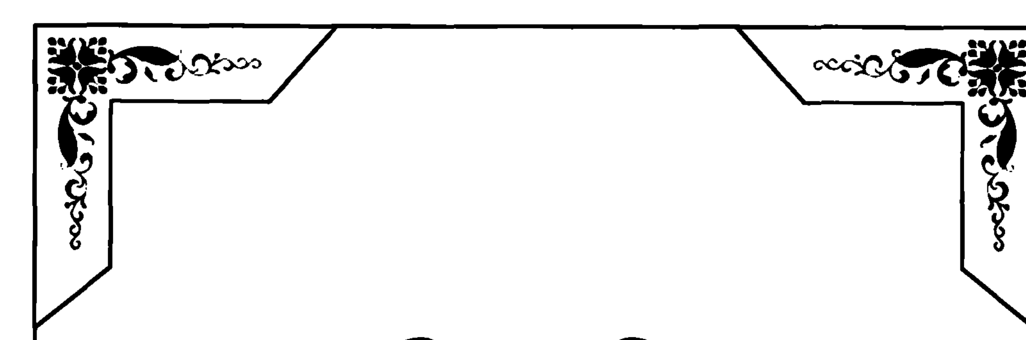


---

(١) انظر: المعجزات والكرامات ص٢٤ ـ ٢٥، وانظر: الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنَّفه في آداب الطريق لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. علي العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٣٧هـ، ص٦٦، وانظر: جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمٰن بن حسن قائد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٧هـ، ٩/١٦١.

(٢) انظر: المعجزات والكرامات ٣٧ ـ ٣٩.

(٣) انظر على سبيل المثال: النبوات ١/١٢٩، و١٣٠ و١٣٣، و١٣٤، و١٣٥، و١٤٤، و١٥٧، و١٥٩، ١٦٠، و١٦٣، و١٦٤، و١٦٧ و١٦٩، و١٧٠، و١٧١، و١٩٣، و٢١٤، و٢/٨٥٢، و٨٥٣.
وانظر: المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات ص٩، و١١، و١٣، و٢٤، و٢٥، و٢٨، و٣٣، و٣٨، و٣٩، والجواب الصحيح ٥/٤٣٠، و٤٣١، والفرقان، حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: د. عبد الرحمٰن بن عبد الكريم اليحيى، دار الفضيلة، ٣٤٣، و٣٤٩، و٣٥٠، و٣٥١، و٣٥٢، ومجموع الفتاوى ١/١٧٧، و٢٦٦، و٢/٤٠٨، و١٠/٥٠٠، ومنهاج السُّنَّة ٨/٢٠٥، و٢٠٦، و٢٠٩، و٢١١.



الباب الأول

موقف ابن تيمية من معجزات الأنبياء والمخالفين فيها

وفيه فصلان:

الفصل الأول: موقف ابن تيمية من معجزات الأنبياء.

الفصل الثاني: موقف ابن تيمية من المخالفين في المعجزات.




الفصل الأول

موقف ابن تيمية من معجزات الأنبياء

وفيه مدخل، وثلاثة مباحث:

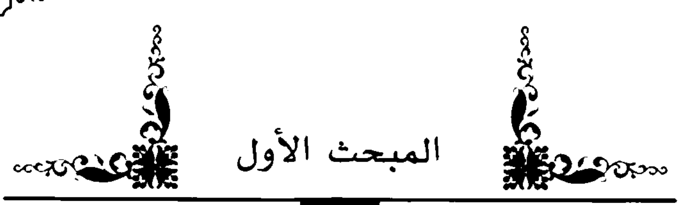
مدخل.

المبحث الأول: مفهوم معجزات الأنبياء عند ابن تيمية.

المبحث الثاني: منهجه في تقرير معجزات الأنبياء عموماً.

المبحث الثالث: منهجه في تقرير معجزات نبينا محمد ﷺ.



المبحث الأول

مفهوم معجزات الأنبياء عند ابن تيمية

مدخل

معجزات الأنبياء مصطلح مركب من كلمتين: **(معجزات)**، و**(الأنبياء)**.

والكلام في هذا المبحث سيدور حول مفهوم هذا المصطلح عند ابن تيمية باعتبار مفرديه؛ أي: بتعريفه لكلٍّ من كلمة: **(معجزات)**، وكلمة: **(الأنبياء)** على حِدَةٍ.

ثم ينتقل الكلام إلى تعريف ابن تيمية لهذا المصطلح باعتبار تركيبه؛ لأن التركيب يخصص الكلام، ويجعل له مدلولاً يتميز به عن غيره.

ثم ينتقل الكلام إلى الأسماء الأخرى لمصطلح معجزات الأنبياء عنده، وذلك من خلال المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول: مفهومها عنده باعتبار مفرديها.

المطلب الثاني: تعريفه لها باعتبار تركيبها.

المطلب الثالث: أسماؤها عنده.

المطلب الأول

مفهومها عنده باعتبار مفرديها

المسألة الأولى: مفهوم كلمة (معجزات) عنده

كلمة **معجزات** جمع لكلمة (معجزة)، والأصل الوضعي اللغوي لها هو مادة (عجز).

وهذه المادة تدور حول **الضَّعْف**، وآخر الشيء، يقال: أعجزته: أضعفته، ويقال: عَجُزه: آخره[١].

ويقال: عجز فلان عن العمل: إذا كَبِر[٢].

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «العين والجيم والزاء أصلان صحيحان يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء.

فالأول: عَجَزَ عن الشيء يعجز عَجْزاً، فهو عاجز؛ أي: ضعيف.

وقولهم: إن العجز نقيض الحزم فمن هذا؛ لأنه يضعف رأيه»[٣].

ويطلق العجز ـ أيضاً ـ على الفوت والسبق.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «ويقال: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه.

ولن يعجز الله ـ تعالى ـ شيء؛ أي: لا يعجز الله ـ تعالى ـ عنه متى شاء، وفي القرآن: ﴿لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ [الجن]»[٤].

وقال ابن فارس عن الأصل الآخر لهذه المادة: «وأما الأصل الآخر فالعَجُز: مؤخر الشيء، والجمع: أعجاز حتى إنهم يقولون: عَجُز الأمر، وأعجازُ الأمور»[٥].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة ٤/ ٢٣٢، ولسان العرب ٥/ ٣٦٩.

(٢) انظر: أساس البلاغة للزمخشري، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م، ص٤٠٩ ـ ٤١٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٤/ ٢٣٢، وانظر: مجمل اللغة لابن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ٣/ ٦٤٨.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٤/ ٢٣٢.

(٥) المرجع السابق ٤/ ٢٣٣.

ويطلق المعجز ـ أيضاً ـ على السابق، والمثبِّط؛ فمن إطلاقه على السابق قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [الأنعام]؛ يعني: سابقين.

ومن إطلاقه على المثبط قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ [الحج: ٥١]؛ يعني: عملوا في آياتنا مثبطين، يثبطون الناس عن الإيمان[١].

«والمعجزة واحدة معجزات الأنبياء ﷺ»[٢].

والمعجزة اسم فاعل من الإعجاز، والهاء للمبالغة.

وسميت معجزةً؛ لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها[٣].

فهذا ـ إذاً ـ هو مفهوم كلمة **(معجزة)** في أصل وضعها اللغوي، وإطلاقِها مفردةً دون أن تضاف إليها كلمة **(الأنبياء)**.

أما مفهومها عند ابن تيمية فليس ببعيد عن ذلك، وإن كان كلامه فيها أوسع، وأدق، وأشمل.

وهذا ما سيتضح من خلال ما يلي:

○ **أولاً: يقرر أن لفظ (معجزة) و(معجز) و(معجزات) و(المعجزات) لم يرد في الشرع بالمعنى الاصطلاحي للمعجزة**: بل يرى أنه اصطلاح حادث، وأن هناك ألفاظاً شرعية أخرى تدلّ على هذا المصطلح.

يقول ﷺ: «والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ﷺ كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، ويسميهما من يسميهما من النظار: **معجزات**»[٤].

إلى أن يقول: «ولهذا لم يكن لفظ **(المعجزات)** موجوداً في الكتاب والسُّنَّة.

وإنما فيه لفظ (الآية) و(البينة) و(البرهان)»[٥].

ويقول في موضع آخر في معرض كلام له عن **المعجزات**: «وليس في الكتاب والسُّنَّة تعليق الحكم بهذا الوصف؛ بل ولا ذكر خرق العادة، ولا لفظ **المعجز**.

---

(١) انظر: قاموس القرآن، أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للحسين بن محمد الدَّامغاني، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٨٣م، ص٣١٦.

(٢) لسان العرب ٥/ ٣٧٠.

(٣) انظر: النبوات ٢/ ٨٣٨ ـ ٨٣٩، ومحيط المحيط لبطرس البستاني، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م، ص٥٧٧ ـ ٥٧٨.

(٤) الجواب الصحيح ٥/ ٤١٢.

(٥) المرجع السابق ٥/ ٤١٢.

وإنما فيه آيات وبراهين، وذلك يوجب اختصاصها بالأنبياء»[١].

وفي سياق كلام له عن اضطراب المتكلمين في مسمى خرق العادة **قال**: «واضطربوا في مسمى هذا الاسم، كما اضطربوا في مسمى **المعجزات**؛ ولهذا لم يُسَمِّها الله في كتابه إلا آياتٍ، وبراهين؛ فإن ذلك اسمٌ يَدُلُّ على مقصودها، ويختص بها، لا يقع على غيرها، لم يُسَمِّها **معجزةً**، ولا خرقَ عادةٍ، وإن كان ذلك من بعض صفاتها؛ فهي لا تكون آيةً وبرهاناً حتى تكون قد خرقت العادة، وعجز الناس عن الإتيان بمثلها.

لكن هذا بعضُ صفاتها، وشرطٌ فيها، وهو من لوازمها، لكن شرط الشيء، ولازمه قد يكون أعمَّ منه»[٢].

○ **ثانياً: يقرر أن ورود لفظ المعجز في القرآن لا يدلّ على المعنى الاصطلاحي المتعارف عليه للمعجزة: قال** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما لفظ **المعجز** إنما يدلّ على أنه أعجز غيره، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥١﴾ [الزمر].

وقال: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [العنكبوت: ٢٢]»[٣].

ثم **يعلق** على ذلك **فيقول**: «ومن لا يُثْبِتُ فعلاً[٤] إلا لله يقول: (المعجز هو الله، وإنما سُمِّيَ غيره معجزاً مجازاً).

وهذا اللفظ لا يدلّ على كونه آية ودليلاً إلا إذا فسِّر المراد به، وذُكر شرائطه؛ ولهذا كان كثير من أهل الكلام لا يسمي معجزاً إلا ما كان للأنبياء.

وما كان للأولياء إن أثبت لهم خرق عادة سماها كرامة»[٥].

○ **ثالثاً: يرى أن لا مشاحة في الاصطلاح في شأن المعجزة:** فهو ـ وإن كان قد قرر أَنْ لفظ المعجزة لم يرد به في لسان الشارع، وإنما ورد لفظ الآية والبيِّنة ـ هو مع ذلك يرى أن لا مشاحة في الاصطلاح، طالما أن هذا المصطلح قد شاع، وغلب، وجرى مجرى العرف.

ولهذا كثر استعماله لهذا المصطلح، وإيراده له بكافة تصاريفه؛ فتراه ـ على سبيل المثال ـ **يعقد فصلاً** في بداية كتابه «النبوات»، **ويقول فيه**: «**فصل في معجزات** الأنبياء التي هي آياتهم وبراهينهم..»[٦].

---

(١) النبوات ١/ ٢١٥.
(٢) المرجع السابق٢/ ٨٢٨ ـ ٨٢٩.
(٣) الجواب الصحيح ٥/ ٤١٨.
(٤) يقصد بذلك: الأشاعرة.
(٥) الجواب الصحيح ٥/ ٤١٨ ـ ٤١٩.
(٦) النبوات ١/ ١٢٩.

ويقول في مقدمة «**المعجزات** والكرامات وأنواع خوارق العادات»: «قاعدة شريفة في **المعجزات** والكرامات»[(١)].

ويقول في «النّبوات» في معرض كلام له عن كرامات الأولياء: «فهذه الأمور[(٢)] هي مؤكدة لآيات الأنبياء، وهي ـ أيضاً ـ من **معجزاتهم**...»[(٣)].

ويقول أيضاً: «ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحدٍ قط إلى مثل **معجزات** المرسلين»[(٤)].

ويقول في «منهاج السُّنَّة»: «ودلالة المعجزات طريق من الطرق، وطريق التصديق لا تنحصر في **المعجزات**»[(٥)].

ويقرر في «الجواب الصحيح» أن: «السلف ـ كأحمد وغيره ـ كانوا يسمون هذا وهذا[(٦)] معجزاً، ويقولون لخوارق الأولياء: إنها **معجزات**...»[(٧)].

ويقرر مثل هذا في «المعجزات والكرامات» **فيقول**: «وإن كان اسم **المعجزة** يَعُمُّ كلَّ خارقٍ للعادة في اللغة وعُرْفِ المتقدمين كالإمام أحمد وغيره، ويسمونها الآيات.

لكنْ كثيرٌ من المتأخرينَ يُفَرِّقُ بينهما؛ فيجعل **المعجزة** للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة»[(٨)].

وسيأتي مزيد أمثلة على ذلك في المطلب الثالث عند الكلام على أسماء المعجزات عند ابن تيمية.

---

(١) المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات ص٩.

(٢) يعني بها: كرامات الأولياء. (٣) النبوات ١/ ١٤٢.

(٤) المرجع السابق ١/ ١٤٢.

(٥) منهاج السُّنَّة ٢/ ٢٧٣، وانظر: ٢/ ٥١١، و٣/ ٩٣، و٨/ ١٧٧ و٢٠٧، وانظر: مجموع الفتاوى ٢/ ٨٥، و٤/ ٢٠١ و٢٠٨، و٩/ ١٠٤، و١١/ ٣١١ و٣١٢، و١٣/ ٩٠ و٩٨، و٢٨/ ١٠٦ و٦١٠، والرد على المنطقيين ص٩٨، و١٨٣، و٣٩١، وجامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، المجموعة الخامسة، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٤هـ، ٥/ ١٨٥، وبيان تلبيس الجهمية ١/ ٤٧٨، ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ٩٠ و٩٢، و١٠٤، و٥/ ٣٣٥، و٧/ ١٨٨، و٢٠٨ و٣٠٢ و٣٠٧ و٤١٠، و٨/ ٥٢٢ و٥٢٩، و٩/ ٤١ و٤٤ و١٣٣، وغير ذلك كثير جداً.

(٦) يقصد بهذا وهذا: معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء.

(٧) الجواب الصحيح ٥/ ٤١٩.

(٨) المعجزات والكرامات ص٩، وانظر: ص١٣ و٢٩.

وبهذا يتبين مفهوم كلمة (معجزة) عند ابن تيمية، وأنها مصطلح حادث، وأن الشرع لم يرد به من جهة إطلاقه على ما اصطُلِح عليه من كونه مرادفاً للآية، والبرهان، وأن هذا المصطلح لما غلب صار كالعرف في مجرى كلام السلف؛ فشاع التعبير به أكثر من التعبير بالآية والبرهان.

وبعد أن تبين مفهوم كلمة (معجزات) عند ابن تيمية ينتقل الحديث إلى مفهوم المفردة الأخرى عنده وهي كلمة (الأنبياء).

المسألة الثانية: مفهوم كلمة (الأنبياء) عنده

كلمة (الأنبياء) جمع لكلمة: (نبي)، ومنه (النُّبُوَّة).

وقد اختلف في اشتقاقها، وجذرها الأصلي؛ فهي إما من النبأ الذي يأتي من مكان إلى مكان، وله خطب وشأن، فيكون النبي بمعنى المخبر، والنُّبُوَّة بمعنى الإخبار.

أو من النباوة، أو النَّبْوَة، وكلاهما يدلّ على الارتفاع؛ فتكون النبوة بمعنى الرفعة، والعلو.

أو من النَّبِي: وهو بمعنى: الطريق؛ فتكون النُّبُوَّة بمعنى: الطريق إلى الله ﷻ[1].

والحقيقة أن النبوة الشرعية تشمل كل هذه المعاني؛ إذ النبوة إخبار عن الله ﷻ وهي رفعة لصاحبها؛ لما فيها من التشريف والتكريم، وهي الطريق الموصلة إلى الله ـ سبحانه ـ.

ومع ذلك؛ فإن أولى هذه المعاني بلفظ النبوة والنبي هو اشتقاقها من النبأ؛ لأن النبي مُنَبَّأٌ من الله، وهو ـ كذلك ـ يُنْبِئُ الناس عن الله، وتتحقق نبوته بمجرد ذلك؛ وبهذا تثبت له أوصاف العلو، والارتفاع، وكونه طريقاً إلى معرفة الله ـ جلَّ ثناؤه ـ.

ومصداق ذلك ما يتردد في القرآن من إطلاق النبأ على الخبر، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر]، وقوله: ﴿قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ [التحريم].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة ٥/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥، والغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م، ٦/ ١٧٩٧ ـ ١٧٩٨، ولسان العرب ١/ ١٦٢ ـ ١٦٤.

والنبوة الشرعية صفة تحدث في الشخص بعد أن يصطفيه الله ﷻ فيخبره بخبر السماء، ويأمره بتبليغه(١).

وهي مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها، وهي أشرف العلوم، وأشرف الأعمال(٢).

فهذا ـ بإيجاز ـ هو مفهوم كلمة (الأنبياء) في أصل وضعها اللغوي، وإطلاقِها مفردةً دون أن تضاف إلى كلمة (معجزات).

أما مفهومها عند ابن تيمية فقريب من ذلك، وإن كان قد تطرق لها بمزيد دقة وشمول، وقوة ترجيح، وذلك في كثير من آثاره.

وأجمعُ ما في ذلك ما جاء في كتاب «النّبوات» حيث قرر في ذلك الكتاب حقيقة النبوة، وأوضح مفومها إيضاحاً يَعَزُّ نظيرُه.

كيف إذا كان كتاب «النّبوات» من أواخر ما كتبه ابن تيمية، وأودعه خلاصة آرائه، واجتهاداته(٣).

---

(١) انظر: لسان العرب ١/٢٨٣ ـ ٢٨٤، وعقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية، د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ص١٥ ـ ١٦.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، حقَّقها وراجعها جماعة من العلماء، وخرَّج أحاديثها: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٨، ١٤٠٤هـ، ص١٥٢.

(٣) يقول الدكتور عبد العزيز الطويان في مقدمة تحقيقه لكتاب النبوات: «وبعد استقراء هذا الكتاب، ومقارنته بكتب شيخ الإسلام الأخرى، اتضح لي أن كتاب النبوات من أواخر ما كتب شيخ الإسلام رحمه الله.
وربما لو قلت بأنه ألفه في سجنه الأخير لما كنت مجانباً للصواب، أو مصادماً للحقيقة». النبوات ١/٨٨.
إلى أن قال: «وعلى كل حال: هو أمر تبين لي من خلال الاستقراء، ولا دليل ثابت عليه؛ فهو لا يعدو كونه مجرد احتمال». النبوات ١/٨٨.
إلى أن قال: «والناظر في كتاب «النبوات» يرى أن شيخ الإسلام رحمه الله ذكر فيه كثيراً من المباحث العقدية، والجزئيات الأصولية؛ فهو كالفهرسة لكتبه الأخرى، فيه خلاصة ما كتبه رحمه الله في كتبه السابقة». النبوات ١/٨٨.
وبعد أن ساق الدكتور الطويان عدداً من الأدلة على كون كتاب «النبوات» آخر كتبه قال: «وبعد هذا العرض الموجز لأشهر مؤلفات الشيخ تبين لنا بالدلائل القطعية أن كتاب «النبوات» مما ألف في الشام، وأنه من آخر ما ألف. وقد ضمَّنه خلاصة آرائه، وأفكاره، واجتهاداته». النبوات ١/٩١.

ولقد تطرق فيه لتلك المسألة في عدة مواضع من كتاب «النبوات».

وأَجْمَعُ ما في ذلك ما عقده في فصل من ذلك الكتاب؛ حيث أبان فيه عن مفهوم النبوة، وذلك في معرض كلام له عن آيات الأنبياء، وأنه لا يَعْرِف آياتِهِم إلا مَنْ عَرَف ما اختص به الأنبياء وامتازوا به[(١)].

لذا فإن الكلام على مفهوم كلمة (الأنبياء) سيكون من خلال ما جاء في ذلك الفصل مع مقارنته ببعض ما جاء في كتب ابن تيمية الأخرى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ **مبيناً اشتقاق كلمة (النبوة)**: «النبوة مشتقة من الإنباء»[(٢)].

وقال: «وجمع النبي: أنبياء، مثل ولي وأولياء، ووصيٌّ وأوصياء، وقويّ وأقوياء، ويشبهه: حبيب وأحبّاء، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨].

فـ: (فعيل) إذا كان مُعْتَلاً، أو مضاعفاً جمع على أَفْعِلاء بخلاف حكيم وحكماء، وعليم وعلماء»[(٣)].

ثم قال مبيناً اشتقاق كلمة نبي، والأقوال في ذلك: «وهو من النبأ، وأصله الهمزة، وقد قرئ به، وهي قراءة نافع[(٤)] يقرأ النبيء[(٥)].

---

(١) انظر: النبوات ٢/ ٨٧٣.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٨٧٣.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٨٨١.

(٤) هو: الإمام الحبر القارئ نافع بن عبد الرحمٰن بن أبي نعيم، أبو رويم القارئ المدني مولاهم الليثي، أحد أئمة القراءات السبع، توفي سنة ١٦٩هـ. انظر: حجة القراءات للإمام أبي زرعة عبد الرحمٰن بن محمد بن زنجلة، حقّقه وعلّق عليه: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ص٥١، وجمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي، تحقيق: د. علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م، ٢/ ٤٤٢ ـ ٤٤٥، و٤٤٧ ـ ٤٤٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ جمال الدين أبي الحجاج المزي، حقّقه وضبط نصّه وعلّق عليه: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨، ٧/ ٣٠٩ ـ ٣١٠، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣٦ ـ ٣٣٨، ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي ١/ ١٠٧ ـ ١١٠.

(٥) كان نافع يقرأ بهمز (النبي) يقرؤها (النبيء) بجميع القرآن. انظر: تفسير الطبري، حقّقه وعلّق حواشيه: محمود محمد شاكر، راجعه وخرَّج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر ٢/ ١٤١.

وفي ذلك يقول الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وجمعاً وفرداً في النبيء وفي النبو ءة الهمزَ كلٌّ غيرَ نافع ابدلا

يعني: أن كل القراء غير نافع أبدل الهمزة في لفظ النبيء مجموعاً، ومفرداً، فالمجموع نحو: (الأنبياء، والنبيين، والنبوة). =

لكنْ لما كثر استعماله لُيِّنت همزته كما فُعِل ذلك في الذرية، وفي البرية.

وقد قيل: هو من النَّبْوة، وهي العلوُّ؛ فمعنى النبي: المُعَلَّى، الرفيع المنزلة»[1].

ثم يقول جامعاً بين المعنيين: «والتحقيق أن هذا المعنى داخلٌ في الأول؛ فمن أنبأه الله، وجعله مُنبئاً عنه فلا يكون إلا رفيع القدر علياً.

وأما لفظ العلو والرفعة فلا يدلُّ على خصوص النبوة؛ إذ كان هذا مما يوصف به من ليس بنبي؛ بل يوصف بأنه الأعلى كما قال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وقراءة الهمز قاطعة بأنه مهموز»[2].

ثم ينتقل إلى الحكم على حديث: «أنا نبي الله ولست بنبيء» فيقول: «وما روي عن النبي ﷺ؛ أنه قال: **«أنا نبي الله ولست بنبيء»**: فما رأيت له إسناداً، ولا مُسنداً، ولا مرسلاً، ولا رأيته في شيء من كتب الحديث، ولا السير المعروفة.

ومثل هذا لا يعتمد عليه»[3].

= والمفرد نحو: (النبياء، ونبيء، ونبيئاً) وفي لفظ النبوءة ـ أيضاً ـ. انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام الشاطبي، تأليف: الإمام عبد الرحمٰن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة، تحقيق وتقديم وضبط: إبراهيم عطوه عوض، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ص٣٢٧ ـ ٣٢٩.

(١) النبوات ٢/ ٨٨١.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٨٨٢.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٨٨٨.

هكذا قرر شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀، والحقيقة أن الحديث مذكور في بعض كتب السُّنَّة، فقد أخرج الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٣١ (٢٩٠٦)، عن أبي ذر ﵁ قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبيء الله! فقال رسول الله ﷺ: **«لست بنبيء الله، ولكني نبيُّ الله»**.

قال الحاكم: «هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

وتعقبه الذهبي، وقال: «منكر لم يصح».

وأخرجه العقيلي في الضعفاء (١٠٥٠)، عن عبد الله بن عباس أن رجلاً قال: يا نبيء الله، فقال رسول الله: **«لست بنبيء الله، ولكن أنا رسول الله»**.

وكذا أورده الديلمي في الفردوس (٥٢٨٤).

وقال ابن حجر: «وقد روي حديث همز النبي بإسناد آخر ليِّن، والآخر جاء بإسناد جيد مرسل». لسان الميزان لابن حجر، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، واعتنى بإخراجه وطباعته: سلمان عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، ٥/ ١٥٩. =

ثم بيَّن بعد ذلك أن اللفظين ـ النبيء والنبي ـ مشتركان في الاشتقاق الأكبر[١]؛ فكلاهما فيه النون، والياء.

ففي النبيء: الهمز، وفي النبي: الحرف المعتل[٢].

ثم يقول بعد ذلك: «لكن الهمز أشرف؛ فإنها أقوى.

= وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٥هـ (٥٧٥٩): «ضعيف».

وأخرج أبو بكر بن الخلال في كتابه «السُّنَّة» (٢٠٨) قال: «سألت أحمد بن يحيى ثعلباً النحويَّ عن حديث النبي ﷺ الذي سأله، فقال: «يا نبيء الله ـ وهمز ـ» فقال له النبي ﷺ: «**لست نبيء الله** ـ وهمز ـ **ولكني أنا نبي الله** ـ ولم يهمز ـ» قال: يقول النبي ﷺ: «أنا من الارتفاع، ليس أنا من النباء»».

(١) **الاشتقاق الأكبر**: قسم من أقسام الاشتقاق، وهو أن تتحد الكلمات في بعض، وتختلف في باقيها مع اتحادها في المخرج.

مثل: نعق، نهق؛ فالعين والهاء حرفان حلقيان.

ومثل: هتن، وهطل، وأز، وهزَّ، وهدير الحمام، وهديله.

وهذا القسم وقف عليه ابن جني، ولم يضع له اسماً، وقد أدخله تحت قانون عام سماه «تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني». انظر: الخصائص لابن جني، تحقيق: محمد علي البجاوي، الكتاب العربي، بيروت، ٢/ ١٤٥. وهذا هو الذي يعنيه ابن تيمية بقوله: الاشتقاق الأكبر.

وقد عرَّفه بأنه اشتراك الألفاظ في جنس الحروف دون أعيانها، أو أنه اشتراك اللفظين في أكثر الحروف، وتفاوتهما في بعضهما. انظر: منهاج السُّنَّة النبوية ٥/ ١٩١ ـ ١٩٢، وانظر: الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية، د. هادي أحمد فرحان الشجيري، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، ص١٣٠ ـ ١٣٥.

وبعضهم يسمي هذا النوع من الاشتقاق: الاشتقاق الكُبَار، أو الاشتقاق الأكبر.

ومن يطلق عليه ذلك المسمى يسمي القلب المكاني مثل: (جبذ وجذب، واضمحل وامضحل) الاشتقاق الكبير.

ويسمي النحت: الاشتقاق الكُبَّار: وهو أن يؤخذ من كلمتين فأكثر كلمة واحدة، مثل: (أدام الله عزك: دمعزة، ولا حول ولا قوة إلا بالله: حوقلة وهكذا).

انظر في تفصيل الكلام على الاشتقاق إلى كتاب: نزهة الأحداق للشوكاني، والعلم الخفاق من علم الاشتقاق لصديق خان، والاشتقاق والتعريب لعبد القادر المغربي، والاشتقاق لعبد الله أمين.

(٢) النبوات ٢/ ٨٨٢.

قال سيبويه: هي نَبْوة[١] من الحلق تشبه التهوّع؛ فالمعنى الذي يدلُّ عليه، ويمكن أن تُلَيَّن فتصير حرفاً معتّلاً، فيعبر عنه باللفظين، بخلاف المعتل؛ فإنه يُجْعل همزة؛ فلو كان أصله نبي مثل علي، وولي لم يَجُزْ أن يقال بالهمز كما لا يقال: عليء، ووصيء، ووليء بالهمز.

وإذا كان أصله الهمز جاز تليين الهمزة، وإن لم يكثر استعماله كما في لفظ خبيء وخبيئة»[٢].

ثم يواصل تقويته لكون أصله بالهمز، فيقول: «وأيضاً فإن تصريفه: أنبأ، ونبَّأ ينبئ بالهمزة، ولم يستعمل: ينبو، وإنما يقال: النَّبْوة، وفي فلان عنا نبوة؛ أي: مجانبة»[٣].

ثم ينتهي بعد ذلك إلى ما يرى أنه الفصل في هذه المسألة، فيقول: «فيجب القطع بأن النبي مأخوذ من الإنباء لا من النبوة، والله أعلم»[٤].

هذا وقد **تعرض لمسألة تصريف لفظة النبي**، هل هي فعيل[٥] بمعنى فاعل، أو فعيل بمعنى مفعول؟

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «والنبي: فعيل وقد يكون بمعنى فاعل؛ أي: مُنْبِئ، وبمعنى مفعول؛ أي: مُنَبَّأ.

وهما هنا متلازمان؛ فالنبي: الذي ينبئ بما أنبأه الله به، والنبي: الذي نبأه الله، وهو مُنَبَّأ بما أنبأه الله به»[٦].

لكنه يرى في موضع آخر أن النبي: فعيل بمعنى مفعول.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوى»: «وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي

---

(١) هكذا في الأصل: (نَبْوة) وهي هٰهنا لا معنى لها، ولعل الصواب: (نبرة) لأن الكلام هٰهنا عن الهمزة، ومخرجها.
ولعله اشتبه على الناسخ أو المحقق كون الكلام عن النُبوَّة، وأنها مشتقة من النُبوءة.
ومما يؤكد أنها (نبرة) لا (نبوة) نصُّ عبارة سيبويه في الكتاب؛ حيث يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن الهمزة إنما فَعَل بها هذا من لم يخفِّفْها؛ لأنه بَعُدَ مخرجها، ولأنها نَبْرَة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً؛ فثقل عليهم ذلك؛ لأنه كالتهوُّع». كتاب سيبويه، أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ٣/٥٤٨.

(٢) النبوات ٢/ ٨٨٢ ـ ٨٨٣.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٨٨٣.

(٤) المرجع السابق ٢/ ٨٨٣.

(٥) يعني: على وزن فعيل.

(٦) النبوات ٢/ ٨٧٣.

يحصل بها مقصود النبوة والرسالة؛ فإن النبي هو المُنَبَّأ عن الله، والرسول هو الذي أرسله الله ـ تعالى ـ»[(١)].

بل؛ إنه يرجح في موضع سابق من النبوات أنه فعيل بمعنى مفعول، يقول رَحِمَهُ اللهُ: «ورسول: فعول بمعنى مفعول؛ أي: مرسل؛ فرسول الله: الذي أرسله الله.

فكذلك نبي الله هو بمعنى مفعول؛ أي: مُنَبَّأ الله، الذي نبَّأه الله.

وهذا أجود من أن يقال: إنه بمعنى فاعل؛ أي: مُنبِّئ؛ فإنه إذا نبأه الله فهو نبي الله سواء أنبأ بذلك غيره، أو لم ينبئه؛ فالذي صار به النبي نبياً: أن ينبئه الله»[(٢)].

ومما يقرره في مفهوم النبوة والأنبياء ما يتضمنه لفظ الإنباء من الإعلام والإخبار.

يقول رَحِمَهُ اللهُ: «ولفظ: الإنباء يتضمن معنى الإعلام والإخبار.

لكنه في عامة موارد استعماله أخص من مطلق الإخبار؛ فهو يستعمل في الأمور الغائبة المختصة دون المشاهدة الْمُشتركة»[(٣)].

ثم يورد أمثلة على ذلك، منها: قوله: «كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقال: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [ص].

وقال: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾﴾ [النبأ]»[(٤)].

إلى آخر ما أورد من الأمثلة[(٥)].

فهذا هو خلاصة ما أورده من مفهوم النبوة والأنبياء.

وبهذا يتبين مفهوم معجزات الأنبياء باعتبار مفرديها عند ابن تيمية.



---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٩٠.
(٢) النبوات ٢/ ٦٨٨.
(٣) المرجع السابق ٢/ ٨٧٨.
(٤) المرجع السابق ٢/ ٨٧٩.
(٥) انظر: المرجع السابق ٢/ ٨٧٩ ـ ٨٨٠.

المطلب الثاني

تعريفه لها باعتبار تركيبها

للنظّار والطوائف في تعريف **معجزات الأنبياء** وتحديد مدلولها كلام كثير، وآراء متنوعة تختلف باختلاف نظرتهم للمعجزات، وكثير من هذه الآراء لا تخلو من مآخذ، وإشكالات.

ولعلّ ابن تيمية من أعظم مَنْ تعرض لنقد كثير من الآراء التي تناولت المعجزات بالتعريف، خصوصاً آراء الفلاسفة، والمعتزلة، والأشاعرة في ذلك الشأن.

وقد مرّت الإشارة إلى شيء من ذلك في المسألة الماضية، وسيأتي في غضون مباحث الفصل الثاني تفصيل لذلك.

والذي يعني ههنا ـ تحديد مفهوم المعجزات عنده، والوقوف على تعريفه لها.

والحقيقة أن الناظر في كتب ابن تيمية عموماً، وفي كتبه التي تناولت شأن المعجزات ككتابي «النبوات»، و«الجواب الصحيح» ـ لا يستطيع الوقوف على تعريف محدد لابن تيمية حيال هذا الشأن خلافاً لما عليه الحال في كثير من المصطلحات التي تَرِدُ في كتبه؛ فيوضحها، ويبيِّن المراد منها؛ فهو رحمه الله لم يصرح بتعريف يُصار إليه، ويُعلم أنه تعريف ابن تيمية لمعجزات الأنبياء.

وقصارى ما يمكن الباحث أن يقف عليه من ذلك أن يَسْتَخْلِصَ من مجموع آرائه حول المعجزات، ونقده لتعريفات المتكلمين والطوائف لها ـ تعريفاً يمكن أن يقال عنه: **إنه تعريف ابن تيمية لمعجزات الأنبياء، وتحديده لمفهومها**[1]؛ ذلك أن قيوده، وشروطه التي وضعها لتكون حدّاً لمعجزات الأنبياء، وضابطاً لها ـ مبثوثة في مواضع متفرقة من آثاره.

ومما يعين على ذلك أن يُنظر في تلك النقول التي ساقها، واشتملت على ذكرِ لبعض أفراد القيود والشروط التي يرى أن حدَّ المعجزة لا ينضبط إلا باجتماعها.

---

(١) انظر: خوارق العادات في القرآن الكريم ص٣١ ـ ٥٠.

وبعد ذلك يُسْتَخْلَصُ من تلك النقولِ شروطُ المعجزة عنده، ثم يُسْتنبط من تلك الشروط تعريفٌ يمكن من خلاله أن يقال: **هذا هو حد المعجزة، وضابطها عند ابن تيمية؛ فإلى تلك النقول:**

○ **أولاً: قال** رَحِمَهُ اللهُ **مبيِّناً أن ما يدلّ على النبوة آيةٌ عليها:** «وحقيقة الأمر أن ما يدلّ على النبوة هو آية على النبوة، وبرهان عليها؛ فلا بد من أن يكون مختصّاً بها، لا يكون مشتركاً بين الأنبياء وغيرهم»[(١)].

إلى أن قال: «فآية النبي لا تكون لغير الأنبياء، لكنْ إذا كانت معتادة لكل نبي، أو لكثير من الأنبياء لم يقدح هذا فيها؛ فلا يضرها أن تكون معتادةً للأنبياء»[(٢)].

○ **ثانياً: قال مقرراً أن معجزات الأنبياء من فعل الله، وإقداره:** «لا يقدر عليها مخلوق، لا الملائكة ولا غيرهم كإنزال القرآن، وتكليم موسى»[(٣)].

وقال بعد أن قرر أن كثيراً من المتأخرين يجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وأن جماع ذلك: الأمر الخارق للعادة، وأن صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم، والقدرة، والغنى، **قال:** «وهذه الثلاثة لا تصلح ـ على وجه الكمال ـ إلا لله وحده؛ فإنه الذي أحاط بكل شيء علماً، وهو على كل شيء قدير، وهو غني عن العالمين»[(٤)].

وقال بعد أن ساق جملة من الآيات الدالة على ذلك: «فَأَمَرَه[(٥)] أن يخبر أنه لا يعلم الغيب، ولا يملك خزائن الله، ولا هو مَلَك غني عن الأكل، والمال؛ إن هو إلا مُتَّبع لما أوحي إليه»[(٦)].

ثم بيَّن السبب الذي ينال به ما ينال من العلم، والقدرة، والغنى.

فقال: «وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله ـ تعالى ـ فيعلم منه ما عَلَّمه الله إياه، ويقدر على ما أقدره الله عليه، ويستغني عما أغناه الله عنه من الأمور المخالفة للعادة المطردة، أو لعادة غالب الناس»[(٧)].

ثم ساق جملة من الخوارق من باب العلم، والقدرة والتأثير مما جمعه الله لنبيِّه ﷺ وأقدره عليها[(٨)].

---

(١) النبوات ١/ ١٦٣.
(٢) المرجع السابق ١/ ١٦٣.
(٣) المرجع السابق ١/ ٥٦٠.
(٤) مجموع الفتاوى ١١/ ٣١٢.
(٥) يعني: أمر الله نَبِيَّه ﷺ.
(٦) مجموع الفتاوى ١١/ ٣١٣.
(٧) المرجع السابق ١١/ ٣١٣.
(٨) انظر: المرجع السابق ١١/ ٣١٣ ـ ٣١٨.

وقال في «الصفدية» في معرض مناقشته للفلاسفة: «وقد تبين أن معجزات الأنبياء خارجة عن القوى النفسانية، والطبيعية في العالم العلوي والسفلي، وتبين أن الله خالق كل شيء بمشيئته، وقدرته، وأنه يخلق ما يشاء بالأسباب التي يُحدثها، وللحكمة التي يريدها»[١].

○ **ثالثاً: قال مبيِّناً أن كونَ وصفِ الخارقِ لا ينضبط:** «وكون الآيةِ خارقةً للعادة، أو غيرَ خارقةٍ هو صف ولم يَصِفْه القرآن والحديث، ولا السلف.

وقد بيَّنا في غير هذا الموضع أنه هذا وصف لا ينضبط، وهو عديم التأثير؛ فإن نفس النبوة معتادة للأنبياء خارقة للعادة بالنسبة إلى غيرهم.

إن كون الشخص يخبره الله بالغيب خبراً معصوماً هذا مختصٌّ بهم، وليس هو موجوداً لغيرهم فضلاً عن كونه معتاداً»[٢].

○ **رابعاً: يقول مبيِّناً معنى كون آية النبي خارقةً للعادة:** «فآية النبي لا بد أن تكون خارقة للعادة، بمعنى: أنها ليست معتادة للآدميين؛ لأنها حينئذٍ لا تكون مختصة بالنبي[٣]؛ بل مشتركة»[٤].

○ **خامساً: قال عن خوارق المتنبئين الكذابين:** «وكان هؤلاء يأتون بأمور عجيبة خارقة لعادة أولئك القوم، ولكن ليست خارقة لعادة جنسهم ممن ليس بنبي؛ فَمَنْ صَدَّقهم ظن أن هذا مختص بالأنبياء، وكان هذا من جهلهم بوجود هذا لغير الأنبياء»[٥].

○ **سادساً: قال في معرض مناقشته للأشاعرة في تعريف المعجزة:** «لكن كونها[٦] خارقة للعادة، ولا تمكن معارضتها هو من لوازمها، ليس حدّاً مطابقاً لها»[٧].

---

(١) الرسالة الصفدية، قاعدة في تحقيق الرسالة وإبطال قول أهل الزيغ والضلالة لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق: أبو عبد الله سيد بن عباس الجليمي، وأبو معاذ أيمن بن عارف الدمشقي، أضواء السلف، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م، ص٢٣٩.

(٢) النبوات ١/ ١٦٣، وانظر: الجواب الصحيح ٥/ ٤١٢ ـ ٤٢١، و٦/ ٤٠٠ و٤٩٦ ـ ٥٠٥، ومنهاج السُّنَّة النبوية ٣/ ٣٢٨.

(٣) يعني: أنها إذا كانت معتادة للآدميين لم تكن خاصة بالأنبياء.

(٤) النبوات ١/ ١٦٤.

(٥) المرجع السابق ١/ ١٦٩.

(٦) أي: المعجزة.

(٧) النبوات ٢/ ٧٧٥.

وقال أيضاً: «آيات الأنبياء لا تكون إلا خارقة للعادة، ولا تكون مما يقدر أحد على معارضتها؛ فاختصاصُها بالنبي، وسلامتُها من المعارضة شرط فيها؛ بل وفي كل دليل؛ فإنه لا يكون دليلاً حتى يكون مختصّاً بالمدلول عليه، ولا يكون مختصّاً إلا إذا سلم من المعارضة»[١].

○ سابعاً: **قال في معرض نقده لبعض من عَرَّف المعجزة:** «فإذا قيل لهم: المعجزة هي الفعل الخارق للعادة، والمقرون بالتحدي.

أو قيل ـ مع ذلك ـ: الخارق للعادة، السليم من المعارضة ـ فكونه خارقاً للعادة ليس أمراً مضبوطاً»[٢].

ثم يعلل لذلك بقوله: «فإن أريد به أنه لم يوجد له نظير في العالم ـ فهذا باطل؛ فإن آيات الأنبياء بعضها نظير بعض؛ بل النوع الواحد منه؛ كإحياء الموتى هو آية لغير واحد من الأنبياء.

وإذا قيل: إن بعض الأنبياء كانت آيته لا نظير لها كالقرآن والعصا، والناقة ـ لم يلزم ذلك في سائر الآيات»[٣].

ثم يزيد الأمر إيضاحاً فيقول: «ثم هب أنه لا نظير لها في نوعها، لكن وُجِدَ خوارق العادت للأنبياء غير هذا؛ فنفس خوارق العادات معتادٌ جنسه للأنبياء؛ بل هو من لوازم نبوتهم مع كون الأنبياء كثيرين»[٤].

إلى أن يقول: «وإن عُني بكون المعجزة هي الخارقةَ للعادة: أنها خارقةٌ لعادة أولئك المخاطبين؛ بحيث ليس فيهم مَنْ يقدر على ذلك ـ فهذا ليس بحجة؛ فإن أكثر الناس لا يقدرون على الكهانة والسحر ونحو ذلك.

وقد يكون المخاطبون بالنبوة ليس فيهم هؤلاء كما كان أتباع مسيلمة[٥]،

---

(١) النبوات ١/ ٥٠٠ ـ ٥٠١.
(٢) المرجع السابق ١/ ١٧٠.
(٣) المرجع السابق ١/ ١٧٠ ـ ١٧١.
(٤) المرجع السابق ١/ ١٧١.
(٥) هو: مسيلمة بن ثمامة بن كبير الحنفي الوائلي، متنبئ، ولد، ونشأ باليمامة في بلدة الجبيلة بوادي حنيفة، وقد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ في آخر سنة عشر، وزعم أنه اشترك مع النبي ﷺ في النبوة، وكان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات، وقد بعث إليه أبو بكر خالدَ بن الوليد في جيش؛ فأهلكه الله على يد وَحْشِيّ غلام مطعم بن عدي، قاتل حمزة بن عبد المطلب. انظر: مجموع الفتاوى ١١/ ٢٨٥، وشذرات الذهب ١/ ٢٣١.

والعنسي[١]، وأمثالهما لا يقدرون على ما يقدر عليه هؤلاء»[٢].

○ **ثامناً: قال في معرض كلام له حول الفروق بين آيات الأنبياء وغيرها:** «أن تلك[٣] ليست خارقة لعادة بني آدم؛ بل كل ضرب منها معتاد لطائفة غير الأنبياء.

وأما آيات الأنبياء فليست معتادة لغير الصادقين على الله، ولمن صَدَّقهم»[٤].

○ **تاسعاً: قال في فصل أوضح فيه أن آيات الأنبياء دليل وبرهان:** «فحَدُّها حَدُّ الدليل والبرهان، وهي أن تكون مستلزمة لصدق النبي؛ فلا يُتَصور أن توجد مع انتفاء صدق مَنْ أخبر أن الله أرسله»[٥].

○ **عاشراً: قال في سياق كلام له عن أقوال الناس بشأن تسمية المعجزات بخرق العادة:** «**الثاني**: أن خرق العادة شرطٌ فيها، وليس بحدٍّ لها؛ فيجب أن تكون[٦] خارقة للعادة، ولكن ليس كلُّ خارق للعادة يكون آيةً لنبي؛ كأشراط الساعة.

بل أن يقع على وجه مخصوص، مثل دعوى النبوة، أو الاستدلال بها، والتحدي بمثلها مع عجز الناس عن معارضته»[٧].

○ **حادي عشر: يقرر في موضع آخر:** «أن معنى كون الآية الخارقة للعادة: أنها لا توجد إلا للنبوة لا مرة، ولا أقل، ولا أكثر؛ فالعادة هنا تثبت بمرة»[٨].

○ **ثاني عشر: قال:** «فصل: في معنى خرق العادة وأن الاعتبار أن تكون خارقة لعادة غير الأنبياء مطلقاً بحيث تختص بالأنبياء؛ فلا توجد إلا مع الإخبار بنبوتهم»[٩].

○ **ثالث عشر: قال مبيِّناً سبب الغلط في تحديد مفهوم آيات الأنبياء:** «ومن هنا دخل الغلط على كثير من الناس؛ فإنهم لما رأوا آيات الأنبياء خارقة للعادة لم يعْتَدِ الناس مثلها ـ أخذوا مسمى خرق العادة، ولم يميزوا بين ما يختص به الأنبياء، ومَنْ أخبر بنبوتهم وبين ما يوجد معتاداً لغيرهم»[١٠].

---

(١) انظر ترجمة الأسود في: البداية والنهاية ٦/٣١١، وسيأتي مزيد تعريف به عند الكلام على أن من أصناف المتلبسين بالأحوال الشيطانية ـ مدعي النبوة.
(٢) النبوات ١/١٧٢، وانظر: ١/١٧٣ ـ ١٧٤.
(٣) يعني: خوارق الكهان وأحوال الشياطين.
(٤) النبوات ١/٥٥٩.
(٥) المرجع السابق ٢/٧٨٢.
(٦) يعني: المعجزة.
(٧) النبوات ٢/٧٨٥ ـ ٧٨٦، وانظر: الجواب الصحيح ٦/٤٠١.
(٨) النبوات ٢/٨٠٠.
(٩) المرجع السابق ٢/٨٢٦.
(١٠) المرجع السابق ٢/٨٢٨.

إلى أن قال: «فهي لا تكون آية وبرهاناً حتى تكون قد خرقت العادة، وعجز الناس عن الإتيان بمثلها.

لكن هذا بعض صفاتها، وشرط فيها، وهو من لوازمها.

لكن شرط الشيء، ولازمه قد يكون أعم منه»[١].

○ رابع عشر: **قال في معرض كلام له عن تسمية آيات الأنبياء خوارق، وعجائب، ومعجزات:** «فالذين سموا هذه الآيات: خوارق للعادات، وعجائب، ومعجزات إذا جعلوا ذلك شرطاً فيها، وصفة لازمةً لها؛ بحيث لا تكون الآيات إلا كذلك فهذا صحيح ـ وإن كانت هذه الأمور قد تُجعل أمراً عامّاً؛ فتكون متناولةً لآيات الأنبياء وغيرها كالحيوان الذي ينقسم إلى إنسان وغير إنسان ـ.

وأما إذا جعلوا ذلك حدّاً لها، وضابطاً ـ فلا بد أن يُقَيِّدوا كلامهم مثل أن يقولوا: خوارق العادات التي تختص[٢] الأنبياء، أو يقولوا: خوارق عادات الناس كلهم غير الأنبياء»[٣].

ثم يعلل ذلك بقوله: «فإن آياتهم[٤] لا بد أن تخرق عادة كل أمة من الأمم، وكل طائفة من الطوائف، لا تختص آياتهم بخرق عادة بلد معين، ولا مَنْ أرسلوا إليه.

بل تخرق عادةَ جميعِ الخلق إلا الأنبياء، فما كان معتاداً للأنبياء دون غيرهم فهو من أعظم آياتهم وبراهينهم وإن كان معتاداً لهم»[٥][٦].

ويقرر بعد ذلك أنه لا يوجد خرقُ عادةٍ لجميع الناس إلا وهو من آيات الأنبياء، وأن شرط الآيات ألا يكون لها نظير في العالم لغير الأنبياء ومن يشهد بالنبوة، وأنها خارقة لعادات الثقلين: الجن والإنس[٧].

○ خامس عشر: **قال: مبيِّناً أن الكرامات لا تنال بسبب، وإنما هي محض اختيار الله، ومقتضى علمه، وحكمته، وعدله، ورحمته:** «فأمرُ الآيات إلى الله، لا إلى اختيار المخلوق.

---

(١) النبوات ٢/٨٢٨ ـ ٨٢٩.

(٢) هكذا في النبوات ٢/٨٤٨ ت. الطويان، ولعل الصواب: (تخص الأنبياء)، أو (تختص بالأنبياء)، وفي تحقيق د. محمد يسري سلامة ص٥٥٣: (تختص بالأنبياء).

(٣) النبوات ٢/٨٤٨.

(٤) يعني: الأنبياء.

(٥) النبوات ٢/٨٤٨ ـ ٨٤٩، وانظر: ٢/ ٨٥٠ ـ ٨٥١.

(٦) يعني: الأنبياء.

(٧) انظر: النبوات ٢/ ٨٥٥ و٨٥٩ و٨٦٠ و٨٦٣ و١٠٨٢ و١٠٨٤.

والله يأتي بها بحسب علمه، وحكمته، وعدله، ومشيئته، ورحمته»[١].

فهذه جملة من النقول التي عليها مدار تحديد مفهوم معجزات الأنبياء، وحَدِّها عند ابن تيمية.

ومن خلال ما مضى يتبيَّن أنه رَحِمَهُ اللهُ يشترط لتعريفها جملة من الشروط يمكن إجمالها من خلال ما مضى فيما يلي:

١ ـ أن تكون من فعل الله، وإقداره، ومحض اختياره؛ فليس للنبي إلا استدعاؤها.

٢ ـ اختصاصها بالأنبياء وإن كانت معتادة لهم.

٣ ـ أن تكون خارقة لعادة الثقلين: الجن والإنس من غير الأنبياء.

٤ ـ سلامتها من المعارضة، فلا يستطيع أحد من المخاطَبين أن يعارضها.

٥ ـ جريانها على مقتضى حكمة الله، وعدله، ورحمته.

فهذه ـ بإجمال ـ شروط المعجزة عند ابن تيمية، وبعضها داخل في بعض، قريب من بعض[٢].

وبناءً على ذلك؛ فإنه يمكن أن يقال: إن تعريف ابن تيمية للمعجزات هو أنها: **أمر يجريه الله ـ تعالى ـ خارقٌ لعادة الثقلين، مختص بالأنبياء، سالم من المعارضة.**

والمقصود بـ: **(أمر)** أنه شيء يحدث، ويحصل بقدر الله عَزَّ وَجَلَّ.

والمقصود بـ: **(يجريه الله)** أن المعجزة محض فعل الله، واختياره، ومقتضى حكمته، وعدله، ورحمته، لا لمحض المشيئة.

والمقصود بأنه **(خارق لعادة الثقلين)**؛ أي: أنه عارٍ عن الأسباب المعقولة المعتادة في الكون للجن والإنس عدا الأنبياء.

ويفَسِّر ذلك أنه **(مختص بالأنبياء)**، و**(سالم من المعارضة)** فلا تُعارَض المعجزة بمثلها، أو أقوى منها؛ بل ما كان من ذلك فهو يعضدها، ويؤيدها.

واختصاص المعجزة بالأنبياء: يُخرج الأولياء، والسحرة، والكهان، وجميع من عدا الأنبياء من أصحاب الخوارق.

---

(١) النبوات ٢/١٠٨٥، وانظر: الجواب الصحيح ٥/٤١٢ ـ ٤٢١.

(٢) انظر: خوارق العادات في القرآن الكريم ص٥٦ ـ ٥٧، والنبوة عند ابن تيمية ص٢٨٠ ـ ٢٨١.

ويلاحظ في التعريف خُلُوُّه من شرطي: **اقتران المعجزة بدعوى النبوة، والتحدي بالمثل**.

وإن كان التحدي بالآيات قد يكون صراحة كالتحدي بأن يأتوا بمثل القرآن، أو حكماً كنبع الماء بين أصابع النبي ﷺ[(١)].

فابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ لا يرى هذين الشرطين، وإن كان يرى أن التحدي لازم للمعجزات، وأن الأنبياء لم يَتَحَدُّوا بها ابتداءاً، وإنما كان التحدي يحصل إذا حصل التكذيب[(٢)].

فالتعبير بكون المعجزة (**مختصة بالأنبياء**) أصحُّ من التعبير بكونها مقترنةً بدعوى النبوة؛ لأن كثيراً من المعجزات لم تقترن بدعوى النبوة ـ كما مرَّ ـ وكما في المعجزات التي حصلت قبل مبعث النبي ﷺ.

ثم إن في التعبير بأنه (**أمر يجريه الله... مختص بالأنبياء**) عمومَ شمولٍ لكل ما يجري من الخوارق للأنبياء سواء جرى ذلك **على** أيديهم، أو **لهم**، وسواء كان ذلك في حياتهم، أو قبلها، أو بعدها، وسواء كان ذلك بعلمهم، أو بغير علمهم.

فالتعبير بذلك أولى من التعبير بأنه: أمر يجريه الله على يد نبيٍّ من أنبيائه...

فهذا هو التعريف الذي يمكن أن يقال: إنه التعريف الذي يجمع القيود التي يراها ابن تيمية شروطاً للمعجزة، والله أعلم.

وهو بذلك يوسع مدلول المعجزة من جهة؛ حيث يُخَلِّصه من قيود لا أصل لها.

وفي الوقت نفسه يحدده؛ حتى لا يدخل فيه ما ليس منه من بقية الخوارق.

هذا ويكاد تعريف المعجزة، وشروطها، ومسألة اقتران المعجزة بدعوى النبوة، والتحدي بالمثل، والتباس المعجزة بالكرامة، والأحوال الشيطانية ـ يكون هو مدارَ معظم كلامه عن معجزات الأنبياء؛ لذا فإن تفصيل تلك المسائل سيرد في غضون المباحث التالية، خصوصاً المبحث الثاني من هذا الفصل، ألا وهو منهجه في معجزات الأنبياء عموماً.



---

(١) انظر: البخاري (٣٥٧٣)، ومسلم (٢٢٧٩).

(٢) انظر: النبوات ١/ ٦٠٤، و٢/ ٧٩٤، وانظر كلاماً نحوه في: الجواب الصحيح ٦/ ٣٨٠ و٤٠٨ و٤٩٦، وسيأتي مزيد إيضاح وتفصيل لهذه المسألة في: المطلب الثاني من المبحث الثاني من هذا الفصل.

المطلب الثالث

أسماؤها عنده

معجزات الأنبياء مصطلح له مدلوله، ومفهومه ـ كما مرَّ ـ.

ولهذا المصطلح أسماء وألقاب عدّة، تدل عليه، ويُعَبَّر بها عنه.

ويُلْحَظ من خلال التتبع والاستقراء لآثار ابن تيمية أنه في غضون كلامه على هذا المصطلح يستعمل أسماءاً أخرى مرادفة لذلك الاسم، وأنه يراوح في استعماله لها، وربما ارتضى بعضها أكثر من بعض، وإن كان لا يمانع في استعمال الأسماء الأخرى المرادفة لها.

كما يلحظ ـ أيضاً ـ أن إيراده لتلك الأسماء يتفاوت؛ فبعضها يستعمله بكثرة، وبعضها بقلة، وبعضها بِنُدْرة، كما يلحظ أن سياق الكلام قد يجعله يستعمل اسماً دون غيره، وهكذا..

وفيما يلي بيان لذلك بشيء من البسط.

١ ـ **معجزات الأنبياء**: هكذا بإضافة كلمة (**معجزات**) إلى كلمة (**الأنبياء**).

وقد سبق الكلام على هذا المسمى في المطلب الأول، وأنه مما اصطُلِح عليه، وغلب على خوارق الأنبياء. وهو استعمال شائعٌ كثيرٌ جدّاً عنده.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في أول كتاب «النّبوات»: «**فصل في معجزات الأنبياء**...»[1].

وقال: «ومن الناس من فَرَّقَ بين **معجزات الأنبياء**، وكرامات الأولياء، بفروق ضعيفة»[2].

وقال في معرض مناقشته للأشاعرة: «ولما أرادوا إثبات **معجزات الأنبياء** عَلَيْهِمُ السَّلَامُ...»[3].

---

(١) النبوات ١/ ١٢٩.
(٢) المرجع السابق ١/ ١٣٨.
(٣) المرجع السابق ١/ ٤٨٠، وانظر: ١/ ٥٠٤، و٢/ ٨٠٢ و٨٢٠ و١٠٤٣، ومجموع الفتاوى ١١/ ٣٢٤.

٢ ـ **المعجزة**: بالإفراد والاقتران بـ(أل): وهذه التسمية ترد كثيراً عند ابن تيمية، ومن ذلك **قوله** في «النبوات»: «ولم يذكروا بين **المعجزة** والسحر فرقاً معقولاً»[(١)].

وقال: «ودلّت **المعجزة** على صدقه، والنبي معصوم...»[(٢)].

وقال: «فإن قيل لهم: **المعجزة** هي الفعل الخارق للعادة...»[(٣)].

وقال: «وللناس طرق في دلالة **المعجزة** على صدق الرسول»[(٤)].

وقال في «منهاج السُّنَّة»: «**الوجه الثالث**: أنّا لا نسلّم أن دلالة **المعجزة** على الصدق موقوفة على أنه لا يجوز أن يفعل ما ذكر؛ بل دلالة **المعجزة** على الصدق دلالة ضرورية...»[(٥)].

٣ ـ **المعجزات**: بالجمع، والاقتران بـ(أل)، وهي من الأسماء التي يكثر إيرادها جدّاً عند ابن تيمية.

يقول رحمه الله في «النبوات»: «وكيف ينفصل ـ مع ذلك ـ **المعجزات** من السحر؟»[(٦)].

وقال: «ومن خصائص **المعجزات**؛ أنه لا يمكن معارضتها...»[(٧)].

وقال: «**الوجه الثالث**: أن يقال: نحن نسلم أن **المعجزات** تدلُّ على الصدق...»[(٨)].

وقال في «منهاج السُّنَّة»: «دلالة **المعجزات** طريق من الطرق، وطريق التصديق لا تنحصر في **المعجزات**»[(٩)].

---

(١) النبوات ١/١٣٧.
(٢) المرجع السابق ١/١٤٣.
(٣) المرجع السابق ١/٧٠.
(٤) المرجع السابق ٢/٦٨٤، وانظر إلى: ١/٢١٧ و٢١٨ و٣٨١، و٢/٧٩٠ و٨٤١، ومجموع الفتاوى ٤/٢١٤، و١١/٣١١، والجواب الصحيح ٢/٤٣، ٥/٤١٢، ٦/٥٠٤، والرسالة الصفدية ص٤٧، ١٦٠، ٢٣٩.
(٥) منهاج السُّنَّة ٣/٩٤، وانظر: ٢/٢٠٧، ٢١٤، ودرء تعارض العقل والنقل ١/٣٠٧، و٢/١٦، و٩/٥٦.
(٦) النبوات ١/٢٢٧.
(٧) المرجع السابق ١/١٩٥.
(٨) المرجع السابق ١/٢٣٧، وانظر: ١/٢٣٢ و٢٣٣ و٢٣٥ و٢٣٦ و٢٣٧ و٢٣٨ و٤٨١ و٥٤٨ و٥٤٩ و٥٥١، ٢/٧٩ و٧٩٨ و٨٢٨.
(٩) منهاج السُّنَّة ٢/٢٧٣، وانظر: ٢/٥١١، و٣/٩٣، و٨/١٧٧ و٢٠٧، ومجموع الفتاوى ٤/٢٠١ و٢٠٨، و١١/٣١١ و٣١٥، و١٤/٥٧، والرد على المنطقيين ص٩٨، و٣٩١، وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف =

٤ - **المُعجز**: وهي تسمية ترد عند ابن تيمية أحياناً، ويريد بها معجزات الأنبياء.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النبوات»: «باب القول في الفصل بين **المعجز** والسحر»[(١)].

وقد وردت هذه التسمية عنده مراراً في النبوات[(٢)]، وفي «مجموع الفتاوى»[(٣)]، و«الجواب الصحيح»[(٤)]، و«منهاج السُّنَّة»[(٥)]، و«درء تعارض العقل والنقل»[(٦)].

٥ - **معجزات**. ٦ - **معجزة**.

٧ - **معجز**: مجردةً من (أل) والإضافة: بالجمع تارة، وبالإفراد: بالتاء تارة، وبدونها تارة.

وهي مسميات يوردها ابن تيمية أحياناً، ويعبِّر بها عن آيات الأنبياء.

ومن ذلك قوله: «والسلف - كأحمد وغيره - يسمون هذا **معجزاً**، ويقولون لخوارق الأولياء: **معجزات**»[(٧)].

وقوله: «إن المسيح ظهرت على يديه **معجزات** كما ظهرت لسائر المرسلين»[(٨)].

وقوله: «فإن قال قائل: قد دللتَ على جواز بعثة الرسل؛ فما الدليل على أن الأنبياء الذين بعثهم الله إلى خلقه مَنْ ذكرتم دون غيرهم؟

قيل: الدليل على ذلك أنه قد نُقِل إلينا من الجهات المختلفات التي لا يجوز على ناقليها الكذب أنهم أتوا **بمعجزات** تخرج عن عادة الخلق...»[(٩)].

إلى أن قال: «فدلَّ على أنهم هم الأنبياء دون غيرهم ممن ادعى النبوة، ولم يكن لهم **معجزة** تدلُّ على صدقهم»[(١٠)].

= الشريف، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط١، ١٤٢٦هـ، ١/ ٤٧٨، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط٢، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ١/ ٩٠ و٩٢ و١٠٤، و٥/ ٣٣٥، و٧/ ١٨٨ و١٩٩ و٢٠٨ و٣٠٢ و٣٥٦ و٤١٠ و٤٣٧ و٤٣٨، و٨/ ٣٥٤ و٥٢٢ و٥٢٩، و٩/ ٤١ و٤٤ و١٣٣، والجواب الصحيح ١/ ٨٦ و١٤٤ و٢٣٩، و٢/ ٢٢، و٦/ ٦٩، والرسالة الصفدية ص١٨٠، ١٨٨.

(١) النبوات ١/ ٢٢٥.

(٢) انظر: المرجع السابق ١/ ٢٢٨ و٢٢٩ و٢٣٦، و٢/ ٩٣١.

(٣) ١٤/ ٢٧١.

(٤) ٦/ ٣٩٩.

(٥) ٣/ ٩٥.

(٦) ٩/ ٤٠.

(٧) الجواب الصحيح ٥/ ٢١٩.

(٨) المرجع السابق ٤/ ٢٤، وانظر: ٥/ ٤١٢.

(٩) جامع المسائل ٥/ ١٨٥.

(١٠) المرجع السابق ٥/ ١٨٥.

٨ ـ **معجزات المرسلين**: بالجمع، والتنكير مضافة إلى المرسلين.

وهي من التسميات التي يوردها بقلة، كما في **قوله**: «ومع هذا فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل **معجزات المرسلين**»[١].

وقوله: «**ومعجزات بعضهم** ـ أي: المرسلين ـ أعظم من معجزاته[٢]»[٣].

٩ ـ **معجزات الرسل**: وهي كسابقتها من جهة ندرة إيراده لها كما في **قوله**: «**فما الفصل بين هذا وبين معجزات الرسل**»[٤].

١٠ ـ **معجزات مضافة إلى أحدٍ من الأنبياء**: فأحياناً يضيف كلمة (معجزات) إلى نبي من الأنبياء بعينه كأن **يقول**: «**معجزات موسى والمسيح** عليهما السلام»[٥].

أو يقول: «**ومعجزات المسيح** عليه السلام»[٦].

أو يقول: «**ومعجزات محمد** ﷺ»[٧].

١١ ـ **معجز الأنبياء**: وهي تسمية نادرة جدّاً، **يقول** رحمه الله في معرض كلام له عن أن آيات الأنبياء خارقة لغيرهم: «فلا تقدر الإنس والجن أن يأتوا بمثل: **معجز الأنبياء**»[٨].

١٢ ـ **آيات الأنبياء**: وهذا الاسم أكثر الأسماء وروداً عند ابن تيمية، وأرضاها لديه.

وقد مرَّ في المدخل، والمطلب الأول من هذا المبحث إيراد لبعض النصوص المشتملة على ذكر ذلك الاسم.

ومما أورده ـ أيضاً ـ **قوله**: «. . . فهذه الأمور مؤكدة **لآيات الأنبياء**»[٩].

وقوله: «عن تقسيم خوارق العادات» فيقال: المراتب ثلاثة: **آيات الأنبياء**. . .»[١٠].

وقوله: «إن جنس **آيات الأنبياء** خارجة عن مقدور البشر؛ بل عن مقدور جنس الحيوان»[١١].

---

(١) النبوات ١/١٤٢.

(٢) يعني: المسيح عليه السلام.

(٣) الجواب الصحيح ٤/٢٢.

(٤) النبوات ١/٢٢٧.

(٥) الجواب الصحيح ٢/٤٤.

(٦) المرجع السابق ٢/٤٤ و٣٥١.

(٧) المرجع السابق ٢/٢٢ و٤٤.

(٨) النبوات ١/٥٠٢.

(٩) المرجع السابق ١/١٤٢.

(١٠) المرجع السابق ١/١٤١.

(١١) المرجع السابق ١/١٤٤.

وقوله: «فلا بد أن تكون **آيات الأنبياء** خارجة عن مقدور الجن»[١].

وقوله: «ولهذا يجب في **آيات الأنبياء** ألا يعارضها من ليس بنبي»[٢].

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً[٣].

١٣ ـ الآياتُ المعجزاتُ: بحيث يذكر الآيات، ويصفها بالمعجزات.

وهذا الاسم نادراً ما يورده كما في **قوله**: «ومن المعلوم أن الذين نقلوا ما دعا إليه محمد ﷺ من الدين والشريعة، ونقلوا ما جاء به من **الآيات المعجزات** أعظم من الذين نقلوا مثل ذلك عن موسى وعيسى عليهما السلام»[٤].

وقوله: «ولهذا يكون لهذه **الآيات المعجزات** حرمة؛ كالناقة[٥]، والماء النابع بين أصابع النبي ﷺ، ونحو ذلك»[٦].

١٤ ـ الآيات الكبرى أو الكبيرة: وهي عنده مقابل تسمية الكرامات بالآيات الصغرى؛ فالمعجزات: آيات كبرى أو كبيرة، والكرامات: آيات صغرى أو صغيرة عنده.

قال رحمه الله: «لكن آياتهم[٧] صغائر، **وكبائر** كما قال الله: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [النازعات].

فلله آيات كبيرة، وصغيرة.

وقال عن نبيِّه محمد: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم].

فالآيات الكبرى مختصة بهم[٨]، وأما الآيات الصغرى فقد تكون للصالحين مثل تكثير الطعام»[٩].

وهذه التسمية **نادرة** عنده.

١٥ ـ الآية. ١٦ ـ البينة.

١٧ ـ البرهان: وهي من التسميات التي يرتضيها، ويكثر من إيرادها، وغالباً ما تكون عنده مقرونة ببعض.

---

(١) النبوات ١/١٥١.

(٢) المرجع السابق ١/١٦٩.

(٣) انظر على سبيل المثال إلى: الجواب الصحيح ٥/٤١٢، والنبوات ١/١٩٥ و٢٣٠ و٤٩٨ و٥٠٠ و٥٠٢ و٥٠٨ و٥٢٢ و٥٥٦ و٥٣٤ و٥٣٥ و٥٥٨ و٥٥٩ و٥٦٠ و٦٠٣ و٦٠٦ و٦٠٧، و٢/ ٦٨٠، و٧/ ٧٧٨ و٧٩٤ و٨٠٠ و٨٠١ و٨٠٦ و٨٠٧ و٨١١ و٨٢٣ و٨٢٥ و٨٢٩.

(٤) مجموع الفتاوى ١٤/ ٢٠١.

(٥) يعني: ناقة صالح عليه السلام.

(٦) مجموع الفتاوى ١٥/ ١٠٢.

(٧) يعني: الأنبياء والأولياء.

(٨) يعني: الأنبياء عليهم السلام.

(٩) النبوات ٢/ ٨٠٣.

وقد تأتي عنده مفردة مقرونة بـ(أل) ـ كما مرَّ ـ وقد تأتي مفردةً مُنَكَّرةً: **آية**، **بينة**، **برهان**، وقد تأتي مجموعة مُنَكَّرة: **آيات**، **بينات**، **براهين**، وقد تأتي مجموعة مقرونة بـ(أل): **الآيات**، **البينات**، **البراهين**.

وقد وردت الإشارة إلى شيء من ذلك عند تعريف كلمة (معجزة) في المطلب الماضي.

ومن الأمثلة على ذلك مما يورده على هذا النحو: **قوله في مقدمة «النّبوات»**: «فصل في معجزات الأنبياء التي هي **آياتهم**، **وبراهينهم**، كما سماها الله **آيات**، **وبراهين**»[(١)].

وقوله: «وحقيقة الأمر أن ما يدلّ على النبوة هو **آية** على النبوة، **وبرهان** عليها»[(٢)].

وقوله: «فصل في **آيات** الأنبياء **وبراهينهم**، أو هي الأدلة، والعلامات المستلزمة لصدقهم»[(٣)].

وقال: «فالآيات التي تكون **آيات** للأنبياء هي دليل **وبرهان** والله ـ تعالى ـ سماها **برهاناً** في قوله لموسى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٣٢]، وهي العصا واليد»[(٤)].

وعقد في «الجواب الصحيح» فصلاً **قال فيه**: «فصل: (التحقيق في اسم المعجزة، **والآية**، والكرامة وإطلاقهن):

والآيات، **والبراهين** الدالة على نبوة محمد ﷺ كثيرة متنوعة...»[(٥)].

إلى أن قال: «وهذه الألفاظ إذا سميت بها **آيات** الأنبياء كانت أدلّ على المقصود من لفظ المعجزات.

ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسُّنَّة، وإنما فيه لفظ: **الآية**، **والبيِّنة**، **والبرهان**»[(٦)].

١٨ ـ **آيات النبوة**: وهي من الأسماء النادرِ إيرادُه لها، كما في **قوله**: «ليست

---

(١) النبوات ١/١٢٩. (٢) المرجع السابق ١/١٣٢.
(٣) المرجع السابق ١/٢١٣.
(٤) المرجع السابق ٢/٧٨٢، وانظر: ١/١٤١ و١٤٢ و١٤٤ و١٦٣ و١٦٩، و٢/٧١٥ و٧٨٥.
(٥) الجواب الصحيح ٥/٤١٤.
(٦) المرجع السابق ٥/٤١٢، وانظر: الرد على المنطقيين ص٣٩١.

آيات النبوة دالة على أنه وحده الصادق في قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

بل الآيات تصدقه، وتصدق كلَّ مَنْ شهد له بالرسالة»[١].

١٩ ـ **آية النبي**: وهذه التسمية كسابقتها؛ من جهة ندرة إيراده لها، كما في **قوله**: «فآية النبي هي دليل صدقه»[٢].

٢٠ ـ **الآيات الخارقة**: ويريد بها معجزات الأنبياء، وهي من التسميات النادرة[٣].

٢١ ـ **خوارق العادات للأنبياء**: وهي ـ كذلك ـ مما يوردها بقِلّة، كما في **قوله** في معرض نقده لبعض مَنْ عَرَّف المعجزة: «هَبْ أنه لا نظير له في نوعها، لكن وجد **خوارق العادات للأنبياء** غير هذا»[٤].

٢٢ ـ **الخوارق**: وهي عامة شاملة لجميع خوارق العادات، وقد يطلقها، ويريد بها معجزات الأنبياء، كما في **قوله**: «فإنه من لم يُفَرِّق بين **الخوارق** التي تكون آيات، وبراهين، ومعجزات للأنبياء، وتكون مما يكرم الله به الأولياء، وبين التي تكون للسحرة والكهان وغيرهم من حزب الشيطان، وإلا اشتبه عليه الأنبياء وأتباعهم وأولياء الله المتقون بالمتنبين الكذابين...»[٥].

٢٣ ـ **خوارق العادات**: وهذه التسمية كسابقتها من جهة شمولها لجميع الخوارق، وقد يطلقها، ويريد بها معجزات الأنبياء كما في **قوله**: «والمقصود: أن من أنكر **خوارق العادات** مطلقاً للأنبياء وغيرهم ـ كان كافراً باتفاق أهل الملل»[٦].

٢٤ ـ **الخارق الديني**: وهو مما يورده نادراً، وذلك كما في **قوله** في معرض كلام له عن أنفع الخوارق: «وأنفع الخوارق: **الخارق الديني**، وهو حال نبينا محمد ﷺ.

قال ﷺ: **«ما من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»** أخرجاه في «الصحيحين»[٧]»[٨].

---

(١) النبوات ١/ ٨٨١.
(٢) المرجع السابق ١/ ٤٩١.
(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١٣/ ٩.
(٤) النبوات ١/ ١٧١.
(٥) جامع المسائل ١/ ٩٥.
(٦) المرجع السابق ١/ ٩٧.
(٧) البخاري (٤٩٨١) بلفظ: «**ما من نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر...**». ومسلم (١٢٥).
(٨) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٣٣.

٢٥ ـ **كرامات الأنبياء**: وهي تسمية غريبة يَقِلُّ إيرادُه لها.

قال في معرض ردٍّ له على الأشاعرة: «ثم هؤلاء جوزوا كرامات الصالحين، ولم يذكروا بين جنسها وجنس **كرامات الأنبياء** فرقاً»[١].

٢٦ ـ **دلائل النبوة**.

٢٧ ـ **أعلام النبوة**: وهي تسمية واردة عنده.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «والآيات، والبراهين الدالة على نبوة محمد ﷺ كثيرة متنوعة... ويسميها من يسميها من النظار معجزات، وتسمى **دلائل النبوة، وأعلام النبوة**»[٢].

فهذه هي الأسماء المرادفة لمعجزات الأنبياء، التي كان ابن تيمية يستعملها في آثاره، ويعبر بها عن المعجزات التي هي آيات الأنبياء.

وبهذا ينتهي المبحث الأول، وقد دار حول مفهوم معجزات الأنبياء عند ابن تيمية؛ من حيث مفهومُها باعتبار إفرادِها، وتركيبِها، وأسمائها عنده.

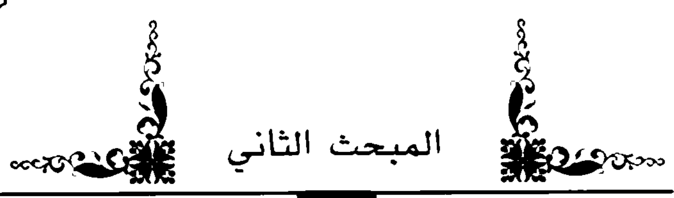
وبعد ذلك ينتقل الكلام إلى المبحث الثاني، حيث سيدور حول منهجه في معجزات الأنبياء عموماً.



---

(١) النبوات ١/١٣٦.

(٢) الجواب الصحيح ٥/٤١٢. ويرى بعض الباحثين أن هناك آياتٍ خاصة لإقامة الحجج، وآيات عامة قد يكون فيها معنى الإكرام؛ فهي دلائل وعلامات؛ فالآيات الخاصة تمثل المعجزات، والآيات العامة تمثل دلائل النبوة، وأعلام النبوة.
وبناءاً على ذلك فهو يرى أن كلَّ معجزةٍ علامةٌ ودلالة على النبوة، وليس كلُّ علامةٍ ودلالة على النبوة معجزة بالمعنى الاصطلاحي.
وأما بالمعنى اللغوي فيرى أنه قد تطلق المعجزات على أعلام النبوة، ودلائلها. انظر: خوارق العادات في القرآن الكريم ص٥٤ ـ ٥٥.



منهجه في تقرير معجزات الأنبياء عموماً

مدخل

لقد عني شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بمعجزات الأنبياء أيما عناية، وتلك العناية داخلة ضمن عنايته بباب النبوات، وإثباتها، وبيان المنهج الصحيح الذي يجب سلوكه في دراستها؛ فكان ما حرره في ذلك الشأن تنقيحاً للمناهج التي تُسلك في إثبات النبوة، وتمييزاً لما يصلح أن يكون دليلاً وما لا يصلح، وتوضيحاً للطرائق الصحيحة في الاستدلال المنطلق من النقل الصحيح، والعقل الصريح[١].

ومنهج ابن تيمية في تقرير معجزات الأنبياء عموماً يدور حول عدة مسائل؛ حيث يُلاحظ أنه يبدي ويعيد حول تلك المسائل كثيراً؛ ردّاً، ومناقشةً، وضربَ أمثلةٍ، وتنظيراً، وتقريراً.

والكلام في هذا المبحث سيكون حول ذلك المنهج من خلال **المطالب الثلاثة التالية:**

المطلب الأول: تقريره أنها آيات الأنبياء، وبراهينهم، وأنها خاصة بهم.

المطلب الثاني: تقريره أنه لا يمكن معارضتها، وأن ليس من شرطها التحدي، أو الاستدلال بها.

المطلب الثالث: تقريره لمسائل متعلقة بالمعجزات.

---

(١) انظر: ثبوت النبوات ص٨٢.

المطلب الأول

تقريره أنها آيات الأنبياء، وبراهينهم، وأنها خاصة بهم

المسألة الأولى: تقريره أنها آياتهم وبراهينهم

فكثيراً ما يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن معجزات الأنبياء آيات الله البيِّنة لهم، وأنها دلائل صدقهم، وبراهين نبوتهم التي أظهرها الله على أيديهم.

وكلامه في هذه المسألة مبثوث في مواضع شتى من آثاره، وقد تناولها من جوانب عدة، وفيما يلي بيان لذلك بشيء من البسط.

○ **أولاً: يقرر أن الآية والبرهان مصطلحان شرعيان**: وذلك في باب معجزات الأنبياء؛ **فيرى** أن هذين اللفظين ـ على اختلاف تصاريفهما إفراداً، وتثنية، وجمعاً، وإضافة واقتراناً بـ: (أل)، وتجرداً منها ومن الإضافة ـ مصطلحان شرعيان.

وتراه **يقرر** أنهما أصح، وأولى، وأدل على آيات الأنبياء الخارقة للعادة من لفظ المعجزة.

بل **يقرر** في مواطن عدة أن لفظ المعجزات لم يكن موجوداً في الكتاب والسُّنَّة، وإنما فيهما لفظ (الآية، والبينة، والبرهان)[1].

بل تراه **يصرح** في مواطن عدة أن معجزات الأنبياء آياتهم وبراهينهم.

قال ﵀ في مفتتح كتاب «النبوات»: «**فصل: في معجزات الأنبياء التي هي آياتهم، وبراهينهم** كما سماها الله آياتٍ وبراهين»[2].

وقال في موضع آخر: «والله ـ تعالى ـ سماها **آياتٍ وبراهين**، وهو اسم مطابق لمسماه مُطَّرد لا ينتقض؛ فلا تكون قط إلا **آياتٍ لهم وبراهين**»[3].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح ٥/٤١٣ و٤١٤ و٤١٥ ـ ٤١٨، و٤١٩، وانظر: النبوات ٢/٣١٥، ٢/٨٣٨ ـ ٨٣٩.

(٢) النبوات ١/١٢٩، وانظر: ١/٧٨٢ و٧١٥ و٧٧٥، والجواب الصحيح ٥/٤١٢، والرد على المنطقيين ص٣٩١، وانظر: المبحث الماضي، ففيه نقول عدة، وإشارات كثيرة في تقرير ذلك.

(٣) النبوات ٢/٧٨٥.

○ **ثانياً: يسوق الأمثلة التي تؤكد على أن معجزات الأنبياء هي آياتهم وبراهينهم: قال** رَحِمَهُ اللَّهُ في «الجواب الصحيح»: «كما قال - تعالى - في قصة موسى: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٣٢]. في العصا واليد.

وقال الله - تعالى - في حق محمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء]»[١].

إلى أن قال: «وأما لفظ **(الآيات)** فكثير في القرآن؛ كقوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١].

وقال - تعالى -: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [طه]»[٢].

إلى أن قال: «وقال قوم صالح له: ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ [الشعراء].

وقال: ﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ [الأعراف: ٧٣]»[٣].

إلى غير ذلك مما ذكره من الأمثلة الكثيرة في هذا السياق[٤].

○ **ثالثاً: يقرر أنها إعلام من الله لعباده بصدقهم: يقول** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فآيات الأنبياء هي علامات، وبراهين من الله، تتضمن **إعلام الله لعباده**، وإخباره؛ فالدليل وهو الآية والعلامة: **لا تدلّ** إلا إذا كان مختصّاً بالمدلول عليه، ومستلزماً له؛ فلا يُتَصور أن يوجد الدليل بدون المدلول عليه»[٥].

إلى أن يقول: «والآيات التي جعلها الله علاماتٍ **هي إعلام** بالفعل الذي يكون أقوى من القول؛ فلا يُتَصور أن تكون آيات الرسل إلا دالة على **صدقهم**، ومدلولُها: أنهم صادقون لا يجوز أن توجد بدونه صدق الرسل البتة.

وكون الرب أراد بها **إعلامَ عباده بصدقهم**، وصدَّقهم بها في إخبارهم أنه أرسلهم، وكونها آيةً وعلامةً على صدقهم - أمرٌ يُعلم كما تُعلم سائر الأدلة»[٦].

ويقول في موضع آخر: «وعلى هذا فآيات الأنبياء هي أدلة **صدقهم** وبراهين

---

(١) الجواب الصحيح ٥/ ٤١٢.
(٢) المرجع السابق ٥/ ٤١٤.
(٣) المرجع السابق ٥/ ٤١٥.
(٤) انظر: المرجع السابق ٥/ ٤١٢ - ٤١٨.
(٥) النبوات ٢/ ٧٧٨.
(٦) المرجع السابق ٢/ ٧٧٩.

صدقهم، وما يستلزم صِدْقَهم، فلا يمكن أن يكون ما يدلُّ على النبوة موجوداً بدون النبوة.

ثم كونه مستلزماً للنبوة، ودليلاً عليها يُعلم بالضرورة، أو بما ينتهي إلى الضرورة»[١].

ويقول أيضاً: «وقد تكون الآيات تدلُّ على جنس الصدق، وهو صدق صاحبها؛ فيلزم صِدْقُه إذا قال: أنا نبي، ولكن يمتنع أن يكون لكاذب»[٢].

○ **رابعاً: يقرر أن من آيات الأنبياء وبراهينهم نصرَهم على قومهم، وإهلاكَ أعدائهم: يقول** رَحِمَهُ اللَّهُ **في ذلك:** «ومن آياته: نصر الرسل على قومهم، وهذا على وجهين»[٣].

ثم يذكر الوجه الأول: وهو إهلاك الأمم، وإنجاء الرسل، **فيقول:** «تارة يكون بإهلاك الأمم، وإنجاء الرسل وأتباعهم؛ كقوم نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وموسى.

ولهذا يقرن الله بين هذه القصص في سورة الأعراف، وهود، والشعراء»[٤].

ثم يذكر بعد ذلك الوجه الثاني: وهو ظهور برهانه، وآياته، وأنه أظهر أنبياءه على أقوامهم بالحجة والعلم[٥].

ويقول في موضع آخر يؤكد فيه أن إهلاك أعداء الرسل **آية وبرهان على صدقهم:** «وكذلك ما يفعله الله من الآيات والعقوبات بمكذبي الرسل؛ كتغريق فرعون، وإهلاك عادٍ بالريح الصرصر العاتية، وإهلاك قوم صالح بالصيحة، وأمثال ذلك»[٦].

ثم يقرر وجه خرق العادة في ذلك؛ ليبيِّن أن هذا النوع من العذاب من آيات الأنبياء وبراهينهم **فيقول:** «فإن هذا جنس لم يُعَذِّب به إلا من كذب الرسل؛ فهو دليل على صدق الرسل»[٧].

---

(١) النبوات ٢/ ٧٧٣.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٧٧٦، وانظر: ٢/ ٧٨٢ ـ ٧٨٤، و٩٨٤، وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٤١.

(٣) النبوات ١/ ٢٠٥، وانظر: مجموع الفتاوى ٤/ ٢١٤.

(٤) النبوات ١/ ٢٠٥.

(٥) انظر: المرجع السابق ١/ ٢٠٥.

(٦) المرجع السابق ١/ ٢٠٩، وانظر: الجواب الصحيح ٦/ ٣٨٧.

(٧) النبوات ١/ ٤٩٤.

○ **خامساً: يقرر أن أشراط الساعة من آيات الأنبياء وبراهينهم وصدقهم:**
يقول رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك ما يُحْدِثه الله من أشراط الساعة؛ كظهور الدجال، ويأجوج ومأجوج، وظهور الدابة، وطلوع الشمس من مغربها؛ بل والنفخ في الصور، وغير ذلك هو من آيات الأنبياء؛ فإنهم أخبروا به قبل أن يكون، فكذَّبهم المكذبون»[١].

ثم يبيِّن وجه الآية في ذلك، فيقول: «فإذا ظهر بعد مئين، أو ألوفٍ من السنين كما أخبروا به كان هذا من **آيات صدقهم**»[٢].

ويقول في موضع آخر يرد فيه على من نفى أن تكون أشراط الساعة من آيات الأنبياء بحجة أنها لم تقترن بدعوى النبوة: «قالوا: والدليل على ذلك أن مثل آيات الأنبياء يأتي في آخر الزمان إذا جاء أشراط الساعة، ومع ذلك ليس هو من آياتهم»[٣].

ثم يرد عليهم بقوله: «وليس الأمر كذلك؛ بل أشراط الساعة هي من آيات الأنبياء من وجوه، **منها**: أنهم أخبروا بها قبل وقوعها؛ فإذا جاءت كما أخبروا كان ذلك من آياتهم.

ومنها: أنهم أخبروا بالساعة؛ فهذه الأشراط مصدقة لخبرهم بالساعة، وكل من آمن بالساعة آمن بالأنبياء، وكل من كذب بالأنبياء كذب بالساعة»[٤].

إلى أن يقول: «وكل من آمن بالآخرة آمن بالقرآن، فإذا جاءت أشراط الساعة كانت دليلاً على صدق خبرهم أن الساعة حق، وأن القرآن حق، وكان هذا من الآيات الدالة على صدق ما جاء به الرسول من القرآن وهو المطلوب.

فلا يوجد **خرقُ عادةٍ** لجميع الناس إلا وهو من **آيات الأنبياء**»[٥].

وهكذا يتبين معنى تقريره أن معجزات الأنبياء: آيات لهم، وبراهين.

المسألة الثانية: تقريره أنها خاصة بهم

وهذه المسألة مما قرره ابن تيمية كثيراً، وأبدى وأعاد فيه مراراً.

وهي عنده أشبه **بالقاعدة العامة** التي يندرج تحتها أفراد عدة؛ فتراه يؤصِّل لتلك القاعدة، ويبيِّن مفهومها، ويُفَصِّل في ذكر فروعها، وما جرى مجرى ذلك في شأنها.

---

(١) النبوات ١/ ٤٩٥.
(٢) المرجع السابق ١/ ٩٥.
(٣) المرجع السابق ٢/ ٨٥٤.
(٤) المرجع السابق ٢/ ٨٥٤.
(٥) المرجع السابق ٢/ ٨٥٥.

وفيما يلي بيان لذلك بشيء من البسط والإيضاح.

○ **أولاً: يقرر هذا الأصل، ويبيِّن مفهومه**: وذلك في مواطن عدة من كتبه، خصوصاً كتاب «النّبوات».

يقول رحمه الله **في فصل عقده في ذلك الكتاب**: «وحقيقة الأمر أنّ ما يدلُّ على النبوة هو آيةٌ على النبوة، وبرهانٌ عليها؛ **فلا بُدّ أن يكون مختصّاً بها**، لا يكون مشتركاً بين الأنبياء وغيرهم»[(١)].

ويقول أيضاً: «فآية النبيّ لا بُدّ أن تكون خارقةً للعادة؛ بمعنى: أنّها ليست معتادةً للآدميين؛ وذلك لأنها حينئذ لا تكون **مختصة بالنبي**؛ بل مشتركة»[(٢)].

يعني: أنها إذا كانت معتادةً للآدميين لم تكن **خاصة بالأنبياء**.

ويقرر في معرض مناقشته للأشاعرة في تعريف المعجزة: «أنه لا بد أن تكون الآية التي للنبي أمراً **مختصّاً بالأنبياء**»[(٣)].

وفي موضع آخر يوضح معنى الاختصاص، **فيقول**: «دلائل النبوة **مختصة بالأنبياء** لا تكون لغيرهم: له[(٤)] **معنيان**:

أحدهما: أنّه لا يشاركهم فيها من يُكَذِّب بنبوتهم، ولا من يدّعي نبوّةً كاذبة. وهذا ظاهرٌ بَيِّنٌ؛ فإنّ الدليل على الشيء لا يكون دليلاً على وجوده وعلى عدمه؛ فلا يكون ما يدلّ على النبوة أو غيرها، وعلى صدق المخبر بذلك دليلاً على كذب المخبر بذلك، ولا دليلاً على النبوة مع انتفاء النبوة.

والمعنى الثاني: أنها لا توجد إلا مع النبيّ»[(٥)].

○ **ثانياً: يقرر أن الغلط في مفهوم معجزات الأنبياء هو عدم التمييز بين ما يختص به الأنبياء عن غيرهم**: **يقول** رحمه الله: «ومن هنا دخل الغلط على كثير من الناس؛ فإنّهم لما رأوا آيات الأنبياء خارقة للعادة؛ لم يَعْتَدِ الناسُ مِثْلَهَا أخذوا مسمّى خرق العادة، ولم يميّزوا بين ما **يختص به الأنبياء**، وَمَنْ أَخْبَرَ بنبوتهم، وبين ما يوجد معتاداً لغيرهم»[(٦)].

---

(١) النبوات ١/١٦٣.
(٢) المرجع السابق ١/١٦٤.
(٣) المرجع السابق ١/٤٩١، وانظر: ١/٥٠٨.
(٤) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: (لها)، أو: (ولها)، أو: لعله يريد أن هذا المفهوم له معنيان.
(٥) النبوات ٢/٩٨٣، وانظر: ٢/٨٤٨، و٨٥٢، و٨٥٣.
(٦) المرجع السابق ٢/٨٢٨.

○ **ثالثاً: يقرر أن خوارق الملائكة تختص بالأنبياء**: والمقصود بخوارق الملائكة ما تفعله الملائكة من خوارق بأمر ربها؛ تأييداً للأنبياء.

يقول رحمه الله مقرراً ذلك: «فالخوارق التي تكون بأفعال الملائكة **تختص بالأنبياء** وأتباعهم، لا تكون للكفار، والسحرة، والكهان.

ولهذا أخبر الله ـ تعالى ـ أن الذي جاء بالقرآن ملك، لا شيطان، فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾ [التكوير]»[١].

○ **رابعاً: يقرر أن ما اختص به الأنبياء خارج عن قدرة الثقلين**: **يقول** رحمه الله في معرض كلام له عن الخوارق: «فما **اختُصّ به النبيّ** من العلم خارجٌ عن قدرة الإنس والجنّ، **وما اختصّ به** من المقدورات خارجٌ عن قدرة الإنس والجنّ.

وقدرة الجنّ في هذا الباب[٢] كقدرة الإنس؛ لأنَّ الجن هم من جملة مَن دعاه الأنبياء إلى الإيمان، وأُرْسِلت الرسل إليهم؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠]»[٣].

ثم يعلل لذلك قائلاً: «ومعلومٌ أنّ النبيّ إذا دعا الجن إلى الإيمان به فلا بُدّ أن يأتي بآية خارجة عن مقدور الجنّ؛ فلا بُدّ أن تكون آيات الأنبياء خارجة عن مقدور الإنس والجنّ»[٤].

ويقول في موضع آخر في معرض كلام له عن خوارق أولياء الشيطان: «ولهذا لم يكن مثلُ هذا[٥] آيةً لنبيّ، وإنما كان النبي ﷺ يضع يده في الماء، فينبع الماء من بين أصابعه[٦] وهذا لا يقدر عليه لا إنس، ولا جنّ.

وكذلك الطعام القليل يصير كثيراً، وهذا لا يقدر عليه لا الجنّ، ولا الإنس»[٧].

○ **خامساً: تقريره لاختصاص الأنبياء بآية إهلاك أعدائهم**: **يقول** في سياق كلام له عن إهلاك أعداء الرسل بعقوبات متنوعة: «وقد يميت الله بعض الناس بأنواع معتادة من البأس كالطواعين، ونحوها.

---

(١) النبوات ١/ ١٥١.

(٢) يعني: باب الخوارق.

(٣) النبوات ١/ ١٥٠.

(٤) المرجع السابق ١/ ١٥٠.

(٥) يعني: الخوارق الشيطانية.

(٦) انظر: البخاري (٣٥٧٣)، ومسلم (٢٢٧٩).

(٧) النبوات ١/ ٥٢٥، وانظر: ١/ ٥٠٢، و٢/ ٩٩٥.

لكن هذا معتاد لغير مكذبي الرسل، أما ما عَذَّبَ الله به مكذبي الرسل **فمختص بهم»**[(١)].

يعني: أنه مختص بالرسل؛ أي: أنهم لما كُذِّبُوا عُوقب مكذبوهم بعقوبات خاصة لم يُعَاقَب غيرُهم بمثلها.

ويقول في موضع آخر: «آيات الأنبياء مما يَعْلَمُ العقلاء أنها **مختصة بهم**، ليست مما تكون لغيرهم؛ فيعلمون أنّ الله لم يخلق مثلها لغير الأنبياء.

وسواء في آياتهم التي كانت في حياة قومهم، وآياتهم التي فرّق الله بها بين أتباعهم وبين مكذّبيهم؛ بنجاة هؤلاء، وهلاك هؤلاء، ليست من جنس ما يوجد في العادات المختلفة لغيرهم»[(٢)].

ويضرب بعض الأمثلة على ذلك، فيقول: «وذلك مثل تغريق الله لجميع أهل الأرض إلا لنوح، ومَنْ ركب معه في السفينة؛ فهذا لم يكن قط في العالم نظيره.

وكذلك إهلاك قوم عاد إِرَمَ ذات العماد التي لم يُخلق مثلها في البلاد مع كثرتهم، وقوتهم، وعِظَمِ عماراتهم التي لم يُخلق مثلها في البلاد، ثم أهلكوا بريح صرصر عاتية مسخرة سبع ليال وثمانية أيام حسوماً؛ حتى صاروا كلّهم كأنّهم أعجاز نخل خاوية، ونجا هود ومن اتّبعه؛ **فهذا لم يوجد نظيره في العالم»**[(٣)].

يعني: **أنه مختص** بهم لا يعرف أنه جرى لغيرهم.

ثم يواصل ضرب الأمثلة التي يبيِّن بها اختصاص الأنبياء بآيات إهلاك أعدائهم **فيقول:** «وكذلك قوم صالح؛ أصحاب مدائن، ومساكن في السهل والجبل، وبساتين؛ أُهلكوا كلّهم بصيحةٍ واحدةٍ؛ **فهذا لم يوجد نظيره في العالم.**

وكذلك قوم لوط؛ أصحاب مدائن متعددة، رُفعت إلى السماء، ثُمّ قُلبت بهم، وأُتْبعوا بحجارة من السماء، تتّبع شاذّهم، ونجا لوط وأهله، إلا امرأته أصابها ما أصابهم؛ **فهذا لم يوجد نظيره في العالم»**[(٤)].

---

(١) النبوات ١/ ٤٩٤.

(٢) المرجع السابق ١/٥٠٨، وانظر: الجواب الصحيح ٦/ ٣٨٧.

(٣) النبوات ١/ ٥٠٩، وانظر: شرح الأصبهانية وهو شرح عقيدة مختصرة لأبي عبد الله محمد بن محمود بن محمد بن عباد العجلي الأصبهاني الأشعري، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٣٣هـ، ص٥٦١ ـ ٥٦٦.

(٤) النبوات ١/٥٠٩ ـ ٥١٠.

إلى أن يقول: «وكذلك قوم فرعون وموسى جمعان عظيمان، ينفرق لهم البحر كل فِرق كالطّود العظيم؛ فيسلك هؤلاء، ويخرجون سالمين؛ فإذا سلك الآخرون انطبق عليهم الماء؛ **فهذا لم يوجد نظيره في العالم**»[1].

ويختم كلامه في هذا السياق مؤكداً أن عقوبات تلك الأمم المكذبة لأنبيائها **هو مما اختص به الأنبياء** دون غيرهم، **فيقول:** «فهذه آيات تعرف العقلاء عموماً **أنّها ليست من جنس ما يموت به بنو آدم.**

وقد يحصل لبعض الناس طاعون، ولبعضهم جدب، ونحو ذلك، وهذا مما اعتاده الناس؛ وهو من آيات الله من وجه آخر؛ بل كل حادث من آيات الله ـ تعالى ـ»[2].

○ **سادساً: تقريره اختصاص الأنبياء بآية الإخبار عن الغيوب المستقبلية:**

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكره لجملة من أشراط الساعة، وأنها من آيات الأنبياء الدالّة على صدقهم **قال** موضحاً أن ذلك **مختص بهم** دون غيرهم: «ولم يكن هذا إلا لنبيّ، أو لمن يُخْبِر عن نبيّ، والخبر عن النبيّ: هو خبر النبيّ.

ولهذا كان وجود ما أخبر به الرسول من المستقبلات من آيات نبوّته إذا ظهر الـمُخبَر به كما كان أخبر.

وخبره عمّا مضى آيةٌ لمن عرف صدقه فيما أخبر به إذ كان هذا، وهذا لا يمكن أن يُخبر به إلا نبيّ، أو من أخذ عن نبيّ.

وهو لم يأخذ عن أحدٍ من الأنبياء شيئاً؛ **فدلّ على نبوّته**»[3].

○ **سابعاً: تقريره أن الأنبياء جنس متميزون عن غيرهم بالآيات: يقول** رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك: «فإنّا قلنا: إنّ آيات الأنبياء لا تكون لغيرهم، وإن كانت لجنس الأنبياء؛ كالإخبار بغيب الله؛ فهذه آية يشتركون فيها، وكذلك إحياء الموتى قد كان آية لغير واحدٍ من الأنبياء غير المسيح؛ كما كان ذلك لموسى، وغيره»[4].

إلى أن يقول: «وليس المقصود هنا ذكر تفضيل بعض الأنبياء على بعض؛ بل المقصود **أنّ جنس الأنبياء متميزون عن غيرهم بالآيات**، والدلائل الدالّة على صدقهم، التي يعلم العقلاء إنّها لم توجد لغيرهم؛ **فيعلمون أنّها ليست لغيرهم**؛ لا

---

(١) النبوات ١/ ٥١٠. (٢) المرجع السابق ١/ ٥١٠.
(٣) النبوات ١/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦، وانظر: الجواب الصحيح ٦/ ٨٠ ـ ١٥٨.
(٤) النبوات ١/ ٥١٧.

عادةً، ولا خرق عادة»[١].

وذلك يعني: **اختصاصهم** بالآيات المعجزات.

○ **ثامناً: تقريره اختصاصَ بعض الأنبياء ببعض الآيات:** فكما يقرر من حيث الجملة أن آيات الأنبياء عموماً مختصةٌ بهم ـ فإنه يقرر أن بعض الآيات **يختص** بها بعض الأنبياء دون بعض، وأن بعضها مُشْتَرَك بينهم.

وفي هذا **يقول:** «لا ريب أنّ الله **خصّ الأنبياء بخصائص**، لا توجد لغيرهم.

ولا ريب أنّ من آياتهم ما لا يقدر أن يأتي به غير الأنبياء.

بل النبيّ الواحد له آيات، لم يأت بها غيره من الأنبياء؛ كالعصا، واليد لموسى عليه السلام وفَرْقِ البحر؛ فإنّ هذا لم يكن لغير موسى.

وكانشقاق القمر، والقرآن، وتفجير الماء من بين الأصابع، وغير ذلك من الآيات التي لم تكن لغير محمّد ﷺ من الأنبياء.

وكالناقة التي لصالح عليه السلام فإنّ تلك الآية لم تكن مثلها لغيره؛ وهو خروج ناقة من الأرض»[٢].

إلى أن يقول: «بخلاف إحياء الموتى: فإنّه اشترك فيه كثيرٌ من الأنبياء؛ بل ومن الصالحين[٣]»[٤].

وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة في المسألة الثالثة من المطلب الثالث من هذا المبحث.

وهكذا يتبين في هذه المسألة مفهومُ تقريره **أن معجزات الأنبياء خاصة بهم.**



---

(١) النبوات ١/٥١٨.

(٢) المرجع السابق ٢/٨٢٠ ـ ٨٢١، وانظر: ١/٥٢٦.

(٣) قال ابن تيمية في الجواب الصحيح ٤/١٧: «فإن أعظم آيات المسيح عليه السلام إحياء الموتى، وهذه الآية قد شاركه فيها غيره من الأنبياء كإلياس».
وقال ـ أيضاً ـ: «فمن ذلك أن كتاب سفر الملوك يخبر أن إلياس أحيا ابن الأرملة، وأن اليسع أحيا ابن الإسرائيلية، وأن حزقيال أحيا بشراً كثيراً». الجواب الصحيح ٢/١٢٠ ـ ١٢١.

(٤) النبوات ٢/٨٢١.

المطلب الثاني

تقريره أنه لا يمكن معارضتها، وأن ليس من شرطها التحدي أو الاستدلال بها

المسألة الأولى: تقريره أنه لا يمكن معارضتها

فهذه المسألة مما يقرره ابن تيمية كثيراً، سواء في ذكره لضوابط تعريف المعجزة، أو لنقده لبعض من يُعَرِّفونها، ويَحُدُّونها بحدود قاصرة، أو في مناقشته لخوارق السحرة والكهان ونحوهم.

وهو من خلال ذلك كله يبيِّن مفهوم **المعارضة**، وأن المعجزة سالمة من **المعارضة**، وأن الأنبياء لا **يعارض** آياتِهم أحدٌ من الثقلين، وأن السحرة يمكن **معارضتهم**، ونحو ذلك مما يدور في هذا الشأن.

هذا، وقد مرت الإشارة إلى شيء من ذلك في المبحث الماضي عند الكلام على تعريف المعجزة.

وفيما يلي مزيد بسط وإيضاح لتلك المسألة:

○ أولاً: تفسيره لمفهوم المعارضة:

فهو رَحِمَهُ اللهُ يعني **بالمعارضة: معارضة** ما جاءت به الأنبياء من الآيات المعجزات؛ فيرى أنه لا يمكن أحداً من الثقلين **معارضتُها**، وأن سلامة المعجزة من **المعارضة** دليل على كونها خارقةً لعادة الناس جميعاً، وكونِها دالّةً على أنها من عند الله، وأنها محض فضله[1].

يقول رَحِمَهُ اللهُ **في معرض مناقشته للمعتزلة في تعريف المعجزة**: «فآيات الأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ لا تُحَدُّ بحدود يدخل فيها غيرُ آياتهم؛ كحدِّ بعضهم

---

(١) انظر: النبوات ١/١٦٩، و١٩٥، و٥٠٠، و٥٧٩، ومجموع الفتاوى ١٣/٩٠، ودرء تعارض العقل والنقل ١/٩٢.

ـ كالمعتزلة وغيرهم ـ بأنها[1] خرق العادة، ولم يعرف مسمى هذه العبارة.

بل ظنَّ أن خوارق السحرة والكهان، والصالحين خرق للعادة؛ فكذبها.

وَحَدَّ بعضهم[2] بأنها الخارق للعادة إذا لم يعارضه أحد.

وجعل[3] فصلاً احترز به عن تلك الأمور فقال[4]: (المعجزة هي الخارق المقرون بالتحدي بالمثل، مع عدم **المعارضة**)»[5].

ثم يعلق ابن تيمية على هذا الكلام باعتراض طويل، والذي **يعني هٰهنا ما قاله في آخره مما يفسر به معنى المعارضة؛ حيث قال:** «وإذا فُسِّر خرقُ العادة: بأنها خَرْقٌ لعادات غير الأنبياء؛ أي: لا يكون لغير جنسهم، وجنس مَنْ صَدَّقَهم، وفسَّر **عدَمُ المعارضة** بأنه لا يَقْدِرُ أن يأتي بها مَنْ ليس بنبي، أو مُتَّبع لنبي ـ كان المعنى واحداً، واتحدت التفاسير الثلاثة»[6].

فابن تيمية هٰهنا يفسر **عدمَ المعارضةِ** بعدم قدرة مَنْ ليس بنبيٍّ، أو مُتَّبعٍ لنبي أن يأتي بمثل ما أتوا به.

وهذا ما سيتضح في الفقرات التالية لهذه الفقرة.

ويعني **بقوله: «واتحدت التفاسير الثلاثة»**: تفسير المعتزلة، والأشاعرة، وأهل السُّنَّة للمعجزة.

وهو بذلك يوجِّه تفسيرَ كلٍّ من المعتزلة، والأشاعرة، ويحمله على المحمل الصحيح، ويبيِّن أنه لو كان هذا هو مرادَهم بالحدود التي حدوها ـ لكان تعريفُهما صحيحاً، ولاتَّحد مع تعريف أهل السُّنَّة والجماعة[7].

○ ثانياً: تقريره أن آيات الأنبياء لا يعارضها من ليس بنبي:

يقول رَحِمَهُ اللهُ: «فكل ما عارضها صادرٌ ممن ليس من جنس الأنبياء ـ فليس من

---

(١) يعني: معجزات الأنبياء.

(٢) يعني: الأشاعرة، وقوله: (وحَدَّ بعضهم) معطوف على قوله: (كحدٍّ بعضهم).

(٣) يعني بقوله: «جَعَلَ»: الباقلاني رَحِمَهُ اللهُ.

(٤) انظر أقواله في كتابه: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات، عُني بتصحيحه ونشره: الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٥٨م، منشورات جامعة الحكمة في بغداد، ص٤٧ ـ ٤٨، و٩١ ـ ٩٦.

(٥) النبوات ٢/ ٧٧٣ ـ ٧٧٤.

(٦) المرجع السابق ٢/ ٧٧٦.

(٧) انظر: المرجع السابق ـ هامش ـ ٢/ ٧٧٦.

آياتهم[(١)]»[(٢)].

ثم يوضح ذلك، ويُعَلِّلُهُ بقوله: «ولهذا لما طلب فرعونُ أن **يعارِض** ما جاء به موسى لما ادَّعى[(٣)] أنه ساحر؛ فجمع السحرة؛ ليفعلوا مثلَ ما يفعل موسى؛ فلا تبقى حجةٌ مختصةٌ بالنبوة، وأمرهم موسى أن يأتوا أولاً بخوارقهم؛ فلما أتت وابتلعتها العصا التي صارت حية ـ عَلِمَ السحرة أن هذا ليس من جنس مقدورهم؛ فآمنوا إيماناً جازماً»[(٤)].

يعني علموا أنهم لم، ولن يستطيعوا **معارضة** معجزة موسى عليه السلام فآمنوا بسبب ذلك.

○ ثالثاً: يقرر أن من خصائص معجزات الأنبياء أنه لا يمكن معارضتها:

يقول رحمه الله في ذلك: «ومن خصائص معجزات الأنبياء أنه لا يمكن **معارضتُها**؛ فإذا عجز النوعُ البشريُّ غير الأنبياء عن **معارضتها** كان ذلك أعظم دليل على اختصاصها بالأنبياء، بخلاف ما كان موجوداً لغيرها؛ فهذا لا يكون آيةً البتة»[(٥)].

○ رابعاً: تقريره أن خوارق غير الأنبياء يمكن معارضتها:

قال رحمه الله في معرض الكلام على الفروق بين آيات الأنبياء وغيرهما: «أن هذه[(٦)] يمكن معارضتها، وآيات الأنبياء لا يمكن أن يعارضها بمثلها»[(٧)].

فهذا هو مفهوم تقريره لمسألة سلامة المعجزات من المعارضة.

المسألة الثانية: تقريره أنْ ليس من شرطها التحدي بها

ويعني بذلك: أن معجزات الأنبياء هي معجزات سواء حصل بها **التحدي** أو لم يحصل؛ إذ ليس من شرطها **التحدي** بها.

والتحدي قد يوجد في المعجزة، وقد لا يوجد، لكن عدم وجوده لا يُخْرِجُ المعجزة عن كونها معجزةً، وآيةً وبرهاناً على النبوة.

---

(١) يعني: أن ما أتى به ذلك المعارض ليس من جنس آيات الأنبياء.
(٢) النبوات ١/١٦٩.
(٣) يعني: لما ادعى فرعون أن موسى ساحر؛ فالضمير في (ادعى) يعود على فرعون.
(٤) النبوات ١/١٧٠.
(٥) المرجع السابق ١/١٩٥، وانظر: ١/٢١٥ ـ ٢١٧، و١/٤٨٥ ـ ٤٩٠، ودرء تعارض العقل والنقل ١/٩٢.
(٦) يعني: خوارق غير الأنبياء كالسحرة، والكهان.
(٧) النبوات ١/٥٥٩، وانظر: الجواب الصحيح ٥/٤١٠.

فهذا - بإجمال - مفهوم هذه المسألة عند ابن تيمية، وهذا ما يقرره في شأنها.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ **في «النبوات» في معرض مناقشته للأشاعرة في تعريف المعجزة، واشتراطهم التحدي بها**: «بل آيات الأنبياء آيات، وإن لم ينطقوا[1] **بالتحدي** بالمثل، وهي دلائل على النبوة، وصِدْقِ الْمُخْبِر بها.

والدليل مغاير للمدلول عليه ليس المدلول عليه جزءاً من الدليل»[2].

ويقول في موضع آخر: «ومما يلزم أولئك أنَّ ما كان يظهر على يد النبيّ ﷺ في كل وقت من الأوقات ليست[3] دليلاً على نبوّته؛ لأنه لم يكن كلما ظهر شيءٌ من ذلك احتجّ به، **وتحدّى** الناس بالإتيان بمثله؛ بل لم ينقل عنه **التحدي إلا في القرآن** خاصّة، ولا نُقل **التحدي** عن غيره من الأنبياء؛ مثل: موسى، والمسيح، وصالح، ولكنّ السحرة لمّا عارضوا موسى أبطل معارضتهم»[4].

ويقول في موضع آخر: «فإنّ عامّة معجزات الرسول لم يكن **يتحدى** بها، ويقول: ائتوا بمثلها.

والقرآن إنما **تحداهم** لما قالوا: (إنه افتراه) ولم **يتحدّاهم**[5] به ابتداءً، وسائر المعجزات لم **يَتحدّ** بها، وليس فيما نُقِل **تحدٍّ** إلا بالقرآن، لكن قد عُلم أنهم لا يأتون بمثل آيات الأنبياء، فهذا لازمٌ لها، لكن ليس من شرط ذلك أن يقارن خبره»[6].

ثم يزيد الأمر إيضاحاً، فيقرر أن من معجزات الأنبياء ما يكون قبل ولادتهم، وقبل مبعثهم، وبعد مماتهم؛ فكيف يكون **التحدي** بالمعجزات والحالة هذه؟

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ مقرراً ذلك: «وأيضاً: فمن آيات الأنبياء ما كان قبل ولادتهم، وقبل إنبائهم، وما يكون بعد موتهم؛ فإن الآية هي دليل على صدق الخبر بأنّه رسول الله.

وهذا الدليل لا يختص لا بمكان، ولا زمان، ولا يكون هذا الدليل إلا من جنسٍ لا يقدر عليه الإنسُ كلُّهم، ولا الجنّ، فلا بُدّ أن يكون جنسه معجزاً أعجز الإنس والجنّ»[7].

ويقرر نحواً من ذلك في «الجواب الصحيح» فيقول: «وآيات النبوة وبراهينها

---

(١) يعني: الأنبياء.
(٢) النبوات ١/٦٠٣.
(٣) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: (ليس).
(٤) النبوات ١/٥٤١.
(٥) هكذا في الأصل، والصواب: (لم يَتَحَدَّهم).
(٦) النبوات ٢/٧٩٤.
(٧) المرجع السابق ٢/٧٩٤.

تكون في حياة الرسول وقبيل مولده، وبعد مماته لا تختص بحياته فضلاً عن أن تختص بحال دعوى النبوة، أو حال **التحدي** كما ظنه بعض أهل الكلام؛ بل لا بد من آيات في حياته تدلُّ على صدقه تقوم بها الحجة، وتظهر بها المحجة»[١].

ويبين في «النّبوات» سبب اشتراط الأشاعرة التحدي في المعجزة؛ فيقول: «فهؤلاء[٢] لما رأوا ما جاءت به الأنبياء، وعلموا أنّ آياتهم تدلّ على صدقهم، وعلموا ذلك؛ إمّا بضرورة، وإمّا بنظر، واحتاجوا إلى بيان دلائل النبوة على أصلهم[٣] - كان غاية ما قالوه: إنّه كلّ شيء يُمكن أن يكون آية للنبي، بشرط أن يقترن بدعواه، وبشرط أن **يتحدى** بالإتيان بالمثل فلا يعارض»[٤].

ثم يبيِّن معنى التحدي؛ فيقول: «**ومعنى التحدي بالمثل**: أن يقول لمن دعاهم: ائتوا بمثله»[٥].

ويقول موضحاً حجتهم في اشتراط التحدي: «وزعموا أنّه إذا كان هناك سحرة وكهان، وكانت معجزته[٦] من جنس ما يظهر على أيديهم من السحر والكهانة - فإن الله لا بُد أن يمنعهم عن مثل ما كانوا يفعلونه، وأنّ من ادّعى منهم النبوة، فإنّه يمنعه من تلك الخوارق، أو يُقيض له من يعارضه بمثلها»[٧].

ثم يعلق على ما مضى مبيِّناً فساده قائلاً: «فهذا غاية تحقيقهم، وفيه من الفساد ما يطول وصفه»[٨].

فهذا هو مفهوم تقريره عدمَ اشتراط التحدي في المعجزة.

وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة في المسألة التي تليها، وهي مسألة: **اشتراط الاستدلال بالمعجزة**؛ إذ هاتان المسألتان قريبتان من بعض، وكثيراً ما يَقْرِنُ بينهما.

المسألة الثالثة: تقريره أنْ ليس من شرطها الاستدلال بها

ومقصود ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ بذلك: أن المعجزة لا يشترط في كونها معجزةً أن يُسْتَدل بها؛ فهي معجزة سواء استدلّ النبي بها، أو لم يستدل.

وغالباً ما يقرر هذا المعنى في مناقشاته للأشاعرة في حد المعجزة.

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٣٨٠. (٢) يعني: الأشاعرة.

(٣) يعني بأصلهم: أنهم لا يفرقون بين آيات الأنبياء وخوارق السحرة. انظر: النبوات ٢/ ٨٤٠.

(٤) النبوات ٢/ ٨٤١. (٥) المرجع السابق ١/ ٥٤١.

(٦) يعني: معجزة النبي؛ فالضمير في قوله: (معجزته) يعود على النبي.

(٧) النبوات ١/ ٥٤١. (٨) المرجع السابق ٢/ ٨٤١.

يقول رحمه الله **في معرض كلام له عن تسمية المعجزات بخرق العادة:** «**والثاني**[١]: أن خرق العادة شرط فيها، وليس بحدٍّ لها؛ فيجب أن تكون خارقة لعادة، ولكن ليس كلُّ خارقٍ للعادة يكون آيةً للنبي؛ كأشراط الساعة؛ بل أن يقع على وجه مخصوص مثل دعوى النبوة، **والاستدلال بها**، والتحدي بها مع عجز الناس عن معارضته»[٢].

ويعني بذلك: أن مجرد دعوى النبوة، والاستدلال بها، والتحدي بمثلها مع عجز الناس عن المعارضة ليست شروطاً في المعجزة بكل حال، بل لا بد أن تقع على وجه مخصوص.

ويقول في موضع آخر مبيناً أنه ليس من شرط المعجزات الاستدلال بها، أو التحدي: «**السابع**: أن آيات الأنبياء ليس من شرطها **استدلال النبيّ** بها، ولا تحدّيه بالإتيان بمثلها؛ بل هي دليلٌ على نبوته، وإن خلت عن هذين القَيْدَيْن»[٣].

ثم يمثل لذلك، فيقول: «وهذا كإخبار من تقدّم بنبوة محمد ﷺ فإنّه دليلٌ على صدقه، وإن كان هو لم يعلم بما أخبروا به، ولا يستدلّ به»[٤].

ثم يضرب امثلة اخرى على آيات أخرى تدلُّ على أنها جاءت غير مقترنة بالاستدلال، أو التحدي، وإنما هي لغاية أخرى، وهي حاجة المسلمين.

فيقول: «وأيضاً: فما كان يُظهره الله على يديه من الآيات؛ مثل تكثير الطعام والشراب مرّات؛ كنبع الماء من بين أصابعه غير مرة، وتكثير الطعام القليل حتى كفى أضعافَ أضعافِ من كان محتاجاً إليه[٥]، وغير ذلك ـ كلها من دلائل النبوة، ولم يكن يُظهرها **للاستدلال بها، ولا يتحدى بمثلها، بل لحاجة المسلمين إليها**»[٦].

فهذا هو معنى تقريره أن ليس من شرط آيات الأنبياء الاستدلال بها.

فهذه المسائل التي مرت في هذا المطلب والذي قبله هي أهم ما يقرره ابن تيمية في باب معجزات الأنبياء، ألا وهي تقريره أنها آيات الأنبياء، وبراهينهم، وأنها خاصة بهم، ولا يمكن معارضتها، وأنه ليس من شرطها التحدي، أو الاستدلال بها.

---

(١) وهذا هو القول الذي ارتضاه.
(٢) النبوات ٢/ ٧٨٥ ـ ٧٨٦.
(٣) المرجع السابق ١/ ٤٩٨.
(٤) المرجع السابق ١/ ٤٩٨.
(٥) انظر تفصيل هذه المعجزات في: صحيح البخاري، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٣٧٨)، وفي صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ (٢٢٧٩).
(٦) النبوات ١/ ٤٩٨، وانظر تفصيل الكلام في هذه المعجزات إلى: الجواب الصحيح ٦/ ٣٢٤ ـ ٣٢٦، وفي الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، والمعجزات والكرامات، ففيها تفصيل للآثار الواردة في المعجزات.

المطلب الثالث

تقريره لمسائل متعلقة بالمعجزات

مرَّ في المطلبين السابقين بيانٌ لتقرير ابن تيمية لمسائلَ يكثر إيرادُه لها، ويدور مُعْظَم كلامه في باب المعجزات عليها، وتكاد تكون أهم المسائل في ذلك الباب.

والحديث في هذا المطلب بيانٌ لتقريره لمسائل أخرى تتعلق بالمعجزات، وهي مسائل مهمة، وتحتوي على لطائف في هذا الباب.

وفيما يلي بيان لتلك المسائل التي قررها في ذلك الشأن.

المسألة الأولى: كثرة المعجزات، وتنوعها

فكثيراً ما يقرر ابن تيمية أن معجزات الأنبياء **كثيرة متنوعة**.

ويعني **بالكثرة**: كثرة عددها من حيث الكمية؛ إذ هي لا تكاد تحصر.

ويعني **بالتنوع**: تنوعها من حيث الكيفية؛ كتنوع مناسباتها، وتنوع آثارها، وتنوع هيئاتها، وما جرى مجرى ذلك.

يقول رَحِمَهُ اللهُ **في معرض كلام له عن الفرق بين الأنبياء ومدعي النبوة**: «وذلك أن آيات الأنبياء الدالة على صدقهم **كثيرة متنوعة**»[(١)].

ويقول في موضع آخر: «والأدلّة التي بها نعلم أنه رسول الله **كثيرة متنوعة**، وهي أدلة عقلية نعلم صحتها بالعقل، وهي ـ أيضاً ـ شرعية سمعية»[(٢)].

ويقول عن آيات نبينا محمد ﷺ: «والآيات والبراهين الدالّة على نبوة محمد ﷺ **كثيرة متنوعة**»[(٣)].

ويقول ـ أيضاً ـ: «والمقصود هنا: أن دلائل نبوة محمد ﷺ **كثيرة متنوعة**»[(٤)].

ويقول مبيناً غلط من يحصر دلائل النبوة بنوع واحدٍ: «وبيّنا أن من يخصص

---

(١) النبوات ١/٥٢٢، وانظر: ٢/٧٩٤.
(٢) مجموع الفتاوى ١٣/١٣٧.
(٣) الجواب الصحيح ٥/٤١٢.
(٤) المرجع السابق ٥/٤١٩.

دلائل النبوة بنوع واحد فقط غلط؛ بل هي **أنواع كثيرة**»[1].

ثم يوضح أن آياتِ الأنبياء الكثيرةَ ترجع إلى نوعين؛ فيقول: «لكن الآيات نوعان:

ومنها[2]: ما مضى وصار معلوماً بالخبر؛ كمعجزات موسى وعيسى.

ومنها: ما هو باق إلى اليوم»[3].

ثم يضرب أمثلة على ما هو باقٍ إلى اليوم، فيقول: «كالقرآن الذي هو من أعلام نبوة محمد ﷺ وكالعلم والإيمان الذي في أتباعه؛ فإنه من أعلام نبوته، وكشريعته التي أتى بها؛ فإنها ـ أيضاً ـ من أعلام نبوته، وكالآيات التي يظهرها الله وقتاً بعد وقت من كرامات الصالحين من أمته، ووقوع ما أخبر بوقوعه»[4].

وقال في موضع آخر: «والمقصود هنا: أن آيات الأنبياء، ودلائل صدقهم متنوعة قبل المبعث وحين المبعث، في حياتهم، وبعد موتهم؛ فقبل المبعث مثل إخبار مَنْ تقدم مِن الأنبياء به، ومثل الإرهاصات الدالة عليه.

وأما حين المبعث فظاهر، وأما في حياته فمثل نصره، وإنجائه، وإهلاك أعدائه»[5].

إلى أن يقول: «ومحمد ﷺ جُعلت له الآيات البينات قبل مبعثه، وحين مبعثه، وفي حياته، وبعد موته إلى الساعة، وإلى قيام الساعة؛ فإن ذِكْرَه، وذِكرَ كتابه، والبشارة بذلك موجودٌ في الكتب المتقدمة»[6].

هذا، وسيأتي مزيد بيان وتفصيل، وضرب أمثلة على هذه المسألة في المبحث القادم عند الكلام على منهج ابن تيمية في معجزات النبي محمد ﷺ.

المسألة الثانية: حُكْمُ إجابةِ مَنْ طلب معجزةً أخرى بعد قيام الحجة، والحكمة من تتابع المعجزات

○ أولاً: حُكْمُ إجابةِ من طلب معجزة أخرى بعد قيام الحجة:

وهذه من المسائل الدقيقة التي تناولها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الباب.

---

(١) الجواب الصحيح ٥/ ٤٢٠.

(٢) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: (منها).

(٣) الجواب الصحيح ٥/ ٤٢٠.

(٤) المرجع السابق ٥/ ٤٢٠.

(٥) المرجع السابق ٦/ ٤٠٨.

(٦) المرجع السابق ٦/ ٤١٠.

وصورتها أن يأتي نبيٌّ بمعجزة تدل على صدقه، وتقوم بها الحجة على من دعاهم؛ فيطلب المدعوون من نبيهم أن يأتيهم بمعجزة أخرى؛ **فهل يجابون على ذلك أَوْ لا؟**

فهذه هي صورة المسألة.

يقول ابن تيمية في ذلك: «ومماينبغي أن يعلم أن الله إذا أرسل نبيّاً، وأتى بآية دالة على صدقه قامت بها الحجة، وظهرت بها المحجة؛ فمن طالبهم بآية ثانية لم تَجِبْ إجابته إلى ذلك، بل وقد لا ينبغي ذلك»[1].

ثم يعلل سبب المنع بقوله: «لأنه إذا جاء[2] بثالثة طولب برابعة، وطَلبُ المُتَعَنِّتين لا أمد له»[3].

ثم يزيد الأمر وضوحاً فيقول: «ومعلومٌ أنه مَن قامت عليه حجة في مسألة علم أو حق من حقوق العباد التي يتخاصمون فيها، وقال: أنا لا أقبل حتى تقوم عليه حجة ثانية وثالثة ـ كان ظالماً متعدياً، ولم يجب إجابته إلى ذلك، ولا يُمَكِّن الحكامُ الخصومَ من ذلك.

بل إذا قامت البينة بحق المدعي حُكِم له بذلك، ولو قال المطلوب: أريد بينة ثانية، وثالثة، ورابعة لم يجب إلى ذلك»[4].

ثم يختم كلامه في هذه المسألة بتعليل آخر هو من باب قياس الأولى فيقول: «فحق الله الذي أوجبه على عباده من توحيده، والإيمان به، وبرسله أولى إذا أقام بينة أوجبت على الخلق الإيمان برسله أن لا يجب إجابة الطالب إلى ثانية وثالثة»[5].

○ ثانياً: الحكمة من تتابع المعجزات:

وهذه المسألة قريبة من المسألة السابقة، تابعة لها؛ لذا قرنهما ابن تيمية ببعض، وجعل الكلام عليهما في موضع واحد.

والمقصود بتتابع المعجزات أن يتابع الله ﷻ بين المعجزات على نبي من الأنبياء عليهم السلام فتأتي الواحدة تلو الأخرى.

يقول ابن تيمية مبيناً الحكمة من ذلك: «ثم قد يكون في تتابع الآيات حكمة؛ فيتابع ـ تعالى ـ بين الآيات، كما أرسل محمداً ﷺ بآيات متعددة لعموم دعوته

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٤٢٩.
(٢) يعني: النبي.
(٣) الجواب الصحيح ٦/ ٤٢٩.
(٤) المرجع السابق ٦/ ٤٢٩.
(٥) المرجع السابق ٦/ ٤٢٩.

وشمولها؛ فإن الأدلَّة كلما كثرت، وتواردت على مدلول واحد كان **أوكد، وأظهر، وأيسر لمعرفة الحق**»[١].

ثم يقول موضحاً ما سبق، ومعللاً له: «فقد يَعْرِف دلالة أحد الأدلة مَنْ لا يعرف الآخر، وقد يَبْلُغ هذا ما لم يبلغ هذا، وقد يرسل الأنبياء بآيات متتابعة، وتقسى قلوب الكفار عن الإيمان؛ لِتَتابُع الآيات آية بعد آية؛ لينتشرَ ذلك، ويظهرَ، ويبلغَ ذلك قوماً آخرين؛ فيكونَ ذلك سبباً لإيمانهم»[٢].

ثم يضرب لذلك أمثلة، فيقول: «كما فعل بآيات موسى، وآيات محمد، كما ذكر في التوراة أنه يقسي قلبَ فرعون؛ لتظهر عجائبه وآياته، وكما صَدَّ المكذبين عن الإيمان بمحمد حتى يمانعوه، ويسعوا في معارضته، والقَدْحِ في آياته؛ فيظهرَ بذلك عجزهم عن معارضة القرآن، وغيره من آياته؛ فيكونَ ذلكَ من تمام ظهور آياته، وبراهينه»[٣].

ثم يبيِّن أن حصول هذا أولى من عدمه، وأكثر فائدة؛ فيقول: «بخلاف ما لو اتُّبع ابتداءً بدون ذلك؛ فإنه قد كان يظن أنهم قادرون على معارضته، وكذلك ـ أيضاً ـ يكون في ذلك[٤] على يقينه، وصبره، وجهاده، ويقين من آمن به، وصبرهم، وجهادهم ـ ما ينالون به عظيم الدرجات في الدنيا والآخرة»[٥].

ثم يبيِّن وَجْهَ حكمةٍ أخرى؛ فيقول: «وقد تقتضي الحكمة أن لا يرسل بالآيات التي توجب عذاب الاستئصال كما ذكره الله في كتابه من أن الكفار كانوا يقترحون على الأنبياء آياتٍ غيرَ الآياتِ التي جاؤوا بها، فتارة يجيبهم الله إلى ذلك؛ لما فيه من الحكمة والمصلحة، وتارة لا يجيبهم؛ لما فيه في ذلك من المضرة والمفسدة عند جمهور أهل الملل من المسلمين وغيرهم الذين يقولون: إنه يفعل للحكمة.

ومن لم يعلل[٦] أفعاله يَرُدُّ ذلك إلى محض المشيئة، ويقول: اقترن بالمراد

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠.
(٢) المرجع السابق ٦/ ٤٣٠. (٣) المرجع السابق ٦/ ٤٣٠.
(٤) كأن في الكلام سقطاً، ويستقيم الكلام لو كان فيه كلمة (دلالة) ويكون الكلام: (يكون في ذلك دلالة على يقينه).
(٥) الجواب الصحيح ٦/ ٤٣٠.
(٦) يعني بذلك: الأشاعرة الذين ينفون الحكمة والتعليل في أفعال الله، ويردونها إلى محض المشيئة. انظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ص٥٠ ـ ٥٢، والنبوات =

والمفسدة عادة، وسُنَّة من الله، وإن لم يفعل هذا لهذا»[١].

ثم يبيِّن شيئاً من حال نبيِّنا محمد ﷺ في شأن طلب الآيات؛ فيقول: «وقد كان الرسول ﷺ ربما طلب تلك الآيات؛ رغبةً منه في إيمانهم بها؛ فيجاب بأن الآيات لا تستلزم الهدى، بل تستلزم إقامة الحجة، وتوجب عذاب الاستئصال لمن كذب بها»[٢].

ثم يضرب لذلك أمثلة بقوم جاءتهم الآيات، ولم تنفعهم؛ لما في ذلك من الحكم؛ فيقول: «والله ـ تعالى ـ قد يظهر الآيات الكثيرة مع طبعه على قلب الكافر، كما فعل بفرعون، وأبي لهب، وغيرهما؛ لما في ذلك من الحكمة العظيمة كما دلَّ على ذلك القرآن، والتوراة، وغيرهما، وقد بيَّن أنه لا يظهرها لانتفاء الحكمة فيها، أو لوجود المفسدة»[٣].

ويورد بعد ذلك أمثلة من القرآن تؤكد هذا المعنى، وتؤيده؛ فيقول: «قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)﴾ [الأنعام].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩)﴾ [الإسراء]»[٤].

ثم يُعَقِّب على تلك الآيات بقوله: «بيَّن ـ سبحانه ـ أن ما منعه أن يرسل بالآيات إلا تكذيب الأولين بها الذي استحقوا بها الهلاك؛ فإذا كذب بها هؤلاء استحقوا ما استحقه أولئك من عذاب الاستئصال.

وهذا المعنى مذكور في عامة كتب التفسير والحديث، وغيرها من كتب المسلمين، وهو معروف بالأسانيد الثابتة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان»[٥].

= ١/٤٢٨ ـ ٤٣١، ٢/ ٩٥٥ ـ ٩٥٧، ومجموع الفتاوى ١٦/٢٩٨ ـ ٢٩٩، والتدمرية ص٣٤ ـ ٣٥، ودرء تعارض العقل والنقل ٩/ ١١١.

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٤٣٠ ـ ٤٣١.

(٢) المرجع السابق ٦/ ٤٣١.

(٣) المرجع السابق ٦/ ٤٣١.

(٤) المرجع السابق ٦/ ٤٣١ ـ ٤٣٢.

(٥) المرجع السابق ٦/ ٤٣٢.

فهذا هو حاصل قوله في مسألة الحكمة من تتابع المعجزات، وقد فصل القول فيها، وضرب الأمثلة على ذلك، والمقام لا يتسع للتفصيل[١].

المسألة الثالثة: اشتراك الأنبياء، واختصاصهم، وتفاضلهم، وتصديقهم في المعجزات

هذه المسألة داخلٌ بعضها في بعض، وقد يُفْرَد بعضها عن بعض.

وقد تناولها ابن تيمية بالدراسة، والبحث؛ فهو كما يقرر أن المعجزات بالنسبة لبقية الخوارق خاصة بالأنبياء دون غيرهم ـ يقرر أيضاً أن المعجزات **باعتبار نفسها مشتركة، وخاصة، ومتفاضلة**؛ فيرى أن من المعجزات ما هو **مشترك بين الأنبياء**، ويرى أن منها ما هو **خاص ببعضهم دون بعض**، ويرى أن المعجزات **تتفاضل** كمّاً وكيفاً من نبي لنبي، ويرى ـ مع ذلك ـ أن الأنبياء **يُصَدِّق بعضهم بعضاً**، ويؤيد بعضهم بعضاً في هذا الباب كما يصدق بعضهم بعضاً في غيره؛ **فمعجزة كل نبي هي معجزة لكل الأنبياء.**

يقول في كتابه «النّبوات» مقرراً هذا المعنى: «وآياتهم[٢]، وما خصَّهم الله به لا يكون لغير الأنبياء.

وإذا قال القائل: معجزات الأنبياء، وآياتهم، وما خصهم الله به ـ فهذا كلام مجمل؛ فإنه لا ريب أن الله خصَّ الأنبياء بخصائص لا توجد لغيرهم، ولا ريب أن من آياتهم ما لا يقدر أن يأتي به غير الأنبياء»[٣].

وبعد أن بيَّن ما اختصوا به في الجملة يبين ما اختص به بعضهم من الآيات عن بعض، فيقول: «بل النبي الواحد له آيات، لم يأت بها غيره من الأنبياء؛ كالعصا، واليد لموسى عليه السلام، وفَرْقِ البحر؛ فإنَّ هذا لم يكن لغير موسى؛ وكانشقاق القمر، والقرآن، وتفجير الماء من بين الأصابع، وغير ذلك من الآيات التي لم تكن لغير محمّد ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الأنبياء؛ وكالناقة التي لصالح عليه السلام؛ فإنّ تلك الآية لم تكن مثلُها لغيره؛ وهو خروج ناقة من الأرض.

بخلاف إحياء الموتى: فإنّه اشترك فيه كثيرٌ من الأنبياء؛ بل ومن الصالحين»[٤].

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: الجواب الصحيح ٦/ ٤٢٩ ـ ٤٥١.

(٢) يعني: الأنبياء عليهم السلام.

(٣) النبوات ٢/ ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(٤) المرجع السابق ٢/ ٨٢١، وانظر: الرسالة الصفدية ص١٦١.

إلى أن يقول: «وملك سليمان عليه السلام، لم يكن لغيره؛ كما قال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص: ٣٥]؛ فطاعة الجن والطير، وتسخير الريح تحمله من مكان إلى مكان؛ له، ولمن معه ـ لم يكن مثل هذه الآية لغير سليمان»[١].

ثم يختم كلامه حول هذه المسألة، فيقول: «فقد ظهر أنّ من آيات الأنبياء ما **يختصّ به النبيّ**، ومنها ما يأتي به عددٌ من الأنبياء، ومنها **ما يشترك** فيه الأنبياء كلّهم **ويختصّون به**[٢]؛ وهو الإخبار عن الله بغيبه الذي لا يعلمه إلا الله؛ قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن]»[٣].

وقال في «الجواب الصحيح» مقرراً تفاضل المرسلين في أمور منها المعجزات: «ومعلوم أن المرسلين يتفاضلون تارة في الكتب المنزلة، وتارة في **الآيات والمعجزات الدالة على صدقهم**، وتارة في الشرائع، وما جاؤوا به من العلم والعمل، وتارة في أممهم»[٤].

ثم يقرر بعد ذلك أفضلية نبيّنا محمد ﷺ في المعجزات وغيرها، فيقول: «فمن عنده علم وعدل؛ فينظر في القرآن وفي غيره من الكتب كالتوراة والإنجيل، أو في معجزات محمد ﷺ ومعجزات غيره، أو في شريعته وشريعة غيره، أو في أمته وأمة غيره ـ وجد له من **التفضيل** على غيره ما لا يخفى إلا على مُفْرِطٍ في الجهل، أو الظلم»[٥].

وقال في موضعٍ آخرَ مفضِّلاً معجزات نبيّنا محمد ﷺ على معجزات غيره من الأنبياء عموماً: «والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ﷺ كثيرة متنوعة، وهي أعظم من آيات غيره من الأنبياء»[٦].

وقال في موضع آخر مفضِّلاً معجزات محمد ﷺ على معجزات المسيح وغيره عليه السلام: «فإنه قد ثبت عن محمد من المعجزات ما لم يثبت مثله عن غيره.

ونَقْلُ معجزاته متواترٌ أعظم من نَقْلِ معجزات عيسى وغيره»[٧].

---

(١) النبوات ٢/ ٨٢٢.

(٢) يعني: ما يختصون به دون غيرهم ممن ليس بنبي.

(٣) النبوات ٢/ ٨٢٣.

(٤) الجواب الصحيح ٥/ ١٣٣.

(٥) المرجع السابق ٥/ ١٣٣.

(٦) المرجع السابق ٥/ ٤١٢.

(٧) المرجع السابق ٢/ ٤٤، وانظر: مجموع الفتاوى ٤/ ٢٠١ ـ ٢٠٨.

وقال في «النّبوات» ضارباً لذلك مثلاً في المقارنة بين طاعة الجن لسليمان ولنبيِّنا محمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ يقول: «فحال نبينا مع الجن أكملُ من حال سليمان وغيره؛ فإن طاعتهم لسليمان كانت طاعة مَلَكية فيما يشاء.

وأما طاعتهم لمحمد فطاعةُ نبوةٍ، ورسالةٍ فيما يأمرهم به من عبادة الله، وطاعة الله، واجتناب معصية الله؛ فإن سليمان ﷺ كان نبياً مَلِكاً، ومحمداً كان عبداً رسولاً مثل إبراهيم ﷺ»[1].

وقال كلاماً قريباً من ذلك في «مجموع الفتاوى»، ونصُّه: «فإنّ نبيَّنا ﷺ كان يتصرّف في الجنّ كَتَصَرُّفه في الإنس تَصَرُّفَ عبدٍ رسولٍ يأمرهم بعبادة الله وطاعته، لا يتصرف لأمر يرجع إليه، وهو التصرف الملكي؛ فإنه كان عبداً رسولاً، وسليمان نبي مَلِكٌ، والعبد الرسول أفضل من النبيّ الملك؛ كما أنّ السابقين المقربين أفضل من عموم الأبرار أصحاب اليمين»[2].

وقال في معرض رده على النصارى في تأليه المسيح مفضلاً معجزات موسى على معجزات المسيح ﷺ: «وأما ما شاهدوه من معجزات المسيح ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد شاهدوا من غيره ما هو مثلها وأعظم منها، وقد أحيا غيرُه الميتَ، وأخبر بالغيوب أكثر منه.

ومعجزاتُ موسى أعظمُ من معجزاته أو أكثر.

وظهور المعجزات على يديه[3] يدلّ على نبوته ورسالته، كما دلت المعجزات على نبوة غيره، ورسالتهم لا تدلّ على الإلٰهية»[4].

وقال في موضع آخر: «ومعلوم أن المسيح نفسه لم تكن له آيات مثل آيات موسى»[5].

ثم يعلل لذلك، فيقول: «فإن أعظم آيات المسيح ﷺ إحياء الموتى.

وهذه الآية قد شاركه فيها غيرُه من الأنبياء؛ كإلياس وغيره.

وأهل الكتاب عندهم في كتبهم أن غير المسيح أحيا اللهُ على يديه الموتى.

وموسى بن عمران من جملة آياته العصا التي انقلبت فصارت ثعباناً مبيِّناً حتى

---

(١) النبوات ٢/ ٨٤٥ ـ ٨٤٦، وانظر: ١/ ٥١٥ ـ ٥١٦.

(٢) مجموع الفتاوى ١٩/ ٥١، وانظر: ١٣/ ٨٩.

(٣) يعني: المسيح.

(٤) الجواب الصحيح ٣/ ٣٥١.

(٥) المرجع السابق ٤/ ١٧.

بلعت الحبال والعصي التي للسحرة، وكان غير مرة يلقيها؛ فتصير ثعباناً، ثم يمسكها فتعود عصا»[(١)].

ويردف قائلاً: «ومعلوم أن هذه[(٢)] آية لم تكن لغيره، وهي أعظم من إحياء الموتى، فإن الإنسان كانت فيه الحياة؛ فإذا عاش فقد عاد إلى مثل حاله الأول، والله - تعالى - يحيي الموتى بإقامتهم من قبورهم، وقد أحيا غير واحد من الموتى في الدنيا.

وأما انقلاب خشبةٍ تصير حيواناً، ثم تعود خشبةً مرةً بعد مرةٍ، وتبتلع الحبال والعصي - فهذا أعجب من حياة الميت»[(٣)].

---

(١) الجواب الصحيح ١٧/٤، وانظر: الرسالة الصفدية ص١٦١.

(٢) يعني: انقلاب العصا ثعباناً، ثم عودتها عصا.

(٣) الجواب الصحيح ١٨/٤، ولم يكتف ابن تيمية بهذا المثال الذي فضل به معجزات موسى على معجزات المسيح ﷺ بل ساق أمثلة كثيرة، حيث قال: «وأيضاً فالله أخبر أنه أحيا من الموتى على يد موسى وغيره من أنبياء بني إسرائيل أعظم ممن أحياهم على يد المسيح، قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة].
وقال - تعالى -: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٧٣].
وقال - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣].
و - أيضاً - فموسى - عليه الصلاة والسلام - كان يخرج يده بيضاء من غير سوء وهذا أعظم من إبراء أثر البرص الذي فعله المسيح ﷺ؛ فإن البرص مرض معتاد، وإنما العجب الإبراء منه.
وأما بياض اليد من غير برص، ثم عودُها إلى حالها الأول ففيه أمران عجيبان لا يعرف لهما نظير.
و - أيضاً - فموسى فلق الله له البحر حتى عبر فيه بنو إسرائيل، وغرق فيه فرعون وجنوده.
وهذا أمر باهر فيه من عظمة هذه الآية، ومن إهلاك الله لعدو موسى ما لم يكن مثله للمسيح.
و - أيضاً - فموسى كان الله يطعمهم على يده المن والسلوى مع كثرة بني إسرائيل، ويفجر لهم بضربه للحجر كلَّ يوم اثني عشر عيناً يكفيهم.
وهذا أعظم من إنزال المسيح ﷺ للمائدة، ومن قلب الماء خمراً، ونحو ذلك مما يحكى عنه - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -.
وكان لموسى في عدوه من القمل والضفادع والدم وسائر الآيات ما لم يكن مثله للمسيح، فلو كان الحواريون رسلاً قد كلمهم الله مثل ما كلم موسى من الشجرة كانوا مثل موسى، فكيف والمسيح نفسه لم يكن له آيات مثل آيات موسى؟!
ولو كان المسيح هو اللاهوت الذي كلم موسى لكان يظهر من قدرته أعظم مما أظهره على يد =

وكما أنه يقرر ذلك فإنه ـ أيضاً ـ يقرر أن الأنبياء يصدق بعضهم بعضاً، وأن آية كلٍّ نبي آية لجميع الأنبياء.

يقول رحمه الله **في النبوات بعد أن قرر أن جنس الأنبياء متميزون عن غيرهم في الآيات، والدلائل الدالة على صدقهم:** «فإن الأنبياء يصدق بعضهم بعضاً؛ فآية كلّ نبيّ آية لجميع الأنبياء؛ كما أنّ آيات أتباعهم آيات لهم أيضاً.

وهذا ـ أيضاً ـ من آيات الأنبياء، **وهو تصديق بعضهم لبعض** «فلا يُوجد من أصحاب الخوارق العجيبة التي تكون لغير الأنبياء؛ كالسحرة، والكهنة، وأهل الطبائع، والصناعات إلّا من يخالف بعضهم بعضاً فيما يدعو إليه ويأمر به، ويُعادي بعضهم بعضاً»[1].

إلى أن يقول مؤكداً تصديق بعضهم لبعض فيما يظهره الله على أيديهم من المعجزات: «فما أتى به الأول من الآيات، فهو دليلٌ على نبوّته، ونبوّة من يُبشّر به[2]، وما أتى به الثاني فهو دليلٌ على نبوّته ونبوة من يُصدّقه ممّن تقدّم؛ فما أتى به موسى، والمسيح، وغيرهما من الآيات ـ فهي آيات لنبوّة محمدٍ؛ لإخبارهم بنبوّته؛ فكان هذا الخبر ممّا دلّت آياتهم على صدقه.

وما أتى به محمد من الآيات، فهو دليلٌ على إثبات جنس الأنبياء مطلقاً، وعلى نبوّة كلّ من سُمِّيَ في القرآن، خصوصاً إذا كان هذا ممّا أخبر به محمد ﷺ عن الله، ودلّت آياته على صدقه فيما يخبر به عن الله»[3].

وهكذا يقرر أن الأنبياء يشتركون في جنس المعجزات، وأن بعضهم يختص ببعضها دون غيره، ويَفْضُل بعضهم غيره في شأنها.

ثم يقرر أخيراً أن بعضهم **يُصدِّق بعضاً** في الآيات؛ فآيةُ أحدهم آيةٌ للآخر.

= موسى؛ فإنه لم يَحُلَّ في بدن موسى، ولا كان اللاهوت يكلم الخلق من موسى، كما يزعمه هؤلاء في المسيح.
ومع هذه فالآيات التي أيد بها عبده موسى، تلك الآيات العظيمة فكيف تكون آياته إذا كان هو نفسه الذي قد حلّ في بدن المسيح، وهو الذي يخاطب الناس على لسان المسيح؟!».
الجواب الصحيح ٤/١٨ ـ ٢٠.

(١) النبوات ١/٥١٨.
(٢) كما قال ـ تعالى ـ عن المسيح: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].
(٣) النبوات ١/٥١٨ ـ ٥١٩.

المسألة الرابعة: ارتباط المعجزات بالأسباب، وكون الكتب السابقة معجزة

○ أولاً: ارتباط المعجزات بالأسباب:

فهذه من جملة المسائل التي يقررها ابن تيمية رحمه الله في باب المعجزات، خصوصاً في مناقشاته للأشاعرة في نفيهمُ الحكمةَ والأسبابَ في أفعال الله ـ تعالى ـ[١].

وهذا ما جعلهم لا يفرقون بين كرامات الأولياء، وخوارق السحرة، لكنهم يرون أن الولي مطيع لله، والساحر غير مطيع لله[٢].

فابن تيمية يقرر أن المعجزات مرتبطة بالأسباب؛ فلا بد لها من أسباب تسبقها.

يقول رحمه الله: «العادة لا بد لها من أسباب وموانع، يُعْلَم بها اطرادُها تارةً، وانتقاضُها أخرى»[٣].

ويقول: «فإنه لا يُحْدِث شيئاً إلا بإحداث أسباب، ودفع موانع»[٤].

ثم يضرب لذلك أمثلة، فيقول: «مثال ذلك: غرق قوم نوح لم يكن ماءٌ وُجِدَ بلا سبب؛ بل أنزل الله ماءَ السماء، وأنبع ماءَ الأرضِ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ [القمر].

وكذلك عادٌ لما أهلكهم أرسل الريح الصرصر سبعَ ليالٍ وثمانية أيام حسوماً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة]»[٥].

وقال مقرراً ومؤكداً لما سبق، ذاكراً بعض الأمثلة من أحوال معجزات الأنبياء: «وكل ما وجد في العالم من خوارق العادات: آيات الأنبياء، وغيرها لم يأتِ منها شيءٌ إلا بأسباب تقدمته، كآيات موسى من مثل مصير العصا حيةً، كانت بعد أن

---

(١) انظر: النبوات ١/٤٢٨ ـ ٤٣٠، و٢/٩٥٥ ـ ٩٥٧، ودرء تعارض العقل والنقل ٩/١١١، وشرح الأصبهانية ص٥٥٥ ـ ٥٦١، و٦٩٨ ـ ٧٠١.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٦/٤٠١.

(٣) المرجع السابق ٦/٤٠١.

(٤) المرجع السابق ٦/٦٠٢.

(٥) المرجع السابق ٦/٤٠٢ ـ ٤٠٣.

ألقاها إما عند أمر الله بذلك لما ناداه من الشجرة، ورأى النار الخارقة للعادة، وإما عند مطالبة فرعونَ له بالآية، وإما عند معارضة السحرة لتبتلع حبالهم، وعصيَّهم.

وكذلك سائر آياته، حتى إغراق فرعون كان بعد مسير الجيش، وضَرْبِه البحرَ بالعصا، وكذلك تَفَجُّر الماءِ من الحجر كان بعد أن ضَرَبَ الحجر بعصاه، واستسقاء قومه إياه، وهم في برية لا ماء عندهم»[١].

ثم يبيِّن ارتباط الأسباب من خلال معجزات نبيّنا محمد ﷺ، ومعجزات المسيح عليه السلام، فيقول: «وكذلك آيات نبيّنا ﷺ مثل تكثير الماء؛ كان بِوَضْعِ يده فيه حتى نبع الماء من بين الأصابع؛ أي: تَفَجُّر الماء من بين الأصابع لم يخرج من نفس الأصابع، وكذلك البئر كان ماؤها يكثر إما بإلقائه سهماً من كنانته فيها، وإما بصبه الماء الذي بصق فيه فيها، وكذلك المسيح كان يأخذ من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه، فيكون طيراً بإذن الله، إلى أمثال ذلك»[٢].

وهكذا يقرر ارتباط المعجزات بالأسباب.

○ ثانياً: كون الكتب السابقة معجزة:

تطرق ابن تيمية رحمه الله لهذه المسألة، وهي إجابة عن سؤال يَرِدُ وهو قولهم: **هل الكتب السابقة معجزة أو غير معجزة؟.**

يقول رحمه الله: «وحينئذٍ فإذا قُدِّر أنّ التوراة، أو الإنجيل، أو الزبور معجزٌ؛ لما فيه من العلوم والإخبار عن الغيوب، والأمر والنهي، ونحو ذلك لم يُنازَع في ذلك؛ بل هذا دليل على نبوّتهم ـ صلوات الله عليهم ـ وعلى نبوّة من أخبروا بنبوّته.

ومن قال: إنها ليست **بمعجزة** فإن أراد ليست **معجزة** من جهة اللفظ والنظم؛ كالقرآن ـ فهذا ممكن، وهذا يرجع إلى أهل اللغة العبرانية.

وأما كون التوراة **معجزة** من حيث المعاني لما فيها من الإخبار عن الغيوب، أو الأمر والنهي ـ فهذا لا ريب فيه»[٣].

ثم يوضح وجه الإعجاز في الكتب السابقة فيقول: «وممّا يدلّ على أنّ كتب الأنبياء معجزة: أنّ فيها الإخبارَ بنبوّة محمد ﷺ قبل أن يُبعث بمدة طويلة.

وهذا لا يُمكن علمُه بدون إعلام الله لهم.

---

(١) الجواب الصحيح ٦/٤٠٣ ـ ٤٠٤.

(٢) المرجع السابق ٦/٤٠٤.

(٣) النبوات ١/٥١٩.

وهذا بخلاف من أخبر بنبوّته من الكهّان والهواتف؛ فإنّ هذا إنّما كان عند قرب مبعثه لـمّا ظهرت دلائل ذلك، واستَرَقَتْه الجنّ من الملائكة، فتحدثت به، وسمعته الجنّ من أتباع الأنبياء»[١].

ثم يبيِّن متى يكون خبر النبي معجزةً، ومتى لا يكون، فيقول: «فالنبيّ الثاني إذا كان قد أخبر بما هو موجود في كتاب النبيّ الأول، وقد وصل إليه من جهته ـ لم يكن آية له؛ فإنّ العلماء يشاركونه في هذا.

وأما إذا أخبر بِقَدْرٍ زائدٍ لم يوجد في خبر الأول، أو كان ممّن لم يصل إليه خبر نبيّ غيره ـ كان ذلك آية له؛ كما يوجد في نبوّة أشعيا، وداود، وغيرهما من صفات النبيّ ما لا يوجد مثله في توراة موسى»[٢].

ثم يختم كلامه في تقريره لهذه المسألة ملخصاً وجه الإعجاز في الكتب السابقة قائلاً: «فهذه الكتب معجزة لما فيها من أخبار الغيب الذي لا يعلمه إلا نبيّ، وكذلك فيها من الأمر والنهي، والوعد والوعيد، ما لا يأتي به إلا نبيّ، أو تابع نبيّ.

وما أتى أتباع الأنبياء من جهة كونهم أتباعاً لهم مثل أمرهم بما أمروا به، ونهيهم عما نهوا عنه، ووعدهم بما وعدوا به، ووعيدهم بما يُوعدون به ـ فإنه من خصائص الأنبياء»[٣].

وبهذا ينتهي هذا المطلب الذي قرر فيه ابن تيمية مسائل فرعية متعلقة بالمعجزات، ألا وهي كثرة المعجزات، وتنوعها، وحكمة إجابة مَنْ طلبَ معجزةً أخرى بعد قيام الحجة، والحكمةُ من تتابع المعجزات، واشتراك الأنبياء فيها، واختصاص بعضهم دون بعض، وتفاضلهم فيها، وتصديقهم لبعض في المعجزات.

فالمسائل التي مرت في هذا المبحث بجميع مطالبه هي أهم ما تناوله ابن تيمية في باب معجزات الأنبياء.

وهي التي تمثل منهجه في معجزات الأنبياء عموماً.

وهناك مسائل أخرى فرعية في هذا الباب تناولها ابن تيمية بالبحث والتقرير، **ومنها:**

١ ـ **مسألة: المعجزات هل هي شرعية أو قدرية؟** وتقريره أنها تجمع الأمرين؛ فهي شرعية من جهة حجتها، وقدرية من جهة وقوعها[٤].

---

(١) النبوات ١/٥١٩.
(٢) المرجع السابق ١/٥٢٠.
(٣) المرجع السابق ١/٥٢٠.
(٤) انظر: مجموع الفتاوى ١١/٣٢٢ ـ ٣٢٩.

٢ ـ **مسألة: أن آيات الأنبياء يلزم منها وجود النبوات**؛ حيث قرر «أنها مستلزمة لثبوت النبوة، وصدق الْمُخبر بها؛ فيلزم من وجودها وجود النبوة، وصدق الْمُخبر بها، ويمتنع أن تكون مع التكذيب بها، وكذبِ المخبر بها؛ فلا يجوز وجودها لمن كذب الأنبياء، ولا لمن أقر بنبوة كذاب سواء كان هو نفسه الْمُدعي للنبوة، أو ادعى نبوة غيره»[(١)].

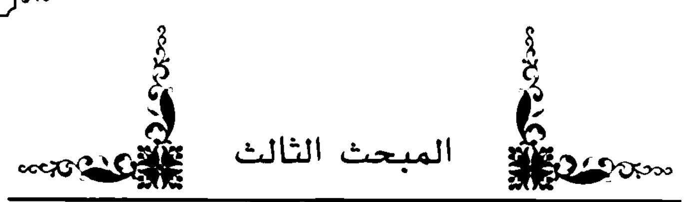
٣ ـ **مسألة: أن معجزات الأنبياء شهادة من الله بنبوتهم**، وإخبار منه بذلك؛ فلا يجب أن تكون في محل النبوة، ولا زمانها، ولا مكانها، لكن يجوز ذلك ـ كما قرره ـ[(٢)].

٤ ـ **مسألة: أن دلائل النبوة عقلية شرعية**؛ عقلية من جهة أن صحتها تُعلم بالعقل، وشرعية من جهة أنها وردت عن طريق السمع[(٣)].

وإلى هنا ينتهي الكلام على منهجه في **تقرير معجزات الأنبياء عموماً**، وقد تطرق من خلاله إلى مسائل عديدة بيَّن من خلالها المنهج الصحيح الذي يجب أن تدرس **معجزات الأنبياء** على ضوئه



(١) النبوات ٢/٩٧٩.
(٢) انظر: المرجع السابق ٢/ ٩٨٤.
(٣) انظر: الجواب الصحيح ٥/ ٤١٢.



المبحث الثالث

منهجه في تقرير معجزات نبيّنا محمد ﷺ

تمهيد: خصوصية معجزات نبيّنا ﷺ

لقد جعل الله ﷻ على يد نبيّنا محمد ﷺ من المعجزات فوق ما جعل لغيره من الأنبياء ﷺ.

وقد عني علماء الإسلام ـ قديماً وحديثاً ـ بدراسة تلك المعجزات، فأفردوا لها المصنفات، وعقدوا لها الأبواب في غضون الكلام على سيرته، أو في تضاعيف كتب الاعتقاد، أو الكتب التي تكلمت على إعجاز القرآن، أو الكتب التي تكلمت على البشارات في الكتب السابقة(١).

---

(١) انظر على سبيل المثال:
- دلائل النبوة لمحمد بن إدريس الشافعي، ذكره السبكي في طبقات الشافعية ١٤٦/٥.
- الحجة في إثبات النبوة لبشر بن المعتمر المعتزلي، ذكره ابن النديم في الفهرست ص١٨٥.
- دلائل النبوة لأبي زرعة الرازي، ذكره السخاوي في كتابه: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة الساعي، الرياض، ١٩٨٩م، ص١٠٩.
- أعلام النبوة لابن قتيبة الدينوري، ذكره ابن النديم في الفهرست ص٣٧٣.
- أعلام النبوة لأبن طفر المكي، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون، دار الفكر، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ١٢٦/١.
- الشمائل المحمدية للإمام الترمذي، إخراج وتعليق: محمد عفيف الزعبي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، وثَّق أصوله وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار الهمذاني، حقَّقه وقدَّم له: د. عبد الكريم عثمان، دار العربية، بيروت، لبنان.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، تحقيق: علي محمد البجاوي، طُبِعَ بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة. =

كما أن لهم تقسيمات، وتفريعات باعتبارات(١).

= - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٧، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.
- أعلام النبوة لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، قدَّم له وشرحه وعلَّق عليه: محمد شريف سُكَّر، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني، دار إحياء العلوم، بيروت، قدَّم له وشرحه وعلَّق عليه: الشيخ محمد شريف سكر، ط٢، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- إفحام اليهود، وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ للإمام المهتدي السموأل بن يحيى المغربي، تقديم وتحقيق وتعليق: د. محمد بن عبد الله الشرقاوي، دار الهداية، مدينة نصر، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، توزيع مكتبة عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه لابن كثير، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأدبية العربية، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح للشيخ زيادة بن يحيى الراسي، تحقيق: د. سعود بن عبد العزيز الخلف، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عمادة البحث العلمي، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- محمد رسول الله ﷺ، تأليف: محمد رضا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- محمد رسول الله ﷺ للعلامة أحمد تيمور باشا، دار الآفاق العربية، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- مباحث في إعجاز القرآن، أ.د. مصطفى مسلم، دار التدمرية، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف: معالي الشيخ د. صالح بن حميد، وعبد الرحمٰن بن محمد مَلُّوح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
وغيرها كثير، وقد ذكر محقق «ثبوت النبوات» د. محمد يسري ﷾ ثلاثة وخمسين كتاباً من عيون ما صنف في دلائل النبوة، وآياتها، وأعلامها. انظر: ص٧٣ - ٨٣.

(١) ولعل من أجمع ذلك ما قسمت به المعجزات المحمدية إلى قسمين:
القسم الأول: معجزات حسية: وهي ثلاثة أنواع:
١ - معجزات خارجة عن ذات النبي ﷺ وهي المعجزات التي أجراها الله على يديه.
٢ - معجزات في ذاته ﷺ كخاتم النبوة الذي بين كتفيه، وما شوهد من خلْقته، وصورته الدالة على نبوته.
٣ - معجزات في صفاته، وكمالاته ﷺ كصدقه، وأمانته، وشجاعته، وسائر أخلاقة التي تبلغ حد الإعجاز. =

ولئن بلغت عنايةُ العلماء بباب المعجزات المحمدية مبلغاً عظيماً ـ فإن عناية شيخ الإسلام ابن تيمية في الباب لا تكاد تضارع؛ من حيث كثرتُها، وتفصيلها، وعمق دراستها، والغوص في أسرارها، وتنقيح مناهج المتكلمين فيها، والمؤلفين في شأنها، ونحو ذلك.

ولئن كان قد أفاض في الكلام على معجزات الأنبياء عموماً ـ فإن كلامه على معجزات نبيّنا محمد ﷺ أكثر إفاضة، وتدفقاً.

ولئن كانت دراسته لمعجزات النبي ﷺ داخلة مِنْ باب الأولى ضمن دراسة لمعجزات الأنبياء عموماً فإنه لم يكتف بذلك؛ بل كانت دراسة لمعجزات النبي ﷺ على وجه الخصوص أعظم وأجلّ.

لذا فإن كل ما ورد في المبحث الماضي من مسائل في شأن منهجه في تقرير معجزات الأنبياء عموماً ينطبق على معجزات نبيّنا محمد ﷺ.

وذلك كتقريره أن معجزات الأنبياء هي آياتهم، وبراهينهم، وأنها خاصة بهم، وأنها لا يمكن معارضتها، وأنْ ليس من شرطها التحدي، أو الاستدلال بها.

وكتقريره لكثرتها، وتنوعها، والحكمة من تتابعها.

وكتقريره لاشتراك الأنبياء في المعجزات، واختصاص بعضهم ببعضها، وتفاضلهم في شأنها.

= **القسم الثاني: معجزات عقلية**: وهي ستة أنواع:
١ ـ أنه من قبيلة وبيئة لا تُعْرف بالعلم، ولم يرحل إلى الشام إلا مرتين؛ ولا طلب العلم عند أحد؛ فلا يتهم ـ والحالة هذه ـ بأنه أدعى النبوة من تلقاء نفسه.
٢ ـ أنه انقضى من عمره أربعون سنة دون أن يخوض في شيء من شأن النبوة.
ولا ريب أن سنّ الشباب هو وقت الحماسة والتَدَفع لمثل تلك الدعوى.
٣ ـ أنه تَحَمَّل في سبيل أداء الرسالة من أنواع المشاق، وصنوف المتاعب ما لا يتحمله بشر، وهو مع ذلك واثق مما جاء به، مستقبلٌ كلَّ ما يعترضه بكل ثقة، ويقين وراحة بال.
٤ ـ أنه كان مجاب الدعوة؛ فما من دعوة دعا بها إلا وأجابها الله ﷻ له.
٥ ـ ما جاء به من المعجزة الكبرى، وهي القرآن الكريم.
٦ ـ ما كان عليه من الفصاحة والبلاغة التي تصل إلى حد الإعجاز.
٧ ـ أن البشارة به جاءت في الكتب السابقة.
٨ ـ إخباره عن الغيوب الماضية، والحاضرة، والمستقبلة بما يشهد أنه نبي من عند الله ﷻ.
انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ١/٣٩٩، إيثار الحق لابن المرتضى اليماني ص٧٩ ـ ٨٥، وتنقيح الأبحاث للملل الثلاث لابن كَمُّونة ص١٣٠.

وكتقريره لارتباط المعجزات بالأسباب، ونحو ذلك من المسائل التي قررها، وتبين من خلالها منهجه في معجزات الأنبياء عموماً[١].

ومع هذا كله فإن له رَحِمَهُ اللهُ منهجاً خصَّ به دراسة معجزات نبيّنا محمد ﷺ.

فهو يرى أن معجزات نبيّنا محمد ﷺ تفوق معجزات سائر الأنبياء عليهم السلام من حيث تنوعُها، وكثرتُها، وتواتُرها وكون صاحبها خاتم الأنبياء، وأقربهم عهداً، وكونه رسولَ اللهِ إلى الناس جميعاً، ونحو ذلك؛ فلا غرو ـ إذاً ـ أن يخصها بمزيد عناية ودراسة.

وهذا ما سيتبين خلال المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول: تقسيمه للمعجزات المحمدية.

المطلب الثاني: بيانه للطرق التي تثبت بها المعجزات المحمدية.

المطلب الثالث: عنايته بتفسير البشارات، وشرح المعجزات المحمدية.



(١) انظر: المبحث الماضي من هذا الفصل.

المطلب الأول

تقسيمه للمعجزات المحمدية

لقد عني ابن تيمية أيّما عناية بتقسيم المعجزات المحمدية باعتبارات، وهو في هذا التقسيم ينحو منحى الإجمال تارة، ومنحى التفصيل تارة أخرى؛ فقد يجمل الكلام عليها في مواضع بحسب ما يقتضيه المقام، وقد يفرد لها فصلاً يفيض الكلام من خلاله بذكر أنواعها، وتفريعاتها، وما جرى مجرى ذلك.

أما تقسيمه لها من حيث الإجمال فمبثوث في مواطن عدة من آثاره.

وأَجْمَعُ ما عقده في هذا الشأن **موضعان**:

○ **الموضع الأول: فصل عقده في «الجواب الصحيح»:**

حيث تكلم في ذلك الفصل عن بعض أنواع المعجزات بإجمال، ومن ذلك **قوله**: «وكان يأتيهم بالآيات الدالة على نبوتِه ﷺ ومُعْجِزاتُه تزيد على ألف معجزة»[1].

ثم شرع في ذكر أمثلة كثيرة متنوعة من المعجزات المحمدية دون تفصيل لها، أو ذكر لأدلتها.

وإنما ذكرها على سبيل العد والإحصاء، وذلك من نحو الآياتِ التي سبقت مبعثه، وبشاراتِ الأنبياء قبله به، والآيات التي صاحبت مولده، والآيات التي جَرَتْ على يديه، والآيات المشتملة على ذكر الغيوب الماضية والحاضرة والمستقبلة.

مع الإشارة إلى أنه لم يكن بمكة أحدٌ من أهل الكتاب ممن يتعلم هو منه، ولا كان يجتمع مع أحد منهم يعرف اللسان العربي، ولا كان يحسن لساناً غير العربي، ولا كان يكتب كتاباً، ولا يقرأ كتاباً مكتوباً، ولا سافر قبل نبوته إلا سفرتين: سفرةً وهو صغير مع عمه أبي طالب لم يفارقه، وسفرةً أخرى وهو كبيرٌ مع ركب من قريش لم يفارقهم، ولا اجتمع فيها مع أحد من أهل الكتاب.

---

(١) الجواب الصحيح ١/٣٩٩.

فهذا الموضع الأول، وخلاصة ما اشتمل عليه[١].

○ الموضع الثاني: ما جاء في مجموع الفتاوى:

وذلك في الرسالة المعنونة بـ: (قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات): وذلك في معرض كلامه على أنواع الخوارق؛ حيث قرر أنها تكون من باب العلم تارة، ومن باب القدرة تارة، وأن معجزات الأنبياء، وأعلامهم، ودلائل نبوتهم تدخل في ذلك[٢].

ثم قال: «وقد جمع الله لنبيِّنا محمد ﷺ جميع أنواع المعجزات والخوارق»[٣].

وبعد ذلك ذكر جملة من المعجزات النبوية، وهي قريبة مما ذكره في الموضع الماضي من «الجواب الصحيح»؛ حيث ذكر بعض الخوارق في باب العلم؛ كإخباره ﷺ عن الأمور الغائبة: ماضيها وحاضرها.

وذكر بعض الخوارق في باب القدرة؛ كمعجزاته في العالم العلوي، وفي الجو، وفي الأرض والماء، وفي المركبات كتكثيره الطعام[٤].

ثم ختم ذلك بقوله: «وهذا باب واسع لم يكن الغرضُ هنا ذِكْرَ أنواع معجزاته بخصوصه، وإنما الغرض التمثيل»[٥].

فهذان الموضعان هما أجمع ما ذكر فيه تقسيم المعجزات إجمالاً.

أما تقسيمه المفصَّل فمبثوث في غضون بعض آثاره؛ إذ قد يفصل في بعض المواطن في ذكر نوع من الأنواع، أو أكثر.

أما أطول، وأشمل تقسيم له في هذا الباب فهو ذلك الفصل الذي عقده في «الجواب الصحيح»؛ حيث فصَّل فيه القول في أنواع المعجزات المحمدية تفصيلاً شاملاً مستوعباً[٦].

ولقد ذكر في ذلك الفصل تسعة أنواع للمعجزات المحمدية، وتحت كل نوع من هذه الأنواع يذكر جملة مما يتيسر له من الآثار التي تندرج تحت هذا النوع، ويعقب ذلك بالشرح، والتحليل، والمقارنة.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح ١/٣٩٩ ـ ٤٠٤.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١١/٣١٣ ـ ٣١٤. (٣) المرجع السابق ١١/٣١٥.

(٤) انظر تفصيل ذلك في: المرجع السابق ١١/٣١٢ ـ ٣١٧.

(٥) المرجع السابق ١١/٣١٧.

(٦) وقد جاء في الجواب الصحيح ٦/١٥٩ ـ ٣٢٣.

وفيما يلي بيان لها بشيء من البسط والإيضاح.

قال رَحِمَهُ اللهُ في بداية ذلك الفصل: «وآياته ﷺ المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير أنواع»[١].

ثم شرع في ذكرها **فقال:**

النوع الأول: ما هو في العالم العلوي[٢]: ويعني بذلك: ما يكون من المعجزات في السماء.

ويضرب لذلك أمثلة، فيقول: «كانشقاق القمر، وحراسة السماء بالشهبِ الحراسةَ التامةَ لما بعث؛ كمعراجه[٣] إلى السماء»[٤].

ثم **أعاد** الحديث عن انشقاق القمر، والحكمة من ذلك، **فقال:** «فقد ذكر الله انشقاق القمر، وبيَّن أن[٥] الله فعله، وأخبر به؛ **لحكمتين عظيمتين:**

أحدهما: كونه من آيات النبوة، لما سأله المشركون آية، فأراهم انشقاق القمر.

والثانية: أنه دلالة على جواز انشقاق الفلك، وأن ذلك دليل على ما أخبرت به الأنبياء من انشقاق السمٰوات.

ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ [القمر]»[٦].

ثم انتقل إلى الكلام على مثال آخر من المعجزات في العالم العلوي، وهو صعود النبي ﷺ ليلة المعراج إلى السماء، فقال: «وكذلك صعوده ليلة المعراج إلى ما فوق السمٰوات، وهذا مما تواترت به الأحاديث، وأخبر به القرآن؛ أخبر بمسراه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس، وفي موضع آخر

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ١٥٩.
(٢) انظر: المرجع السابق ٦/ ١٥٩.
(٣) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: (وكمعراجه...).
(٤) الجواب الصحيح ١/ ١٥٩.
(٥) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: (وبيَّن أنه فعله...) كما يدل عليه قوله بعد قليل: (وأخبر أنه فعل ذلك؛ ليريه...).
(٦) الجواب الصحيح ١/ ١٥٩ ـ ١٦٠، وسيأتي مزيد إيضاح لكلامه على تلك الآية العظيمة في المطلب الثالث عند الكلام على عنايته بشرح المعجزات المحمدية.

بصعوده إلى السموات، فقال ـ تعالى ـ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء].

فأخبر هنا بمسراه ليلاً بين المسجدين، وأخبر أنه فعل ذلك؛ ليريه من آياته»[١].

ثم قال مبيناً اختصاص النبي ﷺ بهذه الآية: «ومعلوم أن الأرض قد رأى سائر الناس ما فيها من الآيات؛ فعُلِم أن ذلك ليريه آياتٍ لم يرها عموم الناس، كما قال في السورة الأخرى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم]»[٢].

ثم أفاض في شرح هذه الآية، وإمكان الصعود إلى السماء، ورد على من كذَّب ذلك بالعقل والنقل[٣].

ثم **انتقل** إلى النوع الثاني من هذا المبحث، **فقال:**

النوع الثاني: آيات الجو: كاستسقائه ﷺ واستصحائه، وطاعة السحاب له، ونزول المطر بدعائه ﷺ[٤]: ويعني بالاستسقاء: طلب السقيا وإنزال الغيث[٥]، وبالاستصحاء: طلب الصحو، وهو انكشاف الغيم[٦].

ثم **يسوق** بعد ذلك الأدلة؛ **فيورد** ما جاء في «الصحيحين» عن أنس بن مالك: «أن رجلاً دخل المسجد في يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله ﷺ قائماً يخطبُ، فاستقبل رسولَ الله ﷺ قائماً، ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل؛ فادع الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: **«اللَّهُمَّ أغثنا، اللَّهُمَّ أغثنا، اللَّهُمَّ أغثنا»**.

قال أنس: فلا والله ما نرى في السماء من سحاب، ولا من قَزْعة، وأن السماء لمثل الزجاجة، وما بيننا وبين سلع من دار؛ فوالذي نفسي بيده ما وضع يديه حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر عن لحيته»[٧].

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ١٦٥. (٢) المرجع السابق ٦/ ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٣) انظر: المرجع السابق ٦/ ١٦٥ ـ ١٨٢، وسيأتي مزيد بيان لذلك في المطلب الثالث من هذا المبحث.

(٤) انظر: الجواب الصحيح ٦/ ١٨٢. (٥) انظر: لسان العرب ١٤/ ٣٩٣.

(٦) انظر: المرجع السابق ١٤/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣.

(٧) انظر: البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧).

وفي رواية أخرى: «فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس[١] فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت».

قال: «فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً».

قال: «ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائماً يخطب، فاستقبله قائماً فقال: يا رسول الله! هلكت الأموال، وانقطعت السبل؛ فادع الله يمسكها عنا.

قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: «**اللَّهُمَّ حوالينا ولا علينا، اللَّهُمَّ على الآكام، والظراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر**».

قال: فما يشير بيده إلى ناحية إلا تفرجت حتى رأيت المدينة في مثل الجوبة[٢]، وسال الوادي قناة[٣] شهراً، ولم يجئ أحد من ناحية إلا أخبر بجود»[٤].

وقال بعد ذلك: «ومن هذا الباب[٥] نصر الله بالريح التي قال الله فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الأحزاب].

قال مجاهد: يعني: ريح الصَّبا، أرسلت على الأحزاب يوم الخندق حتى كفأت قدورهم على أفواهها، ونزعت فساطيطهم، وجنوداً لم تروها: يعني: الملائكة. وفي «صحيح مسلم»، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**نصرت بالصبا**[٦]، **وأهلكت عاد بالدَّبور**[٧]»[٨].

وفي المغازي والسير قصة الأحزاب، وكيف أُرسلت عليهم الريح والملائكة،

---

(١) يعني: باستدارتها. انظر: لسان العرب ٦/ ٣٢.

(٢) **الجوبة**: الحفرة المستديرة الواسعة، والمراد هنا: الفرجة من السحاب. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٢/ ٥٠٦.

(٣) **قناة**: أحد أودية المدينة المشهورة. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م، ٢/ ٥٠٦.

(٤) رواه البخاري (١٠٣٣)، ومسلم (٨٩٧).

(٥) يعني: من باب المعجزات الداخلة في آيات الجو.

(٦) **الصَّبا**: ريح معروفة تقابلها الدَّبور، وَمَهَبُّها المستوي من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار، وتثنيته: صَبوان، وصبيان، والجمع: صبوات. انظر: لسان العرب ١٤/ ٥١.

(٧) **الدَّبور**: الريح التي تقابل الصَّبا، وهي ريح تهب من نحو المغرب، بعكس الصَّبا؛ فهي من ناحية المشرق. انظر: لسان العرب ٤/ ٢٧٢.

(٨) مسلم (٩٠٠)، ورواه البخاري (١٠٣٥).

وانهزموا بغير قتال معروف»[١].

ثم **انتقل** بعد ذلك إلى النوع الثالث من أنواع المعجزات النبوية المتعلقة بالفعل والتأثير **فقال:**

النوع الثالث: تصرفه في الحيوان: الإنس، والجن، والبهائم[٢]:

بمعنى: أنه يتصرف فيه أمراً، ونهياً، ونحو ذلك، فيحصل من ذلك الحيوان ـ بأنواعه ـ طاعةٌ، وانتهاءٌ خارجان عن العادة، خارقان لها.

ويذكر في ذلك ثمانية عشر حديثاً من السُّنَّة، تدور حول تصرفه في الجمل، والإنسان، والطير، والأسد، والذئب، والفرس.

ومن الأمثلة التي ساقها في ذلك ما يلي:

١ ـ **قال:** «فروي عن عبد الله بن جعفر قال: (أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم، فأسر إلي حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس، قال: وكان أحب ما استتر به هدف أو حائش نخل[٣]، فدخل حائط رجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حن[٤]، وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح رأسه، وذِفْراه[٥]؛ فسكن، قال: «**لمن هذا الجمل؟**».

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ١٨٤ ـ ١٨٥، وانظر ذلك في: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، كتب هوامشه: حسين بن إبراهيم زهران، دار الفكر، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ٣/ ٧٤٩ ـ ٧٥٣، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، ٥/ ٣٥٤ ـ ٣٥٨، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني، تحقيق: عبد الرازق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، ٤/ ٣١٩ ـ ٣٢١.

(٢) انظر تفصيل ذلك في: الجواب الصحيح ٦/ ١٨٥ ـ ٢٠٨.

(٣) **الهدف**: ما ارتفع من الأرض، **وحائش نخل**: حائط النخل، وهو بستان النخيل. انظر: شرح النووي لمسلم ٣/ ٣٥.

(٤) **الحانُّ**: هو الجمل.

(٥) **الذِّفرى**: هو الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن، وهما ذِفريان. انظر: لسان العرب ٤/ ٣٠٧.

ومنه قول عنترة:

يـنـبَـاع مـن ذِفـري غـضـوب جَـسـرة　　　زيَّـافـة مـثـل الـفـنـيـق الـمُـكْـدَمِ

ومعنى ينباع: يَنْبَع؛ أشبعت الفتحة، فصارت ألفاً، ومعنى: **غضوب**: غضبى، **والجسرة**: الناقة الماضية في سيرها، والزيافة: المتبخترة، **والفنيق**: الفحل من الإبل، **والمكدم**: الغليظ. انظر: شرح ديوان عنترة بن شداد، تحقيق وشرح: عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ص١٤٨.

فجاء فتىً من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله، فقال له رسول الله ﷺ: «**ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؛ فإنه شكا إلي أنك تجيعه، وتدئبه**»[1].

روى مسلم[2] بعضَه وبعضُه على شرطه، ورواه أبو داود[3] وغيره»[4].

٢ ـ **وقال**: «وروى الحاكم في «صحيحه» عن سفينة[5] مولى رسول الله ﷺ قال: ركبنا البحر في سفينة، فانكسرت السفينة، فركبت لوحاً من ألواحها، فطرحني في أَجَمَة[6] فيها أسد فلم يَرُعْني إلا به.

فقلت: يا أبا الحارث[7]، أنا مولى رسول الله ﷺ، فطأطأ رأسه، وغمز بمنكبه شِقِّي، فما زال يغمزني، ويهديني الطريق حتى وضعني على الطريق، فلما وضعني على الطريق همهم فظننت أنه يودعني»[8][9].

النوع الرابع: آثاره في الأشجار والخشب[10]: ويعني بذلك: تأثيره بالشجر والخشب من الأمور الخارقة للعادة.

وفي هذا النوع ساق سبعة أمثلة من السُّنَّة تدور حول هذا النوع، **ومن ذلك ما يلي**:

١ ـ **قال** رَحِمَهُ اللهُ: «وفي «الصحيح» عن جابر: أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله، ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه، فإن لي غلاماً نجاراً.

---

(١) **تُدئبه**: يعني: تُتعبه. انظر: لسان العرب ١/ ٣٦٩.
(٢) انظر: صحيح مسلم (٣٤٢). (٣) (٢٥٤٩).
(٤) الجواب الصحيح ٦/ ١٨٦ ـ ١٨٧.
(٥) انظر ترجمته في: زاد المعاد ١/ ١١٦، وسير أعلام النبلاء ٣/ ١٧٢، والفخر المتوالي فيمن انتسب للنبي ﷺ من الخدم والموالي للسخاوي، ضبط نصّه وعلّق عليه: مشهور حسن سلمان، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ص٤٥ ـ ٤٦.
(٦) **الأجمة**: تطلق على منبت الشجر، وعلى الشجر الكثير الملتف، وهي مفردة، وتجمع على أُجْم، وأُجُم، وأَجَم، وآجام، وأجام. انظر: اللسان ١٢/ ٨.
(٧) هذه كنية الأسد، انظر: جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، حققه وعلق حواشيه: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، ١/ ٤٣، وانظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاد المولى وصاحبيه، دار الجيل، بيروت، دار الفكر، ١/ ٥٠٩.
(٨) الحاكم في المستدرك ٣/ ١٩٦ ـ ١٩٧، وقال: «وهذا حديث صحيح، على شرط مسلم، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.
(٩) الجواب الصحيح ٦/ ١٩٦ ـ ١٩٧. (١٠) انظر: المرجع السابق ٦/ ٢٠٨.

قال: «**إن شئت**» فعملت له المنبر، فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صُنع له، فصاحت النخلة التي كان يخطب عليها حتى كادت أن تنشق؛ فنزل النبي ﷺ فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت»[١].

٢ ـ **وقال**: وفي «الترمذي»[٢]، عن علي قال: «كنت مع رسول الله ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا جبل إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله»[٣].

النوع الخامس: الماء، والطعام، والثمار الذي كان يكثر ببركته فوق العادة[٤].

قال رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا باب واسع نذكر منه ما تيسر»[٥].

ثم ذكر سبعة عشر حديثاً تدور حول تكثير الماء ببركته ﷺ، **ومن الأمثلة على ذلك ما يلي**:

١ ـ **قال** رَحِمَهُ اللهُ: «**أما الماء**: ففي «الصحيحين»[٦] عن أنس: (أن النبي ﷺ دعا بماء، فأتي بقدح رحراح[٧]، فجعل القوم يتوضؤون، قال: فحزرت ما بين السبعين إلى الثمانين).

وفي رواية عنه: أن النبي ﷺ: (خرج في بعض مخارجه ومعه أناس من أصحابه، فانطلقوا يسيرون، فحضرت الصلاة، فلم يجدوا ما يتوضؤون به؛ فانطلق رجل من القوم، فجاء بقَدَح فيه ماء يسير؛ فأخذه النبي ﷺ فتوضأ، ثم مد أصابعه الأربع على القدح، ثم قال: «**قوموا فتوضؤوا**» وكانوا سبعين، أو نحوه)[٨]»[٩].

ثم ذكر بعد ذلك تكثير الطعام ببركته ﷺ وأورد فيه اثني عشر حديثاً تدلّ على ذلك.

ومما ذكره ما يلي:

١ ـ **قال** رَحِمَهُ اللهُ: «**وأما تكثير الطعام ففي «الصحيحين»**[١٠] «عن جابر قال: لما

---

(١) الحديث في البخاري (٢٠٩٥).
(٢) (٣٦٢٦) وقال: «وهذا حديث غريب».
(٣) انظر: الجواب الصحيح ٦/ ٢١٣ ـ ٢١٤.
(٤) انظر: المرجع السابق ٦/ ٢١٥.
(٥) المرجع السابق ٦/ ٢١٥.
(٦) البخاري (٢٠٠)، ومسلم (٢٢٧٩).
(٧) **الرَحْراح**: هو الواسع القصير الجدار، ويقال: رَحْرَح بحذف الألف. انظر: صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٥/ ٣٨.
(٨) الحديث في البخاري (٣٥٧٤).
(٩) الجواب الصحيح ٦/ ٢١٥ ـ ٢١٦.
(١٠) البخاري (٤١٠٢)، ومسلم (٢٠٣٩).

حُفر الخندق رأيت رسول الله خَمِصاً[١]، فانكفأت إلى امرأتي، فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خَمَصاً شديداً.

فأخرجت لي جِرَاباً[٢] فيه صاع من شعير، ولنا بُهَيمة داجن[٣]، قال: فذبحت وطحنت ففرغت إلي فِرَاغي[٤]، فقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه.

قال: فجئت فساررْتُه، فقلت: يا رسول الله، إنا ذبحنا بُهيمة لنا، وطحنت صاعاً من شعير عندنا، فتعال أنت ونفرٌ معك؛ فصاح رسول الله ﷺ وقال: «**يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع لكم سُوراً[٥]، فحي هلا بكم**» وقال رسول الله ﷺ: «**لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء**».

فجئت، وجاء رسول الله ﷺ يَقْدُم الناس، حتى جئت امرأتي فقالت: بك وبك[٦]، قال: قد فعلت الذي قلت لي، فأخرجت له عجيناً، فبصق فيه، وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها، وبارك، ثم قال: «**ادع لي خابزة؛ فلتخبز معي، واقدحي من برمتكم، ولا تنزلوها**».

وهم ألف فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه، وانحرفوا[٧]، وإن برمتنا لتغط[٨] كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو»[٩].

ثم انتقل إلى تكثير الثمار فقال: «وأما تكثير الثمار ففي «صحيح البخاري»، عن

---

(١) **الخَمِص**: ضامر البطن، **والخَمَصُ**: الجوع، وضمور البطن من الطعام. انظر: اللسان ٧/ ٣٠.

(٢) **الجراب**: وعاء من جلد. انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ١٣/ ٢١٥.

(٣) **البُهيمة**: الصغيرة من أولاد الضأن، **والداجن**: هي التي أَلِفت البيوت. انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ١٣/ ٢١٥.

(٤) قولها: «ففرغت»؛ أي: انصرفت، وقولها: «فِراغي»: الفراغ: حوض من أدم واسع ضخم؛ أي: أنه قام بتقطيع الذبيحة في ذلك الإناء، ثم وضعه في البرمة، وهي القدر. انظر: اللسان ٨/ ٤٤٥.

(٥) **السُّور**: كلمة فارسية، وهي بمعنى: الطعام، ومعنى (صنع سُوراً)؛ أي: طعاماً دعا الناس إليه. انظر: لسان العرب ٤/ ٣٨٨.

(٦) قولها: بك وبك: تلومه، وتدعو عليه، أو تعني: أنك ألحقت بنا الفضيحة. انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ٣/ ٢١٧.

(٧) **انحرفوا**: يعني: مالوا عن الطعام. انظر: فتح الباري ٧/ ٢٩٩.

(٨) **تغط**: تغلي وتفور. انظر: الفتح ٧/ ٢٩٩.

(٩) انظر: الجواب الصحيح ٦/ ٢٣١ ـ ٢٣٢.

جابر بن عبد الله؛ أن أباه استشهد، وترك ديناً، وترك ست بنات، فلما حضر جداد النخل قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: قد علمت أن والدي قد استشهد يوم أُحد، وترك ديناً كثيراً، وإني أحب أن يراك الغرماء.

قال: **«اذهب؛ فَبَيْدِر[١] كل تمر على ناحية»**.

ففعلت، ثم دعوته، فلما نظروا إليه كأنهم أغروا بي تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون أطاف حول أعظمها بيدراً ثلاث مرات، ثم جلس عليه، ثم قال لي: **«ادع لي أصحابك»**.

فما زال يكيل لهم حتى أدى الله عن والدي أمانته، وأنا أرضى أن يؤدي الله عن والدي أمانته، ولا أرجع إلى أخواتي بتمرة، فسلم الله البيادر كلَّها، حتى إني لأنظر إلى البيدر الذي كان عليه النبي ﷺ كأنها لم تنقص تمرة واحدة»[٢][٣].

وروى بعده أربعة أحاديث في هذا الباب[٤].

ولئن كان ابن تيمية يقرر أن من معجزات النبي ﷺ تكثير الماء، والطعام، والثمار ببركته ـ فإنه يرى أن بركته في هذا الباب لا تقتصر على هذه الأمور المحسوسة ونحوها.

بل يرى أن بركته في الأمور العقلية المعنوية لا تقل عن ذلك، بل ربما تزيد عليه.

يقول رَحِمَهُ اللهُ **في «اقتضاء الصراط المستقيم»** في فصل عقده حول حال الناس قبل الإسلام من الشر، والضلال المبين، ثم ما كانوا عليه بعد مبعث النبي ﷺ: **«فهدى الله ببركة نبوة محمد ﷺ وبما جاء به من البينات والهدى هدايةً جلَّت عن وصف الواصفين، وفاقت معرفة العارفين، حتى حصل لأمته المؤمنين عموماً، ولأهل العلم منهم خصوصاً من العلم النافع، والعمل الصالح، والأخلاق العظيمة، والسنن المستقيمة ـ ما لو جمعت حكمةُ سائرِ الأمم علماً، وعملاً الخالصةُ من كلِّ شوبٍ إلى الحكمة التي بُعث بها لتفاوتا تفاوتاً يمنع قَدْرَ النسبةِ بينهما؛ فللّه الحمد كما يحب ربنا ويرضى.**

---

(١) فبيدرْ: أي: اجعل التمر في البيدر؛ أي: كل صنف في بَيْدَر، والبَيْدَر: الموضع الذي تُهَيَّئ فيه التمور والحبوب للحفظ. انظر: فتح الباري ٦/ ٥٩٣.

(٢) البخاري (٢٧٨١).

(٣) الجواب الصحيح ٦/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

(٤) انظر: المرجع السابق ٦/ ٢٤٧ ـ ٢٥٤.

ودلائل هذا، وشواهده ليس هذا موضعها»[١].

النوع السادس: تأثيره في الأحجار، وتسخيرها له[٢]: وتحت هذا النوع من أعلام النبوة ساق ستة أحاديث تدلّ عليه، وتؤكده.

ومما ذكره في ذلك ما يلي:

١ ـ **قال** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ففي «صحيح البخاري»، عن أنس قال: «صعد النبي ﷺ أحداً ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم الجبل، فقال: «**اسكن** ـ وضربه برجله ـ **فليس عليك إلا نبي، وصديق، وشهيدان**»[٣]»[٤].

٢ ـ **وقال**: «وفي «الصحيحين» عن جابر بن سمرة، عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن**»[٥]»[٦].

٣ ـ **وقال**: «وفي الترمذي[٧]، عن علي، قال: (كنت مع النبي ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله شجر، ولا جبل إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله) ورواه الحاكم في «صحيحه»[٨]»[٩].

النوع السابع: تأييد الله له بملائكته[١٠]: وساق تحت هذا النوع جملة من النصوص الواردة في ذلك، حيث أورد ستَّ آياتٍ من القرآن الكريم، وعشرة أحاديث من السُّنَّة النبوية.

ومما ذكره في ذلك النوع:

قال: «قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ الآية [الأنفال].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية، تحقيق وتعليق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، ١/ ٧٥، وانظر كلاماً نحو هذا في: نقض المنطق لابن تيمية، صحَّحه: الشيخ حامد الفقي، مكتبة السُّنَّة المحمدية ص٨، وانظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ص٣.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٦/ ٢٥٥.

(٣) البخاري (٣٦٧٥).

(٤) الجواب الصحيح ٦/ ٢٥٥.

(٥) رواه مسلم (٢٢٧٧)، ولم يرد عند البخاري.

(٦) الجواب الصحيح ٦/ ٢٥٥.

(٧) (٣٦٢٦).

(٨) المستدرك ٢/ ٦٢٠، وقال الحاكم: «وهذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٩) الجواب الصحيح ٦/ ٢٥٥.

(١٠) انظر: المرجع السابق ٦/ ٢٦٣.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال ـ تعالى ـ في الخندق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الأحزاب].

وقال ـ تعالى ـ في حنين: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة]»[(١)].

وفي «الصحيحين»[(٢)] واللفظ لمسلم عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب قال: «لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين، وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً، فاستقبل رسول الله القبلة، ثم مد يديه، وجعل يهتف بربه: «**اللَّهُمَّ أنجز لي ما وعدتني، اللَّهُمَّ آتني ما وعدتني، اللَّهُمَّ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**».

فما زال يهتف بربِّه مادّاً يديه، مستقبل القبلة حتى أسقط رداءه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، فقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك؛ فإنه سينجز لك ما وعدك؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال]. فأمده الله بالملائكة»[(٣)].

النوع الثامن: حفظ الله لنبيّه ﷺ: والمقصود من ذلك: عصمة الله ﷻ لنبيّه ﷺ[(٤)].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا النوع: «في كفاية الله له أعداءَه، وعصمتِه له من الناس.

وهذا فيه آية لنبوته من وجوه»[(٥)].

ومما ذكره من تلك الوجوه قوله: «منها: أن ذلك تصديق لقوله ـ تعالى ـ:

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٢٤٦ ـ ٢٦٣.

(٢) البخاري (٢٩١٥)، ومسلم (١٧٦٣). (٣) الجواب الصحيح ٦/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٤) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط٤، ١٤٣٧هـ، ٣/ ١١٧٤.

(٥) الجواب الصحيح ٦/ ٢٧٣.

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الحجر].

فهذا إخبار الله بأنه يكفيه المشركين المستهزئين»[1].

وقال عن حفظ الله له من أهل الكتاب: «وأخبر أنه يكفيه أهل الكتاب بقوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة].

فأخبره الله أنه يكفيه هؤلاء الشاقين له من أهل الكتاب»[2].

وقال أيضاً عن حفظ الله له، وعصمته له من الناس عموماً: «وأخبره أنه يعصمه من جميع الناس بقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

فهذا خبر عام بأن الله يعصمه من جميع الناس»[3].

النوع التاسع: في إجابة دعوته: حيث ذكر أن ذلك من أعلام نبوة النبي ﷺ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإجابة الدعاء: منه ما تكون إجابتُه معتادةً لكثير من عباد الله كالإغناء، والعافية، ونحو ذلك.

ومنه ما يكون المدعوُّ به من خوارق العادات، كتكثير الطعام والشراب كثرةً خارجة عن العادة، وإطعامِ النخل في العام مرتين مع أن العادة في مثله مرة، وردِّ بصر الذي عمي، ونحو ذلكَ مما يأتي، وما تقدم من أدعيته»[4].

ثم قال موضحاً وجهَ كونِ ذلك علماً من أعلام النبوة، قال: «ومعلوم أن من عوَّده الله إجابة دعائه لا يكون إلا مع صلاحه ودينه.

ومن ادعى النبوة لا يكون إلا من أبر الناس إن كان صادقاً، أو من أفجرهم إن كان كاذباً.

وإذا عوده الله إجابة دعائه لم يكن فاجراً؛ بل برّاً، وإذا لم يكن مع دعوى النبوة

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٢٧٣. (٢) المرجع السابق ٦/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

(٣) المرجع السابق ٦/ ٢٧٤، وانظر: ٦/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧، ففيه تفصيل لأنواع كفاية الله له أعداءه، وسيأتي ذلك في المطلب الثالث من هذا المبحث.

(٤) الجواب الصحيح ٦/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

إلا براً تعين أن يكون نبيّاً صادقاً»[١].

ثم يعلل لذلك بقوله: «فإن هذا يمتنع أن يتعمد الكذب، ويمتنع أن يكون ضالاً يَظُنُّ[٢] أنه نبي، وأن الذي يأتيه ملك، ويكون ضالاً في ذلك، والذي يأتيه الشيطان؛ فإن هذا حالُ مَنْ هو جاهل بحال نفسه، وحالِ مَنْ يأتيه.

ومثل هذا لا يكون أضل منه، ولا أجهل منه»[٣].

ثم شرع بذكر شيء من الفروق بين الأنبياء والكذابين من أتباع الشياطين.

ثم ضرب بعض الأمثلة ـ على سبيل الإجمال ـ لبعض الأدعية النبوية التي شاهد الناس إجابتها، فقال: «والمقصود هنا: ذكر بعض أدعية النبي ﷺ التي شوهد إجابتها، وقد تقدم ذكر بعض أدعيته مثل دعائه على الملأ من قريش؛ فقتلوا يوم بدر، وألقوا في القليب، ومثل دعائه على عتيبة بن أبي لهب، ومثل دعائه على الذي كذب عليه بأن يجعله آية، ومثل دعائه لما قَلَّ الزاد وجمعوه على نطْع[٤]، فكثَّره الله ببركة دعوته حتى كفى الجيش العظيم في غزوة تبوك، ومثل دعائه في غزوة الخندق؛ فكفى الطعام، وهو صاع من شعير لألف نفر، وكذلك دعاؤه لما نزحت بئر الحديبية؛ فكثر ماؤها حتى كفى الرَّكْب، وهم ألف وخمسمائة وركابهم»[٥].

إلى أن قال: «وقد تقدم دعاؤه للذي ذهب بصره، فأبصر، ودعاؤه في الاستسقاء فما رد يديه إلا والسماء قد أمطرت، ودعاؤه في الاستصحاء، وإشارته إلى السحاب؛ فتقطَّع من ساعته، ودعوته على سراقة بن جعشم لما تبعهم في الهجرة؛ فغاصت فرسه في الأرض، ودعاؤه يوم بدر، ويوم حنين»[٦].

ثم شرع بعد ذلك بتفصيل القول، وذكر الأدلَّة من الكتاب والسُّنَّة على

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٢٩٧.

(٢) يعني: يمتنع أن يكون ذلك المدعي الذي هذه حاله ـ ليس بنبي، وإنما ادعى النبوة؛ ضلالاً منه، أو جهلاً.

(٣) الجواب الصحيح ٦/ ٢٩٧.

(٤) النَّطْع، ويقال: النَّطَع، والنِّطْع، والنِّطَع من الأدَم، والجمع: نطوع، وأنطاع، والمقصود هٰهنا: بساط من جلد. انظر: الصحاح، وتاج العربية للجوهري، تحقيق: د. إميل يعقوب، ود. محمد نبيل طريفي، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، ٣/ ٥٨٧، ولسان العرب ٨/ ٣٥٢.

(٥) الجواب الصحيح ٦/ ٣٠٢.

(٦) المرجع السابق ٦/ ٣٠٢.

إجابة الله ﷻ لدعوات نبيّه محمد ﷺ حيث ذكر اثنين وعشرين مثالاً على ذلك[١].

وبنهاية هذا المطلب يتبين تقسيماته التسعة للمعجزات المحمدية سواء ما كان منها في العالم العلوي، أو آيات الجو، أو تصرفه في الحيوان، أو آثاره في الأشجار، والماء، والطعام، والثمار، والأحجار، أو ما كان من تأييد الله له بملائكته، وحفظه له، وإجابة دعوته، وما يدخل تحت ذلك من التفضيلات، وذكر الأمثلة.



(١) انظر: الجواب الصحيح ٦/٣٠٢ ـ ٢٢٣.

المطلب الثاني

بيانه للطرق التي تثبت بها المعجزات المحمدية

لقد عني ابن تيمية رحمه الله عناية بالغة في بيان الطرق التي تثبت بها معجزات نبيّنا محمد ﷺ، وذلك في كثير من المواطن من آثاره.

ولقد مرت الإشارة إلى شيء من ذلك عند الكلام على تقسيمه للمعجزات، وتقريره أن من المعجزاتِ الإخبارَ عن الأمور الغائبة: ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها، وأن ذلك من باب العلم الخارق، وأنه منقول من أصح طرق النقل، وهو المتواتر بأنواعه(١).

قال رحمه الله **في معرض كلام له عن بشارة الأنبياء** عليهم السلام بالنبي محمد ﷺ: «ثم العلم بأن الأنبياء قبله بشروا به يعلم من وجوه:

أحدها: ما في الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب من ذكره.

الثاني: إخبار من وقف على تلك الكتب وغيرها من كتب أهل الكتاب ـ ممن أسلم ومن لم يسلم ـ بما وجدوه من ذكره فيها»(٢).

إلى أن قال: «وهذا مثل ما تواتر عن الأنصار أن جيرانهم من أهل الكتاب كانوا يخبرون بمبعثه، وأنه رسول الله، وأنه موجود(٣) عندهم.

وكان هذا من أعظم ما دعا الأنصار إلى الإيمان به لما دعاهم إلى الإسلام، حتى آمن الأنصار به، وبايعوه من غير رهبة ولا رغبة»(٤).

وقال بعد إيراد كثير من الشواهد والأدلة على صدقه، والتبشير به، وأن ذلك جاء من أصح الطرق: «وفي الجملة أمره أظهر، وأشهر، وأعجب، وأبهر، وأخرق للعادة من كل أمر ظهر في العالم من البشر.

ومثل هذا إذا كان كاذباً فَلِكَذِبِه لوازمُ كثيرةٌ جدّاً تفوق الحصر متقدمةٌ، ومقارنةٌ،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١١/٣١٣ ـ ٣١٥.

(٢) الجواب الصحيح ٥/١٦٠.

(٣) يعني: في كتبهم.

(٤) الجواب الصحيح ٥/١٦٠.

ومتأخرةٌ؛ فإن من هو أدنى دعوة منه إذا كان كاذباً لَزِمَ كذبه من اللوازم ما يُبَيِّن كذبه؛ فكيف مثل هذا؟!

فإذا انتفت لوازم المكذوب انتفى الملزوم»[١].

ولقد أبدى وأعاد ـ على سبيل الإجمال ـ في مسألة الطرق التي تقطع بصحة نبوة محمد ﷺ ومعجزاته في كثير من آثاره ـ كما مرَّ ـ.

وكما كان يُجْمل في ذلك كثيراً فإنه يُفَصِّل فيه أحياناً.

وأهم ما ورد من تفصيله في ذلك ما عقده في فصل من كتابه «الجواب الصحيح» **قال فيه:** «فصل: في الطرق التي تَبَيَّن بها أن هذه الأخبار تفيد العلم»[٢].

ثم أفاض في الكلام على ذلك بذكر **ست طرق كبرى** للقطع بثبوت تلك المعجزات[٣].

وفيما يلي بيان لتلك الطرق بشيء من البسط، والتعليق.

الطريق الأول: طريق التواتر العام.

الطريق الثاني: طريق التواتر الخاص: حيث قرن بين هذين الطريقين، وفَصَّل الكلام فيهما معاً، وضرب الأمثلة الكثيرة، وأورد الدلائل العديدة عليهما.

يقول رحمه الله **في ذلك:** «وهذه الأخبار منها ما هو في القرآن، ومنها ما هو: متواتر يعلمه **العامة والخاصة**؛ كنبع الماء بين أصابعه، وتكثير الطعام، وحنين الجذع، ونحو ذلك»[٤].

ثم يبيِّن نوع التواتر في ذلك، فيقول: «فإن كُلّاً من ذلك تواترت به الأخبار واستفاضت، ونقلته الأمة جيلاً بعد جيل، وخَلَفاً عن سلف؛ فما من طبقة من طبقات الأمة إلا وهذه الآيات منقولة مشهورة مستفيضة فيها؛ ينقلها أكثر ممن يَنْقُل كثيراً من القرآن، وقد نقلها وسمعها[٥] من الأمة أكثر ممن سمع ونقل كثيراً من آيات القرآن، وأكثر ممن سَمِع ونَقَل أنه كان يسجد في الصلاة سجدتي السهو، وممن سَمِع ونَقَل نُصُبَ الزكاة وفرائضها؛ بل مواقيتُ الصلاةِ وأعدادُها إنما شاع نَقْلُها للعمل الدائمِ بها»[٦].

ثم يبيِّن السبب في تواتر نقل المعجزات، فيقول: «وأما هذه الآيات فنقلها أكثر

---

(١) الجواب الصحيح ٥/ ١٩٥.
(٢) المرجع السابق ٦/ ٣٢٤.
(٣) انظر: المرجع السابق ٦/ ٣٢٤ ـ ٣٨٠.
(٤) المرجع السابق ٦/ ٣٢٤.
(٥) يعني: المعجزات.
(٦) الجواب الصحيح ٦/ ٣٢٤.

ممن نقل مواقيت الصلاة من جهة الأخبار المعينة، وذلك أن آيات الرسول كان كثيراً منها يكون بمشهد من الخلق العظيم؛ فيشاهدون تلك الآيات كما شاهد أهل الحديبية، وهم ألف وخمسمائة نبع الماء من بين أصابعه، وظهور الماء الكثير من بئر الحديبية لما نزحوها، ولم يتركوا فيها قطرة؛ فكثر حتى روى العسكر.

وكما شاهد العسكر في غزوة ذات الرقاع الماء اليسير لما صَبَّه جابر في الجفنة، وامتلأت، وملأ منها جميع العسكر»[1].

إلى أن قال: «وكما شاهد الجيش في رجوعهم من غزوة خيبر المزادتين مع المرأة، وقد ملأوا كل وعاء معهم وشربوا، وهي ملأى كما هي.

وكما شاهد أهل خيبر، وهم ألف وخمسمائة الطعام الذي كان كربضة الشاة؛ فأشبع الجيش كلهم، وكما شاهد الجيش العظيم، وهم نحو ثلاثين ألفاً في تبوك العين لما كانت قليلة الماء، فكثر ماؤها حتى كفاهم، وشاهدوا الطعام الذي جمعوه على نطع فأخذوا منه حتى كفاهم، وكما شاهد أهل الخندق ـ وهم أكثر من ألف ـ كثرة الطعام في بيت جابر بعد أن كان صاعاً من شعير وعناقاً، فأكلوا كلهم بعد الجوع حتى شبعوا، وفضلت فضلة»[2].

ثم يؤكد صحة ذلك التواتر مستعملاً قياس الأولى، فيقول: «فإذا كان مثل هذه الأمور تواتر في الأمة، واتفقت على نقله فكيف بما كان أشهر وأظهر عند من عاينه، وكان عِلْم الذين رأوه به أظهر من علمهم بهذه الأحكام وقد نقلوا ذلك إلى من غاب عنهم؛ فإنه ـ قطعاً ـ يجب أن يكون تواتر هذه الآيات في الأمة أعظم وأظهر»[3].

ثم يقرر بعد ذلك أنه «لا يكاد يوجد مسلم إلا وقد عرف كثيراً من هذه الآيات، وسمعها، ونقلها إلى غيره.

بخلاف كثير من الأحكام المتواترة عنه، والمتفق على نقلها؛ فإن كثيراً من الناس لا يعرفها، ولا سمعها»[4].

ثم يؤكد بعد ذلك على أن الهمم والدواعي توفَّرت على نقل آياته ـ عليه الصلاة والسلام ـ أكثر مما توفرت على نقل الأخبار العجيبة من سير الملوك، والخلفاء.

ويقرر ـ أيضاً ـ أن أتباع الأنبياء لم يتواتر عندهم من سير الملوك، وأيامهم،

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٣٢٤.
(٢) المرجع السابق ٦/ ٣٢٥.
(٣) المرجع السابق ٦/ ٣٢٧.
(٤) المرجع السابق ٦/ ٣٢٧.

وأسماء مشهوريهم، وقوادهم، والحروب التي جرت بينهم كتواتر آيات النبي ﷺ[١].

ثم يوضح بعد ذلك وجه شهرة تلك الآيات، وكونها من المتواتر العام والخاص، فيقول: «وظهور هذه الآيات التي هي دلائل النبوة وأعلامها مشهورة بين الأمة عامتها وخاصتها في كل زمان أعظم من ظهور هذه الأخبار المتواترة؛ فهي أحق أن تجعل متواترة من هذه.

ونقلةُ هذهِ الآياتِ من الخاصة ـ أهل العلم ـ وكتبُ الحديث والتفسير والمغازي والسير وكتب الأصول والفقه التي توجد فيها هذه الأخبارُ ـ أصحُ نقلاً باتفاق أهل العقل والعلم من كتب التواريخ المرسلة»[٢].

ثم يعلل لذلك، فيقول: «فإن تلك كثير من أخبارها منقطع الإسناد، وفيها من الأكاذيب ما لا يحصيه إلا الله، وإن كان أصل القصة قد يكون متواتراً.

وهذه الآيات المشهورة في الأمة كثير من أجناسها متواتر عند أهل العلم، وكثير من آحادها متواتر عند الخاصة»[٣].

وهكذا يقرر **هذين الطريقين** من طرق العلم بمعجزات النبي ﷺ وهما **التواتر العام، والتواتر الخاص**، وكونهما قطعيين في دلالتهما على المعجزات المحمدية.

ثم يورد طائفة من الأمثلة على التواتر عند أهل التواريخ، والمغازي، والأطباء، وأهل الكتاب، وأهل العلم بأيام الإسلام، وسير الملوك، وأهل العلم بالرجال، وأهل العلم بالنحو، والقراء، وأن كل طائفة تعلم مما يخص علمها مالا يعلمه غيرها[٤].

ويقرر بعد ذلك ـ مستعملاً قياس الأولى ـ أن تواتر آيات النبي ﷺ أولى وأحرى، **فيقول:** «فإذا كان آحاد أهل العلم من أهل الفقه، أو الطب، أو الحساب، أو النحو، أو القراءات؛ بل وآحاد الملوك يعلم الخاصةُ من أمورهم ما لا يعلمه غيرهم، ويقطعون بذلك ـ فكيف بمن هو عند أتباعه أعلى قدراً من كل عالم، وأرفع منزلةً من كل ملك، وهم أرغب الخلق في معرفة أحواله، وأعظم تحرياً للصدق فيها، ولرد الكذب منها؟!»[٥].

إلى ان يقول مبيّناً عظم منزلة أولئك العلماء، وشدة تحريهم في مصنفاتهم: «حتى

---

(١) انظر: الجواب الصحيح ٦/ ٣٢٧ ـ ٣٣٤.
(٢) المرجع السابق ٦/ ٣٣٤.
(٣) المرجع السابق ٦/ ٣٣٤.
(٤) انظر: المرجع السابق ٦/ ٣٣٦ ـ ٣٤٨.
(٥) المرجع السابق ٦/ ٣٤٩.

قد صنفوا الكتب الكثيرة في أخبار جميع مَنْ روى شيئاً من أخباره، وذكروا فيها أحوالَ نَقَلَةِ حديثه، وما يتصل بذلك من جرح وتعديل، ودققوا في ذلك، وبالغوا مبالغة لا يوجد مثلها لأحد من الأمم، ولا لأحد من هذه الأمة إلا لأهل الحديث؛ فهذا يعطي أنهم أعلم بحال نبيّهم من كل أحد بحال متبوعهم، وأنهم أعلم بصدق الناقل وكذبه من كل أحد بصدق من نقل عن متبوعهم وكذبه»[١].

ثم يقرر اتفاقهم في نقلهم، وصدقهم فيه، فيقول: «فإذا كان أولئك فيما ينقلونه عن متبوعهم متفقين عليه جازمين بتصديقه لا يكون إلا صدقاً ـ فهؤلاء[٢] مع جزمهم بالصدق، واتفاقهم على التصديق أولى أن لا يكون ما جزموا بصدقه إلا صدقاً»[٣].

ثم يختتم كلامه على هذين الطريقين بقوله: «فهذان طريقان في تصديق الآيات: **التواتر العام، والتواتر الخاص**»[٤].

الطريق الثالث: التواتر المعنوي: وهو مما أورده ابن تيمية ضمن الطرق التي تفيد العلم القطعي في ثبوت المعجزات للنبي ﷺ.

قال رحمه الله **عن هذا الطريق**: «وهو مما اتفق على معرفته عامة الطوائف؛ فإن الناس قد يسمعون أخباراً متفرقة بحكايات يشترك مجموعها في أمر واحد»[٥].

ثم ضرب أمثلة مختلفة على هذا النوع، فقال: «كما سمعوا أخباراً متفرقةً تتضمن شجاعة عنترة، وخالد بن الوليد، وأمثالهما، وتتضمن سخاء حاتم ومعن بن زائدة، وأمثالهما، وتتضمن حلم الأحنف بن قيس، ومعاوية بن أبي سفيان، وأمثالهما، وتتضمن شعر امرئ القيس والنابغة ولبيد وأمثالهم من المتقدمين، وشعر الفرزدق وجرير وعمر بن أبي ربيعة، وأمثالهم من المولَّدين، وشعر أبي نواس والمتنبي وأبي تمام، وأمثالهم من الْمُحدَثين»[٦].

ثم يواصل ضرب الأمثلة لهذا النوع فيقول: «بل وسمعوا أقوالاً وفتاوى متفرقة تتضمن فقه مالك، والثوري، والليث بن سعد، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من العلماء، وأخباراً متفرقة تتضمن العدل وحسن السيرة من عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهما من ولاة

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٣٤٩.
(٢) يعني بهم: العلماء الذين نقلوا آيات النبي ﷺ.
(٣) الجواب الصحيح ٦/ ٣٥٠.
(٤) المرجع السابق ٦/ ٣٥٠.
(٥) المرجع السابق ٦/ ٣٥٠.
(٦) المرجع السابق ٦/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢.

الأمور، وسمعوا أخباراً متفرقةً تتضمن الزهد عن مثل الحسن البصري، والفضيل بن عياضٍ، ومالك بن دينار، وإبراهيم بن أدهم، وغيرهم من الزهاد، وسمعوا أخباراً متفرقةً تتضمن معرفة أبقراط وجالينوس ونحوهما بالطب»[١].

ثم يقول بعد ضرب الأمثلة الماضية موضحاً معنى التواتر المعنوي: «فيحصل بمجموع الأخبار علم ضروري بأن الشخص موصوف بذلك النعت، وإن كان كل من الأخبار لو تجرد وحده لم يُفِدِ العلم، وإن كان كل من الحكايات ليست وحدها منقولة بالتواتر»[٢].

ويقول بعد ذلك: «ومن هذا الباب: العلمُ القطعيُّ بالإيمان والموت، ونحو ذلك مما يحصل به استقامةُ موجبِ العلمِ القطعي كعلم الناس بأن خديجة وعائشة ونحوهما من أمهات المؤمنين، وأن فاطمةَ وزينب من بنات النبي ﷺ وأن عائشةَ بِنْتُ أبي بكر، وأن أبا بكر وعمر وعثمان تولوا الخلافة بعده، وأن أبا بكر وعمر دفنا في حجرته»[٣].

وبعد أن بيَّن معنى هذا الطريق ـ طريق التواتر المعنوي ـ وضرب عليه من الأمثلة ما يوضحه ـ قرر أن حصول ذلك بالنسبة لمعجزات النبي ﷺ ثابت بطريق الأولى، **فقال:** «وإذا عُرِفَ هذا فهذه الأحاديث، وأضعاف أضعافها هي أضعاف أضعاف ما ينقل عن الواحد من هؤلاء، ونَقَلَتُها أجلُّ، وأكثر، وأفضل من نقلة أخبار هؤلاء، وهي كاملة تتضمن أن محمد بن عبد الله ﷺ كان يجري على يديه من **الآيات الخارقة للعادة**، والعجائب العظيمة ما لا يُعْرَفُ نَظِيْرُه عن أحد من الناس»[٤].

ثم يقرر أن «علم المسلمين بهذا أعظم من علم أهل الكتاب بما ينقلونه من آيات موسى وعيسى، وغيرهما»[٥].

ويعلل لذلك بقوله: «فإن نَقَلَةَ آيات محمد ﷺ غير القرآن أضعافُ أضعافِ نقلة التوراة والإنجيل فضلاً عن غيرهما من أخبار الأنبياء؛ فإن التوراة لم تكن جميعها محفوظةً لعموم بني إسرائيل كما يحفظ القرآن عامة المسلمين.

وعند خراب بيت المقدس قَلَّ مَنْ يحفظها جِدّاً حتى تنازع الناس في تواتر نقلها.

---

(١) الجواب الصحيح ٥/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣.
(٢) المرجع السابق ٦/ ٣٥٣.
(٣) المرجع السابق ٦/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤.
(٤) المرجع السابق ٦/ ٣٥٤.
(٥) المرجع السابق ٦/ ٣٥٤.

وكذلك الإنجيل، نَقَلَتُهُ أقلُّ بكثير من نقلة آيات محمد ﷺ»[(١)].

ثم يختم كلامه على هذا النوع بتقرير أن ما عند أهل الكتاب من حجة في صحة نقلها عن أنبيائهم وأتباع أنبيائهم ـ إلا وحجة المسلمين فيما ينقلونه عن نبيهم وأصحابه والتابعين أظهر وأقوى[(٢)].

وهكذا يقرر ذلك الطريق من طرق ثبوت المعجزات المحمدية، **ألا وهو طريق التواتر المعنوي**.

الطريق الرابع: حضور الخلق الكثير للآية، وتصديقها: فذلك أحد الطرق القطعية التي يقرر بها ثبوت المعجزات المحمدية.

يقول رَحِمَهُ اللهُ **في هذا**: «**الطريق الرابع**: أن يقال: هذه الآيات تكون بمحضر من الخلق الكثير؛ كتكثير الطعام يوم الخندق؛ فإنه كان أهل الخندق رجالهم ونساؤهم ألوفاً.

وكذلك نبع الماء بين أصابعه، وفيضان البئر بالماء يوم الحديبية، وكانوا ألفاً وخمسمائةٍ، وكلهم صالحون من أهل الجنة، لا يعرف فيهم من تعمَّد كذبةً واحدةً على النبي ﷺ»[(٣)].

ويواصل ضرب الأمثلة على حضور الخلق الكثير للمعجزة، فيقول: «وكذلك تكثير الماء والطعام في غزوة خيبر كانوا ألفاً وخمسمائة، وفي تبوك كانوا ألوفاً مؤلفة»[(٤)].

ثم يذكر ما يؤيد ذلك، ويؤكده، فيقول: «وكان بعضُ مَنْ حضر هذه المشاهد نقل هذه الآيات قُدَّامَ آخرين ممن حضرها، وينقلها لأقوام؛ فيذهب أولئك فيخبرون بها أولئك، ويصدق بعضهم بعضاً، ويحكي هذا مثلَ ما حكى هذا من غير تواطئ وتشاعر[(٥)]، وأدنى أحواله أن يُقِرَّه ولا ينكر عليه روايتها»[(٦)].

إلى أن يقول: «ونحن نعلم بموجب العادة الفطرية التي جبل الله عليها عباده، وبموجب ما كان عليه سلف الأمة من اعتقاد الصدق وتحريه، واعتقادهم أن ذلك

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥.
(٢) انظر: المرجع السابق ٦/ ٣٥٥.
(٣) المرجع السابق ٦/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦.
(٤) المرجع السابق ٦/ ٣٥٦.
(٥) يعني: من دون اتفاق، أو شعور بعضهم بحكاية الآخر.
(٦) الجواب الصحيح ٦/ ٣٥٦.

واجب، ومن شدة توقيهم الكذب على نبيِّهم، وتعظيمهم ذلك؛ إذ قد تواتر عندهم عنه أنه قال: «**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[(١)].

فنحن نعلم أنهم لم يكونوا يقرون من يعلمون أنه يكذب عليه، ومن أخبر عنه بما كانوا مشاهدين له، وكذب عليه فقد علموا أنه كذب عليه»[(٢)].

وبعد أن قرر ذلك وصل إلى النتيجة القطعية بثبوت ما قالوه، فقال: «فلما اتفقوا على الإقرار على ذلك، وعلى تناقله بينهم من غير إنكار أحد منهم لذلك ـ عُلِمَ قطعاً أن القوم كانوا متفقين على نقل ذلك[(٣)] كما هم متفقون على نقل القرآن والشريعة المتواترة...

فلما كان بعضهم يُقِرُّ بعضاً على ذلك عُلِمَ اتفاقهم على نقل ذلك، وهذا غاية التواتر»[(٤)].

ثم يختم كلامه حول هذا الطريق قائلاً: «ومن تدبر هذا الطريق أفادته علماً يقينياً بصحة هذه الآيات عن محمد ﷺ وكذلك الطرق المتقدمة»[(٥)].

إلى أن يقول مبيِّناً تيسير الله ﷻ **لمثل ذلك، وعلة ذلك التيسير:** «فإنا قد ذكرنا أن ما كان الناس أحوج إلى معرفته يسر الله دلائله للناس أعظم من تيسير غيره.

وحاجةُ الخلق إلى تصديق الرسول أشدُّ من حاجتهم إلى جميع الأشياء؛ إذ بذلك تحصل سعادتهم في الآخرة، ونجاتهم من العذاب، وبه يحصل صلاح العباد في المعاد والمعاش»[(٦)].

الطريق الخامس: تواتر أنواع من النبوة عند كل صنفٍ من العلماء:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن هذا الطريق من طرق التواتر:** «**الطريق الخامس:** أن ما مِنْ صِنْفٍ مِنْ أصنافِ العلماء إلا وقد تواتر عندهم من الآيات ما فيه كفاية»[(٧)].

ثم ضرب أمثلة على ذلك، فقال: «فكتب التفسير مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها، وكتب الحديث مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها، وكتب السير والمغازي والتواريخ مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها، وكتب الفقه مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها، وإن لم يكن هذا مقصوداً منها، وإنما المقصود

---

(١) البخاري (١٠٧)، ومسلم (٣).
(٢) الجواب الصحيح ٦/٣٥٦ ـ ٣٥٧.
(٣) يعني: المعجزات النبوية.
(٤) الجواب الصحيح ٦/٣٥٧.
(٥) المرجع السابق ٦/٣٥٩.
(٦) المرجع السابق ٦/٣٥٩.
(٧) المرجع السابق ٦/٣٥٩.

الأحكام لكنهم في ضمن ما يروونه من الأحكام يروون فيها من الآيات ما هو متواتر عندهم، وكتب الأصول والكلام مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها»[(١)].

ثم يقرر أن ذلك يفيد العلم اليقيني، فيقول: «ونَقْلُ كل طائفة من هذه الطوائف يفيد العلم اليقيني، فكيف بما ينقله كل طائفة من هذه الطوائف؟

وهذه الطريق وغيرها مثل طريق الإقرار والتصديق، وطريق التواتر المعنوي، وطريق تصديق أهل العلم بالحديث بها، وغير ذلك ـ يُسْتَدل بها تارة على تواتر الجنس العام **للآيات الخارقة للعادة**، وهذا أقلُّ ما يكون، ويستدل بها على تواتر جِنْسٍ جنسٍ منها، كتواتر تكثير الطعام، وتواتر تكثير الطهور والشراب، وعلى تواتر نوعٍ نوعٍ منها، كتواتر نبع الماء من بين أصابعه، وتواتر إشباع الخلق العظيم من الطعام القليل، وتواتر شخصٍ شخصٍ منها؛ كتواتر حنين الجذع إليه، وأمثال ذلك»[(٢)].

إلى ان يقول: «وكلما أمعن الإنسان في ذلك النظرَ، واعتبر ذلك بأمثاله، واعتبر، وأعطاه حقه من النظر والاستدلال ـ ازداد بذلك علماً ويقيناً، وتبيَّن له أن العلم بذلك أظهر من جميع ما يطلب من العلم بالأخبار المتواترة؛ **فليس في الدنيا عِلمٌ مطلوبٌ بالأخبار المتواترة** إلا والعلم بآيات الرسول وشرائع دينه أظهر من ذلك»[(٣)].

ثم يذكر بعد ذلك أن العلم بأحوال النبي ﷺ وأقواله، وأفعاله **أظهر** من علم سائر الأنبياء، والملوك، والعلماء، والمشايخ.

وأنه ما من علم في سائر بقاع الأرض إلا والعلم به ﷺ أظهر، وأبين[(٤)].

ثم يختتم كلامه بقوله: «وهذا مما يبيِّن أنه ليس في الوجود أمرٌ يُعْلَم بالنقول المتواترة إلا وآيات الرسول وشرائعه تعلم بالنقول المتواترة أعظم مما يعلم ذلك الأمر؛ تحقيقاً لقوله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح].

وظهوره على الدين كله بالعلم، والحجة، والبيان ـ إنما هو بما يظهره من آياته وبراهينه»[(٥)].

الطريق السادس: تصنيف العلماء في آيات النبوة: يقول رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا الطريق

(١) الجواب الصحيح ٦/٣٥٩، وانظر: مجموع الفتاوى ١١/٣١٥ ـ ٣١٦.
(٢) الجواب الصحيح ٦/٣٥٩ ـ ٣٦٠.
(٣) المرجع السابق ٦/ ٣٦٠.
(٤) انظر: المرجع السابق ٦/ ٣٦٠.
(٥) المرجع السابق ٦/ ٣٦٠ ـ ٣٦١.

من طرق ثبوت المعجزات المحمدية: «**الطريق السادس**: أن العلماء قد صنفوا مصنفات كثيرة في ذكر آياته وبراهينه المنقولة في الأخبار، وجردوا لذلك كتباً مثل كتاب دلائل النبوة للفقيه الحافظ أبي بكر البيهقي، وقبله دلائل النبوة للشيخ أبي نعيم الأصبهاني، وقبله دلائل النبوة لأبي الشيخ الأصبهاني، ولأبي القاسم الطبراني، وقبلهما دلائل النبوة للإمام الحافظ أبي زرعة الرازي، والشيخ المصنف أبي بكر عبد الله بن أبي الدنيا، وللمصنف الحافظ الإمام أبي إسحاق إبراهيم الحربي، وأبي بكر جعفر الفريابي، وما صنفه الشيخ العالم أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه المسمى بـ: «الوفا في فضائل المصطفى» وما صنفه الحافظ أبو عبد الله المقدسي من دلائل النبوة، وهؤلاء وغيرهم يذكرون ما يذكرون من الأسانيد المعروفة، والطرق المتعددة الكثيرة المتواترة»[١].

ثم تكلم بعد ذلك عن مناهج هؤلاء المؤلفين من ناحية تمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها، ومن ناحية التصحيح والتضعيف، والكلام على الأسانيد والطرق ونحو ذلك.

وقرر أن في هذه الكتب من الأحاديث المتضمنة لآيات نبوته، وبراهين رسالته أضعافَ أضعافِ الأحاديث المأثورة فيما هو متواتر عنه.

ثم ذكر جملة كثيرة من الأمثلة على ذلك[٢].

وقال بعد ذلك: «والمقصود هنا: أن تواتر آياتِهِ المستفيضة في الأحاديث أعظم من تواتر أمور كثيرة هي متواترة عند الأمة، أو عند علمائها وعلماء أهل الحديث.

وهذا غير الآيات والبراهين المستفادة بالقرآن؛ فإن تلك قد تجرد لها طوائف من المسلمين ذكروا من أنواعها وصفاتها ما هو مبسوط في غير هذا الموضع[٣] حتى بيَّنوا أن ما في القرآن من الآيات يزيد على عشرات ألوف من الآيات، وهذا غير ما في كتب أهل الكتاب من الإخبار به»[٤].

فهذه طرقٌ ستٌّ تَثْبُتُ بها النبوة المحمدية، وقد تناولها ـ كما مرَّ ـ بالدراسة والتحليل، والتقرير، وبيان أنها انطوت على أعظم، وأصدق تواترٍ في تاريخ البشرية،

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٣٦١ ـ ٣٦٣.
(٢) انظر: المرجع السابق ٦/ ٣٦٣ ـ ٣٧٧.
(٣) انظر في ذلك: مجموع الفتاوى ١٤/ ٦٤، ١٦/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧ و٥٣٦ ـ ٥٣٧.
(٤) الجواب الصحيح ٦/ ٣٧٧.

مما يدلُّ على أن أمره ـ عليه الصلاة والسلام ـ أظهر، وأشهر، وأعجب، وأبهر، وأخرق للعادة من كل أمر ظهر في العالم من البشر.

ولا غرو في ذلك؛ فابن تيمية يرى أن بعثة النبي ﷺ أعظم حدثٍ في تاريخ البشرية جمعاء[1]



(١) انظر: الجواب الصحيح ٦/ ٣٦٠ ـ ٣٧٧.

المطلب الثالث

عنايته بتفسير البشارات وشرح المعجزات المحمدية

المسألة الأولى: تفسيره لبشارات الكتب السابقة

لقد بشَّرت الكتب السابقة بدين الإسلام وظهور نبيِّه في مواضع كثيرة.

وهذه الشهادات الموجودة في الكتب المتقدمة تعد من الآيات البينات على نبوة محمد ﷺ.

ولقد مرَّ الكلام في المبحث الماضي على كون الكتب السابقة معجزة أو غير معجزة، وأن ابن تيمية يرى أنها معجزة باعتبارات، ومنها كونها تخبر عن المغيبات؛ فهي ـ بهذا الاعتبار ـ داخلة في معجزات الأنبياء عموماً.

وكونها بشَّرت بنبوة نبيّنا محمد ﷺ فهي داخلة في معجزاته[1].

---

(١) انظر: النبوات ١/٥١٩ ـ ٥٢٠، وانظر: الجواب الصحيح ٥/١٩٧، وانظر: الكتب الأخرى التي تكلمت على البشارات الواردة في الكتب السابقة الدالة على نبوة محمد ﷺ ومنها: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن دين الإسلام، وإثبات نبوة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ للقرطبي، تقديم ودراسة وتعليق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، والأجوبة الفاخرة للقرافي، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، وكتاب الدين والدولة لابن ربن الطبري، وإفحام اليهود للمهتدي السموأل، وتخجيل من حرف الإنجيل للجعفري، وابن تيمية في الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح، وابن القيم في هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، دار الريان، تقديم وتحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار المطبعة السلفية، ومحمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى لعبد الأحد داود، وإظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي، دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد أحمد ملكاوي، دار الوطن، دار أولي النهى، ط١، ١٤١٢هـ، وبشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ في نصوص كتب العهدين، ردٌّ على شبه المنصرين والمستشرقين، وهو القسم الثاني لكتاب المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمه الله، والقسيس الدكتور فندر، تأليف: محمد أحمد ملكاوي، مطابع الفرزدق التجارية، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، والبحث الصريح في إيِّما الدين الصحيح، والبشارة بنبي الإسلام لأحمد حجازي السقا، وغيرها كثير من الكتب التي عُنيت بإبراز البشارات بالنبي محمد ﷺ في الكتب السابقة، وخصوصاً التوراة والإنجيل.

ومن هنا كانت عناية ابن تيمية بتفسير تلك البشارات.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «دلائل نبوة المسيح ومحمد قطعية يقينية لا يمكن القدح فيها بظن؛ فإن الظن لا يدفع اليقين لا سِيَّما مع الآثار الكثيرة المُخْبرة بأن محمداً كان مكتوباً باسمه الصريح فيما هو منقول عن الأنبياء»[١].

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «ومما ينبغي أن يعرف ما قد نبهنا عليه غير مرة، أن شهادة الكتب المتقدمة لمحمد ﷺ إما شهادتها بنبوته، وإما شهادتها بمثل ما أخبر به هو من **الآيات البينات** على نبوته ونبوة من قبله.

وهو حجة على أهل الكتاب وعلى غير أهل الكتاب من أصناف المشركين الملحدين، كما قد ذكر الله هذا النوع من الآيات في غير موضع من كتابه»[٢].

ثم ذكر أمثلة على ذلك من القرآن، فقال: «كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٩٧﴾ [الشعراء].

وقوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤].

وقوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ۝٤٣﴾ [الرعد].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]»[٣].

وقد جاء في «صحيح البخاري» عن عطاء بن يسار أنه قال: «لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ [الأحزاب]. وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا سَخَّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يَقْبِضَهُ الله حتى يقيم به المِلَّة العوجاء، بأن يقُولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعيناً عُمياً، وقُلوباً غُلْفاً»[٤].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ **معلقاً على هذا الأثر:** «ولفظ التوراة والإنجيل والقرآن والزبور قد يراد به الكتب المُعَيَّنَةُ، ويراد به الجنس، فَيُعَبَّر بلفظ القرآن عن الزبور

---

(١) الجواب الصحيح ٥/ ١٥٥.
(٢) المرجع السابق ٥/ ١٩٧.
(٣) المرجع السابق ٥/ ١٩٧ ـ ١٩٨.
(٤) البخاري (٢١٢٥ و٢٨٣٨).

وغيره كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «**خُفِّفَ على داود القرآن، فكان ما بين أن تُسْرَج دابته إلى أن يركبها يقرأ القرآن**»[١][٢].

قال ابن تيمية معلقاً على هذا الحديث: «والمراد به قرآنه، وهو الزبور، ليس المراد به القرآن الذي لم ينزل إلا على محمد ﷺ.

كذلك ما جاء في صفة أمة محمد أناجيلهم في صدورهم، فَسَمَّى الكتب التي يقرؤونها ـ وهي القرآن ـ أناجيل.

وكذلك في التوراة: (إني سأقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم أنزل عليه توراة مثل توراة موسى) فسمى الكتاب الثاني توراة.

فقوله: «**أخبرني بصفة رسول الله في التوراة**» قد يراد بها نفس الكتب المتقدمة كلِّها، وكلُّها تسمى توراة، ويكون هذا في بعضها.

وقد يراد به التوراة المعينة.

وعلى هذا؛ فيكون هذا في نسخة لم ينسخ منها هذه النسخ؛ فإن النسخ الموجودة بالتوراة التي وقفنا عليها ليس فيها هذا»[٣].

ثم شرع رحمه الله **في ذكر عدد من البشارات،** وتناولها بالشرح، والتحليل، والمقارنة، وفيما يلي ذكر لشيء من ذلك، مما يبيِّن عنايته بشرح تلك البشارات؛ إذ المقام لا يسمح بالتفصيل:

١ ـ **تفسيره لنبوءة أشعياء:** فقد جاء في نبوة أشعياء قوله: «عبدي الذي سُرَّت به نفسي، أنزل عليه وحيي، فَيُظْهر في الأمم عدلي، ويوصيهم بالوصايا، لا يضحك، ولا يسمع صوته في الأسواق يفتح العيون العور والآذان الصم، ويحيي القلوب الغُلْف، وما أعطيه لا أعطي أحداً، يحمد الله حمداً جديداً، يأتي من أقصى الأرض، وتفرح البرية، وسكانها يهللون الله على كل شَرَف ويكبرون على كل رابية، لا يضعف، ولا يُغْلب، ولا يميل إلى الهوى، مشقح[٤]، ولا يذل الصالحين الذين

---

(١) الجواب الصحيح ٥/١٥٦.
(٢) أخرجه البخاري (٣٤١٧).
(٣) الجواب الصحيح ٥/١٥٦ ـ ١٥٧، وانظر: هداية الحيارى ص١٦٥ ـ ١٦٦، وإرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على علم التوحيد والمعاد والنبوات للشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص٢١ ـ ٢٢.
وقول ابن تيمية: (ليس فيها هذا)؛ يعني: أثر عبد الله بن عمرو، ولكن سيرد في نبوءة أشعياء ـ كما سيأتي ـ.
(٤) مِشْقَح: يميل إلى لون الحمرة. انظر: لسان العرب ٢/٤٩٩.

هم كالقصبة الضعيفة؛ بل يُقَوِّي الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نور الله الذي لا يُطْفَأ، أثر سلطانه على كتفيه»[١].

وهذه البشارة من أشعياء عليه السلام قريبة مما جاء في أثر عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما **قال ابن تيمية** رحمه الله **معلقاً على هذه النبوءة**: «وهذه صفات منطبقة على محمد وأمته، وهي من أجلِّ بشارات الأنبياء المتقدمين به.

ولفظ التوراة قد عرف أنه يراد به جنس الكتب التي يقر بها أهل الكتاب، فيدخل في ذلك: الزبورُ، ونبوةُ أشعياءَ، وسائرُ النبواتِ غير الإنجيل»[٢].

٢ ـ تفسيره لبشارةٍ في سِفْر التثنية ونصّها: «وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء[٣] وأشرق لهم من سعير[٤] وتلألأ من جبال فاران[٥]»[٦].

وقد أورده ابن تيمية بلفظ قريب فقال: «وذلك مثل قوله في التوراة ما قد ترجم بالعربية: «جاء الله من طور سينا، وبعضهم يقول: تجلى الله من طور سينا، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران»[٧].

قال ابن تيمية معلقاً على هذه البشارة: «قال كثير من العلماء واللفظ لأبي محمد بن قتيبة: ليس بهذا خفاء على من تدبره، ولا غموض؛ لأن مجيءَ الله من **طور سينا** إنزالُه التوراةَ على موسى من طور سينا كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا.

وكذلك يجب أن يكون إشراقُه من **ساعير** إنزالَه الإنجيلَ على المسيح، وكان المسيح من **ساعير** أرض الخليل بقرية تدعى ناصرة، وباسمها يسمى من اتبعه نصارى.

---

(١) انظر: سفر أشعياء الإصحاح ٣٥ فقرة ١ ـ ١٠، العهد القديم ٨١٥، وانظر: الجواب الصحيح ٥/١٥٧ ـ ١٥٨.

(٢) الجواب الصحيح ٥/١٥٨.

(٣) **سيناء، أو طور سينا**: اسم جبل بقرب آيلة، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٥/١٠٧.

(٤) **سعير، أو ساعير**: اسم لجبال فلسطين، وهي قرية من الناصرة بين طبرية وعكا، انظر: معجم البلدان ٥/٩.

(٥) **جبال فاران، هي**: جبال مكة. انظر: الجواب الصحيح ٥/٢٠٠.

(٦) سفر التثنية الإصحاح الثالث والثلاثون ١ ـ ٣، العهد القديم، وانظر: إفحام اليهود ص١١٨.

(٧) الجواب الصحيح ٥/١٩٩.

وكما وجب أن يكون إشراقُه من **ساعير** بالمسيح فكذلك يجب أن يكون استعلانُه من جبال **فاران** إنزالَه القرآنَ على محمد، وجبالُ فارانَ هي جبال مكة.

قال: وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن **فاران** هي مكة؛ فإن ادعوا أنها غير مكة؛ فليس يُنْكَر ذلك من تحريفهم وإفكهم ـ قلنا: أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران؟»[1].

إلى أن قال ابن تيمية رحمه الله: «وقلنا: دُلُّونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمهُ فاران، والنبيِّ الذي أنزل عليه كتاباً بعد المسيح، أو ليس (استعلن) و(علن).

وهما بمعنى واحد وهو ما ظهر وانكشف؛ فهل تعلمون ديناً ظهر ظهور الإسلام، وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فُشُوَّه»؟[2].

ويقول: «وقال ابن ظفر: **ساعير** جبل بالشام منه ظهرت نبوة المسيح.

قلت: وبجانب بيت لحم القرية التي ولد فيها المسيح قرية تسمى إلى اليوم **ساعير**، ولها جبل يسمى **ساعير**.

وفي التوراة أن نسل العيص كانوا سكاناً **بساعير**، وأمر الله موسى أن لا يؤذيهم»[3].

ثم قال ابن تيمية مؤكداً ما مضى: «وعلى هذا فيكون ذكرُ الجبال الثلاثة حقّاً: جبل حراء الذي ليس حول مكة جبل أعلى منه، ومنه كان نزول أول الوحي على النبي ﷺ وحوله من الجبال جبال كثيرة حتى قد قيل: إن بمكة اثني عشر ألف جبل، وذلك المكان يسمى **فاران** إلى هذا اليوم، وفيه كان ابتداء نزول القرآن»[4].

إلى أن قال: «والبَرِّيَّةُ التي بين مكة وطور سينا تسمى بَرِّية **فاران**، ولا يمكن أحداً أن يدعي أنه بعد المسيح نزل كتاب في شيء من تلك الأرض، ولا بُعِث نبيٌّ؛ فَعِلمَ أنه ليس بالمراد باستعلانه من جبال **فاران** إلا إرسال محمد»[5].

ثم يلفت النظر إلى معنى آخر في نص النبوءة، ألا وهو الترتيب الزماني، فيقول: «وهو ـ سبحانه ـ ذكر هذا في التوراة على الترتيب الزماني؛ فذكر إنزال التوراة، ثم الإنجيل، ثم القرآن.

وهذه الكتب نُوْرُ الله وهداه، وقال في الأول: جاء أو ظهر، وفي الثاني:

---

(١) الجواب الصحيح ٥/١٩٩ ـ ٢٠٠، وانظر: إرشاد الثقات ص٢٧ ـ ٢٨.

(٢) الجواب الصحيح ٥/٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٣) المرجع السابق ٥/٢٠١ ـ ٢٠٢.

(٤) المرجع السابق ٥/٢٠٢.

(٥) المرجع السابق ٥/٢٠٢.

أشرق، وفي الثالث: استعلن»[١].

ثم يزيد تلك البشارة شرحاً، فيقول: «وكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر، أو ما هو أظهر من ذلك، ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس زاد به النور والهدى.

وأما نزول القرآن فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء؛ ولهذا قال: (واستعلن من جبال فاران) فإن النبي ﷺ ظهر به نور الله وهداه في مشرق الأرض ومغربها؛ أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين كما يظهر نور الشمس إذا استعلت في مشارق الأرض ومغاربها؛ ولهذا سماه الله سراجاً منيراً، وسمى الشمس سراجاً وهاجاً»[٢].

إلى أن قال مبيّناً عظم الرسالة الأخيرة، وشدة حاجة الخلق إليها: «والخَلْقُ يحتاجون إلى السراج المنير أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهاج؛ فإن الوهاج يحتاجون إليه في وقت دون وقت، وكما قيل: قد يَنْضَرُّون به بعض الأوقات.

وأما السراج المنير فيحتاجون إليه كل وقت، وفي كل مكان ليلاً ونهاراً، سرّاً وعلانيةً، وقد قال النبي ﷺ: **«زويت لي الأرض مشارقها ومغاربها؛ وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها»**[٣]»[٤].

ثم يُبَيِّن أن هذا قريب مما جاء في القرآن في سورة التين؛ **فيقول:** «وهذه الأماكن الثلاثة أقسم الله بها في القرآن في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين]»[٥].

ثم يوضح معنى الإقسام الوارد في الآيتين الأوليين؛ فيقول: «فأقسم بالتين والزيتون وهو الأرض المقدسة الذي ينبت فيها ذلك، ومنها بعث المسيح، وأنزل عليه فيها الإنجيل.

وأقسم بطور سينين، وهو الجبل الذي كلَّم الله فيه موسى، وناداه من واديه الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة»[٦].

ثم يبيِّن معنى الإقسام الوارد في الآية الثالثة، فيقول: «وأقسم بالبلد الأمين، وهي مكة، وهو البلد الذي أسكن فيه إبراهيمُ ابنَه إسماعيلَ وأمَّهُ، وهو الذي جعله الله حرماً آمناً، ويتخطف الناس من حولهم خلقاً وأمراً قدراً وشرعاً؛ فإن إبراهيم حَرَّمه، ودعا لأهله، فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

---

(١) الجواب الصحيح ٥/ ٢٠٢.
(٢) المرجع السابق ٥/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣.
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٨٩).
(٤) الجواب الصحيح ٥/ ٢٠٣.
(٥) المرجع السابق ٥/ ٢٠٤.
(٦) المرجع السابق ٥/ ٢٠٤.

لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم]»[١].

وقال أيضاً: «فقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ [التين] إقسام منه بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة التي ظهر فيها نوره وهداه وأنزل فيها الثلاثة[٢]: التوراة، والإنجيل، والقرآن.

كما ذكر الثلاثة في التوراة بقوله: «جاء الله من طور سينا، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران»[٣].

٣ ـ تفسيره لبشارة شمعون النبي ﷺ ونصها: «الله جاء من تيمان[٤]، والقدوس من جبل فاران، سلاه جلاله غطى السمٰوات والأرض، امتلأت من تسبيحه، وكان لمعانٌ كالنور من يده شعاع، وهناك استتار قدرته»[٥].

وقد **أورد** ابن تيمية هذه البشارة بما هو موجود من كتب أهل الكتاب في وقته، **فقال** في سياق حديثه عن بشارات الأنبياء السابقين بنبوة محمد ﷺ: «ومثل هذا بشارة أخرى بمحمد ﷺ من كلام شمعون بما رضوه[٦] من ترجمتهم وهو: «جاء الله بالبينات من جبال فاران، وامتلأت السماء والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته»[٧].

ثم علق ابن تيمية على هذه البشارة بقوله: «فهذا تصريح بنبوة محمد ﷺ الذي جاء بالنب وة من جبال فاران، وامتلأت السمٰوات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته»[٨].

ثم قال: «ولم يخرج أحد قط، وامتلأت السمٰوات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته مما يسمى فاران سوى محمدٍ ﷺ.

والمسيح لم يكن في أرض فاران ألبتة، وموسى إنما كُلِّم من الطور، والطورُ

---

(١) الجواب الصحيح ٥/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥.
(٢) يعني: كتبه الثلاثة المذكورة.
(٣) الجواب الصحيح ٥/ ٢٠٧.
(٤) **تيمان، أو التيمن:** اسم عبري معناه: اليمين، أو الجنوبي، أو الصحراء الجنوبية، انظر: حاشية الجواب الصحيح ٥/ ٢٢٢.
(٥) انظر: سفر حبقوق، الإصحاح الثالث ص٣ ـ ٤، العهد القديم ١٠٤٦، وانظر: الجواب الصحيح ٥/ ٢٢١ ـ ٢٢٢.
(٦) يعني: أهل الكتاب.
(٧) الجواب الصحيح ٥/ ٢٢١.
(٨) المرجع السابق ٥/ ٢٢٢.

ليس من أرض فاران، وإن كانت البرية التي بين الطور وأرض الحجاز من فاران، فلم يُنْزِلِ اللهُ فيها التوراة.

وبشارات النبوة قد تقدمت بجبل الطور، وبشارة الإنجيل بجبل ساعير»[١].

٤ ـ تفسيره لقول داود ﷺ في مزاميره ـ وهي الزبور ـ[٢]: «من أجل هذا بارك الله عليه إلى الأبد، فتقلَّدْ[٣] أيها الجبار بالسيف؛ لأن البهاء لوجهك، والحمد الغالب عليك، اركب كلمة الحق، وسِمَةَ التألُّه[٤]؛ فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك، وسهامك مسنونة، والأمم يخرون تحتك».

وقد أورد ابن تيمية هذه البشارة في كتابه «الجواب الصحيح»[٥] عن كتب أهل الكتاب، ثم علق عليها **بقوله:** «فليس متقلِّد السيف من الأنبياء بعد داود سوى محمد ﷺ وهو الذي خرَّت الأمم تحته، وقرنت شرائعه بالهيبة، كما قال ﷺ: **«نصرت بالرعب مسيرة شهر»**[٦]»[٧].

٥ ـ تفسيره لقول داود ﷺ في مزمور له ـ مبشراً بمحمد ﷺ: «ويملك من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض، ويخر أهل الجزائر بين يديه، ويلحس أعداؤه التراب، ويسجد له ملوك الفرس، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد، ويخلّص البائس المضطهد ممن هو أقوى منه، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالمساكين والضعفاء، ويُصَلَّى عليه، ويُبارك في كل حين»[٨].

وهذا النص موجود في الترجمة الحالية للعهد القديم[٩].

قال ابن تيمية معلقاً على تلك البشارة مفسراً لها: «وهذه الصفات منطبقة على

---

(١) الجواب الصحيح ٥/ ٢٢٢.
(٢) انظر: المرجع السابق ٥/ ٢٣٧.
(٣) **تَقَلَّد السيف:** احتمله، ووضعه على أحد منكبيه، **ومُقلَّد الرجل:** موضع نجاد السيف على منكبيه. انظر: لسان العرب ٣/ ٣٦٧.
(٤) **سمة التأله:** أي: طريق التعبد والتنسك.
(٥) الجواب الصحيح ٥/ ٢٣٧، وانظر: هداية الحيارى ص١٥١، وانظر كلاماً قريباً من ذلك في: الترجمة الحالية للكتاب المقدس: سفر المزامير، المزمور الخامس والأربعون ١ ـ ٥، العهد القديم ٦٧٢.
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٣٥).
(٧) الجواب الصحيح ٥/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨.
(٨) المرجع السابق ٥/ ٤٤٦.
(٩) انظر: سفر المزامير المزمور الثاني والسبعون ٨ ـ ١٥ العهد القديم ص٦٨٨.

محمد ﷺ وأمته لا على المسيح؛ فإنه[1] حاز من البحر الرومي إلى البحر الفارسي، ومن لدن الأنهار بجيحون وسيحون إلى منقطع الأرض بالمغرب.

كما قال: «**زويت لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها**»[2].

وهو يُصَلّى عليه، ويبارك في كل حين في كل صلاة في الصلوات الخمس وغيرها يقول كل من أمته: اللَّهُمَّ صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد، فيصلي عليه ويبارك»[3].

٦ ـ تفسيره لقول دانيال ﷺ وذِكْرِه محمداً ﷺ باسمه: «ستنزِعُ من قِسِيِّك إغراقاً ونزعاً، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواءاً»[4].

قال ابن تيمية رحمه الله معلقاً على هذه البشارة: «**فهذا تصريح بغير تعريض، وتصحيح بغير تمريض؛ فإن نَازَع في ذلك منازِعٌ فَلْيُوجِدْنا آخر اسمه محمد ﷺ له سهام تنزع، وأمر مطاع لا يدفع**»[5].

٧ ـ تفسيره لقول أشعياء النبي ـ ونص على خاتم النبوة ـ: «ولد لنا غلام يكون عجباً، وبشراً، والشامة[6] على كتفيه، أركون السلام إله جبار، وسلطانه سلطان السلام، وهو ابن عالمه يجلس على كرسي داود»[7].

قال ابن تيمية مفسراً تلك البشارة: «**والأركون: هو العظيم بلغة الإنجيل، والأراكنة: المُعَظَّمون**»[8].

---

(١) يعني: محمداً ﷺ.
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨٩).
(٣) الجواب الصحيح ٥/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨، وانظر: إرشاد الثقات ص٢٩ ـ ٣٠.
(٤) انظر: الجواب الصحيح ٥/ ٢٧٥، وسفر دانيال الإصحاح السابع ١٣ ـ ١٤، والعهد القديم ١٠٠٠.
(٥) الجواب الصحيح ٥/ ٢٧٧.
(٦) يعني بالشامة: خاتم النبوة الذي كان بين كتفي النبي محمد ﷺ. انظر: دلائل النبوة، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ١/ ٩٠ ـ ٩٢، والروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام للسهيلي، علّق عليه ووضع حواشيه: مجدي بن سيد الشورى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، ١/ ٣١٣ ـ ٣٣٥، والخصائص الكبرى، أو كفاية الطالب اللبيب، في خصائص الحبيب للسيوطي، تحقيق: د. محمد خليل هراس، دار الكتب الحديثية، شارع الجمهورية بعابدين، ١/ ٢٢٦.
(٧) الجواب الصحيح ٥/ ٢٦٠، وانظر هذه البشارة في: سفر أشعياء الإصحاح التاسع ٦ ـ ٧، العهد القديم ص٧٩٠.
(٨) الجواب الصحيح ٥/ ٢٦٠.

وقال: «فقد شهد أشعياء بصحة نبوة محمد ﷺ ووصفه بأخص علاماته وأوضحها، وهي شَامَتُهُ؛ فلعمري لم تكن الشامة لسليمان، ولا للمسيح.

وقد وصفه بالجلوس على كرسي داود؛ يعني: أنه سيرث بني إسرائيل نبوتهم، وملكهم، ويبتزهم[(١)] رياستهم»[(٢)].

٨ ـ **تفسيره لقول أشعياء النبي ﷺ في مكة:** «سيري واهتزي أيتها العاقر التي لم تلد، وانطقي بالتسبيح، وافرحي إذ لم تحبلي؛ فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي»[(٣)].

قال ابن تيمية رحمه الله **معلقاً على هذه البشارة:** «ويعني بأهله: بيت المقدس، ويعني بالعاقر: مكة ـ شرفها الله ـ لأنها لم تلد قبل نبيّنا ﷺ.

ولا يجوز أن يريد بالعاقر بيت المقدس؛ لأنه بيت للأنبياء، ومعدن الوحي؛ فلم تزل تلك البقعة ولادة»[(٤)].

٩ ـ **تفسيره لبشارة حبقوق ﷺ في قوله:** «لقد أضاء السماء من بهاء محمد، وامتلأت الأرض من حمده»[(٥)].

قال ابن تيمية رحمه الله **معلقاً** على هذه الجملة من بشارة حبقوق ﷺ: «وأما امتلاء السماء من بهاء أحمد بأنوار الإيمان، والقرآن التي ظهرت منه، ومن أمته، وامتلاء الأرض من حمده، وحمد أمته في صلواتهم ـ فأمر ظاهر؛ فإن أمته هم الحمَّادون؛ لا بُدَّ لهم من حمد الله في كل صلاة وخطبة، ولا بد لكل مصلٍّ في كل ركعة من أن يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة].

فإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ قال الله: (حمدني عبدي) فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة] قال: (أثنى عليَّ عبدي) فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة] قال: (مجدني عبدي)[(٦)]»[(٧)].

(١) يبتزهم: يسلبهم.
(٢) الجواب الصحيح ٥/٢٦١.
(٣) الجواب الصحيح ٥/٢٥٩، وانظر نحو ذلك في: الترجمة الحالية لهذه البشارة في: سفر أشعياء الإصحاح الرابع والخمسون ١ ـ ٣، والعهد القديم ٨٣٥.
(٤) الجواب الصحيح ٥/٢٥٩، وانظر: هداية الحيارى ص١٥٦، وانظر: الإعلام للقرطبي ص٢٧٨ ـ ٢٧٩، وبشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ ص٢٢٤ ـ ٢٢٧.
(٥) الجواب الصحيح ٥/٢٦٧، وانظر: هداية الحيارى ص١٤٧، وانظر: سفر حبقوق الإصحاح الثالث ٣ ـ ٧، والعهد القديم ١٠٤٦.
(٦) انظر: صحيح مسلم (٣٩٥).
(٧) الجواب الصحيح ٥/٢٧٠.

إلى ان قال: «فهم - أي: أمة محمد - يفتحون القيام في الصلاة بالتحميد، ويختمونها بالتحميد، وإذا رفعوا رؤوسهم من الركوع يقول إمامهم: سمع الله لمن حمده، ويقولون جميعاً: ربنا ولك الحمد، ويختمون صلاتهم بتحميدٍ يجعل التحيات له، والصلوات والطيبات.

وأنواع تحميدهم لله مما يطول وصفه»[1].

١٠ - تفسيره لنبوءة أشعياء عليه السلام في وصف أمة محمد ﷺ: «ستمتلىء البادية، والمدن من أولاد قيدار، يسبحون، ومن رؤوس الجبال ينادون، هم الذين يجعلون لله الكرامة، ويسبحونه في البر والبحر»[2].

قال ابن تيمية رحمه الله معلقاً على هذه البشارة: «وقيدار هو: ابن إسماعيل باتفاق الناسِ، وربيعةُ ومُضَرُ من ولده، ومحمدٌ ﷺ من مُضَر.

وهذا الامتلاء والتسبيح لم يحصل لهم إلا بمبعث محمد ﷺ»[3].

فهذه نماذج من تفسيره لبشارات في الكتب السابقة يتبين من خلالها مدى عنايته بذلك النوع من الإعجاز.

المسألة الثانية: شرحه للمعجزات المحمدية

لقد أولى ابن تيمية شرح المعجزات المحمدية عناية بالغة، وصرف جانباً عظيماً من دراسته للمعجزات لهذا الغرض.

وهو في شروحه لتلك المعجزات يعتمد الكتاب، والسُّنَّة، وأقوال السلف والأئمة.

وتراه في ذلك يجمع النظير إلى نظيره من المعجزات، كما في صنيعه عند تقسيمه للمعجزات المحمدية، وبيانه للطرق التي تثبت بها.

وتراه يُعنى بجانب الصناعة الحديثية في ذلك، من جهة الأخذ بالصحيح، واطِّراح الضعيف وما دونه.

وتجده يُعنى بجوانب الإعجاز المختلفة، ويقارن بين معجزات نبينا محمد ﷺ

---

(١) الجواب الصحيح ٥/ ٢٧٠ - ٢٧١.

(٢) المرجع السابق ٥/ ٢٦٢، وانظر قريباً من هذا النص في: الترجمة الحالية لسفر أشعياء الإصحاح الثاني والأربعون ١٠ - ١٣، والعهد القديم ٨٢٣.

(٣) الجواب الصحيح ٤/ ٢٦٢.

وغيره من الأنبياء ﷺ ولا تراه ـ في ذلك ـ يُغْفِلُ دلالة العقل، وشهادة التاريخ، والواقع[١].

وقد مرت الإشارة إلى ذلك في المبحث الماضي، والمطلبين السابقين.

وفيما يلي مزيد إيضاح لشرحه لبعض المعجزات الكبرى؛ إذ المقام لا يحتمل الإطالة.

ومن خلال ذلك يتبيَّن مدى وفرة إطلاعه، وتنوع معارفه، وطول نَفَسه، وسعة فقهه، ومدى عنايته بشرح المعجزات المحمدية.

وهذا ما سيتضح من خلال الأمثلة التالية:

○ المثال الأول: شرحه لمعجزة انشقاق القمر:

تلك الآية العظيمة التي تعد من أعظم الآيات التي أجراها الله ﷻ على يد نبيّنا محمد ﷺ.

ولقد أولى ابن تيمية تلك الآية عناية بالغة في مواضع متفرقة من كتبه خصوصاً في كتابه «الجواب الصحيح».

يقول رحمه الله **في قوله ـ تعالى ـ:** ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر]. **مبيناً أن تلك الآية من قبيل العلم القطعي اليقيني:** «أخبر باقتراب الساعة وانشقاقِ القمر.

وانشقاقُ القمر قد عاينوه، وشاهدوه، وتواترت به الأخبار، وكان النبي ﷺ يقرأ هذه السورة في المجامع الكبار مثل الجمع والأعياد؛ ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة، ودلائلها والاعتبار.

وكل الناس يُقِرُّ ذلك، ولا ينكره؛ فَعُلِم أن انشقاق القمر كان معلوماً عند الناس عامة»[٢].

وقال: «و ـ أيضاً ـ فمعلوم أن محمداً ﷺ كان من أحرص الخلق على تصديق الناس له، واتباعهم إياه، مع أنه كان أخبر الناس بسياسة الخلق؛ فلو لم يكن القمر انشق لما كان يُخْبِر بهذا، ويقرؤه على جميع الخلق، ويستدل به، ويجعله آية له؛ فإن من يكون من أقل الناس خبرة بالسياسة لا يتعمد إلى ما يعلم جميع الناس أنه كاذب به؛ فيجعله من أعظم آياته الدالة على صدقه، ويقرؤه على الناس في أعظم

---

(١) انظر: النبوات ١/ ٥١٥ ـ ٥١٦، و٢/ ٨٤٥ ـ ٨٤٦، ومجموع الفتاوى ١٩/ ٥١، و١٣/ ٨٩، والجواب الصحيح ٦/ ٣٤٠.

(٢) الجواب الصحيح ١/ ٤١٤.

المجاميع»[(١)].

إلى أن قال: «وقال: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [القمر]. بصيغة الفعل الماضي، ولم يقل: قامت الساعة، ولا ستقوم؛ بل قال: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ﴾؛ أي: دنت، وقربت، و﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ الذي هو دليل على نبوة محمد، وعلى إمكان انخراق الفلك الذي هو قيام القيامة.

وهو ـ سبحانه ـ قرن بين خبره باقتراب الساعة، وخبره بانشقاق القمر؛ فإن مبعث محمد ﷺ هو من أشراط الساعة، وهو دليل على قربها»[(٢)].

وقال في موضع آخر مبيناً الحكمة من انشقاق القمر دون غيره من الكواكب: «فذكر اقتراب الساعة، وانشقاق القمر، وجعل الآية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب؛ لأنه أقرب إلى الأرض من الشمس والنجوم، وكان الانشقاق فيه دون سائر أجزاء الفلك؛ إذ هو الجسم المستنير الذي يظهر فيه الانشقاق لكل من يراه ظهوراً لا يُتمارى فيه، وأنه ـ نَفْسَه ـ[(٣)] إذا قبل الانشقاق فقبول محله أولى بذلك، وقد عاينه الناس وشاهدوه»[(٤)].

ثم يسوق الآثار الواردة في ذلك ويعلق عليها، فيقول: «وفي «صحيح مسلم»: (أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي: ما كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحى، والفطر؟ فقال: كان يقرأ فيهما بـ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ [ق]، و﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [القمر])[(٥)]»[(٦)].

ويعلق على ذلك بكلام قريب مما سبق، فيقول: «ومعلوم بالضرورة في مُطَّرد العادة، أنه لو لم يكن انشق لأسرع المؤمنون به إلى تكذيب ذلك، فضلاً عن أعدائه الكفار، والمنافقين، ومعلوم أنه كان من أحرص الناس على تصديق الخلق له، واتباعهم إياه؛ فلو لم يكن انشق لما كان يخبر به، ويقرؤه على جميع الناس، ويستدل به، ويجعله آية له»[(٧)].

إلى أن يقول: «وفي «الصحيحين» عن أنس بن مالك قال: (إن أهل مكة سألوا

---

(١) الجواب الصحيح ١/ ٤١٩.
(٢) المرجع السابق ١/ ٤٢٠.
(٣) يعني: القمر.
(٤) الجواب الصحيح ٦/ ١٦٠.
(٥) مسلم (٢٨٠٢).
(٦) الجواب الصحيح ٦/ ١٦٠ ـ ١٦١.
(٧) المرجع السابق ٦/ ١٦٠.

نبي الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين)[١].

وعنه قال: (إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فانشق القمر فرقتين)[٢].

ورواه الترمذي، وزاد فيه فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر]، إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القمر]. يقول: ذاهب[٣].

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود قال: (انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، فقال رسول الله ﷺ: «**اشهدوا**»)[٤].

(وعن ابن مسعود ـ أيضاً ـ قال: رأيت القمر منشقّاً شقتين بمكة قبل مخرج النبي ﷺ: شِقةً على جبل أبي قبيس، وشقةً على السويداء؛ فقال كفار قريش ـ أهل مكة ـ: هذا سِحْرٌ سحركم به ابن أبي كبشة[٥]، انظروا السُّفار[٦] فإن كانوا رأوا مثل ما رأيتم فقد صدق، وإن لم يكونوا رأوا مثل ما رأيتم فهو سحر.

قال: فسئل السُّفار، وقدموا من كل وجه، فقالوا: رأينا) رواه البخاري،

---

(١) البخاري (٣٦٣٧، و٣٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢).
(٢) البخاري (٣٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢). (٣) الترمذي (٣٢٨٦).
(٤) البخاري (٤٨٦٤)، ومسلم (٢٨٠٠).
(٥) يعني به: النبي ﷺ وقيل في سبب التسمية بذلك أقوال، وقد ذكرها ابن حجر في الفتح، وبيَّن ما في بعضها من ضعف.
قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأن أبا كبشة أحد أجداده، وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جدٍّ غامض، قال أبو الحسن النسابة الجرجاني: (هو جد وهب جد النبي ﷺ لأمه).
وهذا فيه نظر؛ لأن وهباً جدُ النبي ﷺ أم عاتكة. وقيل: هو جد عبد المطلب لأمه، وفيه نظر ـ أيضاً ـ؛ لأن أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد الخزرجي، ولم يقل أحد من أهل النسب: إن عمرَو بن زيد يكنى أبا كبشة.
وقيل: هو أبوه من الرضاعة، واسمه الحارث بن عبد العزى، قاله أبو الفتح الأزدي وابن ماكولا.
وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن أبيه عن رجال من قومه أنه أسلم، وكانت له بنت تسمى كبشة، يكنى بها.
وقال ابن قتيبة، والخطابي، والدارقطني: هو رجل من خزاعة، خالف قريشاً في عبادة الأوثان؛ فعبد الشعرى، فنسبوه إليه؛ للاشتراك في مطلق المخالفة.
وكذا قاله الزبير، قال: واسمه وجز بن عامر بن غالب». فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٥٣/١.
(٦) جمع: مسافر. انظر: لسان العرب ٣٦٨/٤.

ومسلم»[١][٢].

ويواصل سَوقَ الأحاديث في ذلك إلى أن يقول: «وعن جبير بن مطعم قال: انشق القمر ونحن بمكة حتى صار فرقتين على هذا الجبل، وعلى هذا الجبل، فقال الناس: سحرنا محمد! قال رجل: إن كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم. رواه الترمذي[٣]»[٤].

وهكذا يشرح هذه الآية ـ وهي انشقاق القمر ـ ويؤكد على وقوعها من خلال الأدلة والآثار، والحجج العقلية، ويبين حِكْمَة تلك الآية، وما جرى مجرى ذلك من فقهها.

○ المثال الثاني: معجزة الإسراء والمعراج:

وهو إسراء الله بنبيّه محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؛ حيث جمع الله له الأنبياء عليهم السلام فصلّى بهم إماماً.

قال الله ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء].

ومن هناك عُرِج به إلى السمٰوات العُلى، وهناك رأى ما رأى من آيات ربه الكبرى؛ حيث رَأى جبريل على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها، وصعد به إلى سدرة المنتهى، وجاوز السبع الطباق، وكلّمه الرحمٰن، وقرّبه[٥].

---

(١) الحديث بهذا اللفظ ليس في الصحيحين، وقد أخرجه بنحوه أبو داود الطيالسي في مسنده، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م، (٢٩٣)، وعبد الرزاق في تفسيره، دراسة وتحقيق: د. محمد محمود عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ٣/٢٥٧ (٣٠٥٦)، والشاشي في مسنده، تحقيق: د. محفوظ الرحمٰن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠هـ (٤٠٤)، والحاكم في المستدرك، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، (٣٧٥٦) يزيد بعضهم على بعض، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذا السياق، وبهذا اللفظ».

(٢) الجواب الصحيح ٦/١٦١ ـ ١٦٣.

(٣) الترمذي (٣٢٨٩).

(٤) الجواب الصحيح ٦/١٦٤ ـ ١٦٥.

(٥) انظر: أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص، ضبط نصه: عبد السلام محمد علي شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٣/٢٥٣، وأحكام القرآن لابن العربي، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ٣/١١٩٢ ـ ١١٩٣، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط٤، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ٥/٣ ـ ٥.

وهو من المعجزات العظيمة التي فصّل ابن تيمية القول في شرحها، وناقش الشبه التي تثار حولها بالنقل، والعقل.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ **في معرض كلام له عن معجزات النبي** ﷺ **المتعلقة بالقدرة، والفعل، والتأثير** لَمَّا تكلم على النوع الأول وهو ما في العالم العلوي: «وكذلك صعوده ليلة المعراج إلى ما فوق السموات، وهذا مما تواترت به الأحاديث، وأخبر به القرآن.

أخبر بمسراه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس، وفي موضع آخر بصعوده إلى السموات، فقال ـ تعالى ـ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء].

فأخبر هنا بمسراه ليلاً بين المسجدين، وأخبر أنه فعل ذلك؛ ليريه من آياته»[1].

ثم يبيِّن شيئاً من وجه الحكمة في تلك المعجزة، فيقول: «ومعلوم أن الأرض قد رأى سائر الناس ما فيها من الآيات؛ فَعُلِم أن ذلك؛ ليريه آياتٍ لم يَرَها عمومُ الناس»[2].

ثم يواصل سرد الأدلة من الكتاب والسُّنَّة على صحة وقوع تلك المعجزة، **ويقول** بعد ذلك: «فكان في إخباره بالمسرى ـ ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ ـ بيانُ أنه رأى من آياته ما لم يره الناس.

وقد بيَّن ذلك في السورة الأخرى؛ فإنه رأى جبريل عند سدرة المنتهى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦﴾ [النجم].

وأنه رأى بالبصرِ آياتِ ربه الكبرى، وذكر في تلك السورة المسرى؛ لأنه أمكنه أن يقيم عليه برهاناً»[3].

إلى ان يقول: «فإنه لما أخبرهم به؛ فكذبه من كذبه، وتعجبوا من ذلك ـ سألوه عن نعته وصفته، فَنَعَتَهُ لهم لم يخرم من النعت شيئاً، وأخبر خَبَرَ عِيْرِهم التي كانت في الطريق؛ فظهر لهم صدقُه، وكان صدقُه في هذا آيةً على صدقه فيما غاب عنهم، وكان قطع المسافة البعيدة في الزمان اليسير لِأَجْلِ ما أراه من الآيات التي **تختص برؤيتها الأنبياء**»[4].

ثم يقارن بين تلك الآية العظمى وبين ما يقع من ذلك من كرامات الأولياء، أو

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ١٦٥.
(٢) المرجع السابق ٦/ ١٦٥.
(٣) المرجع السابق ٦/ ١٦٦ ـ ١٦٧.
(٤) المرجع السابق ٦/ ١٦٧.

ما كان من آية سليمان عليه السلام فيفضِّل آية النبي ﷺ على ذلك، **فيقول:** «وبهذا تميز عمن يقطع المسافة؛ كرامةً لولي، أو بتسخير الجن، كما في قصة بلقيس حيث: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل]»(١).

ثم يبيِّن العلة في ذلك، فيقول: «فإن قَطْعَ الجسم للمسافة البعيدة إنما كان لما أوتيه سليمان من المُلْكِ، كما كانت الريح: ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ [ص]، وهذا(٢) تسخيرٌ ملكي.

وقَطعُ محمدٍ ﷺ كان لما أراه الله من الآيات التي ميزه بها على سائر النبيين، وكان ذلك فتنة؛ أي: محنةً وابتلاءاً للناس؛ ليتبين من يؤمن به ممن يكذبه»(٣).

ثم يقرر بعد ذلك أن أحاديث المعراج هي من قبيل المتواتر، وأن تلك الآية من النوع الخاص بالنبي ﷺ دون غيره من الأنبياء عليهم السلام.

ثم يورد قصة تلك الآية، وصفة البراق الذي ركبه النبي ﷺ في مسراه، وما جرى مجرى ذلك كله(٤).

وبعد أن قرر ثبوت تلك الآية بالنقل، وذلك بسوق الآثار، وتوجيهها ـ **انتقل إلى إثباتها بالعقل،** وذلك ببيان أن صعود الآدمي إلى السماء ممكن عقلاً، ويضرب عليه مثالاً بصعود المسيح عليه السلام وأن ذلك مما اتفق عليه المسلمون والنصارى؛ حيث **قال:** «وصعود الآدمي ببدنه إلى السماء قد ثبت في أمر المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه صعد إلى السماء، وسوف ينزل إلى الأرض.

وهذا مما يوافق النصارى عليه المسلمين؛ فإنهم يقولون: إن المسيح صعد إلى السماء ببدنه وروحه كما يقوله المسلمون، ويقولون: إنه سوف ينزل إلى الأرض ـ أيضاً ـ كما يقوله المسلمون، وكما أخبر به النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة»(٥).

وبعد أن قرر ذلك انتقل إلى الخلاف بين الأمم الثلاث في كيفية صعود المسيح، فقال: «لكنَّ كثيراً من النصارى يقولون: إنه صعد بعد أن صلب، وأنه قام من القبر، وكثير من اليهود يقولون: إنه صلب ولم يصعد، ولم يقم من قبره.

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ١٦٧ ـ ١٦٨.

(٢) يعني: ما حصل لسليمان عليه السلام.

(٣) الجواب الصحيح ٦/ ١٦٨.

(٤) انظر: المرجع السابق ٦/ ١٦٨ ـ ١٧٧.

(٥) المرجع السابق ٦/ ١٧٧ ـ ١٧٨.

وأما المسلمون، وكثير من النصارى فيقولون: إنه لم يصلب، ولكن صعد إلى السماء بلا صلب.

والمسلمون، ومن وافقهم من النصارى يقولون: إنه ينزل إلى الأرض قبل القيامة، وأن نزوله من أشراط الساعة كما دلَّ على ذلك الكتاب والسُّنَّة.

وكثير من النصارى يقولون: إن نزوله هو يوم القيامة، وإنه هو الله الذي يحاسب الخلق»[(١)].

وبعد أن ضرب المثال بالمسيح في إمكان الصعود إلى السماء **عزز قوله بضرب مثالين آخرين** من الأنبياء؛ لبيان إمكان الصعود إلى السماء، حيث **مثَّل بصعود إدريس وإلياس** عليهما السلام **فقال:** «وكذلك إدريس صعد إلى السماء ببدنه، وكذلك عند أهل الكتاب أن إلياس صعد إلى السماء ببدنه»[(٢)].

ثم ينتقل بعد ذلك إلى مناقشة منكري الصعود إلى السماء من المتفلسفة، **فيقول:** «ومن أنكر صعودَ بدنٍ إلى السماء من المتفلسفة فعمدته **شيئان:**

أحدهما: أن الجسم الثقيل لا يصعد، وهذا في غاية الضعف؛ فإن صعود الأجسام الثقيلة إلى الهواء مما تواترت به الأخبار في أمور متعددة، مثل عرش بلقيس الذي حُمِلَ من اليمن إلى الشام في لحظة»[(٣)].

ثم يضرب أمثلةً أخرى، فيقول: «ومثل حمل الريح لسليمان عليه السلام وعسكرِه لما كان يحمل البساط في الهواء، وهو جالس عليه بأصحابه، ومثل حمل قرى قوم لوط، ثم إلقائها في الهواء»[(٤)].

ثم يواصل إيراد حججه، ويقارن بين إنكار الفلاسفة لمعجزة المعراج، وإنكارهم لانشقاق القمر، ويفند ذلك بالأدلة العقلية[(٥)].

وينتقل بعد ذلك إلى مثال آخر يؤكد فيه إمكان الصعود إلى السماء، وهو حال أهل زمانه، وغيرهم ممن يحملون في الهواء من مكان إلى مكان؛ حيث **يقول** في ذلك: «ورجالٌ كثيرٌ في زماننا وغير زماننا يُحْمَلُون من مكان إلى مكان في الهواء، وهذا مما تواتر عندنا وعند مَنْ يعرف ذلك»[(٦)].

ثم يذكر حجة عقلية واقعية، **فيقول:** «و ـ أيضاً ـ فمعلوم أن النار والهواء

---

(١) الجواب الصحيح ٦/١٧٨.
(٢) المرجع السابق ٦/١٧٨.
(٣) المرجع السابق ٦/١٧٨ ـ ١٧٩.
(٤) المرجع السابق ٦/١٧٩.
(٥) انظر: المرجع السابق ٦/١٧٩ ـ ١٨٠.
(٦) المرجع السابق ٦/١٨١.

الخفيف تحرك حركة قسرية فيهبط، والتراب والماء الثقيلان يحركان حركة قسرية فيصعد، وهذا مما جرت به العادة»[١].

وهكذا يستمر في إيراد الحجج النقلية، والعقلية، والواقعية في إمكان الصعود، بكلام يؤكد من خلاله ثبوت آية المعراج[٢].

○ المثال الثالث: ما ذكره في النوع الثامن من أنواع المعجزات النبوية:

وهو حفظ الله لنبيِّه، وكفايته له أعداءه، وعصمته من الناس.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ساق النصوص القرآنية على ذلك، وهي الآيات التي تخبر أن الله يكفيه المشركين المستهزئين، ويكفيه أهل الكتاب، ويعصمه من جميع الناس، **قال:** «فكل من هذه الأخبار الثلاثة العامة قد وقع كما أخبر، وفي هذا عدة آيات:

منها: أنه كفاه أعداءه بأنواع عجيبة خارجة عن **العادة المعروفة**.

ومنها: أنه نصره مع كثرة أعدائه، وقُوَّتِهم، وغلبتهم، وأنه كان وحده جاهراً بمعاداتهم، وسب آبائهم، وشتم آلهتهم، وتسفيه أحلامهم، والطعن في دينهم، وهذا من الأمور **الخارقة للعادة**»[٣].

ثم **يبيِّن** وجه **خرق العادة** في ذلك وهو أن المستهزئين «كانوا من أعظم سادات قريش، وعظماء العرب، وكان أهل مكة أهل الحرم أعز الناس، وأشرفهم يعظمهم جميع الأمم»[٤].

ومع ذلك **فقد كفى** الله نبيَّه محمداً ﷺ منهم، ولم تنفعهم أنسابهم، ولا فضل مدينتهم مكة[٥].

ثم يسوق بعد ذلك جملة من النصوص من الكتاب، والسُّنَّة الدالة على كفاية الله له[٦].

وبعد ذلك أوضح أن كفاية الله وانتصاره لنبيِّه ﷺ لم تكن قاصرة على كفايته، وانتصاره له في حياته فحسب؛ بل قرر أن ذلك متعدٍّ إلى ما بعد حياته.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويدخل في هذا الباب[٧] ما لم يزل الناس يرونه، ويسمعونه من انتقام الله ممن يسبه، ويذم دينه بأنواع من العقوبات، وفي ذلك من القصص الكثيرة

(١) الجواب الصحيح ٦/ ١٨١.
(٢) انظر: المرجع السابق ٦/ ١٨١ ـ ١٨٢.
(٣) المرجع السابق ٦/ ٢٧٤.
(٤) المرجع السابق ٦/ ٢٧٤.
(٥) انظر: المرجع السابق ٦/ ٢٧٥.
(٦) انظر: المرجع السابق ٦/ ٢٧٦ ـ ٢٩٥.
(٧) يعني: حفظ الله، وكفايته، وانتصاره لنبيِّه ﷺ.

ما يضيق هذا الموضع عن بسطه»[١].

ثم **يذكر** شيئاً من هذا القبيل؛ يؤكد به أن ذلك معروف عند الناس، **فيقول:** «وقد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه من انتقام الله ممن يؤذيه بأنواع من العقوبات العجيبة التي تبين كلاءة الله لعرضه، وقيامه بنصره، وتعظيمه لقدره، ورفعه لذكره.

وما من طائفة من الناس إلا وعندهم من هذا الباب ما فيه عبرة لأولي الألباب»[٢].

وبعد ذلك **يذكر** أمثلة بأعيانها تؤكد ذلك المعنى، **فيقول:** «ومن المعروف المشهور المجرب عند عساكر المسلمين بالشام إذا حاصروا بعض حصون أهل الكتاب أنه يتعسر عليهم فتح الحصن، ويطول الحصار إلى أن يَسُبَّ العدوُّ الرسولَ ﷺ فحينئذٍ يستبشر المسلمون بفتح الحصن، وانتقام الله من العدو؛ فإنه يكون ذلك قريباً كما قد جربه المسلمون غير مرة؛ تحقيقاً لقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر].

ولما مزق كسرى كتابه مزَّق الله ملك الأكاسرة كل ممزق، ولما أكرم هرقلُ والمقوقسُ كتابَه[٣] بقي لهم ملكهم»[٤].

ويقول في موضع آخر موضحاً ذلك بصورةٍ أجلى بعد أن قرر انتقام الله لنبيِّه ﷺ ممن طعن عليه، وسبه: «ونظير هذا ما حدَّثَنَاه أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوه مراتٍ متعددةً في حصر الحصون، والمدائن التي بالسواحل الشامية لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا؛ قالوا: كنا نحصر الحصن أو المدينة الشهرَ، أو أكثرَ من الشهر، وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس، إذ تعرض أهله لسب رسول الله ﷺ والوقيعة في عرضه، ثم يفتح المكان عنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة»[٥].

إلى أن قال: «قالوا: حتى إنْ كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه،

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦.
(٢) المرجع السابق ٦/ ٢٩٦.
(٣) يعني: كتاب النبي ﷺ إليهما يدعوهما إلى الإسلام. انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد.
(٤) الجواب الصحيح ٦/ ٢٩٦، وانظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، توزيع دار الريان للتراث، ط٥، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ١/ ١١٩ ـ ١٢٤.
(٥) الصارم المسلول ص١١٧.

مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوه فيه»[١].

وقال: «وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل الغرب حالهم مع النصارى كذلك»[٢].

فهذه بعض الأمثلة التي تدلّ على عنايته بشرح المعجزات المحمدية.

هذا، وإن الأمثلة على ذلك كثيرة جدّاً خصوصاً ما كان منها على سبيل الإيجاز الذي يمر عرضاً كما في تعليقه على بعض المعجزات.

ومن ذلك ما ذكره تعليقاً على بعض ما ورد من أخبار النبي ﷺ عن بعض الغيوب المستقبلية؛ حيث **قال:** «وفي القرآن والأحاديث عنه ﷺ من الإخبار بما سيكون في الدنيا وفي الآخرة أضعافُ أضعافِ ما يوجد عن الأنبياء قبله، حتى إنه ينبئ عن الشيء الذي يكون بعد ما يبين من السنين خبراً أكمل من خبر من عاين ذلك؛ كقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين، ذلف الأنوف، حمر الخدود، ينتعلون الشعر، كأن وجوههم المجانُّ الْمُطرَقة**[٣])[٤]»»[٥].

ثم يعلق على هذا الحديث بقوله: «فمن رأى هؤلاء الترك الذين قاتلهم المسلمون من حين خرج جنكز خان ملكهم الأكبر وأولاده وأولاد أولاده، مثل هولاكو وغيره من ملوك الترك الكفار الذين قاتلهم المسلمون ـ لم يحسن أن يصفهم بأحسن من هذه الصفة.

وقد أخبر بهذا قبل ظهوره بأكثر من ستمائة سنة»[٦].

ومن ذلك ـ أيضاً ـ قوله: «وقوله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى**»[٧]»[٨].

---

(١) الصارم المسلول ص١١٧.

(٢) المرجع السابق ص١١٧.

(٣) **المجان المطرقَة**: المجانُّ جمع: مِجَنٌّ وهو: الترس، والمطرقة هي: عوليت بطراق، وهو الجلد الذي يغشاه، حيث شَبَّه وجوههم في عرضها وغِلَظها، ونتوء وجناتها بالترس المطرقة. انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، دار الفكر، لبنان، بيروت، ص٦٧٤ ـ ٦٧٥.

(٤) انظر: صحيح مسلم (٦٢ و٦٣ و٦٤ و٦٥ و٦٦)، وسنن أبي داود (٤٣٠٣).

(٥) الجواب الصحيح ٣/ ١٦١.

(٦) المرجع السابق ٣/ ١٦١ ـ ١٦٢.

(٧) أخرجه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٠٩٢).

(٨) الجواب الصحيح ٣/ ١٦٢.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ معلقاً على هذا الحديث: «وهذه النار ظهرت سنة خمس وخمسين وستمائة بأرض الحجاز؛ فكانت تحرق الحجر، ولا تنضج اللحم، ورأى أهل بصرى أعناق الجمال من ضوء تلك النار، وكانت منذرةً بما يكون بعدها، ففي سنة ست وخمسين وستمائة دخل هولاكو ملك الكفار بغداد، وقتل فيها مقتلة عظيمة مشهورة»[١].

وهكذا يتبين مدى عنايته البالغة بشرح المعجزات المحمدية، وفقهها.

وبهذا ينتهي هذا الفصل الذي دار حول موقف ابن تيمية من معجزات الأنبياء، وينتقل الكلام إلى الفصل الثاني، وهو الكلام على موقفه من المخالفين في المعجزات.



(١) الجواب الصحيح ٣/١٦٢ ـ ١٦٣، وانظر: ٤/٢٢٢ ـ ٤٣٦، و٥/٤٠٥ ـ ٤٣٧.




الفصل الثاني

موقف ابن تيمية
من المخالفين في المعجزات

وفيه: تمهيد، وثلاثة مباحث:

تمهيد: طريقة ابن تيمية في دراسة مذاهب المخالفين.

المبحث الأول: موقفه من قول الفلاسفة في المعجزات.

المبحث الثاني: موقفه من قول المعتزلة في المعجزات.

المبحث الثالث: موقفه من قول الأشاعرة في المعجزات.




تمهيد

طريقة ابن تيمية في دراسة مذاهب المخالفين

قبل الدخول في بيان موقف ابن تيمية من المخالفين في المعجزات يحسن الوقوف على طريقته في دراسة مذاهب المخالفين خصوصاً الفلاسفة والمتكلمين؛ فابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أَلَمَّ بالفلسفة، وكانت دراسته لها دراسة واعية، متأنية؛ إذ كانت دراسةً مقارنةٍ، وتحليلٍ، ونقد، دراسةً تقوم على العدل، والتثبت، والتروي.

يقول عنه د. محمد خليل هراس رَحِمَهُ اللهُ في ذلك الشأن: «قرأ الفلسفة، ووقف على دقائقها، وكان يعرف الفلسفة اليونانية القديمة؛ بدليل ما ينقله من آراء أفلاطون، وأرسطو، ومقارنته بينهما، وكذلك قرأ المنطق الأرسطي، ونَقَدَه رغم انتفاعه به كثيراً في مناقشته للفرق المختلفة»[١].

إلى أن قال: «أما دراسته للفلسفة الإسلامية فكانت دراسة استيعاب وتمحيص تدلّ على عمقٍ وبعد نظر؛ فقد قرأ كل ما كتبه فلاسفة الإسلام، ولا سيما كتب ابن سينا، وابن رشد، وكان كثيراً ما يستعين بآراء هذا الأخير في نقده لمدرسة الفارابي، وابن سينا، ومناقشة المتكلمين، وكان على علم تامٍّ بمناهج هؤلاء الفلاسفة الإسلاميين، وما حاولوه من التوفيق بين الدين والفلسفة»[٢].

والذي يميز ابن تيمية في دراسته للفلسفة أنها دراسة الناقد البصير ـ كما يقرر ذلك: الدكتور الهراس ـ فلم تكن تلك الدراسة الواسعة التي قام بها ابن تيمية لمذاهب المتكلمين والفلاسفة لرغبة منه في الوصول إلى الحقيقة، أو لكي يتلمس عندها الهدى والشفاء، كما فعل الغزالي مثلاً حينما طوَّف بين المذاهب المختلفة حتى ارتمى أخيراً في أحضان التصوف معتقداً أنه الطريق الموصل إلى الله ـ تعالى ـ كما حكى هو عن نفسه في المنقذ من الضلال.

(١) باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص٢٧.

(٢) المرجع السابق ص٢٧.

ولكن ابن تيمية إنما درس هذه المذاهب تلك الدراسة المتقنة؛ لكي يتمكن من نقدها نقداً علمياً نزيهاً بعيداً عن شوائب الطعن؛ فقد كان يعتقد أن نقد المذهب قبل الوقوف على حقيقته خبطٌ في ظلام[(١)].

ثم إن ابن تيمية كَلَلهُ كان يرى أن أعظم ما يستفاد من أقوال المخالفين في أقوالهم الباطلة ـ هو بيان قول الطائفة الأخرى، فيعرف الباحث والطالب فساد تلك الأقوال، ويكون ذلك داعياً له إلى طلب الحق[(٢)].

ولم يكن ابن تيمية ليرى غضاضة من الإفادة ممن سبقه في نقد الفلسفة، وإنما كان يخالف مَنْ أفاد منهم في جوانبَ مِنْ نقدهم لها؛ لذا يلاحظ أنه قد تأثر كثيراً بالغزالي في نقده للفلسفة، كما تأثر بابن رشد في نقده للغزالي وللمتكلمين.

غير أن أسلوبه في النقد كان أَحَدَّ حَدّاً، وألذعَ مِيسماً من أسلوبهما.

كما أن نقده كان شاملاً لجميع المخالفين؛ بل تعدى نَقْدُهُ إلى بعض من يُخْطِؤون في نقد الفلسفة أو الفلاسفة، كما في صنيعه مع الغزالي.

ويُلْحظ في نقده للفرق المخالفة أنه كان كثيراً ما يستخدم أساليب منطقية في غاية الهدوء والاتزان.

وتراه ـ أحياناً ـ يشتد في نقده، ويقوى في ردِّه حسب ما يستدعيه المقام[(٣)].

ولئن كان ابن رشد يعظّم أرسطو، ويغالي في الثناء عليه فإن ابن تيمية لا يرى هذا الرأي؛ بل كان يرى أن الفلاسفة المتقدمين كأرسطو أبعد الناس عن معرفة الأمور الإلٰهية، وأن أكثر كلامهم فيها خَبْطٌ وتخليط؛ لأنهم لم يستضيؤوا بنور النبوة، ولا كانت عندهم شريعة؛ فلذلك كان كلامهم في هذه الشؤون ـ مع كثرة ما فيه من الخطأ ـ في غاية الندرة والقلة.

ويُشَبِّه ابن تيمية كلام أرسطو في الإلٰهيات: «بِلَحْمِ جَمَلٍ غثٍّ على رأس جبلٍ عالٍ وعر، وأنه لا سهل فيرتقى، ولا سمين فيقلى»[(٤)].

---

(١) انظر: باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص٣١.

(٢) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ٣/٢٩، وباعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص٣٣.

(٣) انظر: باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص٣٣ ـ ٣٤.

(٤) انظر: مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ١/١٨٦.

وأما رأيه في فلاسفة المسلمين كالفارابي[١]، وابن سينا[٢] فيرى أنهم - وإن كانوا قد توسعوا في هذه المباحث وتكلموا في الإلهيات والنبوات والمعاد بما لا يوجد عند هؤلاء الفلاسفة المتقدمين وكان كلامهم في ذلك أجود وأقرب إلى الحق من كلام سلفهم - مزجوا الحق الذي أخذوه من الدين بالباطل الذي بنوه على أصولهم الفلسفية الفاسدة، وحاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة، ولكن على حساب الدين؛ فهم يَعْمَدون إلى النصوص، فيؤولونها بتأويلات بعيدة ومتكلفة؛ حتى تتلاءم مع قواعدهم الفلسفية[٣].

وإذا كان ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ قد أفاض في نقد المناهج السالفة في العقيدة، وذم أصحابها - فقد رأى أن النهج القويم الذي يجب اتباعه في ذلك - هو منهج السلف الذين وقفوا عند حدود الكتاب والسُّنَّة دون أن يبتدعوا في الدين شيئاً[٤].

ولئن كان الفلاسفة يجرون النصوص إلى الفلسفة - فإنه قد أخذ يجر العقل إلى خدمة النص.

وفي سبيل ذلك اضطر إلى أن يهدم كثيراً من قضايا العقل التي يظنها بعض الناس ضرورية، وأن يقيم مكانها أخرى تتلاءم مع نصوص الدين الصريحة؛ بحيث لا يحتاج إزاء هذه النصوص إلى إنكار أو تأويل[٥].

ومما يلحظ على طريقة ابن تيمية في الدفع والتأييد أنه من أوائل من أخذ في

---

(١) هو: أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي (٢٦٠ - ٣٣٩هـ)، ولد في فاراب، واستوطن بغداد، وتوفي في دمشق، ويلقب بالمعلم الثاني، له مؤلفات منها: «آراء أهل المدينة الفاضلة»، وغيرها. انظر: الفهرست لابن النديم، تحقيق: رضا تجدّد، طهران ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ص٣٢١، وتاريخ الحكماء، مختصر الزوزني، لكتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي، مكتبة المثنى، بغداد، ص٢٧٧ - ٢٨٠.

(٢) هو: أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨هـ).
أصله من بَلْخ، وولد ونشأ في بخارى، ومات بهمذان، ويلقب بالشيخ الرئيس، وقد برع في الطب، والفلسفة، وصنف فيهما، وكان أبوه ممن أجاب داعي المصريين، ويعد من الإسماعيلية. انظر: تاريخ الحكماء ص٤١٣ - ٤٢٦، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، تحقيق: د. نزار رضا، دار الحياة، بيروت، ص٤٣٧ - ٤٥٩، وانظر: ابن سينا بين الدين والفلسفة، حمود غرابة، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٣) انظر: باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص٣٩.

(٤) انظر: المرجع السابق ص٤٤.

(٥) وعلى هذا بنى كتابه العظيم درء تعارض العقل والنقل. انظر: باعث النهضة الإسلامية ص٥٢.

الإسلام بأساليب النقد الحديثة؛ فإن الغزالي وإن كان قد سبقه بنقد الفلسفة ـ لم تكن طريقته في النقد سليمة؛ فقد صرح بأن غرضه من النقد إنما هو الهدم فقط لا البناء، كما أنه ـ أي الغزالي ـ كان لا يرى مانعاً من إلزام الفلاسفة بأي مذهب من المذاهب المنتمية إلى الإسلام مهما كانت باطلة في نظره؛ بحجة أن خطرها على العقيدة أقل من خطر الفلسفة.

أما ابن تيمية فكان يتخذ من النقد أداة للوصول إلى الحق المحض، ولذلك لم يَخُصَّ بنقده فرقة معينة أو مذهباً خاصّاً كما مرّ؛ بل وَجَّه نقده إلى جميع ما كان معروفاً في عصره من فرق ومقالات باطلة في نظره؛ حتى يكشف لقارئه عن معايبها، ويبيِّن له وجوه تهافتها، وتناقضها، ولا يترك له فرصة للتردد والحيرة بينها، ثم يبيِّن له ـ مع ذلك ـ ما يعتقده المذهب الصحيح الذي يجب أن يسلكه.

وإن كان ـ في ذلك كله ـ يقف موقف الاعتدال، ويوضح ما بين المذاهب والفرق والمقالات من بعد عن الحق، أو قرب منه.

وهذه النزعة التي ترمي للوصول إلى الحق هي التي جعلت ابن تيمية يعترف بما عساه يوجد عند بعض هذه الفرق من آراء صحيحة موافقة للحق، ويمدحهم عليها[(١)].

ومن أعظم ما تميز به رَحِمَهُ اللَّهُ في ردوده على المخالفين عموماً الأمانة العلمية، وقد شهد له بتلك الخصلة أعداؤه قبل محبيه، فصارت كتبه موضع ثقة الدارسين على اختلاف مشاربهم[(٢)].

ولقد كان من منهجه في ذلك دعوته إلى نقل الأقوال بألفاظها، والدقة في نسبتها إلى أصحابها، ورجوعه إلى المصادر والكتب، والاعتذار إذا لم يجدها، ورجوعه إلى أكثر من نسخة للكتاب الواحد[(٣)].

يقول الأستاذ عبد العزيز المراغي منبهاً على تلك الخصلة: «وبهذه المناسبة يجدر بنا أن ننبه على شيء واضح الوضوح كله في آراء ابن تيمية وألوان حواره؛ ذلك

---

(١) انظر: باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص٦١ ـ ٦٢.

(٢) انظر: نشأة الفكر الفلسفي، د. علي سامي النشار، ط٧، ١٩٧٧م، دار المعارف بمصر، ١/ ٢٧٠، و٢٧٨، ونشأة الأشعرية وتطورها د. جلال محمد موسى، ط١، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص٣٢٤، وفي علم الكلام لأحمد صبحي ٢/ ٩٥ ـ ٩٦.

(٣) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١/ ٣١٧ ـ ٣٢٧، ففيه تفصيل ونماذج لأمانة ابن تيمية العلمية.

أنه لا يذكر رأياً عن شخص إلا بمشافهة، أو بنقل عن كتاب عرفه»[1].

إلى أن يقول: «وفي كتاب «مجموعة الرسائل والمسائل» كثير من محاوراته مع أصحاب البدع والمذاهب الضالة، وكثير من أساليبه التي فيها شيء من الجدة والطرافة في مناقشة المبتدعين من خصومه على نحو من الإلزام لا يعرف إلا لابن تيمية من رجال عصره.

وطبيعي أن يجعل هذا النحو من الاتصال الشخصي أو القراءة الموثوق بها ابن تيمية بمنجاة من الطعن عليه بجهل، أو خطأ في نقل، أو ضلال، أو تضليل»[2].

وابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وإن كان يخالف الفلاسفة في أصولهم، وكثير من المسائل التي خاضوا فيها ـ لا يجد حرجاً في موافقتهم في بعض ما أصابوا به، ولا تقوده مخالفته الفلاسفة إلى موافقةِ كلٍّ من انتقدهم بحق أو باطل؛ لذا نراه ينقد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ في بعض نقده للفلسفة، وفي كونه اتبع كثيراً من أصولها، وأن كلامه لا هو إلى الإسلام المحض ولا إلى الفلسفة الصريحة.

إن ابن تيمية يجعل الغزالي برزخاً بين الإسلام والفلسفة، ويقول: إن المسلم يتفلسف به تفلسف مسلم، والفيلسوف يسلم به إسلام الفيلسوف، ويرميه ـ أيضاً ـ بالتقلب بين المذاهب المختلفة، ويروي في حقه ذلك البيت الذي أنشده ابن رشد من قبل:

يوماً يمانٍ إذا لاقيت ذا يمنٍ وإن لقيتُ معديًّا فعدناني[3][4]

---

(١) ابن تيمية للشيخ عبد العزيز المراغي ص٦٩.

(٢) المرجع السابق ص٦٩ ـ ٧٠، وانظر: باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص٦٢.

(٣) قال في النبوات ١/ ٣٩١: «وأبو حامد بين علماء المسلمين وعلماء الفلاسفة: علماء المسلمين يذمونه على ما شارك فيه الفلاسفة مما يخالف دين الإسلام، والفلاسفة يعيبونه على ما بقي معه من الإسلام، وعلى كونه لم ينسلخ منه بالكلية إلى قول الفلاسفة؛ ولهذا كان الحفيد ابن رشد ينشد فيه:

يوماً يمان إذا لاقيت ذا يمن ....».

(٤) هذا البيت أورده ابن رشد بعد أن قال عن الغزالي: «لم يلزم مذهباً في كتبه؛ إذ هو مع الأشاعرة أشعري، ومع الصوفية صوفي، ومع الفلاسفة فيلسوف، حتى كأنه كما قيل: يوماً يمانٍ.....». فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال للقاضي أبي الوليد ابن رشد، قدَّم له وعلَّق عليه: د. ألبير نصري نادر، ط٢، دار المشرق، بيروت، لبنان، ص٤٨. والبيت لعمران بن حِطَّان الخارجي. انظر: الكامل للمبرد، عارضه بأصوله وعلَّق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم، والسعيد شحاته، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ٣/ ١٧٠. =

ويلحظ أن ابن تيمية قد تأثر بابن رشد في اعتباره أن تكون الأدلَّة شرعية جاء بها الشارع، ودعا الناس إلى الاستدلال بها مع كونها مغروزة في الفطر والطبائع الإنسانية(١).

كما أن تأثره بابن رشد لم يمنعه من نقد ابن رشد نَفْسِه، لاعتقاد أن ابن رشد في تناوله لكثير من القضايا، والمسائل الكلامية، وانتصاره للعقل والبرهان قد جنح عن مذهب السلف، إما بإيراده لأمور فاسدة من عنده، أو أنه ردد فساد ما قاله من سبقه من المتكلمين وفلاسفة اليونان خصوصاً أرسطو ومن شايعه؛ فابن تيمية يرى أن ابن رشد قد خالف ـ في كثير من ذلك ـ صحيح المنقول، وصريح المعقول(٢).

يضاف إلى ذلك ما يتسم به من طول النفس، ولزوم العدل، واطِّراد المنهج، والبعد عن الاعتساف.

فهذه نبذة يسيرة تبين طريقة دراسته لمذاهب المخالفين خصوصاً الفلاسفة والمتكلمين.

وسيرد مزيد بيان لذلك، وإيضاح لمدى تطبيقه لذلك المنهج عند مناقشته للمخالفين في خوارق العادات.

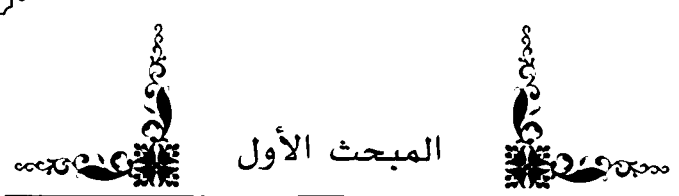


= انظر: خزانة الأدب، ولباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي ٥/٣٥٧، والنبوات ١/٣٩١، ومنهاج السُّنَّة لابن تيمية ١/١٩، و٣٥٧، وبغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. موسى بن سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٠٨هـ، ص١٨٣، و٣٨٦ ـ ٣٨٧.

وقال ابن تيمية ـ أيضاً ـ عنه: «فإن كلامه برزخ بين المسلمين وبين الفلاسفة؛ ففيه فلسفة مشوبة بإسلام، وإسلام مشوب بفلسفة». النبوات ١/٣٨٢، وانظر: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد، تقديم: د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص١٥٠ ـ ١٥٢.

(١) انظر: باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص٨١.

(٢) انظر: مناحي نقد ابن تيمية لابن رشد لعبد العزيز العماري، جداول للنشر والتوزيع، لبنان، ط١، ٢٠١٣م، ص٣٧٣ ـ ٣٩٠.



المبحث الأول

موقفه من قول الفلاسفة في المعجزات

مدخل: تعريف بالتفسير الفلسفي للنبوة

المعجزات مرتبطة بالأنبياء ـ كما هو مقرر ـ والكلام على قول الفلاسفة[(١)] في المعجزات، وآرائهم فيها داخل ضمن الكلام على النبوات.

---

(١) **الفلاسفة**، جمع: فيلسوف من الفلسفة، وهي كلمة معربة عن اليونانية؛ فهي ـ في أصلها الوضعي ـ مركبة من كلمتين يونانيتين: فيلو أو فيلا: ومعناهما: المحبة والإيثار.
وسوفيس أو سوفيا: ومعناهما: الحكمة.
فمعنى كلمة الفلسفة ـ في الأصل ـ: محبة الحكمة، أو إيثار الحكمة.
وتعني ـ كذلك ـ: حب الاستطلاع، وتعني: كل جهد علمي.
ثم مر مصطلح الفلسفة بأطوار كثيرة؛ فصار مفهومها يختلف باختلاف الأطوار، واختلاف الفلاسفة الذين وضعوا لها حدوداً وتعريفات.
ثم صارت الفلسفة تطلق على آراء محددة، ونظرات خاصة للكون، والوحي، والنبوات، والإلٰهيات، ونحو ذلك.
وصارت تعنى بالعقل، وتقدمه على النقل.
وقد نشأت الفلسفة في بلاد اليونان، وأصبحت مقترنة بها على الرغم من وجود الفلسفات في الحضارات المصرية، والهندية، والفارسية القديمة، وما ذلك إلا لاهتمام فلاسفة اليونان بنقلها من تراث الشعوب الوثنية، وبقايا الديانات السماوية؛ فجاءت فلسفتهم خليطاً من نزعات شتى.
وقد دخلت الفلسفة بلاد الإسلام في القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي وذلك في عهد الخليفة العباسي المأمون.
ولقد سبق العربُ فلاسفةَ الغربِ بالاتصال بالفلسفة اليونانية؛ إذ إنها لم تصل إلى الغرب إلا في القرنين الميلاديين الثاني عشر والثالث عشر معتمدين على ما خلَّفه الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام الذين تخصصوا في دراستها أو في نقلها من النص السرياني، أو اليوناني إلى اللسان العربي، ثم نقلت إلى لسان الغرب.
وأشهر الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام: يوسف بن يعقوب بن إسحاق المشهور بالكندي، ويطلق عليه فيلسوف العرب، وأبو نصر محمد بن محمد ابن أوزلغ بن طرخان المعروف بالفارابي، وأبو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا المعروف بابن سينا الملقب بالشيخ =

وإذا أُريد الوقوف على قولهم في المعجزات فإنه يحسن أن ينظر إلى تفسيرهم للنبوة، ومفهومها عندهم.

لذا؛ فإن الكلام هٰهنا سيدور حول التفسير الفلسفي للنبوة، وذلك من خلال ما يلي:

○ أولاً: منشأ التفسير الفلسفي للنبوة:

مما هو مقرر أن الوحي هو الأساس الذي يقوم عليه كل دين سماوي، وأن النبي بشر منح القدرة على تلقي الوحي عن الله ـ تعالى ـ، وأن الإسلام ـ كغيره من العقائد السماوية ـ يعتمد على الوحي في عقيدته، وشريعته، وفي أصوله وفروعه؛ فالوحي مصدر الدين ذاته.

هذا وإن موضوع النبوة لا وجود له في الفلسفة اليونانية، وإنما هو من الموضوعات الخاصة التي بحثها الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام؛ فهم ـ وإن كانوا يبعدون عن هدي الكتاب والسُّنَّة ـ أقرب إليهما من غيرهم من فلاسفة اليونان وغيرهم[(١)].

ولقد كان الفلاسفة المنتسبون للإسلام حريصين كل الحرص على التوفيق بين الفلسفة والدين، وبين العقل والنقل؛ لذا كان لهم جهد كبير في ذلك الشأن؛ فهم

= الرئيس. فهؤلاء أشهر الفلاسفة الإسلاميين في المشرق.
وابن طفيل، وابن باجة، وابن رشد وهؤلاء أشهر الفلاسفة الإسلاميين في بلاد المغرب.
هذا وإن الكلام في الفلسفة وأطوارها، من بداية ظهورها في ملطية في القرن السادس قبل الميلاد على يد طاليس مروراً بسقراط، وأفلاطون، وأرسطو، ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا ـ يطول، والمقام ليس مقام تفصيل. انظر تفصيل ذلك في: مشكلة الفلسفة، د. زكريا إبراهيم، الناشر مكتبة مصر، ص١٩ ـ ٢٢ و٣٧، وقصة الفلسفة اليونانية لأحمد أمين، ود. زكي نجيب محمود، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٣٥م، وفي الفلسفة المعاصرة في أوربا لبوشنسكي، ترجمة: عزت قرني، عالم المعرفة، والمدرسة الفلسفية في الإسلام ص٨٤ ـ ٨٥، و١٠١ ـ ١١٠، وباعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ـ نقد لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلٰهيات، د. محمد خليل هراس، ص٣٩ ـ ٤٠، وانظر: مقدمة د. ألبير نصري نادر على كتاب فصل المقال لابن رشد ص١١، والعقل والنقل عند ابن رشد، د. محمد أمان الجامي، ط٢، ١٤٠٤هـ، الجامعة الإسلامية، ص٩ ـ ١٠، وتاريخ العالم، السير جون أ. هامرتن، مكتبة النهضة المصرية، ٥/ ٧٦٠.

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٢/ ٨٤ ـ ٨٥، والجواب الصحيح ٢/ ٣٢٧، و٥/ ٢٤، والنبوات ٢/ ٧٠٢.

يُحمدون على حرصهم على إعزاز شأن الإسلام من وجهة نظرهم، ويؤاخذون ويُخَطَّؤون بسبب بعدهم عن هدي الكتاب والسُّنَّة في معالجة تلك القضايا[١].

ولعلَّ أهم محاولة قاموا بها للتوفيق بين الدين والفلسفة حرصهم على التوفيق بين الفلسفة والنبوة، وبيان كيفية وصول هداية السماء إلى سكان العالم الأرضي على أساس عقلي، فكَوَّنوا بذلك **نظرية النبوة** التي فسروا خلالها النبوة تفسيراً فلسفياً.

هذا وإن للفارابيِّ قَصَبَ السبق في ذلك؛ فهو أول من ذهب إليها، وفصَّل القول فيها؛ بحيث لم يَدَعْ فيها زيادة لخلفائه من الفلاسفة الآخرين المنتسبين للإسلام[٢].

○ ثانياً: أسباب بحث الفلاسفة في موضوع النبوة:

يثار في هذا الصدد تساؤل يقول: لماذا خاض فلاسفة الإسلام في موضوع النبوة؟ وما الذي جعلهم يُقَدِّمون تفسيراً فلسفيّاً للنبوة؟ ولماذا لم يكتفوا بما جاء في تفسيرها بالكتاب والسُّنَّة؟

والجواب عن ذلك يتلخص فيما يلي:

١ ـ **بزوغ ظاهرة الإلحاد**: التي بدأت في العالم الإسلامي، وكانت في بدايتها تهاجم الإسلام بكامله؛ بحجة أنه لا يتسق مع مقررات العقل؛ حيث اجتاحت العالم الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجريين موجةٌ من الشك، والزندقة؛ إذ اختلط المسلمون بعناصر مختلفة في البلاد المفتوحة ذوي عقائد وحضارات متباينة[٣].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٢/ ٨٥.

(٢) انظر: محاضرات في الفلسفة، د. أحمد جاد، ص١٨.

(٣) ولقد كانت هذه العناصر موتورةً من الإسلام الذي ظهر على أديانها، فألغاها؛ فصارت تحاربه بشتى الوسائل؛ بهدف التشكيك في أصوله، وصرف الناس عنه؛ فالمزدكية، والمانوية، وأنصارهم بدؤوا في القرن الثالث الهجري ينشرون دعوة التثنية، ويهدمون دعوة التوحيد.
وكذلك كان البراهمة في ذلك الوقت ينكرون النبوة والأنبياء، ولا يرون أن البشر بحاجة إليهم.
ثم إن دار الإسلام في القرنين الأولين بعد الهجرة كانت دار حرب ونزاع؛ حيث تشاجرت فرق الأمة، وتخاصمت الأمم الإسلامية وأمم الأديان السابقة.
كما لم يزل في دار الإسلام عدد كبير من النصارى، واليهود، والثنوية، والدهرية ـ وهم الفلاسفة ـ.
ثم دخل في الإسلام عدد غير قليل من تابعي تلك الأديان والمذاهب، ولما أسلموا لم يَتْركوا ما كانوا عليه من الشعور، والوجدان، والأفكار؛ فدب في جسد الإسلام ما هو غريبٌ عن روحِهِ، بعيدٌ عن أصله، وإن كان ظاهره الإسلام. انظر: محاضرات في الفلسفة ص١٩ ـ ٢٠.

٢ ـ **ظهور شخصيات تمثل الفكر الإلحادي**: وأخطر من تولى كِبْر هذا الإنكار شخصيتان بارزتان، **أحدهما**: أحمد بن إسحاق المعروف **بابن الراوندي**[١]، **والآخر**: **أبو بكر الرازي الطبيب**[٢].

---

(١) هو: أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي، نسبة إلى قرية راوند الواقعة بين أصفهان وكاشان، المولود سنة ٢١٠هـ والمتوفي سنة ٢٩٨هـ، وهو من أصل يهودي، واتصل بالمعتزلة، ولكنه لم يلبث أن خرج عليهم، فانقلب على الاعتزال، وهاجم القرآن، وحمل على الإسلام، وألَّف كتباً تنتقص الإسلام ورجاله ككتاب: «فضيحة المعتزلة» في الرد على «فضيلة المعتزلة» الذي وضعه الجاحظ من قبل.
وكتاب «الدامغ» يعارض به القرآن، وكتاب «الفرند» في الطعن على النبي ﷺ، وكتاب «الزمردة» في إنكار الرسل وإبطال رسالتهم، وكتاب «التاج» يحتج فيه لِقِدَم العالم.
كما حُفظت بعض أقوال ابن الراوندي في النبوة في مخطوطة تعد جزءاً من كتاب «المجالس المؤيدية» المنسوبة إلى المؤيد في الدين هبة الله ابن أبي عمرو الشيرازي داعي الدعاة الإسماعيلي للخليفة الفاطمي المنتصر بالله. انظر: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه د. إبراهيم مدكور، ط٣، دار المعارف بمصر، ١/ ٨١.
وتتلخص أقواله في إنكاره للنبوات عامة، ونبوة محمد ﷺ خاصة، ونقده لبعض تعاليم الإسلام وعباداته، ثم رفضه ـ في شيء من التهكم ـ للمعجزات في جملتها. انظر: البداية والنهاية ١٤/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣، و٧٦٤ ـ ٧٦٧، وفي الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ١/ ٨٢، وانظر: تأملات في الفكر الإسلامي، د. محمد كمال جعفر ص٣٢٢.

(٢) هو: أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ٢٥٠ ـ ٣١٣هـ، فهو أكبر طبيب في الإسلام؛ بل في القرون الوسطى على الإطلاق.
ولم يكن الرازي طبيباً ولا كيميائياً فحسب؛ بل اتجه نحو الدراسات الفلسفية، وكتب فيها عدة بحوث.
وإذا كان الرازي قد اشتغل بالفلسفة فإنه يختلف عن الفلاسفة المنتسبين للإسلام في نواح كثيرة؛ فهو يهاجم **أولاً** أستاذهم وزعيمهم أرسطو، ويخرج على كثير من نظرياته الطبيعية والميتافيزيقية، ويبالغ ثانياً ـ على العكس منهم ـ في التعلق بأهداب الآراء المزدكية والمانوية والمعتقدات الدينية، وينكر **أخيراً** كل الإنكار محاولتهم التوفيق بين الفلسفة والدين، ويرى أن الفلسفة هي السبيل الوحيد لإصلاح الفرد والمجتمع، وأن الأديان مدعاة التنافس والتطاحن والحروب المتتالية.
وقد كتب كتابين عدهما البيروني من الكفريات، وهما «مخاريق الأنبياء أو حيل المتنبئين» و«نقض الأديان أو في النبوات». انظر: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ١/ ٨٥، ومحاضرات في الفلسفة ص٢٠ ـ ٢١.
والاعتراضات الأساسية التي وجهها الرازي إلى النبوة في جملتها تقترب من الاعتراضات التي أثارها ابن الراوندي من قبل؛ فهو يقرر أن الأنبياء لا حق لهم في أن يَدَّعوا لأنفسهم ميزة خاصة، عقلية كانت أو روحية؛ فإن الناس كلهم سواء، وعدل الله وحكمته تقضي ألا يمتاز واحد على آخر. =

والشاهد من ذلك كله: بيان أن هناك جوّاً معادياً للنبوة.

ومن هنا رأى هؤلاء الفلاسفة ـ وعلى رأسهم الفارابي ـ أنهم إزاء جوٍّ مشحون بالمناقشة في موضوع النبوة؛ فقام الفارابي بإصر الدفاع عن النبوة، والرد على منكريها من منظور فلسفي، تابع لمشروعهم الأساس في التوفيق بين الشريعة والفلسفة عموماً؛ فألف ردَّين أحدهما: على ابن الراوندي، والآخر: على ابن زكريا الرازي، ولَكِنَّ الكتابين لم يصلا إلينا.

ولم يكتفِ الفارابي بهذا الدفاع السلبي عن النبوة؛ بل أخذ على عاتقه إقامتها على دعائم عقلية، ففسرها ـ أي: النبوة ـ تفسيراً فلسفيّاً أراد من خلاله إبطال كلمة أنصار العقل، ودحض دعاوى الفلاسفة الذين يزعمون أن الدين لا يمكن التآخي بينه وبين الفلسفة.

وهذا الدفاع من الفارابي ليس خاصّاً بديانة معينة من الأديان السماوية، وإنما هو دفاع عن النبوة عموماً، وعن الأديان السماوية بكاملها لمواجهة هذا الجو الملحد[(١)].

ولا ريب أن الدفاع عن النبوة، والوقوف في وجه منكريها، والطاعنين عليها، والساخرين بمقامها ـ أمر محمود من جهة.

ولكن صنيع الفارابي، ومن سار في ركابه في هذا الشأن ـ مرفوض؛ إذ هو تحريف للواقع، وصرف للنبوة عن حقيقتها؛ وذلك ناتج عن تأثر بالفلسفة، وانهزام أمام بريقها الخالب.

= ـ **أما المعجزات النبوية فهي** ـ عنده ـ ضرب من الأقاصيص الدينية، أو اللباقة، أو المهارة التي يراد بها التغرير والتضليل.

ويرى أن التعاليم الدينية متناقضة يهدم بعضها بعضاً، ولا تتفق مع المبدأ القائل: إن هناك حقيقةً ثابتة، وذلك لأن كل نبي ـ في نظره ـ يلغي رسالة سابقة، وينادي بأن ما جاء به الحق ولا حق سواه، والناس في حيرة من الإمام والمأموم، والأديان في جملتها هي أصل الحروب التي وقعت فيها الإنسانية من قديم، وَعَدُوُّ الفلسفة والعلم، وربما كانت مؤلفات القدامى أمثال أبقراط، وإقليدس، وأفلاطون، وأرسطو أنفع من الكتب المقدسة. انظر: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ١/٨٧، وتاريخ الفلسفة الإسلامية لهنري كوربان، ترجمة: نصير مروة، وحسن قبيسي، منشورات عويدات، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ص٢١٨ ـ ٢٢٠.

فهذه هي جملة الآراء التي نادى بها الرازي، والتي تُمثل أعنف حملة وُجهت إلى الدين والنبوة طوال القرون الوسطى.

(١) انظر: محاضرات في الفلسفة ص٢٣.

○ ثالثاً: تفسير الفارابي للنبوة:

يأتي تفسير الفارابي لهذه النظرية معتمداً على أرضية العقل الإنساني، ومتكئاً على نظرية المدينة الفاضلة الأفلاطونية، وعلى نظرية الأحلام الأرسطية، وعلى فكرة الهياكل عند الصابئة، وعلى نظرية الفيض عند أفلوطين[(١)][(٢)].

وتوضيح ذلك بإجمال يتلخص في أن الفارابي قد اهتم اهتماماً بالغاً بمسائل الاجتماع، وتكوُّن الدولة، وذلك كما في كتابيه: (السياسة والدولة) و(آراء أهل المدينة الفاضلة).

فكان يطلب تنظيم العالم على نحو يجعل منه دولة مثالية على غرار جمهورية أفلاطون.

فتلك المدينة الفاضلة هي نموذج لمجتمعٍ إنسانيٍّ راقٍ يؤدي كل فرد فيه وظيفته الخاصة التي تلائم كفاياته.

وإذا كان الأمر كذلك فإنه يجب أن تسري في المجتمع روحٌ واحدة تحس بإحساس مشتركٍ يتعاون أفراده؛ ليصلوا إلى السعادة التي تُصيِّر المدينةَ فاضلة، وتصبح الأمة التي هي مجموعة من المدن أمة فاضلة، وكذلك يصبح المجتمع الإنساني الذي هو مجموعة من الأمم مجتمعاً إنسانياً فاضلاً[(٣)].

وهكذا يمضي في تفسير المدينة الفاضلة على نحو يطول؛ إذ يتحدث عن أقسامها، ومراتبها، وتشبيهها بجسد الإنسان، وبيان أن القصد الأساس منها نيل السعادة التي لا يمكن للإنسان تحقيقها إلا بالاجتماع البشري؛ فتلك هي المدينة الفاضلة ـ في نظره ـ.

ثم يبيِّن بعد ذلك مدى الحاجة إلى المعلم أو المرشد الذي يعلم السعادة، ويرشد إلى الأشياء التي ينبغي القيام بها؛ لِتُنال السعادة.

---

(١) **أفلوطين**، عاش تقريباً في ٢٠٥ ـ ٢٧٠م، وهو فيلسوف يوناني، تنسب إليه الأفلاطونية الحديثة؛ فإذا ذكرت الأفلاطونية نسبت إلى أفلاطون الأول تلميذ سقراط، وإذا وصفت بالحديثة فهي المنسوبة إلى أفلوطين، انظر: معجم الفلاسفة لجورج طرابيشي، ط٣، بيروت، دار الطليعة، ص٧٦، وانظر: أفلوطين عند العرب، عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥م، ففيه تفصيل لأفكاره وفلسفته.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة الإسلامية ص٨٦ ـ ٩٤.

(٣) انظر: السياسة المدنية، الملقب بمبادئ الموجودات لأبي نصر محمد بن محمد بن طرفان الفارابي، المكتبة العربية ص٢٢، وآراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها للفارابي ص٣٠.

وهذا المرشد قد يكون رئيساً أوّلاً، أو رئيساً ثانياً؛ فالرئيس الثاني هو الذي يرأسه إنسان آخر(١).

ويرى أنه لا بد من توافر شروط معينة في رئيس المدينة الفاضلة؛ إذ ليس في إمكان كلِّ أحد أن يكون ذلك الرئيس؛ إذ الرئاسة لا تكون إلا بشيئين **أحدهما**: أن يكون بالفطرة والطبع مُعَداً لها.

والثاني: بالهيئة والملكة الإرادية الرئاسية التي تحصل بمن فطر بالطبع معدّاً لها.

ثم يذكر شروط ذلك الرئيس؛ فيوصلها إلى اثني عشر شرطاً صارماً تدور حول جودة طبع ذلك الرئيس، وجودة حفظه ولفظه، ومحبته للعمل، وإيثاره الصدقَ والبعدَ عن الشره، واتصافه بالعدل، وكبرِ النفس، وقوةِ العزيمة، والزهد بالدنيا.

وبالإضافة إلى هذه الشروط يضيف الفارابي شرطاً آخرَ، وهو أن رئيس المدينة الفاضلة لا بد أن يسمو إلى درجة الاتصال **بالعقل الفعال**، الذي يستمد منه الوحي والإلهام(٢).

أما كيفية الاتصال بالعقل الفعال عند الفارابي فيتم بوسيلتين: **الأولى**: **العقل**، **والأخرى**: **المُخَيَّلة**؛ فمن خلال النظر العقلي يمكن أن ترقى نفس الإنسان إلى درجة العقل المستفاد؛ حيث تقبل فيض العقل الفعال.

إن النفس الإنسانية من خلال تحصيلها للمعارف بواسطة التأملات العقلية تَضْحى روحاً قدسية ـ كما يرى ـ.

ومن هنا يمكنها أن تقبل المعقولات من الروح والملائكة؛ فالروح «القدسية لا تشغلها جهة تحت من جهة فوق، ولا يستغرق الحس الظاهر حسها الباطن، وقد يتعدى تأثيرها من بدنها إلى أجسام العالم وما فيه، ويقبل المعقولات من الروح والملائكة لا بتعليم الناس(٣).

فهو اتصال يأتي بوساطة التأمل والمجاهدات والنظر.

على أن الاتصال ـ أيضاً ـ بالعقل الفعال يمكن أن يكون عن **طريق المخيلة**،

---

(١) انظر: السياسة المدنية ص٢٢ ـ ٢٣، وآراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها ص٣٠ ـ ٣١، ومحاضرات في الفلسفة ص٢٨ ـ ٣٠.
(٢) انظر: آراء أهل المدينة الفاضلة ص٣٢ ـ ٣٤، وفي الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ١/ ٧٢.
(٣) انظر: محاضرات في الفلسفة ص٣٣ ـ ٣٤.

وهذه هي حال الأنبياء، وتلعب المخيلة دوراً مُهِمّاً في علم النفس عند الفارابي؛ إذ تنفذ إلى نواحي الخصائص النفسية المختلفة؛ فإن لها صلةً قوية بالميول والعواطف، كما أن لها أثراً في الأعمال العقلية والحركات الإرادية.

وتُمِدُّ المخيلة القوى النزوعية بما يستثيرها ويوجهها إلى غرض ما، وتغذي الرغبة والشوق بما يؤججهما ويدفعهما إلى السير في الطريق إلى النهاية.

وإلى جانب هذا تحتفظ المخيلة بالآثار الحسية وصور العالم الخارجي المنقولة إلى الذهن عن طريق الحواس.

وللمخيلة ـ فوق قدرتها على الاحتفاظ بما يأتيها من صور ـ قدرةٌ على الابتكار، وهو ما يسميه علم النفس الحديث بالخيال المبدع، وهو الذي يستطيع بواسطته الإنسان أن يؤلف ويربط الأفكار والصور بطريقة جديدة ومبتكرة؛ بحيث يوجد شيء لم يكن معهوداً من قبل، وتنتج عن ذلك الأحلام والرؤى[١].

فالقوة المتخيلة يحفظ بها ما ارتسم في نفسه من المحسوسات بعد غيبتها عن مشاهدة الحواس لها، وهذه هي القوة المتخيلة؛ فبها يركب المحسوسات بعضها إلى بعض، ويفصل بعضها عن بعض تركيبات وتفصيلات مختلفة بعضها كاذبة وبعضها صادقة، ويقترن بها ـ أيضاً ـ نزاع نحو ما يتخيله[٢].

وتترك المخيلة أثرها في الأحلام والرؤى؛ إذ إنها تأتي كنتيجة لقوة المخيلة، ومن هنا يتبيَّن أن هناك **صلةً قويةً بين نظرية الأحلام وتفسير النبوة عند الفارابي**، وذلك ببيان أثر المخيلة في الأحلام؛ فلقد تأثر الفارابي هنا بنظرية الأحلام الأرسطية، التي تقرر أن الحواس تحدث فينا آثاراً تبقى بعد زوال الأشياء المحسوسة، وهذا يدلّ على أن الإحساسات تترك فينا آثاراً واضحة تأخذ في المخيلة صوراً شتى.

وعند النوم يفقد الإنسان إحساسه، وتنشط المخيلة وتقوى، وتحدث في هذه الحالة الأحلام، «فالمخيلة ـ إذاً ـ هي المصدر الذي تنبعث منه صور الإحساسات، فتظهر في النوم، وتخدع الحالم؛ لأن ذهنه منصرف عن كل شاغل خارجي، ولا يستطيع ما يستطيعه اليقظان من مراجعة حاسة بأخرى»[٣].

فالفارابي يذهب إلى أن الأحلام ـ وهي أثر من آثار المخيلة ـ يمكن أن تفسر

---

(١) انظر: محاضرات في الفلسفة ص٣٤. (٢) انظر: آراء أهل المدينة الفاضلة ص١٩.

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ط٦، القاهرة، ص١٦٢.

النبوة والوحي؛ فالإلهامات النبوية قد تظهر في صورة الرؤيا الصادقة: «فتكون بما يعطيه العقل الفعال القوة المخيلة من الجزئيات بالمنامات الرؤيا الصادقة، وبما يعطيها من المعقولات التي تقبلها بأن تأخذ محاكياتها بمكانها الكهانات على الأشياء الإلٰهية.

وهذه كلها قد تكون في النوم، وتكون في اليقظة فقط إلا أن الذي يكون منها في اليقظة قليل، وفي الأقل من الناس.

فأما التي في النوم فأكثرها الجزئيات، وأما المعقولات فقليلة»[١].

إن أحوال النائم العضوية والنفسية ـ كما يراها الفارابي ـ ذات أثر واضح في مخيلته، وبالتالي في أحلامه، وفي حال النوم تمارس المخيلة وظائفها التي سبقت الإشارة إليها، وهنا يكون للعقل الفعال في المخيلة فعلٌ ما بإعطائها الجزئيات المحسوسات أو المعقولات، وذلك في صورالرؤيا الصادقة، ومحاكاة الأشياء الإلٰهية[٢].

وهكذا فسر الفارابي الأحلام والرؤى الصادقة.

ولما كانت الأخيرة شعبة من شعب النبوة وضح لنا الوحي والإلهام في أثناء النوم[٣].

وإذا كانت المخيلة قوية فإنها تستطيع أن تتصل بالعقل الفعال حال اليقظة، وتقبل منه الجزئيات الحاضرة والمستقبلة أو محاكياتها من المحسوسات، ومحاكيات المعقولات المفارقة، وسائر الموجودات الشريفة.

وبهذا يفسر الفارابي الوحي حال اليقظة[٤].

فهذا هو تفسير الفارابي للنبوة، فالفيلسوف والنبي يستمدان من معين واحد، هو العقل الفعال، وإن كانت أداة الاتصال بالعقل الفعال مختلفة، فهي في حال الفيلسوف: التأمل والنظر العقلي، وفي حال النبي: قوة المخيلة.

فإذا أثَّر العقل الفعال على العقل المنفعل الذي للرئيس فإنه يصبح حكيماً فيلسوفاً، وإذا أثر على قوته المتخيلة فإنه يكون نبيّاً منذراً[٥].

---

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ص٢٩. (٢) انظر: المرجع السابق ص٢٩.

(٣) انظر: محاضرات في الفلسفة ص٣٨.

(٤) انظر: مبادئ آراء أهل المدينة الفاضلة ص٢٩، و٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٥) انظر: محاضرات في الفلسفة ص٣٦ ـ ٤١.

فهذا هو خلاصة تفسيره للنبوة، وإلا فكلامه في ذلك يطول.

ولقد تعرضت تلك النظرية لكثير من النقد؛ إذ فيها **تفضيل للفيلسوف على النبي**؛ ذلك أن أداة النبي عند الفارابي الخيال، والفيلسوف أداته العقل.

وما من ريب أن الفيلسوف ـ بهذا الاعتبار ـ أقوى وأفضل من النبي؛ ذلك أن العقل أقوى من الخيال.

كما أنها تفضي إلى القول **بأن النبوة مكتسبة، وتفضي إلى معارضة الكثير من النصوص القطعية**، فقد وردت النصوص التي تشير إلى أن الوحي كان يأتي للرسول ﷺ بطرق مختلفة؛ فيأتي أحياناً مثل صلصلة الجرس، وأحياناً في صورة بشر، ففي «صحيح البخاري» أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ عن كيفية مجيء الوحي إليه، فقال النبي ﷺ: **«أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»**[(١)].

ولقد اتجه الفارابي هنا إلى التأويل، فجبريل هنا هو العقل الفعال، أو الروح الأمين، أو روح القدس عند الفارابي[(٢)].

ويحاول بعضهم أن يُسوِّغ ذلك على أساس أن الفارابي في ذلك الوقت لم يكن أمام مَنْ آمن بكل ما ورد ونُقِلَ، ولكنه أمام من أنكر النبوة، وهاجمها بعنف؛ فهو ـ والحالة هذه ـ مضطر إلى اصطناع التأويل، والتسلح بأسلحة العقل، ووضع الحقائق الدينية في قوالب عقلية؛ ليقنع بها المنكرين[(٣)].

ولقد أشار ابن تيمية في معرض نقد الفلاسفة إلى أن جبريل عندهم إنما هو خيَالٌ في نفس النبي؛ **إذ يقول:** «وعند المتفلسفة أن جبريل إنما هو خيال في نفس النبي ليس هو ملكاً يأتي من السماء، والنبي عندهم يأخذ من هذا الخيال»[(٤)].

ولقد أشار ابن طفيل إلى سوء معتقد الفارابي في النبوة، وأنها للقوة الخيالية خاصة[(٥)].

---

(١) البخاري رقم (٢).

(٢) انظر: كتاب الملة ص٦٤.

(٣) انظر: الفارابي، سعيد بن زايد ص٦٢.

(٤) رسالة الفرقان بين الحق والباطل، في مجموعة الرسائل الكبرى، المطبعة العامرة، الشرقية، بمصر، ط١، ١٣٢٣هـ، ١/١٤٧، وانظر: شرح الأصبهانية ص١٦٧ ـ ١٦٩، والرد على الشاذلي ص١٢٣.

(٥) انظر: حي بن يقظان لابن طفيل، ص٥٧.

وبعد أن تبيَّن مفهوم النبوة عند الفلاسفة، وتفسيرهم لها ينتقل الكلام إلى موقف ابن تيمية من الفلاسفة في قولهم في معجزات الأنبياء(١).



(١) وقد أطلتُ في هذا المدخل؛ لأهمية الوقوف على التفسير الفلسفي للنبوة في معرفة قول الفلاسفة في المعجزات، والخوارق عموماً؛ فالخطأ في فهمها ناشئ ـ في الأساس ـ من الخطأ في فهم النبوة على الوجه الصحيح.

المطلب الأول

عرضه لقول الفلاسفة في المعجزات

موضوع النبوات، وما يندرج تحته من مسائل داخل في قبيل دراسة ابن تيمية للفلسفة عموماً؛ إذ يَصْدُق عليه ما يَصْدُق على غيره من بقية موضوعات الفلسفة الأخرى التي تناولها بالبحث.

وإن كان قد خص موضوع النبوات عند الفلاسفة، وباب المعجزات منه ـ على وجه الخصوص ـ بمزيد من العناية، والدراسة، والعرض لقول الفلاسفة ومن تبعهم في ذلك.

وكان عرضه لها واضحاً، ودقيقاً، ومباشراً من كتبهم، وبألفاظهم[(١)].

ومن خلال ذلك العرض يتبين قول الفلاسفة في باب المعجزات؛ بحيث يقف المطلع على ما كتبه ابن تيمية في هذا الشأن على حقيقة قول الفلاسفة فيه.

هذا، وإن عرضه لتلك الآراء مبثوث في تضاعيفِ كثيرٍ من كتبه؛ إذ لا يكاد يخلو كتاب منها من إيراد شيء من تلك الآراء في ذلك الباب[(٢)].

ولكنه ـ مع ذلك ـ خص كتاباً في هذا الباب، وهو «الرسالة الصفدية» الذي ألفه في الرد على من زعم أن **معجزات الأنبياء قوى نفسانية**[(٣)].

وفيما يلي بيان لما عرضه من آراء الفلاسفة في باب المعجزات:

○ أولاً: تقريره أن الفلاسفة الأوائل لم يعرفوا الأنبياء ولا معجزاتهم، وإنما عَرَفَ ذلك متأخروهم من الفلاسفة المنتسبين للإسلام؛ كالفارابي، وابن سينا:

---

(١) انظر: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة، ومنهجه في عرضها، د. صالح غرم الله الغامدي ص٤١٢.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٢/٣٢٨، و٥/٢٤، و٦/١٧٧ ـ ١٨٠، ومجموع الفتاوى ٢/٨٥، و١٩/١٨٥، و٢٧/٥٨٢، وجامع المسائل ١/٩٥ ـ ٩٦، والرد على المنطقيين ص١٨٣ و٣٩١ و٤٤٢، ودرء تعارض العقل والنقل ١/٩ ـ ١٠ و٦٢ ـ ٦٣.

(٣) انظر: مقدمة الرسالة الصفدية ص١٩ ـ ٢٣.

يقول رَحِمَهُ اللهُ في «النبوات»: «وأما أرسطو وأتباعه فلم يعرفوا هذه الأمور الغريبة[١]، ولم يتكلموا عليها، ولا على آيات الأنبياء، ولكن كان السحر موجوداً فيهم[٢].

وهؤلاء من أبعد الأمم عن العلوم الكلية والإلٰهية؛ فإن حدوث هذه الغرائب من الجن، واقترانهم بالسحرة والكهان مما قد عرفه عامة الأمم، وذكروه في كتبهم، غير العرب مثل الهند، والترك وغيرهم من المشركين وعباد الأصنام، وأصحاب الطلاسم والعزائم، وعرفوا أن كثيراً من هذه الخوارق هو من الجن.

وهؤلاء الجهال لم يعرفوا ذلك»[٣].

ويقول في «مجموع الفتاوى» في معرض كلام له عن أرسطو وفلسفته المشائية: «وأما النبوات والرسل فليس لهؤلاء فيها كلام معروف لا نفياً ولا إثباتاً.

وأما المتأخرون[٤] فهم لما ظهرت الملة الحنفية الإبراهيمية التوحيدية ـ تارة بنبوة عيسى لما ظهرت النصارى على مملكة الصابئين بأرض الشام، ومصر، والروم، وغيرها، ثم بنبوة خاتم المرسلين ـ وأظهر الله من نور النبوة شمساً طمست ضوء الكواكب، وعاش السلف فيها برهةً طويلةً، ثم خفي بعضُ نورِ النبوة، فَعُرِّبت كتب بعض الأعاجم الفلاسفة من الروم، والفرس، والهند في أثناء الدولة العباسية»[٥].

ثم بيَّن أنه قد صار فيهم[٦] من يتحذَّق على طريقتهم[٧] في علم ما بعد الطبيعة كالفارابي، وابن سينا، ونحوهم[٨].

ثم انتقل إلى الكلام على ابن سينا، وأثره؛ فأوضح ـ بعدله المعروف ـ شيئاً مما لابن سينا وما عليه، **فقال**: «وصنف ابن سينا كتباً زاد فيها بمقتضى الأصول المشتركة أشياء لم يذكرها المتقدمون، وسمى ذلك: العِلْمَ الإلٰهيّ، وتكلم في النبوات، والكرامات، ومقامات العارفين بكلام فيه شرف، ورِفعة بالنسبة إلى كلام المتقدمين»[٩].

ثم بيَّن ما يؤخذ عليه من ذلك، فقال: «وإن كان عند العلوم الإلٰهية النبوية فيه

---

(١) يعني بالأمور الغريبة: أحوال الجن، والشياطين، والسحرة، والكهان. انظر: النبوات ٢/ ٧٠٢.

(٢) ولكنهم كانوا يحيلون ذلك إلى قوة نفس الإنسان. انظر: النبوات ٢/ ٧٠٢.

(٣) النبوات ٢/ ٧٠٢، والجواب الصحيح ٢/ ٣٢٨، و٦/ ٢٤ ـ ٢٥.

(٤) يعني بهم: من جاء بعد أرسطو.

(٥) مجموع الفتاوى ٢/ ٨٤.

(٦) يعني: المتكلمين.

(٧) يعني: على طريقة الفلاسفة.

(٨) انظر: مجموع الفتاوى ٢/ ٨٥.

(٩) المرجع السابق ٢/ ٨٥.

من القصور، والتقصير، والنفاق، والجهل، والباطل، والضلال، والكفر ـ ما لا يخفى على من له أدنى بصيرة بالعلم والإيمان»[١].

ثم علل سبب رواج ابن سينا، وسيرورة كلامه، فقال: «وإنما راج على من سلك طريق المتفلسفة؛ لأنه قرَّب إليهم معرفة الله، والنبوات، والمعجزات، والولاية بحسب أصول الصابئة لا بحسب الحق في نفسه؛ بما أشرق على جهالاتهم من نور الرسالة، وبرهان النبوة»[٢].

○ **ثانياً: تقريره أن الفلاسفة يرون أن للنبوة ثلاثَ خصائص: فمن قامت به فهو نبي؛ فهم يرون ـ كما يقرر ـ أن النبوة لا تنقطع، بل يبعث الله بعد كل نبي نبياً.**

ويرى ابن تيمية أن كثيراً منهم يقول: إن النبوة مكتسبه[٣].

ثم يذكر تلك الخصائص الثلاث فيقول: «**الخاصة الأولى: أن تكون له قوة قدسية:** وهي قوة الحدس؛ بحيث يحصل له من العلم بسهولةٍ ما لا يحصل لغيره إلا بكلفة شديدة.

ويعبرون عن ذلك بأنه الحد الأوسط من غير احتياج إلى ما يحتاج إليه من ليس مثله.

وحاصل الأمر أنه أذكى من غيره، وأن العلم عليه أيسر منه على غيره»[٤].

وينتقل بعد ذلك إلى ذكر الخاصة الثانية وتوضيحها، فيقول: «**الخاصة الثانية: قوة التخييل والحس الباطن**؛ بحيث يتمثل له ما يعلمه في نفسه؛ فيراه، ويسمعه؛ فيرى في نفسه صوراً نورانيةً هي عندهم ملائكة الله، ويسمع في نفسه أصواتاً هي عندهم كلام الله من جنس ما يحصل لبعض أهل الرياضة، ومن جنس ما يحصل لبعض الممرورين[٥] الذين يصرعون.

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ٨٥. (٢) المرجع السابق ٢/ ٨٥.
(٣) انظر: الرسالة الصفدية ص٥٢، والنبوات ٢/ ٧٠٢ ـ ٧٠٣.
(٤) الرسالة الصفدية ص٥٢.
(٥) جمع ممرور: من المِرَّة، وهي خِلْط من أخلاط البدن، وهو ما يسمى بالمزاج، وهو استعداد جسمي عقلي خاص كان القدماء يعتقدون أنه ينشأ عن أن يتغلب أحدُ العناصر، أو الطبائع الأربعة وهي: الدم، والصفراء، والسواد، والبلغم.
ومن ثم يقولون بأربعة أمزجة، وهي: الدموي، والصفراوي، والسوداوي، والبلغمي.
ويقولون: إن المراوة مع مادة صفراوية يؤدي إلى أمور منها صرع، أو تشنج، أو يقع في البصر ضرر. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس للسيد المرتضى الزبيدي، تحقيق: =

ويقولون: إن ما أخبرت به الرسل من أمور الربوبية، واليوم الآخر ـ إنما هو تخييل، وأمثال مضروبة، لا أنه إخبار عن الحقائق على ما هي عليه»[(١)].

ثم يبيِّن الخاصة الثالثة عندهم، وهي ـ كما **يقول** ـ: «أن تكون له قوة نفسانية يتصرف بها في هَيُولى[(٢)] العالم، كما أن العائن له قوة نفسانية يؤثِّر بها في المَعِيْن.

ويزعمون أن خوارق العادات التي للأنبياء، والأولياء هي من هذا النمط»[(٣)].

وبعد أن بَيَّن هذه الخصائص قرر أصلَ أمرِ هؤلاء، وهو أنهم لا يثبتون لصانع العالم مشيئةً ولا اختياراً، وقدرةً يقدر بها على تغيير العالم، وتحويله من حال إلى حال، وأن أئمتهم لا يثبتون علمه بتفاصيل أحوال العالم، وأن منهم من يقول: لا يعلم شيئاً، ومنهم يقول: لا يعلم إلا نفسه.

ومنهم من يقول: يعلم الجزئيات على وجه كلي.

وهذا الأخير ـ كما يقرر ـ اختيار ابن سينا، ويرى[(٤)] أنه أجود أقوالهم مع تناقض هذا القول وفساده.

ويعلل لكون ذلك تناقضاً أن كل موجود في الخارج هو موجود مُعَيَّن جزئي،

= عبد الكريم العرباوي، راجعه: السيد أحمد فراج، ط٢، مصورة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، مطبعة حكومة الكويت، ٧/ ٤٧٦، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، قام بإخراج هذه الطبعة: د. إبراهيم أنيس، وزملاؤه، عُني بها: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، مطابع قطر الوطنية، على نفقة إدارة إحياء التراث بدولة قطر ٢/ ٨٩٧.

(١) الرسالة الصفدية ص٥٢ ـ ٥٣.

(٢) **الهيولى**: لفظ يوناني معناه: أصل الشيء، ومادته.
قال الجرجاني رحمه الله: «الهيولى: لفظ يوناني بمعنى: الأصل والمادة.
وفي الاصطلاح: هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال، مَحَلٌ للصورتين الجسمية والنوعية». التعريفات ص٢٧٦.
وقال الكفوي رحمه الله: «الهيولى كل جسم يعمل منه الصانع وفيه صنعة، كالخشب للنجارين، والحديد للحدادين، ونحو ذلك؛ فذلك الجسم هو الهيولى، كذلك الشيء المصنوع» الكليات لأبي البقاء الكفوي، قابله على نسخة خطية وأعدَّه للطبع ووضع فهارسه: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، ص٩٥١.
وقال رحمه الله: «الهيولى: هو جوهر بسيط لا يتم وجوده بالفعل دون وجود ما حل فيه». الكليات ص٩٥٥.

(٣) الرسالة الصفدية ص٥٣.

(٤) أي: ابن تيمية.

والكليات إنما تكون كليات في الأذهان لا في الأعيان[١].

○ **ثالثاً: يقرر أن الفلاسفة إزاء الخوارق ما بين معلل ومكذب: يقول** ـ بعد أن قرر أن كون النفوس، أو غيرها من الأعيان قد جعل الله فيها من القوى والطبائع ما يحصل به بعض الآثار، وأن ذلك لا يُنْكر لا في الشرع، ولا في العقل ـ: «ولكن دعوى المدعي أن معجزات نبيّنا، أو غيره من الأنبياء هي من هذا الباب: بهتان عظيم.

والقائلون بهذا رأوا أنهم يمكنهم تعليل بعض الخوارق بعلل طبيعية؛ فعللوها، ثم جهالهم ظنوا هذا طرداً؛ فطردوا.

وأما حذاقهم[٢] فيكذِّبون بالخوارق الخارجة عن القانون الطبيعي عندهم»[٣].

ويعني بالخوارق الخارجة عن القانون الطبيعي عندهم: الخوارق التي لا يكون سببها قوى النفس، أو القوى النفسانية؛ إذ القانون الطبيعي عندهم تصديق الخوارق الناتجة عن قوى النفس.

ثم يضرب لذلك مثالاً، فيقول: «وذلك مثل كون بعض الناس يبقى مدةً لا يأكل، ولا يشرب؛ فإن جماعة من الناس بقي شهراً، أو شهرين لا يأكل؛ فأخذ ابن سينا يقول (في إشاراته)[٤]: إذا بلغك أن عارفاً مكث مدة لا يأكل ولا يشرب فأسجح بالتصديق؛ فإن في الطبيعة عجائب»[٥].

إلى أن يقول ابن تيمية: «وقرر[٦] ذلك بأن المريض إذا بقيت قواه الهاضمة مدة مشغولة بمدافعة المرض بقي الطعام محفوظاً مدة لا يأكل فيها، ولا يشرب؛ فالعارف إذا اشتغلت نفسه بعرفانه اجتذبت إليها القوى الهاضمة؛ فلا تهضم الطعام»[٧].

ثم يعلق ابن تيمية على هذا الكلام بما يبطله[٨] **ويقرر ـ بعد أن ضرب بعض الأمثلة** على معجزات الأنبياء كعصا موسى ﷺ ـ: «أن أئمة هؤلاء المتفلسفة يُكَذِّبون بهذه المعجزات، وربما جعلوها أمثالاً، فقالوا: إنه ألقى عصا العلم؛ فابتلعت حبال

---

(١) انظر: الرسالة الصفدية ص٥٣ ـ ٥٤.

(٢) يعني به: ابن سينا ومن وافقه.

(٣) الرسالة الصفدية ص١٩٥ ـ ١٦٠.

(٤) انظر: الإشارات والتنبيهات لابن سينا، تحقيق: د. سليمان دنيا، المعارف، القاهرة، ١٩٥٧ ـ ١٩٦٠م، ٤/ ٨٥٣.

(٥) الرسالة الصفدية ص١٦٠.

(٦) يعني: ابن سينا.

(٧) الرسالة الصفدية ص١٦٠.

(٨) سيأتي ذلك في المطلب التالي عند الكلام على مناقشته لآراء الفلاسفة في المعجزات.

الجهل، وعِصِيِّه، ونحو ذلك، كما يَغْلِبُ الرجل بحجته»[1].

ويقرر بعد ذلك أن: «هذا من تأويلات القرامطة التي يُعْلَم بالضرورة بطلانُها، وأنها مخالفة للمنقول المتواتر مخالفةً لما اتفق عليه المسلمون واليهود والنصارى من نقل المعجزات»[2].

○ **رابعاً: عرضه لأنواع الخوارق الثلاثة في العالم عند الفلاسفة: يقول** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الجملة فهؤلاء يدَّعون ما ذكره ابن سينا في (إشاراته) من أن خوارق العادات في العالم ثلاثة أنواع؛ لأنها إما أن تكون بأسباب **فلكية** كتمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المفعلة الأرضية، وهذا هو **الطِّلَّسمات**[3].

وإما أن تكون بأسباب **طبيعية سفلية** كخواصِّ الأجسام، وهي **النيرنجيات**[4].

وإما أن تكون بأسباب **نفسانية**، ويزعمون أن المعجزات للأنبياء، والكرامات

---

(١) الرسالة الصفدية ص١٦١. (٢) المرجع السابق ص١٦١.

(٣) **الطِّلَّسمات**: واحدها: الطّلسم، ويجمع ـ أيضاً ـ على: طلاسم، وهو لفظ يوناني، وهو في علم السحر خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية؛ لجلب محبوب أو دفع أذى. انظر: المعجم الوسيط، مادة: (طلسم)، ٢/ ٥٦٨.
وهي ـ كذلك ـ نقْشُ أسماءٍ خاصة في جسم من المعادن أو غيرها، ويزعم أصحابها أن لها تعلقاً بالأفلاك والكواكب، تحدُثُ بها خاصية ربطٍ في مجاري الأحداث، ولا تجري هذه الخاصية إلا مع نفس قابلةٍ لهذه الأعمال.
وهذا النوع من أعمال السحرة أمر ماديٌّ، يوهمون به أغلبَ من يأتي إليهم ممن يتعلق قلبه بتلك الدعاوى؛ فيضعف قلبه من جراء حالته، وذلك ـ في الحقيقة ـ نتيجة لضعف عقله وقلة تمييزه، لا لأنَّ لتلك الأعمال التي يعملها الساحر أثراً حقيقياً كأثر الأدوية بخواصِّها. انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، تحقيق: د. إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمٰن عميرة، ط١، ١٤٠٣هـ، مكتبة عكاظ، ٥/ ١٠١ ـ ١٠٢، ومجموع الفتاوى ٣٥/ ٧١، والسحر بين الحقيقة والخيال، د. أحمد بن ناصر الحمد، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، جائزة المدينة المنورة، ص٣١ ـ ٣٢.
وقال محمد محمد جعفر: «**الطِّلسم**: هو العمل الذي يقوم به الساحر بمساعدة الشيطان أو بناءً على أمره على الورق، أو القماش، أو المعدن، أو الخشب، أو الأحجار الكريمة، أو المعجون ـ كالشمع والطين ـ بشكل مخصوص في وقت مخصوص وبحجم وصورة معينة؛ لضرر نفر، أو أكثر في شخصه أو ما يملكه...». انظر: السحر لمحمد محمد جعفر، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٥٨م، ص٢١٥.

(٤) **النيرنجيات**، أو **النِّيرنجات**: واحدتها: نِيْرَنج، وتجمع على: نِيْرَنجات، ونيارج.
وهي أُخَذٌ كالسحر، وليست بحقيقة، ولا كالسحر، وإنما هو تشبيه وتلبيس. انظر: لسان العرب ٢/ ٣٧٦، والمعجم الوسيط ٢/ ٩٦٧.

التي للأولياء، وأنواعاً من السحر والكهانة من هذا الباب»[١].

إلى أن يقول ـ مبيِّناً الفَرْقَ عندهم بين النبي والساحر ـ: «ويقولون: الفرق بين النبي والساحر أن النبي نفسه زكية تأمر بالخير، والساحر نفسه خبيثة تأمر بالشر؛ فهٰهنا يفترقان عندهم فيما تأمر به كلٌّ منهما، لا في نفس الأسباب الخارقة»[٢].

وقال في «النبوات»: «وحذاق الفلاسفة الذين تكلموا في هذا الباب، مثل ابن سينا ـ وهو أفضل طائفتهم، وهو أجهل من تكلم في هذا الباب ـ فإنهم جعلوا ذلك كله من قوى النفس.

لكن الفرق أن النبي والصالح نفسه طاهرة يقصد الخير، والساحر نفسه خبيثة»[٣].

وقال في موضع آخر مبيِّناً رأي ابن سينا في مبادي الأمور الغريبة، وأسبابها في كلام قريب من الكلام السابق، قال: «وقد بيَّنَّا أن هؤلاء يقولون ما ذكره ابن سينا وأمثاله كما ختم (إشاراته)[٤] بأن قال: (والأمور الغريبة تنبعث في عالم الطبيعة من مبادئ ثلاثة: **أحدها**: الهيئة النفسية، **وثانيها**: خواص الأجسام العنصرية، مثل جذب المغناطيس للحديد بقوة تخصُّه، **وثالثها**: قوة سماوية بينها وبين أمزجة أجسام أرضية مخصوصة بهيئات وضعية، أو بينها وبين قوى نفوس أرضية مخصوصة بأحوال فلكية فعلية، أو انفعالية تستتبع حدوث آثار غريبة)»[٥].

إلى أن قال ابن تيمية: «قال[٦]: (والسحر من قبيل القسم الأول؛ بل والمعجزات، والكرامات، والنيرنجيات من قبيل القسم الثاني، والطِّلَّسمات من قبيل القسم الثالث)[٧]»[٨].

قال ابن تيمية معلقاً على هذا الكلام: «فزعم أن أسباب خوارق العادات في هذا العالم هي هذه الأسباب الثلاثة: إما القوى النفسانية، وإما القوى الجسمانية العنصرية، وإما القوى الفلكية مع الجسمانية أو النفسانية»[٩].

---

(١) الرسالة الصفدية ص١٦٥.
(٢) المرجع السابق ص١٦٥.
(٣) النبوات ١/١٣٧ ـ ١٣٨، وانظر: ٢/١٠٤٣، والجواب الصحيح ٢/٣٢٨ ـ ٣٢٩، و٥/٢٥ ـ ٢٦، ومجموع الفتاوى ١٩/١٥٨ ـ ١٥٩.
(٤) انظر: الإشارات والتنبيهات ٤/٩٠٠ ـ ٩٠١.
(٥) الرسالة الصفدية ص١٨٣.
(٦) القائل: ابن سينا.
(٧) انظر: الإشارات والتنبيهات ٤/٩٠٠.
(٨) الرسالة الصفدية ص١٨٣ ـ ١٨٤.
(٩) المرجع السابق ص١٨٤.

وقال في «الجواب الصحيح» في معرض كلام له عن العلوم الإلٰهية، والمعارف الربانية، وأحوال الأمم في شأنها، ومنهم الفلاسفة، وأنهم يرون أن المقصود بذلك تهذيب أخلاق النفوس وتعديلها؛ لتستعد بذلك للعلم، وليس هي مقصودةً في نفسها، **قال:** «وهذا القدر فعله ابن سينا وأمثاله ممن رام الجمع بين الأنبياء، وبين فلسفة المشَّائين ـ أرسطو وأمثاله ـ»(١).

ثم تطرق لكلامهم عن الخوارق، فقال: «ولهذا تكلموا في الآيات وخوارق العادات، وجعلوا لها ثلاثة أسباب: القوى الفلكية، والقوى النفسانية، والطبيعية؛ إذْ كانت هذه هي المؤثرات في هذ العالم عندهم»(٢).

إلى ان قال: «وجعلوا ما للأنبياء وغير الأنبياء من المعجزات، والكرامات، وما للسحرة من العجائب ـ هو من قوى النفس.

لكن الفرق بينهما أن ذلك قصده الخير، وهذا قصده الشر»(٣).

ثم يعلق ابن تيمية على ذلك بقوله: «وهذا المذهب من أفسد مذاهب العقلاء، كما قد بسط الكلام عليه في موضع آخر؛ فإنه مبني على إنكار الملائكة، وإنكار الجن، وعلى أن الله لا يعلم الجزئيات، ولا يخلق بمشيئته وقدرته، ولا يقدر على تغيير العالم»(٤).

ثم يقرر بعد ذلك «أن هؤلاء لا يُقِرُّون من المعجزات إلا بما جرى على هذا الأصل(٥)، وأمْكن أن يقال فيه هذا»(٦).

ثم يضرب أمثلة من المعجزات التي يقرونها، والمعجزات التي لا يقرونها، فيقول: «مثل نزول المطر، وتسخير السباع، وإمراض الغير، وقتله، ونحو ذلك(٧).

وأما قلب العصا حية، وإحياء الموتى، وإخراج الناقة من الهضبة، وانشقاق القمر وأمثال ذلك ـ فلا يقرون به»(٨).

ثم يختم كلامه ببيان بطلان ذلك الزعم، فيقول: «وقد عُلِم بطرق متعددة ما يكون من الخوارق بسبب أفعال الجن، وبسبب أفعال الملائكة.

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٢٤.
(٢) المرجع السابق ٦/ ٢٤.
(٣) المرجع السابق ٦/ ٢٤.
(٤) المرجع السابق ٦/ ٢٤.
(٥) يعني: ما كان سببه قوى النفس.
(٦) الجواب الصحيح ٦/ ٢٤ ـ ٢٥، وانظر: جامع المسائل ١/ ٩٧.
(٧) فهذه المعجزات مما يقرونها.
(٨) الجواب الصحيح ٦/ ٢٥.

وأحوالُ الجن معلومة عند عامة الأمم مسلمهم وكافرهم، لا يجحد ذلك إلا من هو أجهل الناس، وكذلك من فسَّرها بقوى النفس»[١].

○ **خامساً: عرضه للأسباب النفسانية التي تُمَكِّن الإنسان من فعل الخوارق عند الفلاسفة**: حيث بيَّن ذلك في معرض الكلام على أسباب خرق العادات عند ابن سينا، فذكر تلك الأسباب ملخصةً من كلام ابن سينا[٢].

والأسباب التي ذكرها هي ما يلي:

١ ـ **سبب التمكن من ترك الغذاء مدة**: وهو أن النفس تشتغل بما يَعْرِض لها من معرفة، أو محبة، أو خوف، ونحو ذلك حتى لا تجوع؛ بسبب أن القوى الهاضمة مشتغلة عن تحليل الغذاء.

٢ ـ **سبب التمكن من الأفعال الشاقة**: ويعني بذلك: قوة البدن، مثل أن يُطيق العارفُ فِعلاً، أو حركةً تخرج عن وِسعِ مثله.

وهذا كما أن النفس إذا حصل لها غضب، وفرح، أو انتشاءٍ ما؛ بسكر معتدل وأمثاله ـ حصل لها قوة لم تكن من قبل ذلك.

وكذلك إذ حصل لها من أحوال العارفين ما يقويها.

٣ ـ **سبب التمكن من الإخبار عن الغيوب**: ومضمونه أنه قد يعلم الغيب في اليقظة كما يعلمه في النوم[٣].

ويواصل ابن تيمية عرض هذه الأسباب، قائلاً: «وادَّعوا أن سبب ذلك أن العلم بالحوادث منتقش في العقل الفعال، أو النفس الفلكية؛ فإذا اتصلت النفس الناطقة بذلك علمت ذلك.

ثم تارة يصوره الخيال في المثال، وتارة لا يصوره.

والسببُ الموجِبُ لاتصال النفس ضَعْفُ تعلقها بالبدن، والضعفُ تارة يكون لجنون، أو مرض كما يصيب أهل المِرَّة السوداء[٤]، وتارة يكون لفرط الجوع أو التعب، وتارة يكون لرياضة النفس»[٥].

إلى ان يقول موضحاً رأي ابن سينا: «وهذه الأقسام الثلاثة: الصبر على الأكل

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٢٥. (٢) انظر: الإشارات والتنبيهات ٤/ ٨٥٣.
(٣) انظر: الرسالة الصفدية ص١٩٢ ـ ١٩٣، ومجموع الفتاوى ٢٧/ ٢٨٢.
(٤) يعني: أهل المزاج السوداوي. انظر: تاج العروس ٧/ ٤٧٦، والمعجم الوسيط ٢/ ٨٩٧.
(٥) الرسالة الصفدية ص١٩٣.

مدة، وقوة البدن، والإنذار بالمنامات وما يجري مجراها ـ أمر يحصل للمسلم، والكافر، والبر، والفاجر؛ فيكون سبب الخوارق تصرفها في العناصر؛ فإن النفس كما أثرت في بدن نفسها بالتحريك، والتحويل من حال إلى حال جاز أن تؤثر في عنصر العالم، ويكون كالبدن لها؛ فتؤثر الزلزلة، وإنزال المطر، ونحو ذلك»[١].

ثم يبيِّن ابن تيمية كيف يفرق ابن سينا بين أصناف من تقع لهم هذه الأحوال؛ فيقول: «قال[٢]: (والذي يقع له هذا في جِبِلَّة النفس، ويكون رشيداً مزكياً لنفسه فهو ذو معجزة من الأنبياء، وكرامة من الأولياء.

والذي يقع له هذا، ويكون شريراً، ويستعمله في الشر ـ فهو الساحر الخبيث)[٣].

قال[٤]: (والإصابة بالعين تكاد أن تكون من هذا القبيل).

قال: (وإنما يستبعد هذا من يفرض أن يكون المؤثر في الأجسام ملاقياً، أو مرسلَ جزءٍ، أو منفذَ كيفيةٍ بواسطة.

ومن تأمل ما وصفناه استسقط هذا الشرط عن درجة الاعتبار)[٥].

فهذا ملخص كلامهم في هذا الباب»[٦].

ثم يعلق ابن تيمية على ذلك، فيقول: «ومعلوم أن جميع ما ذكروه هو أمر معتاد كثير، ليس من خوارق العادات، ولا من جنس المعجزات.

ولهذا قال ابن سينا بعد ذِكْرِ ذلك، وذكر ما تقدم حكايته من أنه: (من لم يصدق بالجملة هان عليه التفصيل)[٧].

ثم قال[٨]: (ولعلك قد بلغك عن بعض العارفين أخبارٌ تكاد تأتي بتقلب العادة، فتتبادر إلى التكذيب؛ وذلك مثل أن يقال: إن نبيّاً ربما استسقى الناس؛ فسقوا، أو استشفى؛ فشفوا، أو دعا عليهم؛ فخُسِف بهم وزلزلوا، أو هلكوا بوجه آخر، ودعا لهم؛ فصُرف عنهم الوباء والموتان أو السيل أو الطوفان، أو خشع لبعضهم سَبُع، أو لم ينفر منه طير، أو مثل ذلك مما لا يأخذ في طريق الممتنع الصريح؛ فتوقف، ولا تعجل؛ فإن لأمثال هذه أسباباً من أسرار الطبيعة، وربما تأتّى لي أن أقُصَّ بعضها

---

(١) الرسالة الصفدية ص١٩٣.
(٢) القائل: ابن سينا.
(٣) انظر: الإشارات ٤/٨٩٨ ـ ٨٩٩.
(٤) يعني: ابن سينا.
(٥) انظر: الإشارات ٤/٨٩٩.
(٦) الرسالة الصفدية ص١٩٤.
(٧) انظر: الإشارات ٤/٨٩٨ ـ ٨٩٩.
(٨) القائل: ابن سينا.

عليك)[١].

ثم ذكر أن ذلك قد يكون سببه من قوة النفس؛ فإنها إذا كانت تتصرف في بدنها جاز أن تتصرف في غيره»[٢].

ثم يعلق ابن تيمية على هذا بكلام يبيِّن من خلاله ما في هذا القول من الخلط، والباطل[٣].

وليس هذا مقام ذكر رده عليهم، ومناقشتهم، وإنما المقصود هٰهنا بيان عرضه لأقوال الفلاسفة في باب المعجزات.

فهذا هو أهم ما عرضه ابن تيمية من آراء الفلاسفة حول المعجزات.

وما عدا ذلك فهو راجع إليه، ومتعلق به.

وهذه الآراء كانت للفلاسفة المنتسبين للإسلام؛ لأن الفلاسفة الأوائل ـ كما يقرر ابن تيمية ـ ليس لهم عناية بالنبوات ولا المعجزات.

وهناك مسائل فرعية أخرى تتعلق بمعجزات بأعيانها؛ كقولهم في معجزة ناقة صالح، وعصا موسى عليه السلام[٤].

وقولهم في معجزة انشقاق القمر[٥]، ومعجزة الإسراء والمعراج[٦] لنبيّنا محمد ﷺ.

وسيأتي مزيد إيضاح لذلك في المطلب التالي عند الكلام على مناقشته لهم في قولهم في المعجزات.



(١) انظر: الإشارات ٤/ ٨٩٢.

(٢) الرسالة الصفدية ص١٩٤ ـ ١٩٥.

(٣) انظر: الرسالة الصفدية ص١٩٥ ـ ١٩٦، وسيأتي تفصيل ذلك في المطلب التالي.

(٤) انظر: الصفدية ص١٦٠ ـ ١٦١.

(٥) انظر: المرجع السابق ص١٦١ ـ ١٦٣.

(٦) انظر: الجواب الصحيح ٦/ ١٧٧ ـ ١٨٠.

المطلب الثاني

مناقشته لقول الفلاسفة في المعجزات

اشتمل المطلب الماضي على عرض ابن تيمية لأقوال الفلاسفة، وآرائهم في باب المعجزات.

والكلام في هذا المطلب سيدور حول مناقشته لهم في ذلك؛ فلقد أولى مناقشة الفلاسفة في باب المعجزات عناية بالغة، وتناول ذلك الموضوع في مواطن شتى من كتبه؛ إذ قلَّ أن يخلو كتاب من كتبه من الإشارة إليه عَرَضاً، أو تفنيداً، أو إشارة إلى جزئية من جزئياته، أو نحو ذلك[(١)].

بل إن كتاب «الرسالة الصفدية» قد صنعه لذلك الغرض؛ إذ هو ـ في الأصل ـ سؤال وَرَدَ عليه في هذا الشأن ـ حيث «سئل عن رجل مسلم يقول: إن معجزات الأنبياء ـ صلى الله عليهم ـ قوىً نفسانية؛ أفتونا مأجورين»[(٢)].

وقد أجمع عدد من العلماء أن موضوع الكتاب يدور حول هذا السؤال[(٣)].

وما أورده في «الصفدية» في هذا الشأن هو أجمع ما تناول فيه موضوع المعجزات عند الفلاسفة.

وقد أجاب عنه إجابة مجملة، ثم شرع في تفصيل الجواب، وتفنيد شُبَهِ الفلاسفة واحدةً واحدةً.

وعلى كل حال فالكتاب يقع في ٦١٨ صفحة، ويمكن تقسيمه إلى قسمين رئيسين:

---

(١) انظر: الجواب الصحيح ٢/٣٢٨، و٥/٢٤، و٦/١٧٧ ـ ١٨٠، ومجموع الفتاوى ٢/٨٥، و١٩/١٨٥، و٢٧/٥٨٢، وجامع المسائل ١/٩٥ ـ ٩٦، والرد على المنطقيين ص١٨٣ و٣٩١ و٤٤٢، ودرء تعارض العقل والنقل ١/٩ ـ ١٠ و٦٢ ـ ٦٣.

(٢) الرسالة الصفدية ص٤٥.

(٣) أشار إلى ذلك ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٤٠٢ ـ ٤٠٤، وابن عبد الهادي في العقود الدرية ص٣٧، وزاد: «وفي قدم العالم»، والصفدي في الوافي بالوفيات ٧/٢٥، وابن شاكر في فوات الوفيات ١/٧٠.

الأول: الرد على السائل، ويقع في ثلث الكتاب تقريباً؛ أي: إلى نهاية ص٢٣٩.

الثاني: استطرادات مختلفة في الكلام على الفلاسفة، والرد على آرائهم، ومذاهبهم، ويقع في ثلثي الكتاب الأخيرين[١].

وفيما يلي عرض لمناقشته للفلاسفة في قولهم في المعجزات، وسيكون ذلك على نحو إجمالي، ثم على نحو تفصيلي، كما في المسألتين التاليتين:

المسألة الأولى: مناقشته الإجمالية لقولهم في المعجزات

أما مناقشته الإجمالية لقول الفلاسفة في المعجزات فمبثوثة في غضون كثير من كتبه، فقد بيَّن ـ من حيث الجملة ـ فساد قولهم في المعجزات، وما يشتمل عليه من الجهل، وما يترتب عليه من الضلال المبين.

وقد يَرُدُّ عليهم في إنكار معجزة من المعجزات، أو مسألة من المسائل في هذا الباب، وفيما يلي بيان لذلك.

○ **أولاً: بيانه لِحُكْم من أنكر المعجزات، وخوارق العادات عموماً: يقول** رحمه الله في بداية جوابه في «الصفَدية» عن السؤال الذي ورده بشأن معجزات الأنبياء مبيِّناً ضلال الفلاسفة في المعجزات: «الحمد لله ربِّ العالمين.

هذا الكلام ـ وهو قول القائل: إن معجزات الأنبياء ـ صلى الله عليهم وسلم ـ قوىً نفسانية ـ باطل؛ بل هو كفر، يستتاب قائله، ويبيّن له الحق.

وإذا أَصَرَّ على اعتقاده بعد قيام الحجة الشرعية عليه كفر، وإذا أصر على إظهاره بعد الاستتابة قتل»[٢].

وقال في جامع المسائل: «والمقصود: أن من أنكر خوارق العادات مطلقاً للأنبياء وغيرهم ـ فهذا كافر باتفاق أهل الملل، وكذلك من جعل ذلك من قوى النفس ـ كما يقول ابن سينا وأمثاله من المتفلسفة ـ فهؤلاء ملحدون باتفاق أهل الملل، وقد بسط الكلام على هؤلاء في مجلد كبير يسمى **الصفدية**»[٣].

○ **ثانياً: مناقشته المجملة لهم في إنكارهم المعجزات التي لا يمكن أن تحصل بقوى النفس: يقول** رحمه الله **في «الصفدية»**: «ولهذا كان ما يذكرونه من التأثير مقيداً

(١) انظر: مقدمة المحققين لكتاب الصفدية ص١٩ ـ ٢٣.
(٢) الرسالة الصفدية ص٤٧.
(٣) جامع المسائل ٩٧/١.

عندهم بجريانه على القانون الطبيعي المعتاد؛ فعندهم لا يتصور أن يفعل المؤثر في المواد إلا ما هي قابلة له؛ فقد يقولون: إن الهواء لمّا كان قابلاً؛ لأن ينقلب ماءاً أمكن أن يؤثر المؤثر فيه حتى يصير الهواء ماءاً فينزل المطر»[١].

ثم قال مبيّناً أن معجزات الأنبياء خارجة عن المعتاد: «ومعلوم أن معجزات الأنبياء خارجة على القوانين الطبيعية»[٢].

ثم يضرب لذلك مثالاً بمعجزة عصا موسى ﷺ **فيقول:** «الحبال والعصي؛ فإن هذا خارج عن قوى النفس والطبيعة؛ لأن الخشب لا يقبل أن يصير حيواناً أصلاً، ولا يمكن في القوى الطبيعية أن عصاً تصير حيةً لا بِقُوى نفسٍ، ولا بسحر، ولا غير ذلك.

بل الساحر غايتُه أن يتصرف في الأعراض بفعلٍ ما يَحْدُثُ عنه الأمراض[٣]، والقتل، ونحو ذلك مما يقدر عليه سائر الآدميين؛ فإن الإنسان يمكن أن يضرب غيره، حتى يمرضه، أو يقتله»[٤].

إلى أن يقول: «فالساحر، والعائن، وغيرهما ممن يتصَرَّف بقوى الأنفس يفعل في المنفصل ما يفعله القادر في المتصل؛ فهذا من أفعال العباد المعروفة المقدورة.

أما قلب الأعيان إلى ما ليس في طبعها الانقلابُ إليه ـ كمصير الخشب حيواناً حساساً متحركاً بالإرادة يبلع عِصِيّاً، وحبالاً، ولا يتغير ـ فليس هذا من جنس مقدور البشر لا معتاداً، ولا نادراً، ولا يحصل بقوى نفسٍ أصلاً»[٥].

ثم يعلل لذلك بما يزيد الأمر إيضاحاً، فيقول: «ولهذا لما رأى سحرة فرعون ذلك علموا أنه خارج عن طريقة السحر: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء]»[٦].

ثم يضرب أمثلة أخرى كإخراج صالحٍ الناقةَ من هضبة من الهضاب، وأن ذلك أمر خارج عن قوى النفس وغيرها.

وكذلك وقوف الشمس ليوشع بن نون، وانشقاق القمر لنبيّنا محمد ﷺ فكل ذلك من المعجزات الثابتة.

---

(١) الرسالة الصفدية ص١٦٠.
(٢) المرجع السابق ص١٦٠.
(٣) هكذا في الأصل: (الأمراض)، ولعل الصواب: (الإمراض).
(٤) الرسالة الصفدية ص١٦٠.
(٥) المرجع السابق ص١٦٠ ـ ١٦١.
(٦) المرجع السابق ص١٦١.

ولكن المتفلسفة ـ كما يقرر ابن تيمية ـ يمنعون ذلك، ويكذِّبون بهذه المعجزات، وربما جعلوها أمثالاً؛ بحجة أن ذلك لا يمكن لا بقوى نفسٍ، ولا غير ذلك؛ لأن الفلك دائم الحركة ـ كما يزعمون ـ[1].

ويعقب ابن تيمية على ذلك بقوله: «ومعلوم أن هذه المعجزات لا ريب فيها، وانشقاق القمر قد أخبر الله به في القرآن، وتواترت به الأحاديث كما في «الصحيحين»[2] وغيرهما عن ابن مسعود، وأنس وابن عباس وغيرهم.

و ـ أيضاً ـ فكون النبي ﷺ يقرأ بهذه السورة في الأعياد، والمجامع العامة؛ فيسمعها المؤمن، والمنافق، ومن في قلبه مرض»[3].

إلى ان يقول مؤكداً وقوع تلك المعجزات، مفنداً إنكار الفلاسفة لها: «ومن المعلوم أن ذلك لو لم يكن وقع لم يكن ذلك.

أما أولاً: فلأن من مقصوده[4] أن الناس يصدقونه، ويُقِرُّون بما جاء به ـ لا يخبرهم دائماً بشيء يعلمون كذبه فيه؛ فإن هذا يُنَفِّرهم، ويوجب تكذيبهم لا تصديقهم.

وأما ثانياً: فلأن المؤمنين كانوا يسألونه عن أدنى شبهة تقع في القرآن»[5].

ثم ذكر جملة من أسئلة الصحابة ومراجعاتهم للنبي ﷺ في شؤون شتى، وقال بعد ذلك: «وأمثال ذلك كثيرة؛ فكيف يقرأ عليهم دائماً ما فيه الخبرُ بانشقاق القمر، ولا يورد على ذلك مؤمن ولا كافر، ولا منافق؟»[6].

○ **ثالثاً: إبطاله قول الفلاسفة في المعجزات: حيث يقول** رحمه الله **مبيّناً ذلك بصورة إجمالية:** «والمقصود هنا: أن أقوال هؤلاء ليست مطابقة لما دلّ عليه العقل الصريح؛ فلا هي موافقة للمنقول الصحيح، ولا المعقول الصريح.

ولكنهم يسفسطون في العقليات[7]، ....

(١) انظر: الرسالة الصفدية ص١٦١.
(٢) انظر: البخاري (٤٨٦٤)، و(٤٨٦٦)، و(٤٨٦٧)، ومسلم (٢٤٠٠)، و(٢٨٠٢)، و(٢٨٠٣).
(٣) الرسالة الصفدية ص١٦١ ـ ١٦٢.
(٤) يعني: النبي ﷺ.
(٥) الرسالة الصفدية ص١٦٣.
(٦) المرجع السابق ص١٦٣.
(٧) قوله: «يسفسطون»: من السفسطة: وهي لفظ مُعَرَّب مركب في اليونانية من كلمتين: (سوفيا) وهي الحكمة، و(اسطس) وهو المموه؛ فمعنى السفسطة: حكمة مموهة، ويراد بالسفسطة: التمويه والخداع، والمغالطة في الكلام.
والغرض من ذلك: تغليط الخصم، وإسكاته.
والسوفسطائية طائفة من الفلاسفة تقوم على إنكار الحقائق، والقياسات الوهمية. ومؤرخو =

ويقرمطون في السمعيات[1]»[2].

= الفلسفة اليونانية يكتبون عن السوفسطائيين، وهم أناس عرفوا بهذه المهنة التي ازدهرت في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد. انظر: التعريفات للجرجاني ص١٢٤، وإحصاء العلوم للفارابي، قدَّم له وشرحه وبوَّبه: علي بو ملحم، دار مكتبة الهلال، ط١، ١٩٩٦م، ص٣٨ ـ ٣٩، وتاريخ الفلسفة ليوسف كرم ص٤٥.

ومقصود شيخ الإسلام بقوله: «**يسفسطون في العقليات**»: أنه أراد أن يبين بطلان مقالة أولئك، وأنهم يموهون ويغالطون في الأمور العقلية الواضحة الثابتة؛ فكل من أنكر حقّاً واضحاً، وموَّه فيه بالباطل فهو مسفسط.

(١) قوله: «**يقرمطون في السمعيات**»: قوله: «**يقرمطون**»: جاء في لسان العرب: «القرمطة في الخط دقة الكتابة، وتداني الحروف، وفي المشي مقاربة الخطو، وتداني المشي». لسان العرب ٧/ ٣٧٧.

هذا معناه في اللغة.

وأما في الاصطلاح: فهو نسبة إلى القرامطة الباطنية.

وسموا بذلك لأسباب:

الأول: أن داعيةً لهم من ناحية خوزستان قَدِم سواد الكوفة، ونزل على رجل يقال له: كَرْمِيته، لُقِّبَ بهذا؛ لحمرة عينيه؛ فسمي الداعية باسم الذي كان نازلاً عليه، ثم خفف فقيل: قرمط.

الثاني: أنه نسبة إلى حمدان قرمط، الذي قيل: إنه لقب بذلك؛ لقرمطة في خطه، أو خطوه. انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م، ص٩٤.

الثالث: نسبة إلى رئيس لهم من سواد العراق من الأنباط يلقب بقرمطوية؛ فنسبوا إليه.

الرابع: أن قرمطاً كان غلاماً لإسماعيل بن جعفر.

وقيل غير ذلك. انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي، دراسة وتحقيق: د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ص١٢٦ ـ ١٢٧، والقرامطة لابن الجوزي، تحقيق: محمد الصباغ، منشورات الكتاب الإسلامي، ط١، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، ص٣٨ ـ ٤٧، وانظر: مآثر الأنافة في معالم الخلافة للقلشندي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٦٤م، وأعيد طبعه في الأوفست ١٩٨٠م، ١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

والقرامطة: باطنية يدَّعون أن لنصوص الشرع باطناً يخالف ظاهرها، ثم يفسرونها بما لا يوافق شرعاً، ولا لغةً، ولا عقلاً. انظر: الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي، حقَّقه وعلَّق عليه: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ص٢٩٤، وانظر: القرامطة لابن الجوزي ص٥١ ـ ٧٢.

ومعنى قوله: «**السمعيات**»: أي: النقليات، وهي الأدلة الشرعية من الكتاب والسُّنَّة.

ومراد شيخ الإسلام بقوله: «**يقرمطون في السمعيات**»: أي: أن هؤلاء يؤولون النصوص تأويلاً يخرجها عن معانيها الصحيحة المرادة؛ فمن تأولها على غير وجهها الصحيح ففيه شبه بالقرامطة من هذه الجهة.

(٢) الرسالة الصفدية ص١٧٩، وانظر: النبوات ١/ ٢٩٦.

إلى ان يقول: «وأما السلف، والأئمة، وأكابر أهل الحديث والسُّنَّة والجماعة ـ فهم أولى الطوائف بموافقة المعقول الصريح، والمنقول الصحيح.

والكلام في مثل هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضع.

وإنما ذكرنا ذلك هنا؛ لأن المعجزات من جملة الحوادث؛ ففي حدوثها للطوائف من الكلام ما نبهنا عليه.

والمقصود هنا: بيان بطلان قول من يقول: **إن أسبابها نفسانية**»[1].

○ **رابعاً: مناقشته المجملة لهم في معجزتي الإسراء والمعراج وانشقاق القمر:**

فقد أوضح في **«الجواب الصحيح»** في معرض كلام له عن معجزة الإسراء والمعراج أن من أنكر صعود بدن إلى السماء من المتفلسفة فعمدته شيئان.

ثم ذكر أحدهما، وهو قولهم: **أن الجسم الثقيل لا يصعد**[2].

ثم قال بعد ذلك: «وهذا في غاية الضعف؛ فإن صعود الأجسام الثقيلة إلى الهواء مما تواترت به الأخبار في أمور متعددة، مثل عرش بلقيس الذي حُمِل من اليمن إلى الشام في لحظة»[3].

إلى أن قال: «ومثل حمل الريح لسليمان ﷺ وعسكره لما كان يحمل البساط في الهواء، وهو جالس عليه بأصحابه.

ومثل حمل قرى قوم لوط، ثم إلقائها في الهواء»[4].

ثم ينتقل إلى إنكارهم معجزة أخرى، وهي انشقاق القمر **فيقول:** «وبهذا يظهر جوابهم عن إنكارهم انشقاق القمر؛ **فإن عمدتهم فيه أن الفلك لا يقبل الانشقاق**»[5].

ثم يفند هذا الكلام بقوله: «وقد عرف فسد[6] ذلك عقلاً وسمعاً، وتواتراً عن الأنبياء أنهم أخبروا بانشقاق السمٰوات.

وإيضاح الرد على هؤلاء أن ما يثبتونه من أن الحركة لا بد لها من جهة ومحدد يحدد الجهات ـ إنما يدلّ على الافتقار إلى جنس الـمُحَدَّد، لا يدلّ على الاحتجاج إلى محدد معين؛ فإذا قُدِّر أنه خُلِق وراء المحدد مُحَدَّداً آخر، وخرق الأول حصل به

---

(١) الرسالة الصفدية ص١٨٠.
(٢) انظر: الجواب الصحيح ٦/ ١٧٨.
(٣) المرجع السابق ٦/ ١٧٨ ـ ١٧٩.
(٤) المرجع السابق، وانظر: ١٨٠ ـ ١٨١.
(٥) المرجع السابق ٦/ ١٧٩ ـ ١٨٠.
(٦) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: (فساد).

المقصود»[(١)].

إلى أن يقول مبيِّناً فساد استدلالهم: «وهكذا عامة أدلتهم؛ إنما تدلّ على شيء مطلق، لكن يُعَيِّنون بلا حجة؛ فيغلطون في التعيين»[(٢)].

فهذه مسائل متفرقة يمر بها ابن تيمية عَرَضاً، ويناقش من خلالها قول الفلاسفة في المعجزات على نحو إجمالي.

أما رده التفصيلي على قولهم في المعجزات ففي المسألة التالية ـ بإذن الله ـ.

المسألة الثانية: مناقشته التفصيلية لقولهم في المعجزات

فكما أن ابن تيمية تعرض لمناقشة قول الفلاسفة في المعجزات ـ بإجمال ـ في مواطن عدة من كتبه ـ فإنه تطرق لمناقشتهم بصورة مفصلة، وذلك في كتابه «الرسالة الصفدية» الذي أَلَّفه **نقضاً** لقول الفلاسفة: **إن معجزات الأنبياء قوى نفسانية، وجواباً للسؤال الوارد في ذلك.**

وهذا الموضع من آثار ابن تيمية هو أجمع ردوده على الفلاسفة في هذا الشأن.

ولا تجد في سائر مؤلفاته مثل ذلك مجتمعاً في موضع واحد.

لذا؛ فإن مناقشته **التفصيلية** لقول الفلاسفة في المعجزات ستكون من خلال ما جاء في «الصفدية» مع الإشارة إلى ما يوافق في ذلك من بعض آثاره الأخرى.

ولقد جاء ذلك الرد **التفصيلي** بعد أن عرض ابن تيمية أقوال الفلاسفة بشيء من البسط، وعلَّق على بعضها تعليقاً يسيراً، ثم أرجأ الرد المفصل إلى ما بعد ذلك.

وبداية الرد من الصفحة الثانية والثمانين بعد المائة من الصفدية إلى الصفحة التاسعة والثلاثين بعد المائتين.

وقد اشتمل ذلك الرد على قوة الحجة، وكثرة الشواهد، وضرب الأمثلة، وحسن التوجيه للأدلة، ونحو ذلك مما تتجلى به عبقرية ابن تيمية في الرد والنقض.

قال رحمه الله **في بداية ذلك الرد**: «إذا تبين هذا[(٣)] فيقال: الكلام على هؤلاء من وجوه»[(٤)].

ثم شرع في ذكر عشرة وجوه فصَّل من خلالها الرد على الفلاسفة، وإن كان

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ١٨٠. (٢) المرجع السابق ٦/ ١٨٠.
(٣) يعني: قول الفلاسفة، وآراءهم في المعجزات.
(٤) الرسالة الصفدية ص١٨٢.

بعض تلك الوجوه أطول من بعض، من ناحية التفصيل، والاستطراد؛ **فإلى** بيان ذلك فيما يلي:

○ **الوجه الأول: تقريره أن قول الفلاسفة في المعجزات لم يكن عن علم، ولم يَسْتَنِدْ على دليل**: وتحت هذا الوجه بدأ **بقوله لهم**: «إن قولكم هذا بلا علم، وهو قول لا دليل على صحته.

وهذا يقال قبل الجزم ببطلان قولهم»[1].

ثم شرع في تأييد هذا الوجه، وسوق الشواهد والأدلة عليه.

ومما قاله في ذلك: «فإنهم ـ أولاً ـ يُطالَبون بالدليل الدَّال على صحة قولهم، وليس لهم على ذلك دليل أصلاً؛ بل عامة ما يعتمدون عليه التجويز الذهني.

والذي قرره ابن سينا وأمثاله ليس فيه ما يدلّ على أن هذا هو الواقع؛ بل غاية مطلوبهم تجويز ذلك وإمكانه، مع أن ذلك باطل»[2].

ثم يقرر بعد ذلك أن إثبات قوى النفس لا يوجب مثل هذه الآثار التي يزعمون، وأن المعجزات المعلومة عند أهل الملل الثلاث مما اتفق الناس على أن قوى النفوس لا تقتضيها.

ولا يمنع أن يكون لقوى النفوس نوعُ تأثيرٍ كما لقوى سائر الأعيان، وأن الأعيان وقواها متفاوته[3].

ثم يضرب لذلك مثالاً بقوة جبريل، وما امتاز به من القوة على أصحاب القوى المعروفة لما نشاهده في الحيوان.

ويتعرض بعد ذلك لنفيهم للجن والملائكة دون دليل، وإنما عمدتهم في حصرهم الفاسد هو النفي والتكذيب بلا علم أصلاً.

ثم يقرر بطلان هذا الإنكار بالأدلة العقلية والنقلية التي أثبت من خلالها وجود الجن، والملائكة، وأنها ليست **قوى نفسانية**.

ويقرر بعد ذلك أن هؤلاء الفلاسفة حصروا الوجود وأسبابه فيما علموه، ولا علم عندهم بانتفاء ما لم يعلموه، وأن غاية أحدهم أن ينفي الشيء؛ لانتفاء دليل معين[4].

---

(١) الرسالة الصفدية ص١٨٢.
(٢) المرجع السابق ص١٨٢.
(٣) انظر: المرجع السابق ص١٨٣.
(٤) انظر: المرجع السابق ص١٨٣ ـ ١٨٨، وانظر: الجواب الصحيح ٢/ ٣٢٨، و٦/ ٢٥.

ثم يبطل ذلك الزعم بقوله: «وهذا غاية الجهل، وهم جهال من **وجهين**: **أحدهما:** عدم العلم بكثير من أنواع الموجودات وأحوالها.

والثاني: عدم العلم بأسباب الحوادث»(١).

ثم شرع في تفصيل ذلك، وضرب الأمثلة عليه(٢).

وقال بعد ذلك: «ومما يبيِّن جهلهم في حصرهم، وأن ما ذكروه من أن أسباب المعجزات، والكرامات، والسحر هو قوى نفسانية ـ أنهم مخطؤون في فاعل السحر؛ فخطؤهم في فاعل المعجزات والكرامات أولى وأعظم»(٣).

ثم يعلل لهذا **بقوله:** «وذلك أن السحر ليس هو عن مجرد قوى النفس كما ذكره(٤) باتفاق أهل المعرفة بالسحر؛ بل السحرة مستعينون بأرواح مقارنة لهم.

وكتب السحر الموروثة عن الكُشدانيين(٥)، والهند، واليونانيين، والقبط وغيرهم من الأمم مملوءة بذكر ذلك»(٦).

إلى أن يقول: «وهؤلاء ـ يعني: السحرة ـ يعبدون الكواكب بأنواع العبادات والقرابين، وتتنزل عليهم الشياطين التي يسمونها روحانيات الكواكب، وهي أشخاص منفصلة عنهم، وإن لم يروها سمعوا كلامها، فتخبرهم، وتخاطبهم بأمور كثيرة، وتقضي لهم أنواعاً من الحوائج.

وهذا موجود اليوم كثيراً في بلاد الترك، والخطا(٧)، والعجم، والهند.

---

(١) الرسالة الصفدية ص١٨٨.

(٢) انظر: المرجع السابق ص١٨٨.

(٣) المرجع السابق ص١٨٨.

(٤) يعني: ابن سينا.

(٥) **الكُشدانيون:** طائفة من عبدة الكواكب، وقد أقام فيهم إبراهيم الخليل ﷺ حين أقام وأهله بحران، وهي أرض الكشدانيين في ذلك الزمان. انظر: تاج العروس ٥/ ٢٣٥.

(٦) انظر: الرسالة الصفدية ص١٨٨، ثم ذكر ابن تيمية بعض الكتب في ذلك مثل كتب طمطم الهندي، وتكلوشا البابلي، وكتب ثابت بن قرة، وأبي معشر البلخي، وغيرهم ممن صنف في هذا الباب.

(٧) **الخطا:** يطلق على بلاد متاخمة للصين، وهي تعرف باسم: تركستان، جاء في كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لأبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري ص٢٦٤، طبعة ليبنريج، ١٩٢٣م، ما يلي: «وأما التتار فلم يكن لهم ذكر على ألسنة الناس؛ لأنهم كانوا متاخمين للصين، وكان بينهم وبين بلادهم وبلاد المسلمين بلاد الخِطا، وهي التي تسمى تركستان، وكان الخطا قد استولوا على بلاد ما وراء النهر، وملكوها عدة سنين؛ فلما ملك علاء الدين محمد خوارزم شاه بلاد خرسان طمحت نفسه إلى ما وراء النهر؛ فقصدهم، وأخذها منهم، وجرى بينه وبينهم حروب استأصلهم فيها، وملك ما بأيديهم من البلاد، فلما =

بل وفي بلاد مصر، واليمن، والعراق، والشام وغير ذلك، وأعرف من هؤلاء عدداً»[١].

ثم يصل إلى نتيجة هذا التقرير بقوله: «فتبين أن الذي يجعل السحر إنما يكون عن مجرد **قوى نفسانية** ـ من أعظم الناس جهلاً، وضلالاً.

وقائل ذلك في المعجزات والكرامات أجهل منه، وأضل بكثير»[٢].

ثم يختم كلامه على الوجه الأول مؤكداً على ما ذكره في بدايته، فيقول: «لكن المقصود هنا أنهم ينفون الشيء بلا علم، والنافي عليه الدليل، كما على المثبت الدليل؛ فهم ليس معهم في كون هذا الآيات حادثة عن القوى النفسانية إلا مجرد التجويز والإمكان ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام]»[٣].

○ **الوجه الثاني: مناقشتهم في اعترافهم بأن كثيراً من الغرائب يمتنع أن تكون من آثار النفوس: يقول ابن تيمية** في هذا الوجه مخاطباً الفلاسفة ومن يقول بقولهم: «أن يقال: من هذه الآثار أمور كثيرة تعترفون أنتم بأنه يمتنع كونها من آثار النفوس كما تقدم التنبيه عليه؛ فبطل قولكم: إن الآثار المعلومة عند المسلمين، واليهود، والنصارى ـ من آثار النفوس»[٤].

ثم يبيِّن سبب ذلك بقوله: «فإن مجموع ما ذكروه ليس فيه ما يكاد يخرج عن قياس الأمور المعتادة إلا حوادث الأكوان كنزول المطر، وشفاء المريض، وزلزلة الأرض، والخسف وصرف السيل، والوباء، ورجوع السبع والطير»[٥].

ثم يوضِّح بعد ذلك أن هذه الأمور وإن كانت خارقةً للعادة فإن جنسها قد يحصل بأسباب معتادة، وإن كان ـ أيضاً ـ قد يحصل بأسباب غير معتادة.

بخلاف بعض الخوارق كانفلاق البحر اثني عشر فرقاً، وانقلاب العصا حية، ونبع الماء بين الأصابع، ونحوها؛ فإن جنسها لا يصدر عن سبب معتاد ـ كما يقرر ـ.

وإنما هي في جنسها خارقة للعادة بخلاف ما يكون خارقاً للعادة في قَدْره لا في جنسه.

= خلت تركستان من الخطا نزلها التتار، وكانوا أعداءاً لهم». انظر: كتاب الصفدية لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١/ ١٧٣.

(١) الرسالة الصفدية ص١٨٩ ـ ١٩٠.
(٢) المرجع السابق ص١٩٠.
(٣) المرجع السابق ص١٩٦.
(٤) المرجع السابق ص١٩٦.
(٥) المرجع السابق ص١٩٦ ـ ١٩٧.

ثم يقرر أن الفلاسفة ومن نحا نحوهم في هذا يمنعون حصوله في العالم لا بقوى نَفْسٍ ولا بغيرها.

ثم ينقض قولهم بأن العلم بحصول مثل ذلك ـ إما بالمعاينة وإما بالأخبار الصادقة ـ يُبَيِّن فساد أصلهم[١].

ويزيد الأمر وضوحاً، فيقول: «وهذا مما ينبغي للعاقل أن يتدبره؛ فإن القدر الذي بينوا سببه من الغرائب ليس من جنس خوارق العادات؛ بل هو من جنس الأمور المعتادة.

وعلى هذا يكونون منكرين لجنس الخوارق.

وهذا هو أصلهم الذي يُعلم فساده بدلائل كثيرة»[٢].

ثم يبيِّن أن ابن سينا ـ على طريقته في محاولة الجمع بين الفلسفة والشريعة ـ أراد أن يجمع بين أصول الفلاسفة الفاسدة، وبين التصديق بنوع من الغرائب، وأن يجعل الكرامات والمعجزات من هذا النمط.

ثم يقرر ابن تيمية أن السحر هو من الأمور المعتادة كالأمور التي يحصل بها المرض والموت، ومنه أمور تخالف العادة والطبيعة، ولكن هو مما اعتيد أن يحصل بالشياطين لكن مقروناً بما يدلُّ على كذبه وفجوره؛ فلا يشبه كرامات الصالحين، فضلاً عن المعجزات[٣].

ثم يختتم كلامه في هذا الوجه **بقوله:** «والمقصود هنا: بيان فساد قول من جعل المعجزات **قوى نفسانية**»[٤].

○ **الوجه الثالث: تقريره أن معجزات الأنبياء بجميع أنواعها خارجة عن طور البشر:** حيث قرر أن الخوارق تنقسم ـ باعتبار ـ إلى ما هو من جنس الغَناء، أو العلم، أو القدرة.

وأن ما كان مختصّاً بالأنبياء فهو مما ليس في طوق البشر.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الوجه الثالث**: أن يقال: الخوارق **ثلاثة أنواع**: **منها** ما هو من جنس الغَناء، **ومنها** ما هو من جنس العلم الخارج عن قوى البشر، **ومنها** ما هو من جنس المقدورات الخارجة عن قدرة البشر»[٥].

---

(١) انظر: الرسالة الصفدية ص١٩٦ ـ ١٩٧.
(٢) المرجع السابق ص١٩٧.
(٣) انظر: المرجع السابق ص١٩٧ ـ ١٩٨.
(٤) المرجع السابق ص١٩٨.
(٥) المرجع السابق ص١٩٨.

ثم ضرب مثالاً من قصة نوح، ومحمد ﷺ **فقال**: «ولهذا قال نوح ﷺ وهو أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١].

وقال ـ تعالى ـ لخاتم الرسل: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]»[١].

ثم علق على ذلك بقوله: «**فالغَنَاء** من جنس الاستغناء عن الأكل والشرب مدة، **والعلم** من جنس الإخبار عن الغيوب، **والقدرة** من جنس الأفعال الشاقة ببدنه، والتصرفِ في العناصر بالاستحالة[٢] ونحو ذلك»[٣].

ثم يقول: «فهم[٤] إنما ذكروا سَببَ مثل هذا[٥].

أما سبب انقلاب العصا حية، وخروج الناقة من الأرض، وأمثال ذلك ـ فهم معترفون بأنه غير ممكن، ولا يمكنهم إحالة سببه على قوى النفس»[٦].

○ **الوجه الرابع: تقريره أن تأثير قوى النفس مهما كان لا يمكن أن يبلغ مبلغ معجزات الأنبياء**: فلقد أوضح في هذا الوجه أن النوع الذي يقول الفلاسفة: إن لقوى النفس تأثيراً فيه ـ لا يَدَّعون أن ذلك التأثير يبلغ إلى أن ينزل ماء الطوفان الذي غرَّق أهل الأرض، ولا أن يرسل الريح العقيم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً التي أهلكت عاداً، ولا أن تقتلع قرى قوم لوط، وتقلبها حتى هلك كل من فيها، وأُتْبعوا بحجارة تتبع الشارِد منهم، ولا ترسل طيراً أبابيل بحجارة من سجيل تنزل على أصحاب الفيل واحداً واحداً مع كل طير ثلاثة أحجار صغار: حجر في منقاره، وحجران في رجليه حتى هلك أصحاب الفيل[٧].

وهكذا يواصل تفنيد حجج الفلاسفة بمزيد ضرب أمثلة؛ فيقرر أن ليس في قوى النفس أنها تنزل صبيحة كل يوم بالمن والسلوى الذي يكفي عسكر موسى، وتظلهم[٨] بالغمام حيث ساروا، وتطيل الثبات معهم كلما طالوا، وتفجر الماء كل يوم من الحجر اثنتي عشرة عيناً لكل سبط عين، ولا يفرق البحر اثني عشر فرقاً كل فرقٍ

---

(١) الرسالة الصفدية ص١٩٨.
(٢) يقصد بـ: **الاستحالة**: التحول.
(٣) يعني: بأنه ناتج عن قوى النفس.
(٤) يعني: الفلاسفة.
(٥) يعني: مما هو ناتج عن قوى النفس.
(٦) الرسالة الصفدية ص١٩٨.
(٧) انظر: المرجع السابق ص١٩٨ ـ ١٩٩، وانظر: شرح الأصبهانية ص٥٦١ ـ ٥٦٩.
(٨) الضمير في قوله: (تظلهم) يعود إلى قوى النفس.

كالطود العظيم حتى إذا خرج منه عسكر موسى ودخله عسكر فرعون انطبق عليه؛ فأغرقهم كلَّهم[١].

ثم ينتقل إلى نوع آخر من الخوارق، وهي الخارجة عن قوى النفس، فيذكر أمثلة عليها كإحياء الموتى من الآدميين والبهائم، وأن الله ذكر ذلك في غير موضع من كتابه؛ حيث ذكر ذلك ـ سبحانه ـ في البقرة في خمسة مواضع، وذكر إحياء المسيح للموتى، وقصة أصحاب الكهف، وأنه مكّنهم ثلاثمائة سنة شمسية، وهي ثلاثمائة وتسع سنين قمرية نياماً لا يأكلون ولا يشربون، وإحياء الحمار، وإبقاء الطعام والشراب مائة عام لم يتغير، وتمزيق الطيور الأربعة، وجعل أربعة أجزاء على الجبال، ثم إتيانهن سعياً لما دعاهن إبراهيم الخليل[٢].

وبعد أن أورد هذه الأمثلة عرَّج على ذكر ما في ذلك من الاعتبار، والحكمة، فذكر من ذلك ما يلي:

١ ـ تثبيت المعجزات للأنبياء، وأنها خارجة عن قوى النفس؛ فإن الفلاسفة، وسائر العقلاء ـ كما يقرر ـ متفقون على أن قوى النفس لا تفعل مثل هذا؛ بل ولا شيء من القوى المعروفة في العالم العلوي والسفلي.

٢ ـ أن في ذلك إثباتَ أنَّ الله فاعل مختار يفعل بمشيئته وقدرته.

٣ ـ أن هذا من أعظم الدلالة على إمكان معاد الأبدان، وإعادة الأرواح إليها.

ثم يختم بذكر أمثلة أخرى تُثْبِت أن ليس في قوى النفس قدرةٌ على مثلها[٣].

ثم يقول في آخر هذا الوجه: «فتبين أنهم معترفون أن هذه الأمور لا يمكن إضافتها إلى **قوى النفس**»[٤].

○ **الوجه الخامس: إثباته أن إخبار الجن والملائكة بالمغيبات ليس من نوع الكشف النفساني: مع أن ذلك ثابت عقلاً، وشرعاً: يقول** رَحِمَهُ اللهُ **في ذلك**: «نحن لا ننكر أن النفس يحصل لها نوع من الكشف إما يقظةً أو مناماً بسبب قلة علاقتها بالبدن؛ إما برياضة، أو بغيرها، وهذا الكشف هو الكشف النفساني.

لكن قد ثبت ـ أيضاً ـ بالدلائل العقلية مع الشرعية وجود الجن، وأنها تخبر الناس بأمور غائبة عنهم كما للكهان والمصروعين.

---

(١) انظر: الرسالة الصفدية ص١٩٩.
(٢) انظر: المرجع السابق ص١٩٩ ـ ٢٠٠.
(٣) انظر: المرجع السابق ص٢٠٠ ـ ٢٠١.
(٤) المرجع السابق ص٢٠١.

والناس يسمعون من المصروعين من أنواع الكلام والأخبار[١] عن الغائبات، واللغة الغريبة التي يعلمون بالاضطرار أنها ليست في قوة الإنسان»[٢].

ثم ضرب أمثلة على ذلك من أحوال أهل العبادات الشيطانية من البراهمة[٣] ونحوهم من عباد المشركين المخالفين للكتاب والسُّنَّة؛ حيث يُسمع منهم حال السماع أنواع من أنواع الكلام واللغة الغريبة التي لا يمكن ذلك الشخص أن يتكلم بها؛ فهذا نوعٌ من المكاشفات والإخبار بالغيب غير النفساني[٤].

ثم يبيِّن أن ما تخبر به الملائكة من المغيبات أشرف الأقسام[٥] كما دلّت عليه الدلائل الكثيرة السمعية والعقلية.

ثم يختم هذا الوجه بقوله: «وإذا ثبت أن الأخبار[٦] بالمغيبات يكون عن أسباب نفسانية، ويكون عن أسباب خبيثة شيطانية وغير شيطانية، ويكون عن أسباب مَلَكية ـ كان ما ذكروه[٧] نوعاً من الأنواع الثلاثة، وهو أضعفها؛ فكان غاية إيمانهم

---

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: (الإخبار).

(٢) الرسالة الصفدية ص٢٠١.

(٣) **البراهمة**: نسبة إلى الديانة الهندية القديمة المعروفة بـ: البراهمة، وسميت بذلك نسبة إلى (براهما) وهو الإله الأعظم في الديانة البرهمية الهندوسية، ويزعمون أنه هو الروح العليا، ويسمونه نَفْس العالَم.
وهذه الديانة عرقية لا تحاول جذب غيرها إليها، وتتميز بعقيدة التناسخ، وربط الدين بالمجتمع، من خلال نظام الطبقات التي تمثل في الفكر الهندي جزءاً من القانون الكلي الأزلي.
وترى أن الخلاص يتمثل في التحرر من دائرة الميلاد والممات حتى يتم الاتحاد بـ: (براهما)، وذلك عن طريق معرفة (براهما) وإعلان الاعتراف بالضعف، والخضوع للإله المُخَلِّص، وسلوك طريق الزهد والتقشف الذي قد يؤدي إلى الموت. انظر: مقارنات الأديان ـ الديانات القديمة ـ للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ص١٨ ـ ٢٤، والفكر الشرقي القديم، تأليف: جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: د. إمام عبد الفتاح إمام ص٣١ ـ ٣٣، و٨٣ ـ ٨٤، و٤٠، و٩٢ ـ ١٠٢، وتاريخ الأديان، دراسة وصفية، محمد خليفة حسن ص٧١، و٧٦، و٩٥ ـ ٩٦، والديانات والعقائد لأحمد عبد الغفور عطار ط١، ١٤٠١هـ، طبع بإشراف دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ص٨٦.

(٤) انظر: الرسالة الصفدية ص٢٠١ ـ ٢٠٣.

(٥) يعني بها: الأقسام الثلاثة: ١ ـ النفسانية، ٢ ـ الخبيثة من شيطانية وغير شيطانية، ٣ ـ المَلَكية.

(٦) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: (الإخبار).

(٧) الضمير يعود إلى الفلاسفة، وما ذكروه: يعني به: الأسباب النفسانية، وما ينتج عنها.

بالنبوة جعلهم النبي بمنزلة رجل من أضعف صالحي الناس»[(١)].

○ **الوجه السادس: إثباته أن الخوارق التي تفعلها الجن ليست من قوى النفس:**

يقول رَحِمَهُ اللهُ في هذا الوجه: «أن يقال: عَلِمْنا بالضرورة والتواتر أن الجن تحمل الإنسان من مكان إلى مكان تعجز قدرته عن الوصول إليه.

وهذا قد علمناه نحن في غير صورةٍ، وغيرُنا يعلم من جزئيات ذلك ما لم نعلمه.

ومن شكَّ في أصل ذلك فليرجع إلى ما عنده من علم ذلك، وإلا فليس للإنسان أن يُكَذِّب بما لا يعلم»[(٢)].

ثم يضرب على ذلك أمثلة، فيقول: «ونحن نعرف من ذلك أموراً كثيرةً جدّاً، ونعرف عدداً كثيراً حُملوا في الهواء من مدائنهم إلى عرفات، وإلى مكة في غير وقت عرفات.

وبعضهم كان كافراً لم يسلم، وبعضهم منافق لا يقر بوجوب الصلاة، وبعضهم جاهل يعتقد أن وقوفه بعرفات بلا إحرام مع رجوعه إلى بلده بلا طواف وسعيٍ عبادةٌ وكرامة من كرامات الصالحين.

ومثل عدد كبير حُمِلوا إلى غير مكة، ولو ذكرت ما أعرفه من هذا لطال الخطاب»[(٣)].

ثم ذكر أمثلة أخرى على ذلك، ممن تحملهم الشياطين، أو تخدمهم، أو تأتيهم بأطعمة ونحو ذلك، وقرر أن هذه الأمور وأمثالها معلومة بالضرورة، وأنه إذا ثبت هذا ـ عُلِمَ أن هذه الخوارق ليست من قوى النفس؛ بل بفعل الجن، وإذا كانت الجن تفعل مثل هذا فالملائكة أعلى منهم، وأقدر، وأكمل، وأفضل.

ويقرر ـ كذلك ـ أن هذه الأمور كما يُصدِّق بها أهل الملل من المسلمين والنصارى واليهود ـ فجمهور الفلاسفة يصدقون بها، وكتب الرُّوحانيات التي لهم مشحونة بذكر أمثال هذه الأمور.

ثم يذكر أمثلة على ذلك من كتبهم[(٤)]، ويختم الكلام في هذا الوجه مقرراً ما بدأ

---

(١) الرسالة الصفدية ص٢٠٣.
(٢) المرجع السابق ص٢٠٣.
(٣) الرسالة الصفدية ص٢٠٣، وانظر: النبوات ١/ ٥٣٤، و٢/ ٩٩٨، والفرقان ص١٦٨، و٣٢٧، والجواب الصحيح ٢/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣.
(٤) انظر: الرسالة الصفدية ص٢٠٤ ـ ٢٠٥، وانظر: النبوات ١/ ٥٤، وجامع الرسائل ١/ ١٩٢ ـ ١٩٣.

به، **فيقول**: «فمن قال: إن هذه الخوارق من آثار مجرد النفوس، وأنكر وجود الجن والشياطين، وأن يكون لهم تأثير في الإخبارات والخوارق ـ كان مبطلاً باتفاق أهل الملل، واتفاق جمهور الفلاسفة، وكان كذبه معلوماً بالاضطرار عند من عرف هذه الأمور بالمشاهدة، أو الأخبار المعلومة الصدق»[(١)].

○ **الوجه السابع: إثباته لإخبار الكهان بما تخبرهم به الشياطين**: وقد أوجز الكلام في هذا الوجه؛ لأن الإشارة قد مرَّت إليه فيما مضى، ولهذا **قال**: «**الوجه السابع**: أنه من هذا الباب ما تواتر في هذا الباب من أخبار كهان العرب، وما كانت تخبرهم به من الأمور الغائبة؛ لإخبار الجن لهم بذلك»[(٢)].

○ **الوجه الثامن: إلزامه الفلاسفةَ بتصديق الرسل، أو تكذيبهم**: **يقول** رحمه الله في هذا الوجه: «أن المدعي لكون الخوارق التي أتت بها الأنبياء من الإخبار بالغيب من الأمور الخارجة عن قدرة البشر هي من قوى النفس ـ إما أن يكون مصدقاً للرسل فيما علم أنهم أخبروا به، وإما أن يكون مكذباً لهم»[(٣)].

ثم يفصل القول في ذلك، فيقول: «فإن كان مكذباً لهم كان الكلام معه أولاً في تثبيت النبوات، والإقرار بها»[(٤)].

ثم يقرر أن هؤلاء الفلاسفة، والصابئة، وأتباعهم من باطنية أهل الملل ونحوهم يعظمون أمر الأنبياء، ويقرون بكمال علمهم، ودينهم، وصدقهم، ويَدَّعون أن ما جاء به الأنبياء لا يناقض أصول الفلسفة.

ويقرر أن هذه هي طريقة القائلين بأن معجزات الأنبياء قوى نفسانية، ويعني بهؤلاء: ابن سينا ومن تبعه.

ثم يلزمهم بأنه إذا كان الأمر كذلك فكلام الأنبياء حق باتفاقهم[(٥)] مع سائر أهل الملل.

ويلزمهم بأنه إذا كان الأمر كذلك فإن من المعلوم بالاضطرار أن الرسل أخبرت بالملائكة، والجن، وأنها أحياءٌ ناطقة بأنفسها، وليست أعراضاً قائمة بغيرها[(٦)]، وأنهم أخبروا بأنهم يأتون بأخبار الأمور الغائبة، وأنهم يفعلون أفعالاً خارجة عن

---

(١) الرسالة الصفدية ص٢٠٥.

(٢) المرجع السابق ص٢٠٥، وانظر: النبوات ٢/١٠١٦.

(٣) الرسالة الصفدية ص٢٠٥. (٤) المرجع السابق ص٢٠٧.

(٥) يعني: باتفاق الفلاسفة المعظمين للأنبياء. (٦) يعني: أنها ليست قوى النفس.

قدرة البشر كما أخبر الله ـ تعالى ـ عن الملائكة أنهم أتوا إبراهيم الخليل ثم ذهبوا إلى لوط عليه السلام[١]..

ثم يسوق الآيات القرآنية في هذا النحو، ويقرر أن هذه القصة مذكورة في التوراة وغيرها من كتب أهل الكتاب كما هي مذكورة في القرآن، مع العلم أن كُلًّا من النبيينِ: موسى ومحمد عليهما السلام لم يأخذها من الآخر، وهذا يوجب العلم بصحتها من قَبْل نبوتهما.

ويقرر أن الاتفاق على مثل هذه الحكاية من غير تواطؤ يمتنع في العادة؛ فإذا اتفق إخبار المخبرين بمثل هذه القصة الطويلة على هذا النحو ـ علم أنها حق؛ فكان إخبار كلٍّ منهما[٢] بها دليلاً على صحة نبوته[٣].

ثم يصل إلى نتيجة ذلك وهي إثبات وجود الملائكة، وأنهم أحياء منفصلون عن الآدميين يخاطبونهم، ويرونهم في صور الآدميين: الأنبياء وغير الأنبياء[٤] كما رأتهم سارة امرأة الخليل عليه السلام وكان الصحابة يرون جبريل إذا جاء في صورة أعرابي، وتارة في صورة دحية الكلبي[٥].

ويقرر بعد ذلك أن الملائكة ليست قوى نفسانية؛ لأن «من المعلوم أن القوة النفسانية التي تكون في نفس النبي وغير النبي لا يراها الحاضرون، ولا يكون منها مثل هذه الأحوال، والأقوال، والأفعال»[٦].

ويقرر ـ أيضاً ـ «أن الله وصف الملائكة بصفات تقتضي أنهم أحياء ناطقون خارجون عن قُوى البشر، وعن العقول، والنفوس التي تثبتها الفلاسفة»[٧].

ثم ينتهي إلى النتيجة النهائية في ذلك، **فيقول**: «فَعُلِم أن الملائكة التي أخبرت عنها الأنبياء ليسوا مطابقين لما يقوله هؤلاء الذين يقولون: إن معجزات الأنبياء قوىً نفسانية»[٨].

ثم يذكر بعد ذلك أدلة من الكتاب والسُّنَّة على ذلك، ويُعْقِبها بشرح، وتوجيه

---

(١) انظر: الرسالة الصفدية ص٢٠٦.
(٢) الضمير يعود إلى موسى ومحمد عليهما السلام.
(٣) انظر: الرسالة الصفدية ص٢٠٦ ـ ٢٠٧.
(٤) يعني: أن الأنبياء وغير الأنبياء يرون الملائكة.
(٥) انظر: الرسالة الصفدية ص٢٠٧ ـ ٢٠٨، وانظر: أقسام الوحي وصوره في عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني، دار الفكر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ١/ ٤٠.
(٦) الرسالة الصفدية ص٢٠٨.
(٧) المرجع السابق ص٢٠٩.
(٨) المرجع السابق ٢٠٩.

يقرر من خلاله ما سبق، ويثبت أن الملائكة ليسوا قوى نفسانية، وأن جبريل ليس كما يزعمون من أنه العقل الفعال، ويبطل قول الفلاسفة ومن نحا نحوهم في مسألة العقول العشرة بكلام طويل مفصل[١].

○ **الوجه التاسع: تقريره أن تأثير النفوس مشروط بشعورها، وأن من معجزات الأنبياء ما لا يكون النبي شاعراً به**: وفي هذا الوجه **يقرر** أن النفس حية مريدة تفعل بإرادتها، وأن فعلها مشروط بإرادتها، والفعل الاختياري الإرادي مشروط بالشعور.

ثم يقرر أن ذلك لا ينطبق على خوارق العادات؛ ذلك أن منها ـ كما **يقول** ـ: «ما لا يكون النبي شاعراً به، ومنها ما لا يكون مريداً له؛ فلا يكون ذلك من فعل نفسه»[٢].

إلى ان يقول: «بل ومنها ما يكون قبل وجوده[٣]، ووجود قدرته، ومنها ما يكون بعد موته ومفارقة نفسه لهذا العالم»[٤].

ثم يزيد الأمر إيضاحاً، فيقول: «ومن المعلوم أن ما يكون قبل أن تصير لنفسه قوة[٥]، ونحو ذلك ـ يمتنع أن يكون مضافاً إلى قوته؛ فإن المعدوم لا قوة له»[٦].

ثم يضرب لذلك مثالاً بقصة أصحاب الفيل، ويقرر أن أصحابه كانوا نصارى إذ ذاك، ودينهم خير من دين أهل مكة؛ فإنهم كانوا مشركين.

لكن ذلك كان كرامة للنبي ﷺ المبعوث بحرمة البيت، وكان الفيل عام مولده ﷺ قبل مولده بنحو خمسين ليلة، ولم تكن له قوة نفسانية يؤثر بها، ولا شعور بما جرى، ولا إرادة له في ذلك[٧].

ثم يضرب أمثلة أخرى، فيذكر ما حصل من الحوادث حين مولده ﷺ وكذلك إخبار الكهان بأموره، وما صارت الجن تخبرهم به، وما وجد عند أهل الكتاب من أخبار الأنبياء المتقدمين، كل ذلك أمور خارجةٌ عن قدرة النبي ﷺ وعلمه وإرادته، كائنةٌ قبل مولده[٨].

ثم يضرب مثالاً أوضح، وأجلى، وهو ما حصل للكعبة البيت الحرام من حين بناه إبراهيم عليه السلام إلى هذا الوقت من التعظيم والتوقير، وانجذاب القلوب إليه، وأن

---

(١) انظر: الرسالة الصفدية ص٢٠٩ ـ ٢٢٥.
(٢) المرجع السابق ص٢٢٥.
(٣) الضمير يعود على النبي.
(٤) الرسالة الصفدية ص٢٢٥.
(٥) يعني: ما كان قبل مولده، ونحو ذلك.
(٦) الرسالة الصفدية ص٢٢٦.
(٧) انظر: المرجع السابق ص٢٢٦.
(٨) انظر: المرجع السابق ص٢٢٦.

الملوك يبنون الحصون، والمدائن والقصور ثم لا يلبث بنيانهم أن ينهدم، ويهان.

والكعبة بيت مبنيٌّ من حجارة سود بوادٍ غير ذي زرع ليس عنده ما تشتهيه النفوس من البساتين والمياه، وغيره، ولا عنده عسكر يحميه من الأعداء، ولا في طريقه من الشهوات ما تشتهيه الأنفس؛ بل كثيراً ما يكون في طريقه الخوف، والتعب، والعطش، والجوع.

ومع هذا فقد جعل من أفئدة الناس التي تهوي إليه ما لا يعلمه إلا الله، وجعل له من العز، والشرف، والعظمة ما أذل به رقاب أهل الأرض؛ حتى تقصده عظماء الملوك، ورؤساء الجبابرة؛ فيكونون هناك في الذل والمسكنة؛ كآحاد الناس[(١)].

ثم يصل إلى الشاهد من ذلك فيقول: «وهذا مما يُعلم بالاضطرار أنه خارج عن قدرة البشر، وقوى نفوسهم، وأبدانهم والذي بناه قد مات من ألوف السنين»[(٢)].

ثم يبيِّن بعد ذلك أن «أمر البيت مما حير هؤلاء الفلاسفة والمنجمين، والطبائعية؛ لكونه خارجاً عن قياس عقولهم، وقوانين علومهم حتى اختلقوا لذلك من الأكاذيب ما يعلمه كل عاقل لبيب، مثل قولهم: إن تحت الكعبة بيتاً فيه صنم يُبَخَّر، ويَصْرِف وجهه إلى الجهات الأربع؛ ليقبل الناس إلى الحج»[(٣)].

ثم يعلق على ذلك بقوله: «وهذا مما يَعْلَم كلُّ مَنْ عرف أمرَ مكة أنه من أبين الكذب، وأنه ليس تحت الكعبة شيء من هذا، وأنه لا ينزل أحد من أهل مكة إلى ما تحت الكعبة، ولا يحفره أحد، ولا يبخر أحد شيئاً هناك، ولا هناك صنم ولا غير صنم»[(٤)].

ثم يذكر بعد ذلك حيرة ابن سبعين[(٥)] **وأمثاله** من سر هذا الانجذاب للكعبة، وأنهم ربما قالوا: ليت شعرنا ما هو الطلسم الذي صنعه إبراهيم الخليل حتى صار الأمر هكذا؟

---

(١) انظر: الرسالة الصفدية ص٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٢) المرجع السابق ص٢٢٧. (٣) المرجع السابق ص٢٢٧.

(٤) المرجع السابق ص٢٢٧، وانظر: النبوات ١/ ٥١٠.

(٥) هو: أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الرقوطي الأندلسي؛ نسبة إلى بلدة رقوطة، وهي قريبة من مرسية، المشهور بابن سبعين، وهو من الصوفية الفلاسفة القائلين بوحدة الوجود، ولد سنة ٦١٤هـ، وكان في الأندلس ثم نزل مكة، وتوفي سنة ٦٦٩هـ. انظر: العبر في خبر من غبر للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت ٥/ ٣٩١ ـ ٣٩٢، ولسان الميزان ٣/ ٣٩٢.

ثم يقرر أن الطلاسم إنما يقوى تأثيرها إذا ضعف العقل، وهكذا الشياطين كلما ضعفت القوى قوى تأثيرهم[(١)].

وهكذا يسترسل في ضرب الأمثلة على هذا النحو، فيذكر ما حصل بعد موت النبي ﷺ من حفظ الله للقرآن، وللشريعة، وأن ذلك أمر خارق خارج عن مقدور النبي ﷺ.

ويذكر ـ كذلك ـ ما جعله الله في القلوب قرناً بعد قرن من المحبة للنبي ﷺ، والتعظيم له، والعلم بعظيم منزلته، وعلو درجته من غير مُكْرِهٍ يُكْرِه القلوب على العلم والمعرفة؛ مع كمال عقول الناظرين في ذلك.

ثم يقرر أن ذلك كلَّه من أعظم الأمور الخارقة للعادة، وهي أمور خارجة عن قوى البشر[(٢)].

ثم يختم بذكر ما في القلوب لإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح، وغيرهم من الأنبياء من المحبة والتعظيم، وما في قلوب المؤمنين ـ أيضاً ـ من البغض، واللعن الذي جُعِل للكفار وأتباعهم؛ **فإن ذلك كله خارج عن قوى أنفس الأنبياء؛ إذ كان بعد موتهم**[(٣)].

○ **الوجه العاشر: تقريره أن ما خص به الأنبياء من قوى وفضائل ليس بسبب المعجزات:** حيث يسوق الدلائل على ذلك، **ثم يقول:** «والمقصود: أن الأنبياء خصهم الله بمحاسن وفضائل، ومكارم أخلاق يميزهم بها عن غيرهم؛ فمن قال: إن الله خص النبي بقوى في نفسه، وأراد بذلك إثبات خصائص وفضائل له ـ فهذا حق.

وإن قال: إن هذه الخصائص تكون أسباباً لخوارق عادات يكرمهم بها، وتكون معجزات وكرامات، أو قال: نفس هذه الخصائص والفضائل مما خُرقت له فيها العادة ـ فهذا مما لا يُنكر»[(٤)].

ثم يستدرك على هذا الكلام، ويرى أن هناك أموراً ينبغي ملاحظتها في هذا الشأن، وهي ما يلي:

١ ـ أنه لا يُظَن أن جميع خوارق العادات هذا سببها؛ فإن هذا باطل قطعاً.

---

(١) انظر: الرسالة الصفدية ص٢٢٧.
(٢) انظر: المرجع السابق ص٢٢٩.
(٣) انظر: المرجع السابق ص٢٢٩.
(٤) المرجع السابق ص٢٣٢.

٢ ـ أنه لا يظن أن هذا هو مجرد النبوة، وأن من حصلت له هذه الخصال التي ذكروها فقد صار نبيّاً؛ فإن آحاد المؤمنين تحصل له الثلاث، وما هو أكمل منها؛ حيث تحصل له **قوة علمية في** نفسه، **وقوة عملية في نفسه** يكون بها مؤثراً، ويحصل له إحساس باطن؛ فيرى ويسمع في باطنه، وهو مع ذلك من آحاد المؤمنين.

٣ ـ أن النبوة لا تُنال باكتساب الإنسان، واستعداده كما تُنال بذلك: العلوم المكتسبة، والدين المكتسب[١].

ثم يختم كلامه ـ بعد أن فصَّل الكلام في الوجوه العشرة الماضية ـ بقوله: «وقد تبيَّن أن معجزات الأنبياء خارجة عن القوى النفسانية والطبيعية في العالم العلوي، والسفلي، وتبيَّن أن الله ـ سبحانه ـ خالق كل شيء بمشيئته، وقدرته، وأنه يخلق ما يشاء بالأسباب التي يُحْدِثها، وللحكمة التي يريدها»[٢].

إلى ان يقول رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا قَدْرُ ما احتملته هذه الأوراق من جواب هذه المسألة؛ فإنها مسألة عظيمة، تُبنى عليها أصولُ العلم، والإيمان، أجبنا فيها بحسب ما احتمله الحال.

وفيها من البسط والقواعة الشريفة ما يعرفه مَنْ عرف كلام الناس في هذا الباب»[٣].

إلى أن يقول معتذراً عن التقصير: «وإن كان ما يجب لله ورسوله من الحق أعظم من هذا الخطاب؛ فإن تمام البسط في الرد على هؤلاء لا يناسب في هذا الموضع، ولكل مقام مقال.

ولكن نبهنا على المآخذ التي تُعرف منها حقيقة قولهم وفساده؛ فإن هؤلاء أفسدوا على الناس عقولهم وأديانهم»[٤].

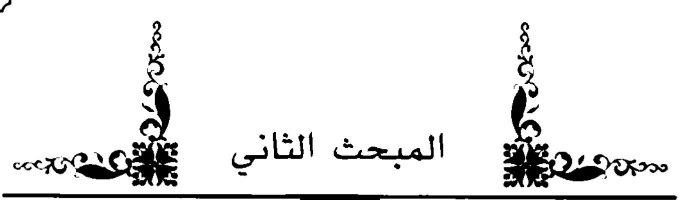
ثم يبيِّن أماكن كثرة هؤلاء الضلال **فيقول:** «وهم يكثرون في ما يناسبهم من الدول الجاهلية كدولة القرامطة الباطنية، والعبيدية، ودولة التتر، ونحوهم من أهل الجهل والضلال، وفي دول أهل الردة والنفاق»[٥].

---

(١) انظر: الرسالة الصفدية ص٢٣٢ ـ ٢٣٩.
(٢) المرجع السابق ص٢٣٩.
(٣) المرجع السابق ص٢٣٩.
(٤) المرجع السابق ص٢٣٩.
(٥) المرجع السابق ص٢٣٩.

وبهذه الإجابة المسددة التي يَعز نظيرُها حول هذه المسألة سواء في آثار ابن تيمية الأخرى، أو في آثار غيره - ينتهي الكلام على موقفه من الفلاسفة في قولهم في معجزات الأنبياء؛ حيث بيَّن من خلال عشرة أوجه بطلان قولهم في المعجزات بالأدلة العقلية، والنقلية، وأوضح أن قولهم لم يكن عن علم، ولم يستند على دليل.





المبحث الثاني

موقفه من قول المعتزلة في المعجزات

مدخل: مجمل آراء المعتزلة[1] في النبوات عموماً، وموقف ابن تيمية منها

قبل الدخول في الكلام على إيضاح ابن تيمية، وعرضه لقول المعتزلة في المعجزات ومناقشته لها ـ يحسن الوقوف على مجمل آرائهم في باب «النبوات»، وموقف ابن تيمية منها؛ إذ الكلام في المعجزات فرع عن «النبوات»؛ فهم يبحثون معجزات الأنبياء ضمن الكلام على «النبوات»، وبعثة الرسل، وما ينضوي تحتها من مباحث.

(١) **المعتزلة**: وصف يطلق على الفرقة التي ظهرت في الإسلام أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجاً عقليّاً في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل هو وعمرو بن عبيد مجلس الحسن البصري؛ فسموا معتزلة. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للفخر الرازي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، ص٢٨ ـ ٢٩.
ثم صار لهم آراء، وأضحوا فرقاً شتى، واجتمعوا على أصول خمسة، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.
انظر تفصيل ذلك في: المعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السُّنَّة منها د. عواد المعتق، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
وقد اختلف في تسميتهم بالمعتزلة، فقيل: أطلقه عليهم أعداؤهم من أهل السُّنَّة؛ للتدليل على أنهم انفصلوا عنهم، وتركوا مشايخهم القدامى، واعتزلوا قول الأمة.
وقيل: إن هذه الفرقة الكلامية ولدت من نَزْعة ورعة، وأنه كان من هؤلاء الجماعة الوَرَعية: المعتزلة؛ أي: الزهاد الذين يعتزلون الناس.
وإلى هذا الرأي مال المستشرق جولد تسيهر. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: شفيق غربال، دار الشعب، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٧٢م، ص٦٦٨.
وقيل غير ذلك، ولعل أصح الأقوال أنهم سموا بذلك لاعتزالهم مجلس الحسن البصري.
انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة ص١٤ ـ ٢١، وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من المعتزلة في مسائل العقيدة، د. قدرية عبد الحميد شهاب الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٤ ـ ١٤٠٥هـ، ص٨٤ ـ ٨٦.

والناظر في كتب المعتزلة يرى أنهم يدرجون الكلام على «النبوات» في الأصل الثاني من أصولهم الخمسة، وهو باب العدل.

وقد عني القاضي عبد الجبار بهذا المبحث ـ «النبوات» ـ في سائر كتبه؛ كـ«المغني في أصول أبواب التوحيد والعدل»، و«تثبيت دلائل النبوة»، و«شرح الأصول الخمسة».

وقد **أوضح** وجه اتصال النبوات بباب العدل بقوله: «ووجه اتصال بعثة الرسل بباب العدل هو أن الكلام فيها كلام في أنه ـ تعالى ـ إذا علم أن صلاحنا يتعلق بهذه الشرعيات ـ فلا بد من أن يُعَرِّفَناها؛ لكي لا يكون مُخِلاً بما هو واجب عليه»(١).

وأما آراؤهم في باب النبوات، وموقف ابن تيمية منها فيطول، وفيما يلي إجمال لذلك:

○ **أولاً: رأيهم في بعثة الرسل:** فهم يرون وجوب بعثة الرسل على الله؛ لأن في ذلك صلاحاً للمكلفين، وأنه لو لم يفعل ذلك لأخلَّ بما هو واجب عليه(٢).

وقد ردّ ابن تيمية على قولهم هذا بأن القول مبني على رأيهم في التحسين، والتقبيح العقليين، **فقالوا:** «ونحن نقول: لا يجب على الله شيء، ويحسن منه كل شيء.

وإنما ننفي ما ننفيه بالخبر السمعي، ونوجب وقوع ما يقع بالخبر السمعي ـ أيضاً ـ»(٣).

وقال: «فمن قال من أهل السُّنَّة: إن الله لا يجب عليه شيء، ولا يَحْرم عليه شيء ـ امتنع عنده أن يكون مُخِلاً بواجب، أو فاعلاً لقبيح.

ومن قال: إنه أوجب على نفسه، أو حرَّم على نفسه ـ فهم متفقون على أنه لا يُخِلُّ بما كتبه على نفسه»(٤).

إلى أن قال: «فتبيَّن أن ليس في أهل السُّنَّة من يقول: إنه يُخِل بواجب، أو يفعل قبيحاً»(٥).

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار الهمذاني، مكتبة وهبة، ط١، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م، مطبعة الاستقلال الكبرى، ص٥٦٣.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة ص٥٦٤، والمغني في أبواب التوحيد العدل، مطبعة دار الكتب، ط١، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م، ١٥/ ٩٣.

(٣) منهاج السُّنَّة النبوية ٢/ ٤١٥.

(٤) المرجع السابق ١/ ٤٥٣.

(٥) المرجع السابق ١/ ٤٥٣.

○ **ثانياً: يرون أن النبوة جزاءٌ على عمل سابق:** فالنبي عندهم فَعَل من الأعمال الصالحة ما اسْتَحَق به أن يجزيه الله بالنبوة.

قال القاضي عبد الجبار: «قال شيوخنا ـ رحمهم الله ـ في النبوة: إنها جزاء على عمل»[١].

وقد أوضح ابن تيمية مذهبهم هذا، بقوله: «وكثير من القدرية، والمعتزلة والشيعة، وغيرهم ممن يقول بأصله في التعديل والتجوير، وأن الله لا يفضل شخصاً على شخص إلا بعمله ـ يقول: إن النبوة، أو الرسالة جزاءٌ على عمل متقدم؛ فالنبي فَعَل من الأعمال الصالحة ما استحق به أن يجزيه الله بالنبوة»[٢].

ثم ينقض هذا القول، ويبيِّن بطلانه، ويوضح أن النبوة ليست جزاءاً على عمل سابق كما يزعمون، وإنما هي اجتباء، واصطفاء، وفضل من الله، ورحمة، وأن الذي عليه جمهور وسلف الأمة، وأئمتها، وكثير من النظار أن النبوة اصطفاء من الله، وأن الله يصطفي من الملائكة رسلاً، ومن الناس، وأنه ﷻ أعلم حيث يجعل رسالاته.

ويوضح ـ كذلك ـ أن النبي يختص بصفات، واستعدادات ميزه الله بها عن غيره بفضله ورحمته.

ويستدلّ على ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزخرف][٣].

○ **ثالثاً: توحيدهم بين النبوة والرسالة:** فالقاضي عبد الجبار يوحِّد بين النبوة والرسالة، ولا يرى في تمييز القرآن بين اللفظين ما يدل على اختلافهما.

ومن هنا فهو يرى أنْ لا فرق في الاصطلاح بين الرسول والنبي[٤].

وقد ردّ عليهم ابن تيمية في ذلك؛ فأوضح أن النبي أعم من الرسول، فقال: «فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به؛ فإن أرسل ـ مع ذلك ـ إلى من خالف أمر الله؛ ليبلغه رسالة من الله إليه ـ فهو رسول.

---

(١) المغني ١٥/١٦، وانظر: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من المعتزلة في مسائل العقيدة ص٤٨٣.

(٢) منهاج السُّنَّة النبوية ٢/ ٤١٥.

(٣) انظر: المرجع السابق ٢/ ٤١٦ ـ ٤١٧.

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة ص٥١٨.

وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحدٌ يُبلّغه عن الله رسالته ـ فهو نبي وليس برسول»[١].

ويستدل على ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ فذكر إرسالاً يعم النوعين، وقد خص أحدهما بأنه رسول؛ فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالفهم كنوح.

وقد ثبت في «الصحيح»[٢] أنه أول من بعث إلى أهل الأرض.

وقد كان قبله أنبياء كـ: شيث، وإدريس عليهما السلام، وقبلهما آدم كان نبياً مُكَلَّماً»[٣].

ثم يزيد الأمر وضوحاً؛ فيقول: «فالأنبياء ينبئهم الله، فيخبرهم بأمره، ونهيه، وخبره.

وهم ينبؤون المؤمنين بهم بما أنبأهم الله به من الخبر، والأمر، والنهي؛ فإن أرسلوا إلى كفار يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، ولا بد أن يكذب الرسل قوم...

فإن الرسل ترسل إلى مخالفين؛ فيكذبهم بعضهم»[٤].

○ **رابعاً: قولهم في عصمة الأنبياء:** فالمعتزلة يرون أن البعثة لطف للمكلفين، وأنها واجبة، وأن الله يفعلها على أحسن وجوهها؛ بمعنى: أن تكون أوصاف النبي متفقة مع وظيفة النبوة بأن يكون منزهاً عن الـمُنَفِّرات جملةً: كبيرةً أو صغيرة؛ ولأن الغرض بالبعثة ليس إلا لطف العباد ومصالحهم، ولا بد أن يجنب الله رسوله عما يُنفِّر من القبول عنه؛ حتى يتحقق المقصود من البعثة.

ويرى المعتزلة ـ كذلك ـ أن الكبائر لا تجوز على الأنبياء لا قبل البعثة، ولا بعدها.

أما الصغائر التي لا تؤدي إلى التنفير فقد جوَّزها المعتزلة على الأنبياء[٥].

---

(١) النبوات ٢/ ٧١٤.
(٢) كما في حديث الشفاعة في صحيح البخاري (٦٥٦٥)، ومسلم (١٩٣).
(٣) النبوات ٢/ ٧١٤ ـ ٧١٥.
(٤) المرجع السابق ٢/ ٧١٧ ـ ٧١٨، وانظر: ٧١٩ ـ ٧٢٠.
(٥) انظر: شرح الأصول الخمسة ص٥٧٣ ـ ٥٧٥.

وقد ردَّ عليهم ابن تيمية في اتهامهم لأهل السُّنَّة بأنهم يقولون: إن الأنبياء غير معصومين، **وأوضح** أن هذا الإطلاق باطل؛ فإن أهل السُّنَّة متفقون أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله ـ تعالى ـ[(١)].

وقرر أن النبي لا بد أن يكون صادقاً فيما يخبر به عن الله؛ يطابق خبره مَخْبَره، لا تكون فيه مخالفة لا عمداً، ولا خطأً.

كما قرر أن من معاني العصمة أن يحفظهم الله من الكذب خطأً، وعمداً[(٢)].

وقرر ـ أيضاً ـ أن عامة الجمهور الذين يُجَوِّزون الصغائر على الأنبياء يقولون: إنهم معصومون من الإقرار عليها.

وحينئذٍ فما وصفوهم إلا بما فيه كَمالُهم؛ فإن الأعمال بالخواتيم، مع أن القرآن، والحديث، وإجماع السلف معهم في تقرير هذا الأصل.

ويقرر أن النسيان، والسهو قد يقع منهم في الصلاة، وأن ذلك حكمة استنان المسلمين بهم[(٣)].

وأوضح أنه ليس في النبوة ما يستلزم إيجاب المعتزلة عدم صدور الخطأ، أو الذنب من الأنبياء قبل البعثة.

وقرر أن جمهور المسلمين متفقون على أن النبي لا بد أن يكون من أهل البر والتقوى، متصفاً بصفات الكمال.

وقرر أن الأنبياء أفضل الخلق باتفاق المسلمين، وأنهم أصحاب الدرجات العلى في الآخرة.

إلى غير ذلك مما أوضحه، وقرره في هذه المسألة[(٤)].

فهذه مجمل آراء المعتزلة في النبوات، وموقف ابن تيمية منها[(٥)] عدا قولهم في المعجزات وموقفه منها؛ فإن لها تفصيلاً أشمل، وأوسع كما سيأتي في المطلبين التاليين.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة النبوية ١/ ٤٧٠ ـ ٤٧١. (٢) انظر: النبوات ٢/ ٨٧٣ ـ ٨٧٨.
(٣) انظر: منهاج السُّنَّة النبوية ١/ ٤٧١ ـ ٤٧٢.
(٤) انظر تفصيل ذلك في: منهاج السُّنَّة ٢/ ٣٩٧ و٤١٧ ـ ٤١٨.
(٥) انظر: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من المعتزلة في مسائل العقيدة ص٤٨٢ ـ ٥١٤.

المطلب الأول

عرضه لقول المعتزلة في المعجزات

يبحث المعتزلةُ المعجزات ضمن موضوع النبوات، وبعثة الرسل ـ كما مرَّ ـ.

ولهم في باب المعجزات كلام طويل، وتعريفات متشعبة.

ويمكن إجمال قولهم في المعجزات بأنهم:

١ ـ يرون أن الله ـ تعالى ـ إذا بعث إلينا رسولاً؛ ليعرفنا الصالح فلا بد أن يدعي النبوة، ويظهر عليه العِلْمُ المعجزُ الدالُّ على صدق دعواه ـ كما نصَّ على ذلك القاضي عبد الجبار ـ[1].

٢ ـ يرون أن المعجز: هو الفعل الذي يدلّ على صدق الـمُدعي للنبوة[2].

٣ ـ يشترطون للفعل المعجز الذي يدلّ على صدق مدعي النبوة شروطاً وهي:

أ ـ أن يكون من جهة الله ـ تعالى ـ أو في الحكم كأنه من جهته ﷻ.

ب ـ أن يكون واقعاً عَقِيب دعوى المدعي للنبوة؛ لأنه لو تقدم الدعوى لم تتعلق به؛ فلا يكون بالدلالة على صدقه أحق منه بالدلالة على صدق غيره.

وكذلك لو تراخى عنه لم يتعلق به إلا إذا ثبت صدقُ المدعي للنبوة بمعجز، وتراخى عن دعواه معجز آخر جاز.

ويمثلون لذلك بإخبار النبي ﷺ بالغيوب؛ فهي معجزاته رغم تأخر الدعوى.

ج ـ أن يكون المعجز مطابقاً لدعواه.

د ـ أن يكون ناقضاً للعادة.

٤ ـ أنكر أغلب المعتزلة جريان خوارق العادات إلا على أيدي الأنبياء؛ لذا أنكر معظمهم السحر، وكرامات الأولياء؛ حتى لا تختلط بالمعجزات؛ فتفقد دلالتها على صدق الرسل.

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة ص٥٦٨. (٢) انظر: المرجع السابق ص٥٦٨.

٥ ـ يرون أن الدليل على نبوة النبي ﷺ أنه ادعى النبوة، وظهر عليه المعجز عقيب دعواه.

٦ ـ يرون أن معجزات النبي ﷺ كثيرة جداً، وأن أعظمها القرآن الكريم.

فهذا هو مجمل قول المعتزلة في المعجزات، ولهم في ذلك تفريعات وتفصيلات يطول ذكرها[(١)].

هذا، وقد عرض ابن تيمية آراء المعتزلة في المعجزات، خصوصاً ما كان منها محلَّ نظرٍ ونقدٍ؛ حيث أوضح حقيقة قولهم، وذَكَر مَنْ يوافقهم عليه، ثم ناقش تلك الآراء، وبيَّن ما فيها من خلل.

ولقد مرت الإشارة إلى شيء من ذلك في الفصل الأول عند الكلام على تعريف المعجزات، وأسمائها، وعلى منهجه في معجزات الأنبياء عموماً.

وفيما يلي بيان لما عرضه، وأوضحه بشيء من البسط:

○ **أولاً: تسميتهم لآيات الأنبياء معجزات:** حيث أوضح أن تلك التسمية مصطلح كلامي حادث؛ فقد سماها المعتزلة بتلك التسمية.

يقول رحمه الله في ذلك: «الآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ﷺ كثيرة متنوعة. . . .

ويسميها من يسميها من النظار معجزات»[(٢)].

ويقول في سياق كلام له عن اضطراب المتكلمين في مسمى خرق العادة: «واضطربوا في مسمى هذا الاسم، كما اضطربوا في مسمى المعجزات.

ولهذا لم يُسمِّها الله في كتابه إلا آيات وبراهين»[(٣)].

○ **ثانياً: قولهم في حدِّ المعجزة:** حيث قرر أن المعتزلة يحدون المعجزة بمجرد خرق العادة؛ فذلك ـ عندهم ـ آية صدق النبي، وأن ذلك مختص به.

قال في فصل عقده في «النّبوات»: «والمعتزلة قبلهم[(٤)] ظنُّوا أن مجرد كون الفعل خارقاً للعادة هو الآية على صدق الرسول؛ فلا يجوز ظهور خارق إلا لنبي»[(٥)].

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة ص٥٦٩ ـ ١٧١، وانظر: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من المعتزلة في مسائل العقيدة ص٤٨٥ ـ ٤٨٧، و٤٨٩ ـ ٤٩١.

(٢) النبوات ١/ ٢١٥.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٨٢٨.

(٤) الضمير في (قبلهم) يعود على الأشاعرة.

(٥) النبوات ١/ ٤٨٤.

وقال في «مجموع الفتاوى» في معرض مناقشته للأشاعرة: «وهم ضاهوا سلفهم من المعتزلة الذين قالوا: المعجزات هي خرق العادة»[(١)].

وسيأتي مزيد بيان لذلك في الفقرة التالية.

○ **ثالثاً: إنكارهم بقية الخوارق غير المعجزات:** فبعد أن يقرر ابن تيمية أن المعتزلة يَحُدُّون المعجزة بكونها خارقةً للعادة، وأن العادة لا تخرق إلا لنبي يبين أنهم ـ بناءً على ذلك ـ ينكرون بقية الخوارق من الكرامات، والسحر، ونحو ذلك.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتزموا طرداً لهذا: إنكار أن يكون للسحر تأثير خارج عن العادة، مثل أن يموت، ويمرض بلا مباشرة شيء، وأنكروا الكهانة، وأن تكون الجن تخبر ببعض المغيبات، وأنكروا كرامات الأولياء»[(٢)].

وقال بعد ـ أن أوضح حد المعتزلة للمعجزة بأنه خرق للعادة، وبيَّن أن من قال ذلك لم يعرف مسمى هذه العبارة ـ **قال:** «بل ظنَّ أن خوارق السحرة، والكهان، والصالحين خرق للعادة؛ فكذَّبها»[(٣)].

وقال في «الأصبهانية»: «والتزم كثير من هؤلاء إنكار خرق العادات لغير الأنبياء، حتى أنكروا كرامات الأولياء، والسحر، ونحو ذلك»[(٤)].

وقال في مقدمة «النبوات»: «فقالت طائفة: لا تخرق العادة إلا لنبي، وكذَّبوا بما يذكر من خوارق السحرة، وبكرامات الصالحين.

وهذه طريقة أكثرالمعتزلة»[(٥)].

وقال في «مجموع الفتاوى» ـ بعد أن قرر أن المعتزلة يرون أن المعجزات هي خرق العادة ـ **قال:** «لكن أنكروا كرامات الصالحين، وأنكروا أن يكون السحر والكهانة إلا من جنس الشعبذة والحيل؛ لم يعلموا أن الشياطين تعين على ذلك»[(٦)].

وقال في معرض كلام له عن آيات الأنبياء وبراهينهم: «وهنا اضطرب الناس، فقيل: دليلها[(٧)] جنس يختص بها، وهو الخارق للعادة؛ فلا يجوز وجوده لغير نبي: لا ساحر، ولا كاهن، ولا ولي كما يقول ذلك من المعتزلة من يقوله وغيرهم»[(٨)].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٩٠.
(٢) النبوات ١/ ٤٨٤.
(٣) المرجع السابق ٢/ ٧٧٣ ـ ٧٧٤.
(٤) شرح الأصبهانية ص٥٣٨.
(٥) النبوات ١/ ١٢٩ ـ ١٣٠.
(٦) مجموع الفتاوى ١٣/ ٩٠.
(٧) يعني: النبوة.
(٨) النبوات ١/ ٢١٣ ـ ٢١٤.

○ **رابعاً: قولهم بثبوت النبوة بالمعجزات:** حيث أوضح أن ذلك قول المعتزلة، ومن وافقهم.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «قال المصنف[(١)]: والدليل على نبوة الأنبياء: المعجزات، والدليل على نبوة محمد ﷺ القرآن المعجز نظمه، ومعناه»[(٢)].

قال ابن تيمية في شرحه لهذه العبارة: «هذه الطريقة هي أعظم الطرق عند أهل الكلام والنظر؛ حيث يقررون نبوة الأنبياء بالمعجزات»[(٣)].

وقال في «درء تعارض العقل والنقل»: «وقالت المعتزلة كأبي الحسين[(٤)] وغيره: إن صدق الرسول معلوم بالمعجزة، والمعجزة معلومة بكون الله ـ تعالى ـ لا يظهرها على يدِ كاذب، وذلك معلوم بكون إظهارها على يد الكذاب قبيحاً، والله منزه عن القبيح، وتنزيهه عن فعل القبيح معلوم بأنه غنيٌّ عنه، عالم بقبحه، والغني عن الشيء العالم بقبحه لا يفعله...»[(٥)].

إلى أن قال: «فهذا الكلام ونحوه أصل دين المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة»[(٦)].

وقال في «شرح الأصبهانية»: «وهذه الطريق سلكها أكثر أهل الكلام وغيرهم، ولهم في تقرير دلالة المعجزة على الصدق طرق»[(٧)].

ثم ذكر طريقة المعتزلة، **فقال:** «**أحدها:** أن إظهار المعجزة على يدي المتنبئ الكذاب قبيح، والله ـ سبحانه ـ منزه عن القبيح.

وهذه الطريق سلكها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بالتحسين والتقبيح»[(٨)].

فهذا أهم ما عرضه من آراء المعتزلة، وعليها مدار نقده، وردّه، ومناقشته لهم.



(١) يعني به: محمد بن محمود الأصبهاني صاحب الأصبهانية التي شرحها ابن تيمية.

(٢) شرح الأصبهانية ص٥٣٧.

(٣) المرجع السابق ص٥٣٧.

(٤) يعني به: أبا الحسين البصري. انظر: درء تعارض العقل والنقل ٨/١٧.

(٥) المرجع السابق ١/٣٠٧، وانظر كلاماً نحو هذا في: الدرء ٥/٢٨٦ ـ ٢٨٧، و٨/١٧ ـ ١٨، و٩/١٣٣ ـ ١٣٤، وبيان تلبيس الجهمية ١/١٧٨.

(٦) درء تعارض العقل والنقل ١/٣٠٧.

(٧) شرح الأصبهانية ص٦٩٥.

(٨) المرجع السابق ص٦٩٥.

المطلب الثاني

مناقشته لقول المعتزلة في المعجزات

لقد ناقش **ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ المعتزلة في قولهم في معجزات الأنبياء؛ وذلك بنقد آرائهم التي يرى أنهم خالفوا فيها حقيقة المعجزات؛ فناقشهم في مفهومها عندهم، وفي جعلهم إياها دليلاً على النبوة.

وفيما يلي بيان لذلك بشيء من البسط من خلال المسألتين التاليتين:

المسألة الأولى: مناقشته لهم في مفهوم المعجزات

لقد ناقش **ابن تيمية** المعتزلة في مفهوم المعجزة، وذلك خلال مناقشته لهم في تسميتها، وحدِّها، وما يندرج تحت ذلك من مفهوم للخارق، وإنكارهم لبقية الخوارق غير المعجزات، وكون المعجزات تأتي عقيب دعوى النبوة.

وهذا ما سيتضح من خلال ما يلي:

○ **أولاً: مناقشته لهم في تسمية المعجزات**: وقد مرت الإشارة إلى ذلك في المبحث الأول من الفصل الماضي، وذلك عند الكلام على مفهوم معجزات الأنبياء عند ابن تيمية؛ **حيث قرر** رَحِمَهُ اللَّهُ أن تسمية آيات الأنبياء معجزات اصطلاحٌ كلامي معتزلي حادث، وأن هناك ألفاظاً شرعية تدلّ على هذا المصطلح، وتعبر عنه؛ فأوضح أن لفظ (المعجزات) لم يكن موجوداً في الكتاب، ولا السُّنَّة.

وإنما فيه لفظ (الآية) و(البينة) و(البرهان)[1].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس في الكتاب والسُّنَّة تعليق الحكم بهذا الوصف؛ بل ولا ذكر خرق العادة، ولا لفظ المعجز.

وإنما فيه آيات، وبراهين، وذلك يوجب اختصاصها بالأنبياء»[2].

ويقرر في موضع آخر «أن الله لم يسمها في كتابه إلا آيات وبراهين؛ فإن ذلك

---

(١) انظر: الجواب الصحيح ٥/ ٤١٢.

(٢) النبوات ١/ ٢١٥.

يدلّ على مقصودها»[١].

ويقرر ـ أيضاً ـ أن لفظ المعجز في القرآن لم يرد على ما اصطلح عليه المعتزلة من كونه الأمرَ الخارقَ للعادة، وإنما يدلّ على أنه أعجز غيره.

واستدلّ على ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الزمر].

وقوله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [العنكبوت: ٢٢].

وبيَّن أن هذا اللفظ لا يدلّ على كونه آية ودليلاً إلا إ ذا فُسِّر المراد به، وذُكر شرائطه، **وأوضح** أن كثيراً من أهل الكلام لا يسمي معجزاً إلا ما كان للأنبياء[٢].

ويقرر ـ مع ذلك ـ أنْ لا مشاحة في إطلاق لفظ المعجزة على آيات الأنبياء طالما أن هذا المصطلح قد شاع، وغلب، وجرى مجرى العرف.

ولهذا كثر استعمالُه لمصطلح (المعجزات) بكافة تصاريفه مريداً به آيات الأنبياء، فتراه يستعمل كثيراً لفظ معجزات، والمعجزات، ومعجز، والمعجزة، والمعجز ونحو ذلك[٣].

○ **ثانياً: مناقشتهم في حَدِّهم للمعجزة:** فالمعتزلة ـ كما مرَّ عند عرض قولهم في المعجزات ـ يَحُدُّون المعجزة بمجرد خرق العادة؛ فذلك ـ عندهم ـ آية صدق النبي، واختصاصه بذلك؛ فلا يجوز ـ إذاً ـ عندهم ظهورُ خارقٍ إلا لنبي[٤].

وقد ناقشهم ابن تيمية في ذلك، واعترض على هذا الحد.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض كلام له عن أن آيات الأنبياء لا تحد بحدود يدخل فيها غير آياتهم، قال: «كَحَدِّ المعتزلة وغيرهم بأنها[٥] خرق العادة، ولم يعرف مسمى هذه العبارة»[٦].

---

(١) النبوات ٢/٨٢٨ ـ ٨٢٩.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٥/٤١٨ ـ ٤١٩.

(٣) انظر: النبوات ١/١٢٩، والمعجزات والكرامات ص٩، ومنهاج السُّنَّة ٢/٢٧٣، وانظر: ٢/٥١١، و٣/٩٣، و٨/١٧٧ و٢٠٧، وانظر: مجموع الفتاوى ٢/٨٥، و٤/٢٠١ و٢٠٨، و٩/١٠٤، و١١/٣١١ و٣١٢، و١٣/ ٩٠ و٩٨، و٢٨/١٠٦ و٦١٠، والرد على المنطقيين ص٩٨، و١٨٣، و٣٩١، وجامع المسائل ٥/١٨٥، وبيان تلبيس الجهمية ١/٤٧٨، ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ٩٠ و٩٢، و١٠٤، و٥/٣٣٥، و٧/١٨٨، و٨/٢٠٨ و٣٠٢ و٣٠٧ و٤١٠، و٨/ ٥٢٢ و٥٢٩، و٩/٤١ و٤٤ و١٣٣، وغير ذلك كثير جداً.

(٤) انظر: النبوات ١/١٩٢ ـ ١٣٠، و٢١٣ ـ ٢١٤، و٤٨٤، و٥٠١ ـ ٥٠٢، و٢/٧٧٣، ومجموع الفتاوى ١٣/٩٠، وشرح الأصبهانية ٥٣٧ ـ ٥٣٨.

(٥) يعني: آيات الأنبياء.

(٦) النبوات ٢/٧٧٣.

ويعني بذلك: أنهم لم يوضحوا المراد من معنى (خرق العادة) وفي ذلك إجمال، واشتراك يحتاج إلى تفصيل، وتخصيص.

يقول رَحِمَهُ اللهُ **مبيناً وجه الغلط في إطلاق لفظ الخارق دون تقييد:** «إن كون الآية خارقةً للعادة، أو غير خارقة ـ هو وصف لم يَصِفْهُ القرآن والحديث، والسلف، وقد بيَّنا في غير هذا الموضع أن هذا وصف لا ينضبط، وهو عديم التأثير»[1].

ثم يعلل لذلك؛ فيقول: «فإن نفس النبوة معتادة للأنبياء، خارقة للعادة بالنسبة إلى غيرهم.

إن كون الشخص يخبره الله بالغيب خبراً معصوماً هذا مختص بهم[2]، وليس هو موجوداً لغيرهم، فضلاً عن كونه معتاداً»[3].

ويبيِّن ما لا بد أن تكون عليه آية النبي من خرق للعادة، فيقول: «فآية النبي لا بد أن تكون خارقة للعادة؛ بمعنى أنها ليست معتادة للآدميين؛ وذلك لأنها حينئذٍ[4] لا تكون مختصة بالنبي؛ بل مشتركة»[5].

ثم يوضح وجه اشتراطهم للخارق في ذلك؛ حيث **يقول:** «وبهذا احتجوا على أنه لا بد أن تكون[6] خارقة للعادة»[7].

ثم يبيِّن وجه الغلط في ذلك في كون الخارق مجملاً، ولا بد من إيضاحه؛ **فيقول:** «ولكن ليس في هذا ما يدلّ على أن كل خارق آية»[8].

ثم يضرب لذلك أمثلة، فيقول: «فالكهانة، والسحر هو معتادٌ للسحرة والكهان، وهو خارق بالنسبة إلى غيرهم، كما أن ما يعرفه أهل الطب، والنجوم، والفقه، والنحو هو معتاد لنظرائهم، وهو خارق بالنسبة إلى غيرهم.

ولهذا إذا أخبر الحاسب بوقت الكسوف والخسوف تَعَجَّب الناسُ؛ إذ كانوا لا يعرفون طريقه»[9].

وقال في موضع آخر من النبوات: «فصل: في معنى خرق العادة، وأن الاعتبار أن تكون[10] خارقةً لعادة غير الأنبياء مطلقاً؛ بحيث تختص بالأنبياء؛ فلا توجد إلا

---

(١) النبوات ١/ ١٦٣.
(٢) يعني: الأنبياء.
(٣) النبوات ١/ ١٦٣.
(٤) يعني: كونها معتادة للآدميين.
(٥) النبوات ١/ ١٦٤.
(٦) يعني: الآية المعجزة.
(٧) النبوات ١/ ١٦٤.
(٨) المرجع السابق ١/ ١٦٤.
(٩) المرجع السابق ١/ ١٦٤ ـ ١٦٥، وانظر: ٤٨٤ ـ ٤٨٩، و٢/ ٨٢٨ ـ ٨٢٩.
(١٠) يعني: معجزات الأنبياء.

مع الإخبار بنبوتهم»[١].

ويقول مبيِّناً وجهَ غَلَطِ مَن غَلَطَ في مسمى خرق العادة: «ومن هنا دخل الغَلَطُ على كثير من الناس[٢]؛ فإنهم لما رأوا آيات الأنبياء خارقةً للعادة لم يعتد الناس مثلها ـ أخذوا مسمى خرق العادة، ولم يميزوا بين ما يختص بالأنبياء[٣]، ومن أخبر بنبوتهم[٤]، وبين ما يوجد معتاداً لغيرهم[٥]»[٦].

والحاصل أن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ إنما يعترض على المعتزلة في إطلاقهم لفظ الخارق على آيات الأنبياء؛ لأنهم أطلقوه من غير تخصيص للأنبياء بذلك دون غيرهم؛ فهذا وجه اعتراضه.

ولهذا يقول: «فالذين سموا هذه الآيات: خوارق للعادات، وعجائب ومعجزات إذا جعلوا ذلك شرطاً فيها، وصفة لازمة لها؛ بحيث لا تكون الآيات إلا كذلك ـ فهذا صحيح، وإن كانت هذه الأمور[٧] قد تجعل أمراً عامّاً؛ فتكون متناولة لآيات الأنبياء وغيرهم كالحيوان الذي ينقسم إلى إنسان وغير إنسان»[٨].

إلى ان يقول: «وأما إذا جعلوا ذلك حدّاً لها[٩]، وضابطاً ـ فلا بد أن يقيدوا كلامهم، مثل أن يقولوا: خوارق العادات التي تختص الأنبياء[١٠] أو يقولوا: خوارق عادات الناس كلهم غير الأنبياء؛ فإن آياتهم[١١] لا بد أن تخرق عادةَ كلِّ أمةٍ من

---

(١) النبوات ٢/٨٢٦.

(٢) يعني بهم: المعتزلة، والأشاعرة؛ فهم يرون أن جنس الخوارق واحد؛ لذا **أنكر المعتزلة ما عدا المعجزات من الخوارق**، وأثبت الأشاعرة بقية الخوارق، وجعلوها والمعجزات من باب واحد.

(٣) يعني: المعجزات.

(٤) يعني: كرامات الأولياء.

(٥) يعني: ما هو معروف لدى أصحاب الصناعات والعلوم.

(٦) النبوات ٢/٨٢٨، وانظر: ٨٦٧ ـ ٨٦٩، وانظر: جامع المسائل ١/٩٥ ـ ٩٧.

(٧) يعني بذلك: الخوارق، والعجائب، وأنها قد تطلق بهذا الاعتبار على آيات الأنبياء، وكرامات الأولياء، وخوارق السحرة، والكهان، ويقصد بذلك: أن مصطلح الخارق عام شامل إلا إذا خصص.

(٨) النبوات ٢/٨٤٨.

(٩) يعني: إذا جعلوا مجرد خرق العادة حدّاً لآيات الأنبياء ـ المعجزات ـ.

(١٠) هكذا في النبوات ٢/٨٤٨ ت: الطويان، ولعل الصواب: تخص الأنبياء، أو تختص بالأنبياء، وفي تحقيق: د. محمد يسري سلامة ص٥٥٣: (تختص بالأنبياء).

(١١) يعني: الأنبياء.

الأمم، وكلُّ طائفةٍ من الطوائف؛ لا تختص آياتهم بخرق عادة بلد معين، ولا من أُرسِلوا إليه؛ بل تخرق عادة جميع الخلق غير الأنبياء»[١].

وبهذا يتبيَّن وجهُ اعتراض ابن تيمية على المعتزلة في جعلهم الخارق حدّاً للمعجزة.

○ **ثالثاً: مناقشتهم في إنكارهم الخوارق غير المعجزات:** لقد أوضح ابن تيمية خلال عرضه لقول المعتزلة في المعجزات ـ كما مرَّ ـ أن المعتزلة بعد أن حدُّوا المعجزة بكونها خارقةً للعادة، وأن العادة لا تخرق إلا لنبي ـ أنكروا بقية الخوارق من الكرامات، والسحر ونحوها؛ بناءً على ذلك[٢].

وقد مرَّ في الفقرة الماضية مناقشته لهم في حد المعجزة، ومفهوم الخارق، وبيانه وجه الغلط عندهم في ذلك.

والكلام هٰهنا متصل بالكلام في الفقرة الماضية؛ فهو إيضاح لمناقشته لهم في إنكار خوارق العادات غير المعجزات.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «النبوات»** بعد أن قرر أن آيات الأنبياء لا تكون إلا خارقة للعادة، وأنه لا يقدر أحدٌ على معارضتها، **قال:** «وما ذُكِرَ أن المعتزلة وغيرهم كابن حزم[٣] من أن آيات الأنبياء مختصة بهم كلام صحيح.

لكن كرامات الأولياء هي من دلائل النبوة، لا توجد إلا لمن اتبع النبي الصادق؛ فصار وجودها كوجود ما أَخْبَر به النبي من الغيب»[٤].

---

(١) النبوات ٢/٨٤٨.

(٢) انظر: المرجع السابق ١/٤٨٤، و٧٧٣ ـ ٧٧٤، ومجموع الفتاوى ١٣/٩٠، وشرح الأصبهانية ص٥٣٧ ـ ٥٣٨.

(٣) هو: الفقيه الحافظ، العلامة أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، فارسي الأصل، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، ونشأ في نعمة ورياسة، كان أبوه وزيراً، وتولى هو الوزارة لبعض الخلفاء، وتركها، واشتغل في أول أمره بالأدب، والمنطق، والعربية، ثم أقبل على العلم، وكان شافعياً، ثم صار ظاهرياً، وله مصنفات كثيرة في شتى الفنون؛ كالفصل، والمحلى، والدرة، والأخلاق والسير، وغيرها، توفي سنة ٤٥٦هـ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، تصحيح: عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٣/١١٤٦ ـ ١١٥٠، والبداية والنهاية ١/٦٩، و١١٠، و٢/٢٦، و٤٢٥، و٣/٣٧٥، و٣٧٦، ولسان الميزان ٥/٤٨٨ ـ ٤٩٥، وشذرات الذهب ٣/٢٩٩.

(٤) النبوات ١/٥٠١ ـ ٥٠٢.

ثم يقارن بين هذا الخارق، وخوارق السحرة والكهان، فيقول: «وأما ما يأتي به السحرة والكهان من العجائب فتلك جنس معتاد لغير الأنبياء، وأتباعهم.

بل لجنس معروفين بالكذب والفجور؛ فهو أظهر خارق بالنسبة إلى غير أهله.

وكل صناعة فهي خارقة للعادة عند غير أهلها، ولا تكون آية»[١].

وقال في موضع آخر مبيناً أصل خطأ المعتزلة والأشاعرة في مفهوم الخوارق: «وأصل خطأ الطائفتين: أنهم لم يَعْرِفوا آياتِ الأنبياء، وما خصهم الله به، ولم يَقْدُرُوا قَدْرَ النبوة، ولم يَقْدُروا آيات الأنبياء قَدْرَها.

بل جعلوا الخوارق الشيطانية من جنسها؛ فإما أن يكذبوا بوجودها[٢]، وإما أن يسووا بينهما، ويَدَّعوا فرقاً لا حقيقة له[٣]»[٤].

إلى أن قال مبيناً خطورة إنكار الخوارق لغير الأنبياء: «ولهذا يوجد كثيرٌ ممن يكذب بهذه الخوارق الشيطانية أن تكون لبعض الأشخاص؛ لما يراه من نقص دينه وعلمه؛ فإذا عاينها، أو ثبتت[٥] عنده خضع لذلك الشخص الذي كان عنده[٦]: إما كافراً، وإما ضالاً، وإما مبتدعاً جاهلاً»[٧].

ثم يبيِّن علة ذلك، فيقول: «وذلك لأنه أنكر وجودها معتقداً أنها لا توجد إلا للصالحين؛ فلما تيقن وجودَها جعلها دليلاً على الصلاح.

وهو غالط في الأصل؛ بل هذه من الشياطين؛ من جنس ما للسحرة والكهان، ومن جنس ما للكفار من المشركين وأهل الكتاب»[٨].

ثم يذكر أمثلة لذلك، فيقول: «فإن لمشركي الهند والترك، وغيرهم، ولِعُبَّاد النصارى من هذه الخوارق الشيطانية ـ أموراً كثيرةً يطول وصفها أكثر وأعظم من أكثر مما يوجد منها لأهل الضلال والبدع من المسلمين، وما يوجد منها للمنافقين»[٩].

إلى أن يقول: «فإن الشياطين لا تتمكن من إغواء المسلمين ـ وإن كان فيهم جهل وظلم ـ كما تتمكن من إغواء المشركين وأهل الكتاب»[١٠].

---

(١) النبوات ١/٥٠٢.
(٢) وهذا صنيع المعتزلة.
(٣) وهذا صنيع الأشاعرة.
(٤) النبوات ٢/١٠٤٠.
(٥) هكذا في ثبوت النبوات ص٦٥٥، ط. يسري، وفي النبوات، ط. د. الطويان: (ثبت).
(٦) يعني: عنده من الخوارق.
(٧) النبوات ٢/١٠٤١.
(٨) المرجع السابق ٢/١٠٤١.
(٩) المرجع السابق ٢/١٠٤١.
(١٠) المرجع السابق ٢/١٠٤١، وانظر: ١/٥٠٨ ـ ٥٦٠، ومنهاج السُّنَّة ٣/٢٢٦ ـ ٢٢٧، وجامع المسائل ١/٩٦ ـ ٩٩.

هذا وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة في الباب الثاني عند الكلام على موقف ابن تيمية من المخالفين في الكرامات، وفي الباب الثالث عند الكلام على الفروق بين الأحوال الشيطانية وبقية الخوارق.

المسألة الثانية: مناقشته لهم في ثبوت النبوة بالمعجزات

فالمعتزلة ـ كما مرَّ ـ يرون أن نبوة الأنبياء تثبت بالمعجزات، وأن هذا الدليل هو آية نبوتهم.

وابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يناقشهم في ذلك، فيرى أن الاستدلال بالمعجزات على صحة النبوة استدلال صحيح.

لكنه يرى أن حصر النبوة في ذلك الدليل خطأ؛ إذ فيه تضييق للواسع، وتحجير على أدلة أخرى؛ فالنبوة ـ كما يرى ـ لا تثبت بالمعجزات فحسب.

بل يرى أن المعجزات دليل واحد من أدلة كثيرة، واضحة، متنوعة.

وقد تطرق لتلك المسألة في مواضع شتى من آثاره[1]، غير أنه فصل القول في ذلك في كتابه «شرح الأصبهانية»؛ حيث ناقش تلك المسألة مناقشة طويلة هي أجمع ما ناقش فيه المعتزلة ومن وافقهم من أهل الكلام في هذه المسألة؛ لذا فإن الكلام على مناقشته لهم في المسألة سيكون من خلال ما جاء في ذلك الكتاب، مع ذكر ما يناسب المقام من كتبه الأخرى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ معلقاً على قول الأصبهاني: «والدليل على صحة نبوة الأنبياء المعجزات...»[2]:

قال: «ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح على تقرير نبوة الأنبياء.

لكنْ كثيرٌ من هؤلاء[3]؛ بل كلّ منْ بنى إيمانه عليها يظن أن لا تُعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات»[4].

ثم يبيِّن ما وقع فيه المعتزلة ومن وافقهم من الخلل بسبب اقتصارهم على إثبات

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٨/ ١٧ ـ ٢١، و٥/ ٢٨٦ ـ ٢٨٨، والجواب الصحيح ٢/ ٢١٩، ومنهاج السُّنَّة ٣/ ٩٣ ـ ٩٤، و٨/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٢) شرح الأصبهانية ص٥٣٧.

(٣) انظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة لأبي المظفر الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ص١٦٩.

(٤) شرح الأصبهانية ص٥٣٧.

النبوة من طريق المعجزات، **فيقول:** «ثم لهم في تقرير دلالة المعجزة على الصدق طرقٌ متنوعة في بعضها من التنازع والاضطراب ما سننبِّه عليه»[١].

إلى أن قال: «وللنظار طرق متعددة، منهم من لا يجعل المعجزة دليلاً، بل يجعل الدليل استواء ما يدعو إليه، وصحته، وسلامته من التناقض ـ كما يقول طائفة من النظار ـ.

ومنهم من يوجب تصديقه بدون هذا، ويجعل أدلة أخرى غير المعجزة، وهذا أصح الطرق»[٢].

إلى أن قال: «ومن لم يجعل طريقها إلا المعجز اضطر لهذه الأمور التي فيها تكذيب لحق، أو تصديق لباطل»[٣].

ثم ردَّ عليهم بإمكان معرفة النبوة بغير المعجزات، فقال: «وليس الأمر كذلك؛ بل معرفتها بغير المعجزات ممكنة؛ فإن المقصود إنما هو معرفة صدقِ مدعي النبوة، أو كذبه؛ فإنه إذا قال: (إني رسول الله) فهذا الكلام إما أن يكون صدقاً، وإما أن يكون كذباً.

وإن شئت فقل: هذا خبر فإما أن يكون مطابقاً للمُخْبَر، وإما أن يكون مخالفاً له سواء كانت مخالفته له على وجه العمد، أو الخطأ»[٤].

ثم يوضح معنى ذلك بقوله: «إذ قد يظن الرجل في نفسه أو غيره أنه رسول الله غير متعمد للكذب؛ بل خطأ وضلال، مثل كثير ممن يتمثل له الشيطان، ويقول: إني ربك، ويخاطبه بأشياء، وقد يقول له: أَحْلَلْتُ لك ما حرمت على غيرك، وأنت عبدي ورسولي، وأنت أفضل أهل الأرض، وأمثال هذه الأكاذيب؛ فإن مثل ذلك قد وقع لكثير من الناس»[٥].

ثم يصل إلى النتيجة من ذلك، فيقول: «فإذا كان مدعي الرسالة لم يكن صادقاً فلا بد أن يكون كاذباً عمداً، أو ضلالاً؛ فالتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما هو دون النبوة؛ فكيف بدعوى النبوة؟!

ومعلوم أن مدعي الرسالة إما أن يكون أفضل الخلق وأعلمهم، وإما أن يكون

---

(١) شرح الأصبهانية ص٥٣٧.
(٢) المرجع السابق ص٥٣٧ ـ ٥٣٨، وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٨/ ١٩.
(٣) شرح الأصبهانية ص٥٣٨.
(٤) المرجع السابق ص٥٣٩.
(٥) المرجع السابق ص٥٣٩.

من أنقص الخلق، وأرذلهم»[١].

ثم يمثل ذلك بشواهد واقعة، فيقول: «ولهذا قال أحد أكابر ثقيف للنبي ﷺ لما بلَّغهم الرسالة، ودعاهم إلى الإسلام: (والله لا أقول لك كلمة واحدة؛ إن كنت صادقاً فأنت أجلُّ في عيني من أن أردَّ عليك، وإن كنت كاذباً فأنت أحقر من أن أردَّ عليك)[٢].

فكيف يشتبه أفضل الخلق وأعلمهم بأنقص الخلق وأرذلهم؟!.

وما أحسن قول حسان:

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر[٣]»[٤]

ثم يزيد الأمر وضوحاً، ويؤكد على معرفة صدق مدعي النبوة من كذبه من طرق ليست طريق المعجزات فحسب، **فيقول:** «وما من أحد ادَّعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل، والكذب، والفجور، واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز.

وما من أحد ادَّعى النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم، والصدق، والبر، وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز»[٥].

ثم يعلل لذلك بقوله: «فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور، ويأمرهم بأمور، ولا بد أن يفعل أموراً.

والكذاب يَظْهَر في نفس ما يأمر به، ويخبر عنه، وما يفعله ما يبين به كَذِبُهُ من وجوه كثيرة.

والصادق يَظْهَرُ في نفس ما يأمره به، ويخبر عنه، ويفعله ـ ما يظهر به صِدْقه من وجوه كثيرة»[٦].

إلى أن قال: «بل كل شخصين ادَّعيا أمراً من الأمور: أحدهما: صادق في دعواه، والآخر: كاذب ـ فلا بد أن يَبِيْنَ صِدْقُ هذا، وكَذِبُ هذا من وجوه كثيرة؛ إذ الصدق مستلزم للبر، والكذب مستلزم للفجور»[٧].

---

(١) شرح الأصبهانية ص٥٣٩.

(٢) انظر الخبر في: البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٣) انظر: ديوان حسان، تحقيق: د. وليد عرفات، دار صادر بيروت، ١/ ٤٨٢.

(٤) شرح الأصبهانية ص٥٣٩ ـ ٥٤٠.

(٥) المرجع السابق ص٥٤٠.

(٦) المرجع السابق ص٥٤٠ ـ ٥٤١.

(٧) المرجع السابق ص٥٤١.

ثم يتطرق بعد ذلك لأحوال الكهان، والكذابين، وعمومِ مَنْ تَتَنَزَّل عليهم الشياطين، وما هم عليه من الكذب، والفجور.

ويقرر أن من عرف الرسولَ، وصدقَه، ووفاءه، ومطابقة قوله لعمله ـ علم يقيناً أنه ليس بشاعر، ولا كاهن، ولا كاذب، وأن الناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع الأدلة حتى في المدعين للصناعات والمقالات كالفلاحة، والنساجة، والكتابة، وعلم النحو، والطب، والفقه، وغير ذلك؛ فما من أحد يدعي العلم بصناعة، أو مقالة إلا والتفريق في ذلك بين الصادق والكاذب له وجوه كثيرة[1].

ثم يقول بعد ذلك: «والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف بها الرسول، وهي أشرف العلوم، وأشرف الأعمال؛ فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب، ولا يتبين صدقُ الصادق وكذب الكاذب من وجوه كثيرة لا سيما والعالَم لم يخلُ من آثار نبي من لدن آدم إلى زماننا؟!»[2].

ثم يضرب مثالاً يبيِّن من خلاله صحة ما سبق تقريره، فيقول: «فلو قدِّر أن رجلاً جاء في زمان إمكان بعث الرسل[3]، وَأَمَر بالشرك، وعبادة الأوثان، وإباحة الفواحش، والظلم، والكذب، ولم يأمر بعبادة الله، ولا باليوم الآخر؛ هل كان مثل هذا يُطَالبُ بمعجزة، أو يُشكُّ في كذبه أنه نبي؟»[4].

إلى أن يقول: «ولو قدِّر أنه أتى بما يُظن أنه معجزة لَعُلِم أنه من جنس المخاريق، أو الفتن، أو المحنة»[5].

ثم يؤكد على هذا المعنى بقوله: «ولهذا لما كان الدجال يدعي الإلٰهية لم يكن ما يأتي به دالّاً على صدقه؛ للعلم بأن دعواه ممتنعة في نفسها، وأنه كذاب»[6].

وقد قرر هذا المعنى في غير ما موضع، حيث قال في «النّبوات»: «ومن تأمل معارف الناس وجد أكثرها من هذا الضرب؛ فقد يجيء الـمُخبِر إليهم بخبر؛ فيعرف كثير منهم صدقه أو كذبه بالضرورة؛ لأمور تقترن به، وآخرون يشكّون في هذا.

ثم قد يتبين لبعضهم بأدلة، وقد لا يتبين.

وكثير من الناس يعلم صدق الـمُخْبِر بلا آية البتة؛ بل إذا أخبره خبير بحاله، أو

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص٥٤١ ـ ٥٤٣.
(٢) المرجع السابق ص٥٤٤.
(٣) يعني: قبل ختم النبوة بالنبوة المحمدية.
(٤) شرح الأصبهانية ص٥٤٤.
(٥) المرجع السابق ص٥٤٤.
(٦) المرجع السابق ص٥٤٤.

بحال ذلك الـمُخبَر به، أو بهما ـ علم بالضرورة: إما صدقه، وإما كذبه»[١].

وهكذا يواصل إيراد الحجج العقلية والنقلية التي تنقض قول المعتزلة بأن المعجزات هي الطريق الوحيد لمعرفة نبوة الأنبياء؛ فيقرر أن خبر الواحد والاثنين والثلاثة قد يقترن به من القرائن ما يحصل معه العلم الضروري، وأن القرائن وحدها قد تفيد العلم الضروري، كما يعرف الرجلُ رضاءَ الرجلِ، وغضبَه، وحبَّه، وبغضَه، وفرحه، وحزنه وغير ذلك مما في نفسه بأمور تظهر على وجهه قد لا يمكنه التعبير عنها كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠][٢].

كما يقرر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه إذا كان الكاذب إنما يأتي من جهتين: إما أن يعتمد الكذب، وإما أن يُلْبَس عليه كمن يأتيه الشيطان ـ فمن المعلوم الذي لا ريب فيه أن من الناس من يُعلم منه أن لا يتعمد الكذب؛ بل كثير ممن خَبَرَهُ الناس، وجرَّبوه من شيوخهم، ومعامليهم يعلمون منهم علماً قاطعاً أنهم لا يتعمدون الكذب، وإن كانوا يعلمون أن ذلك ممكن؛ فليس كل ما عُلِم إمكانه جُوِّز وقوعه.

كما يقرر أن الرجل قد يتغير حاله، ويصير متعمدَ الكذبِ بعد أن لم يكن كذلك، لكن إذا استحال وتغير ظهر ذلك لمن يَخْبُره، ويطَّلع على أموره[٣].

ثم يستشهد لصحة ما ذهب إليه من أن المعجزات ليست هي الدليل الوحيد لصدق الأنبياء ـ بإيمان من آمنوا بالنبي ﷺ دون أن يروا معجزة؛ حيث يضرب لذلك أربعة أمثلة، وهم: خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا والنجاشي، وورقة بن نوفل، وهرقل.

ثم يفصِّل الكلام على هذه الأمثلة الأربعة، ويبيِّن من خلالها صحة ما ذهب إليه.

وفيما يلي بيان لذلك بشيء من الإيجاز[٤].

○ المثال الأول: إيمان خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا لما كانت خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تعلم من النبي ﷺ؛ أنه الصادق البار قال لها لما جاءه الوحي: «**إني خشيت على عقلي**».

---

(١) النبوات ٢/ ٨٨٥ ـ ٨٨٦، وانظر: الجواب الصحيح ٦/ ٥١١ ـ ٥١٢.

(٢) انظر: شرح الأصبهانية ص٥٤٥. (٣) انظر: المرجع السابق ص١٦٠.

(٤) انظر: المرجع السابق ص١٦١، وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من المعتزلة في مسائل العقيدة ص٤٩٦.

فقالت: (كلا، والله لا يخزيك الله؛ إنك لتصل الرحم، وتَصْدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيفَ، وتُكْسِب المعدوم، وتعين على نوائب الحق)[(١)]»[(٢)].

ثم يعلق ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ على ذلك **فيقول**: «فهو لم يَخَفْ مِن تعمد الكذب؛ فإنه يعلم من نفسه ﷺ أنه لم يكذب.

لكن خاف في أول الأمر أن يكون قد عرض له عارضُ سوءٍ، وهو المقام الثاني[(٣)]؛ فذكرت له خديجة ما ينفي هذا، وهو ما كان مجبولاً عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وهو الصدق المستلزم للعدل، والإحسان إلى الخلق»[(٤)].

ثم يوضح ذلك بقوله: «ومن جُمِع فيه الصدق، والعدل، والإحسان ـ لم يكن ممن يخزيه الله»[(٥)].

إلى أن يقول: «وقد عُلِمَ من سُنَّة الله أن من جبله الله على الأخلاق المحمودة، ونزَّهه عن الأخلاق المذمومة ـ فإنه لا يخزيه»[(٦)].

ويضيف قائلاً: «وأيضاً فالنبوة في الآدميين هي من عهد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه كان نبيّاً، وبَنُوْهُ يعلمون نُبُوَّتَه، وأحوالَه بالاضطرار.

وقد عُلم جنسُ ما يدعو إليه الرسل، وجنسُ أحوالهم؛ فالمدعي للرسالة في زمن الإمكان إذا أتى بما ظهر به مخالفته للرسل عُلِم أنه ليس منهم.

وإذا أتى بما هو من خصائص الرسل عُلِم أنه منهم لا سيما إذا عُلِم أنه لا بد من رسول منتظر»[(٧)].

ثم يختم كلامه بقوله: «فهذا قد يبلغ بصاحبه إلى العلم الضروري بأن هذا هو الرسول المنتظر.

ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة]»[(٨)].

ويؤكد هذا المعنى في «النبوات» بقوله: «وموسى بن عمران لما جاء إلى مصر، فقال لهارون وغيره: إن الله أرسلني علموا صدقه قبل أن يُظهر لهم الآيات.

---

(١) رواه البخاري (٣ و٣٣٩٢ و٤٩٥٣ و٤٩٥٥).

(٢) شرح الأصبهانية ص٥٤٧.

(٣) يعني بالمقام الثاني: أنه قد عرض له عارض؛ إذ المقام الأول وهو تعمد الكذب.

(٤) شرح الأصبهانية ص٥٤٧ ـ ٥٤٨.

(٥) المرجع السابق ص٥٤٨.

(٦) المرجع السابق ص٥٤٨.

(٧) المرجع السابق ص٥٤٨.

(٨) المرجع السابق ص٥٤٨، وانظر: النبوات ٢/٨٨٦.

ولما قال لهارون: إن الله قد أمرك أن تؤازرني صدَّقه هارون في هذا؛ لِما يَعلم من حاله قديماً، ولِما رأى من تَغيُّر حاله الدليل على صدقه»[(١)].

وقال أيضاً في «الجواب الصحيح» مؤكداً ما سبق أن قرره من أن أكثر الناس يعلم صدق النبي بلا آية معجزة، **قال:** «وإيمان خديجة، وأبي بكر وغيرهم من السابقين الأولين كان قبل انشقاق القمر، وقبل إخباره بالغيوب، وقبل تحديه بالقرآن»[(٢)].

إلى أن قال: «فكانت ـ خديجة ـ عارفة بأحواله التي تستلزم نَفْيَ كذِبِه، وفجورِه، وتلاعبِ الشيطان به.

وأبو بكر كان من أعقل الناس وأخيرهم، وكان معظَّماً في قريش؛ لعلمه، وإحسانه، وعقله؛ فلما تبيَّن له حاله علم علماً ضرورياً أنه نبي صادق، وكان أكمل أهل الأرض يقيناً علماً وحالاً»[(٣)].

○ **المثال الثاني: استدلال النجاشي وورقة بن نوفل على نبوة محمد ﷺ:**

وقد سمى ابن تيمية ذلك الاستدلال: **المسلكَ النوعي**[(٤)].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والمسلك الأول**: النوعي: هو ما استدل به النجاشي على نبوته؛ فإنه لما استخبرهم عما يُخْبِرُ به، واستقرأهم، فقرؤوه عليه ـ قال: إن هذا والذي جاء به موسى لَيَخْرجُ من مشكاة واحدة»[(٥)].

ثم قال ابن تيمية: «وكذلك قبله ورقة بن نوفل لما أخبره النبي ﷺ بما رآه، وكان ورقة قد تنصَّر، وكان يكتب الإنجيل بالعبرانية، فقالت له خديجة: يابن عم اسمع من ابن أخيك؛ فأخبره النبي ﷺ بخبره فقال: (هذا الناموس[(٦)] الذي كان يأتي موسى، وإن قومك سيخرجونك).

فقال النبي ﷺ: «**أومخرجي هم؟**».

قال: (نعم؛ لم يأتِ أحدٌ بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك

---

(١) النبوات ٢/ ٨٨٦. (٢) الجواب الصحيح ٦/ ٥١١.

(٣) المرجع السابق ٦/ ٥١٢.

(٤) يعني به: نوع ما أنزل على النبي، وما يقوله.

(٥) شرح الأصبهانية ص٥٤٨ ـ ٥٤٩.

(٦) **الناموس**: صاحب سر الملك، قال بعضهم: هو صاحب سر الخير، **والجاسوس**: صاحب سر الشر. انظر: الروض الأنف للسهيلي ١/ ٤٠٨، وانظر: عمدة القاري ١/ ٥٣.

أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم يلبث ورقة أن توفي)[(١)]»[(٢)].

○ **المثال الثالث: ويسميه المسلك الشخصي[(٣)]:**

وقال فيه رَحِمَهُ اللَّهُ: «استدلّ به هرقل ملك الروم؛ فإن النبي ﷺ لما كتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام طلب هرقل من كان هنا من العرب، وكان أبو سفيان في طائفة من قريش في تجارة إلى غزة، فطلبهم، وسألهم عن أحوال النبي ﷺ فسأل أبا سفيان، وأمر الباقين إن كَذَبَ أن يُكَذِّبوه، فصار يجدهم موافقين له في الإخبار»[(٤)].

ثم ساق ابن تيمية الحديث بطوله[(٥)]، وعلق عليه بكلام طويل[(٦)]، ثم ختم ذلك بقوله: «قلت: فمثل هذا السؤال، والبحث أفاد العاقل اللبيب[(٧)] علماً جازماً بأن هذا هو النبي الذي ينتظره»[(٨)].

ثم قال مستدركاً على بعض من أخطأوا في فهم كلام هرقل: «وقد اعْتَرَضَ على هذا بعضُ مَنْ لم يدرك غورَ كلامه، وسؤاله كالمازري ونحوه، وقال[(٩)]: (إنه بمثل هذا لا تعلم النبوة، وإنما تعلم بالمعجزة)»[(١٠)].

ثم علَّق ابن تيمية على كلام المازري قائلاً: «وليس الأمر على ما قال؛ بل كل عاقل سليم الفطرة إذا سمع هذا السؤال، والبحث عَلِم أنه من أدل الأمور على عقل السائل، وخبرته، واستنباطه مما يتميز له هل صادق، أو كاذب، وأنه بهذه الأمور تميز أنه له ذلك»[(١١)].

وبعد أن أورد هذه الأمثلة لأناس عَرَفُوا النبوة دون أن يروا معجزة ـ شرع في ذكر مزيد من الدلائل التي يُعرف به صدق الأنبياء كإبقاء الآثار الدالة على ما فعله الله بأنبيائه والمؤمنين من الكرامة، وما فعله بمكذبيهم من العقوبة، وأن ذلك معلوم بالتواتر؛ كتواتر الطوفان، وإغراق فرعون وجنوده، وساق الآيات القرآنية في ذلك،

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٤٩٥٣)، ومسلم (١٦١)، والروض الأنف ٣٩٦/١.
(٢) شرح الأصبهانية ص٥٤٩ ـ ٥٥٠، وانظر: النبوات ٨٨٦/٢.
(٣) ويعني به: حالَ النبي ﷺ وما كان عليه من سيرة.
(٤) شرح الأصبهانية ص٥٥٠.
(٥) انظر: المرجع السابق ص٥٥٠ ـ ٥٦٠.
(٦) انظر: صحيح البخاري (٢٩٤٠)، ومسلم (١٧٧٣).
(٧) يعني: هرقل.
(٨) شرح الأصبهانية ص٥٦٠.
(٩) القائل: المازري.
(١٠) شرح الأصبهانية ص٥٦٠.
(١١) المرجع السابق ص٥٦١.

وعلَّق عليها بما يناسب المقام[١].

وبعد هذا الإيضاح، والتفصيل يعتذر قائلاً: «ولولا أن هذا الجواب إنما كان القصد به الكلام على هذه العقيدة المختصرة لكان البسط لي في هذا الموضع أولى من ذلك؛ فإن هذه المقامات تحتمل بسطاً عظيماً، لكن نبَّهنا على مقدمات نافعة؛ فإن أكثر أهل الكلام مُقَصِّرون في حجج الاستدلال على ما يجب تقريره من التوحيد والنبوة تقصيراً كثيراً جدّاً.

كما أنهم كثيراً ما يخطؤون فيما يذكرونه من المسائل»[٢].

ثم يلفت النظر إلى من لا يعرف حقيقة قول أهل الكلام في هذا الشأن، **فيقول:** «ومن لا يعرف الحقائق يظن أن ما ذكروه هو الغاية من أصول الدين، والنهاية في دلائله، ومسائله؛ فيورثه ذلك مخالفة الكتاب والسُّنَّة؛ بل وصريح العقل في مواضع، ويورثه استضعافاً لكثير من أصولهم، وشكّاً فيما ذكروه من أصول الدين، واسترابةً.

بل قد يورثه ترجيحاً لأقوال من يخالف الرسل من متفلسفة، وصابئين، ومشركين، ونحوهم، حتى يبقى في الباطن منافقاً زنديقاً، وفي الظاهر متكلماً يذب عن النبوات»[٣].

ثم يختم كلامه بأن المقصود هنا أن طرق العلم بالرسالة كثيرة جدّاً متنوعة، وأنها لا تقتصر على مجرد المعجزات، ويورد على ذلك عدداً من الطرق[٤].

ويقول في موضع آخر من «شرح الأصبهانية» مؤكداً ما ذكره آنفاً: «والتحقيق ما عليه أكثر الناس أن العلم بالنبوة يحصل بطرق متعددة: المعجزات، وغير المعجزات»[٥].

وقال في فصل عقده في «الأصبهانية»: بعد أن ذكر قول الأصبهاني: «والدليل على نبوة الأنبياء: المعجزات، والدليل على نبوة نبيّنا ﷺ: القرآن المعجز نظمه، ومعناه»[٦].

---

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص٥٦١ ـ ٥٦٩، والرسالة الصفدية ص١٩٨ ـ ١٩٩.
(٢) شرح الأصبهانية ص٥٦٩.
(٣) المرجع السابق ص٥٦٩.
(٤) انظر: المرجع السابق ص٥٧٠ ـ ٥٧٣.
(٥) المرجع السابق ص٦٣٨، وانظر: ٦٧٦ ـ ٦٩٥.
(٦) المرجع السابق ص٧١٢.

قال ابن تيمية **معقباً**: «قلت: قد تبيَّن أن النبوة تُعلم بالمعجزات، وبغيرها على أصح الأقوال.

وأما نبوة محمد ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ فإنها تعرف بطرق كثيرة»[1].

ثم ساق جملة منها؛ حيث ذكر المعجزاتِ، ومنها القرآن، وشَرَعَ في بيان معنى إعجازه بشيء من البسط، والتفريع[2].

وبهذا الفصل ينتهي كلامه في «شرح الأصبهانية» الذي دار حول مناقشته المعتزلة في مفهوم المعجزات، وفي اقتصارهم على المعجزة في إثبات صدق النبوة.

وبنهايته ينتهي هذا المبحث الذي دار حول موقف ابن تيمية من المعتزلة في معجزات الأنبياء.

ويلاحظ أن كلامه عن المعتزلة في شأن المعجزات ـ على تفصيله ـ أقل من كلامه عن الفلاسفة في هذا الشأن[3].



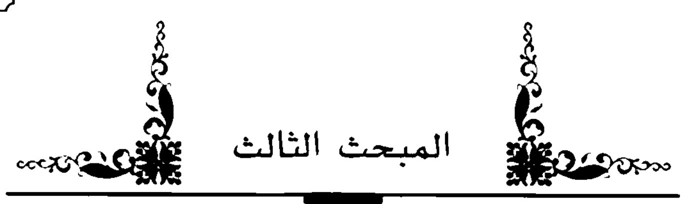
(١) شرح الأصبهانية ص٧١٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٧١٢ ـ ٧١٥، وانظر: إعجاز القرآن للباقلاني ص٤٣، و٥٠ ـ ٥١، و٦٥، وبلاغة القرآن للشيخ محمد الخضر حسين، إعداد وضبط: علي الرضا الحسيني، دار الحسينية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، ص٧ ـ ١١، وتفسير التحرير والتنوير ١/ ٦٤ ـ ٦٥، و١/ ١٢٠.

(٣) لقد قرر ابن تيمية كثيراً مما مضى من مناقشته للمعتزلة في مواضع كثيرة جدّاً من كتبه، ولم يُرِدْ بذلك الرد على أحد بعينه، وقد مر في الفصل الأول في موقفه من معجزات الأنبياء الكثير من ذلك.

كما أن كثيراً من أوجه الرد على الفلاسفة تصلح أن تكون ضمن الرد على المعتزلة.

بل إن كثيراً من أوجه الرد على المعتزلة تصلح أن تكون للرد على الأشاعرة كما في مسألة مفهوم المعجزة، وثبوت النبوة بها ـ كما سيتبين في المبحث الآتي ـ.



المبحث الثالث

موقفه من قول الأشاعرة في المعجزات

مدخل: تعريف بالأشاعرة، وقولهم في «النبوات»

الكلام على الأشاعرة يطول، وقد ألف فيهم الكتب الكثيرة، والرسائل العلمية[1] وقد سموا بذلك نسبة إلى الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله.

وفيما يلي نبذة موجزة عن الأشاعرة، وقولهم في «النبوات» وذلك من خلال ما يلي:

○ أولاً: تعريف بأبي الحسن الأشعري:

١ ـ **عصره**: عاش أبو الحسن الأشعري رحمه الله بين سنتي ٢٦٠هـ ـ ٣٢٤هـ على الأرجح، وعاش في البصرة، وبغداد.

وقد تميَّز عصره بضعف الدولة العباسية، وببعض القلاقل والأحداث كثورة الزنج، وابتداء أمر القرامطة.

كما تميَّز عصره بوجود عدد من العلماء كداود الظاهري (ت٢٧٠هـ)، وابن ماجه صاحب السنن (ت٢٧٣هـ)، وأبي بكر المروزي أحد أجلاء أصحاب أحمد (٢٧٥هـ) وغيرهم[2].

كما وجد عدد من أهل الكلام، والاعتزال، والتصوف، وغيرهم.

٢ ـ **نسبه ومولده ووفاته**: هو الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر

(١) ولعل أوسعها، وأشملها: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، وهي رسالة دكتوراه للدكتور عبد الرحمٰن المحمود.

(٢) انظر: تاريخ الطبري المسمى: تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٠/٣٣، والكامل في التاريخ لابن الأثير، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م، ٧/٢٠٥ ـ ٢٣٥، و٢٤١، و٢٤٤، و٤٠٥، والعبر ١/٣٨٧ ـ ٣٨٨، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ١/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ﷺ صاحب رسول الله ﷺ.

وقد اختلف في سنة ولادته فقيل: سنة ٢٦٠هـ، وقيل: سنة ٢٦٦هـ، وقيل: سنة ٢٧٠هـ، والأول هو الأرجح.

وكان أبو الحسن رحمه الله محلَّ ثناء العلماء؛ لما كان عليه من العلم، والفضل، والذكاء، والرد على المعتزلة والملاحدة وغيرهم(١).

٣ ـ **مؤلفاته:** لأبي الحسن الأشعري مؤلفات كثيرة، أوصلها ابن حزم إلى خمسة وخمسين مصنفاً، وقال غيره: إنها أكثر من ثمانين وثلاثمائة مصنف.

ومن أشهر مؤلفاته:

أ ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين.

ب ـ اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع.

ج ـ الإبانة عن أصول الديانة(٢).

○ ثانياً: أطواره العقديَّة:

مرَّ أبو الحسن في حياته بأطوار، **منها:** ما هو متفق عليه بين العلماء، والمترجمين له، **ومنها:** ما وقع حوله خلاف، وقد شغل الناس قديماً وحديثاً في هذا الأمر.

والملاحظ ـ كما يقول الدكتور عبد الرحمٰن المحمود ـ أن بعضاً ممن كتب عن الأشعري، وتطرق لموضوع أطواره العقدية لم يتجرد من مغالبة الهوى والميل مع الأشعري أو ضده، ومع ذلك فهناك من حاول الإنصاف في شأنه.

ومهما يك من شيء فيمكن حصر أطواره في ذلك الشأن فيما يلي:

الطور الأول: مرحلة الاعتزال: الذي أقام عليه أربعين سنة، ثم أظهر التوبة منه.

وقد تأثر بالاعتزال بسبب زوج أمه أبي علي الجبائي (٢٣٤ ـ ٣٠٣هـ)، الذي

---

(١) انظر: تاريخ مدينة السلام للخطيب البغدادي، حقَّقه وضبط نصّه وعلَّق عليه: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، ١٣/ ٢٦٠ ـ ٢٦١، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٥، والخطط المقريزية، المسمى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي، مصورة طبعة بولاق، دار صادر، بيروت، ٢/ ٣٥٩.

(٢) انظر تفصيل الكلام عليها في: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١/ ٣١١ ـ ٣٢٥.

كان من أئمة المعتزلة، وكان له آراء مبنية على أصولهم الخمسة، وإن كان قد انفرد بآراء عنهم[(١)].

الطور الثاني: رجوعه عن الاعتزال: حيث غاب في بيته، ثم خرج إلى الناس بعد صلاة الجمعة، وأعلن رجوعه أمامهم، وأنه يتبرأ من جميع أقواله السابقة.

هذا، وقد تعددت أسباب تحوله، فذكر منها رؤيا رآها بالنبي ﷺ فقال له: «عليك بسُنَّتي» فقام أبو الحسن وعارض بعدها مسائل الكلام.

ومنها: مناظرته لشيخه الجبائي حول الصلاح، والأصلح.

ومنها: حيرته وتكافؤ الأدلة عنده.

وبعضهم يربطها بعوامل خارجية، مثل محنة الإمام أحمد، ثم ما جرى بعد ذلك من انتصاره، وأفول نجم أعدائه من المعتزلة في عهد المتوكل.

ومن أسباب رجوعهِ: نشأتُه الحديثية والفقهية؛ فأبوه كان محدثاً جماعيّاً، وأوصى به إلى الساجي المحدث، ثم بعد ذلك صار يتردد على حلقة الفقيه أبي إسحاق المروزي الشافعي؛ فتأثر بذلك، خاصة وأن موقف أهل الحديث من المعتزلة معروف.

وهناك أسباب أخرى ذكرها أعداؤه؛ ليشنعوا عليه[(٢)].

الطور الثالث: بعد رجوعه: هل كان طوراً أو طورين؟ حيث اختلف العلماء والباحثون في ذلك، ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي:

١ ـ أن الأشعري تحول عن الاعتزال إلى التوسط، أو ما يسمى بمذهب الأشعري، وأن ما رجع إليه هو الحق.

٢ ـ أنه رجع إلى مذهب السلف والقول الحق ـ الذي هو مذهب الإمام أحمد ـ ولم تختلف أقواله ولا كتبه.

٣ ـ أنه رجع إلى المذهب الحق، لكنه تابع ابن كُلاب، وبقيت عليه بقايا اعتزالية.

٤ ـ أنه رجع أولاً إلى التوسط، ومتابعة ابن كلاب، ثم رجع إلى مذهب السلف رجوعاً كاملاً.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١/ ٣٢٩ ـ ٣٣٤.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة الإسلامية، هنري كوربان، ص١٨٠ ـ ١٨٢، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ١/ ٣٣٩.

٥ ـ أنه رجع إلى مذهب السلف، ثم انتقل إلى التوسط واستقر عليه.

وبعد أن ناقش الدكتور عبد الرحمٰن المحمود ـ حفظه الله ـ هذه الأقوال بتفصيل ختم كلامه بقوله: «فهذه الأدلة والمناقشات تدل على ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية من أن الأشعري ـ وإن كان في الإبانة قد قَرُبَ كثيراً من مذهب أهل السُّنَّة ـ إلا أنه قد بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كُلاب، والله أعلم»[١].

○ ثالثاً: تطور مذهب الأشاعرة:

من الأمور المسلمة لدى الأشاعرة وغيرهم أن أقوال الأشاعرة تعددت، واختلفت في مسائل عديدة من مسائل العقيدة.

وكلُّ عَلَم من أعلامهم حوت مؤلفاته، ورسائله آراءً توصَّل إليها إما باجتهاداته، أو تقليداً لأحد أسلافه، أو أعلام عصره، أو مدرسته؛ فأصبح ذا منهج مستقل.

ثم قد يرجع عن بعض أقواله في مؤلَّف، أو مؤلفات أخرى؛ فتكثر الأقوال وتتعدد المناهج[٢].

والحق ـ كما يقول الدكتور عبد الرحمٰن المحمود ـ: «أن التطور في المذهب الأشعري لم يكن في مسألة من المسائل بحيث لا يُؤبه له، ولا يُلتفت إليه؛ بل كان تطوراً في الأصول والمناهج، ويتعدى ذلك إلى مسائل عديدة في العقيدة»[٣].

○ رابعاً: قولهم في «النبوات»:

يوافق الأشاعرة ـ في الجملة ـ أهل السُّنَّة والجماعة في باب النبوات، والمعجزات الدالة عليها.

ولكنهم خالفوا أهل السُّنَّة في بعض التفاصيل؛ وذلك ناشئ عن الخلل في بابي الصفات والقدر[٤].

ويمكن إجمال ما عندهم من الخلل في باب النبوات في المسائل الثلاث التالية:

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١/٣٦٨.

(٢) انظر: المرجع السابق ١/٤٥٠، وانظر تفصيل ذلك في: الأطوار العقدية في المذهب الأشعري، د. عبد الله بن دجين السهلي، دار كنوز إشبيليا، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

(٣) المرجع السابق ١/٤٥٠.

(٤) انظر: المرجع السابق ٣/٣١.

○ المسألة الأولى: حكم النبوة عندهم:

جعل الأشاعرة حكم النبوة الجواز؛ انطلاقاً من القسمة الأشعرية الثلاثية: الواجب العقلي، المستحيل العقلي، الجائز العقلي؛ فجعلوا حكم النبوة من القسم الأخير؛ أي: الجواز.

وبهذا التأصيل ضيَّقوا على أنفسهم؛ فراراً من القول بوجوب شيء على الله، كما تقول المعتزلة الذين جعلوا النبوة من الباب الأول، وفراراً من القول باستحالة إرسال الرسل كما يدعي منكرو النبوات من ملاحدة الفلاسفة ونحوهم الذين يجعلونها من القسم الثاني.

ومن لوازم هذا التقسيم عند الأشاعرة أن كل ما هو داخل في دائرة الجواز والإمكان فهو راجع إلى محض المشيئة مجردة عن أي حكمة، أو تعليل.

ولا ريب أن كل أفعال الله ـ تعالى ـ راجعة إلى مشيئته.

ولكن تعليق المشيئة بأي أمر لا ينفي تعلق غيرها من صفاته بذلك الأمر؛ كالحكمة، والرحمة[1].

والقول بأن حكم النبوة مجرد الجواز صرح به الأشاعرة في كتبهم.

يقول الباقلاني[2] في «الإنصاف»: «مسألة في جواز إرسال الله الرسل، وبعث الأنبياء مع ذكر الدليل»[3].

---

(١) الأشاعرة عرض ونقد، د. سفر الحوالي، كتاب البيان، ١٤٣٠هـ، ص١٨٦ ـ ١٨٧.

(٢) هو: القاضي الأصولي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري ثم البغدادي، المشهور بالباقلاني، مالكي يعد من أكابر أئمة الأشاعرة، بعد أبي الحسن الأشعري، لم يعرف تاريخ ولادته، وقد توفي سنة ٤٠٣هـ، وكانت جنازته مشهودة.
وكان ثقةً إماماً بارعاً، يضرب المثل بفهمه وذكائه، له مؤلفات في الرد على الرافضة، والمعتزلة، والخوارج، والجهمية، والكرامية. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، ٤/٢٦٩ ـ ٢٧٠، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٤/١٧، و٣٥٠، وسير أعلام النبلاء ١١/١٩٠ ـ ١٩٣.
قال عنه ابن تيمية: «وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري؛ ليس فيهم مثلُه، لا قبله، ولا بعده». الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية، دراسة، وتحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، ص٥٠٩.

(٣) الإنصاف فيما يجب اعتقاده، ولا يجوز الجهل به للقاضي أبي بكر بن الباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ص٩٢.

ثم ذكر تحتها ما نصُّه: «ويجب أن يُعلم أنه يجوز لله ـ تعالى ـ إرسال الرسل، وبعث الأنبياء خلافاً لما تدَّعيه البراهمة.

والدليل عليه ـ أيضاً ـ أنه مالك الملك يفعل ما يشاء مع ما سبق من أنه ليس في إرسال الرسل استحالة، ولا خروج عن حقائق العقول؛ فدل على جواز ذلك»[١].

ويقول الآمدي: «مذهب أهل الحق أن النبوات ليست واجبة أن تكون، ولا ممتنعة أن تكون؛ بل الكون، وأن لا يكون بالنسبة إلى ذاتها، ومرجعها سيان، وهما بالنظر إليه سيان»[٢].

ويقول الجويني مستدلاً على أن حكم النبوة الجواز بأنه ليس من قسم المستحيل: «والدليل على جواز إرسال الله الرسل، وَشَرْعِ الملل أن ذلك ليس من المستحيلات التي يمتنع وقوعها لأعيانها؛ كاجتماع الضدين، وانقلاب الأجناس، ونحوهما»[٣].

وبهذا التقرير أهملوا حقيقة من عظمى الحقائق التي اقتضتها الحكمة الربانية في إرسال الرسل؛ إذ من البدهيات المسلَّمة لدى كل مؤمن أن الله ـ تعالى ـ لا يفعل شيئاً إلا لحكمة، وأن من أعظم هذه الحكمة إرسالَ الرسلِ؛ للإعذار، وإقامة الحجة.

وهذا ما صرح به قوله ـ تعالى ـ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء].

وثبت في تفسيرها أن النبي ﷺ قال: **«ليس أحد أحب إليه العذر من الله؛ من أجل ذلك أنزل الكتاب، وأرسل الرسل»**[٤].

○ المسألة الثانية: ثبوت النبوة بالمعجزة:

وهذا ما سيأتي الكلام عليه مفصلاً في المطلبين التاليين: حيث سَيُخصص المطلب الأول لبيان عرض ابن تيمية لقول الأشاعرة في المعجزات، والمطلب الثاني سيدور حول مناقشته لهم فيما أخذه عليهم في ذلك.

---

(١) الإنصاف ص٩٢ ـ ٩٣، وانظر: تمهيد الأوائل ص١٥٣ ـ ١٥٤.

(٢) غاية المرام في علم الكلام لعلي بن أبي علي الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ، ص٣١٨.

(٣) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تأليف: إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني، تحقيق: أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ص٢٦٠، وانظر إلى: الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ص١٢١ ـ ١٢٢.

(٤) أخرجه البخاري (٥٢٢٠)، ومسلم (٢٧٦٠).

○ **المسألة الثالثة: عصمة الأنبياء:**

ولهم في ذلك كلام يطول، ولكن حاصله يدور على ما يلي:

١ ـ **أنهم يربطون موضوع العصمة بموضوع المعجزة**: يقول الجويني: «فإن قيل: بينوا لنا عصمة الأنبياء، وما يجب لهم ـ قلنا: تجب عصمتهم عما يناقض مدلول المعجزة، وهذا مما نعلمه عقلاً»[١].

إلى ان يقول: «فإن قيل: هل تجب عصمتهم عن المعاصي؟ قلنا: أما الفواحش المؤذنة بالسقوط، وقلة الديانة فتجب عصمة الأنبياء عنها إجماعاً.

ولا يشهد لذلك: العقلُ، وإنما يشهد العقل لوجوب العصمة عما يناقض مدلول المعجزة»[٢].

فهو ـ إذاً ـ يربط العصمة بالمعجزة، ويجعل مسألة العصمة سمعية خاصة لا شأن للعقل بها.

ولا ريب أن ذلك خلل؛ فأي عقل لا يشهد للأنبياء ﷺ بالعصمة من الفواحش؟!

٢ ـ **قولهم في عصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر**: ينقل صاحب المواقف أن رأي الجمهور هو عصمتهم من الكبائر عمداً، وأنهم تنازعوا في وقوعها سهواً، ووقوع الصغائر عمداً[٣].

ولهذا آثر أن يستعمل كلمة (ذنب) بإجمالها، حيث قال عن حقيقة العصمة: «وهي عندنا أن لا يخلق فيهم الذنب»[٤].

ثم ذكر أدلة مذهبهم في كلام يطول ذكره، ومما قاله في ذلك أنه لو صدر منهم الذنب لَحَرُمَ اتِّباعهم، ولو أذنبوا لَرُدَّت شهادتهم، ووجب زَجْرُهم، ولكانوا أسوأ حالاً من العصاة، ولم ينالوا عهد الله، ولكانوا غير مخلصين، ولكانوا من حزب الشيطان وممن صدق عليهم إبليس ظنه[٥].

---

(١) الإرشاد ص٢٩٨. (٢) المرجع السابق ص٢٩٨.

(٣) انظر: المواقف ص٣٦٦.

(٤) المرجع السابق ص٣٦٦، وانظر: الأشاعرة عرض ونقد ص٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٥) انظر: المواقف ص٣٥٩ ـ ٣٦١، وانظر: عصمة الأنبياء للفخر الرازي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ص١٨ ـ ٢٤، وانظر: أصول الدين للفخر الرازي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص١٠٨ ـ ١٠٩.

وهذه اللوازم والإيرادات لا تخلو من شطط، وتكلف؛ إذ لو نظروا إلى هذه القضية من ناحية العقل بمفهومه الفطري الصحيح فلن يجدوا أي تعارض بين المنزلة العظيمة للأنبياء عليهم السلام وبين وقوعهم في ذنوب أو أخطاء تتعلق بها حكم عظيمة، مع الإيمان بأنهم لا يُقَرُّون عليها.

ولو لم يكن من هذه الحكم إلا إثباتُ بشريتهم، وتلقيهم عن الله لا عن أنفسهم، وإظهارُ عبوديتهم في مقام الإنابة والتوبة كما أظهروها في مقام الانقياد والتسليم.

ثم إن القواعد الشرعية تقبل الاستثناء والتخصيص دون أن يقدح ذلك فيها، بخلاف القواعد العقلية التي يكفي لإبطالها وجود جزئية واحدة لا تنطبق عليها.

ويوضح ذلك: هذا المثال: لو أن رجلاً اشتهر عنه أنه في غاية الكرم، ثم رد سائلاً في يوم من الأيام؛ فهل ذلك يقدح في كرمه؟!

ومع الفارق في التشبيه يقال للأشاعرة: كيف يُتوهم أن النبي لو أذنب ذنباً لأصبح من حزب الشيطان، وممن صدق عليهم إبليس ظنه؟! إلى آخر ما قالوه في ذلك[1].

فهذا ـ بإيجاز ـ أبرز ما وقع فيه الخلاف بينهم وبين أهل السُّنَّة والجماعة في باب النبوات.



(١) انظر: الأشاعرة عرض ونقد ص٢٠٦ ـ ٢١٣.

المطلب الأول

عرضه لقول الأشاعرة في المعجزات

المسألة الأولى: مجمل عرضه لقولهم في المعجزات

قبل الشروع في إيضاح عرض شيخ الإسلام ابن تيمية لقول الأشاعرة في المعجزات يحسن الوقوف ـ بإيجاز ـ على مفهوم المعجزات عندهم، فالأشاعرة يرون أن الدلالة على صدق الرسول لا تكون إلا بالمعجزة، والمعجز لا يكون معجزاً حتى يكون مما ينفرد الله بالقدرة عليه.

لذا؛ فهم يعرفون المعجزة بأنها: **أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي ـ الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة ـ سالم من المعارضة.**

وقد جعل المحققون منهم للمعجزة شروطاً، وهي كما يلي:

١ ـ **أن تكون قولاً، أو فعلاً، أو تركاً: فالأول**؛ كالقرآن، **والثاني**؛ كنبع الماء بين أصابع النبي ﷺ، **والثالث**؛ كعدم حرق النار لإبراهيم عليه السلام.

٢ ـ **أن تكون مما ينفرد الله ﷻ بالقدرة عليه.**

٣ ـ **أن تكون خارقة للعادة.**

٤ ـ **أن يقع ذلك على يَدِ مُدَّعي النبوة:** فيكون غير النبي ممنوعاً من إظهار ذلك.

٥ ـ **أن يقع ذلك عند تحدي النبي**، وادعائه النبوة، وأن ذلك آية له.

٦ ـ **أن تكون المعجزة موافقة للدعوى.**

٧ ـ **أن تتعذر معارضة الأمر المعجز.**

٨ ـ **ألا تكون في زمن نقض العادة:** كزمن طلوع الشمس من مغربها[1].

هذا وإن أوّل من فَصَّل القول في ذلك من الأشاعرةِ القاضي الباقلانيُّ؛ حيث

---

(١) انظر: البيان للباقلاني ص٤٥ ـ ٤٦، والإرشاد للجويني ص٢٦٠ ـ ٢٦٦، وخوارق العادات في القرآن الكريم ص٣٩ ـ ٤٠، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ٥٤٨/٢.

أفرد لذلك كتاباً مستقلاً سماه: «البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات، والحيل والكهانة والسحر والنارنجات».

ويُعد الباقلاني رأس الذين اتبعوه؛ كالقاضي أبي يعلي(١)، والجويني(٢)، والرازي(٣)، والآمدي(٤) وغيرهم(٥).

فكتاب «البيان» هو العمدة في هذا الباب عند الأشاعرة.

وهذا الكتاب هو السبب الأبرز لتأليف شيخ الإسلام ابن تيمية لكتابه العظيم «النّبوات» فسبب تأليفه له أمران: **عام وخاص.**

أما الأمر العام: فهو إبراز معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في الفرق بين النبي والمتنبئ، ومعرفة طرق إثبات النبوة، والفروق بين خوارق العادات، والرد على المخالفين في النبوات.

---

(١) هو: أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد الفراء (٣٨٠ ـ ٤٥٨هـ)، من كبار أئمة الحنابلة، من أهل بغداد، له تصانيف كثيرة، منها: «المفردات في أصول الفقه»، و«المجرد في فضل الإمام أحمد»، و«طبقات الحنابلة». انظر: مجموع الفتاوى ٤/١٦٦، ٦/ ٥٤، و١٢/٨٣، والعبر ٣/٢٤٣ ـ ٢٤٤، والوافي بالوفيات ٣/٧ ـ ٨.

(٢) هو: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي، المكنى بأبي المعالي، والملقب بإمام الحرمين (٤١٩ ـ ٤٧٨هـ)، ولد في جوين في نيسابور، ورحل إلى بغداد، ثم مكة، ثم المدينة، ثم عاد إلى نيسابور، ومات فيها، وهو أحد أئمة الشافعية والأشاعرة. انظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الشعري لابن عساكر، ط. القدسي، دمشق ١٣٤٧هـ، ص٣٧٨ ـ ٣٨٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي، ط١، الحلبي ٥/ ١٦٥ ـ ٢٢٢، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٤/ ١٧ ـ ١٨.

(٣) هو: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري المعروف بفخر الرازي، والفخر الرازي، وابن الخطيب، وابن خطيب الري، ولد في الري سنة ٥٤٤هـ، وقيل: ٥٤٣هـ، وتوفي في هراة سنة ٦٠٦هـ، شافعي من كبار متأخري الأشاعرة، صنف كتباً مشهورة كتفسيره «مفاتيح الغيب» وله مؤلفات في علم الكلام، وكان واعظاً، بارعاً بالعربية والفارسية. انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٨١ ـ ٩٦، وميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، وشركاه، ط١، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م، ٣/ ٣٤٠.

(٤) هو: أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي، الملقب بسيف الدين الآمدي (٥٥١ ـ ٦٣١هـ)، ولد بآمد، وتعلم في بغداد، والشام، واشتهر في القاهرة، وتوفي في دمشق. كان حنبلياً ثم صار شافعياً، ويعد من كبار علماء الأشاعرة، له نحو من عشرين مؤلفاً. انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٨/٣٠٦ ـ ٣٠٨، وشذرات الذهب ٥/ ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٥) انظر: النبوات ٢/٨٠١، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/ ١٣٧٠.

وأما الأمر الخاص الذي أَلَّف لأجله ابن تيمية كتاب «النّبوات» فهو: مناقشة الأشاعرة في باب النبوات على نحو تفصيلي مستفيض.

وذلك من خلال مناقشته لشيخهم الباقلاني في كتابه «البيان» الذي يُعد عمدتهم في باب النبوات[١].

ولقد كان من منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في ردوده ومناقشاته أن يأتي بكلام المخالف إما **بنصه** أو **بمعناه**، فيعرضه دون إخلال بالمعنى الذي أراده مَنْ تكلم به، ثم يُعْقِبُ ذلك بالمناقشة، والتحليل، والمقارنة، والرد، والنقض، ونحو ذلك.

وهو في ذلك: تارة **يوجز**، وتارة **يفصِّل**، وتارة **يستطرد** بحسب ما يستدعيه المقام.

هذا، وإن عرضه لقول الأشاعرة في باب المعجزات، ومناقشتهم في ذلك ـ من هذا القبيل؛ حيث عرض أقوالهم في ذلك الباب، وناقشها في مواضع كثيرة من كتبه.

وأبرز ذلك وأوضحه، وأشمله ـ ما كان في كتاب النبوات؛ لذا فإن بيان عرضه، ومناقشته لقولهم ذلك سيكون ـ من حيث الأصل ـ من خلال كتاب النبوات، دون إغفال لما يورده في ذلك الشأن من خلال كتبه الأخرى.

ولا يعني ذلك بالضرورة أنه شامل لجميع آرائهم في باب المعجزات، وإنما هو في مآخذه عليهم في ذلك الباب.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن ذلك العرض متداخل في كثير من المواضع؛ حيث يعرض لرأي أو أكثر في موضع واحد[٢].

وقد يذكر رأياً دون أن يلحق به رأياً غيره، وقد يورد الرأي في أكثر من موضع.

هذا، وقد عرض ابن تيمية قول الأشاعرة في المعجزات **بإجمال وتفصيل**، وذلك العرض يتضمن عدداً من آرائهم التي يخالفهم فيها.

وفيما يلي بيان لعرضه المجمل لآرائهم التي ناقشهم بها في ذلك الشأن:

١ ـ حدُّهم المعجزة بوجود الخارق، ومفهوم الخارق عندهم.

٢ ـ كونهم لم يفرقوا بين المعجزة والسحر إلا بالتحدي، وعدم المعارضة، وكون المعجزة قد تجيء على يد مدعي النبوة.

---

(١) انظر: النبوات ١/٩٧ ـ ١٠٠، ١٥٢، و٢/٦٤٣ ـ ٦٤٥، ٧٠٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ١/١٠٢ ـ ١٠٨.

٣ ـ أن كل ما يُخْرق لنبي يمكن أن يخرق للأولياء والكهان، والسحرة[١].

٤ ـ حصرهم دلائل النبوة بالمعجزات التي هي خوارق[٢].

٥ ـ قول بعضهم: إن المعجزة تدل على صدق النبي؛ لئلا يفضيَ ذلك إلى تعجيز الرب؛ لأنه لا دليل على الصدق إلا خلق المعجز.

وقول بعضهم: إن العلم بصدق المعجزة يحصل ضرورة[٣].

٦ ـ جعلهم من شروط المعجزة أن تكون مما ينفرد الرب بالقدرة عليه مع قولهم: كل ما في الوجود فهو مقدور لله، فجعلوا قدرة العبد في ذلك غير مؤثرة[٤].

فهذه ـ **بإجمال** ـ أهم الآراء التي عرضها ابن تيمية مبيِّناً من خلالها قول الأشاعرة في المعجزات.

وسيأتي في الفقرة التالية بيان ذلك بشيء من التفصيل.

المسألة الثانية: تفصيل عرضه لقولهم في المعجزات

مرَّ في الفقرة الماضية مجمل عرض ابن تيمية لقول الأشاعرة في المعجزات، وفيما يلي بيان لِعرضِه قولَهم على نحو مفصل من خلال إيراد أقواله في ذلك:

○ أولاً: عرضه لحد المعجزة عندهم:

قال في فصل عقده مبيِّناً غَلَطَ بعضِ مَنْ حَدُّوا المعجزاتِ بحدودٍ غيرِ صحيحة: «فآيات الأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ لا تحد بحدود يدخل فيها غير آياتهم»[٥].

ثم ذكر حد المعتزلة للمعجزة، فقال: «كحدِّ بعضهم ـ كالمعتزلة وغيرهم ـ بأنها[٦] خرق العادة، ولم يَعْرِفْ مسمى هذه العبارة.

---

(١) انظر: النبوات ١/ ١٣٣ ـ ١٣٥، و٢/ ٧٩٣، وانظر: منهاج السُّنَّة ٣/ ٩٣ ـ ٩٥، والجواب الصحيح ٦/ ٣٩٣ ـ ٤٠٨، ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ٨٩، و٩/ ٥٢ ـ ٥٣، و٩٦، وشرح الأصبهانية ص٦٣٨ ـ ٦٣٩، و٧٠٢، و٧٠٨ ـ ٧١٢، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/ ١٣٧٩.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٤٠.

(٣) انظر: منهاج السُّنَّة ٣/ ٩٤، والجواب الصحيح ٦/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨، ومجموع الفتاوى ١١/ ٣٧٧ ـ ٣٨٠، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ٢/ ٥٤٧ ـ ٥٤٩، و٣/ ١٣٧٨ ـ ١٣٨٣.

(٤) انظر: النبوات ٢/ ١٠٤٠، و١٠٦٤ ـ ١٠٦٥.

(٥) المرجع السابق ٢/ ٧٧٣.

(٦) أي: معجزات الأنبياء.

بل ظن أن خوارق السحرة والكهان، والصالحين خرق للعادة؛ فكذَّبها[١]»[٢].

ثم ذكر حد الأشاعرة للمعجزة فقال: «وحدّ بعضهم[٣] بأنها[٤]: الخارق للعادة إذا لم يعارضه أحد.

وجعل[٥] هذا فصلاً احترز به عن تلك الأمور، **فقال:** المعجزة: هي الخارق للعادة المقرون بالتحدي بالمثل مع عدم المعارضة.

وجوَّزوا أن يأتي غير الأنبياء بمثل ما أتوا به[٦] سواء مع المعارضة وجعل ما يأتي به الساحر والكاهن ـ معجزات مع عدم[٧] المعارضة»[٨].

ويقول ابن تيمية معلقاً وموضحاً: «وحقيقة المعجز هذا[٩] ما لم يُعَارَض، ولا حاجة إلى كونه خارقاً للعادة؛ بل الأمور المعتادة إذا لم تعارض كانت آية»[١٠].

يعني: بناءً على حد الأشاعرة.

ثم يبيِّن بطلان ذلك ـ على نحو ما سيأتي ـ عند مناقشته لهم.

وقال في موضع آخر مبيِّناً تعريفهم للمعجزة، وشروطها: «قالوا: هي الفعل الخارق للعادة، المقترن بدعوى النبوة، والاستدلال به، وتحدي النبي من دعاهم أن يأتوا بمثله.

وشرط بعضهم أن يكون مما ينفرد الرب بالقدرة عليه[١١]»[١٢].

ثم قال: «وهذه الأربعة هي التي شَرَط القاضي أبو بكر[١٣]، ومن سلك مسلكه كابن اللبان، وابن شاذان، والقاضي أبي يعلى، وغيرهم: أن يكون مما ينفرد الرب بالقدرة عليه ـ على أحد القولين ـ أو منه، ومن الجنس الآخر إذا وقع على وجه يخرق العادة، وطريق متعذر على غيرهم مثله ـ على الوجه الآخر ـ.

---

(١) أي: كذَّب الخوارق الأخرى ـ خوارق السحرة، والكهان، والصالحين ـ.

(٢) النبوات ٢/ ٧٧٣ ـ ٧٧٤، وقد مر الكلام على مناقشته لحد المعتزلة في المطلب الماضي.

(٣) يعني: الأشاعرة.

(٤) أي: معجزات الأنبياء.

(٥) أي: الباقلاني.

(٦) يعني: الأنبياء.

(٧) كأن في الكلام سقطاً، ولو كان: (أو مع عدم المعارضة) لربما استقام المعنى.

(٨) النبوات ٢/ ٧٧٤.

(٩) يعني: على حد قول الأشاعرة.

(١٠) النبوات ٢/ ٧٧٤.

(١١) انظر: البيان للباقلاني ص٩٤، و٩٦، وأصول الدين للبغدادي، طبعة مصورة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ص١٧٠ ـ ١٧١، والفرق بين الفرق ص٣٤٤، والمواقف للإيجي ص٣٣٩ ـ ٣٤٠، وانظر: الجواب الصحيح ٦/ ٤٩٧.

(١٢) النبوات ١/ ٦٠٠.

(١٣) يعني: الباقلاني؛ انظر: البيان ص٤٥.

قالوا: وهذا لفظ القاضي أبي بكر»[١].

وهذا هو **الشرط الأول** عندهم ـ كما يعرضه ابن تيمية ـ.

ثم ذكر **بقية الشروط** عندهم **فقال**: «**الثاني**: أن يكون ذلك الشيء الذي يظهر على أيديهم مما يخرق العادة، وينقضها، ومتى لم يكن كذلك لم يكن معجزاً.

والثالث: أن يكون غير النبي ممنوعاً من إظهار ذلك على يده على الوجه الذي أظهره عليه، ودعا إلى معارضته مع كونه خارقاً للعادة.

والرابع: أن يكون واقعاً مفعولاً عند تحدي الرسول بمثله، وادعائه آيةً لنبوته، وتقريعه بالمعجز عنه من خالفه، وكذّبه»[٢].

ثم قال: «قالوا: فهذه الشرائط والأوصاف التي تختص بها المعجزات»[٣].

ثم شرع في بيان الرد عليهم، ومناقشتهم في ذلك.

○ ثانياً: عرضه لقولهم في دليل النبوة:

قال في «النّبوات» في فصل (آيات الأنبياء وبراهينهم) مبيِّناً اضطراب المتكلمين في دليل النبوة: «وهنا اضطرب الناس؛ فقيل: دليلها جنس يختص بها، وهو الخارق للعادة؛ فلا يجوز وجوده لغير نبي؛ لا ساحر، ولا كاهن، ولا ولي ـ كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة[٤] وغيرهم ـ»[٥].

ثم قال مبيِّناً قول الأشاعرة في تلك المسألة: «وقيل: بل الدليل هو الخارق للعادة بشرط الاحتجاج على النبوة، والتحدي بمثله.

وهذا مُنْتَفٍ في السحر، والكرامة ـ كما يقول ذلك من يقوله من متكلمي أهل الإثبات[٦]؛ كالقاضيين: أبي بكر[٧]، وأبي يعلى، وغيرهما ـ.

وقد بسط القاضي أبو بكر الكلام في ذلك في كتابه المصنف في الفرق بين المعجزات، والكرامات، والحيل، والكهانات، والسحر والنيرنجيات»[٨].

---

(١) النبوات ١/ ٦٠٠. (٢) المرجع السابق ١/ ٦٠١.

(٣) المرجع السابق ١/ ٦٠١، وانظر: البيان ص٤٥ ـ ٤٦.

(٤) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ١٥/ ١٨٩.

(٥) النبوات ١/ ٢١٣ ـ ٢١٤.

(٦) يعني: الأشاعرة، وانظر قولهم هذا في: أصول الدين للبغدادي ص١٧٥، و١٨٥، والفرق بين الفرق ص٣٤٤، والإرشاد للجويني ص٢٦٠ ـ ٢٦٦.

(٧) يعني: الباقلاني، وانظر قوله في: البيان ص١٩ ـ ٢٠، و٤٦ ـ ٤٩.

(٨) النبوات ١/ ٢١٤.

إلى أن قال مبيناً موافقة الأشاعرة للمعتزلة في ذلك: «وهؤلاء وهؤلاء[١] جعلوا مجرد كونه خارقاً للعادة هو الوصف المعتبر»[٢].

أي: الوصف المعتبر للمعجزة الدالة على النبوة.

○ ثالثاً: عرضه لاشتراطهم في المعجزة ألا يقدر عليها إلا الله:

قال في الفصل الماضي مبيِّناً شرط المعجزة عند الأشاعرة: «وأيضاً فقالوا في شرطها: أن لا يقدر عليه إلا الله، لا تكون مقدورة للملائكة، ولا للجن، ولا للإنس، بأن يكون جنسها مما لا يقدر عليها إلا الله كإحياء الموتى، وقلب العصا حية»[٣].

إلى أن قال مبيِّناً قولهم من أفعال العباد إذا كانت خارقة للعادة: «وإذا كانت من أفعال العباد لكنها خارقة للعادة، مثل: حمل الجبال، والقفز من المشرق إلى المغرب، والكلام المخلوق الذي يقدر على مثله البشر ـ ففيه لهم قولان:

أحدهما: أن ذلك يصح أن يكون معجزة.

والثاني: أن المعجزة إنما هي إقدار المخلوق على ذلك بأن يخلق فيه قدرة خارجة عن قدرته المعتادة.

وهذا اختيار القاضي أبي بكر[٤]، ومن تبعه كالقاضي أبي يعلى»[٥].

ويواصل عرض قولهم في هذه المسألة فيقول: «هذا احتجاج من يقول: القدرة مع الفعل، والقدرة لا تصلح للضدين كالأشعرية؛ فيقول: لا يخلو من القدرة؛ أو المعجزة؛ **فهذه مقدمة.**

والمقدمة الثانية: ونحن لا نحسُّ من أنفسنا عجزاً عن إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، ونحو هذه الأمور، لكنا غير قادرين عليها»[٦].

إلى أن يقول: «وهؤلاء يقولون: لا يكون الشيء عاجزاً إلا عما يصح أن يكون قادراً عليه بخلاف ما لا يصح أن يكون قادراً عليه؛ فلا يصح أن يكون عاجزاً عنه.

---

(١) يعني بهم: المعتزلة والأشاعرة.

(٢) النبوات ١/٢١٥، وقال في مجموع الفتاوى ١٣/٩٠: «وقد ضاهوا ـ يعني: الأشاعرة ـ سلفهم من المعتزلة الذين قالوا: إن المعجزة خرق العادة».

(٣) النبوات ١/٢١٦.

(٤) يعني: الباقلاني. انظر: كتابه: البيان ص١٤ ـ ١٥، و٢٠ ـ ٢٣، و٣٤.

(٥) النبوات ١/٢١٦. (٦) المرجع السابق ١/٢١٨.

ولهذا قال: لا ينبغي أن تسمى هذه معجزات؛ لأن ذلك يقتضي أن الله أعجز العباد عنها.

وإنما يعجز العباد عما يصح قدرتهم عليه؛ هذا كلام القاضي أبي بكر ومن وافقه»[١].

وقال ابن تيمية في آخر الفصل: «وزعم القاضي أبو بكر أن ما يُستدلّ به على أن المعجزات يمتنع دخولها تحت قدرة العباد لا يصحُّ على أصول القدرية.

وبَسَط القول في ذلك بكلام يصح بعضه دون بعض كعادته[٢] في أمثال ذلك»[٣].

إلى أن قال: «ثم جعل[٤] هذا الفرق هو الفرق بين المعجزات وبين السحر والحيل، فقال: (وأما على قولنا: إن المعجز لا يكون إلا من مقدورات القديم، ومما يستحيل دخوله، ودخول مثله تحت قدرة العباد؛ فإذا كان كذلك استحال أن يفعل أحدٌ من الخلق شيئاً من معجزات الرسل، أو ما هو من جنسها؛ لأن المحال إنما يحتال ويفعل ما يصح دخوله تحت قدرته دون ما يستحيل كونه مقدوراً له)[٥].

قال: (وأما القائلون بأنه يجوز أن يكون معجزات الرسل ما يدخل جنسه تحت قُدَر العباد، وإن لم يقدروا على كثيره، وما يخرق العادة منه ـ فإنهم يقولون: قد علمنا أنه لا حيلة، ولا شيء من السحر يمكن أن يتوصل به الساحر، والمشعبذ[٦]

---

(١) النبوات ١/٢١٨، وانظر: البيان للباقلاني ص٢ ـ ١٢.

(٢) يعني: كعادته في الاضطراب في مثل هذه المسائل، ويقصد أن في كلام الباقلاني إجمالاً يحتاج إلى تفصيل، كما قال ـ أي: ابن تيمية ـ في موضع آخر في معرض رده على الأشاعرة: «وإذا قال القائل: آيات الأنبياء لا يقدر عليها إلا الله، أو أن الله يخترعها، ويبتدؤها بقدرته، أو أنها من فعل الفاعل المختار، ونحو ذلك ـ قيل: **هذا كلام مجمل...**». النبوات ٢/١٠٦٤، ويقصد بالقائلِ: الباقلاني، والكلام الماضي حَاصِلُ كلام الباقلاني. انظر: البيان ص٨ ـ ١٠، و١٤، و١٩، و٥٧.

وبعد أن أورد ابن تيمية ذلك شرع في بيان ما فيه من خلل، وخطل، وإجمال ـ كما سيأتي بيان ذلك ـ.

(٣) النبوات ١/٢٢٠.

(٤) أي: الباقلاني.

(٥) انظر كلام الباقلاني في: البيان ص٧٢ ـ ٧٣.

(٦) المشعبذ: هو المشعوذ، والشعبذة والشعوذة: هي اللعب بخفة؛ بحيث يَرى الأنسانُ منه الشيء بغير ما عليه أصله رأي العين؛ أي: يرى ما ليس بحقيقة. انظر: لسان العرب ٣/٤٩٥، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، تصحيح: مصطفى السقا، مطبعة البابي الحلبي ١/٣٣٧.

إلى فعل الصعود في السماء، والطَّفر[١] من المشرق إلى المغرب، وقفز الفراسخ الكثيرة، والمشي على الماء، وحمل الجبال الراسيات.

هذا أمر لا يتم بحيلة محتال، ولا سحر ساحر)[٢].

وتكلم على إبطال قول من قال: إن السحر لا يكون إلا تخييلاً لا حقيقة له، وذكر أقوال العلماء، والآثار بأن الساحر يقتل بسحره، وقول: إنه يقتل حدّاً عند أكثرهم، وقصاصاً عند بعضهم»[٣].

○ رابعاً: عرضه لقولهم في التفريق بين المعجز، والسحر:

قال في «النّبوات» في معرض بيانه لقول الباقلاني في ذلك: «ثم قال[٤]: (باب القول في الفصل بين المعجز والسحر)[٥]»[٦].

ويعلق ابن تيمية على هذا العنوان بقوله: «وهو[٧] لم يفرق بين الجنسين، بل يُجَوِّز أن يكون ما هو معجزة للرسول يظهر على يد الساحر، لكن قال: الفرق: هو (تحدي الرسول بالإتيان بمثله، وتقريع مخالفه بتعذر مثله عليه؛ فمتى وجد الذي ينفرد بالقدرة عليه من غير تحدٍّ منه، واحتجاج لنبوته بظهوره لم يكن معجزاً.

وإن كان كذلك خرج السحر من أن يكون معجزاً، ومشبهاً لآيات الأنبياء، وكان ما يظهر عند فعل الساحر من جنس بعض معجزات الرسل، وما يفعله الله عند تحديهم به.

غير أن الساحر إذا احتج بالسحر، وادعى به النبوة أبطله الله بوجهين)[٨]»[٩].

---

(١) **الطفر**: الوثب في ارتفاع. انظر: القاموس المحيط للفيروزأبادي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ، ص٥٥٣.

(٢) انظر: البيان ص٧٣.

(٣) النبوات ١/ ٢٢٠ ـ ٢٢٢، وانظر في تفصيل حكم الساحر إلى: فتح الباري ١٠/ ٢٤٤، وحاشية ابن عابدين ـ حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، ط٢، ١٣٨٦هـ، مصطفى البابي الحلبي، وشرح منتهى الإرادات لمنصور البهوتي، عالم الكتب، بيروت، ٣/ ٣٩٤، والخرشي على مختصر سيدي خليل، دار صادر، بيروت، ٨/ ٦٣، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، طبع على نفقة الأمير أحمد بن عبد العزيز، ١٤٠٣هـ، ٤/ ٤٦٠ ـ ٤٦٢.

(٤) أي: الباقلاني.

(٥) انظر: البيان ص٩٣.

(٦) النبوات ١/ ٢٢٥.

(٧) أي: الباقلاني.

(٨) انظر: البيان ص٩٣ ـ ٩٤.

(٩) النبوات ١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

ثم يعرض ابن تيمية ـ بإيجاز ـ هذين الوجهين اللذين ذكرهما الباقلاني، **فيقول**: «**أحدهما**: أنه ينسيه عمل السحر، أو لا يفعل عند سحره شيئاً في المسحور من موتٍ، أو سقمٍ، أو بُغضٍ، ولم يخلق فيه الصعود إلى جهة العلو، والقدرة على الدخول في بقرة؛ فإذا منعه هذه الأسباب بطل السحر[١].

والثاني: أن الساحر تمكن معارضته؛ فإن أبواب السحر معلومة عند السحرة؛ فإذا تحدى ساحر بشيء يفعل عند سحره لم يلبث أن يجد خلقاً من السحرة يفعلون مثل فعله، ويعارضونه بأدق وأبلغ مما أورده)[٢]»[٣].

وبعد أن أورد قول الباقلاني في شأن الساحر أورد قوله في الرسول إذا أظهر معجزاً؛ فذكر أن الباقلاني قال: «والرسول إذا ظهر عليه مثل ذلك[٤]، وادَّعاه آية له قال لهم: هذا آيتي وحجتي، ودليل ذلك أنكم لا تقدرون على مثله، ولا يفعله الله في وقتي هذا، ومع تحدِّيَّ، ومطالبتي بمثله عند سحر ساحر، وفعل كاهن.

وقد كان يظهر من سحركم وكهانكم، وهي آية لا تظهر اليوم على أحد من الخلق وإن دق سحره، وعَظُمَ في الكهانة عِلْمُه؛ فإذا ظهر عليه، وامتنع ظهور مثله على يد ساحر أو كاهن مع أنه يظهر من قبل ـ صار هذا **خرقاً لعادة البشر، وعادة السحرة والكهنة خاصة**»[٥].

إلى أن قال ابن تيمية: «قال[٦]: (ولم يبعد أن يقال: هذه الآية أعظم من غيرها، وأن لها فَضْلَ مزية)[٧].

ذكر هذا بعد أن قال[٨]: (فإن قال قائل: فإذا أجزتم أن يكون من عمل السحر ما يفعل الله عنده سقم الصحيح وموته، ويفعل عنده بغض المحب، وحب المبغض، وبغض الوطن، والرد إليه من السفر، وضيق الصدر، والعجز عن الوطء بالربط والشد الذي يعمله السحرة، والصعود من جهة العلو على خيط، أو بعض الآلة ـ فما الفصل بين هذا وبين معجزات الرسل؟ وكيف ينفصل ـ مع ذلك ـ المعجزاتُ من السحر؟ ويمكن الفرق بين النبي والساحر؟ أوليس لو قال نبي مبعوث: إني أصعد على هذا

(١) انظر: البيان ص٩٤ ـ ٩٥.
(٢) انظر: المرجع السابق ص٩٥.
(٣) النبوات ١/٢٢٦.
(٤) يعني: إذا ظهر عليه خارق من الخوارق.
(٥) النبوات ١/٢٢٦ ـ ٢٢٧، وانظر: البيان ص٩٥ ـ ٩٦.
(٦) القائل: الباقلاني.
(٧) البيان ص٩٦.
(٨) أي: الباقلاني.

الخيط نحو السماء، وأدخل في جوف هذه البقرة، وإني أفعل فعلاً أفرق به بين المرء وزوجه، أو أفعل فعلاً أقتل به هذا الحي، وأسقم به هذا الصحيح - فهل يكون ذلك لو ظهر على يديه آيةً ودليلاً على صدقه؟ فما الفصل - إذاً - بين السحر والمعجز)»[١].

قال ابن تيمية موضحاً جواب الباقلاني عن السؤال الماضي: «ثم قال[٢] في «الجواب»: (يقال به: جواب هذا قريب، وذلك أنا قد بيّنا في صدر هذا الكتاب أن من حق المعجز أن لا يكون معجزاً حتى يكون واقعاً من فعل على وجه خرق عادة البشر، مع تحدي الرسول بالإتيان...) إلى آخر ما كتب»[٣].

قال ابن تيمية بعد ذلك العرض معلقاً: «قلت: هذا عمدة القوم[٤] ولهذا طعن الناس في طريقهم، وشنع عليهم ابن حزم[٥]، وغيره.

وذلك أن هذا الكلام مستدرك من وجوه»[٦].

ثم شرع في ذكر تلك الوجوه، وسيأتي بيان ذلك عند الكلام على مناقشته لهم في ذلك.

○ خامساً: عرضه لتفصيل رأي الباقلاني في تسمية المعجزات خرق عادة:

حيث عقد ابن تيمية في «النبوات» فصلاً **قال فيه:** «فصل: والله - تعالى - سماها[٧] آيات وبراهين...»[٨].

ثم ساق بعد ذلك أقوال الناس في تسمية المعجزات خرق عادة، فذكر قول من قال: إن كلَّ خرقٍ هو معجزة للنبي فهو خرق عادة، وقول من قال: إن خرق العادة شرط فيها، وليس بحدٍّ لها، وقول من قال: إن كونها خارقةً للعادة ليس بحدٍّ ولا شرط[٩].

ثم عرض رأي الباقلاني في ذلك، فقال: «قال القاضي أبو بكر في مناظرته في الكرامات: (ويقال لهم - أيضاً -: إنّ من الناس من لا يشترط في الآية المعجزة أن تكون خارقة للعادة، ويقول: إنّما تكون آية إذا كانت من فعل الله مع التحدي بمثلها،

---

(١) النبوات ١/ ٢٢٧ - ٢٢٨، وانظر: البيان ص٩٣ - ٩٤.

(٢) القائل: الباقلاني.

(٣) النبوات ١/ ٢٢٨، وانظر: البيان ص٩٤.

(٤) يعني: الأشاعرة ومن تبعهم.

(٥) انظر: الفصل لابن حزم ٥/ ٢ - ٩.

(٦) النبوات ١/ ٢٢٨، وانظر: ١/ ٢٣٤ - ٢٤٤، وسيأتي مزيد عرض له لذلك عند مناقشته لهم.

(٧) يعني: المعجزات.

(٨) النبوات ٢/ ٧٨٥.

(٩) انظر: المرجع السابق ٢/ ٧٨٥ - ٧٨٦.

ودعوى النبوة؛ فدلالتها على وجه لا يمكن أن يشترك في ادّعائه الصادق والكاذب؛ فإذا ظهرت على هذا الوجه كانت آية لمن فُعِلت على يده.

قال المجيبون بهذا[1]: ولهذا لم تكن أشراط الساعة آيةً لأحد، وإن خَرَقَت العادة؛ إذ لم يكن معها دعوى نبوة، ولأنّ موتَ زيد عند قول الرسول: آيتي أن يميت الله زيداً عند دعائي موته؛ فإذا مات عند دعوته صار ذلك آية له ـ وإن كان فعل الموت في الإنسان وغيره من الحيوان معتاداً ـ)»[2].

ويواصل ابن تيمية عرض رأي الباقلاني، فيقول: «قال: (أو إن قالوا: لو كان كذلك لكان من قال: آيتي أن تطلع الشمس وتغرب، ويأتي الليل، والنهار، والضياء، والظلام، وفَعَلَ ذلك مع دعواه الرسالة ـ كان آية له، وإن لم يكن المفعول من ذلك خارقاً للعادة؛ فلمّا لم يكن كذلك ـ وإن كان واقعاً من فعل الله مع دعوى النبوة؛ لكونه غير خارق للعادة ـ بطل ما قلتموه.

يقال لهم: قد أجبنا عن هذا حين قلنا: ويكون الواقع من فعل الله مع دعوى النبوة مما لا يشترك فيه الصادق والكاذب، ويستوي مع ظهوره دعوى المحق والمبطل، وطلوع الشمس وغروبها.

ولو قال النبي: آيتي أن يظلّنا السحاب الساعة، وتزلزل الأرض، وتحدث الأمطار بدعوى، فَحَدَثَ ذلك لكان آيةً له وإن كان مثل ذلك قد يحدث في العصر ويُشاهد؛ فإذا قال المتنبي: إنّني مُعَارِضُه، وآيتي في كوني نبيّاً ظهورُ مثلِ ذلك ـ مُنع منه ولم يحدث)[3]»[4].

ثم شرع ابن تيمية في مناقشته في ذلك.

فهذه أهم الآراء التي عرض ابن تيمية من خلالها قول الأشاعرة في المعجزات، ورأى أنها بحاجة إلى مناقشة، وردّ، وهذا ما سيتبين في المطلب التالي.



(١) يعني: الأشاعرة. انظر: النبوات ١/٤٩١ ـ ٤٩٦، و٥٣٤.
(٢) النبوات ٢/٧٨٦.
(٣) هذا معنى كلام الباقلاني، ومفهومه. انظر نصه في: البيان ص٤٧ ـ ٤٨.
(٤) النبوات ٢/٧٨٦ ـ ٧٨٧.

المطلب الثاني

مناقشته لقول الأشاعرة في المعجزات

تبيَّن في المطلب الماضي قول الأشاعرة في المعجزات من خلال بيان عرض ابن تيمية له، خصوصاً ما كان منها مُجْمَلاً مُشكِلاً يحتاج إلى إيضاح، وإزالة لبس، أو إلى نقد، ونقض، وإبطال.

والكلام في هذا المطلب سيدورحول مناقشته لهم في تلك الآراء.

وسيكون على نحو **إجمالي، وتفصيلي**.

أما الإجمالي فسيدور حول إيضاح عناية ابن تيمية بتلك الآراء، ونقدِهِ العامِّ لها، وللمنهجية التي سار عليها الأشاعرة في باب المعجزات.

وأما التفصيلي فسيدور حول المناقشة الجزئية لكلٍّ من تلك الآراء على حدةٍ؛ فإلى بيان ذلك من خلال المسألتين التاليتين:

المسألة الأولى: مناقشته الإجمالية لقولهم في المعجزات

لقد عني ابنُ تيميةَ أيما عنايةٍ بمناقشة قول الأشاعرة في المعجزات؛ بل تكاد عنايته في ذلك تفوق كل عناية له في هذا الباب؛ إذ هي تحتاج إلى مزيد دقة، وتحرير؛ بخلاف مناقشته لمن ينكر المعجزات رأساً؛ فإن مناقشة ذلك، ورد باطله أهون ممن يكون في كلامه إجمال، واشتراك.

وقد مرت الإشارة إلى شيء من ذلك في المطلب الماضي عند الكلام على عرضه لقولهم في المعجزات.

ومما يجلي تلك العناية ما تجده في كثير من المواضع في كتبه؛ حيث تراه يتطرق لذلك الموضوع إما بإجمال، أو تفصيل، أو مقارنه، أو تحليل، أو تعرض لمسألة معينة فيه، ونحو ذلك[1].

---

(١) انظر على سبيل المثال: منهاج السُّنَّة ٣/ ٩٣ ـ ٩٥، والجواب الصحيح ٦/ ٣٩٣ ـ ٤٠٨، ودرء تعارض العقل والنقل ٩/ ٥٢ ـ ٥٣، و٩٦، ومجموع الفتاوى ١١/ ٣٧٧ ـ ٣٨٠، و١٣/ ٩٠، وغيرها كثير.

وأما أعظم وأهم مناقشاته في هذا الشأن فهو ما أودعه كتابه العظيم «النّبوات» الذي يعد ـ بحق ـ خلاصة كتبه، وإليه المرجع في معرفة آخر آرائه؛ إذ هو من أواخر مصنفاته ـ كما مرَّ ـ[(١)].

وقد فَصَّل فيه القول في بحث طرق إثبات النبوة، والمعجزة، والكرامة، والفرق بين خوارق العادات عموماً.

وردَّ فيه على المخالفين في هذا الباب من أشعرية، ومعتزلة، وفلاسفة ومن وافقهم.

وإن كان النصيب الأوفى من ذلك للأشاعرة على وجه الخصوص؛ إذ كان أحدُ دوافعهِ الرئيسة من تأليف ذلك الكتاب مناقشةَ الأشاعرةِ مناقشةً تفصيليةً مستفيضة في باب المعجزات؛ حيث عَرَضَ أقوالهم، وأوضح مجملها، وبيَّن مُشْكِلَها، ورَدَّ على ما فيها من خطأ، أو خلل[(٢)].

واهتم على وجه الخصوص بأقوال الشخصية الثانية في المذهب الأشعري وهو القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه «البيان» الذي يُعَدُّ عُمْدَتَهم في هذا الباب؛ حيث تصدى ابن تيمية لدراسة ذلك الكتاب، وعَرْضِ آراء الباقلاني فيه، وتمحيصها، ومناقشتها، وبيان ما فيها من مجانبة للصواب[(٣)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ **موضحاً أسباب تأليفه لكتاب «النبوات»، وردِّه على الأشاعرة فيه:** «ولو لم يتعلق هذا بالإيمان بالرسول، واحتجنا إلى أن نُمَيِّزَ بين الصحيح والفاسد في الأدلة والأصول لما وَرَد على ما قال هؤلاء من هذه السؤالات ـ لم تكن بنا حاجة إلى كشف الأسرار»[(٤)].

ثم يلفت النظر إلى خطأ منهجي كبير، يقع فيه الأشاعرة في هذا الباب، وهو أنهم يوردون شُبَهاً قوية واضحة، ويردُّون عليها بأجوبة ضعيفة متخاذلة؛ فيفتحون بذلك ثغراتٍ عظيمةً يُنْفَذُ من خلالها إلى الطعن في الشريعة.

يقول رَحِمَهُ اللهُ **في ذلك:** «لكن لما تكلموا في إثبات النبوة صاروا يوردون عليها أسئلةً في غاية القوة والظهور، ولا يجيبون عنها إلا بأجوبة ضعيفة كما ذكرنا في كلامهم[(٥)]؛ فصار طالب العلم والإيمان والهدى من عندهم ـ ولا سيما إذا اعتقد

---

(١) انظر: النبوات ١/٨٨.
(٢) انظر: المرجع السابق ١/٨٣، و٩٨ ـ ٩٩.
(٣) انظر: المرجع السابق ١/٨٣.
(٤) المرجع السابق ٢/٩٣٧.
(٥) كما يُذْكَرُ عن الرازي أنه يورد الشُّبَه، ولا يرد عليها، وأنه كان يقرر في مسائل كثيرة مذاهب =

أنهم أنصار الإسلام، ونُظّارُه، والقائمون ببراهينه وأدلته ـ إذا عرف حقيقة ما عندهم لم يجد ما ذكروه يدلّ على ثبوت نبوة الأنبياء؛ بل وجده يقدح في الأنبياء، ويورث الشك فيها، أو الطعن، وأنها حجة تقدح في الأنبياء، وتورث الشك فيها، أو الطعن فيها، وأنها حجة لمكذب الأنبياء أعظم مما هي حجة لمصدق الأنبياء»[(١)].

إلى أن قال مبيناً خطورة هذا المسلك: «فانسدّ طريقُ الإيمان والعلم، وانفتح طريق النفاق والجهل، لا سيما على من لا يعرف إلا ما قالوه.

والذي يفهم ما قالوه لا يكون إلا فاضلاً قد قطع درجة الفقهاء، ودرجةَ مَنْ قلّد مِن المتكلمين؛ فيصير هؤلاء إما منافقين، وإما في قلوبهم مرض»[(٢)].

إلى أن يقول: «ويظن الظان أنه ليس على نبوة الأنبياء براهينُ قطعيةٌ، ولا يعلم أن هذا إنما هو لجهل هؤلاء، وأصولِهم الفاسدة التي بنوا عليها الاستدلال، وقدحِهم في الإلٰهية، وأنهم لم ينزهوا الرب عن فعل شيء من الشر، ولا أثبتوا له حكمة، ولا عدلاً؛ فكان ما جهلوه من آيات الأنبياء؛ إذ كان العلم بآيات الله، وما قصَّه لخلقه من الدلائل والبراهين ـ مستلزماً لثبوت علمه، وحكمته، ورحمته، وعدله؛ فإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم»[(٣)].

ثم يوضح سبب غلطهم في ذلك، وهو أنهم ردُّوا باطلاً بباطل؛ فيقول: «وهم[(٤)] في الأصل إنما قصدوا الرد على القدرية[(٥)] الذين قالوا: إن الله لم يشأْ كُلَّ شيء، ولم يخلق أفعال العباد.

وهو مقصود صحيح[(٦)].

لكنهم ظنوا[(٧)] أن هذا لا يتم إلا بجحد حكمته، وعدله، ورحمته؛ فغلطوا في

= الخصوم، وشبههم بأتم عبارة؛ فإذا جاء في الإجابة اقتنع بالإشارة، انظر: الذيل على الروضتين لأبي شامة المقدسي، عناية: محمد زاهد الكوثري، نشر: عزت العطار الحسيني، ط٢، ١٩٧٤م، ص٦٨، والوافي بالوفيات ٤/ ٢٥١.

(١) النبوات ٢/ ٩٣٧ ـ ٩٣٨.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٩٣٨ ـ ٩٣٩، وانظر كلاماً نحو هذا في: الجواب الصحيح ١/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(٣) النبوات ٢/ ٩٣٩.

(٤) يعني: الأشاعرة.

(٥) يعني: المعتزلة؛ فهم يسمون القدرية.

(٦) يعني: مقصود الأشاعرة في ردهم على المعتزلة.

(٧) يعني: الأشاعرة.

ذلك»[١].

ثم عَرَّج على بعض أئمة الأشاعرة مبيِّناً طريقتهم في الاستدلال بالمعجزات، وموقفهم من أسلافهم في ذلك، فذكر الغزالي، وأنه «لما ظهر له ضعفُ طريقِ الاستدلال بالمعجزات الذي سلكه شيوخه ـ وهو لا يعرف غيره ـ أعرض عنها، وذكر أنه إنما عَلِم ثبوتَ النبوةِ بقرائن تعجز عنها العبارة، وهي علوم ضرورية حصلت على الطول، وجعل الدليل على النبوة هو العلم بأن ما جاء به حق من غير جهته»[٢].

ثم يبيِّن ابن تيمية أن هذه طريقة صحيحة، ولكنه يستدرك عليها بأن النبوة التي عليها أبو حامد هي النبوة التي يثبتُها الفلاسفة، وأنها من جنس المنامات، وأنه ـ أي: الغزالي ـ استدل على جوازها بمبدأ الطب والهندسة[٣].

ثم ينتقد هذه الطرق، ويقرر أن «أمر النبوة أعظم من هذا بكثير، وأن تلك النبوة موجودة لخلق من الناس؛ فلهذا لا يوجد للنبوة عندهم ما تستحقه من التصديق والاحترام، ولا يعتمدون عليها في استفادة شيء من العلم الخبري، وهي الإنباء بالغيب، وهي خاصة النبوة»[٤].

ثم ينتقل إلى بيان طريقة الرازي في ذلك، فيقرر أن كلامه في النبوة «متردد بين نبوة الفلاسفة، ونبوة أصحابه هؤلاء[٥] كما ترى[٦].

وليس في واحد من الطريقين إثبات النبوة التي خص الله بها الأنبياء»[٧].

ثم يبين أن الأخذ بتلك الطرق تسبب في ضعف معرفة هؤلاء بالأنبياء، وضَعْفِ أَخْذِ العلم منهم، لا سيما ـ **كما يقول** ـ: «وقد عارضوا كثيراً مما جاء عنهم بالعقليات، ودخلوا فيما هو أبعد عن الهدى والعلم من العقليات، والذوقيات التي من سلكها ضلَّ ضلالاً بعيداً»[٨].

---

(١) انظر: النبوات ٢/ ٩٣٩، وانظر كلاماً نحو هذا في: درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤٦٩ و٤٧١ و٤٧٦.

(٢) النبوات ٢/ ٩٤٠ ـ ٩٤١.

(٣) انظر: المرجع السابق ٢/ ٩٤١.

(٤) المرجع السابق ٢/ ٩٤١، وانظر: شرح الأصبهانية ص١٥٥ ـ ١٥٧.

(٥) يعني: الأشاعرة.

(٦) انظر: بيان تلبيس الجهمية ١/ ١٢٢، والنبوات ١/ ٤٧٥ ـ ٤٧٧، و٢/ ٦٢٧ و٦٣٢ و٧٩٦ و٨٠٥.

(٧) المرجع السابق ٢/ ٩٤١.

(٨) المرجع السابق ٢/ ٩٤١.

أما كلامه عن الباقلاني، ومناقشته له في باب المعجزات ـ فهو أطول، وأشمل، وأهم ما في ذلك، وسيأتي تفصيله في المسألة التالية.

وإنما المقصود هٰهنا: **المناقشة الإجمالية**، وفي ذلك **يقول ابن تيمية**: «وفي كلامه[1] في هذا الباب[2] من الاضطراب ما يطول وصفه، وهو رأس هؤلاء الذي اتبعوه كالقاضي أبي يعلى، وأبي المعالي، والرازي، والآمدي، وغيرهم»[3].

وقال في موضع آخر: «فلم يعتمد القاضي أبو بكر وأمثاله في تنزيه الأنبياء لا على دليل عقلي، ولا سمعي في الكتاب والسُّنَّة؛ فإن العقل عنده لا يمنع أن يرسل الله من يشاء إذا كان يجوز عنده فعلُ كلِّ ما يقدر عليه، وإنما اعتمد على الإجماع»[4].

فهذا **مجمل مناقشته** للأشاعرة في باب المعجزات، أما تفصيل ذلك ففي المسألة التالية ـ بإذن الله ـ.

المسألة الثانية: مناقشته التفصيلية لقولهم في المعجزات

لقد ناقش ابن تيمية الأشاعرة في مسائل عدة من باب المعجزات؛ حيث رأى أن بعض أقوالهم في ذلك تحتاج إلى إيضاح، وتمييز، وبيان للحق من الباطل فيها.

وقد مرَّ في المسألة الماضية عرض لمناقشته الإجمالية لهم في هذا الباب.

وفيما يلي عرض لمناقشاته التفصيلية التي تتناول كل مسألة على حدة.

وقبل الشروع في ذلك يحسن التنبيه على الأمور التالية:

١ ـ أن بعض المسائل التي ناقشها متداخلة متشابكة؛ حيث يصعب فصل بعضها عن بعض خصوصاً إذا كانت في سياق واحد مترابط.

٢ ـ أن بعض المسائل التي ناقشها قد سبق الكلام عليها، أو على مجملها في مباحث سابقة، سواء في تقريره لمفهوم المعجزات، وبيانه لِحَدِّها، وشروطها، وما يتعلق بذلك من مسائل[5].

أو من خلال مناقشته للمخالفين في المعجزات، وخصوصاً المعتزلة؛ إذ بينهم وبين الأشاعرة قواسم مشتركة في هذا الباب، خصوصاً في حدِّ المعجزة، ومفهوم

---

(١) أي: الباقلاني.

(٢) يعني: في باب النبوات، وخوارق العادات.

(٣) النبوات ٢/٨٠١.

(٤) المرجع السابق ١/٤٧٦ ـ ٤٧٧، وانظر: شرح الأصبهانية ص٧٠٨ ـ ٧١١.

(٥) انظر: المبحثين الأول والثاني من الفصل الأول من هذا الباب.

الخارق، ودلالة المعجزة على النبوة وصدقها، ونحو ذلك[١].

لذا؛ فقد يُستغنى عن التفصيل في بعض المناقشات التي سبق بيانٌ، وتفصيلٌ لما يشاكلها، ويدخل في قبيلها.

٣ ـ أن أغلب مناقشاته للأشاعرة كانت مع القاضي أبي بكر الباقلاني في كتابه (البيان).

وإن كان قد يورد بعض الآراء لغيره من الأشاعرة ـ كما سيأتي ـ.

وبعد هذا التنبيه ينتقل الكلام إلى مناقشته التفصيلية لمآخذه على قول الأشاعرة في المعجزات.

○ أولاً: مناقشته لهم في مفهوم المعجزات:

وذلك من خلال مناقشته لهم في تسميتها، وحدِّها، وما يندرج تحت ذلك من مفهومهم للخارق، وجعلهم الخوارق جنساً واحداً؛ من جهة قولهم: إن ما يُخرق لنبي يجوز أن يخرق لغيره.

والذي يلاحظ أن مناقشته لهم في أغلب ذلك هي نفس مناقشته للمعتزلة؛ لما بينهما من التشابه، والاشتراك في كثير من المسائل في هذا الباب؛ حيث يقال للأشاعرة فيها ما قيل للمعتزلة من شأنها ـ كما مرَّ ـ مع ملاحظة بعض الفوارق في تفصيل ذلك ـ كما سيأتي ـ.

والمسائل التي يقع فيها الاشتراك بين المعتزلة والأشاعرة في مناقشات ابن تيمية لهما في مفهوم المعجزات هي كما يلي:

١ ـ **تسمية المعجزات:** فالأشاعرة شأنهم شأن المعتزلة في تسمية آيات الله معجزات.

وقد مرَّ في مناقشة ابن تيمية للمعتزلة في ذلك تفصيل لمآخذه على تلك التسمية[٢] **حيث قرر** أن مصطلح المعجزات حادث، وأنه ليس موجوداً في الكتاب والسُّنَّة، وأن هناك ألفاظاً شرعية تدل عليه، كلفظ (الآية)، و(البينة)، و(البرهان).

كما قرر أن لفظ المعجز في القرآن لم يرد على ما اصطلح عليه أهل الكلام من كونه الأمرَ الخارق للعادة، وإنما يدل على أنه أعجز غيره.

---

(١) انظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني من هذا الباب.

(٢) انظر: المطلب الثاني من المبحث الماضي ـ المسألة الأولى ـ.

وأن هذا اللفظ لا يدلّ على كونه آيةً، أو دليلاً إلا إذا فُسِّرَ المرادُ به، وذُكِرَ شرائطه.

وقرر ـ مع ذلك ـ أنْ لا مشاحة في إطلاق المعجزة على آيات الأنبياء طالما أن هذا مصطلح قد شاع، وغلب، وجرى مجرى العرف(١).

٢ ـ حدُّ المعجزة ومفهوم الخارق: فالأشاعرة وافقوا المعتزلة في حد المعجزة؛ فكلاهما يحدونها بمجرد خرق العادة؛ فذلك ـ عندهم ـ آية صدق النبي.

لذا؛ فإن ابن تيمية يناقشهم في ذلك على حدٍّ سواء؛ حيث قرر في معرض مناقشته للأشاعرة أن «المعتزلة قبلهم ظنوا أن مجرد كون الفعل خارقاً للعادة هو الآية على صدق الرسول»(٢).

وقرر في موضع آخر أن الأشاعرة «ضاهوا سلفهم من المعتزلة الذين قالوا: إن المعجزات: هي خرق العادة»(٣).

وقد ناقشهم ابن تيمية في ذلك، واعترض على هذا الحد، وقرر أن مَنْ حدَّ المعجزة بأنها خرق للعادة لم يَعْرِفْ مسمى هذه العبارة(٤).

وَوَجْهُ اعتراضِه عليهم في ذلك أن إطلاق هذا المسمى دون تقييدٍ غلطٌ؛ من جهة أنه وصف لم يرد في الشرع، وأنه عديم التأثير، ولا ينضبط، وأنه إذا لم يقيَّد بالأنبياء لم يكن مختصّاً بهم؛ فيكون حدُّ المعجزة به غلطاً، ويترتب عليه ما يترتب من الفساد(٥).

وكما يقرر أن المعتزلة والأشاعرة يشتركون في حد المعجزة بأنها الخارق للعادة ـ **فإنه يقرر** افتراقَهم في تفصيل ذلك؛ **فيبيِّن** أن المعتزلة يرون أن العادة لا تخرق إلا لنبي، وأنهم ـ بناءً على ذلك ـ ينكرون بقية الخوارق من الكرامات، والسحر، ونحو ذلك(٦).

في حين أن الأشاعرة بعكس هؤلاء؛ حيث يقررون أن ما جاز خرقه لنبي جاز

---

(١) انظر: الجواب الصحيح ٥/٤١٢، و٤١٨ ـ ٤١٩، والنبوات ١/٢١٥، و٢/٨٢٨ ـ ٨٢٩.

(٢) النبوات ١/ ٤٨٤.

(٣) مجموع الفتاوى ١٣/ ٩٠.

(٤) انظر: النبوات ٢/ ٧٧٣ ـ ٧٧٤.

(٥) انظر: المرجع السابق ١/ ١٦٣ ـ ١٦٥، وانظر: ٤٨٤.

(٦) انظر: المرجع السابق ١/ ٤٨٤، و٢/ ٧٧٣ ـ ٧٧٤، وشرح الأصبهانية ص٥٣٧ ـ ٥٤٠، ومجموع الفتاوى ١٣/ ٩٠.

خرقه لغيره ـ كما مرَّ ـ[(١)] وكما سيأتي في مناقشته لهم في تجويزهم خرقَ العادة مطلقاً.

○ ثانياً: مناقشتهم في شروط المعجزة الأربعة:

التي مضى ذكرها عند بيان عرضه لقولهم في المعجزات، وهي:

١ ـ أن يكون مما ينفرد الرب بالقدرة عليه.

٢ ـ وأن يكون مما يَخْرِقُ العادة.

٣ ـ وأن لا يعارضه غير النبي.

٤ ـ وأن يكون واقعاً مفعولاً عند تحدي النبي به[(٢)].

قال رحمه الله **مناقشاً لهم** في تلك الشروط: «فيقال لهم:

الشرط الأول: قد عُرِف أنه لا حقيقة له؛ ولهذا أعرض عنه أكثرهم.

والثاني: أيضاً لا حقيقة له؛ فإنهم لم يميزوا ما يخرق العادة مما لا يخرقها.

ولهذا ذهب من ذهب من محققيهم إلى إلغاء هذا الشرط؛ فهم لا يعتبرون خرقَ عادةِ جميع البشر؛ بل ما اعتاده السحرة، والكهان، وأهل الطلاسم عندهم يجوز أن يكون آية، وإن لم يعارض»[(٣)].

إلى أن قال: «فالأمور العجيبة التي خصَّ الله بالإقدار عليها بعض الناس لم يجعلوها خرقَ عادةٍ، والأمورُ المحرمة، أو هي كفر؛ كالسحر، والكهانة، والطلسمات جعلوها خرق عادةٍ، وجعلوها آية بشرط أن لا يعارض، وهو **الشرط الثالث**، وهو ـ في الحقيقة ـ خاصة المعجزة عندهم»[(٤)].

ويواصل مناقشتهم، وإبطال شروطهم، **فيقول**: «لكن كون غير الرسول ممنوعاً منه[(٥)]: إن اعتبروا أنه ممنوع مطلقاً فهذا لا يعلم، وإن اعتبروا أنه ممنوع من المرسل إليهم ـ فهذا لا يكفي؛ بل يمكن كل ساحر، وكاهن أن يدعي النبوة، ويقول: إنني كذا..»[(٦)].

ثم أورد قولهم: «لو فعل[(٧)] هذا لكان الله يمنعه فِعْل ذلك، أو يقيض له من

---

(١) انظر: النبوات ١/١٣٣ ـ ١٣٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ١/٦٠٠ ـ ٦٠١.

(٣) المرجع السابق ١/٦٠١.

(٤) المرجع السابق ١/٦٠١.

(٥) يعني: ممنوعاً من أن يأتي بما يأتي به الرسول من الخوارق.

(٦) النبوات ١/٦٠٢.

(٧) يعني: الساحر أو الكاهن.

يعارضه»[١].

وتعقبه بقوله: «قلنا: من أين لكم ذلك؟ ومن أين يعلم الناس ذلك؟ ويعلمون أن كل كاذب فلا بد أن يُمْنع من فعل الأمر الذي اعتاده هو وغيره قبل ذلك؟ أو أن يعارض»[٢].

ثم أوضح بطلان ذلك القول وفساده **قائلاً:** «والواقع خلاف ذلك؛ فما أكثر من ادعى النبوة، أو الاستغناء عن الأنبياء، وأن طريقه فوق طريق الأنبياء، وأن الربَّ يخاطبه بلا رسالة، وأتى بخوارق من جنس ما أتى به السحرة، والكهان، ولم يكن من دعاه يعارضه»[٣].

ثـم انتقل بعد ذلك إلى مناقشة الشرط الرابع، **فقال:** «وأما الرابع: وهو أن يكون عند تحدي الرسول؛ فبه[٤] يحترزون عن الكرامات، وهو شرط باطل»[٥].

ثم يبيِّن العلة في ذلك فيقول: «بل آيات الأنبياء آيات، وإن لم ينطقوا بالتحدي بالمثل، وهي دلائل على النبوة، وصدق المخبر بها.

والدليل مغاير للمدلول عليه، ليس المدلول عليه جزءاً من الدليل»[٦].

ولقد **قرر** هذا المعنى ـ وهو بطلان اشتراطهم التحدي في المعجزة ـ في غير هذا الموضع، كما في **قوله:** «النبي لم ينقل عنه التحدي إلا في القرآن خاصة، ولا نقل عن غيره من الأنبياء، مثل موسى، والمسيح، وصالح.

ولكن السحرة لما عارضوا موسى أبطل سحرهم»[٧].

بل **يزيد** الأمر إيضاحاً، **فيقرر** أن من معجزات الأنبياء ما يكون قبل ولادتهم، وقبل مبعثهم، وبعد مماتهم؛ فكيف يكون التحدي بالمعجزات والحالة هذه؟![٨].

وبهذا **يبطل** اشتراطهم التحدي بالمعجزة.

ثم **يَخْلُص** من ذلك إلى إبطال الشروط التي اشترطوها للمعجزة، **فيقول:** «فقد

---

(١) انظر: البيان ص٩٤ ـ ٩٥، و١٠٠، والنبوات ١/٦٠٢.
(٢) النبوات ١/٦٠٢.
(٣) المرجع السابق ١/٦٠٢، وانظر: الجواب الصحيح ٦/٥٠٠.
(٤) في طبعة د. الطويان ١/٦٠٢: (فيه)، ولعل الصواب: (فبه) كما في طبعة د. محمد يسري سلامة ص٤٢٩؛ إذ به يستقيم المعنى.
(٥) النبوات ١/٦٠٣.
(٦) المرجع السابق ١/٦٠٣.
(٧) المرجع السابق ٢/٧٤١.
(٨) انظر: المرجع السابق ٢/٧٩٤، و٨٤٠ ـ ٨٤١، والجواب الصحيح ٦/٣٨٠.

تبيَّن أنه ليس من شرط دلائل النبوة لا اقترانه بدعوى النبوة، ولا الاحتجاج به، ولا التحدي بالمثل، ولا تقريع من يخالفه.

بل كل هذه الأمور قد تقع في بعض الآيات، لكن لا يجب أن ما لا يقع معه[1] لا يكون آية؛ بل هذا إبطال لأكثر آيات الأنبياء؛ لخلوها من هذا الشرط»[2].

ثم **يبيِّن** بعد ذلك أن هذا شرط بلا حجة، وأن الدليل دليل سواء استدل به مُسْتَدِلٌّ أو لم يستدل.

ثم **يوضح** أن سبب اشتراطهم ذلك أن بقية الخوارق من غير المعجزات متى اقترن بها دعوى النبوة كانت دليلاً على النبوة، **فقرر** أن ذلك افتراء عظيم على الأنبياء، وتسوية بين أفضل الخلق وهم الأنبياء، وشرار الخلق وهم السحرة والكهان[3].

هذا، وسيأتي مزيد بيان لهذا في الفقرات التالية.

○ ثالثاً: مناقشتهم في قولهم في دليل النبوة:

فبعد أن **بيَّن** اضطراب الناس في النبوة، **وأوضح** قول الأشاعرة في هذه المسألة، وأنهم يرون أن الدليل: هو الخارق للعادة بشرط الاحتجاج على النبوة، والتحدي بمثله، وأنهم شابهوا المعتزلة في ذلك، فجعلوا مجرد كونه خارقاً للعادة هو الوصف المعتبر[4] ـ **ناقشهم** في ذلك، **وقرر** أن هناك فرقاً «بين أن يقال: لا بد أن يكون خارقاً للعادة، وبين أن يقال: كونه خارقاً للعادة هو المؤثِّر؛ فإن الأول يجعله شرطاً، والثاني يجعله موجباً»[5].

كما قرر ـ أيضاً ـ الفَرْقَ «بين أن يقال: العلم والبيان، وقراءة القرآن لا يكون إلا من حيٍّ وبين أن يقال: كونه حيّاً يوجب أن يكون عالماً قارئاً»[6].

ويقول بعد ذلك: «من هنا دخل الغلط على هؤلاء»[7].

ويختم مناقشته في هذه المسألة مقرراً أنْ: «ليس في الكتاب والسُّنَّة تعليق الحكم بهذا الوصف؛ بل ولا ذِكْر خرق العادة، ولا لفظ المعجز.

---

(١) يعني: ما لا يقع معه الاحتجاج به، أو التحدي، أو تقريع من يخالفه.
(٢) النبوات ١/ ٦٠٤.
(٣) انظر: المرجع السابق ١/ ٦٠٤ ـ ٦٠٧.
(٤) انظر: المرجع السابق ١/ ٢١٣ ـ ٢١٥، والمطلب الماضي.
(٥) المرجع السابق ١/ ٢١٥.
(٦) المرجع السابق ١/ ٢١٥.
(٧) المرجع السابق ١/ ٢١٥.

وإنما هي آيات وبراهين، وذلك يوجب اختصاصها بالأنبياء»[١].

○ رابعاً: مناقشتهم في اشتراطهم في المعجزة أنْ لا تكون مقدورة إلا للرب، لا للعباد:

حيث عرض قولهم هذا، وقولَهم في أفعال العباد إذا كانت خارقة للعادة، وأن لهم فيها قولين: **أحدهما**: أن ذلك لا يصح أن يكون معجزة.

والثاني: أن المعجزة إنما هي إقدار المخلوق على ذلك؛ بأن يخلق فيه قدرة خارجة عن المعتاد، وهذا اختيار الباقلاني، وأبي يعلى - كما مرَّ في عرض قولهم في المطلب الماضي -.

وبعد أن عَرَضَ قولهم هذا ناقشهم فيه؛ فقال: «وظنوا أن هذا يوجب طَرْدَ قولهم أنها لا تكون مقدورة لغير الله بخلاف القول الأول؛ فإنه تقع فيه شبهة؛ إذ كان الجنس معتاداً، وإنما الخارق هو الكثير الخارج عن العادة»[٢].

ثم يقول مناقشاً الباقلاني في ذلك: «وهذا الفرق الذي ذكره ضعيف؛ فإنه إذا كان قادراً على اليسير؛ فَخَرَقَ العادة في قدرته حتى جعله قادراً على الكثير - فَجِنْسُ القدرةِ معتادٌ مثلُ جنس المقدور.

وإنما خرقت العادة بقدرة خارجة عن العادة؛ كما خُرِقَت بفعل خارج عن القدرة.

وعنده[٣] أن خلق القدرة خَلْقٌ لمقدورها، والقدرة عنده مع الفعل؛ فلا فرق»[٤].

ثم يقرر أن هذا القول - وهو أن المعجزة لا تكون إلا مقدورة للرب لا للعباد - قول كثير من أهل الكلام من القدرية، والمثبتة للقدر، وغيرهم.

ويوضح أن الأشاعرة لما طولبوا بالدليل على امتناع أن تكون بعض الخوارق لغير الله؛ كإبراء الأكمه، والأبرص، وإحياء الموتى ونحو ذلك مما ذكروا أنه يمتنع أن يكون مقدوراً لغير الله - اعتمدوا في الدلالة على (أن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده).

---

(١) النبوات ١/٢١٥، وانظر: الجواب الصحيح ٥/٤١٢ - ٤١٩.
(٢) النبوات ١/٢١٧.
(٣) أي: الباقلاني.
(٤) النبوات ١/٢١٧.

فلو جاز ـ كما يقولون ـ أن يكون العبد قادراً على هذه الأمور ـ لوجب أن لا يخلو من ذلك وضده، وهو العجز، والقدرة على ضد ذلك الفعل ـ كما يقولونه في فعل العبد: إنه لم يقدر على الفعل؛ فلا بدأن يكون عاجزاً، أو قادراً على ضده ـ[١].

ثم يبيِّن أن هذا احتجاج من يقول: القدرة مع الفعل[٢]، والقدرة لا تصلح عنده للضدين كالأشعرية، فيقول: لا يخلو من القدرة، أو العجز؛ **فهذه مقدمة.**

ثم يذكر **المقدمة الثانية**: وهي قولهم: نحن لا نحس من أنفسنا عجزاً من إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، ونحو ذلك، لَكِنَّا غير قادرين عليها، ولا يجوز أن نقدر عليها.

وهؤلاء يقولون: لا يكون الشيء عاجزاً إلا عما يصح أن يكون قادراً عليه، بخلاف ما لا يصح أن يكون قادراً عليه؛ فلا يصح أن يكون عاجزاً عنه[٣].

وبعد أن عَرَضَ هاتين المقدمتين اللتين احتج بهما الأشاعرة على أن المعجزات لا تكون إلا مقدورة للرب لا للعباد ـ رَدَّ عليهم **بقوله:** «وكلا المقدمتين دعوى مجردة لم يَقُم على واحدة منها حجة؛ فكيف يجوز أن يكون الفرق بين المعجزة وغيرها مبنياً على مثل هذا الكلام الذي ينازعه فيه أكثر العقلاء؟!

ولو كان صحيحاً **لم يفهم إلا بكلفة، ولا يفهمه إلا قليل من الناس**؛ فكيف إذا كان باطلاً؟!

والذين آمنوا بالرسل؛ لِمَا رأوه، وسمعوه من الآيات ـ لم يتكلموا بمثل هذا الفرق، بل ولا خطر على قلوبهم»[٤].

ثم يؤكد ضعف ذلك الرأي بكون متأخري الأشاعرة كأبي المعالي والرازي، والآمدي وغيرهم ـ حذفوا هذا القيد، وهو كون المعجزة مما ينفرد الباري بالقدرة عليه ـ.

وقالوا: كل حادث فهو مقدور للرب، وأفعال العباد هي ـ أيضاً ـ مقدورة للرب، وهو خالقها، والعبد ليس خالقاً لفعله[٥]؛ فالاعتبار بكونها خارقة للعادة قد استدل بها على النبوة، وتحدى بمثلها؛ فلم يمكن أحداً معارضةُ هذه القيود الثلاثة، وحذفوا هذا القيد[٦].

---

(١) انظر: النبوات ١/٢١٧ ـ ٢١٨.
(٢) انظر: الإرشاد للجويني ص٢٦٣ ـ ٢٦٤.
(٣) انظر: النبوات ١/٢١٨.
(٤) المرجع السابق ١/٢١٩.
(٥) انظر: الإرشاد للجويني ص٢٦٠ ـ ٢٦٦.
(٦) انظر: النبوات ١/٢٢٠.

وقال في موضع آخر من «النبوات»: «وإذا قال القائل: آيات الأنبياء لا يقدر عليها إلا الله، أو أن الله يخترعها، ويبتدؤها بقدرته، أو أنها من فعل الفاعل المختار ونحو ذلك[١] ـ قيل له: **هذا كلام مجمل**»[٢].

ثم يبيِّن وجه إجماله فيقول: «**فقد يقال** عن كل ما يكون آية: لا يقدر عليه إلا الله؛ فإن الله خالق كل شيء، وغيره لا يستقل بإحداث شيء.

وعلى هذا فلا فرق بين المعجزات وغيرها.

وقد يقال: لا يقدر عليه إلا الله؛ أي: هي خارجة عن مقدورات العباد؛ فإن مقدوراته على قسمين: منها ما يفعله بواسطة قدرة العباد كأفعال العباد، وما يصنعونه، ومنها ما يفعله بدون ذلك؛ كإنزال المطر»[٣].

ثم فصل القول، وبيَّن الصواب من الخطأ في الكلام السابق، فقال: «فإذا أراد هذا القائل: أنها خارجة عن مقدور الإنس؛ بمعنى أنه لا يقع منهم لا بإعانة الجن، ولا بغير ذلك ـ **فهذا كلام صحيح**.

وإن أراد أنه خارج عن مقدورهم[٤] فقط، وإن كان مقدوراً للإنس والجن ـ **فهذا ليس بصحيح**؛ فإن الرسل أرسلوا إلى الإنسِ والجنِّ، والسِّحْرُ، والكهانةُ وغير ذلك تقدر الجن على إيصالها إلى الإنس، وهي مناقضة لآيات الأنبياء كما قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء]»[٥].

إلى ان يقول: «وإن أراد أنها خارجة عن مقدور الملائكة والإنس والجن، وأن الله يفعلها بلا سبب ـ **فهذا باطل**»[٦].

ثم يبيِّن وجه بطلان ذلك، فيقول: «فمن أين له أن الله يخلقها بلا سبب؟ ومن أين له أن الله يخلقها بواسطة الملائكة الذين هم رسله في عامة ما يخلقه؟ فمن أين له أن جبريل لم ينفخ في مريم حتى حملت بالمسيح؟ وقد أخبر الله بذلك»[٧].

---

(١) انظر: البيان ص٢ ـ ١٠، و١٤، و١٩، و٥٧.
(٢) النبوات ٢/ ١٠٦٤.
(٣) المرجع السابق ٢/ ١٠٦٤ ـ ١٠٦٥، وانظر: منهاج السُّنَّة النبوية ٣/ ١٢٦، و١٦٨، ودرء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤٧١ ـ ٤٧٦.
(٤) يعني: الأنبياء والرسل.
(٥) النبوات ٢/ ١٠٦٥.
(٦) المرجع السابق ٢/ ١٠٦٥.
(٧) المرجع السابق ٢/ ١٠٦٥.

ويواصل إبطال هذا القول، فيقول: «وهو[١] وأمه مما جعلهما الله آية للعالمين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾ [المؤمنون].

وخَلْقُ المسيح بلا أب من أعظم الآيات، وكان بواسطة نفخ جبريل»[٢].

وهكذا يواصل ضرب الأمثلة على ذلك؛ فيذكر طمسَ أبصارِ قومِ لوطٍ بواسطة الملائكة، ويذكر صاحبَ سليمان عليه السلام الذي عنده علم من الكتاب، وتأييدَ النبيِّ محمدٍ ﷺ بالملائكة والريح[٣].

وهكذا **يبيِّن** الحق من الباطل في هذه المسألة التي تدخل في قبيل الكلام المجمل الذي يحتمل صواباً، وخطأً.

○ خامساً: مناقشتهم في قولهم في التفريق بين المعجزات والسحر:

فقد عرض ابن تيمية قول الباقلاني في ذلك، حيث **قال:** «قال[٤]: باب القول في الفصل بين المعجز والسحر»[٥].

وبعد أن عرض قول الباقلاني، بتفصيل وإيضاح[٦] **قال مستدركاً:** «قلت: هذا عمدة القوم[٧]؛ ولهذا طعن الناس في طريقهم، وشنع عليه ابن حزم[٨] وغيره.

وذلك أن الكلام مستدرك من وجوه»[٩].

ثم شرع في تفصيل تلك الوجوه وتفريعها؛ حيث ذكر تسعة وجوه، وبعضها يتضمن وجوهاً أخرى.

وإيراد تلك الوجوه يطول كثيراً؛ حيث جاء في ست عشرة صفحة[١٠].

ويمكن إجماله، وبيان حاصله فيما يلي:

١ ـ أنه إذا جاز أن يكون مما ينفرد الرب بالقدرة عليه يأتي به النبي تارة، والساحر تارة، ولا فرق بينهما إلا دعوى النبوة، والاستدلال به، والتحدي بالمثل ـ فلا حاجة إلى كونه مما انفرد الباري بالقدرة عليه.

---

(١) أي: المسيح عليه السلام.
(٢) النبوات ٢/١٠٦٥.
(٣) انظر: المرجع السابق ٢/١٠٦٥ ـ ١٠٦٨.
(٤) القائل: الباقلاني.
(٥) النبوات ١/٢٢٥.
(٦) انظر: المرجع السابق ١/٢٢٥ ـ ٢٢٨، وقد مر إيراده في المطلب الماضي.
(٧) يعني: الأشاعرة.
(٨) انظر: الفصل ٥/٢ ـ ٩.
(٩) النبوات ١/٢٢٨.
(١٠) انظر: المرجع السابق ١/٢٢٨ ـ ٢٤٤.

لا سيما وقد ظهر ضعف الفرق بين ما يمتنع قدرة العباد عليه، وما لا يمتنع[١].

٢ ـ أن المعجزات ـ بناءً على قولهم ـ لم تتميز بوصف تختص به، وإنما امتازت باقترانها بدعوى النبوة.

٣ ـ أن تسوية آيات الأنبياء في الحد، والحقيقة لسحر السحرة معلوم الفساد بالاضطرار من دين الرسل.

٤ ـ أن هذا من أعظم القدح في الأنبياء؛ إذ كانت آياتهم من جنس سحر السحرة، وكِهانة الكهان.

٥ ـ أن الدليل ما يستلزم المدلول، ويختص به؛ فإذا كان مشتركاً بينه وبين غيره ـ لم يبقَ دليلاً؛ فهؤلاء قدحوا في آيات الأنبياء، ولم يذكروا دليلاً على صدقهم.

٦ ـ وأنه على هذا التقدير يمكن الساحر دعوى النبوة.

وقول الباقلاني ومن وافقه: إنه ـ أي: الساحر ـ عند دعواه النبوة يسلبه الله القدرة على السحر، أو يأتي من يعارضه[٢] ـ دعوى مجردة؛ ذلك أن المنازع يقول لا نُسَلِّم أنه إذا ادعى النبوة فلا بد أن يفعل الله ذلك؛ لأن بعض الناس ادعى النبوة، وكان كاذباً، وظهر على يده بعض هذه الخوارق فلم يُمْنَعْ منها، ولم يعارضه أحد.

بل عُرِفَ أن هذا الذي أتى به ليس من آيات الأنبياء، وعُرِفَ كَذِبُه بطرق متعددة ـ كما في قصة الأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب، والحارث الدمشقي[٣]، وغيرهم ممن ادعى النبوة ـ[٤].

٧ ـ أن الباقلاني إنما أوجب أن لا يُظهر الله الخوارق على يد الكذاب؛ لأن ذلك يفضي إلى عجز الرب.

وهذا عمدة الأشعري في أظهر قوليه، وهي الطريقة المشهورة عند قدمائهم،

---

(١) انظر: النبوات ١/٢٢٨ ـ ٢٣٠.
(٢) انظر: البيان ص٩٤ ـ ٩٥.
(٣) هو: الحارث بن سعيد من أهل دمشق، متنبئ كذاب له ضلالات، وتلبيسات، وقد تبعه خلق كثير، وقد طلبه عبد الملك بن مروان، حتى قبض عليه، وقتله، وذلك ٦٩هـ. انظر: الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، ص٣٢٤، وميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، وشركاه، ط١، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م، ١/٤٣٤، والبداية والنهاية ١٢/٢٨٥، ولسان الميزان لابن حجر ٢/١٥١، وانظر: النبوات ١/٤٩٧.
(٤) انظر: النبوات ١/٢٣٠ ـ ٢٣٣.

وهي التي سلكها القاضي أبو يعلى، ونحوه[١].

والمتأخرون من الأشاعرة كأبي المعالي، والرازي، وغيرهما عرفوا ضعف هذا المسلك، فلم يسلكوه؛ بل سلكوا الجواب الآخر، وهو العلم بالصدق عند المعجز يحصل ضرورة؛ فهو علم ضروري[٢].

٨ ـ أن حكمة الله تمنع ظهور المعجزات على يد الكذاب.

٩ ـ أن حقيقة الأمر على قول الأشاعرة الذين جعلوا المعجزة الخارق مع التحدي ـ أن المعجز في الحقيقة ليس إلا منع الناس من المعارضة بالمثل، سواء كان المعجز في نفسه خارقاً، أو غير خارق.

وكثير مما يأتي به الساحر والكاهن أمر معتاد لهم[٣].

١٠ ـ أنه إذا كانت المعجزة هي مجموع دعوى الرسالة مع التحدي ـ فلا حاجة إلى كونه خارقاً.

ويجب إذا تحدى بالمثل أن يقول: فليأتِ بمثل هذا القرآن من يدعي النبوة؛ فإن هذا هو المعجز عندهم.

وإلا فإن القرآن ـ مجرداً ـ ليس بمعجزةٍ؛ فلا يُطلب مثل القرآن إلا ممن يدعي النبوة، كما في الساحر والكاهن إذا ادَّعى النبوة سلبه الله ذلك، أو قيّض الله له من يعارضه، وإذا لم يدَّعِ النبوة جاز أن يظهر على يده مثل ما يظهر على يد النبي؛ فكذلك يلزمهم مثل هذا في القرآن، وسائر المعجزات، والله أعلم[٤].

فهذا هو حاصل مناقشته لهم في قولهم في التفريق بين المعجزات، والسحر.

وسيأتي مزيد إيضاح لذلك في الفقرة التالية.

○ سادساً: مناقشتهم في تسميتهم الآياتِ: خَرْقَ عادةٍ:

فقد مرَّ في المطلب الماضي عَرْضُهُ لتفصيل قولهم في تسمية الآيات خرق عادة، وأنه عقد فصلاً في كتابه «النبوات» بيَّن فيه المسمى الشرعي لآيات الأنبياء، ثم

---

(١) انظر: النبوات ١/ ٢٣٤، وانظر: المواقف في علم الكلام للإيجي ص٢٤٢، والإرشاد ص٢٦٠، و٢٦١، و٢٦٤، و٢٧٣، و٢٧٨ ـ ٢٨٢.

(٢) انظر: النبوات ١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦، وانظر: الإرشاد ٣١٢ ـ ٣٢٦، ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ٨٩، و٩/ ٥٢ ـ ٥٣، و٥٦، والجواب الصحيح ٦/ ٣٩٦ ـ ٤٠١، ومجموع الفتاوى ١٤/ ٢٧١.

(٣) انظر: النبوات ١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

(٤) انظر: المرجع السابق ١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

ساق أقوال الناس في مسمى خرق العادة، ثم فصَّل القول في عرض رأي الباقلاني في ذلك[١].

وبعد ذلك شرع في مناقشتهم، فقال: «قلت: هذا الذي ذكروه هو ـ أيضاً ـ خرقُ عادةٍ؛ فإن ظهور مثل ذلك على هذا الوجه مما لم تَجْرِ به العادة، وهو نَفْسُهُ القاضي أبو بكر في هذا الكتاب «كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر، والنيرنجيات» قد قال: (قيل: هذا باب القول في معنى العادة، وانخراقها، والعادة التي إذا انخرقت دلت على صدق الرسل، والاعتياد للأمر وتفصيل ذلك وتنزيله[٢].

اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن الكل من سائر الأمم قد شرطوا في صفة المعجز أن يكون خارقاً للعادة، وإذا كان ذلك واجباً وجب معرفة هذه العادة، ومعرفة انخراقها)[٣]»[٤].

ويقول ابن تيمية بعد ذلك: «فقد حكى[٥] هنا الإجماع، وهناك صرح بالاختلاف[٦]، وقوى ذلك القول»[٧].

ثم يبيِّن سبب اختلاف قولي الباقلاني في ذلك، فيقول: «وسبب ذلك اضطرابُهم في معنى العادةِ وانخراقِها؛ فإن كلَّ قومٍ يفهمون غير ما يفهمه الآخرون.

والله ـ تعالى ـ إنما سماها آياتٍ»[٨].

ثم يبيِّن حقيقة قول القاضي الباقلاني وأمثاله في هذه المسألة، فيقول: «وهذا القول الذي ذكره، وقَوَّاه ـ وهو لا يشترط فيها أن تكون خارقة للعادة ـ هو حقيقة قول القاضي، وأمثاله من المتكلمين الأشعرية، ومن وافقهم كالقاضي أبي يعلى وأمثاله»[٩].

---

(١) انظر: النبوات ٢/ ٧٨٥ ـ ٧٨٧.

(٢) نص ما في كتاب البيان ص٥٠: «القول في معنى العادة، وانخراقها، والعادة، والعادة التي إذا انخرقت دلت على صدق الرسل، والاعتياد للأمر والأمر المعتاد، وتفصيل ذلك وتنزيله» ثم قال: (فصل).

(٣) البيان ص٥٠.

(٤) النبوات ٢/ ٧٨٨.

(٥) يعني: الباقلاني.

(٦) يعني: النقل السابق عن الباقلاني، الذي ذكر في المطلب الماضي وهو قوله: «إن من الناس من لا يشترط في الآية المعجزة أن تكون خارقة للعادة».

(٧) النبوات ٢/ ٧٨٩.

(٨) المرجع السابق ٢/ ٧٨٩.

(٩) المرجع السابق ٢/ ٧٨٩.

ثم يعلل لذلك بقوله: «فإن المعجزات عندهم لا تختص بجنس من الأجناس المقدورات؛ بل خاصتها أن النبي يحتج بها، ويتحدى بمثلها؛ فلا يمكن معارضته؛ فاشترطوا لها وصفين: أن تكون مقترنة بدعوى النبوة، وجعلوا المدلول جزءاً من الدليل ـ وأنها لا تُعارض[١].

وبالأول: فرَّقوا بينها[٢] وبين الكرامات.

وبه[٣]، وبالثاني[٤]: فرقوا بينها وبين السحر والكهانة»[٥].

ثم يبيِّن أنهم صرحوا بأن جميع خوارق السحرة والكهان يجوز أن تكون معجزة لنبي، لكن إذا كانت معجزة لم تُمْكِنْ معارضتُها، وجوَّزوا أن ما يأتي به الأنبياء من المعجزات يأتي بمثله الساحر والكاهن إلا ما منع منه السمع؛ للإجماع على أن الساحر لا يقلب العصا حيّة[٦].

وأوضح أن «هذا الفرق ليس لما يختص به أحد النوعين، ولا ضابط له»[٧].

ثم يبين أنهم يُجَوِّزون أن تكون الطلاسم، والعجائب الطبيعية مثل جذبِ حجرِ المغناطيسِ الحديدَ، وكذلك الأمور المعتادة ـ كل هذه الأمور جوَّزوا أن تكون معجزة بشرط ألا تعارض[٨].

ويقول بعد ذلك: «فالخاصة[٩] عندهم فيها أنها لا تعارُض، وأنها تقترن بدعوى النبوة.

وقد يشترطون أن تكون خارقة للعادة، لكن يكتفون بمنع المُعارض؛ فهو وحده خرقٌ للعادة؛ فلا يشترطون هذا وهذا.

وقد اشترط القاضي أبو بكر أن يكون مما يختص به الرب بالقدرة عليه»[١٠].

ثم يعلق على اشتراط القاضي بقوله: «ولا حقيقة له؛ فإن جميع الحوادث كذلك عندهم، وكل ما خرج عن محل قدرة العبد فالرب مختص بفعله كخوارق السحرة

---

(١) انظر: البيان ص٤٧ ـ ٤٨، والإرشاد ص٢٦٢ ـ ٢٦٤، و٢٦٩ ـ ٢٧٠، وأصول الدين للبغدادي ص١٧٠، والفرق بين الفرق ص٣٤٤.

(٢) يعني: المعجزات.

(٣) يعني بالشرط الأول: وهو كونها مقترنة بدعوى النبوة.

(٤) وهو أنها لا تعارض.

(٥) النبوات ٢/ ٧٨٩.

(٦) انظر: المرجع السابق ٢/ ٧٩٠.

(٧) المرجع السابق ٢/ ٧٩٠.

(٨) انظر: المرجع السابق ٢/ ٧٩٠.

(٩) يعني: خاصية المعجزة وحقيقتها.

(١٠) النبوات ٢/ ٧٩١، وانظر: البيان ص٨ و٤٥ و٤٧ ـ ٤٨، و٥٠، وأصول الدين ص١٧٦.

والكهان»[١].

ثم يَخْلُصُ من ذلك كله إلى بيان حقيقة أمرهم بشأن الخوارق والفروق بينها، فيقول: «وحقيقة الأمر: أنه لا فرق عندهم بين المعجزات، والكرامات، والسحر، والكهانة.

لكن هذه إذا لم تقترن بدعوى النبوة لم تكن آية، وإذا اقترنت بها كانت آية بشرط أن لا تعارض»[٢].

فهذه أهم المسائل التي ناقش فيها ابن تيمية الأشاعرة في باب المعجزات.

وهي ـ كما مرَّ ـ متشابكة، متلازمة، داخل بعضها في بعض.

وسيأتي مزيد بيان لذلك عند الكلام على موقفه من الأشاعرة في تسويتهم بين المعجزات والكرامات، وذلك في الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا البحث خصوصاً عند عَرْضَه ونقضه لقولهم في خرق العادة مطلقاً.

وهناك مسائل متفرعة عن هذه المسائل، ومترتبة عليها، وقد ناقشها ابن تيمية وقررها عَرَضاً، ضمن المسائل السابقة، أو بحثها في مواضع أخرى.

ويمكن إجمال تلك المسائل فيما يلي:

١ ـ **مناقشتهم في اشتراطهم الاستدلال بالمعجزة:** وقد مرَّ تفصيل ذلك عند تقريره أن ليس من شرط المعجزة الاستدلال بها[٣].

وغالباً ما يقرر ذلك في مناقشاته للأشاعرة في حد المعجزة؛ حيث قرر أن مجرد دعوى النبوة، والاستدلال، بها والتحدي بمثلها مع عجز الناس عن المعارضة ـ ليست شروطاً للمعجزة بكل حال؛ بل لا بد أن تقع على وجه مخصوص[٤].

ويقرر في موضع آخر أن آيات الأنبياء دليل على نبوة النبي وإن خلت من هذا القيد.

ويمثل لذلك بقوله: «وهذا كإخبار من تقدم بنبوة محمد ﷺ فإنه دليل على صدقه، وإن كان هو[٥] لم يعلم بما أخبروا به، ولا يستدل به»[٦].

ويضرب أمثلة اخرى تدلّ على أنها جاءت غير مقترنة بالاستدلال أو التحدي،

(١) النبوات ٢/ ٧٩١.
(٢) المرجع السابق ٢/ ٧٩١.
(٣) وذلك في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا الباب.
(٤) انظر: النبوات ٢/ ٧٨٥ ـ ٧٨٦.
(٥) يعني: النبي محمداً ﷺ.
(٦) النبوات ١/ ٤٩٨.

وإنما هي لغاية أخرى، وهي حاجة المسلمين، فيمثل لذلك بتكثير الطعام والشراب مراراً، ونبع الماء بين أصابع النبي ﷺ ونحو ذلك[(١)].

وهكذا يبطل هذا الشرط، وهو الاستدلال بالمعجزة.

٢ ـ **مناقشتهم في ثبوت النبوة بالمعجزات:** وقد مرت الإشارة إلى ذلك فيما مضى.

والأشاعرة في ذلك شابهوا المعتزلة؛ فالمعتزلة يحصرون دلالة النبوة بالمعجزة، ويرون أنها هي آية نبوة الأنبياء ـ كما مرَّ تفصيل ذلك ـ[(٢)].

وابن تيمية يناقشهم في ذلك، فيرى أن الاستدلال بالمعجزات على صحة النبوة استدلال صحيح.

لكنه يرى أن حصر النبوة في ذلك الدليل خاطئ؛ إذ فيه تضييق للواسع، وتحجير على أدلة أخرى كثيرة واضحة متنوعة[(٣)].

ومناقشته للمعتزلة في ذلك هي ـ في الحقيقة ـ مناقشة للأشاعرة؛ لاشتراكهم في ذلك على نحو ما مرَّ بيانه.

٣ ـ **بيانه لما يترتب على قول الأشاعرة في المعجزات:** فمن خلال مناقشاته للأشاعرة يبيِّن أن قولهم فيها أدى بهم إلى تجويز بعض الأمور الباطلة، وأهم ما في ذلك مما بيَّنه ما يلي:

أ ـ **قوله** عن الأشاعرة: إنهم: «صرحوا بأن السحر الذي قال الله فيه: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، يجوز أن يكون من معجزات الأنبياء إذا لم يعارض.

وقد قال الرازي: إن السمعيات لا يحتج بها؛ لأن دلالتها مشروطة بعدم المعارض العقلي، وذلك غير معلوم»[(٤)].

ب ـ **وقوله:** «قالوا: لو ادعى الساحر والكاهن النبوة ـ لكان الله ينسيه الكهانة، ولكان له من يعارضه؛ لأن السحر والكهانة هي معجزة عندهم»[(٥)].

---

(١) انظر: النبوات ١/٤٩٨، والجواب الصحيح ٦/٣٢٤ ـ ٣٢٦.

(٢) انظر: المطلب الثاني من المبحث الثاني من الفصل الثاني من هذا الباب، ففيه تفصيل لذلك.

(٣) انظر تفصيل ذلك في: درء تعارض العقل والنقل ٨/١٧ ـ ٢١، و٥/٢٨٦ ـ ٢٨٨، والجواب الصحيح ٢/٢١٩، ومنهاج السُّنَّة ٣/٩٣ ـ ٩٤، وشرح الأصبهانية ص٧٠٨ ـ ٧١١.

(٤) النبوات ٢/٧٩٥ ـ ٧٩٦.

(٥) المرجع السابق ٢/٧٩٧.

ثم علق على ذلك بقوله: «وفي هذه الأقوال من الفساد عقلاً وشرعاً، ومن المناقضة لدين الإسلام وللحق ما يطول وصفه.

ولا ريب أن من أنكر وجود الخوارق[١] أقل فساداً من هذا.

ولهذا يشنع عليهم ابن حزم[٢] وغيره الشناعات العظيمة»[٣].

إلى أن قال: «ولهذا يقيم أكابر فضلائهم[٤] مدة يطلبون الفرق بين المعجزات والسحر ـ فلا يجدون فرقاً؛ إذ لا فرق في نفس الأمر»[٥].

فهذه مسائل فرعية تلحق بالمسائل التي ناقش فيها شيخ الإسلام ابن تيمية الأشاعرة في قولهم في المعجزات.

وبهذا ينتهي هذا المطلب الذي تبيَّن فيه موقف ابن تيمية من قول الأشاعرة في المعجزات، وذلك من خلال عرضه، ومناقشته لقولهم في حدِّ المعجزة، ودليل النبوة، واشتراطهم في المعجزة ألا يقدر عليها إلا الله، وقولهم في التوفيق بين المعجز والسحر، ورأي الباقلاني في تسمية المعجزات خرق عادة.

وبنهاية هذا المطلب ينتهي الباب الأول الذي دار حول **موقف ابن تيمية من معجزات الأنبياء والمخالفين فيها.**

وينتقل الحديث إلى الباب الثاني، وهو **موقف ابن تيمية من كرامات الأولياء، والمخالفين فيها.**



---

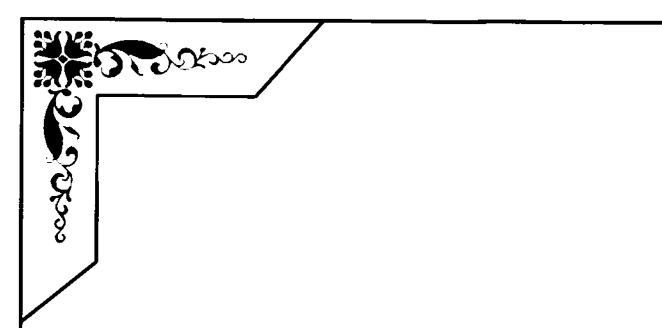
(١) وهم المعتزلة.

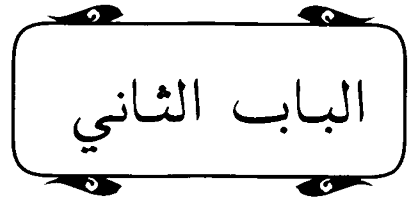
(٢) انظر: الفصل لابن حزم ٥/٢ ـ ٩.

(٣) النبوات ٢/٧٩٧.

(٤) يعني: الأشاعرة.

(٥) النبوات ٢/٧٩٧ ـ ٧٩٨.





الباب الثاني

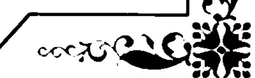
موقف ابن تيمية من كرامات الأولياء، والمخالفين فيها

وفيه: مدخل، وفصلان:

مدخل.

الفصل الأول: موقف ابن تيمية من كرامات الأولياء.

الفصل الثاني: موقف ابن تيمية من المخالفين في كرامات الأولياء.



مدخل

لقد أولى ابن تيمية موضوع الكرامات اهتماماً بالغاً، وكان له منهج متميز بنى عليه دراسته لها، وانطلق فيه من النقل الصحيح، والعقل الصريح، وحرص على بيان المنهج الحق الذي يجب سلوكه في دراسة ذلك الباب؛ فكان ما قرره وحرره في ذلك الشأن تنقيحاً وتصحيحاً للمناهج التي سُلِكَت في دراسة الكرامات.

هذا وإن منهجه الذي تناول من خلاله موضوع الكرامات دائر حول عدة مسائل في ذلك الموضوع؛ حيث أبدى وأعاد فيها ردّاً، ومناقشةً، وضربَ أمثلةٍ، وتنظيراً، وتقريراً.

وهذا ما سيتبين من خلال الفصلين التاليين، وما يندرج تحتهما من مباحث، ومطالب، ومسائل.




الفصل الأول

موقف ابن تيمية من كرامات الأولياء

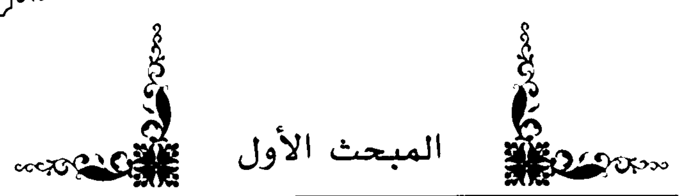
وفيه: ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم كرامات الأولياء عنده.

المبحث الثاني: شروط قبول الكرامة عنده.

المبحث الثالث: تقريره لمسائل متعلقة بالكرامات.





المبحث الأول

مفهوم كرامات الأولياء عنده

مدخل

كرامات الأولياء: مصطلح مركب من كلمتين: (**كرامات**) و(**الأولياء**).

والكلام في هذا المبحث سيدور حول مفهوم هذا المصطلح عند ابن تيمية باعتبار مفرديه؛ أي: ببيان مفهومِ كلٍّ واحدة من كلمتي (**كرامات**) و(**الأولياء**) على حدةٍ.

ثم ينتقل الكلام إلى مفهوم هذا المصطلح عنده باعتبار تركيبه؛ لأن التركيب يخصص الكلام، ويجعل له مدلولاً يتميز به عن غيره.

ثم ينتقل الكلام بعد ذلك إلى الأسماء الأخرى للكرامة عنده، ثم إلى تفريقه بينها وبين المعجزات، وذلك من خلال المطالب الأربعة التالية:

المطلب الأول: مفهومها عنده باعتبار مفرديها.

المطلب الثاني: مفهومها عنده باعتبار تركيبها.

المطلب الثالث: أسماؤها عنده.

المطلب الرابع: تفريقه بين المعجزة والكرامة.

المطلب الأول

مفهومها عنده باعتبار مفرديها

كرامات الأولياء مصطلح مُتركّب من كلمتين ـ كما مرَّ ـ وهما: كلمة (كرامات)، وكلمة (الأولياء).

والكلام فيما يلي سيبدأ أولاً ببيان مفهوم كلمة (كرامات) ثم ينتقل ثانياً إلى مفهوم كلمة (الأولياء) عنده.

المسألة الأولى: مفهوم كلمة (كرامات) عنده

كلمة (كرامات) جمعٌ: لكلمة (كرامة)، والأصل الوضعي اللغوي لكلمة (كرامة) هو مادة (كرم) يقال: كَرُمَ يَكْرُمُ كرماً وكرامة.

والكرامة تطلق على الشرف، والإكرام.

وهي اسم مصدر من الفعل (كَرُمَ) الثلاثي، و(أكرم) الرباعي، و(كَرَّم) بتشديد الراء.

والفعل الثلاثي كَرُم لازم، يقال: كَرُم فلانٌ.

والرباعي أكرَم، والمضعَّف كَرَّم يتعديان إلى المفعول، يقال: أكْرَم زيدٌ علياً، وكَرَّم زيدٌ علياً.

وهذه المادة تشتمل على الـمُكْرِم وهو اسم الفاعل، والـمُكْرَم وهو اسم المفعول، والكرامة وهي الاسم الذي يوضع للإكرام[1].

فهذا ـ بإيجاز ـ هو مفهوم كلمة (كرامات) في أصلها اللغوي الوضعي.

وأما مفهومها عند ابن تيمية فقريب من ذلك، وإن كان أوسع، وأكثر ربطاً بين المعاني اللغوية والشرعية.

ويتضح ذلك من خلال كلامه على أصل كلمة (كرامة) وهي مادة (كَرَم) حيث فصل القول فيها، وما تحمله من معانٍ، وذلك عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق][2].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة ٥/ ١٧١، ولسان العرب ٢/ ٥١٢.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٩٣ ـ ٢٩٨.

وهذا الموضع هو أجمع ما تكلم فيه عن معنى هذه المادة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ **مبيِّناً معنى الكرم:** «ولفظ الكرم: لفظ جامع للمحاسن، والمحامد؛ لا يراد به مجرد الإعطاء، بل الإعطاء من تمام معناه؛ فإن الإحسان إلى الغير تمام المحاسن، والكرم: كثرة الخير ويسرته»[١].

وهذا **معنى دقيق لطيف** مناسب لمقتضى الكرامة؛ إذ هي مشتملة على خيرٍ كثيرٍ حاصلٍ بيسر ولطف، ودون كلفة ـ في الأصل ـ.

ثم أورد قول النبي ﷺ: **«لا تسموا العِنَبَ الكَرْمَ؛ فإنما الكرم قلب المؤمن»**[٢].

ثم بيَّن سبب تسمية العنب بالكرم، فقال: «وهم سَمّوا العنبَ الكَرْمَ؛ لأنه أنفع الفواكه؛ يؤكل رَطْباً ويابساً، ويعصر؛ فيتخذ منه أنواع»[٣].

ثم علَّل لنهي النبي ﷺ **عن تسميته بالكرم، فقال:** «ومع هذا نهى النبي ﷺ عن تسميته بالكرم، وقال: **«الكرم قلب المؤمن»** فإنه ليس في الدنيا أكثر، ولا أعظم خيراً من قلب المؤمن»[٤].

ثم أشار إلى معانٍ أخرى لطيفة للكرم، فبيَّن أن الشيء الحسن المحمود يوصف بالكرم، وأن القرآن دلَّ على أن الناس فيهم كريم على الله يكرمه، وفيهم من يهينه.

واستدل على ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقوله: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

وأوضح أن كرائم الأموال: هي التي تَكْرُمُ على أصحابها؛ لحاجتهم إليها، وانتفاعهم بها من الأنعام وغيرها[٥].

ثم أشار إلى سرٍّ لطيف من أسرار وصف الله ﷻ **لنفسه بأنه:** الأكرم، **فقال:** «وهو ـ سبحانه ـ وصف نفسه بأنه الأكرم بصيغة التفضيل[٦]، والتعريف[٧] لها؛ فدل على أنه الأكرم وحده.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٩٣.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٨٢) بلفظ: **«لا تسموا العنب الكرم»**، وبلفظ آخر (٦١٨٣): **«ويقولون الكرم؛ إنما الكرم قلب المؤمن»**. وأخرجه مسلم (٢٢٤٧) بلفظ: **«لا تسموا العنب الكرم؛ فإن الكرم الرجل المسلم»**، وبلفظ: **«لا تقولوا كرم؛ فإن الكرم قلب المؤمن»**.

(٣) مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٩٤. (٤) المرجع السابق ١٦/ ٢٩٤.

(٥) انظر: المرجع السابق ١٦/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

(٦) أي: كون كلمة (الأكرم) جاءت على وزن: أَفْعَل التفضيل.

(٧) يعني: كون كلمة (الأكرم) معرفة بـ: أل.

بخلاف ما لو قال: (وربك أكرم) فإنه لا يدل على الحصر، وقوله: **(الأكرم)** يدل على الحصر.

ولم يقل: (الأكرم من كذا) بل أطلق الاسم؛ ليبين أنه الأكرم مطلقاً غَير مُقَيَّدٍ؛ فدل على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه، ولا نقص فيه»[١].

ثم أورد قول ابن عطية في تفسير هذه الآية، وفيه إشارة إلى معنى من معاني إكرام الله لنبيِّه ﷺ.

قال: «قال ابن عطية: (ثم قال له ـ تعالى ـ: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق] على جهة التأنيس؛ كأنه يقول: امض لِما أُمِرْتَ به، وربك ليس كهذه الأرباب.

بل هو الأكرم الذي لا يلحقه نقص؛ فهو **ينصرك، ويُظْهِرُك**)[٢]»[٣].

كما أنه يرى أن الكرامة، والكرامات ـ هي ما يكرم الله بها أولياء من أنبيائه وعباده الصالحين[٤].

فهذا هو مفهوم كلمة (كرامات) ومادة (كرم) عند ابن تيمية.

المسألة الثانية: مفهوم كلمة (الأولياء) عنده

كلمة **(الأولياء)** جمع: كلمة **(الولي)**.

والأصل الوضعي اللغوي لهذه الكلمة هو مادة **(ولي)**.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الواو، واللام، والياء، أصل صحيح يدل على قرب.

ومن ذلك: الوَلْي: القرب؛ يقال: تباعد بعد وَلْي؛ أي: قُرْب»[٥].

ثم ذكر من هذا الباب: **المولى**، وأنه يطلق على المُعْتِق، والمُعْتَق، والصاحب، والحليف، وابن العم، والناصر، والجار؛ فكل هؤلاء من الوَلْي: وهو القرب.

وبيَّن أن الباب كلَّه راجع إلى القرب[٦].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٩٥.

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت٥٤٦هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، ٥/ ٥٠٢.

(٣) مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

(٤) انظر: النبوات ٢/ ٨٤١، و١٠٣٥، و١٠٨٤.

(٥) معجم مقاييس اللغة ٦/ ١٤١.

(٦) انظر: المرجع السابق ٦/ ١٤١ ـ ١٤٢، ولسان العرب ١٥/ ٤٠٧.

والولي شرعاً: هو المؤمن التقي البر، أو السابق المقرب.

والولاية شرعاً: مرتبة في الدين عظيمة لا يبلغها إلا من قام بالدين ظاهراً وباطناً.

فالولاية لها جانبان:

جانب يتعلق بالعبد، وهو القيام بالأوامر، واجتناب النواهي، ثم التدرج في مراقي العبودية بالنوافل.

وجانب يتعلق بالرب: وهو محبة هذا العبد، ونصرته، وتثبيته على الاستقامة.

وأما ما قد يظهر على يديه من عجائب الأمور وغرائب الأحوال فإن ذلك شيء إضافي، وليس من شروط الولاية؛ فمن كان لله تقيًا كان لله وليًا.

قال الله ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس].

فهذه من جانب الرب ـ سبحانه ـ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس]، وهذه من جانب العبد.

﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [يونس]، وهذه من جانب الرب ـ جلَّ ثناؤه ـ[١].

فهذا ـ بإيجاز ـ هو مفهوم كلمة (الأولياء) في أصلها اللغوي، وفي لسان الشرع.

أما مفهومها عند ابن تيمية فقريب من ذلك، وإن كان قد أفاض في بيان ذلك المفهوم، وبسط القول فيه، وذلك في مواطن عدة من آثاره[٢].

وأجمع ما في ذلك ما جاء في كتابه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان).

حيث أوضح في مقدمته مفهوم كلمة **(الأولياء)** من حيث أصلُها، وانقسامُ الناس فيها، وتفاضلُهم في شأنها، وما جرى مجرى ذلك.

وفيما يلي بيان لذلك بشيء من البسط.

---

(١) انظر: كرامات أولياء الله للالكائي، تحقيق: د. أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٨٥م، ص٧ ـ ٨.

(٢) انظر على سبيل المثال: منهاج السُّنَّة ٧/٢٨، و٣١٨ ـ ٣٢١.

○ أولاً: بيانه لأصل الولاية:

قال رَحِمَهُ اللهُ: «والولاية: ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة، والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد»(١).

ثم ذكر معنىً آخر لهذه الكلمة، فقال: «وقد قيل: إن الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات؛ أي: متابعته لها»(٢).

ثم رجح أن المعنى الأول ـ وهو القرب ـ أصح؛ **حيث قال:** «والأول أصح، والوَلِيُّ: القريب؛ يقال: هذا يلي هذا؛ أي: يَقْرُب منه.

ومنه قوله ﷺ: «**ألحقوا الفرائض بأهلها؛ فما بقي فلأولى رجل ذكر**»(٣).

أي: لأقرب رجل إلى الميت، وأكّده بلفظ الذكر؛ ليبين أنه حكم يختص بالذكور، لا يشترك فيه الذكور والإناث»(٤).

وقال بعد ذلك: «فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه، ويبغضه، ويسخطه، ويأمر به، وينهى عنه ـ كان المعادي لوليه معادياً له.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

فمن عادى أولياء الله فقد عاداه، ومن عاداه فقد حاربه»(٥).

○ ثانياً: بيانه انقسامَ الناس في الولاية:

فقد قرر أن الله بيَّن في كتابه، وسُنَّة رسوله ﷺ أن لله أولياءَ من الناس، وللشيطان أولياء، وأنه ﷻ فرَّق بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، ثم **ساق** رَحِمَهُ اللهُ جملة من الآيات في هذا الشأن، ومنها قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١].

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمٰن، وأولياء الشيطان ص٥٣، وانظر: منهاج السُّنَّة ٧/٢٨.
(٢) الفرقان ص٥٣، وانظر: منهاج السُّنَّة ٧/٢٨، والرد على الشاذلي ص٣٩ ـ ٤٠.
(٣) انظر: صحيح البخاري (٦٣٥٦)، ومسلم (١٦١٥).
(٤) الفرقان ص٥٣ ـ ٥٤، وانظر: منهاج السُّنَّة ٧/٢٨.
(٥) الفرقان ص٥٤.

وقـــولـــه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء][(١)].

○ ثالثاً: إيجابه التفريق بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان:

فبعد أن بيَّن انقسام الناس في الولاية قال: «وإذا عُرِفَ أن الناس فيهم أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان ـ فيجب التفريق بين هؤلاء كما فرَّق الله ورسوله بينهما؛ فأولياء الله هم المؤمنون المتقون، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس]»[(٢)].

وبعد أن ساق جملة من الآثار الدالة على ولاية الله للمؤمنين **قال:** «وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به، ووالوه؛ فأحبوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا ما يسخط، وأمروا بما يأمر، ونهوا عما ينهى، وأعطوا لمن يحب أن يعطى، ومنعوا ما يُحِبُّ أن يمنع»[(٣)].

○ رابعاً: بيانه لتفاضل الأولياء:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ مقرراً ذلك المعنى: «وأفضل أولياء الله: الأنبياء، وأفضل الأنبياء: المرسلون منهم، وأفضل المرسلين: أولو العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ»[(٤)].

ثم بيَّن أفضل الأولياء على الإطلاق، وأفضل أولي العزم من الرسل **فقال:** «وأفضل أولي العزم: محمد ﷺ خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد ولد آدم، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وخطيبهم إذا وفدوا، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون»[(٥)].

وبعد أن بيَّن شيئاً من فضله ﷺ انتقل إلى بيان فضل أمته على سائر الأمم، وأنها أعظم الأمم ولاية لله ﷻ **فقال:** «وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فَرَّقَهُ فيمن قبلهم، وهم آخر الأمم خَلْقاً، وأول الأمم بعثاً كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: **«نحن الآخِرون السابقون يوم القيامة،**

---

(١) انظر: الفرقان ص٤٤ ـ ٤٨.
(٢) المرجع السابق ص٤٩، والنبوات ١/٥٥٨ ـ ٥٦٠.
(٣) الفرقان ص٥١ ـ ٥٢.
(٤) المرجع السابق ص٥٥، وانظر: النبوات ١/١٤٢ ـ ١٤٣.
(٥) الفرقان ص٥٥.

بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم؛ فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه - يعني: يوم الجمعة - فهدانا الله له؛ فالناس لنا فيه تبع؛ غداً لليهود، وبعد غدٍ للنصارى»[(١)][(٢)].

○ خامساً: تقريره أن الولاية متوقفة على الإيمان بمحمد ﷺ واتّباعه:

قال رَحِمَهُ اللهُ - بعد أن قرر أفضلية النبي ﷺ وأمته -: «وفضائله ﷺ وفضائل أمته كثيرة، ومن حين[(٣)] بعثه الله جعله الفارق بين أوليائه وأعدائه؛ فلا يكون وليّاً لله إلا من آمن به، وبما جاء به، واتبعه باطناً وظاهراً.

ومن ادعى محبة الله، وولايته وهو لم يَتَّبِعْه فليس من أولياء الله؛ بل من خالفه كان من أعداء الله، وأولياء الشيطان»[(٤)].

ثم ساق بعد ذلك جملة من الآثار الدالة على ما قرره، وأبطل دعاوى الولاية التي يدعيها الكفار والمنافقون بكلام يطول[(٥)].

○ سادساً: بيانه لتفاضل الناس في الولاية والعداوة:

حيث قرر أنه «بحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله؛ فمن كان أكمل إيماناً وتقوى كان أكمل ولاية لله؛ فالناس متفاضلون في ولاية الله بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى.

وكذلك يتفاضلون في عداوة الله بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق»[(٦)].

بل قرر «أن الشخص الواحد قد يكون فيه قسط من ولاية الله بحسب إيمانه وتقواه، وقد يكون فيه قسط من عداوة الله بحسب كفره ونفاقه»[(٧)].

وقرر - أيضاً - أن أولياء الله على طبقتين: **أصحاب يمين أبرار مقتصدون**: وهم المتقربون إلى الله بالفرائض؛ بحيث يفعلون ما أوجب الله عليهم، ويتركون ما حرم الله

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣٦)، ومسلم (٨٥٥).
(٢) الفرقان ص٥٥ - ٥٦.
(٣) في الفرقان، تحقيق: د. اليحيى: (حيث)، وفي ط. المكتب الإسلامي ص١٢: (ومن حين...)، وهي أصح.
(٤) الفرقان ص٥٧، وانظر: النبوات ٢/١٠٠٢ - ١٠٠٣.
(٥) انظر: الفرقان ص٥٧ - ٥٨.
(٦) المرجع السابق ص٩٠، وانظر: النبوات ٢/١٠٦٣.
(٧) الفرقان ص٩١، وانظر: ص١١٣ - ١١٥، وانظر: الصفدية ص٢٥٤ - ٢٥٦.

عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات، ولا الكف عن فضول المباحات.

وسابقون مقربون: وهم الذين يتقربون إلى الله بالنوافل بعد الفرائض؛ ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات(١).

فهذا هو مفهوم الولاية عند ابن تيمية، وسيأتي مزيد تفصيل لذلك في غضون هذا الباب.

ومن خلال هذا المطلب يتبين مفهوم كلمتي: **(كرامات)** و**(الأولياء)** باعتبار إفرادهما من حيث معنى كلٍّ واحدةٍ منهما على حِدَةٍ.



---

(١) انظر تفصيل ذلك في: الفرقان ص٩٢ ـ ١١٢، والصفدية ٢٥٥ ـ ٢٥٧، والرد على الشاذلي ص٣٨ ـ ٣٩، وانظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م، ٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٧.

المطلب الثاني

مفهومها عنده باعتبار تركيبها

للمتكلمين، والطوائف في تحديد مفهوم **كرامات الأولياء** كلام كثير، وآراء متنوعة تختلف باختلاف نظرتهم للكرامات؛ شأنهم في ذلك شأنهم في المعجزات.

وكثير مما قرروه في ذلك لا يخلو من مآخذ وإشكالات، واعتراضات.

وابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ من أكثر من تعرض لنقد تلك الآراء.

والذي يعني هٰهنا تحديد مفهوم الكرامات عنده، والوقوف على تعريفه لها.

والحقيقة: أن الباحث في آثار ابن تيمية لا يمكنه الوقوف على ذلك على وجه التحديد، والتعريف الجامع المانع.

وإنما يمكنه أن يَسْتَخْلِص ذلك من مجموع آرائه حول الكرامات، ونقده لمن أخطأوا في تحديد مفهومها، أو من خلال تعريفه لها ببعض أفرادها، أو إدخاله لها ضمن الخوارق عموماً[(١)].

ومما يعين على ذلك أن يُنْظَر في النقول التي ساقها، واشتملت على ذكر لبعض القيود، والشروط التي يرى أن حد الكرامات لا ينضبط إلا باجتماعها.

ومن خلال ذلك يمكن أن يُسْتَخلص تعريفٌ يجمع القيود والضوابط التي تفرقت في غضون كلامه حول مفهوم الكرامات.

وقبل ذلك يحسن الاستئناس بما مضى ذكره في المسألة الماضية من بيان مفهوم **(كرامات الأولياء)** عنده باعتبار مفرديها؛ فهو يرى أن أصل مادة الكرامة (كرم) من الألفاظ الجامعة للمحاسن، والمحامد، وأنها تشتمل على خير كثير يحصل بلطف وتيسير، وأن الكرامة مما يكرم الله به عباده الصالحين[(٢)].

كما يرى أن **الأولياء**: هم المتقربون إلى الله بما شرع، والمحبوبون إليه،

---

(١) وقد مرت إشارات إلى ذلك في المدخل، والباب الماضي.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٩٣ ـ ٢٩٨، والنبوات ٢/ ٨٤١ و١٠٣٥، و١٠٨٢.

المقربون منه، المستحقون لإكرامه، ونحو ذلك مما مرَّ ذكره في المسألة الماضية في شأن مفهوم كلمة **(الأولياء)** عنده.

وفي ذلك إشارات إلى أن كراماتِ الأولياء يُقصد بها ـ في الجملة ـ إكرامُ الولي، وإعزازه، وإظهاره[(١)].

وهذا مما يفتح الباب للوقوف على مفهوم **(كرامات الأولياء)** عنده باعتبار تركيبها على وجه التحديد خصوصاً إذا أضيف إلى ذلك إيراد بعض النقول من كلامه حول هذه المسألة، والتي يتبين من خلالها ضوابط الكرامة، وشروطها، وهذا ما سيتبين من خلال ما يلي:

○ **أولاً: إدخاله الكرامات ضمن خوارق العادات:** وذلك في مواضع كثيرة من آثاره.

وفي ذلك إشارة إلى أن الكرامة لا بد أن تشتمل على **خارق**.

يقول رحمه الله مبيِّناً مراتب **الخوارق**: «فيقال: المراتب ثلاثة[(٢)]: آيات الأنبياء، ثم كرامات الصالحين، ثم خوارق الكفار والفجار؛ كالسحرة والكهان، وما يحصل لبعض المشركين وأهل الكتاب، والضُّلال من المسلمين»[(٣)].

وقال في موضع آخر: «قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات، وإن كان اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة وعُرْفِ الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد وغيره، ويسمونها: الآيات.

لكنْ كثير من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما؛ فيجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما الأمر **الخارق للعادة**»[(٤)].

وقال في «الفرقان» في معرض كلام له عمن يغترون بمكاشفات بعض الكفار والمشركين، وخوارقهم: «وكرامات أولياء الله ـ تعالى ـ أعظم من هذه الأمور.

وهذه الأمور **الخارقة للعادة** وإن كان قد يكون صاحبها وليّاً لله فقد يكون عدوّاً لله؛ فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار، والمشركين، وأهل الكتاب، والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين»[(٥)].

وقال في «الجواب الصحيح»: «والسلف ـ كأحمد وغيره ـ كانوا يسمون هذا

---

(١) انظر: الفرقان ص٤٤ ـ ٥٨، و١١٣ ـ ١١٥.

(٢) هكذا في الأصل، والصواب: (ثلاث).

(٣) النبوات ١/١٤١.

(٤) مجموع الفتاوى ١١/٣١١ ـ ٣١٢.

(٥) الفرقان ص١٦٩.

وهذا[١] معجزاً.

ويقولون لخوارق الأولياء: إنها معجزات إذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك...»[٢].

فهو - إذاً - يرى أن الكرامة من ضمن خوارق العادات، ولا تكون كرامة إلا إذا تضمنت خارقاً للعادة.

○ **ثانياً: تقريره أن ما يحصل للولي من الخوارق كرامة وليس معجزة:**

والمقصود بذلك: أن خارق الكرامة دون خارق المعجزة، وإن كانت الكرامة قد تسمى معجزة، والمعجزة قد تسمى كرامة.

لكن المقصود بالمعجزة هٰهنا ما كان خاصّاً بالأنبياء دون غيرهم.

فإذا وقع الخارق على يد ولي فهو كرامة فحسب، وهو - في الوقت نفسه - معجزة للنبي؛ إذ كرامات الأولياء معجزات لأنبيائهم - كما سيأتي تفصيلُه -.

فتحَصَّل من ذلك أن الخارق إذا وقع على يَدِ نبيٍّ فهو معجزة، وإذا وقع على يَدِ وليٍّ فهو كرامة، وإذا وقع على يَدِ كاهنٍ أو كافر، أو فاجر فهو حال شيطاني.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما الصالحون الذين يَدْعون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها[٣] - فتلك خوارقهم من معجزات؛ فإنهم يقولون: إنما حصل لنا هذا باتباع الأنبياء»[٤].

ثم يضرب على ذلك أمثلة توضح ما سبق، **فيقول:** «فهؤلاء[٥] إذا قُدِّر أنه جرى على يد أحدهم ما هو من جنس ما جرى للأنبياء[٦]؛ كما صارت النار برداً وسلاماً على أبي مسلم[٧] ....

---

(١) يعني: آيات الأنبياء، وكرامات الأولياء.

(٢) الجواب الصحيح ٥/٤١٩.

(٣) يعني: لا يخرجون عن طريق الأنبياء.

(٤) النبوات ١/١٤١.

(٥) يعني: الصالحين.

(٦) يعني بذلك: الخوارق.

(٧) يشير بذلك إلى: قصة أبي مسلم الخولاني، وهو: عبد الله بن ثوب من خولان ببلاد اليمن، وقد توفي سنة ٦٠هـ.
وما ذكره ابن تيمية من كرامته هي ما جرى له مع الأسود بن قيس بن ذي الخمار لمّا تنبأ باليمن، وذلك لمّا قال له الأسود: أتشهد أني رسول الله؟ فقال أبو مسلم: ما أسمع، فقال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، فردد ذلك عليه، وكل مرة يقول له مثل ذلك.
فأمر بنار عظيمة، فأُجِّجت، ثم ألقي فيها أبو مسلم؛ فلم تضره شيئاً. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٤/ ١٩٤، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٢/١٢٩، وسير أعلام النبلاء ٤/٧، وتقريب =

كما صارت على إبراهيم[١]، وكما يكثر الله الطعام والشراب لكثير من الصالحين[٢] كما جرى في بعض المواطن للنبي ﷺ وإحياء الله ميتاً لبعض الصالحين[٣].

فهذه الأمور هي مؤكدة لآيات الأنبياء، وهي ـ أيضاً ـ من معجزاتهم بمنزلة ما تقدمهم من الإرهاص»[٤].

○ **ثالثاً: تقريره أن الأولياء دون الأنبياء في المنزلة والخوارق:** فلقد قرر ـ كما في المسألة الماضية ـ أن أولياء الله هم المؤمنون المتقون، وأنهم في الولاية متفاضلون، وأن أفضل الأولياء على الإطلاق هم الأنبياء، وأفضلهم أولو العزم، وأفضل أولي العزم محمد ﷺ.

كما قرر أن الأولياء ممن هم دون الأنبياء متفاضلون بحسب إيمانهم وتقواهم[٥].

وبناءًا على ذلك فهو يقرر أن النبوة مرتبة أعلى من الولاية؛ وأن الولاية دون النبوة، وأن الأولياء دون الأنبياء؛ فكل نبي ولي، وليس كل وليٍّ نبياً.

وكما أن الأنبياء أفضل من الأولياء فكذلك خوارقهم أرفع، وأعلى، وأعظم من خوارق الأولياء.

يقول رَحِمَهُ اللهُ **في ذلك:** «فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين؛ فلا تبلغ كرامات أحدٍ قط إلى مثل معجزات المرسلين، كما أنهم[٦] لا يبلغون في الفضيلة والثواب درجاتهم.

= التهذيب لابن حجر، قدَّم له وقابله بأصل مؤلفه: محمد عَوَّامة، دار الرشيد، سوريا، حلب، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ص٢٩٨.

(١) يعني: إبراهيم الخليل عليه السلام كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [الأنبياء].

(٢) كما في قصة أبي بكر رضي الله عنه مع أضيافه. انظر: صحيح البخاري (٣٣٨٨).

(٣) من ذلك إحياء الله ـ تعالى ـ لصلة بن أشيم العدوي فرسَه بعد أن ماتت وهو في الغزو، فأحياها الله له، ووصل إلى أهله، وقال لابنه: ألق السرج عن الفرس فإنّها عارية، فلمّا ألقى السرج عنها، سقطت ميتة.
انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم ٢/٢٣٩، وطبقات الشافعية للسبكي ٢/٣٢٠. وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣/٤٩٩، وقال الذهبي عن هذه القصة: «وهذه كرامة ثابتة». وانظر: مجموع الفتاوى ١١/٢٨٠، وانظر بعض كراماته في كتاب: المعرفة والتاريخ لأبي يوسف يعقوب بن سليمان البسوي، رواية عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، ٢/٧٨ ـ ٧٩.

(٤) النبوات ١/١٤١ ـ ١٤٢.

(٥) انظر: الفرقان ٤٤ ـ ٥٧.

(٦) يعني: الأولياء.

ولكن قد يشاركونهم في بعضها، كما قد يشاركونهم في بعض أعمالهم»[1].

وقال في موضع آخر مقرراً أنْ ليس كلُّ ما كان من آيات الأنبياء يكون كرامة للصالحين، ومبيناً غلط مَنْ يُسوِّي بينهما في ذلك: «وهؤلاء[2] يسوّون بين هذا وهذا، ويقولون: الفرق هو دعوى النبوة، والتحدي بالمثل.

وهذا غلط؛ فإن آيات الأنبياء ﷺ التي دلَّت على نبوتهم هي أعلى مما يشتركون فيه هم وأتباعهم»[3].

ثم ضرب على ذلك أمثلة مما يتميز به الأنبياء في الآيات عن أتباعهم، فقال: «مثل الإتيان بالقرآن، ومثل الإخبار بأحوال الأنبياء المتقدمين، وأممهم، والإخبار بما يكون يوم القيامة، وأشراط الساعة، ومثل إخراج الناقة من الأرض، ومثل قلب العصا حية، وشق البحر، ومثل أن يخلق من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وتسخير الجن لسليمان لم يكن مثله لغيره»[4].

ويقول في موضع آخر: «وأما مصدقوهم[5] فهم معترفون بأن ما يأتون به[6] هو من آيات الأنبياء مع أنه لا تصل آيات الأتباع إلى مثل آيات المتبوع[7] مطلقاً، وإن كانوا يشاركونه في بعضها»[8].

إلى أن قال معللاً لذلك: «لأن الله فضَّل الأنبياء على غيرهم، وفضَّل بعض النبيين على بعض؛ فلا بد أن يمتاز الفاضل بما لا يقدر المفضول على مثله؛ إذ لو أتى بمثل ما أتى لكان مثله، لا دونه»[9].

وهكذا يقرر أن لمعجزات الأنبياء خاصةً تتميز بها عن السحر، والكهانة، وعما يكون لآحاد المؤمنين[10].

وبناءاً على ما مضى فإن الخوارق إذا أضيفت إلى الأنبياء وسميت معجزات، أو آيات، أو غير ذلك ـ فهي مختصة بالأنبياء.

وإذا أضيفت إلى الأولياء، أو الصالحين سواء سميت كرامات، أو غيرها ـ فهي

---

(١) النبوات ١/١٤٢ ـ ١٤٣.
(٢) يعني: الأشاعرة.
(٣) النبوات ١/٥٢٦.
(٤) المرجع السابق ١/٥٢٦ ـ ٥٢٧، وانظر: ٥٠٨ ـ ٥٠٩، والجواب الصحيح ٦/٣٨٧.
(٥) يعني: مصدقي الأنبياء، وهم الأولياء.
(٦) يعني: من الخوارق.
(٧) يقصد بالأتباع: الأولياء، ويقصد بالمتبوع: النبي.
(٨) النبوات ٢/٨٦٥ ـ ٨٦٦.
(٩) المرجع السابق ٢/٨٦٦.
(١٠) انظر: المرجع السابق ١/٦٠٦ ـ ٦٠٩، و٢/٨٠٢.

مختصة بهم؛ فالخارق إذا أضيف إلى نبي، أو قيل: جرى على يد نبي فهو معجزة، وإذا أضيف إلى ولي، أو قيل: جرى على يد ولي فهو الكرامة دون المعجزة؛ فهذا هو الأصل عند ابن تيمية وإن كان أحياناً قد يسمي الكرامات معجزات ويضيفها إلى الصالحين، ـ كما سيأتي عند الكلام على أسمائها عنده ـ.

فإذا قيل ـ على سبيل المثال ـ في تعريف لكرامات الأولياء يُسْتخلص من كلام ابن تيمية: هي: **أمر خارق للعادة يجريه الله على يد وليٍّ**... فإن ذلك يغني عن اقترانه بنفي دعوى النبوة طالما أن هذا الخارق جرى على يد وليٍّ ـ كما سيتضح في الفقرة ما بعد القادمة ـ.

○ **رابعاً: إثباته أنه لا يشترط في الكرامة التحدي أو عدمه:** فهو يرى أن الكرامة قد يُتَحَدَّى بها، وقد لا يتحدى بها؛ إذ يرى أنها تقع لحجة أو حاجة؛ وقد يقتضي الحال أن يتحدى بها، وقد لا يقتضي ذلك[(١)].

يقول رَحِمَهُ اللهُ في معرض كلام له في الرد على من فَرَّق بين المعجزات والكرامات بفروق ضعيفة: «ومن الناس[(٢)] من فَرَّق بين معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء بفروق ضعيفة؛ مثل قولهم: الكرامة يخفيها صاحبها، أو الكرامة لا يُتحدى بها»[(٣)].

ثم يرد على هذا الادعاء، ويبيِّن أن الكرامات لا يُشترط فيها عدم التحدي، **فيقول:** «ومن الكرامات ما أظهرها أصحابها؛ كإظهار العلاء بن الحضرمي المشي على الماء[(٤)]، ....

---

(١) انظر: الفرقان ص٢٩٢، ومجموع الفتاوى ١١/ ٣٢٢ ـ ٣٢٥، والنبوات ١/ ١٦٠.

(٢) يعني: الأشاعرة. (٣) النبوات ١/ ١٣٨.

(٤) هو: العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي، من سادة المهاجرين، ولّاه رسول الله ﷺ البحرين، ثمّ وليها لأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: رأيت من العلاء ثلاثة أشياء، لا أزال أحبه أبداً: قطع البحر على فرسه يوم دارين. وقدم يريد البحرين، فدعا الله بالدهناء، فنبع لهم ماء، فارتووا. ونسي رجل منهم بعض متاعه فرد، فلقيه ولم يجد الماء، ومات ونحن على غير ماء، فأبدى الله لنا سحابة، فمطرنا، فغسلناه، وحفرنا له بسيوفنا، ولم نلحد له.

انظر: سير أعلام النبلاء ١/ ٢٦٢. والبداية والنهاية ٩/ ٥٠ ـ ٥٤.

وقال ابن تيمية في العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه: «والعلاء بن الحضرمي كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين، وكان يقول في دعائه: يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم، فيستجاب له. ودعا الله بأن يسقوا ويتوضئوا لما عدموا الماء، ولا يبقى الماء بعدهم، فأجيب. ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم، فمروا كلهم على الماء، فابتلت سرج =

وإظهار عمر مخاطبة سارية على المنبر[(١)]، وإظهار أبي مسلم لما ألقي في النار أنها صارت عليه برداً وسلاماً[(٢)]»[(٣)].

إلى أن قال مبطلاً اشتراط عدم التحدي في الكرامة: «ومنها ما يَتحدى بها صاحبها أن دين الإسلام حق ـ كما فعل خالد بن الوليد لما شرب السم[(٤)]، وكالغلام

= خيولهم. ودعا الله أن لا يروا جسده إذا مات، فلم يجدوه في اللحد». الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان ص٣١١.
وانظر: حلية الأولياء لأبي نعيم ١/٧. وصفوة الصفوة لابن الجوزي ١/٦٩٤، والبداية والنهاية ٩/٣١١ ـ ٣١٤.

(١) هو: سارية بن زنيم بن عمر الكناني، توفي سنة ٣٠هـ. انظر: الإصابة لابن حجر ٣/٥٢.
أما قصته فهي لما قال عمر بن الخطاب ﷺ: «يا سارية الجبل» وكان في المدينة، وسارية في العراق؛ فقد روى ابن عمر أن عمر ﷺ بعث جيشاً أمَّر عليهم رجلاً يدعى سارية، قال: فبينما عمر يخطب قال: فجعل يصيح وهو على المنبر: «يا ساري الجبل، يا ساري الجبل».
قال: فقدم رسول الجيش، فسأله: فقال: يا أمير المؤمنين! لقينا عدونا، فهزمناهم؛ فإذا بصائح يصيح: يا ساري الجبل، يا ساري الجبل؛ فأسندنا ظهورنا بالجبل، فهزمهم الله، فقيل لعمر بن الخطاب: إنك كنت تصيح بذلك.
وفي رواية أن عمر قال: يا سارية بن زنيم! من استرعى الذئب، فقد ظلم، فقيل له: أتذكر ساريةَ وساريةُ في العراق؟!.
فقال الناس لِعَليٍّ: أما سمعت عمر يقول: يا سارية وهو يخطب على المنبر؟ فقال: ويحكم! دعوا عمر؛ فإنه ما دخل في شيء إلا خرج منه.
فلم يلبث إلا يسيراً، حتى قدم سارية، فقال: سمعتُ صوت عمر؛ فصعدت الجبل». انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة للالكائي، تحقيق: د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض، ٩/١٢٧ ـ ١٢٩.

(٢) مرت قصته.

(٣) النبوات ١/١٣٨ ـ ١٤٠.

(٤) وذلك لمّا نزل الحيرة ـ بالعراق، وأراد الأعاجم أن يُسقوه السمّ، فأخذه بيده، ثمّ اقتحمه، وقال: بسم الله، وشرب، فلم يضرّه شيئاً.
الخبر أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٤/١٢٣ ـ ١٢٤. وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٣٥٠ أنّ أبا يعلى أخرجه، والطبراني في المعجم الكبير بإسنادين؛ رجال أحدهما رجال الصحيح، ورجال الآخر ثقات. وذكر كذلك أنّ رجال إسناد أبي يعلى ثقات. وانظر: مجموع الفتاوى ١١/٢٧٧ ـ ٢٧٨.
وقد ذكر الحافظ ابن كثير ﷺ عند محاصرة خالد بن الوليد للحيرة، أن خالداً وجد مع عمرو بن عبد المسيح بن بُقيلة ـ من نصارى العرب ـ كيساً، فقال: ما هذا؟ وفتحه خالد، فوجد فيه شيئاً ـ فقال ابن بُقيلة: هو سُمُّ ساعة، فقال: ولِمَ استصحبته؟ فقال: إن رأيت مكروهاً من قومي أكلته؛ فالموت أحبُّ إليّ من ذلك، فأخذه خالد ثم قال: لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها، ثم قال: بسم الله خير الأسماء، رب الأرض والسماء، الذي ليس =

الذي أتى الراهب، وترك الساحر، وأمر بقتل نفسه بسهم باسم ربه، وكان قبل ذلك قد خرقت له العادة؛ فلم يتمكنوا من قتله[(١)]، ومثل هذا كثير»[(٢)].

○ **خامساً: تقريره أن خرق العادة في الكرامات خاص بالأولياء الصالحين:**

ومعنى ذلك عنده: أن خرق العادة غير معتاد لغير الأولياء الصالحين، وإن كان معتاداً عند الأولياء الصالحين، كما هي الحال في المعجزات؛ فهي خارقة لعادة الثقلين، وإن كانت معتادة للأنبياء.

وإذا كان الخارق في الكرامة معتاداً للأولياء الصالحين فهو، وما هو أعظم منه معتاد للأنبياء والمرسلين من باب أولى، ولا عكس.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ **في معرض كلام له حول بعض الكرامات التي أظهرها أصحابها،** وضرب المثال بما جرى لأبي مسلم الخولاني لما ألقي في النار؛ فصارت برداً وسلاماً عليه، قال **مبيِّناً اختصاص الأولياء بذلك:** «وهذا بخلاف من يَدْخُلها[(٣)] بالشياطين؛ فإنه قد يطفئها إلا أنها لا تصير عليه برداً، وسلاماً.

وإطفاء النار مقدور للإنس والجن»[(٤)].

يعني: أن في مقدور الإنس والجن إطفاءَ النار، لكن ليس في مقدورهم أن تكون برداً، وسلاماً على من دخل فيها.

وهو بذلك يبيِّن أن **خارق** الكرامة غير معتاد لغير الصالحين، وإن كان معتاداً للصالحين أنفسهم.

= يضرّ مع اسمه داء، الرحمٰن الرحيم. قال: وأهوى إليه الأمراء ليمنعوه منه، فبادرهم؛ فابتلعه. فلما رأى ذلك ابن بقيلة، قال: والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد، ثم التفت إلى أهل الحيرة فقال: لم أر كاليوم أوضح إقبالاً من هذا، ثم دعاهم، وسألوا خالداً الصلح فصالحهم. البداية والنهاية ٩/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣، وانظر: طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٣٣٣.

وقد خالفه الصحابة في ذلك.

ويكفي خالداً كرامة أن جعله الله عزّاً للإسلام وأهله، وذلّاً للكفر، وشتاتاً لشمله، وقد سماه رسول الله ﷺ سيف الله، وقال الصديق رضي الله عنه في حقه: «يا معشر قريش إن أسدكم قد عدا على الأسد فغلبه على خراديله، عجزت النساء أن يلدن مثل خالد بن الوليد». البداية والنهاية ٩/ ٥٢١ ـ ٥٢٢.

(١) انظر: صحيح البخاري (٣٨٠٥)، و(٧١٣٢)، ومسلم (١٧٨٨)، و(٣٠٠٥).

(٢) النبوات ١/ ١٤٠ ـ ١٤١، وانظر: مجموع الفتاوى ١١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

(٣) يعني: النار، يدخلها بمعونة الشياطين.

(٤) النبوات ١/ ١٤٠.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ **في هذا السياق:** «فالخوارق التي تكون بأفعال الملائكة تختص بالأنبياء وأتباعهم لا تكون للكفار والسحرة والكهان»(١).

ويقول في موضع آخر: «وما ذكره المعتزلة، وابن حزم من أن آيات الأنبياء مختصة بهم كلام صحيح.

لكن كرامات الأولياء هي من دلائل النبوة؛ فإنها لا توجد إلا لمن اتبع النبي الصادق؛ فصار وجودها كوجود ما أخبر به النبي من الغيب»(٢).

إلى أن قال: «وما يأتي به السحرة والكهان من العجائب ـ فتلك جنس معتاد لغير الأنبياء وأتباعهم(٣).

بل لجنس معروفين بالكذب والفجور؛ فهو خارق بالنسبة إلى غير أهله، وكل صناعة فهي خارقة عند أهلها، ولا تكون آية»(٤).

وقال في موضع آخر: «فإن كرامات الأولياء معتادة من الصالحين، ومعجزات الأنبياء فوق ذلك»(٥).

وقال في موضع آخر: «وأما كرامات الصالحين فهي من آيات الأنبياء ـ كما تقدم ـ ولكن ليست من آياتهم الكبرى، ولا يتوقف إثبات النبوة عليها، وليست خارقة لعادة الصالحين؛ بل هي معتادة للصالحين من أهل الملل في أهل الكتاب والمسلمين.

وآيات الأنبياء التي يختصون بها خارقة لعادة الصالحين»(٦).

○ **سادساً: تقريره أن الكرامات لا تعارض بمثلها، ولا بأقوى منها:** ويعني بذلك: أن ما كان للصالحين والأولياء من خارق لا يعارض بخارق مثله أو أقوى منه؛ بمعنى: أن ما كان مثله أو أقوى منه يؤيده، ويعضده، ويصدقه، ولا يعارضه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض كلام له عن الفروق بين آيات الأنبياء وخوارق السحرة والكهان بعد أن قرر أن ما يأتي به السحرة والكهان وكل مخالف للرسل تُمْكِنُ معارضته بمثله وأقوى منه، وأن آيات الأنبياء لا يمكن أحداً معارضتها لا بمثلها ولا بأقوى منها ـ **قال:** «وكذلك كرامات الصالحين لا تعارض لا بمثلها، ولا بأقوى منها.

---

(١) النبوات ١/ ١٥١.

(٢) المرجع السابق ١/ ٥٠١ ـ ٥٠٢.

(٣) يعني: بأتباع الأنبياء: الأولياء الصالحين.

(٤) النبوات ١/ ٥٠٢، وانظر: ٢/ ٨٢٣ ـ ٨٢٤، و١٠٧٥.

(٥) المرجع السابق ٢/ ٨٠٢.

(٦) المرجع السابق ٢/ ١٠٨٤.

بل قد يكون بعضها أكبر من بعض وكذلك آيات الصالحين[١].

لكنها متصادقة متعاونة على مطلوب واحد، وهو عبادة الله، وتصديق رسله؛ فهي آيات، ودلائل، وبراهين متعاضدة على مطلوب واحد، والأدلة بعضها يكون أولى وأقوى من بعض»[٢].

○ **سابعاً: تقريره أن الكرامة من فعل الله، وإقداره: قال** رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن قرر أن كثيراً من المتأخرين يجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وأن جماع ذلك: الأمر الخارق للعادة.

قال: «فنقول: صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم، والقدرة، والغنى.

وإن شئت أن تقول: العلم، والقدرة.

والقدرةُ إما على الفعل وهو التأثير، وإما على الترك وهو الغنى.

والأول أجود»[٣].

ثم بيَّن أن ذلك خاص بالله على وجه الكمال، فقال: «وهذه الثلاثة[٤] لا تصلح ـ على وجه الكمال ـ إلا لله وحده؛ فإنه الذي أحاط بكل شيء علماً، وهو على كل شيء قدير، وهو غني عن العالمين»[٥].

وبعد أن ساق جملة من الآيات الدالة على ذلك قال: «فَأَمَرَهُ[٦] أن يخبر أنه لا يعلم الغيب، ولا يملك خزائن الله، ولا هو مَلَك غني عن الأكل والمال، إن هو إلا مُتَّبِعٌ لما أوحي إليه.

واتِّباع ما أوحي إليه: هو الدين، وهو طاعة الله، وعبادته علماً وعملاً بالباطن والظاهر»[٧].

ثم بيَّن السبب الذي ينال به ما ينال من العلم، والقدرة، والغنى، فقال: «وإنما ينال من تلك الثلاثة ما يعطيه الله ـ تعالى ـ فيعلم منه ما علمه إياه، ويقدر منه على ما أقدره الله عليه، ويستغني عما أغناه الله عنه من الأمور المخالفة للعادةِ المطردة، أو لعادة غالب الناس»[٨].

---

(١) كأن هذه الجملة زائدة وهي قوله: «وكذلك آيات الصالحين»، أو لعلها: «وكذلك آيات الأنبياء».

(٢) النبوات ٢/ ١٠٨٢.

(٣) مجموع الفتاوى ١١/ ٣١٢.

(٤) يعني: العلم، والقدرة، والغنى.

(٥) مجموع الفتاوى ١١/ ٣١٢.

(٦) يعني: أَمَرَ اللهُ نبيّه ﷺ.

(٧) مجموع الفتاوى ١١/ ٣١٣.

(٨) المرجع السابق ١١/ ٣١٣.

فما مضى من النقول يضع الباحث أمام أبرز المعالم لمفهوم كرامات الأولياء عند ابن تيمية.

ومن خلال ذلك يمكن أن تُسْتَنبط الشروط التي يرى ابن تيمية ضرورة اجتماعها في الكرامة.

ويمكن إجمال تلك الشروط فيما يلي:

أولاً: كون الكرامة من فعل الله، وإقداره، واختياره.

ثانياً: جريانها لوليٍّ لله؛ لحجة، أو حاجة.

ثالثاً: كونها خارقةً لعادة غير الأولياء، وإن كانت معتادة للأولياء، وللأنبياء من باب أولى.

رابعاً: سلامتها من المعارضة بمثلها، أو أقوى منها.

فهذه ـ بإجمال ـ شروط الكرامة عند ابن تيمية.

وبناءاً على ذلك فإنه يمكن أن يقال: إن تعريف كرامات الأولياء عند ابن تيمية هو أنها: **أمر يجريه الله؛ لحجة أو حاجة، مختص بأوليائه، خارق لعادة غيرهم، سالم من المعارضة بمثله، أو أقوى منه.**

والمقصود بكونه **أمراً يجريه الله**: أنه حدث يحصل بفعل الله، وإقداره، واختياره، ومقتضى عدله، وحكمته، ورحمته، لا لمحض المشيئة.

ويخرج بكونه **لحجة أو حاجة**: قيدُ عدمِ التحدي الذي يراه أهل الكلام شرطاً للكرامة؛ حتى لا يلتبس بالمعجزة ـ كما يرون ـ.

وهو شرط غير لازم؛ إذ من الكرامات ما يحصل بها التحدي، ومنها ما لا يحصل به ـ كما يقرره ابن تيمية ـ.

ويخرج بكونه **مختصّاً بأوليائه**: الأنبياءُ ﷺ فهم أعلى، وأعظم رتبة من الأولياء.

كما يخرج بذلك ـ أيضاً ـ السحرة، والكهان، ونحوهم؛ فهم ليسوا بأولياء لله؛ بل أولياء للشيطان.

وإضافة الأولياء إلى الله: يعني: أنهم المتبعون لشرعه، المتقربون إليه، المحبوبون له، الجديرون بكرامته.

وفي ذلك إشارة إلى أن الكرامة تتضمن الإكرام، والتشريف.

لذا؛ فإن كون ذلك الأمر الخارق مختصّاً بأولياء الله يغني عن التفصيل والإطالة

في التعريف ـ كما هي الحال ـ في كثير من التعريفات[١].

ولا يعني كونه (**مختصّاً بأولياء الله**) أنه يقع لكل ولي، وإلا لوقع لكل مؤمن؛ إذ كل مؤمن وليٌّ لله.

وإنما يعني: أنه إذا وقع لمؤمنٍ وليٍّ سمي كرامة.

ويُقْصَد بقول: (**خارق لعادة غيرهم**)؛ أي: من غير الأولياء، وإن كان معتاداً للأولياء، ومعتاداً للأنبياء من باب أولى؛ إذ هم سادة الأولياء، وهي داخلة في معجزاتِهم، ومعجزاتُهم أعظمُ من كرامات الأولياء.

ويُقصد بقول: (**سالم من المعارضة بمثله أو أقوى منه**) أن ما كان للأولياء من خارق فإنه لا يعارَض بمثله، أو أقوى منه؛ بل ما كان من ذلك فهو يعضده، ويؤيده، ويصدقه.

فهذا هو التعريف الذي يمكن أن يقال: إنه التعريف الذي يجمع القيود التي يراها ابن تيمية شروطاً للكرامة، والله أعلم.

وشأنه في ذلك شأنه في المعجزات؛ حيث إنه يوسع مدلول الكرامة؛ بحيث يُخَلِّصه من قيود لا أصل لها.

وفي الوقت نفسه يحدده؛ بحيث لا يدخل فيه ما ليس منه من بقية الخوارق.

هذا، ويكاد تعريف الكرامة، وشروطه، وضوابط قبول الكرامة، والتفريق بينها وغيرها من الخوارق ـ يكون هو مدارَ جلِّ كلام ابن تيمية على كرامات الأولياء؛ لذا فإن تفصيل تلك المسائل سيرد في غضون المطالب التالية.



---

(١) كما في تعريف السفاريني رَحِمَهُ اللهُ إذ يقول في تعريف الكرامة: «الكرامة أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة، يظهر على يد عبدٍ صالح ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلِّف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد، والعمل الصالح، عَلِم بها ذلك العبد الصالح، أو لم يعلم». لوامع الأنوار البهية شرح الدرة المضيَّة في عقيدة الفرقة المرضية للشيخ محمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي، دار الخاني، ط٣، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، ٢/٣٩٢.
فيغني عن هذا التعريف وما شابهه كون الأمر الخارق مختصاً (**بأولياء الله**) وذلك يشمل كلَّ ما ذُكِر؛ فالولي لا يدعي النبوة، ولو ادعاها لخرج عن الولاية، والولي: عبد صالح ظاهر الصلاح... إلخ؛ إذ لو لم يكن كذلك لما كان وليّاً.
ولا يخفى أن التعريف كلما كان أوجز كان أحسن وأجمع؛ فلا ينبغي فيه إيراد الألفاظ المتعددة، أو المترادفة التي يغني بعضها عن بعض.

المطلب الثالث

أسماؤها عنده

كرامات الأولياء مصطلح له مدلوله، ومفهومه ـ كما مرَّ ـ.

ولهذا المصطلح أسماء وألقاب عدة، تدل عليه، ويُعبَّر بها عنه.

ويلحظ من خلال التتبع والاستقراء لآثار ابن تيمية أنه في غضون كلامه على هذا المصطلح يستعمل أسماءاً أخرى لذلك الاسم، وأنه يراوح في استعماله لها.

ويلحظ ـ أيضاً ـ أن إيراده لتلك الأسماء يتفاوت، فبعضها يستعمله بكثرة، وبعضها بقلة، وبعضها بِنُدْرَة ـ شأنه في ذلك شأنه في الأسماء الأخرى للمعجزات ـ.

وفيما يلي: بيان لذلك بشيء من البسط.

١ ـ **كرامات الأولياء**: هكذا بإضافة كلمة **(كرامات)** إلى كلمة **(الأولياء)**.

وهذا الاسم مما اصْطُلِح عليه، وغلب على خوارق الأولياء تسميتُها به.

وهو أشهر ألقاب هذا الخارق، وأَسْيَرُها، وأكثرها استعمالاً عند ابن تيمية.

وقد سبق الكلام على ذلك في المطلبين الماضيين.

ومن الأمثلة على ورود ذلك الاسم عنده: **قوله في** «الفرقان» بعد أن ذكر جملة من الكرامات الواردة عن السلف: «وهذا باب واسع، وقد بسط الكلام على **كرامات الأولياء** في غير هذا الموضع»[١].

وقال في موضع آخر: «وبين **كرامات الأولياء** وبين ما يشابهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة.

منها: **أن كرامات الأولياء**، سببها الإيمان والتقوى...»[٢].

وقال في فصل في «النبوات» في معرض كلام له عن موقف المعتزلة من الخوارق: «وأنكروا الكهانة، وأن تكون الجن تُخْبِر ببعض المغيبات، وأنكروا

---

(١) الفرقان ص٣٢٠.

(٢) المرجع السابق ص٣٢٧ ـ ٣٢٨.

كرامات الأولياء»[١].

وقال في معرض كلام له عن الفروق بين خوارق العادات: «مع أن آيات الأنبياء التي يَدَّعون أعلى من هذا[٢] وأعلى من كرامات الأولياء»[٣].

إلى أن قال: «والذي ذكر عنهم إنكار كرامات الأولياء من المعتزلة، وغيرهم كأبي إسحاق الإسفراييني[٤]، وأبي محمد بن أبي زيد[٥]، وكما ذكر ذلك أبو محمد بن أبي حزم لا ينكرون الدعوات المجابة، ولا ينكرون الرؤيا الصالحة»[٦].

فهذه أمثلة يسيرة على ورود تلك التسمية عنده، والكلام على إيراده لها بتفصيل يطول[٧].

وسيرد ذكر لذلك في مباحث أخرى قادمة.

٢ ـ **الكرامات**: بالجمع، والاقتران بـ: (أل) وهي من الأسماء التي يَكْثُر إيرادُه لها.

ومن ذلك قوله في «الفرقان»: «فالقول على الله بغير علم، والشرك، والظلم، والفواحش، قد حرمها الله ـ تعالى ـ ورسوله، فلا تكون سبباً لكرامة الله ـ تعالى ـ ولا يستعان **بالكرامات** عليها»[٨].

---

(١) النبوات ١/ ٤٨٤.

(٢) يعني: أعلى من الخوارق الشيطانية.

(٣) النبوات ٢/ ١٠٣٠.

(٤) هو: أبو أسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفراييني، الملقب بركن الدين، الفقيه الشافعي، الأصولي الأشعري، صاحب التصانيف في أصول الدين، وأصول الفقه، وغيرها، توفي في نيسابور سنة ٤١٨هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٤/٢٥٦ ـ ٢٦٢، وتبيين كذب المفتري ص٢٤٣ ـ ٢٤٤، وطبقات الشافعية للإسنوي، تحقيق: عبد الله الجبوري، ط١، الإرشاد، بغداد، ١/ ٥٩ ـ ٦٠.

(٥) هو: أبو محمد بن أبي زيد القيرواني، الفقيه المعروف، شيخ المالكية في المغرب، الملقب بـ: مالك الصغير، كان واسع الاطلاع، كثير الحفظ، ذا صلاح وورع، ولد سنة ٣١٠هـ، وتوفي سنة ٣٨٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٠، وتاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ٢٧/ ١٨٣.

(٦) النبوات ٢/ ١٠٣١.

(٧) انظر: المرجع السابق ٢/ ٨٠٢، و٨٢٤، و١٠٣٦، و١٠٧٥، والجواب الصحيح ٦/ ٤٠١، والمستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمعه ورتَّبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، ط١، ١٤١٨هـ، ١/ ١٢٠، وجامع المسائل ٩/ ١٦١.

(٨) الفرقان ص٣٢٨.

وقال: «ومما ينبغي أن يعرف أن **الكرامات** قد تكون بحسب حاجة الرجل. . .»[١].

وقال مبيِّناً حال بعض الجهال ممن لا يفرقون بين الكرامات وغيرها: «وإن لم يكن تامَّ العلم بالشريعة؛ فاستعان بهم[٢]، فيما يظن أنه من **الكرامات**. . . فهذا مغرور قد مكروا به»[٣].

وقال في «الجواب الصحيح»: «لكن وجود **الكرامات** في الصالحين لا يوجب أن يكونوا معصومين»[٤].

٣ ـ الكرامة: بصيغة الإفراد والاقتران بـ: (أل).

وهذه التسمية ترد عند ابن تيمية.

ومن ذلك قوله في «الجواب الصحيح»: «فصل: في التحقيق في اسم المعجزة، والآية، و**الكرامة** وإطلاقهن»[٥].

وقال في «النبوات» في معرض كلام له عن طاعة الجن لسليمان ﷺ: «ولم تكن الآية، والمعجزة، و**الكرامة** التي أكرمه الله بها هي ما كانوا يعتادونه مع الإنس»[٦].

وقال في «قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات» مبيِّناً معنى خرق العادة: «. . . لكن كثير من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما[٧] فيجعل المعجزة للنبي، و**الكرامة** للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة»[٨].

٤ ـ كرامة: بالإفراد، والتنكير، وهي تسمية تَرِدُ عنده أحياناً كما **في قوله في** «الجواب الصحيح» مبيِّناً وجه الخطأ عند من ضلوا في باب الكرامات من الصوفية، **قال:** «فضلال الضُّلال من هؤلاء مبني على مقدمتين:

إحداهما: أن هذا له **كرامة**؛ فيكون وليّاً لله.

---

(١) الفرقان ص٣٢٠.

(٢) يعني: الشياطين.

(٣) المرجع السابق ص٣٦٥.

(٤) الجواب الصحيح ٢/ ٢٤٤، وانظر: النبوات ٢/ ١٠٣٣، و١/ ٥٤٤ ـ ٥٤٥، والصفدية ص١٨٨، ومجموع الفتاوى ١١/ ٣٢٠، ٣٢٥، و١٤/ ٣٦٤، والجواب الصحيح ٥/ ٤١٩، واقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٢٥٥.

(٥) الجواب الصحيح ٥/ ٤١٢.

(٦) النبوات ٢/ ٨٤١.

(٧) يعني: بين المعجزة والكرامة.

(٨) مجموع الفتاوى ١١/ ٣١٢، وانظر: ١١/ ٣٢٠ ـ ٣٢١، وجامع الرسائل ١/ ٩٦.

والثانية: أن ولي الله لا يجوز أن يخطئ. . .»[١].

٥ ـ **كرامات**: بالجمع، والتنكير، دون إضافة، أو بالإضافة إلى بعض صالحي الأمم: وهي تسمية ترد عنده أحياناً كما في **قوله**: «والصالحون لهم **كرامات** مثل **كرامات** صالحي هذه الأمة، ومثل **كرامات الحواريين** وغيرهم ممن كان على دين المسيح»[٢].

وقوله: «لكن يكون الرجل صالحاً وليّاً وله **كرامات**، ومع هذا فقد يغلط، ويخطئ فيما يظنه، أو فيما يسمعه، ويرويه»[٣].

٦ ـ **كرامات أولياء الله**: بإضافة (كرامات) إلى (أولياء) وإضافة أولياء إلى (الله).

وهي تسمية تَرِدُ عنده ـ أحياناً ـ.

يقول رَحِمَهُ اللهُ في «الفرقان» في فصل بَيَّن فيه أنْ ليس من شرط الولاية العصمة: «ويجوز أن يَظُنَّ[٤] في بعض الخوارق أنها من **كرامات أولياء الله** ـ تعالى ـ وتكون من الشيطان؛ لَبَّسها عليه؛ لنقص درجته، ولا يعرف أنها من الشيطان، وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله»[٥].

وقال في موضع آخر: «و**كرامات أولياء الله** ـ تعالى ـ أعظم من هذه الأمور[٦]»[٧].

وقال في موضع آخر مبيِّناً أجناس الخوارق: «وكثير منهم[٨] لا يعرف أن هذه من الشياطين؛ بل يظنها من **كرامات أولياء الله**»[٩].

وقال: «**فكرامات أولياء الله** لا بد أن يكون سببها التقوى»[١٠].

وقال في «الرد على الشاذلي»: «**وكرامات أولياء الله** تجيء حتماً وتبعاً. . .»[١١].

---

(١) الجواب الصحيح ٢/ ٣٤٥.
(٢) المرجع السابق ٢/ ٣٤٤.
(٣) المرجع السابق ٢/ ٣٤٤.
(٤) يعني: الولي.
(٥) الفرقان ص١٤٤.
(٦) يعني: الأمور الخارقة للعادة مما يكون فيها إعانة من الجن.
(٧) الفرقان ص١٦٩.
(٨) يعني: من أصحاب الخوارق.
(٩) الفرقان ص٣٥٠، وانظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م، ١/ ١٩٤، ومجموع الفتاوى ١١/ ٢٩٩.
(١٠) الفرقان ص٣٥٤.
(١١) الرد على الشاذلي ص٦٦.

٧ ـ **كرامات أولياء الله المتقين**: بإضافة (**كرامات**) إلى (**أولياء**) وإضافتها إلى (**الله**)، والوصف بـ:(**المتقين**).

وهي من التسميات النادرة عنده.

يقول في «الفرقان» عن بعض الأحوال الشيطانية التي تجري على يد بعض الجهلة والضُّلال: «ويظن الجهال أن هذا من **كرامات أولياء الله المتقين**.

وإنما هذا مُبْعد لصاحبه عن الله، وهو من أحوال الشياطين»[١].

٨ ـ **كرامات الأولياء المتقين**: بإضافة (**كرامات**) إلى (**الأولياء**)، والوصف بـ: (**المتقين**).

وهي تسمية نادرة عنده.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «منهاج السُّنَّة» في معرض كلام له عن جهل الرافضة، وضلالهم: «ولكن الرافضة؛ لجهلهم، وبعدهم عن طريق أولياء الله ـ ليس لهم من **كرامات الأولياء المتقين** ما يُعتد به...»[٢].

٩ ـ **آيات الأولياء**: وهي ـ أيضاً ـ من التسميات النادرة عند ابن تيمية؛ حيث سمى الكرامات (**آيات**)، وأضافها إلى (**الأولياء**).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «النبوات» في كلام له عن كون الكرامات آيات للأنبياء: «والقول الثاني ـ وهو الصحيح ـ: أن **آيات الأولياء** من جملة آيات الأنبياء»[٣].

١٠ ـ **آيات**: هكذا بالجمع والتنكير دون إضافة.

وهي من التسميات النادرة؛ **يقول** رَحِمَهُ اللَّهُ في «الجواب الصحيح»: «وقد يسمون[٤] الكرامات **آياتٍ**؛ لكونها تدل على نبوة مَن اتَّبعه الولي»[٥].

١١ ـ **الآيات**: بالجمع والاقتران بـ:(أل).

وهي تسمية يوردها ابن تيمية بندرة، **يقول** رَحِمَهُ اللَّهُ في «الجواب الصحيح» في غضون كلام له عن أنواع دلائل النبوة، وأنها أنواع كثيرة، وأن الآيات نوعان: منها ما مضى، وصار معلوماً بالخبر كمعجزات الأنبياء، ومنها ما هو باقٍ إلى اليوم، وذكر بعض ذلك كالقرآن، والعلم، والإيمان.

ثم قال: «وك**الآيات** التي يظهرها الله وقتاً بعد وقت من كرامات الصالحين من

(١) الفرقان ص٣٤٩.
(٢) منهاج السُّنَّة ٨/٢٠٣.
(٣) النبوات ٢/٨٢٣.
(٤) يعني: السلف كأحمد وغيره.
(٥) الجواب الصحيح ٥/٤١٩.

أمته»[١].

١٢ ـ الآيات الصغرى: بالجمع، والاقتران بـ:(أل) والوصف بـ:(**الصغرى**).

وهو إطلاق يورده ابن تيمية على الكرامات في مقابل المعجزات؛ فالمعجزات آيات كبرى، والكرامات آيات صغرى ـ كما يقرر ذلك ـ.

وهي من التسميات التي يوردها بقلة.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ **في** «النبوات» بعد أن قرر أن الآيات قسمان: كبرى، وصغرى، وأن الآيات الكبرى كانشقاق القمر، والإتيان بالقرآن مختصة بالأنبياء[٢] **قال:** «وأما **الآيات الصغرى** فقد تكون للصالحين، مثل: تكثير الطعام؛ فهذا قد وجد لغير واحد من الصالحين.

لكن لم يوجد كما وجد للنبي ﷺ أنه أطعم الجيش في شيء يسير؛ فقد يوجد لغيرهم[٣] من جنس ما وجد لهم؛ لكن لا يُماثلون قَدْره»[٤].

١٣ ـ آيات الصالحين: هي ـ أيضاً ـ تسمية نادرة قلَّما يوردها ابن تيمية.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن قرر آن آيات الأنبياء لا تعارض لا بمثلها، ولا بأقوى منها.

قال: «وكذلك **آيات الصالحين**»[٥].

١٤ ـ كرامات الصالحين: وهي من التسميات التي يوردها بكثرة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «و**كرامات الصالحين** تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول؛ لا تدل على أن الولي معصوم»[٦].

وقال: «ف**كرامات الصالحين** هي مستلزمة لصدقهم في قولهم: إن محمداً رسول الله، ولثبوت نبوته؛ فهي من جملة آيات الأنبياء»[٧].

وقال مبيِّناً ما يقع لبعض العباد الجهال من الأحوال الشيطانية التي يظنها كرامات.

قال: «فتظهر له هذه الأمور التي ظهرت للكهان والسحرة؛ حتى يظن أولئك أن هذه من **كرامات الصالحين**، وأن ما عليه هذا الشخص من العبادة هو طريق أولياء الله، وإن كان مخالفاً لطريق أولياء الله»[٨].

---

(١) الجواب الصحيح ٥/ ٤٢٠.
(٢) انظر: النبوات ٢/ ٨٠٢ ـ ٨٠٣.
(٣) يعني: لغير الأنبياء من الصالحين.
(٤) النبوات ٢/ ٨٠٣.
(٥) المرجع السابق ٢/ ١٠٨٢، وانظر: الجواب الصحيح ٥/ ٤٢٠.
(٦) النبوات ١/ ١٤٣، وانظر: ١٤١.
(٧) المرجع السابق ٢/ ٨٢٠.
(٨) المرجع السابق ٢/ ٨٣١، وانظر: الصفدية ص٢٠٣.

إلى غير ذلك مما أورده من هذه التسمية[١].

١٥ ـ الكرامات الرحمانية: بالجمع، والاقتران بـ:(أل) وبالوصف بـ: (الرحمانية).

وهي من التسميات التي ترد عند ابن تيمية أحياناً.

قال رَحِمَهُ اللهُ في «الفرقان» في معرض بيان له لبعض الفروق بين الكرامات والأحوال الشيطانية، مبيِّناً ضلال من يريد التوصل إلى الكرامة ببعض ما حرم الله كالشرك، والظلم، والفواحش، **قال**: «فإذا كانت[٢] لا تحصل بالصلاة، والذكر، وقراءة القرآن؛ بل تحصل بما يحبه الشيطان، وبالأمور التي بها شرك كالاستغاثة بالمخلوقات، أو كانت مما يستعان به على ظلم الخلق، وفعل الفواحش ـ فهي من الأحوال الشيطانية، لا من **الكرامات الرحمانية**»[٣].

وقال في موضع آخر: «وكثير من هؤلاء لا يعرف أن ذلك من الجن؛ بل سمع أن أولياء الله لهم كراماتٌ خوارقُ للعادات، وليس عنده من حقائق الإيمان، ومعرفة القرآن ما يفرق به بين **الكرامات الرحمانية**، وبين التلبيسات الشيطانية»[٤].

وقال في «النبوات» مبيِّناً ضلال من «لم يميزوا بين الخوارق الشيطانية التي هي من جنس ما للسحرة والكهان، ولعبَّاد المشركين وأهل الكتاب، وبين **الكرامات الرحمانية** التي يكرم الله بها عباده الصالحين»[٥].

١٦ ـ كرامات الرحمٰن: وهي تسمية نادرة جداً.

قال رَحِمَهُ اللهُ في «الفرقان» مبيِّناً خطأ بعض الشيوخ ممن التبس عليه أمر الأحوال الشيطانية بالكرامات، وأن كثيراً منهم تاب لما تبين له الحق، وما هم عليه من البدع المذمومة في الشرع، **قال**: «فعلموا حينئذٍ أنها[٦] من مخاريق الشيطان لأوليائه، لا من **كرامات الرحمٰن لأوليائه**»[٧].

١٧ ـ الأحوال الرحمانية: وهي تسمية ترد عنده بقلة.

---

(١) انظر: النبوات ١/٥٢٦، و٥٢٨، و٢/٩٩٩، و١٠١٦، و١٠٨٢، و١٠٨٤، ومجموع الفتاوى ١٣/٢٢٢، والجواب الصحيح ٢/٣٢٢.

(٢) يعني: الكرامة.

(٣) الفرقان ص٣٢٨، وانظر: مجموعة الرسائل الكبرى ١/١٧٣.

(٤) الفرقان ص٣٦٥ ـ ٣٦٦.

(٥) النبوات ٢/١٠٣٥.

(٦) يعني: الحيل، والأحوال الشيطانية.

(٧) الفرقان ص٣٦٩.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفرقان» مبيِّناً أن العالِم لا يخفى عليه الفرق بين الكرامات وغيرها من مخاريق الشياطين.

قال: «وإن كان الرجل خبيراً بحقائق الإيمان الباطنة؛ فارقاً بين **الأحوال الرحمانية**، والأحوال الشيطانية؛ فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره»[(١)].

وقال في «الرد على الشاذلي»: «فإن الأحوال النفسانية، والشيطانية نتيجة الخروج عن متابعة الرسل، كما أن **الأحوال الرحمانية** نتيجة اتِّباعهم»[(٢)].

١٨ ـ الأحوال الإيمانية القرآنية: وهي ـ تسمية ـ نادرة جدّاً عنده.

قال عنها في «مجموع الفتاوى»: «وهؤلاء يحصل لهم من الخوارق مما يُظَنّ أنه من كرامات الأولياء، وإنما هو من أحوال السحرة والكهان.

ولهذا يجب الفرقُ بين **الأحوال الإيمانية القرآنية**، والأحوال النفسانية، والأحوال الشيطانية»[(٣)].

١٩ ـ حال أولياء الرحمٰن: وهي ـ أيضاً ـ تسمية نادرة جدّاً.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا كان العبد من هؤلاء[(٤)] فَرَّق بين **حال أولياء الرحمٰن**، وحال أولياء الشيطان كما يفرق الصيرفي بين الدرهم الجيِّد، والدرهم الزيف...»[(٥)].

٢٠ ـ المعجزات لغير الأنبياء: وهي تسمية نادرة جدّاً، وهي من المواضع التي يسمي فيها الكرامات معجزات.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما **المعجزات التي لغير الأنبياء** من باب الكشف والعلم ـ فمثل قول عمر[(٦)] في قصة سارية...»[(٧)].

٢١ ـ معجزات أتباع الأنبياء: وهي كسابقتها من حيث الندرةُ، ومن حيث تسميةُ الكرامات معجزات.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن الأنبياء يصدق بعضهم بعضاً؛ فلا يُتَصَوَّر أنَّ نبيّاً يبطل معجزة آخر، وإن أتى بنظيرها فهو يصدقه.

ومعجزة كلٍّ منهما آية له وللآخر ـ أيضاً ـ كما أن **معجزات أتباعهم** آيات لهم»[(٨)].

---

(١) الفرقان ص١٧٦.
(٢) الرد على الشاذلي ص١٧.
(٣) مجموع الفتاوى ١٠/٢٧٨، والفتاوى الكبرى ٥/٢٤٨.
(٤) أي: من العلماء.
(٥) الفرقان ص١٧٨.
(٦) مضى ذكرها.
(٧) مجموع الفتاوى ١١/٣١٨.
(٨) النبوات ١/١٩٣.

٢٢ ـ **خوارق الأولياء**: فكلمة خوارق جمع: خارق، والخارق: اسم مشترك يطلق على المعجزة، والكرامة، والحال الشيطاني.

ولكن إذا أضيف إلى الأولياء قُصِد به الكرامة.

وهذه التسمية ـ **خوارق الأولياء** ـ جاءت عند ابن تيمية بِقِلَّة، كما في **قوله**: «والسلف كأحمد وغيره كانوا يسمون هذا وهذا[١] معجزاً.

ويقولون **لخوارق الأولياء**: إنها معجزات...»[٢].

٢٣ ـ **خوارق الصالحين**: وهي تسمية نادرة، وهي كسابقتها؛ من جهة أن كلمة **(خوارق)** أضيفت إلى الصالحين؛ فصارت تعني: الكرامة.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الصالحون الذين يَدْعُون إلى طريق الأنبياء ـ لا يخرجون عنها[٣] ـ فتلك **خوارقهم** من معجزات الأنبياء...»[٤].

والضمير في **قوله**: «خوارقهم» يعود إلى الصالحين؛ يعني: **خوارق الصالحين**.

٢٤ ـ **خوارق المقربين السابقين**: بإضافة **(خوارق)** إلى **(المقربين)**، والوصف بـ: **(السابقين)**.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوى»: «هذه **خوارق المقربين السابقين**؛ فلا بد أن ينظر في الخوارق: في أسبابها، وغاياتها...»[٥].

فهذه هي الأسماء والألقاب التي يطلقها ابن تيمية ويريد بها **كرامات الأولياء**.

وهناك أسماء أخرى تطلق على الكرامات بالاشتراك كما في الأسماء الآتية.

٢٥ ـ **الخارق الديني**: وهو اسم مشترك عنده بين المعجزة والكرامة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأنفع الخوارق: **الخارق الديني**، وهو حال نبيّنا محمد ﷺ»[٦].

إلى أن قال: «فظهر بذلك أن الخوارق النافعة تابعة للدين حادثة له كما أن الرياسة النافعة هي التابعة للدين، وكذلك المال النافع، كما كان السلطان والمال بيد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما»[٧].

٢٦ ـ **الخارق**[٨]. ٢٧ ـ **الخارقة**[٩]. ٢٨ ـ **التصرفات الخارقة للعادات**[١٠].

---

(١) يقصد بهذا وهذا: المعجزات والكرامات.
(٢) الجواب الصحيح ٥/ ٤١٩.
(٣) يعني: لا يخرجون عن طريق الأنبياء.
(٤) النبوات ١/ ١٤١.
(٥) مجموع الفتاوى ١٠/ ٥٠٠.
(٦) المرجع السابق ١١/ ٣٣٣.
(٧) المرجع السابق ١١/ ٣٣٤.
(٨) انظر: المرجع السابق ١١/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠، و٣٣١، و٣٣٣.
(٩) انظر: النبوات ١/ ٢٤٠.
(١٠) انظر: الفرقان ص٣٤٩.

٢٩ ـ خوارق العادات[١]. **٣٠ ـ الخوارق**[٢]. **٣١ ـ الأمور الخارقة للعادة**[٣].

وهذه أسماء مشتركة تطلق على المعجزات، والكرامات، والأحوال الشيطانية، وقد تطلق على واحد منها بحسب السياق.

فهذه ـ إذاً ـ هي أسماء الكرامات وألقابها عند ابن تيمية سواء الخاصة بها، أو التي تشترك فيها مع غيرها من الخوارق.



(١) انظر: الفرقان ص٣٤٢، ومجموع الفتاوى ٢/٤٠٨، و١١/٣٢٠، ومنهاج السُّنَّة ٨/٢٠٠، و٢٠٤، واقتضاء الصراط المستقيم ٢/٢٥٥.

(٢) انظر: الفرقان ص٣٤٣، و٣٤٩، و٣٥٠، و٣٥١، و٣٥٢، و٣٦٨، والنبوات ١/١٥١، و١٥٣، و١٥٧، و٢/١٠٢٩، و١٠٧٧، و١٠٨٥، ومجموع الفتاوى ١/١٧٧، و٢٦٦، و١١/٣١٣، و٣٢٣، و٣٣٩، و٣٣٢، و٣٣٣، ومنهاج السُّنَّة ٨/٢٠٥، و٢٠٦، و٢٠٩، و٢١١، وجامع المسائل ٩/١٦١.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١١/٢١٤، و٢٩٤.

المطلب الرابع

تفريقه بين المعجزة والكرامة

لقد عني ابن تيمية رحمه الله بشأن التفريق بين المعجزة والكرامة أيما عناية؛ لإدراكه أهمية ذلك، ولعلمه بما يترتب على الخلط بينهما من الضلال البعيد، والفساد العريض؛ لذا كان هذا الموضوع من أعظم ما عُني بتحريره، وبيان وجه الحق فيه.

هذا وقد مرت إشارات إلى ذلك في الباب الأول، وفي المطالب الثلاثة الماضية.

والكلام في هذا المطلب سيدور حول **تفصيل تفريقه بين المعجزة والكرامة**.

وقبل الدخول في ذلك يحسن الوقوف على مجمل ما قرره من مواضع الاتفاق بين المعجزة والكرامة، وذلك من خلال ما يلي:

١ ـ أنهما يتفقان في كونهما من خوارق العادات[(١)].

٢ ـ أنهما يتفقان في كون كرامات الأولياء داخلةً في معجزات الأنبياء[(٢)].

٣ ـ أن بعضهما يسمى باسم الآخر؛ فالمعجزات تسمى كرامات الأنبياء، والكرامات تسمى آيات الصالحين، والآيات الكبرى، وهكذا[(٣)].

٤ ـ أن المعجزاتِ لا تُعارض بمثلها، ولا بأقوى منها، وكذلك الكرامات.

بل إنها ـ كما يقرر ـ **متصادقة متعاونة على مطلوب واحد**، وهو عبادة الله، وتصديق رسله[(٤)].

٥ ـ كونُ كلٍّ من المعجزات، والكرامات لا يُشترط فيه التحدي، أو عدمه[(٥)].

فهذا ـ بإجمال ـ أهم ما قرره ابن تيمية من مواضع الاتفاق بين المعجزات

---

(١) انظر: النبوات ١/١٤١، و١٦٣، و٢١٥. (٢) انظر: المرجع السابق ١/١٤١.

(٣) انظر: المرجع السابق ٢/١٠٨٢، والجواب الصحيح ٥/٤٢٠.

(٤) انظر: النبوات ٢/١٠٨٢.

(٥) انظر: المرجع السابق ١/١٣٨ ـ ١٤٠، و١٦٠، و٦٠٤، و٢/٧٩٤، والجواب الصحيح ٦/٣٨٠، و٤٠٨، و٤٩٦، والفرقان ص٢٩٢، ومجموع الفتاوى ١١/٣٢٢ ـ ٣٢٥.

والكرامات، وقد مضى تفصيل ذلك في الباب الأول، وفي المطالب الثلاثة الماضية.

أما تفريقه بين المعجزة والكرامة فإنه قد فرَّق بينهما بفروق واضحة جلية انطلق فيها من النصوص الشرعية، والبراهين العقلية، والاستقراء التاريخي.

وقد حمله على ذلك ـ زيادة على ما مضى ذكره من إدراكه لأهمية تمييز المعجزة من الكرامة ـ ما يراه من الخلل، والتقصير، وضعف التحرير في هذا الجانب، خصوصاً مما تطرق لموضوع الكرامات من المتكلمين وغيرهم.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن الناس[١] من فرق بين معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء بفروق ضعيفة مثل قولهم: الكرامة يخفيها صاحبها، أو الكرامة لا يُتحدى بها»[٢].

ثم يفند هذا الرأي بقوله: «ومن الكرامات ما أظهرها أصحابها كإظهار العلاء بن الحضرمي المشي على الماء، وإظهار عمر مخاطبة سارية»[٣].

ويوضح أن «منها ما يتحدى بها صاحبها أن دين الإسلام حق كما فعل خالد بن الوليد لما شرب السم، وكالغلام الذي أتى الراهب، وَتَرَك الساحر، وأمر بقتل نفسه باسم ربه، وكان قبل ذلك قد خَرِقت له العادة؛ فلم يتمكنوا من قتله، وهذا كثير»[٤].

وهكذا يبيِّن وَهَاءَ هذه الفروق، وكونَها لا تُميِّز المعجزة من الكرامة.

لذا عُني في ذكر الفروق الحقيقية بينهما، وذلك في مواضع عدة من آثاره خصوصاً في «النبوات»، وفيما يلي **تفصيل** لما قرره من الفروق بينهما:

○ **أولاً: أن الكرامات دون المعجزات:** فبعد أن قرر أن كراماتِ الأولياء معجزاتٌ لأنبيائهم.

قال: «ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين؛ **فلا تَبْلُغُ كراماتُ** أحدٍ قط إلى مثل معجزات المرسلين، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم.

ولكن قد يشاركونهم في بعضها[٥] كما قد يشاركونهم في بعض أعمالهم»[٦].

وهذا ما سيتضح في الفقرة التالية.

○ **ثانياً: أن المعجزات خاصة بالأنبياء دون الأولياء سواء في جنسها، أو قدرها:** فكما يقرر أن الأولياء يشارِكون في جنس بعض الآيات المعجزات ـ يقرر

---

(١) يعني بهم: الأشاعرة. (٢) النبوات ١/١٣٨.
(٣) المرجع السابق ١/١٣٨ ـ ١٣٩.
(٤) المرجع السابق ١/١٤٠ ـ ١٤١، وانظر: مجموع الفتاوى ١١/٢٧٧ ـ ٢٧٨.
(٥) يعني: في بعض جنس المعجزات. (٦) النبوات ١/١٤٢ ـ ١٤٣.

أيضاً أن من الآيات المعجزات ما هو خاص بالأنبياء، ولا تبلغه كراماتُ الأولياء بحال، ويعني بذلك: الآياتِ الكبرى.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض كلامه عن الفروق بين المعجزات والكرامات: «وأيضاً فإن كراماتِ الأولياء معتادة في الصالحين، ومعجزات الأنبياء فوق ذلك»[١].

ثم يضرب المثال ببعض المعجزات الكبرى الخاصة بالأنبياء دون الأولياء، **فيقول**: «فانشقاق القمر، والإتيان بالقرآن، وانقلاب العصا حية، وخروج الدابة من صخرة ـ لم يكن للأولياء، وكذلك خلق الطير من الطين»[٢].

إلى أن يقول مقرراً أن آيات الأنبياء تنقسم باعتبار نفسها إلى صغائر، وكبائر: «ولكن آياتهم[٣] صغائر وكبائر، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠﴾ [النازعات]، فلله ـ تعالى ـ آية كبيرة وصغيرة.

وقال عن نبيِّه محمد: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم]، فالآيات الكبرى مختصة بهم»[٤].

وبعد أن قرر أن الآيات الكبرى خاصة بالأنبياء **قال**: «وأما الآيات الصغرى فقد تكون للصالحين، مثل تكثير الطعام؛ فقد وجد لغير واحد من الصالحين»[٥].

ثم يستدرك مبيِّناً أن جنس الآيات الصغرى ـ وإن وجدت لبعض الصالحين ـ لا تبلغ مبلغ ما للأنبياء من الآيات.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ضرب المثال بتكثير الطعام لبعض الصالحين: «لكن لم يوجد كما وُجِد للنبي ﷺ أنه أطعم الجيش في شيء يسير؛ فقد يوجد لغيرهم[٦] من جنس ما وجد لهم[٧]، لكن لا يماثلونهم في قدره»[٨].

ثم يزيد الأمر وضوحاً في بيان اختصاص آيات الأنبياء **إما بجنسها، أو بقدرها، فيقول**: «فهم[٩] مختصون إما بجنس الآيات؛ فلا يكون لمثلهم[١٠]؛ كالإتيان بالقرآن،

---

(١) النبوات ٢/٨٠٢.

(٢) المرجع السابق ٢/٨٠٢ ـ ٨٠٣، وانظر: مجموع الفتاوى ١١/٢٩٨ ـ ٢٩٩، و٣٢٣ ـ ٣٢٤.

(٣) يعني: الأنبياء.

(٤) النبوات ٢/٨٠٣.

(٥) المرجع السابق ٢/٨٠٣.

(٦) يعني: أصحاب الخوارق من غير الأنبياء.

(٧) يعني: من جنس ما وجد للأنبياء من الخوارق.

(٨) النبوات ٢/٨٠٣.

(٩) يعني: الأنبياء.

(١٠) يعني: لغيرهم؛ يعني: لأحد مثل ما لهم.

وانشقاق القمر، وقلب العصا حية، وانفلاق البحر، وأن يخلق من الطين كهيئة الطير.

وإما **بقدرها وكيفيتها** كنار الخليل؛ فإن أبا مسلم الخولاني وغيره صارت النار عليهم برداً وسلاماً»[١].

ثم يبيِّن وجه امتياز المعجزة هٰهنا عن الكرامة **فيقول:** «لكن لم تكن مثل نار إبراهيم في عظمتها كما وصفوها[٢]؛ فهو[٣] مشارك للخليل في جنس الآية كما هو مشارك في جنس الإيمان: محبة الله، وتوحيده.

ومعلوم أن الذي امتاز به الخليل من هذا لا يماثله فيه أبو مسلم وأمثاله»[٤].

○ **ثالثاً: أن الكرامات لا تدل على العصمة، ولا على وجوب الطاعة بخلاف المعجزة؛ فإنها تدل على ذلك: يقول** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول، لا تدل على أن الولي معصوم، ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقوله»[٥].

ثم بيَّن ضلال من لم يدرك هذا الفرق، ويضرب المثل بالنصارى؛ **فيقول:** «ومن هنا ضل كثير من الناس من النصارى وغيرهم؛ فإن الحواريين[٦] وغيرهم كانت لهم كرامات كما تكون لصالحي هذه الأمة؛ فصاروا يوجبون موافقتهم في كل ما يقولون»[٧].

ثم يبيِّن وجه الضلال في ذلك فيقول: «وهذا غلط؛ فإن النبي وجب قبولُ كلِّ ما يقول؛ لكونه نبيّاً ادَّعى النبوة، ودلَّت المعجزة على صدقه.

والنبي معصوم، وهنا المعجزة[٨] ما دلت على النبوة؛ بل على متابعة النبي،

---

(١) النبوات ٢/ ٨٠٣ ـ ٨٠٤.

(٢) انظر: وصفها وعظمها في تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ١/ ١٤٦ ـ ١٤٨، وقصص الأنبياء لابن كثير، مكتبة الرياض الحديثة، ص١٣٨ ـ ١٤١.

(٣) يعني: أبا مسلم الخولاني.

(٤) النبوات ٢/ ٨٠٤.

(٥) المرجع السابق ١/ ١٤٣.

(٦) الحواريون: هم خاصة أصحاب عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الذين بادروا بالإيمان به. انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٣٩٨ ـ ٤٠٠، و٤/ ١٧.

(٧) النبوات ١/ ١٤٣، وانظر: الجواب الصحيح ٢/ ٨٣ ـ ٨٥، و٢٤٤ ـ ٢٤٥.

(٨) يقصد بالمعجزة هٰهنا: معجزة الولي، وهي الكرامة.

وصحة دين النبي؛ فلا يلزم أن يكون هذا التابع[١] معصوماً»[٢].

وهذا فرق دقيق لطيف تتميز به المعجزة عن الكرامة تميُّزاً ظاهراً.

قال رَحِمَهُ اللهُ في «الفرقان»: «وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل واحد يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ».

وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم؛ فإن الأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله ﷻ وتجب طاعتهم في كل ما يأمرون به.

بخلاف الأولياء؛ فإنه لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به، ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به.

بل يُعرضُ أَمْرُهم وخبرُهم على الكتاب والسُّنَّة؛ فما وافق الكتاب والسُّنَّة وجب قبولُه، وما خالف الكتاب والسُّنَّة كان مردوداً وإن كان صاحبه من أولياء الله، وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله، وله أجر اجتهاده»[٣].

إلى أن يقول: «ولكنه إذا خالف الكتاب والسُّنَّة كان مخطئاً، وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع»[٤].

وقال بعد أن ساق عدداً من النصوص القرآنية الدالة على ذلك: «وهذا الذي ذكرته من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له، أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار الكتاب والسُّنَّة ـ هو مما اتفق عليه أولياء الله ﷻ ومن خالف ذلك فليس من أولياء الله ـ سبحانه ـ»[٥].

وقال في «الصفدية» مشيراً إلى هذا الفرق بشيء من التفصيل: «ومما يبيِّن الفرق بين النبيين وغيرهم أن الله ـ سبحانه ـ أوجب الإيمان بما أوتيه كل نبي من غير استثناء ـ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة]، وقال: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]»[٦].

---

(١) يعني: الذي جرت على يده الكرامة.
(٢) النبوات ١/١٤٣.
(٣) الفرقان ص١٥٨.
(٤) المرجع السابق ص١٦١.
(٥) المرجع السابق ص١٦١، وانظر: ١٦١ ـ ١٦٧.
(٦) الرسالة الصفدية ص٢٥٦ ـ ٢٥٧.

إلى أن قال: «وأيضاً فإنه أخبر بعصمة ما جاءت به الأنبياء، ونسخ ما يلقيه الشيطان من الباطل في أمنياتهم، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ [الحج]»[١].

ثم تطرق لقراءة (أو مُحدَّث) وهو الملهم، **فقال:** «فإن قيل: ففي قراءة ابن عباس (أو محدَّث)[٢] وبهذا اللفظ احتج الحكيم الترمذي وغيره ـ قيل: أولاً: هذه القراءة إذا ثبت أنها قراءة فلا يعرف لفظُ بقيةِ سائرِ الكلام معها كيف كان؛ فإنها بتقدير صحتها إما من الحروف السبعة، وإما مما نسخت تلاوته»[٣].

ثم يوجه القراءة على التقديرين، فيقول: «وعلى التقديرين فيجوز أن يكون نظمُ سائرِ الآية كان على وجهٍ لا يدل على عصمة المحدَّث؛ بل فيها نسخ ما يلقيه في أمنيَّة النبي والرسول دون المُحدَّث.

وإن ثبت أن الله ـ تعالى ـ كان ينسخ ما يلقي الشيطان في قلوب المحدَّثين قَبْلَنَا فلا يقتضي أن ذلك بوحي يأتيه؛ بل يكون بعرضه ذلك على نبوات الأنبياء، فإن خالف ذلك كان مردوداً»[٤].

ثم يصل إلى النتيجة في ذلك؛ فيقول: «وحينئذٍ فيكون حِفْظُ الولي بمتابعة الكتاب والسُّنَّة»[٥].

ثم يذكر على سبيل الفرض أنه «وإن قدِّر أن المُحدَّث ممن قبلنا كان ينسخ ما يلقيه الشيطان فيما يُلقى إليه من غير استدلال بالنبوة ـ فيكون من كان قبلنا كانوا مأمورين باتباع المحدَّث مطلقاً؛ لعصمة الله إياه»[٦].

ثم يبيِّن أننا نحن لم نؤمر بذلك، ويوضح العلة **بقوله:** «وسبب ذلك أن من كان قبلنا لم يكن يكفيهم نبوةٌ واحدةٌ؛ بل كانوا يأخذون بعضَ الدِّين عن هذا النبي، وبعضَه عن هذا النبي بتصديق الآخر له، كما كان أنبياء بني إسرائيل مأمورين باتباع

---

(١) الرسالة الصفدية ص٢٥٧.

(٢) علق هذه القراءة البخاري في صحيحه (٣٦٨٩)، وقال الحافظ في الفتح ٧/٥١: «أخرجه سفيان بن عيينه في أواخر جامعه، وأخرجه عبد بن حميد، وإسناده إلى ابن عباس صحيح».

(٣) الرسالة الصفدية ص٢٥٧.

(٤) المرجع السابق ص٢٥٧.

(٥) المرجع السابق ص٢٥٧.

(٦) المرجع السابق ص٢٥٨.

التوراة، وكما كان المسيح أحل لهم بعض ما حُرِّم عليهم، وأحالهم في أكثر الأحكام إلى التوراة»[١].

وهكذا يبيِّن هذا الفرق الجلي الذي **تتمحض به المعجزة عن الكرامة.**

إلى أن قال موضحاً أن نبوة محمد ﷺ تختلف عن غيره؛ لِكونها الخاتمة، الشاملة، الكاملة؛ قال: «وأما نبوة محمد ﷺ فهي كافية لأمته، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت]»[٢].

وهكذا يقرر هذا الفرق العظيم بين الكرامة والمعجزة، وهو **أن الكرامة لا تدل على العصمة، ولا على وجوب الطاعة بخلاف المعجزة.**

○ **رابعاً: أنهما يفترقان في خرقهما للعادة:** فكما يقرر أنهما خارقان للعادة ـ كما مرَّ ـ فإنه يقرر افتراقهما في كيفية خرق العادة؛ فيرى أن المعجزات لا بد أن تكون خارقة للعادة مطلقاً، بمعنى: أنها ليست معتادة للآدميين[٣]؛ بل لجميع الثقلين عدا الأنبياء؛ فشرطها عنده ألا يكون لها نظير في العالم لغير الأنبياء.

أما الأنبياء فإن جنس خوارقهم معتاد لهم؛ بل من لوازم نبوتهم[٤].

في حين يقرر أن كرامات الأولياء خارقة لغيرهم عدا الأنبياء وإن كانت معتادة في الصالحين أنفسِهم.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقرراً هذا المعنى: «والكرامات معتادة في الصالحين منا، ومن قبلنا؛ ليست خارقة لعادة الصالحين.

وآيات الأنبياء خارقة لعادة الصالحين»[٥].

فهو ـ إذاً ـ يقرر أن المعجزات أعظم خرقاً للعادة من الكرامات، فالمعجزات ـ كما يقرر ـ خارقة لعادة الصالحين، ولا عكس؛ فليست الكرامات خارقة لعادة الصالحين فضلاً عن الأنبياء.

وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة في المبحث الثاني من هذا الفصل.

○ **خامساً: أن الكرامات تُنال بالصلاح بخلاف المعجزات؛ فإنها اصطفاء**

---

(١) الرسالة الصفدية ص٢٥٨، وانظر: الأصبهانية ص٦١٦.

(٢) المرجع السابق ص٢٥٨، وانظر: ص٢٥٨ ـ ٢٦١، وانظر: الأصبهانية ص٦١٦ ـ ٦١٧.

(٣) انظر: النبوات ١/ ١٦٤.

(٤) انظر: المرجع السابق ١/ ١٧١، ٢/ ٨٥٥، ٨٥٩، و٨٦٣، و١٠٨٢، و١٠٨٤.

(٥) النبوات ١/ ٥٦٠.

من الله: **يقول** رَحِمَهُ اللهُ مقرراً هذا المعنى: «وهذه[١] تنال بالصلاح؛ بدعائهم وعبادتهم[٢].

ومعجزات الأنبياء لا تنال بذلك ـ ولو طلبها الناس ـ حتى يأذن الله فيها»[٣].

ويستشهد على ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٩][٤]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾[٥] [الأنعام: ٣٧][٦].

وقال في موضع آخر في معرض كلام له عن الفروق بين المعجزات، وخوارق السحرة والكهان، **قال:** «خوارق غير الأنبياء: الصالحين، والسحرة، والكهان، وأهل الشرك والبدع ـ تُنال بأفعالهم؛ كعبادتهم، ودعائهم، وشركهم، وفجورهم، ونحو ذلك.

وأمّا آيات الأنبياء فلا تحصل بشيء من ذلك، بل الله يفعلها آيةً، وعلامةً لهم.

وقد يُكرمهم بمثل كرامات الصالحين، وأعظم من ذلك، مما يقصد به إكرامهم»[٧].

ثم بيَّن معنى هذا الإكرام المماثل لكرامات الصالحين **بقوله:** «لكن هذا النوع يقصد به الإكرام والدلالة، بخلاف الآيات المجردة كانشقاق القمر، وقلب العصا حية، وإخراج يده بيضاء، والإتيان بالقرآن، والإخبار بالغيب الذي يختص الله به»[٨].

فهذه الأخيرة من معجزات الأنبياء الكبرى التي لا تماثل ما يُكْرَم به الصالحون.

ثم أوضح أن هذه الآيات هي من أجلى الفروق بين المعجزات والكرامات، وأنها لا تنال بسبب، وإنما هي محض اختيار الله؛ **فقال:** «فأمرُ الآيات إلى الله، لا

---

(١) يعني: الكرامات.
(٢) يعني: الأولياء الصالحين.
(٣) النبوات ١/ ٥٦٠، وانظر: الرسالة الصفدية ص٢٣٣.
(٤) قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ في تفسير هذه الآية: «معنى كون الآيات عند الله أن الآيات من آثار قدرة الله وإرادته».
إلى أن قال: «والحصر بـ (إنما) ردٌّ على المشركين ظنَّهم بأن الآيات في مقدور النبيء ﷺ إن كان نبيئاً؛ فجعلوا عدم إجابة النبيء ﷺ اقتراحهم آيةَ أمارةٍ على انتفاء نبوءته؛ فأمره الله أن يجيب: بأن الآيات عند الله لا عند الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ والله أعلم بما يُظْهِرُه من الآيات». تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ٤/ ٤٣٦.
(٥) انظر: التحرير والتنوير ٤/ ٢٠٩ ـ ٢١٠.
(٦) انظر: النبوات ١/ ٥٦٠.
(٧) المرجع السابق ٢/ ١٠٨٤.
(٨) المرجع السابق ٢/ ١٠٨٤.

إلى اختيار المخلوق، والله يأتي بها بحسب علمه، وحكمته، وعدله، ومشيئته، ورحمته، كما يُنزل ما ينزله من آيات القرآن، وكما يخلق من يشاء من المخلوقات، بخلاف ما حصل باختيار العبد؛ إما لكونه يفعل ما يُوجبه، أو يدعو الله به؛ فيجيبه»[(١)].

إلى أن يقول: «فالخوارق التي ليست آيات: تارةً تكون بدعاء العبد، والله يُجيب دعوة المضطر إذا دعاه، وإن كان كافراً، لكن للمؤمنين من إجابة الدعاء ما ليس لغيرهم»[(٢)].

ثم بيَّن بعد ذلك ما تحصل به الخوارق من أسباب إما من دعاء، أو سعي، أو نحو ذلك.

ثم قال: «وأما آيات الأنبياء: فلا تحصل بشيء من ذلك»[(٣)].

○ **سادساً: أن معجزات الأنبياء مستلزمة لصدقهم بخلاف كرامات الأولياء؛ فإنها مستلزمة لتصديقهم[(٤)] الأنبياء:** فقد قرر ابن تيمية هذا المعنى كثيراً، **يقول** رَحِمَهُ اللهُ: «الناس يعلمون بالضرورة أن الآيات التي يأتي بها الأنبياء من آيات من الله، وعلامةٌ أعلمَ بها عبادَه أنه أرسلهم، وأمرهم بطاعته»[(٥)].

وقال في موضع آخر: «فآيات الأنبياء تدل على صدقهم دلالة معلومة بالضرورة تارة، وبالنظر أخرى»[(٦)].

وقال: «فآيات الأنبياء مستلزمة لصدقهم، وصِدْقِ مَنْ صدَّقهم، وشهد لهم بالنبوة»[(٧)].

كما قرر أن كرامات الأولياء تقع لهم على سبيل التبع، لا الاستقلال؛ أي: أن حُصولَها لهم إنما كان بسبب اتباعهم لأنبيائهم، لا أنها حصلت لهم استقلالاً، ولا أنهم يدَّعون ذلك، أو أنها من عند الله، أو أن الله أعلم عباده أنه أرسلهم، وأمر الناس بطاعتهم.

قال رَحِمَهُ اللهُ بعد أن بيَّن أن بعض الآيات التي يبعث الله بها أنبياء قد يكون مثلها

(١) النبوات ٢/ ١٠٨٥، وانظر: الجواب الصحيح ٥/ ٤١٢ ـ ٤٢١.
(٢) النبوات ٢/ ١٠٨٥.
(٣) المرجع السابق ٢/ ١٠٨٥.
(٤) أي: تصديق الأولياء للأنبياء.
(٥) النبوات ٢/ ٦٦٩، وانظر: الجواب الصحيح ٥/ ١٤٦، و١٥٢، و١٥٩، وشرح الأصبهانية ص٥٣٧.
(٦) النبوات ٢/ ٨٠٦.
(٧) المرجع السابق ٢/ ٨٠٧.

لآخرين كإحياء الموتى، **قال**: «وقد يكون إحياء الموتى على يد أتْباع الأنبياء، كما وقع لطائفة من هذه الأمة، ومن أتباع عيسى»[(١)].

ثم أوضح سبب حصول تلك الآيات لهم **فقال**: «فإن هؤلاء[(٢)] يقولون: نحن إنما أحيا الله الموتى على أيدينا لاتّباع محمد، أو المسيح؛ فبإيماننا بهم، وتصديقنا لهم أحيا الله الموتى على أيدينا؛ فكان إحياء الموتى مستلزماً لصدق عيسى ومحمد لم يكن قطُّ مع تكذيبهما؛ فصار آية لنبوتهم»[(٣)].

وقال ـ ايضاً ـ مقرراً ذلك المعنى: «فالآية مستلزمة لصدقه[(٤)]، وثبوت نبوته.

ومن أخبر غيره عن إرسال الله له، وأتى هذا المخبر بآية[(٥)] كانت ـ أيضاً ـ آية على صدق هذا المخبر[(٦)]، وثبوت نبوة النبي ﷺ[(٧)].

وقال في معرض حديث له عن الفروق بين آيات الأنبياء، وخوارق السحرة والكهان: «وآيات الأنبياء هي معتادة أنها تدل على خبر الله وأمره على علمه وحكمته؛ فتدل على أنهم أنبياء، وعلى صدق من أخبر بنبوتهم سواء كانوا هم المخبرين[(٨)]، أو غيرهم[(٩)].

وكرامات الأولياء هي من هذا؛ فإنهم يخبرون بنبوة الأنبياء»[(١٠)].

○ **سابعاً: أن حقوق صاحب المعجزة أعظم من حقوق صاحب الكرامة**: وقد مرَّت الإشارة إلى ذلك في فقرة سابقة عند الكلام على أن الكرامات لا تدل على العصمة، ولا على وجوب الطاعة، بخلاف المعجزة؛ فإنها تدل على ذلك ـ كما قرره ابن تيمية ـ.

ويقرر ـ أيضاً ـ أن لأصحاب المعجزات ـ وهم الأنبياء ـ حقوقاً أخرى ليست للأولياء؛ بحيث إن التعرض لهم بأي أذىً، أو تكذيب هو أعظم من التعرض للأولياء، ويترتب على ذلك أحكام لا تترتب على أذية صاحب الكرامة.

---

(١) النبوات ٢/ ٨٠٧ ـ ٨٠٨.
(٢) يعني: الذين جرت على أيديهم آيات.
(٣) النبوات ٢/ ٨٠٧ ـ ٨٠٨، وانظر: مجموع الفتاوى ١١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥.
(٤) أي: صدق النبي.
(٥) المخبر قد يكون نبيّاً، أو وليّاً.
(٦) يعني: أتى بآية خارقة.
(٧) النبوات ٢/ ٨٠٩.
(٨) يقصد بكونهم المخبرين: الأنبياء الذين يخبر بعضهم بنبوة من قبلهم.
(٩) يقصد بغيرهم: الأولياء الذين يخبرون بنبوة الأنبياء.
(١٠) النبوات ٢/ ١٠٧٥.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «وأيضاً فمن خصائص الأنبياء أن من سبّ نبيّاً من الأنبياء **قتل باتفاق الأئمة**، وكان مرتدّاً.

كما أن من كفر به، وبما جاء به كان مرتداً ـ فإن الإيمان لا يتم إلا بالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله.

وأما **الولي الذي ليس بنبي؛ فلا يجب القتل بمجرد سبِّه**، ولا يكون مرتداً عن الإسلام من لم يؤمن به»[(١)].

وقال في موضع آخر مقرراً هذا المعنى: «ولهذا اتفق المسلمون على أن من **كَذَّب نبيّاً** معلوم النبوة فهو كافر مرتد، ومن سبَّ نبيّاً وجب قتله.

بل يجب الإيمان بجميع ما أوتيه النبيون كلهم لا نُفَرِّق بين أحد منهم؛ فنؤمن ببعض، ونكفر ببعض»[(٢)].

إلى ان قال مبيِّناً ما امتاز به الأنبياء عن الأولياء وغيرهم: «وليس هذا لأحد غير الأنبياء، ولو كان من رسل الأنبياء، وكانوا من أعظم الصديقين»[(٣)].

وبنهاية هذا المطلب يتبين تفريق ابن تيمية بين المعجزات والكرامات؛ حيث قرر أن الكرامات دون المعجزات سواء في جنسها، أو قدرها، وأن الكرامات لا تدل على العصمة ولا على وجوب الطاعة، بخلاف المعجزة؛ فإنها تدل على ذلك.

كما أوضح أنهما يختلفان في صفة خرقهما للعادة، وأن الكرامات تنال بالصلاح بخلاف المعجزات فإنها اصطفاء، وأن حقوق صاحب المعجزة أعظم من حقوق صاحب الكرامة.

فبهذه الفروق يجلي ابن تيمية مفهوم الكرامة عن المعجزة، ويميز كل واحدٍ منهما عن الآخر؛ فلا يلتبس به.



(١) الرسالة الصفدية ص٢٦١.

(٢) الجواب الصحيح ٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٢٤٥.

المبحث الثاني

شروط قبول الكرامة عنده

مدخل

من خلال تتبع كلام ابن تيمية حول قبوله للكرامة يتبيَّن أنه يشترط لذلك شروطاً تنحصر في ثلاثة.

فهذه الشروط، وما يندرج تحتها هي أساس قبول الكرامة؛ لتكون كرامة بالمعنى الشرعي عند ابن تيمية.

وهي تغني عن تفصيلات كثيرة، وتفريعات متشعبة.

وهي ـ بإجمال ـ:

١ ـ موافقة الكرامة للشرع.

٢ ـ حصول الإكرام فيها.

٣ ـ صحة وقوعها.

وأما تفصيل الكلام على هذه الشروط فسيكون من خلال المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول

موافقة الكرامة للشرع

وهذا الشرط من أهم شروط قبول الكرامة عنده؛ إذ به تعرف الكرامات، وتمتاز عن غيرها مما يلتبس بها.

كما أن هذا الشرط يحول دون أيِّ انحراف يُرام باسم الكرامة[(١)].

والمقصود بهذا الشرط: استقامة صاحب الكرامة على الشرع، وموافقته له، والتزامه بالسُّنَّة، وبعده عن البدعة؛ فبذلك تعرف ولايته، ويُقر على كرامته.

ويقصد به ـ أيضاً ـ: أن تكون الكرامةُ في حدود الشرع؛ فلا يُدَّعى لأحدٍ كرامةً تُبيح له فعل المحذور، أو ترك المأمور، أو أن يُشَرَّع له من خلالها ما يُشَرَّع من البدع، والأباطيل.

وبذلك تكون موافقةُ الكرامة للشرع، وبتلك الموافقة يميز أولياء الله حقّاً؛ سواء وقعت لهم الكرامات، أو لم تقع.

وبها يتبين من ليس بولي؛ فإن من لم يكن على وَفْقِ ما جاء به الشرع، وأبى إلا محادة الله ورسوله ـ فهو عدوٌّ لله، ورسوله ﷺ سواء وقعت له الخوارق، أو لم تقع.

وهذا ما أبدى وأعاد عليه ابن تيمية، وضرب الأمثلة ـ من خلاله ـ بكثير من الكرامات التي جرت لهذه الأمة، ومَنْ قبلها مِنْ أَتْباع الأنبياء السابقين.

كما حمله ذلك على رَدِّ كثير من الخوارق التي زعم أصحابها أنها كرامات بسبب تَخَلُّف هذا الشرط عنهم ـ **وهو موافقة الكرامة للشرع** ـ[(٢)].

يقول رَحِمَهُ اللهُ في «الفرقان» مقرراً ما مضى: «وكل من خالف شيئاً مما جاء به الرسول مقلداً في ذلك لمن يظن أنه ولي لله ـ فإنه بنى أمره على أنه وليُّ الله، وأن وليَّ الله لا يخالف في شيء.

---

(١) انظر: كرامات الأولياء دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسُّنَّة ص١٧٩.

(٢) انظر: الفرقان ص١٥٩ ـ ١٦٨.

ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله كأكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان ـ لم يقبل منه ما خالف السُّنَّة؛ فكيف إذا لم يكن كذلك؟!»[(١)].

إلى ان قال مقرراً أن الكرامة لا بد أن تكون موافقة للشرع، وأن التصرفات الخارقة ليست دليلاً على الولاية، ولا تسمى كرامة بمجرد ذلك، **قال:** «وتجد كثيراً من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله أنه قد صدر عنه مكاشفةٌ في بعض الأمور، أو بعض التصرفات الخارقة للعادة»[(٢)].

ثم ضرب أمثلة على ذلك، فقال: «مثل: أن يشير إلى شخص؛ فيموت، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها، أو يمشي على الماء أحياناً، أو يملأ إبريقاً من الهواء، أو ينفق بعض الأوقات من الغيب، أو يختفي أحياناً عن أعين الناس، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت، فرآه قد جاءه؛ فقضى حاجته، أو يخبر الناس بما سُرق لهم، أو بحال غائب لهم، أو مريض، أو نحو ذلك من الأمور»[(٣)].

ثم يعلق على ذلك بقوله: «وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها وليٌّ لله.

بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء، أو مشى على الماء ـ لم يُغْتَرَّ به حتى يُنْظَر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه»[(٤)].

ثم قرر أن كرامات أولياء الله أعظم من هذه الأمور، وأن الأمور الخارقة للعادة وإن كان صاحبها قد يكون ولياً لله فقد يكون عدوًّا لله.

وأكَّد أن الخوارق قد تكون لكثير من الكفار، والمشركين، وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين[(٥)].

ثم قرر بعد ذلك أنه «لا يجوز أن يُظن أن كلَّ من كان له شيء من هذه الأمور أنه وليٌّ لله؛ بل يُعتبر أولياء الله بصفاتهم، وأفعالهم، وأحوالهم التي دلَّ عليها الكتاب والسُّنَّة، ويعرفون بنور الإيمان، والقرآن، وبحقائق الإيمان الباطنة، وشرائع الإسلام الظاهرة»[(٦)].

ثم يضرب أمثلة لبعض من تقع لهم بعض الخوارق التي يظن أنها كرامات،

---

(١) الفرقان ص١٦٨.
(٢) المرجع السابق ص١٦٨.
(٣) المرجع السابق ص١٦٨، وانظر: الرسالة الصفدية ص٢٠٣ ـ ٢٠٤.
(٤) الفرقان ص١٦٨، وانظر: جامع الرسائل ١/١٩٢ ـ ١٩٦، وجامع المسائل ١/٩٧ ـ ٩٩.
(٥) انظر: المرجع السابق ص١٦٩.
(٦) المرجع السابق ص١٦٩.

وهي ليست كذلك؛ لما يُرى من أحوالهم المنافية لأحوال أولياء الله، **فيقول**: «**مثال ذلك**: أن هذه الأمور المذكورة[١] قد توجد في أشخاص، وقد يكون أحدهم لا يتوضأ، ولا يصلي الصلواتِ المكتوبةَ؛ بل قد يكون مُلابساً للنجاسات، معاشراً للكلاب، يأوي إلى الحمامات، والقمامين، والمقابر، والمزابل، رائحته خبيثة، لا يتطهر الطهارة الشرعية، ولا يتنظف»[٢].

ثم ساق عدداً من الأدلة من الكتاب والسُّنَّة تُبيِّن بُعْدَ مَن كانت هذه صفاتِه عن ولاية الله، وأن هذه الصفاتِ من علامات أولياء الشيطان لا الرحمٰن ـ ولو جرى على أيديهم من الخوارق ما جرى ـ[٣].

وقال في «مجموع الفتاوى» بعد أن أوضح معنى الولي في الشرع، وأنه من اتبع الشرع ظاهراً وباطناً، والتزم طاعة ربه فيما فرض، **قال**: «فمن لم يكن له مصدقاً فيما أخبر، ملتزماً طاعته فيما أوجب وأمر به من الأمور الباطنة التي في القلوب، والأعمال الظاهرة التي على الأبدان ـ لم يكن مؤمناً فضلاً عن أن يكون وليّاً ولو حصل له من **خوارق العادات** ماذا عسى أن يحصل»[٤].

وبيَّن في موضع آخر بطلان قول من جوَّزوا الكرامات لكل من زعم الصلاح، ولم يُقَيِّدوا الصلاح بالعلم الصحيح، والإيمان الصادق، والتقوى؛ بل جعلوا علامة الصلاح هذه الخوارق التي تجري على أيدي من يدَّعون لهم الولاية[٥].

ثم أوضح مخالفة الخوارق ـ التي يزعمون أنها كرامات ـ للشرع، وأورد جملة منها[٦].

وقال في «النبوات»: «وقد تنازع الناس في الخوارق: هل تدل على صلاح صاحبها، وعلى ولايتها لله؟

---

(١) يعني: التي مضى ذكرها من التصرفات الخارقة.

(٢) الفرقان ص١٦٩.

(٣) انظر: المرجع السابق ص١٦٩ ـ ١٧٦، وانظر: مجموع الفتاوى ١١/ ٣٣٢ ـ ٣٣٥، والنبوات ٢/١٠٢٨ ـ ١٠٣٠، وسيأتي مزيد بيان لذلك في الباب الثالث.

(٤) مجموع الفتاوى ١٠/ ٤٣١.

(٥) انظر: المرجع السابق ١٤/ ٣٦٤، والجواب الصحيح ٢/ ٨٤.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٦٤، وانظر: ص٣٦٥ ـ ٣٦٨ ففيه نماذج من الخوارق المدّعاةِ المخالفةِ للشرع، وسيأتي ذكر لها في المبحث الثاني عند الكلام على موقفه من الغلو في الكرامة.

والتحقيق: أن من كان مؤمناً بالأنبياء لم يُستدل على الصلاح بمجرد الخوارق التي تكون للكفار والفساق، وإنما يستدل بمتابعة الرجل للنبي؛ فيميز بين أولياء الله وأعدائه بالفروق التي بيَّنها الله ورسوله كقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس]»[1].

وهكذا يقرر هذا الشرط لقبول الكرامة، وهو كون الكرامة موافقة للشرع؛ فيثبت من خلاله ما كان موافقاً للشرع من الخوارق التي تقع كرامة للأولياء، وينفي ما يقع منها على يَدِ مَنْ يَدَّعون الولاية وهي منهم براء[2].

ولهذا تراه يذكر في غضون كتبه العديد من الكرامات التي جرت لكثير من صالحي هذه الأمة وغيرها، وقد مضى ذكر شيء من ذلك.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفرقان»: «وكرامات الصحابة، والتابعين بعدهم، وسائر الصالحين كثيرة جداً»[3].

ثم ساق أمثلة كثيرة جداً من الكرامات[4].

وهكذا في (قاعدة في المعجزات والكرامات) يذكر أمثلة كثيرة من الكرامات من باب الكشف، والعلم، والقدرة؛ كقصة عمر مع سارية، وقصة أصحاب الكهف، وقصة مريم، وقصة خالد بن الوليد لما شرب السُّم، وأبي مسلم الخولاني لما دخل النار.

وبيَّن أن شرح الكرامات الواقعة يطول؛ لأن تعدادها مثل المطر ـ كما يقول ـ ولأن الغرض إنما هو التمثيل[5].

وبالجملة فما يذكره من الأمثلة على وقوع الكرامات الموافقة للشرع على أيدي الأولياء الصالحين كثيرٌ جداً[6].



---

(١) النبوات ١/١٥٢ ـ ١٥٣، وانظر: ص٥٢٨، و٢/٩٩٨ ـ ١٠٠٣.
(٢) وسيأتي نماذج من ذلك في المبحث الثاني من الفصل الثاني من هذا الباب عند الكلام على موقفه من الغلو في الكرامة.
(٣) الفرقان ص٣٠٠.
(٤) انظر: المرجع السابق ص٣٠٠ ـ ٣٢٠.
(٥) انظر: مجموع الفتاوى ١١/٣١٨.
(٦) انظر: النبوات ١/١٣٨ ـ ١٤٢، و٢٨٠٣، والفرقان ٣٠٠ ـ ٣٢٠.

المطلب الثاني

حصول الإكرام فيها

وهذا هو الشرط الثاني لقبول الكرامة عند ابن تيمية.

والمقصود بذلك: أن يَصْدُقَ على الفعل الموصوف بأنه كرامة كونُه كذلك؛ بحيث تكون الكرامةُ حقيقةً لا مُدَّعاةً؛ ذلك أن كثيراً من القصص في شأن الكرامات قد يُوهم لَفظها، أو سوقُ أحداثها أن فيها خرقاً للعادة.

وعند التأمل فيها يتبين أنها أمر عاديٌّ ليس فيه كرامة.

والسبب في هذا يعود إلى خطأٍ في فَهْم عبارةٍ ما، أو إلى حمل بعض الأحداث على غير محاملها المناسبة، فَيُظَنُّ أَنْ ثَمَّ كرامَة، وليس هناك شيء في الحقيقة.

كما أن فيه من يورد قصصاً مشتملة على مهازل منكرة، زعماً أنها من الكرامات، وهي ليست منها، ولا يصدق عليها أن تكون كرامة[١].

لذا؛ فإن ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ يرى أن الكرامة لا تكون كذلك ما لم **يتحقق فيها الإكرام**، وإلا صار شأنها شأن الأمور العادية التي لا ترتقي إلى الأمور الخارقة للعادة.

ولهذا قَبِل كثيراً من الكرامات؛ لتحقق **الإكرام** فيها؛ لكون العادة فيها خرقت ـ حقيقة ـ لولي.

كما رَدَّ ـ في الوقت نفسه ـ كثيراً من الخوارق المزعومة؛ لفقدانها هذا الشرط.

ومن الأمثلة التي يتضح فيها تَحَقُّقُ **الإكرام في الكرامة**، وعدمُ تحققه؛ لانتفاء الإكرام ما يلي:

○ **المثال الأول: ما ذكره ابن تيمية في قصة الرجل الذي يقتله الدجال**: ففي إيراده لتلك القصة شاهد لمنهجه في قبول الكرامة.

قال رَحِمَهُ اللهُ في معرض بيانه أن كل ما يكون خرقاً لعادة جميع الناس فهو من

---

(١) انظر: كرامات الأولياء دراسة عقدية ص١٩٠ ـ ١٩١.

آيات الأنبياء، **قال:** «فلا يوجد خرقُ عادةٍ لجميع الناس إلا وهو من آيات الأنبياء»[١].

ثم يضرب مثالاً لذلك فيقول: «وكذلك الرجل الذي يقتله الدجال، ثم يحييه، فيقوم، فيقول: أنت الأعور الكذاب الذي أخبرنا به رسول الله ﷺ والله ما ازددت فيك إلا بصيرة؛ فيريد الدجال أن يقتله؛ فلا يقدر على ذلك»[٢].

يقول ابن تيمية معلقاً على ذلك مبيِّناً أن هذا الخارق قد تحقق فيه الإكرام؛ فَصَدَقَ عليه مسمى الكرامة، **يقول** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فعجزه عن قتله[٣] ثانياً مع تكذيب الرجل له بعد أن قتله، وشهادته للرسول محمد بالرسالة ـ هو من **خوارق العادات** التي لا توجد إلا لمن شهد للأنبياء بالرسالة.

وهذا الرجل من خيار أهل الأرض المسلمين؛ **فهذا الخارق الذي جرى فيه هو** من خصائص من شهد لمحمد بالنبوة؛ فهو من أعلام النبوة، ودلائلها»[٤].

إلى أن قال: «وكونه قتل أولاً أبلغ في الدلالة[٥]؛ فإن ذلك لم يُزِغْه، ولم يؤثر فيه، وعلم أنه لا يسلط عليه مرة ثانية؛ فكان هذا اليقين والإيمان مع عجزه[٦] عنه ـ من **خوارق الآيات**»[٧].

ثم بيَّن وجه خرق العادة في ذلك، فقال: «ومعلوم أن قتله ممكن في العادة؛ فعجزه عن قتله ثانياً هو الخارق للعادة»[٨].

وبعد أن بيَّن أن ذلك كرامةٌ للرجل؛ حيث **تحقق الإكرام** وخرق العادة في حقه ـ أوضح انتفاء ذلك عن الدجال، **فقال:** «ودلَّ ذلك على أن إحياء الله له لم يكن معجزة للدجال، ولا ليبيِّنَ بها صِدْقَه، لكن ليكذب الدجال، وليبيِّن أن محمداً رسول الله، وأن الدجال كذاب»[٩].

إلى أن قال مؤكداً على أن تلك الحادثة **كرامة** للرجل؛ لكون الإكرام **تحقق له فيها،** وأنها ليست بكرامة للدجال؛ لانتفاء **تحقق الإكرام له:** «فعجزه عن قتله ثانياً من

---

(١) النبوات ٢/٨٥٥.

(٢) المرجع السابق ٢/٨٥٥، وانظر ذلك الخبر في: صحيح البخاري (٦٧١٣)، ومسلم (١١٠ و١١٣).

(٣) يعني: عجز الدجال عن قتل الرجل.

(٤) النبوات ٢/٨٥٦.

(٥) يعني: في الدلالة على الكرامة، وخرق العادة.

(٦) يعني: مع عجز الدجال عن قتله.

(٧) النبوات ٢/٨٥٦.

(٨) المرجع السابق ٢/٨٥٦.

(٩) المرجع السابق ٢/٨٥٦.

أعظم الخوارق[(١)] مع تكذيبه.

وأما إحياؤه مع تكذيبه له أولاً، وعجزه عن قتله[(٢)] فليس بخارق»[(٣)].

وهكذا يثبت ـ من خلال هذه الواقعة ـ **تحقق الإكرام** للرجل؛ فيعد ذلك كرامة له، وينفيها عن الدجال؛ لعدم **تحقق الإكرام** له.

○ **المثال الثاني: ما جاء في كلامه على بعض خوارق الشياطين لأوليائهم مما يظنون أنها كرامة:** حيث استخدم ذلك الشرط في ردِّ الكرامة، أو قبولها.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «والذين تحملهم الجن، وتطير بهم من مكان إلى مكان ـ أكثرهم لا يدري كيف حُمِل؛ بل يُحمل الرجل إلى عرفات، ويرجع، وما يدري كيف حملته الشياطين، ولا يَدَعُونه يفعل ما أمر الله به كما أمر الله به؛ بل قد يقف بعرفات من غير إحرام، ولا إتمام مناسك الحج»[(٤)].

إلى أن يقول: «وقد يذهبون به إلى مكة، ويطوف بالبيت من غير إحرام إذا حاذى الميقات، وذلك واجب في أحد قولي العلماء، ومستحب في الآخر[(٥)]، فيفوته المشروع، أو يوقعونه في الذنب، ويُغْرُونه بأن هذا من كرامات الصالحين»[(٦)].

ثم **يبيِّن** أن هذا ليس مما تَصْدُقُ عليه الكرامةُ، ولا ما **يتحقق به الإكرام**، **فيقول:** «وليس هو مما يكرم الله به وليَّه؛ بل هو مما أضلته به الشياطين، وأوهمته **أن ما فعله قربة وطاعة**، أو يكون صاحبه له عند الله منزلة عظيمة.

وليس هو قربةً، وصاحبُه لا يزداد بذلك منزلة عند الله»[(٧)].

---

(١) يقصد: أن ذلك من أعظم الخوارق للرجل.

(٢) يعني: مع عجز الدجال عن قتل الرجل. (٣) النبوات ٢/ ٨٥٩.

(٤) المرجع السابق ٢/ ٩٩٨، وانظر: الفرقان ص١٦٨، والصفدية ص٢٠٣ ـ ٢٠٤، وجامع الرسائل ١/ ١٩٢ ـ ١٩٦، وجامع المسائل ١/ ٩٧ ـ ٩٩.

(٥) يعني: الإحرام بمحاذاة الميقات، وانظر تفصيل القول في هذه المسألة إلى: المقنع للموفق ابن قدامة المقدسي، والشرح الكبير لشمس الدين أبي الفرج ابن قدامة، ومعهما الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي، تحقيق: د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، ٨/ ١١٧ ـ ١٢٣، والإقناع لطالب الانتفاع لشرف الدين أبو النجا الحجاوي، تحقيق: د. عبد الله التركي، مركز البحوث والدراسات العربية الإسلامية بدار هجر، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، ١/ ٥٥٣ ـ ٥٥٥، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شرح الشيخ محمد الخطيب الشربيني على متن منهاج الطالبين لأبي زكريا النووي، دار الفكر، بيروت، ١/ ٤٧٣ ـ ٤٧٦.

(٦) النبوات ٢/ ٩٩٨ ـ ٩٩٩. (٧) المرجع السابق ٢/ ٩٩٩ ـ ١٠٠٠.

ثم يبيِّن العلة في ذلك، فيقول: «فإن التقرب إلى الله إنما يكون بواجب، أو مستحب، وهذا ليس بواجب، ولا مستحب.

بل يضلون صاحبه، ويصدونه عن تكميل ما يحبه الله منه من عبادته، وطاعته وطاعة رسوله، ويوهمونه أن هذا أفضل **الكرامات**، حتى يبقى طالباً له، عاملاً عليه»(١).

ثم يذكر أمثلة من ذلك مما يفعله أولئك ويظنون أنه كرامات، ويقرر أنه ليس بكرامات؛ **إذ لم يتحقق فيه الإكرام**(٢).

ثم يقارن هذا بما قد يقع لبعض الصالحين، **فيقرر** أنه مما **تحقق به الإكرام**؛ فصار من قبيل الكرامات.

يقول رَحِمَهُ اللهُ: «وقد يمشي على الماء قوم بتأييد الله، وإعانته إياهم بالملائكة كما يُحكى عن المسيح، وكما جرى للعلاء بن الحضرمي، ولأبي مسلم الخولاني في عبور الجيش، وذلك إعانة على الجهاد في سبيل الله؛ كما يؤيد الله المؤمنين بالملائكة»(٣).

ثم **يبيِّن** وجه **تحقق الإكرام** في ذلك بأنه ليس من فعل الشياطين، وبأن الفرق بينهما من جهة **السبب**، ومن جهة **الغاية**(٤)، ثم يبيِّن ذلك، **فيقول:** «**أما السبب** فإن الصالحين يسمون الله، ويذكرونه، ويفعلون ما يحبه الله من توحيده، وطاعته؛ فييسر لهم بذلك ما ييسِّره.

ومقصودهم به: نصرة الدين، والإحسان إلى المحتاجين.

وما تفعله الشياطين يحصل بسبب الشرك، والكذب، والفجور.

والمقصود به: الإعانة على مثل ذلك»(٥).

وهكذا يُعْمِلُ ابن تيمية هذا الشرط ـ **وهو حصول الإكرام في الكرامة** ـ فيقبل ما تحقق به الإكرام، ويرد ما لم يتحقق به.

○ **المثال الثالث: ما جاء في مناقشته لمن يستغيثون بغير الله زاعمين أنهم**

---

(١) النبوات ٢/ ١٠٠٠.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢/ ١٠٠٠، وانظر: مجموع الفتاوى ١٠/ ٨٣، و١٧٤، والجواب الصحيح ٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٢.

(٣) النبوات ٢/ ١٠٠٢.

(٤) انظر: المرجع السابق ٢/ ١٠٠٢.

(٥) المرجع السابق ٢/ ١٠٠٢ ـ ١٠٠٣، وانظر: مجموع الفتاوى ١١/ ٤٦٠، و١/ ٨٤، و١٧٦ ـ ١٧٧.

يجابون، وأن ذلك من الكرامات: قال رَحِمَهُ اللهُ في رسالة: (قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان، وعبادات أهل الشرك والنفاق): «فإن الكلام في المعجزات وخصائصها، والفرق بينها وبين غيرها ـ من أشرف العلوم.

وأكثرُ أهل الكلام خَلطوا فيه تخليطاً ليس هذا موضعه»[1].

ثم قرر أن ما كان من المعجزات والكرامات يكون مختصّاً بالأنبياء وأتباعهم المؤمنين، وأن ما يأتي به الساحر والكاهن ليس من هذا القبيل، وإنما هو من قبيل ما يكون للكفار والمشركين بالقبور وغيرها[2].

ثم قال: «فالكفار من المشركين والنصارى يستغيثون بشيوخهم الموتى والغائبين، ويرون من أتاهم في الهواء راكباً، أو غير راكب، وقال: إنه المستغاث به؛ إما جرجس[3]، وإما غيره، حتى قالوا لبعض علماء النصارى: فهذا جرجس يستغيث به جماعته في وقت واحد، وكل منهم يراه، فقال: ذلك مَلَك يأتي في صورته»[4].

ثم بيَّن ابن تيمية أن هذا الداء قد سرى إلى فئام من المنتسبين إلى الإسلام، وأن كثيراً منهم «يستغيث بشيخه، ويرى من جاء راكباً، أو طائراً في الهواء، أو غير ذلك، فيظنه شيخَه، وقد يأتي في صورته إن كان يعرف صورة شيخه؛ فيظن هذا شيخَه»[5].

إلى أن قال: «وهذا قد وقع لخلق كثير، وقد وقع لغير واحد من أصحابنا معي.

---

(١) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: سليمان الغصن، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١١هـ، ص١٦٥.

(٢) انظر: المرجع السابق ص١٦٥.

(٣) جرجس: ويقال: جرجيس: وهو من أهل فلسطين، وكان قد أدرك بعض الحواريين؛ فبعث إلى ملك الموصل، وهو بعد المسيح.
وقال الكسائي: لم يكن نبيّاً، ولكن كان عابداً، مستجاب الدعوة، وكان تاجراً، كثير المال، عظيم الصدقة. انظر: المعارف لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ص٣٢.

(٤) قاعدة عظيمة ص١٦٥، وانظر: الجواب الصحيح ٢/ ٣٢٤.

(٥) قاعدة عظيمة ص١٦٥، وانظر: الجواب الصحيح ٢/ ٣٢٤ ـ ٣٢٧ حيث ذكر هنالك نماذج عدة من هذا القبيل.

لكن لما حكوا لي أنهم رأوني بيَّنت لهم أني لم أكن إياه، وإنما كان شيطاناً تصور في صورتي؛ ليضلهم؛ فسألوني لِمَ لا يكون ملكاً؟

قلت لهم: لأن الملائكة لا تجيب المشركين، وأنت استغثت بي؛ فأشركت»[١].

ثم بيَّن أن هذا الأمر يشكل على من لا علم لهم من الشيوخ؛ فَيُخَيِّل له الشيطانُ صوتَ المستغيث به؛ فيجيبه، ويُخَيِّل للمستغيث صوتَ الشيخ، ويُوْهِم كلّاً منهما أنه سمع صوتَ الآخر.

وهكذا يقع اللبس، وتُتَوهَّم الكرامةُ، وهي ليست كرامة ـ في الحقيقة ـ كما يقرر ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

ثم يقارن بين ما يكون من ذلك، وما يكون من الكرامات الحقيقية التي تكون للأولياء كما في قصة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع سارية[٢]، ثم **يختم** كلامه **بقوله:** «وهذا باب واسع، قد بُسط في مواضع، ومن لم يفرق بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان فما عرف حقيقة الإيمان»[٣].

وهكذا يَرُدُّ ـ بذلك الشرط ـ وهو **حصول الإكرام في الكرامة** ـ ما قد يُتَوهم أنه كرامة.

○ المثال الرابع: ما جاء في ردةً على ابن سينا في ادعائه أن العارف يستغني عن الطعام: وذلك عندما عَرَضَ قول ابن سينا قائلاً: «وقرر[٤] ذلك بأن المريض إذا بقيت قواه الهاضمة مشغولة بمدافعة المرض بقي الطعام محفوظاً مدة لا يأكل فيها، ولا يشرب؛ فالعارف إذا اشتغلت نفسه بعرفانه اجتذبت إليها القوى الهاضمة؛ فلا تهضم الطعام»[٥].

قال ابن تيمية ردّاً على هذا الزعم: «وهذا الذي قاله وأمثاله ليس بطائل؛ فإن الناس يعلمون أن النفس إذا اشتغلت بفرح عظيم، أو غضب عظيم، أو اهتمام بأمر عظيم ـ اشتغلت عن الأكل والشرب بهذا وأسبابه؛ فهذا ونحوه **ليس من معجزات**

---

(١) قاعدة عظيمة ص١٦٥ ـ ١٦٦، وانظر: الجواب الصحيح ٢/ ٣٢١ ـ ٣٢٢.
(٢) قاعدة عظيمة ص١٦٦ ـ ١٦٧، وانظر: الجواب الصحيح ٢/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣.
(٣) قاعدة عظيمة ص١٦٨.
(٤) يعني: ابن سينا.
(٥) الرسالة الصفدية ص١٦٠، وانظر: الإشارات والتنبيهات ص٨٥٣.

الأنبياء، ولا مما يختص به الأولياء»[١].

أي أن هذا أمر معتاد في الناس، وليس فيه مَيْزة لأولياء الله عن أعدائه؛ لكونه - عند تحقق أسبابه - من الأمور المعتادة لا الخارقة[٢].

وهكذا يقرر أن الكرامة لا بد أن يتحقق **فيها حصول الإكرام**، بكونها مشتملة على أمر خارق غير معتاد، وأن يقصد به إكرام الولي.

وبهذا الشرط أثبت كثيراً من الكرامات التي يستشهد بها في مواضع متعددة من كتبه.

كما أنه قد ردَّ به كثيراً من الخوارق التي يزعم أصحابها أنها كرامات.



---

(١) الرسالة الصفدية ص١٦٠.

(٢) انظر: كرامات الأولياء ص١٩١.

المطلب الثالث

صحة وقوعها

وهذا هو الشرط الثالث لقبول الكرامة عند ابن تيمية.

والمقصود به: ثبوت الحادثة، أو الواقعة، أو القصة التي حصلت فيها الكرامة؛ إذ قد تكون الكرامة المروية موافقة للشرع، وصاحبها على السُّنَّة، وممن يُعَدون في الأولياء.

وقد يكون جديراً بالإكرام، واستحقاق خرق العادة.

ولكن ثبوت روايتها عنه لا يصح؛ فهٰهنا تُرَدُّ الكرامة، ولا تقبل عند ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وثبوتها عنده إما برواية تصح بثبوت سندها إن كانت ممن قبله، أو برواية معاصرة لمن تُنقل عنهم الكرامة.

وهذا الشرط بنى عليه ابن تيمية ما يقبله، ويُقرره من الكرامات؛ إذ يرى أن ما يقبله، ويقرره من الكرامات إنما هو ثابت واقع، وإن كان ذلك يتفاوت ـ من حيث قوةُ الثبوت ـ من كرامة إلى كرامة.

كما **بنى** عليه ما يردّه مما ينسب إلى الصالحين من كرامات مما لم يثبت.

كما **قرر** أن الكراماتِ العظامَ لا بد أن تتوفر الهمم والدواعي على نقلها، وإلا لم تقبل[1].

أما ما ثبت عنده، وما ينقله، ويقره من الكرامات فكثير جداً، وقد مضى ذكر لطائفة كثيرة مما أورده من ذلك.

ولقد **صرح** بـ: «أن كرامات الصحابة والتابعين بعدهم والصالحين كثيرة جداً»[2].

وأن ما نقل عن السلف في هذا الباب واسع، وأن شرحها يطول؛ لأن تعدادها

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة ٨/ ١٦٤ ـ ١٩٨، والفرقان ص٣٠٠ ـ ٣٢٠.

(٢) الفرقان ص٣٠٠.

مثل المطر ـ كما يقول ـ[١].

كما صرح بأن ما يعرفه هو عياناً في زمانه كثير[٢].

وقد ذكر في «الفرقان» ما يزيد على تسع وعشرين كرامة[٣].

ومما ذكره **قوله**: «مثل ما كان أسيد بن الحضير يقرأ سورة الكهف، فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج، وهي الملائكة تستمع لقراءته[٤].

وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين[٥]»[٦].

وقوله: «وقصة الصديق في «الصحيحين» لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته، وجعل لا يأكل لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها؛ فشبعوا، وصارت أكثر مما هي قبل ذلك؛ فنظر أبو بكر وامرأته فإذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول الله ﷺ وجاء إليه أقوام كثيرون؛ فأكلوا منها[٧].

وخبيب بن عدي كان أسيراً عند المشركين بمكة، وكان يؤتى بعنب يأكله، وليس بمكة عنب[٨]»[٩].

وقوله: «ودعا سعيد بن زيد على أروى[١٠] لما كذبت عليه، فقال: اللَّهُمَّ إن كانت كاذبة فأعم بصرها، واقتلها في أرضها، فعميت، ووقعت في حفرة من أرضها؛ فماتت»[١١].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١١/٣١٨، والفرقان ص٣٢٠.

(٢) انظر: الفرقان ص٣٢٠.

(٣) انظر: المرجع السابق ص٣٠٠ ـ ٣٢٠.

(٤) انظر: صحيح البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٧٩٦).

(٥) انظر: صفة الصفوة لابن الجوزي، ضبطها وكتب هوامشها: إبراهيم رمضان، وسعيد اللحام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، ١/٣٤٦، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم البنّا، ومحمد أحمد عاشور، ومحمد عبد الوهاب فايد، الشعب، ٤/٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٦) الفرقان ص٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٧) انظر: صحيح البخاري (٥٣٧)، ومسلم (٢٠٥٧).

(٨) انظر: صحيح البخاري (٨٨٠).

(٩) الفرقان ص٣٠٣ ـ ٣٠٤.

(١٠) هي: أروى بنت أنيس، وفي الحلية: أروى بنت أويس، قيل: إنها صحابية، وهي التي ادعت عند مروان بن الحكم أن سعيد بن زيد ظلمها أرضها، وكان جارها في العقيق؛ فدعا عليها، وماتت في بئر لها. انظر: صحيح مسلم (٤٢١٩)، وأسد الغابة ٢/٣٨٧ ـ ٣٨٩، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٣/٩٦ ـ ٩٧، والحلية ١/٩٦.

(١١) الفرقان ص٣١٠ ـ ٣١١.

فهذا شيء مما ذكره في الفرقان، وما ذكره في غيره كثير جدّاً، والمقصود هٰهنا: التمثيل، وبيان ما صح عنده من الكرامات.

وأما ما لم يثبت عنده من الكرامات فإنه لا يذكره على سبيل الاستشهاد، وإنما يذكر ذلك على سبيل الرد.

ومن الأمثلة على ما ردّه من ذلك؛ لعدم ثبوته عنده ما يلي:

○ **المثال الأول: حديث رد الشمس لعلي بن أبي طالب ﷺ**: فقد رُوي عن أسماء بنت عميس أن النبي ﷺ كان يوحى إليه، ورأسه في حجر علي ﷺ فلم يُصَلِّ العصر حتى غربت الشمس، فقال ﷺ: **«صليت العصر؟»** قال: لا، قال رسول الله ﷺ: **«اللَّهُمَّ إنه كان في طاعتك وطاعة نبيك؛ فاردد عليه الشمس»**.

قالت أسماء: فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعدما غربت[(١)].

فهذا الخبر الذي ظنه بعض الناس آية للنبي ﷺ وكرامة لعلي بن أبي طالب ﷺ قد ردَّه غير واحد من النقاد.

والذي يعني هٰهنا رد ابن تيمية له؛ بسبب مخالفته للشرط الذي يرى وجوبَ توافره في الكرامة؛ كي تكون كرامة حقّاً، ألا وهو **صحة وقوعها**.

فابن تيمية رحمه الله يَرَد هذا الحديث في غير ما موضع من آثاره، ويبيِّن وجه رده بكلام مجمل أحياناً، وكلام مفصل أحياناً.

يقول رحمه الله في «الجواب الصحيح» مبيِّناً بطلانه: «وكذلك ما نقله طائفة من أهل العلم من أن الشمس رُدَّت لَمَّا فاتت عليًّا صلاةُ العصرِ؛ لكون النبي ﷺ نام في حجره، وجعل بعضهم هذا من المعجزات.

وليس هذا الحديث في شيء من كتب المسلمين التي يعتمدون على ما فيها من المنقولات لا الصحاح، ولا المسانيد، ولا المغازي، والسير، ولا غير ذلك»[(٢)].

إلى ان يقول: «بل بيَّن أهل العلم أن هذا كذب، وليس له إسناد واحد صحيح متصل؛ بل غايته أن يُرْوى عمن لا يُعرف صِدْقُه، ولم يروه إلا هو مع توفر الهمم والدواعي على نقله؛ فعلموا أنه كذب»[(٣)].

---

(١) مشكل الآثار ٤/٣٨٨، ونقله عنه عياض ١/٢٨٣، وسيأتي مزيد كلام عليه من خلال نقد ابن تيمية للحديث.

(٢) الجواب الصحيح ٦/٣٤٢ ـ ٣٤٣، وانظر: منهاج السُّنَّة ٨/١٦٥ ـ ١٦٨.

(٣) الجواب الصحيح ٦/٣٤٣.

ثم يبيِّن المنهج الصحيح في نقل مثل هذه الأخبار، **فيقول:** «وهذا باب واسع يبيِّن أن علماء المسلمين يميزون المنقولات بين الصدق والكذب؛ فيردون الكذب وإن كان فيه من فضائل نبيهم وأعلامه، وفضائل أصحابه وأمته ما هو عظيم.

ويقبلون الصدق، وإن كان فيه شبهة إشكال، وقد يحتج به المنازِعون لهم»[(١)].

فهذا كلام مُجْمَلٌ بَيَّنَ فيه بطلانَ هذا الأثر.

وله في «منهاج السُّنَّة» كلام طويل مُفَصَّل في ردِّه، والذي يعني هٰهنا إبطاله للحديث من جهة عدم صحته.

قال رَحِمَهُ اللهُ في معرض ردِّه، ومناقشته لابن المطهر الحلي[(٢)] الذي أورد حديث **رد الشمس**[(٣)] لعلي مستشهداً به على أنه كرامة لعلي، وأن ذلك حصل له مرتين.

قال ابن تيمية: «والجواب أن يقال: فضلُ علي، وولايتُه لله، وعلو منزلته عند الله معلوم ـ ولله الحمد ـ من طرق ثابتة أفادتنا العلم اليقيني لا يحتاج معها إلى كذب، ولا إلى ما لا يُعلم صدقه»[(٤)].

ثم بيَّن وجه بطلان الحديث فقال: «وحديث رد الشمس له قد ذكره طائفة كالطحاوي، والقاضي عياض، وغيرهما، وعدُّوا ذلك من معجزات النبي ﷺ.

لكنِ المحققون من أهل العلم والمعرفة بالحديث يعلمون أن هذا الحديث كذب موضوع كما ذكر ابن الجوزي في الموضوعات»[(٥)].

ثم تتبع سند الحديث، وأورد كلام أهل العلم في رواته؛ فأورد كلام يحيى بن

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٣٤٣.

(٢) هو: جمال الدين الرافضي، أبو منصور الحسن ـ وقيل: الحسين ـ بن يوسف بن علي بن المطهر الحِلِّي العراقي الشيعي المعتزلي، رأس الشيعة في الحِلة السيفية التي بناها سيف الدولة صدقة بن منصور المزيدي الأسدي، سنة ٤٩٥هـ، وقد ولد ابن المطهر سنة ٦٤٨هـ، وتوفي سنة ٧٢٦هـ، وله مصنفات كثيرة تزيد على مائة وعشرين مجلداً في الفقه، والنحو، والأصول، والفلسفة، والرفض، وغير ذلك. انظر: البداية والنهاية ٨/ ٥٨٦، و٥٨٧، و١٨/ ١٥٤، و٢٧١ ـ ٢٧٢، و٥٨٨، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، حقَّقه وقدَّم له: محمد سيد جاد الحق، ط٢، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م، مطبعة المدني ودار الكتب الحديثة، مصر، ٢/ ١٥٨.

(٣) انظر: منهاج الكرامة لابن المطهر الحلي، تحقيق: عبد الرحيم مبارك، الطبعة الأولى، ١٣٧٩ش، مطبعة الهادي قم، الناشر: انتشارات تاسوعاء، مشهد، ص١٧١ ـ ١٧٢.

(٤) منهاج السُّنَّة ٨/ ١٦٥.

(٥) المرجع السابق ٨/ ١٦٥.

معين، وابن حبان، وابن الجوزي[١].

ثم تطرق لما ذكره ابن المطهر من رجوع الشمس مرة أخرى لعلي، وذلك عندما **قال**[٢]: «فلما أراد[٣] أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من أصحابه بتعبير[٤] دوابِّهم، وصلى لنفسه في طائفة من أصحابه العصر، وفات كثير منهم؛ فتكلموا في ذلك؛ فسأل الله ردَّ الشمس؛ فردت»[٥].

ثم قال ابن المطهر: «ونظمه السيد الحميري[٦] في قصيدته المذهبة فقال:

رُدَّتْ عليه الشمس لما فاته — وقت الصلاة وقد دنت للمغرب

حتى تبلَّج نورُها في وقتها — للعصر ثم هوت هويَّ الكوكب

وعليه قد رُدَّت ببابلَ مرةً — أخرى وما رُدَّت لخلق مُعرب[٧]

قال ابن تيمية ردّاً على ذلك: «وأما الثاني: ببابل ـ فلا ريب أن هذا كذب، وإنشاد الحميري لا حجة فيه؛ لأنه لم يشهد ذلك، والكذب قديم؛ فقد سمعه، فنظمه.

وأهل الغلو في المدح والذم ينظمون ما لا تتحقق صِحَّتُهُ، لا سيما والحميري معروف بالغلو»[٨].

ثم أورد بعد ذلك كلاماً طويلاً أثبت من خلاله بطلان تلك القصة، ومخالفتها للنقل، والعقل، والواقع[٩].

ثم ذكر بعد ذلك أن هذا الحديث قد صُنِّف فيه مُصَنَّف جُمعت فيه طرقُه، صنفه أبو القاسم عبد الله بن عبد الله بن أحمد الحكاني سماه «مسألة تصحيح رَدِّ الشمس،

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة ٨/ ١٦٥ ـ ١٦٨. (٢) القائل: ابن المطهر.

(٣) يعني: علياً ﷺ.

(٤) يعني بتعبيرها النهر: بجعلها تعبره، وتَجُوزه.

(٥) منهاج السُّنَّة ٨/ ١٦٤ نقلاً عن منهاج الكرامة.

(٦) هو: أبو هاشم ـ أو أبو عامر ـ إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مُفرغ الحميري، شاعر رافضي، ولد سنة ١٧٣هـ، وقيل: سنة ١٧٨هـ، وقيل: سنة ١٧٩هـ. قال عنه ابن حجر: «كان رافضياً خبيثاً».
وقال عنه الدارقطني: «كان يسب السلف في شعره، ويمدح علياً ﷺ». انظر: لسان الميزان ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٥، وفوات الوفيات ١/ ٣٢٠ ـ ٣٢١.

(٧) منهاج الكرامة لابن المطهر ص١٧٢ ـ ١٧٣، ومنهاج السُّنَّة ٨/ ١٦٤ ـ ١٦٥.

(٨) منهاج السُّنَّة ١/١٦٨. (٩) انظر: المرجع السابق ٨/١٦٩ ـ ١٧٢.

وترغيب النواصب الشُّمْس»[١].

ثم استعرض ابن تيمية ذلك المُصَنَّف، وناقش ما ورد فيه، وبيَّن بطلان الحديث الوارد فيه، وأظهر ما بين الروايات فيه من التناقض، والبطلان بكلام يطول ذِكْرُه[٢].

ثم أكَّد في آخر مناقشته لهذا المصنَّف ما ذكره في بداية كلامه من أن الحديث كذب، وأن أهل العلم بالحديث رووا فضائل علي، وذكروها في الصحاح، والسنن والمسانيد، رووها عن العلماء الأعلام الثقات المعروفين؛ فلو كان هذا مما رواه الثقات لكانوا أرغب في روايته، وأحرص الناس على بيان صحته.

لكنهم لم يجدوا أحداً رواه بإسناد يُعرف أهله بحمل العلم، وبالعدالة، والضبط مع ما فيه من الأدلة الكثيرة على تكذيبه[٣].

ويذكر بعد ذلك قولَ مُصَنِّفِ كتاب «مسألة في تصحيح رد الشمس...»، **فيقول**: «قال[٤]: وقال أبو العباس بن عقده: حدثنا جعفر بن محمد بن عمر أنبأنا سليمان بن عباد، سمعت بشار بن دراع قال: لقي أبو حنيفة محمدَ بنَ النعمان[٥]، فقال[٦]: عمن رويت حديث رد الشمس؟ فقال[٧]: عن غير الذي رويت عنه (يا سارية الجبل)[٨].

قال المصنف[٩]: وكل هذه أمارات ثبوت الحديث»[١٠].

قال ابن تيمية معلقاً: «قلت: هذا يدل على أن أئمة أهل العلم لم يكونوا يصدقون بهذا الحديث؛ فإنه لم يَرْوِه إمام من أئمة المسلمين.

وهذا أبو حنيفة أحد الأئمة المشاهير، وهو لا يُتَّهم على عليٍّ؛ فإنه من أهل

---

(١) **الشُّمس**: جمع شَموس، يقال: هو الرجل الصعب الخلق، العسر في العداوة، الشديد في الخلاف على من عانده. انظر: معجم مقاييس اللغة ٣/ ٢١٢ ـ ٢١٣، ولسان العرب ٦/ ١٧٤.

(٢) انظر: منهاج السُّنَّة ٨/ ١٧٢ ـ ١٩٧.

(٣) انظر: المرجع السابق ٨/ ١٩٦.

(٤) القائل: هو أبو القاسم الحكاني، صاحب مصنف «مسألة في تصحيح رد الشمس...».

(٥) هو: محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي، أبو جعفر الكوفي المتكلم المعتزلي الشيعي (ت١٧١ ـ ١٨٠هـ)، والرافضة تنتحله تسمية: مؤمن الطاق.
كان صيرفيّاً بطاق المحامل؛ اختلف هو وصيرفي في نقد درهم، فغلبه هذا، وقال: أنا شيطان الطاق؛ فلزمته. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق: د. بشار عواد معروف ٤/ ٦٥٢.

(٦) القائل: أبو حنيفة.

(٧) القائل: محمد بن النعمان.

(٨) يقصد: حديث عمر بن الخطاب مع سارية.

(٩) المصنف هو: الحكاني مصنف كتاب «مسألة في تصحيح رد الشمس».

(١٠) منهاج السُّنَّة ٨/ ١٩٧.

الكوفة، وقد لقي الشيعة، وسمع من فضائل علي ما شاء الله، وهو يحبه، ويتولاه.

ومع هذا أنكر هذا الحديث على محمد بن النعمان.

وأبو حنيفة أعلم، وأفقه من الطحاوي وأمثاله، ولم يُجِبْهُ ابن النعمان بجواب صحيح؛ بل قال: عن غير من رويت عنه حديث (يا سارية الجبل)»[١].

إلى أن قال ابن تيمية: «هب أن ذلك[٢] كذب؛ فأي شيء في كذبه مما يدل على صدق هذا[٣]؛ فإن كان كذلك فأبو حنيفة لا ينكر أن يكون لعمر وعلي وغيرهما من كرامات؛ بل أنكر هذا الحديث[٤]؛ للدلائل الكثيرة على كذبه، ومخالفته للشرع والعقل، وأنه لم يروه أحد من العلماء المعروفين بالحديث من التابعين، وتابعيهم وهم الذين يروون عن الصحابة؛ بل لم يروِه إلا كذَّاب، أو مجهول لا يُعلم عدلُه وضبطُه؛ فكيف يقبل هذا من مثل هؤلاء؟!»[٥].

ثم يختم ابن تيمية كلامه مقرراً، ومؤكداً محبة علماء المسلمين لعلي رضي الله عنه وفرحهم بما يصح من مناقبه، **فيقول:** «وسائر علماء المسلمين يودون أن يكون مثل هذا صحيحاً؛ لما فيه من معجزات النبي ﷺ وفضيلة علي على الذين يحبونه، ويتولونه.

لكنهم لا يستجيزون التصديق بالكذب؛ فردوه ديانةً»[٦].

هذا، وسيأتي مزيد كلام على هذا الحديث في الفصل الثاني من الباب الثاني عند الكلام على موقف ابن تيمية من غلو الشيعة في إثبات الكرامات.

○ **المثال الثاني: قصة نبات سنامين للجمال التي أُركب فيها طائفة من أهل البيت لما سُبُوا: قال** رحمه الله ذاكراً تلك الكرامة المزعومة: «وكذلك ما ينقله بعض الكذابين من أن طائفة من أهل البيت سُبُوا؛ فَأُرْكِبوا جمالاً؛ فَنَبَتَ لها سنامان، وأنها البخاتي[٧]»[٨].

---

(١) منهاج السُّنَّة ٨/ ٩٧.

(٢) يعني: هب أن حديث «يا سارية الجبل»، ويقصد بهذا الحديث ما جاء في مناداة عمر بن الخطاب لسارية ـ كما مر في موضع مضى ـ.

(٣) يعني: على صدق حديث «رد الشمس».

(٤) حديث رد الشمس.

(٥) منهاج السُّنَّة ٨/ ١٩٧ ـ ١٩٨.

(٦) المرجع السابق ٨/ ١٩٨.

(٧) **البخاتي**: البُخت، والبختية، دخيل في العربية، أعجمي معرَّب، وهي الإبل الخراسانية.
وقيل: إن البخت: عربي، والبختية: الأنثى من الجمال البخت، وهي جمال طوال الأعناق، ويجمع على بُخت، وبَخَاتٍ، وقيل: الجمع بَخَاتِيُّ غير مصروف. انظر: لسان العرب ٢/ ٩ ـ ١٠.

(٨) الجواب الصحيح ٦/ ٣٤٢.

ثم بيَّن بطلان هذه الكرامة بقوله: «فهذا مما اتفق أهل المعرفة بالأخبار على أنه كذب؛ لم يَسْبِ المسلمون قط في أي وقت من الأوقات أحداً من أهل بيت النبي ﷺ لا في خلافة بني أمية، ولا في خلافة بني العباس»[(١)].

ثم أكد بطلان هذه القصة بقوله: «والجمال البخاتي ما زالت هكذا؛ لم يتجدد لها السنام في الإسلام، كما قال النبي ﷺ لما ذكر ما يُحْدِث النساء بعده قال: **«على رؤوسهن كأسنمة البخت»**[(٢)][(٣)].

هذا، وسيأتي مزيد أمثلة على ردِّه لكرامات **لم تثبت صحتها**، وذلك في الفصل التالي ـ بإذن الله ـ.

وهكذا يتبين أن ابن تيمية لا يقبل الكرامة ما لم تتوافر فيها الشروط الثلاثة المذكورة وهي: **موافقة الكرامة للشرع، وحصول الإكرام فيها، وصحة وقوعها.**

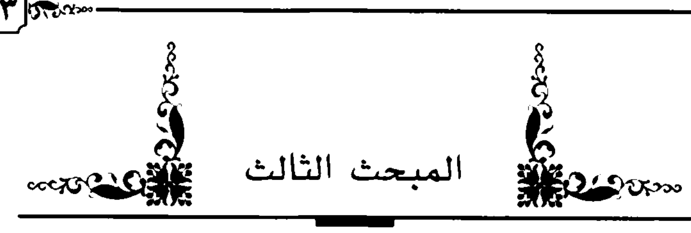
وبهذا ينتهي هذا المبحث الذي دار حول شروط **قبول الكرامة عند ابن تيمية.**



(١) الجواب الصحيح ٦/ ٣٤٢.

(٢) رواه مسلم (٢١٢٨).

(٣) الجواب الصحيح ٦/ ٣٤٢.



المبحث الثالث

تقريره لمسائل متعلقة بالكرامات

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: أن الإيمانَ بها من أصول الاعتقاد، ووقوعَها لحجة أو حاجة.

المطلب الثاني: حصولها لا يقتضي العصمة والتفضيل.

المطلب الثالث: عدم الكرامة لا يقدح في الولاية.

المطلب الرابع: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة.

المطلب الخامس: كرامات الأولياء معجزات لأنبيائهم.

المطلب الأول

أن الإيمانَ بها من أصول الاعتقاد، ووقوعَها لحجة أو حاجة

المسألة الأولى: أن الإيمان بها من أصول الاعتقاد

لقد عني علماء الإسلام بشأن الكرامات، وقرروا أن الإيمان بها من اعتقاد المسلمين، وأن إنكارها ابتداع وضلال مبين[١].

وابن تيمية شأنه في ذلك شأن علماء السلف؛ حيث قرر في مواضع عدة من آثاره أن الإيمان بكرامات الأولياء أصل من أصول الاعتقاد، وأن التصديق بها من صميم عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

قال رحمه الله **في «العقيدة الواسطية»** التي قرر فيها مجمل اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة: «ومن أصول أهل السُّنَّة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يُجري الله على أيديهم من خوارق العادات، وفي أنواع المكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات؛ كالمأثور عن سلف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة، والتابعين، وسائر قرون الأمة، وهي موجودة إلى يوم القيامة»[٢].

وقال في «مختصر الفتاوى المصرية»: «وكرامات الأولياء حق باتفاق أهل الإسلام والسُّنَّة والجماعة، وقد دلَّ عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة، والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم»[٣].

وقال في «جامع المسائل»: «وللصالحين كرامات معروفة من تسخير السباع، والنار لهم، وتكثير الطعام والشراب، ودفع البلاء، ومن المكاشفات، وأنواع الخوارق من العادات في أبواب العلم، وأبواب القدرة»[٤].

وسئل ـ أيضاً ـ عن من يعتقد أن كرامات الأولياء حق، وأن منهم من يكاشف

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٤٩٤، ولوامع الأنوار للسفاريني ٢/٣٩٣.
(٢) مجموع الفتاوى ٣/١٥٦.
(٣) مختصر الفتاوى المصرية ص٧٦٦.
(٤) جامع المسائل ٥/٢٢٤، وانظر: الجواب الصحيح ١/٤٠٢ ـ ٤٠٣.

ماضياً ومستقبلاً؛ فهل هذا الاعتقاد صحيح؟[١].

فاجاب رَحِمَهُ اللهُ إجابة مختصرة بيَّن فيها خلاصة الاعتقاد الحق في باب الكرامات، وما يخالفه.

فقال: «وكرامات الأولياء حقٌّ باتفاق أهل الإسلام، والسُّنَّة والجماعة.

وقد دلَّ عليه[٢] القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة، والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين، وغيرهم»[٣].

ثم أوضح ـ على سبيل الإجمال ـ من ينكر الكرامات.

فقال: «وإنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة، والجهمية، ومن تابعهم.

وأما أئمة الإسلام، وشيوخهم المقبولون عند الله فلم ينكروها.

لكنَّ كثيراً ممن يدعيها، أو تدَّعى له يكون كذاباً، أو ملبوساً عليه»[٤].

ثم **ذكر** شيئاً من الأحكام المتعلقة بالكرامة؛ كبيانه أنها لا تدل على عصمة صاحبها، ولا وجوب اتِّباعه في كل ما يقول، وأن الخوارق من الكشف وغيره قد تصدر من بعض الكفار، من المشركين وأهل الكتاب، ومن هو شر منهم، وأن أئمة الدين اتفقوا على أن الرجل لا يُغْتَر بما عنده من الخوارق حتى يُنظر في وقوفه عند الأمر والنهي الذي بعث الله به رسوله ﷺ[٥].

ثم **ختم** هذه الفتوى **بقوله:** «وهذه جملة مختصرة مفصلة مبسوطة في غير هذا الموضع، والله أعلم، والحمد لله ربِّ العالمين»[٦].

هذا وسيأتي مزيد بيان لما أجمل هٰهنا في المسائل والمطالب التالية، وإنما المقصود هنا بيان تقرير ابن تيمية أن الإيمان بالكرامات أصل من أصول الاعتقاد.

المسألة الثانية: أن وقوعَها لحجة أو حاجة

وهذه المسألة مما أبدى فيها كثيراً وأعاد، وإليها يُرْجَع أسباب وقوع الكرامة؛ فيرى أنها إنما تقع **لحجة في الدين، أو لحاجة بالمسلمين**[٧]، ثم يُفَرِّع على ذلك ما يُفَرِّع، من كونها تقع إجابة لدعاء، أو سلامة من مهلكة، أو أن تكون إكراماً محضاً، ونحو ذلك، وما جرى مجراه.

---

(١) انظر: جامع المسائل ٩/ ١٦١.
(٢) أي: على هذا الحق.
(٣) جامع المسائل ٩/ ١٦١.
(٤) المرجع السابق ٩/ ١٦١.
(٥) انظر: المرجع السابق ٩/ ١٦١ ـ ١٦٢.
(٦) المرجع السابق ٩/ ١٦٢.
(٧) انظر: النبوات ١/ ١٦٠.

قال رَحِمَهُ اللهُ في «الفرقان»: «وخيار أولياء الله: كراماتهم **لحجة في الدين**، أو **لحاجة بالمسلمين**؛ كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك»[١].

وقال في موضع آخر مبيِّناً مقتضيات الكرامة: «ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامة قد تكون بحسب **حاجة** الرجل؛ فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان، أو المحتاج ـ أتاه منها ما يقوي إيمانه، ويسد حاجته.

ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك؛ فلا يأتيه مثلُ ذلك[٢]؛ لعلو درجته، وغناه عنها، لا لنقص ولايته»[٣].

ثم يوضح ذلك، **ويعلل** كونها في التابعين أكثر منها في الصحابة.

فيقول: «ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة؛ بخلاف من يجري الله على يديه الخوارق؛ لهدي الخلق، ولحاجتهم؛ فهؤلاء أعظم درجة»[٤].

ويضرب أمثلة على الحاجة ببعض الكرامات التي حصلت لبعض السلف، كما في خبر عبد الواحد بن زيد[٥]، حيث **قال**: «وكان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج؛ فسأل ربه أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء؛ فكانت وقت الوضوء تطلق أعضاؤه، ثم تعود بعده»[٦].

ويورد أمثلة كثيرة من الكرامات، **ويعقبها** بأن الكرامات تكون **لحجة** أو **حاجة**[٧].

ويقول في «قاعدة في المعجزات والكرامات»: «فإن كراماتهم[٨] كمعجزاته[٩] لم يخرجها إلا **لحجة**، أو **حاجة**»[١٠].

---

(١) الفرقان ص٢٦٢.

(٢) يعني: لا يأتيه من الكرامة وخرق العادة مثلما أوتيه الأول المحتاج لذلك.

(٣) الفرقان ص٣٢٠ ـ ٣٢١. (٤) المرجع السابق ص٣٢١.

(٥) هو: عبد الواحد بن زيد، وقيل: ابن زياد العبد، أحد الأعلام، ويروي عن ليث بن أبي عامر، ويونس بن عبيد، وغيرهما، ويروي عنه عفان بن مسلم وغيره، وكان مجاب الدعوة. قال يحيى بن معين: هو ثقة، توفي سنة ١٧٧هـ، انظر: شذرات الذهب ١/ ٢٨٧، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين الأتابكي، نسخة مصورة عن دار الكتب، ٢/ ٨٧.

(٦) الفرقان ص٣٢٠. (٧) انظر: المرجع السابق ص٣٠٠ ـ ٣٢٠.

(٨) يعني: الأولياء، وهم خواص أمة محمد ﷺ المتمسكون بشرعه.

(٩) يعني: كمعجزات النبي ﷺ. (١٠) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٢٥.

ثم يوضح المقصود بالحجة وغايتها وفائدتها هٰهنا، بقوله: «**فالحجة**؛ ليظهر بها دين الله؛ ليؤمن الكافر، ويخلص المنافق، ويزداد الذين آمنوا إيماناً؛ فكانت فائدته اتباع دين الله علماً وعملاً كالمقصود بالجهاد»[1].

ثم يوضح المقصود بالحاجة هٰهنا، بقوله: «**والحاجة**؛ كجلب منفعة يحتاجون إليها كالطعام والشارب وقت الحاجة إليه، أو دفع مضرة عنهم ككسر العدو بالحصى الذي رماهم به، فقيل له[2]: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]»[3].

ثم يقرر أن كلا النوعين ـ جلب المنفعة، أو دفع المضرة ـ يعود إلى منفعة الدين؛ كالأكل، والشرب، وقتال العدو، والصدقة على المسلمين؛ فإن هذا من جملة الدين، والأعمال الصالحة.

ثم يقرر بعد ذلك أن الدين إذا صح فلا بد أن يوجد خرق العادة عند الحاجة، ثم **يذكر** الأدلة على ذلك، **ويختم** كلامه مؤكداً ما قرره سابقاً من علة قلة الخوارق في الصحابة، وهو كونهم مستغنين في علمهم بدينهم، وعملهم به عن الكرامات[4].

ويقول في معرض ردِّه على الشاذلي بعد أن قرر أن كرامات أولياء الله تجيء ضمناً وتبعاً، مبيِّناً حال خواص أهل الكرامات في ذلك: «وخواصُّهم إنما يستعملونها **لحجة في الدين، أو لحاجة في الدنيا تُعين على الدين**؛ ليتقربوا إلى الله، لا يستعملونها في مباحات الدنيا، فضلاً عن استعمالها في محظور نهى الله عنه»[5].

وهكذا يقرر أن الكرامات تقع لأسباب، وأن هذه الأسباب ترجع **للحجة**، أو **الحاجة**، ويعني **بالحجة** ـ كما سلف ـ: إقامة الدين، **والحاجة**: حاجة المسلمين أفراداً كانوا أو جماعات.

وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة في المطلب الثاني عند الكلام على مسألة أن حصول الكرامة لا يقتضي التفضيل.

❁ ❁ ❁

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٢٥.
(٢) الضمير يعود إلى النبي ﷺ.
(٣) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٢٥.
(٤) انظر: المرجع السابق ١١/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦، و٣٣١ ـ ٣٣٥.
(٥) الرد على الشاذلي ص٦٦.

المطلب الثاني

حصولها لا يقتضي العصمة والتفضيل

المسألة الأولى: حصولها لا يقتضي العصمة

والمقصود بذلك: أن الكرامة قد تكون علامة رامزة على صلاح صاحبها، ودليلاً على اتباعه للرسول.

ولكن ذلك لا يعني أن يكون معصوماً، ولا أنه أفضل من غيره بإطلاق.

وقد مرت الإشارة ـ المجملة ـ إلى ذلك عند الكلام على تفريق ابن تيمية بين المعجزة والكرامة، وأنه قرر أن الكرامات تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول لا على أن الولي معصوم، ولا أنه تجب طاعته في كل ما يقول.

كما أنه قرر أن من أسباب ضلال مَنْ ضل في هذا الباب ـ كالنصارى ـ أنهم لم يدركوا هذا المعنى؛ فظنوا أن حصول الكرامات على أيدي الحواريين يستلزم عصمتهم كما يستلزم عصمة الأنبياء؛ فصاروا يوجبون موافقتهم في كل ما يقولون.

وهذا غلط ـ كما يقرر ـ ابن تيمية؛ فالذي تُدَّعى له العصمةُ، ووجوبُ القبولِ لكل ما يقول هو النبي لا الولي[1].

قال رَحِمَهُ اللهُ في معرض ردِّه على زَعْم النصارى عصمةَ الحواريين: «الوجه الثالث: أن دعوى العصمة في كل واحد من الحواريين، وأنهم رسل الله بمنزلة إبراهيم وموسى عليهما السلام دعوى ممنوعة، وهي باطلة.

وإنما هم رسل المسيح عليه السلام بمنزلة رسل موسى، ورسل إبراهيم، ورسل محمد ـ صلى الله عليهم وسلم ـ»[2].

ثم بيَّن ضلال النصارى في هذا، وفي ادعائهم العصمة للحواريين.

فقال: «وأكثر النصارى، أو كثير منهم، أو كلهم، يقولون: هم رسل الله،

---

(١) انظر: النبوات ١/١٤٣، والجواب الصحيح ٢/٣٩٨ ـ ٤٠٠، و٤/١٧٤.

(٢) الجواب الصحيح ٢/٨٣.

وليسوا بأنبياء»[١].

ثم يعلِّق على ذلك بقوله: «وكل من ليس بنبي فليس برسول الله، وليس **بمعصوم**، وإن كانت له **خوارق عادات**، كأولياء الله المسلمين وغيرهم؛ **فإنهم وإن** كانت لهم **كرامات من الخوارق** فليسوا **بمعصومين** من الخطأ»[٢].

ثم يؤكد على ذلك بقوله: «والخوارق التي تجري على يدي غير الأنبياء لا تدل على أن أصحابها أولياء لله عند أكثر العلماء فضلاً عن كونهم **معصومين**؛ **فإن وليَّ الله** من يموت على الإيمان.

ومجرد الخارق لا يدل على أنه يموت على الإيمان؛ بل قد يتغير عن ذلك الحال»[٣].

ثم يزيد الأمر وضوحاً، فيقول: «وإذا قطعنا بأن الرجل ولي الله كمن أخبر النبي ﷺ بأنه من أهل الجنة فلا يجب الإيمان بكل ما يقوله إن لم يوافق ما قالته الأنبياء.

بخلاف الأنبياء ﷺ **فإنهم معصومون**، ولا يجوز أن يَسْتَقِرَّ فيما يبلغونه خطأ؛ ولهذا أوجب الله الإيمان بهم، ومن كفر بواحد منهم فهو كافر، ومن سبَّ واحداً منهم وجب قتله في شرع الإسلام»[٤].

وقال في موضع آخر بعد أن **قرر** أن الكرامة والولاية لا توجب العصمة، **وقرر** أن للأنبياء حقوقاً ليست للأولياء، **قال:** «فَضَلال الضُّلال من هؤلاء[٥] مبني على **مقدمتين**:

إحداهما: أن هذا له كرامة؛ فيكون وليّاً لله.

والثانية: أن ولي الله لا يجوز أن يخطئ؛ بل يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر»[٦].

ثم يتعقب هذا الكلام بقوله: «وليس لأحد من البشر أن يُصَدَّق في كل ما أخبر به، ويُطاع في كل ما أمر إلا أن يكون نبيّاً»[٧].

---

(١) الجواب الصحيح ٢/ ٨٣ ـ ٨٤.
(٢) المرجع السابق ٢/ ٨٤، وانظر: الفرقان ص١٥٨، و١٦١، و١٦٧.
(٣) الجواب الصحيح ٢/ ٨٤.
(٤) المرجع السابق ٢/ ٨٤، وانظر: الرسالة الصفدية ص٢٥٦ ـ ٢٥٨.
(٥) يعني: ممن يعتقدون العصمة في الأولياء.
(٦) الجواب الصحيح ٢/ ٣٤٥.
(٧) المرجع السابق ٢/ ٣٤٥.

إلى أن قال: «والمقدمتان المذكورتان قد تكون إحداهما باطلة، وقد يكون كلاهما باطلاً؛ فالرجل المعيَّن قد لا يكون من أولياء الله تكون خوارقه من الشياطين.

وقد يكون من أولياء الله، وليس بمعصوم؛ بل يجوز عليه الخطأ.

وقد لا يكون من أولياء الله، ولا يكون له خوارق؛ بل له محالات[١]، وأكاذيب»[٢].

وبالجملة فإن تقريره لهذه المسألة، وتفصيله فيها، وضربه الأمثلة عليها كثير طويل[٣].

المسألة الثانية: حصولها لا يعني التفضيل

والمقصود بذلك: أن وقوع الكرامة لأحد من المؤمنين لا يعني أنه أفضل من غيره ممن لم تقع له الكرامة[٤].

وهذا ما قرره ابن تيمية؛ فليس معيار التفاضل عنده بين المؤمنين هو وقوع الكرامات؛ بحيث يُفَضَّل صاحب الكرامة على من لم تحصل له.

وإنما التفاضل بحسب إيمان الإنسان، واتباعه.

ولهذا **قرر في مسألة ماضية** وهي مسألة أن **(الكرامة تقع لحجة أو حاجة)** أن الكرامة قد تكون بحسب حاجة الإنسان، فإذا احتاج إليها ضعيف الإيمان أتاه ما يقوي إيمانه ويسد حاجته.

وهذا ما **علَّل** به كون الكرامات في التابعين أكثر منها في الصحابة مع أن الصحابة ـ **قطعاً** ـ أفضل من التابعين[٥].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقرراً هذا المعنى: «ولهذا لما كان الصحابة رضي الله عنهم مستغنين في علمهم بدينهم، وعملهم به عن الآيات بما رأوه من حال الرسول، ونالوه من علم ـ صار كل من كان عنهم أبعد مع صحة طريقته يحتاج إلى ما عندهم في علم دينه، وعمله؛

---

(١) **المحالات**: جمع محال: وهو ما يمتنع وجوده في الخارج؛ كاجتماع الحركة، والسكوت في جزء واحد. انظر: التعريفات ص٢٠٥.

(٢) الجواب الصحيح ٢/ ٣٤٥.

(٣) انظر تفصيل ذلك في: المرجع السابق ٢/ ٣١٥ ـ ٣١٧، و٣٩٩ ـ ٤٠١.

(٤) انظر: كرامات الأولياء دراسة عقدية ص٢٦٣.

(٥) انظر: الفرقان ص٣٢١.

فيظهر مع الأفراد في أوقات الفترات، وأماكن الفترات[١] من الخوارق ما لا يظهر لهم، ولا لغيرهم من حال ظهور النبوة والدعوة»[٢].

ويؤكد هذا المعنى، ويقرره بصورة أجلى في «منهاج أهل السُّنَّة»؛ إذ **يقول**: «ومما ينبغي أن يعلم أن خوارق العادت تكون للأولياء بحسب **حاجتهم**؛ فمن كان بين الكفار، أو المنافقين، أو الفاسقين ـ احتاج إليها؛ لتقوية اليقين؛ فظهرت عليه كظهور النور للظلمة؛ فلهذا يوجد[٣] لكثير من **المفضولين** أكثر ما يوجد **للفاضلين**؛ لحاجتهم إلى ذلك»[٤].

وهكذا يقرر أن حصول الكرامة لأحد لا يعني التفضيل له على غيره ممن لم تحصل له كرامة، أو حصلت له كرامات أقل منه.

هذا، وسيأتي مزيد بيان، وأمثلة على ذلك في الفصل الثاني من هذا الباب عند الكلام على موقف ابن تيمية من غلو الشيعة في الكرامة.



(١) يقصد بها: الأوقات والأماكن التي يقل فيها العلم، وتندرس أنوار الرسالة.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٣٥.

(٣) يعني: من الخوارق.

(٤) منهاج السُّنَّة ٨/ ٢٠٤.

المطلب الثالث

عدم الكرامة لا يقدح في الولاية

كما يقرر ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أن حصول الكرامة لا يقتضي العصمة لمن حصلت له، وأن ذلك لا يعني تفضيله على غيره بمجرد الكرامة ـ يقرر كذلك أن عدم حصول الكرامة لأحد من المؤمنين لا يقدح في ولايته، ولا ينقص من قدره، أو أجره.

قال رَحِمَهُ اللهُ في فصل عقده في «قاعدة في المعجزات والكرامات» تعرض فيه لمفهوم كلمات الله الكونية، وكلماته الدينية، **قال:** «إذا تقرر ذلك فاعلم أن عدم **الخوارق** علماً، وقدرةً **لا تضر المسلم في دينه**؛ فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات، ولم يُسَخَّر له شيء من الكونيات ـ لا ينقصه ذلك في مرتبته عند الله»[1].

بل يقرر أن عدم حصول ذلك قد يكون خيراً، أو أنفع له من حصوله، **فيقول:** «بل قد يكون عدم ذلك أنفع له إذا لم يكن وجود ذلك في حقه مأموراً به أمر إيجاب، ولا استحباب»[2].

ثم قرر أن الذي يضر الإنسان ـ حقيقةً ـ هو عدم الدين والعمل.

وهو ما يصير به الإنسان ناقصاً مذموماً، إما أن يجعله مستحقّاً للعقاب، وإما أن يجعله محروماً من الثواب ـ كما يقول ـ[3].

ثم يعلل لذلك قائلاً: «وذلك لأن العلم بالدين، وتعليمه، والأمر به ينال به العبد رضوان الله وحده، وصلاتَه، وثوابَه.

وأما العلم بالكون، والتأثير فيه فلا ينال به ذلك إلا إذا كان داخلاً في الدين؛ بل قد يجب عليهم شكره، وقد يناله به إثم»[4].

وقال في «منهاج السُّنَّة» ذامّاً من يتطلع إلى وقوع الخوارق على يديه؛ بحيث يصرف هَمَّه، وهمته إليها.

قال: «وكذلك الخوارق؛ كثير من المتأخرين صارت عنده مقصودة لذاتها؛ فيكثر

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٢٣.
(٢) المرجع السابق ١١/ ٣٢٣.
(٣) انظر: المرجع السابق ١١/ ٣٢٣.
(٤) المرجع السابق ١١/ ٣٢٣.

العبادة، والجوع، والسهر، والخلوة؛ ليحصل له نوعٌ من المكاشفات، والتأثيرات، كما يسعى الرجل؛ ليحصل له من السلطان والمال.

وكثير من الناس إنما يعظِّم الشيوخ لأجل ذلك[١] كما تُعَظَّم الملوك والأغنياء لأجل مُلْكِهم، ومِلْكِهم»[٢].

ثم بين ما ينبغي أن يسعى الإنسان إليه، ويصرف همته له، وأنه ليس في تحصيل الخوارق، وإنما هو السعي في مراضي الله، حيث **يقول**: «والمقصود لنفسه في الدنيا هو الاستقامة[٣] على ما يرضاه الله ويحبه باطناً وظاهراً»[٤].

ثم بيَّن أن ذلك هو معيار التفاضل؛ فقال: «فكلما كان الرجل أتْبَعَ لما يرضاه الله ورسوله، وأتبع لطاعة الله ورسوله ـ كان أفضل، ومن حصل له المقصود من الإيمان، واليقين، والطاعة بلا خارق لم يحتج إلى خارق»[٥].

ثم بيَّن أن هذا هو سبيل المؤمنين الأولين من سلف هذه الأمة.

فقال: «كما أن صِدِّيق الأمة أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليّاً، وطلحة، والزبير، وأمثالَهم من السابقين الأولين لمّا تبيَّن لهم أن محمداً ﷺ رسول الله آمنوا به، ولم يحتاجوا ـ مع ذلك ـ من الخوارق إلى ما احتاج إليه من لم يعرف كمعرفتهم»[٦].

واستشهد رَحِمَهُ اللهُ في «قاعدة في المعجزات والكرامات» بكلام لأبي علي الجوزجاني[٧] حول هذا المعنى، **فقال**: «قال أبو علي الجوزجاني: (كن طالباً للاستقامة، لا طالباً للكرامة؛ فإن نفسك مُنْجَبِلة على طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة)»[٨].

قال ابن تيمية معلقاً على هذه الكلمة: «قال الشيخ السُّهروردي[٩] في عوارفه:

---

(١) يعني: لأجل ما يقع لهم من الخوارق. (٢) منهاج السُّنَّة ٨/٢٠٦.

(٣) يعني: ما ينبغي أن يقصد لذاته وهو طلب الاستقامة، لا الكرامة.

(٤) منهاج السُّنَّة ٨/٢٠٦. (٥) المرجع السابق ٨/٢٠٦.

(٦) المرجع السابق ٨/٢٠٧.

(٧) هو: أبو علي الحسن بن علي الجوزجاني، من أعلام التصوف في القرن الرابع الهجري، له تصانيف في المجاهدات، والرياضات، صحب الحكيم الترمذي، ومحمد بن الفضل البلخي. انظر: طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمٰن السلمي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، ص١٩٦ ـ ١٩٨.

(٨) مجموع الفتاوى ١١/٣٢٠.

(٩) هو: أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك، الملقب بشهاب الدين السهروردي المقتول، وقيل: =

وهذا الذي ذكره[1] أصل عظيم كبير في الباب، وسرٌّ غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلاب.

وذلك أن المجتهدين، والمتعبدين سمعوا عن سلف الصالحين المتقدمين ما منحوا به من الكرامات، وخوارق العادات؛ فأبداً نفوسهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك، ويحبون أن يرزقوا شيئاً من ذلك، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب، متهماً لنفسه في صحة عمله؛ حيث لم يُكَاشَفْ بشيء من ذلك.

ولو علموا سر ذلك لهان عليهم الأمر»[2].

ثم ساق من كلامه ما يبيِّن خطأ من يتطلع إلى الكرامة دون نظر إلى الاستقامة، **وختمه بقوله:** «فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة؛ فهي كل الكرامة.

ثم إذا وقع في طريقه شيء خارق كان كأن لم يقع؛ فما يبالي، ولا يَنْقُص بذلك.

وإنما ينقص بالإخلال بواجب حق الاستقامة»[3].

وقال ابن تيمية في (قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان، وعبادات أهل الشرك والنفاق): «وأنفع ما للإنسان الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة؛ فإن السُّنَّة سفينة نوح؛ من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»[4].

ثم يؤكد ما مضى تقريره من أن عدم الكرامة لا يضر المسلم، ولا يقدح في الولاية؛ فيقول: «ثم إن رزقه الله بصيرة، وكشف له الحقائق يتبين له ببصائر الإيمان وحقائقه ما يصدق الشريعة الظاهرة، وأن الله هدى الخلق بمحمد ﷺ إلى الصراط المستقيم، وأخرجهم به من الظلمات إلى النور، وفَرَّقَ به بين الهدى والضلال، والغيِّ والرشاد، والحقِّ والباطل، وطريق الجنة وطريق النار، وبين أوليائه وأعدائه»[5].

إلى أن قال: «وإن لم تنكشف له الحقائق الباطنة كفاه اعتصامه بالشريعة الظاهرة،

= اسمه أحمد، فيلسوف متصوف، ولد سنة ٥٥٠هـ، في سُهرورد، وقتل في حلب سنة ٥٨٧هـ، وقيل: ٥٨٦هـ، لسوء معتقده؛ حيث أفتى علماء حلب بقتله، كان شافعي المذهب، قيل فيه: كان ذكيّاً متهوراً، كثير العلم، قليل العقل. انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٥٢، و٣١٨، و٣/ ١٧٢ ـ ١٧٩، ولسان الميزان ٤/ ٢٦٤ ـ ٢٦٧.

(١) يعني: أبا علي الجوزجاني.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٣٢٠.

(٣) المرجع السابق ١١/ ٣٢١، وانظر: عوارف المعارف للسهروردي، المكتبة المكية ١/ ٥٥ ـ ٥٦.

(٤) قاعدة عظيمة ص١٦٨.

(٥) المرجع السابق ص١٦٨.

وحصل له النجاة، ونال من السعادة بقدر ما اتَّبع فيه الرسول»[١].

وقال ـ في معرض ردِّه على الشاذلي مقرراً ما مضى آنفاً، بعد أن ذكر بعض ما يعرفه عن مدَّعي الكرامات ـ: «ولهذا يوجد كثير من السالكين لا يطلبون التقرب إلى الله، وطلب رضوانه، ورحمته، والنجاة من عذابه.

بل إن مطلوبهم نوع من المكاشفة، أو التأثير؛ فيطلبون علماً يَسْتَعْلُون به على الناس، أو قدرة يستعلون بها على الناس»[٢].

ثم يبيِّن وجه الضَّلال في ذلك؛ فيقول: «وذلك من باب إرادة العلو في الأرض، والفساد، فيعاقبهم الله بنقيض قصدهم»[٣].

ثم بيَّن حال أولياء الله مع الكرامات، وأنها خلاف ما عليه هؤلاء المتطلبين للكرامة؛ **فقال:** «وكرامات أولياء الله تجيء ضمناً، وتبعاً؛ فإنهم يقصدون وجه الله؛ فتجيء المكاشفات، والتأثيرات تبعاً، لا يقفون عندها، ولا تكون هي أكبر همّهم، ولا مبلغ علمهم»[٤].

ثم بيَّن عاقبة من كانت الكرامة هي قصدَه؛ كي ينال بها عُلُوّاً؛ فقال: «ومن كانت هي قصده فلا بد إن حصل لها شيء منها أن يستعمله في ما نهي عنه؛ فيعاقبون إما بسلبها، وإما بسلب الطاعة، حتى يصير أحدهم فاسقاً، وإما بسلب الإيمان، حتى يصير أحدهم كافراً»[٥].

ثم **أوضح** أن هؤلاء كثيرون، لا سيما في دول الكفار والظالمين، وأنهم بسبب إعانتهم للكفار والظلمة بأحوالهم يعاقبهم الله ـ تعالى ـ على ذلك، وأن ذلك يعرفه تجربةً ومشاهدةً وسماعاً من له به خبرة.

ويقرر أن عنده من العلم بذلك ما لا يتسع هذا الموضع لذكر تفاصيله[٦].

وهكذا يقرر ابن تيمية أن عدم وقوع الكرامة لا يضر المؤمن؛ بل إن عدم وقوعها قد يكون هو الخير، ووقوعها له قد لا يكون خيراً له.

وسيأتي مزيد بيان لذلك في المطلب التالي.

---

(١) قاعدة عظيمة ص١٦٨.

(٢) الرد على الشاذلي ص٦٥ ـ ٦٦، وانظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام لابن قيم الجوزية، تحقيق: رائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٣٧هـ، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(٣) الرد على الشاذلي ص٦٦.

(٤) المرجع السابق ص٦٦.

(٥) المرجع السابق ص٦٦.

(٦) انظر: المرجع السابق ص٦٦.

المطلب الرابع

أعظم الكرامة لزوم الاستقامة

وقد مرت الإشارة إلى ذلك في المسألة الماضية؛ فابن تيمية كثيراً ما يقرر ذلك، ويقصد به أن حقيقة الكرامة: إكرام الرب لعبده بلزوم الاستقامة على دينه، وأمره؛ فذلك عنده **أعظم الكرامة**.

ولا يعني بذلك أن لزوم الاستقامة داخل في الخوارق المعروفة، وإنما يقصد به أنه **الغاية في الإكرام**.

وفي هذا تأكيد على ما مضى في الفقرة الماضية من أن **عدم الكرامة لا يضر المسلم، ولا يقدح في الولاية**.

وهذا المعنى ـ **وهو أن أعظم الكرامة لزوم الاستقامة** ـ قد قرره في مواضع عدة من آثاره.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «قاعدة في المحبة» من كتابه «جامع الرسائل» في بيان معنى **التكريم** في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ [الفجر: ١٥].

قال: «وأما قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ فإنه تكريم بما فيه من اللذات؛ ولهذا قرنه بقوله: ﴿وَنَعَّمَهُۥ﴾»[1].

ثم قرر أن ذلك أعظم الكرامة؛ إذ هو أعظم من **خرق العادة، فقال:** «ولهذا كانت خوارق العادات التي تسميها العامة **كرامة** ليست عند التحقيق كرامةً مطلقاً؛ بل ـ **في الحقيقة ـ الكرامة: هي لزوم الاستقامة**»[2].

ثم بيَّن معنى ذلك بقوله: «وهي[3] طاعة الله، وإنما هي[4] مما يبتلي الله بها عبده؛ فإن أطاعه بها[5] رفعه، وإن عصاه بها خفضه، وإن كانت من آثار طاعة أخرى كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن

---

(١) جامع الرسائل ٢/ ٣٥٢.
(٢) المرجع السابق ٢/ ٣٥٢.
(٣) يعني: الكرامة الحقيقية.
(٤) يعني: الكرامة الخارقة للعادة.
(٥) يعني: بالكرامة الخارقة للعادة.

يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الجن]»[١].

وقال في «الفرقان» بعد كلام له عن السماع المُحْدَث، وما يورثه في نفوس أهله من الشر، والباطل، وما يظنون أنه من كرامات أولياء الله المتقين، وإنما هو مبعد لصاحبه عن الله، وهو من أحوال الشياطين، **قال** بعد ذلك مقرراً المعنى الحقيقي للكرامة: «**إنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة**؛ فلم يكرم اللهُ عبداً بمثل أن يعينه على ما يحبه، ويرضاه، ويزيده مما يقربه إليه، ويرفع به درجته»[٢].

وقال في «التحفة العراقية» في معرض كلام عن من يعدون مجرد خرق العادة لأحدهم بكشفٍ يكشف له، أو بتأثير يوافق إرادته ـ هو **كرامة** من الله له، ولا يعلمون أنه استدراج، **قال:** «**وإنما الكرامة لزوم الاستقامة**، وأن الله ـ تعالى ـ لم يكرم عبده بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه، وهو طاعته، وطاعة رسوله، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه.

وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يونس]»[٣].

ثم بيَّن شمول تلك الكرامة لعموم المسلمين، **فقال:** «فإن كانوا موافقين فيما أوجبه الله عليهم، وأحبه فهم من المقتصدين، وإن كانوا موافقين فيما أوجبه عليهم، وأحبه منهم ـ فهم من المقربين، مع أن كل واجب محبوب، وليس كل محبوب واجباً»[٤].

إلى ان قال مؤكداً أن الكرامة الحقيقية، **هي لزوم الاستقامة:** «وأما ما يبتلي الله به عبده من السراء بخرق العادة، أو بغيرها، أو بالضراء ـ فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه، ولا هوانه عليه.

بل قد يسعد بها قوم إذا أطاعوه في ذلك، وقد يشقى بها قوم إذا عصوه في ذلك»[٥].

---

(١) جامع الرسائل ٢/٣٥٢. (٢) الفرقان ص٣٤٩.

(٣) التحفة العراقية في الأعمال القلبية لشيخ الإسلام ابن تيمية، حقَّقه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه: د. يحيى بن محمد الهنيدي، مكتبة الرشد، الرياض ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، ص٣٣٥.

(٤) التحفة العراقية ص٣٣٥.

(٥) المرجع السابق ص٣٣٥ ـ ٣٣٦.

ثم **يؤكد** على أن خرق العادة ابتلاء باستشهاده بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦﴾ [الفجر][1].

وهكذا يقرر **أن الكرامة الحقيقية هي لزوم الاستقامة** على دين الله ـ جلَّ وعلا ـ.

(١) انظر: التحفة العراقية ص٣٣٦.

المطلب الخامس

كرامات الأولياء معجزات لأنبيائهم

وهذه المسألة مرتبطة بعدد من مسائل الكرامات؛ كمفهوم الكرامة، والفرق بينها وبين المعجزة، ونحو ذلك.

وهي مما أبدى وأعاد فيه ابن تيمية كثيراً؛ حيث يقرر أن كرامات الأولياء معجزات لأنبيائهم، وأنها مصدقة ومؤكدة لها، وأنها إنما حصلت ببركة اتباعهم، وأنها تَبَعٌ وفرعٌ للمعجزات، ونحو ذلك مما قرره في كثير من آثاره خصوصاً في كتابه (النبوات).

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الصالحون الذين يَدْعُون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها ـ فتلك **خوارقهم من معجزات الأنبياء**؛ فإنهم يقولون: إنما حصل لنا هذا باتباع الأنبياء، ولو لم نتبعهم لم يحصل لنا هذا»[1].

ثم يذكر بعض الكرامات التي جرت للصالحين، **ويبيِّن** بعد ذلك أن هذه الأمور مؤكدة لآيات الأنبياء، وهي ـ أيضاً ـ من معجزاتهم.

ويقرر ـ في الوقت نفسه ـ أن الأولياء ـ مع هذا ـ دون الأنبياء؛ فلا تبلغ كراماتهم معجزات الأنبياء بحالٍ من الأحوال[2].

وقال في موضع آخر بعد أن قرر أن الولي لا يكون وليّاً إلا إذا آمن بالرسل: «قد تدل الخوارق على أن هؤلاء على الحق دون هؤلاء؛ لكونهم من أتباع الأنبياء؛ كما قد يتنازع المسلمون والكفار في الدين؛ فيؤيد الله المؤمنين بخوارق تدل على صحة دينهم كما صارت النار برداً وسلاماً على أبي مسلم، وكما شرب خالد السم، وأمثال ذلك؛ **فهذه الخوارق هي من جنس آيات الأنبياء**»[3].

وقال في «**معرض**» كلام له عن الفرق بين النبي والساحر: «فإن الأنبياء يصدق

---

(١) النبوات ١/١٤١.

(٢) انظر: المرجع السابق ١/١٤١ ـ ١٤٢، وانظر: ٢/٨٦٦.

(٣) المرجع السابق ١/١٥٧، وانظر: ١٨٧.

بعضهم بعضاً؛ فلا يُتَصَوَّر أن نبيّاً يُبطل معجزة آخر، وإن أتى بنظيرها؛ فهو يصدقه.

ومعجزة كلّ نبي منهما آية له، وللآخر[١] ـ أيضاً ـ كما أن **معجزات أتباعهم آيات لهم**»[٢].

وقرر في موضع آخر أن «كرامات الأولياء هي من دلائل النبوة؛ فإنها لا توجد إلا لمن اتبع النبي الصادق؛ فصار وجودها كوجود ما أخبر به النبي من الغيب»[٣].

كما قرر أنه «لا يقدر أحد من مكذبي الرسل أن يأتي بمثل آيات الأنبياء.

أما مصدقوهم فهم معترفون بأن ما يأتون به هو من آيات الأنبياء»[٤].

ويقول في «الفرقان»: «وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ فهي ـ في الحقيقة ـ تدخل في معجزات الرسول ﷺ»[٥].

فهذه جملة من النقول التي قرر فيها ابن تيمية هذه المسألة وهي **كون كرامات الأولياء معجزات لأنبيائهم**.

وبنهاية هذا المطلب ينتهي الكلام على تقرير ابن تيمية لأهم المسائل المتعلقة بالكرامات عنده، وهي أن الكرامات من أصول الاعتقاد، وأن وقوعَها لحجة أو حاجة، وأن حصولها لا يقتضي العصمة والتفضيل، وأن عدمها لا يقدح في الولاية، وأن أعظم الكرامة لزوم الاستقامة، وأن كرامات الأولياء معجزات لأنبيائهم.



(١) يعني: معجزة كل نبي معجزة للنبي الآخر.
(٢) النبوات ١/ ١٩٣.
(٣) المرجع السابق ١/ ٥٠١ ـ ٥٠٢، وانظر: ٥٤١، و٦٠٣ ـ ٦٠٤، و٢/ ٨٢٣ ـ ٨٢٥.
(٤) المرجع السابق ٢/ ٨٦٥ ـ ٨٦٦.
(٥) الفرقان ص٢٩٢.




الفصل الثاني

موقف ابن تيمية
من المخالفين في كرامات الأولياء

وفيه: تمهيد، ومبحثان:

المبحث الأول: موقفه من منكري الكرامات، والمسوِّين بينها وبين المعجزات.

المبحث الثاني: موقفه من الغلو في إثبات الكرامات



تمهيد

كما عني ابن تيمية بشأن الكرامات، وتقرير أن التصديق بها أصل من أصول أهل السُّنَّة، وأن قبولها لا يتحقق إلا بموافقتها للشرع، وتحقق الإكرام فيها، وصحة وقوعها، ونحو ذلك مما عني به في شأن الكرامات ـ فقد عني كذلك بشأن المخالفين فيها؛ حيث كان له موقف منهم، يتجلى من خلال عرضه لأقوالهم، ومناقشها، وبيان وجه مخالفتها؛ فتراه يقرر أن المخالفين في الكرامات ما بين جافٍ عنها، أو غالٍ فيها؛ لذا كان له موقف من منكريها، والمسوِّين بينها وبين المعجزات، كما كان له موقف من الغالين في إثباتها.

أما موقفه من منكريها فيتضح من خلال موقفه من **المعتزلة** ومن وافقهم في ذلك.

وأما موقفه من المسوِّين بين الكرامات والمعجزات فيتبين من خلال موقفه من **الأشاعرة**.

وأما موقفه من الغالين في إثباتها فيتجلى من خلال موقفه من **الصوفية، والشيعة** في غلوهم في الكرامة، وإدخالهم فيها ما ليس منها.

وهذا ما سيتضح من خلال المبحثين التاليين وهما:

المبحث الأول: موقفه من منكري الكرامات، والمسوِّين بينها وبين المعجزات.

المبحث الثاني: موقفه من الغلو في إثبات الكرامة.



المبحث الأول



موقفه من منكري الكرامات والمسوِّين بينها وبين المعجزات

قبل الدخول في تفصيل الكلام في هذا المبحث يحسن التنبيه إلى أن الكلامَ فيه، ومناقشةَ كلٍّ من المعتزلة، والأشاعرة سيكون مجملاً - في عمومه -.

ذلك أن المسائل التي ناقش فيها ابن تيمية المعتزلة والأشاعرة في قولهم في المعجزات تشترك في بعضها مع مناقشته لهما في قولهما في الكرامات؛ إذ إن منشأ الغلط عند المعتزلة والأشاعرة كان من فهمهم الخاطئ لمفهوم الخارق - كما قرره ابن تيمية -.

لذا؛ فإن الكلام في هذا المبحث من خلال مطلبيه لن يكون مفصلاً مطولاً، وإنما سيكون على نحو مجمل يحال فيه إلى ما مضى مما فيه اشتراك، وتغني الإحالة إليه عن تكراره.

فإلى بيان ذلك من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: موقفه من المعتزلة في إنكار الكرامات.

المطلب الثاني: موقفه من الأشاعرة في التسوية بين المعجزات والكرامات.

المطلب الأول

موقفه من المعتزلة في إنكار الكرامات

ينكر المعتزلة ظهور الكرامة على الأولياء الصالحين.

وعمدتهم في ذلك أن الكرامة خارقة للعادة عند من يقول بوقوعها؛ فتكون كالمعجزة من جهة انخراق العادة.

والخارق ـ بزعمهم ـ لا يظهر إلا على أيدي الأنبياء.

ومن هنا أنكروا الكرامة؛ لالتباسها ـ عندهم ـ بالمعجزة.

أما موقفهم من الأدلة التي أثبتت وقوع الكرامة فإنهم يتأولون ما يقع من ذلك بأنه من قبيل الشعوذة، أو الحيلة، أو التمهيد للنبوة.

وهذا ما قرره القاضي عبد الجبار في «شرح الأصول الخمسة»، والمغني[(١)] حيث ينقل عن أئمة المعتزلة أنهم يرون أنه يلزم من قال بالكرامات، وظهورِ الخارق أن يجعل من وقعت له نبياً، وأنَّ ظهور المعجزة على يد غير النبي مفسدة؛ لأنه ينفِّر عن النظر في أعلام[(٢)] الأنبياء ﷺ فلا يجوز ظهور المعجز إلا على النبي؛ لأن ذلك سيفضي إلى التشكيك في النبوة؛ فالكرامة ـ بزعمهم ـ إذا جُوِّزت اشتبهت بالمعجزة؛ فلا يبقى للمعجزة دلالة على النبوة[(٣)].

وهكذا ينكر المعتزلة الكرامة، ويحصرون الخوارق في الأنبياء دون غيرهم؛ فهي شبهة عقلية محضة لا تستند إلا إلى ما يرونه من تقديم العقل على النقل عند

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة ص٥٦٨ ـ ٥٧٢، والمغني ٢٤١/١٥ ـ ٢٤٢، وانظر: خوارق العادات ص٦٣، وكرامات الأولياء ص٢٨٥ ـ ٢٨٨.

(٢) المقصود بها: معجزاتهم، وآياتهم.

(٣) انظر: المغني ٢١٨/١٥ و٢٢٣ ـ ٢٢٤، و٢٣٤، وانظر: كرامات الأولياء ص٣٨١، وانظر: الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف للأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: د. عبد الرزاق البدر، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٢١هـ، ص٦ ـ ٧.

التعارض ـ بزعمهم ـ[١].

هذا، وإن لابن تيمية موقفاً من المعتزلة في إنكارهم الكرامات؛ حيث عَرَض إنكارهم، وأوضح سبب ذلك، وبيَّن بطلان قولهم، وأثبت وقوعَ الكرامات، وامتيازها عن المعجزات، وتأييدها لها.

وهذا ما سيتضح من خلال المسألتين التاليتين:

المسألة الأولى: عَرْضُه لقولِهم، وسببِ ذلك

○ **أولاً: عرضه لقولهم**: لقد عرض ابن تيمية قولَ المعتزلة في إنكار الكرامات، وتأويلَهم لما ثبت منها؛ وذلك في مقدمة كتابه «النبوات» عندما عرض أقوال المتكلمين في التميز بين المعجزة وغيرها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن لهم[٢] طرقاً في التمييز بينها[٣] وبين غيرها[٤]، وفي وجه دلالتها»[٥].

ثم بيَّن رَأْيَ من رَأَى أنَّ كل ما يخرج عن الأمر المعتاد فإنه معجزة، وهو الخارق للعادة إذا اقترن بدعوى النبوة.

ويعني بهؤلاء: المعتزلة والأشاعرة[٦].

ثم عرض قول المعتزلة في مسألة خرق العادة؛ بقوله: «فقالت طائفة: لا تُخْرق العادة إلا لنبي، وكذَّبوا بما يُذكر من خوارق السحرة والكهان، **وبكرامات الصالحين**.

وهذه طريق أكثر المعتزلة[٧]، وغيرهم»[٨].

ثم أوضح تأويلهم لما ثبت من الخوارق لغير الأنبياء، **فقال:** «وهؤلاء يقولون: إنما جرى لمريم[٩] ....

---

(١) انظر: كرامات الأولياء ص٣٤٦، و٣٧٥، و٣٧٨.

(٢) يعني: النظار المتكلمين. (٣) يعني: المعجزات.

(٤) يعني: بقية الخوارق الأخرى.

(٥) النبوات ١/ ١٢٩. (٦) انظر: المرجع السابق ١/ ١٢٩.

(٧) يقول القاضي عبد الجبار: «إن العادة لا تُخْرق إلا عند إرسال الرسل، ولا تنخرق لغير هذا الوجه؛ لأن خرقها لغير هذا الوجه يكون بمنزلة العبث». انظر: المغني ١٥/ ١٨٩.

(٨) النبوات ١/ ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٩) يعني بذلك: ما جرى لمريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ من الكرامات **كإكرامها بالرزق**، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧].

وكحملها بعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دون أن يَمْسَسها بشر، وإنما كان بسبب نفخ الملك، كما قال ـ تعالى ـ: =

وعند مولد الرسول ﷺ[(١)] فهو إرهاص[(٢)]؛ أي: توطئة، وإعلام بمجيء الرسول؛ فما خرقت في الحقيقة إلا لنبي»[(٣)].

إلى أن قال: «وهؤلاء[(٤)] يستثنون ما يكون أمام الساعة.

لكن هؤلاء كذَّبوا بما تواتر من الخوارق لغير الأنبياء»[(٥)].

وقال في موضع آخر في معرض كلام له عن أقسام الناس في خوارق الفجار، وأن من الناس من ينكر الخوارق لغير الأنبياء مطلقاً، ويدخلون ذلك في الشرع، **قال:** «كما أدخلت المعتزلة، ونحوهم إنكارَ كراماتِ الأولياء، وإنكارَ السحر والكهانة في الشرع، بناءً على أن ذلك[(٦)] يقدح في آيات الأنبياء؛ فجمعوا بين التكذيب بهذه الأمور الموجودة، وبين عدمِ العلم بآيات الأنبياء، والفرقِ بينها وبين غيرها؛ حيث ظنوا أن هذه الخوارق الشيطانية من جنس آيات الأنبياء، وأنها نظير لها؛ فلو وقعت لم يكن للأنبياء ما يتميزون به[(٧)]»[(٨)].

= ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء].

وكتبرئة ابنها لها، وكلامه في المهد، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [مريم].

(١) مثل ما جرى عند مولده ﷺ من أمور، كما جاء عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله! ما بدءُ أمرك؟ قال: «**دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت**». دلائل النبوة، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للبيهقي ١/ ٨٠ ـ ٨٢، والروض الأنف للسهيلي ١/ ٢٩٠.
ومعنى قوله: «**رؤيا أمي**» أنها رأت رؤيا صادقة؛ ولما أخذها المخاض، فوضعته تَمَثَّل لعينيها ذلك النور الذي أضاءت له بصرى في أرض الشام. انظر: للبيهقي ١/ ٨٠ ـ ٨٤.

(٢) **الإرهاص في اللغة:** هو مقدمة الشيء، والإيذان به.
ويطلق على ما يصدر عن النبي ﷺ قبل النبوة من أمر خارق للعادة؛ توطئة، وتمهيداً لها.
انظر: التعريفات للجرجاني ص١٦، ولسان العرب ٧/ ٤٤.

(٣) النبوات ١/ ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٤) يعني بهم: المعتزلة.

(٥) النبوات ١/ ١٣٣.

(٦) يعني: أن إثبات الخوارق لغير الأنبياء يقدح في آيات الأنبياء.

(٧) يشير بذلك: إلى إنكار المعتزلة ومن وافقهم كابن حزم لحقيقة السحر، حيث قالوا: إنه عجائب، وحيل، وأنه لو كان حقيقة لما كان بين الأنبياء والسحرة والكهان فرق. انظر: المغني للقاضي عبد الجبار ١٥/ ٢٤١ ـ ٢٤٢، والدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم، دراسة وتحقيق وتعليق: د. أحمد بن ناصر الحمد، ود. سعيد بن عبد الرحمٰن القرني، مكتبة التراث، مكة المكرمة، مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ص١٩٢ ـ ١٩٧.

(٨) النبوات ٢/ ١٠٣٦ ـ ١٠٣٧.

وهكذا يعرض قول المعتزلة في إنكارهم الكرامات، ويبين تأويلَهم لما ثبت عندهم من ذلك بأنه إرهاص، وتكذيبَهم لغيره مما يقع من ذلك القبيل.

○ **ثانياً: عَرْضُه لسبب قولهم:** كما عرض ابن تيمية قولَ المعتزلة في إنكار الكرامات ـ فكذلك عرض سبب ذلك القول؛ حيث أوضح سبب إنكارهم لها، وأنه ناتج عن غلطهم في مفهوم الخارق؛ فبيَّن أن وصف الخارق لا ينضبط، وأن كلَّ خارقٍ لا بد له من وصف يخصصه؛ إذ هو لفظ مشترك، قد يطلق على المعجزات، أو الكرامات، أو خوارق الكهان والسحرة؛ فإذا لم يُخَصَّص لم يكن له معنىً محددٌ؛ فخوارق الأنبياء تخصهم، وخوارق غيرهم تخص غيرهم.

ومن هنا ـ كما يقرر ابن تيمية ـ التبس الأمر على المعتزلة؛ فجعلوا الخارق واحداً؛ فأثبتوا المعجزات؛ لكونها خارقة، وأنكروا ما عداها؛ حتى لا تلتبس بها[1].

قال رحمه الله مقرراً أن الغلط في مفهوم خرق العادة هو سبب الخلط بين خوارق الأنبياء وغيرهم دون تمييز لما يخص كلّ واحد منهم: «ومن هنا دخل الغلط على كثير من الناس؛ فإنهم لما رأوا آيات الأنبياء خارقة للعادة؛ لم يعتد الناسُ مِثلَها ـ أخذوا مسمى خرق العادة، ولم يميزوا بين ما يختص به الأنبياء، ومن أخبر بنبوتهم[2]، وبين ما يوجد معتاداً لغيرهم»[3].

إلى أن قال رحمه الله: «وهؤلاء جعلوا المعجزةَ، وخرقَ العادةِ هو الحد المطابق لها طرداً وعكساً، كما أن بعض الناس يجعل اسمها عجائب»[4].

ثم قال مبيِّناً ما ينبغي أن تُقَيَّد به معجزات الأنبياء؛ حتى لا تلتبس بغيرها: «وآيات الأنبياء إذا وصفت بذلك فينبغي أن تُقَيَّد[5] بما يختص بها؛ فيقال: العجائب التي أتت بها الأنبياء، وخوارق العادات والمعجزات التي ظهرت على أيديهم، أو التي لا يقدر عليها البشر، أو لا يقدر عليها أحد بحيلة واكتساب كما يقدرون على

---

(١) انظر: النبوات ١/١٦٣، و١٧١ ـ ١٧٣، ٥٥٩، و٢/٧٨٢، و٧٨٥ ـ ٧٨٦، والجواب الصحيح ٥/٤١٢، و٦/٤٠٠ ـ ٤٠٤، و٤٩٦ ـ ٥٠٥، ومنهاج السُّنَّة النبوية ٣/٣٢٨.

(٢) يشير بذلك: إلى كرامات الأولياء؛ فإن من أخبر بنبوتهم هم مُتَّبعوهم من صالحي أممهم، فيكون تقدير الكلام (وبين ما يختص به من أخبر بنبوتهم).

(٣) النبوات ٢/٨٢٨.

(٤) المرجع السابق ٢/٨٢٩.

(٥) في طبعة د. الطويان ٢/٨٢٩: (يُقَيَّد)، والمثبت من طبعة محمد يسري ص٥٤٥: (تُقَيَّد).

السحر، والكهانة؛ فبذلك تتميز عما ليس من آياتهم»[1].

وهكذا يقرر أن لفظ الخارق لا بد أن يقيَّد، وأن إطلاقه دون تقييد هو سبب وقوع الغلط عند المعتزلة، وجَعْلِهم الخوارقَ جنساً واحداً، وبالتالي كَذَّبوا بما عدا خوارق الأنبياء، زعماً منهم أن العادة لا تخرق إلا لنبي ـ كما مرَّ ـ[2].

قال رَحِمَهُ اللهُ بعد أن قرر ذلك: «والتزموا[3] طرداً لهذا إنكار أن يكون للسحر تأثير خارج عن العادة مثل أن يموت، ويمرض بلا مباشرة شيء، وأنكروا الكهانة، وأن تكون الجن تخبر ببعض المغيبات، **وأنكروا كرامات الأولياء**»[4].

وقال بعد أن أوضح حد المعتزلة للمعجزة بأنه خرق للعادة، **وبيَّن** أن من قال ذلك لم يعرف مسمى هذه العبارة، **قال:** «بل ظن أن خوارق السحرة، والكهان، **والصالحين** خرق للعادة؛ فكذبها»[5].

وقال في «الأصبهانية»: «والتزم كثير من هؤلاء إنكار خرق العادات لغير الأنبياء، حتى **أنكروا كرامات الأولياء**، والسحر، ونحو ذلك»[6].

وهكذا يقرر سبب إنكار المعتزلة للكرامات، وهو جعلهم الخوارق جنساً واحداً، وأنه لا يكون إلا للأنبياء؛ فإذا وجد عند غيرهم فهو غير صحيح، وليس بخارق ـ على حد زعم المعتزلة ـ.

المسألة الثانية: مناقشته لهم

لقد ناقش ابن تيمية المعتزلة في قولهم بإنكار كرامات الأولياء، وأبان من خلال ذلك بطلان قولهم، وفساده من وجوهٍ عدة، وفيما يلي بيان لذلك بشيء من البسط.

○ **أولاً: بيانه لخطئهم في أصل المسألة:** وقد مرّت الإشارة إلى ذلك في المسألة الماضية عندما أوضح أن سبب ضلالهم هو **اعتقادهم أن جنس الخوارق واحد، وأنها لا تخرق إلا لنبي.**

قال رَحِمَهُ اللهُ مبيِّناً ذلك في معرض مناقشته للمعتزلة والأشاعرة في الخوارق:

---

(١) النبوات ٢/ ٨٢٩.

(٢) انظر تفصيل ذلك في: النبوات ١/ ٢١٣ ـ ٢١٤، و٤٨٤، و٢/ ٧٣٣ ـ ٧٤٤، وشرح الأصبهانية ص٥٣٧ ـ ٥٣٨، وانظر: المبحث الثالث من الفصل الثاني من الباب الأول لهذا البحث عند الكلام على موقف ابن تيمية من قول المعتزلة في المعجزات.

(٣) يعني: المعتزلة.

(٤) النبوات ١/ ٤٨٤.

(٥) المرجع السابق ٢/ ٧٧٣ ـ ٧٧٤.

(٦) شرح الأصبهانية ص٥٣٨.

«**وأصل خطأ الطائفتين** أنهم لم يعرفوا آيات الأنبياء، وما خصهم الله به، ولم يَقْدُروا قَدْرَ النبوة، ولم يقدروا آياتِ الأنبياء قَدْرَها.

بل جعلوا الخوارق الشيطانية من جنسها؛ فإما أن يكذبوا بوجودها[١]، وإما أن يسَوُّوا بينهما[٢]، ويدَّعوا فَرْقاً لا حقيقة له»[٣].

ثم بيَّن بعد ذلك خطورة إنكار الخوارق لغير الأنبياء، وما يترتب عليه من الفساد[٤].

هذا وقد مرَّ الكلام على قريب من ذلك في الباب الأول عند الكلام على موقفه من قول المعتزلة من المعجزات، وسيأتي مزيد بيان له في الفقرات التالية، وفي الباب الثالث عند الكلام على الفروق بين الأحوال الشيطانية، وبقية الخوارق.

○ **ثانياً: إثباته لوقوع الكرامات**: وذلك في مواضع كثيرة من آثاره؛ حيث يقرر أن التصديق بالكرامات من أصول أهل السُّنَّة والجماعة، ويستشهد بالكثير من الكرامات الواقعة لصالحي الأمم السابقة، وصالحي هذه الأمة[٥].

وقد مرت أمثلة كثيرة في مواطن مختلفة من هذا البحث.

ومما ردَّ به على المعتزلة في إنكارهم للكرامات ما قرره بعد أن عرض قولهم في ذلك؛ **حيث قال**: «والمنازع لهم[٦] يقول: هي موجودة مشهودة لمن شهدها، متواترة عند كثير من الناس أعظم مما تواترت عندهم لبعض معجزات الأنبياء.

وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات الأنبياء»[٧].

إلى أن يقول ملزماً لهم بتصديق الكرامات، مبيِّناً تناقضهم إذا هم كذبوا بها: «فكيف يكذِّبون بما شهدوه[٨]، ويصدقون بما غاب عنهم[٩]، ويكذبون بما تواتر

(١) يشير بذلك: إلى صنيع المعتزلة.
(٢) يشير بذلك: إلى صنيع الأشاعرة.
(٣) النبوات ٢/ ١٠٤٠.
(٤) انظر: المرجع السابق ٢/ ١٠٤٠ ـ ١٠٤١، و١/ ٥٠٨ ـ ٥٦٠، ومنهاج السُّنَّة ٣/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧، وجامع المسائل ١/ ٩٦ ـ ٩٩.
(٥) انظر: مجموع الفتاوى ٣/ ١٣٦، ومختصر الفتاوى المصرية ص٧٦٦، وجامع المسائل ٥/ ٢٢٤، والجواب الصحيح ١/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣.
(٦) يعني: المنازع للمعتزلة في إنكارهم للكرامة، ويقصد بالمنازع: مثبتي الكرامات.
(٧) النبوات ١/ ١٣٣.
(٨) أي: من الكرامات.
(٩) أي: من المعجزات التي لم يشهدوها، وإنما أثبتوها عن طريق السمع.

عندهم أعظم مما تواتر غيره؟!»[١].

○ **ثالثاً: إثباته امتيازَ المعجزة عن الكرامة**: وهذا مما يبطل به دعوى المعتزلة؛ فهم ـ كما مرَّ ـ يرون أن الكرامة إذا جُوِّزت اشتبهت بالمعجزة؛ فلا يبقى للمعجزة دلالة على النبوة.

وابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبطل ذلك الزعم؛ ببيانه أن المعجزة **تتميز** عن الكرامة بما لها من **ميزات** تختص بها، والكرامة تختص **بميزات** تنفرد بها عن المعجزة؛ فلا يبقى التباسٌ لإحداهما بالأخرى.

وقد مرَّ في الباب الأول تفصيل لهذه المسألة عند الكلام على تقريره **أن معجزات الأنبياء خاصة بهم**؛ فهذه المسألة مما قرره ابن تيمية كثيراً، وأبدى وأعاد فيه مراراً.

بل هي عنده أشبه بالقاعدة العامة التي يندرج تحتها أفراد عدة.

فلقد قرر في ذلك «أن ما يدل على النبوة هو آية على النبوة، وبرهان عليها؛ فلا بد أن يكون **مختصّاً بها**، لا يكون مشتركاً بين الأنبياء وغيرهم»[٢].

وقرر ـ أيضاً ـ أن «آية النبي لا بد أن تكون خارقة للعادة، بمعنى: أنها ليست معتادة للآدميين؛ وذلك لأنها حينئذٍ لا تكون **مختصة** بالنبي؛ بل مشتركة»[٣].

ويعني بذلك: أنها إذا كانت معتادة للآدميين لم تكن خاصة بالأنبياء.

وقرر ـ أيضاً ـ اختصاص الأنبياء بآية إهلاك أعدائهم؛ **فقال**: «وقد يميت الله بعض الناس بأنواع معتادة من البأس كالطواعين ونحوها.

لكن هذا معتاد لغير مكذبي الرسل.

أما ما عذَّب الله به مكذبي الرسل **فمختص بهم**»[٤].

ويقول ـ أيضاً ـ: «آيات الأنبياء مما يعلم العقلاء **أنها مختصة بهم** ليست مما تكون لغيرهم، فيعلمون أن الله لم يخلق مثلها لغير الأنبياء»[٥].

ثم يذكر أمثلة على ذلك، **فيقول**: «وسواء في آياتهم التي كانت في حياة قومهم، وآياتهم التي فرَّق الله بها بين أتباعهم ومكذبيهم بنجاة هؤلاء، وهلاك هؤلاء

---

(١) النبوات ١/ ١٣٣، وانظر: ٥٠١ ـ ٥٠٢.
(٢) المرجع السابق ١/ ١٦٣.
(٣) المرجع السابق ١/ ١٦٤، وانظر: ١/ ٤٩١، و٥٠٨.
(٤) المرجع السابق ١/ ٤٩٤.
(٥) المرجع السابق ١/ ٤٩٤.

ليست من جنس ما يوجد في العادات المختلفة لغيرهم»[١].

وبالجملة فالكلام يطول على تقريره **اختصاصَ** الأنبياءِ بآياتهم، **وامتيازها** عن الكرامات[٢].

وهذا مما يبطل به دعوى المعتزلة في إنكار الكرامات؛ **بدعوى التباسها بالمعجزات**.

○ **رابعاً: إثباته الفروق بين المعجزات والكرامات**: وهذه الفقرة قريبة من الفقرة الماضية، وهي مما قرره ابن تيمية كثيراً.

وقد مرَّ تفصيل ذلك في الفصل الماضي من هذا الباب عند الكلام على تفريقه بين المعجزة والكرامة.

وحتى لا يتكرر ما ذُكر في مطلب تفريقه بين المعجزة والكرامة فهذه خلاصة لأهم ما قرره من تلك الفروق:

١ ـ أن الكرامات دون المعجزات[٣].

٢ ـ أن المعجزات خاصة بالأنبياء دون الأولياء سواء في جنسها أو قدرها[٤].

٣ ـ أن الكرامات لا تدل على العصمة، ولا على وجوب الطاعة بخلاف المعجزة؛ فإنها تدل على ذلك[٥].

٤ ـ أن الكرامات تنال بالاكتساب، والصلاح بخلاف المعجزة، فهي اصطفاء، واختيار من الله ﷻ[٦].

٥ ـ أن حقوق صاحب المعجزة أعظم من حقوق صاحب الكرامة[٧].

فهذه الفروق مما يرد به ابن تيمية دعوى المعتزلة في إنكار المعجزات، بحجة التباسها بالمعجزة.

---

(١) النبوات ١/٥٠٨.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٦/٣٨٧، و٦/ ٨٠ ـ ١٥٨، والنبوات ١/٥٠٩ ـ ٥١٠، و٢/٨٤٢، و٨٤٤، و٨٤٥، و٨٥٦.

(٣) انظر: النبوات ١/ ١٤٠ ـ ١٤١، ومجموع الفتاوى ١١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

(٤) انظر: النبوات ٢/ ٨٠٢ ـ ٨٠٣، ومجموع الفتاوى ١١/٢٩٨ ـ ٢٩٩، و٣٢٣ ـ ٣٢٤.

(٥) انظر: النبوات ١/١٤٣، والفرقان ص١٥٨، و١٦١، والجواب الصحيح ٢/ ٨٢ ـ ٨٥، و٢٤٤ ـ ٢٤٥، والرسالة الصفدية ص٢٥٦ ـ ٢٦١.

(٦) انظر: النبوات ١/ ٥٦٠، والرسالة الصفدية ص٢٨٣، والجواب الصحيح ٥/ ٤١٢ ـ ٤٢١.

(٧) انظر: الرسالة الصفدية ص٢٦١، والجواب الصحيح ٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

○ **خامساً: إثباته تأييد الكرامات للمعجزات:** وهذا مما يقلب به الدعوى على المعتزلة؛ فهم يرون ـ كما مرَّ عند العرض لقولهم ـ أنه يَلْزَمُ مَنْ قال بالكرامات، وظهورِ الخارق أن يَجْعَلَ من وقعت له نبيّاً، وأن ظهور المعجز على يد غير النبي مفسدة؛ لأنه يُنَفِّر عن النظر في أعلام الأنبياء عليهم السلام.

وبناءً على ذلك فهم يرون أنه لا يجوز ظهور المعجز إلا على النبي؛ لأن ظهوره على يد غير النبي سيفضي ـ بزعمهم ـ إلى التشكيك بالنبوة[١].

وابن تيمية **يقلب عليهم الدعوى**؛ فيثبت أن ظهور الكرامات على يد الأولياء ـ أتباع الأنبياء ـ تأييدٌ لآيات الأنبياء، وليس معارضاً لها، ولا منفِّرًا عنها ـ كما تزعم المعتزلة ـ.

وهذه المسألة كسابقتها من جهة أنها من أكثر ما قرره ابن تيمية.

وقد مرَّ في الفصل الماضي إفراد مسألة عنوانها **كرامات الأولياء معجزات لأنبيائهم**؛ حيث قرر فيها أن الكراماتِ مصدقة ومؤكدة لمعجزات الأنبياء، وأنها إنما حصلت ببركة اتباعهم، **وأنها تبع** وفرع للمعجزات إلى غير ذلك مما قرره في ذلك الشأن[٢].

يقول رحمه الله: «وأما الصالحون الذين يَدْعون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها ـ فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء؛ فإنهم[٣] يقولون: إنما حصل لنا هذا باتباع الأنبياء، ولو لم نتَّبِعْهم لم يحصل لنا هذا»[٤].

وقال: «وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ فهي ـ في الحقيقة ـ تدخل في معجزات الرسول ﷺ»[٥].

وهكذا يبطل ابن تيمية دعوى المعتزلة في إنكار الكرامة، ويثبت وقوع الكرامة، وينفي دعواهم التباسَها بالمعجزة، ويقرر تميز كلٍّ واحدةٍ منهما عن الأخرى بميزات واضحة جليّة.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة ص٥٦٨ ـ ٥٧٢، والمغني ١٥/٢٤١ ـ ٢٤٢.
(٢) انظر: النبوات ١/١٤١ ـ ١٤٢، و١٥٧، و١٨٧، و٢/٨٦٦، والفرقان ص٢٩٢.
(٣) يعني: أصحاب الكرامات.
(٤) النبوات ١/١٤١.
(٥) الفرقان ٢٩٢.

المطلب الثاني

موقفه من الأشاعرة
في التسوية بين المعجزات والكرامات

كما كان لابن تيمية موقف من المعتزلة في إنكار الكرامات، وجميع الخوارق ما عدا معجزات الأنبياء ـ فكذلك كان له موقف من الأشاعرة في تسويتهم بين المعجزات والكرامات؛ فهو رَحِمَهُ اللهُ يرى أن المعتزلة والأشاعرة جعلوا جنس الخوارق واحداً، ولكنهم افترقوا في كون المعتزلة أنكروا ما عدا معجزات الأنبياء في حين أن الأشاعرة سوُّوا بين معجزات الأنبياء والكرامات، ولم يجعلوا بينهما إلا فروقاً ضعيفة لا تنهض أن تكون فروقاً حقيقية على نحو قولهم: الكرامة يخفيها صاحبها، أو الكرامة لا يتحدى بها صاحبها[(١)].

وابن تيمية يفند هذا الرأي بتقريره أن من الكرامات ما أظهرها أصحابها كإظهار العلاء بن الحضرميِّ المشيَ على الماء، وإظهارِ عمرَ مخاطبةَ ساريةَ.

وأن منها ما يَتَحدى بها صاحبُها؛ فيثبت من خلالها أن دين الإسلام حق كما فعل خالد بن الوليد لما شرب السم، وكالغلام الذي أتى الراهب، وترك الساحر، وأمر بقتل نفسه باسم ربه، وكان قبل ذلك قد خُرِقت له العادة؛ فلم يتمكنوا من قتله.

وهذا كثير ـ كما يقرر ابن تيمية ـ [(٢)].

هذا، وقد مرَّ عند الكلام على مناقشة ابن تيميةَ للأشاعرة في قولهم في المعجزات، وعند الكلام على تفريقه بين الكرامات والمعجزات ـ ما يكفي ويغني عن تكراره هٰهنا.

وإنما المقصود في هذا الموضع: إلقاءُ مزيدِ بيانٍ لموقفه من الأشاعرة في **تسويتهم بين المعجزات والكرامات**؛ إذ التسوية بينهما عند الأشاعرة تأتي في مقابل

---

(١) انظر: النبوات ١/١٣٨.

(٢) انظر: المرجع السابق ١/١٤٠ ـ ١٤١، ومجموع الفتاوى ١١/٣٧٧ ـ ٣٧٨.

إنكار المعتزلة للكرامات؛ لأن الأشاعرة يثبتون جميع الخوارق مع التسوية، بخلاف المعتزلة فهم يجعلون جنس الخارق واحداً، ويثبتونه للأنبياء، وينفونه عما سواهم.

وهذا ما يحتاج إلى مزيدِ عرضٍ، وجمعٍ لما تفرق من موقفه من تلك التسوية.

وإلا فإن مناقشته لهم في المعجزات، وبيانه الفرق بين المعجزات والكرامات، وما مرَّ من بيان موقفه من المعتزلة في المطلب الماضي ـ كل ذلك مما يؤكد بطلان تسوية الأشاعرة بين المعجزات والكرامات.

بل إن مجردَ عرضِ قول الأشاعرة، وتصوره ـ كافٍ في رده، وإبطاله؛ إذ فيه من الفساد ما يطول وصفه ـ كما يقول ابن تيمية ـ[١].

فإلى عرضه، ومناقشته لهم في ذلك.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض كلام له عن خرق العادة مبيِّناً قول الأشاعرة في ذلك: «وقالت طائفة[٢]: بل كل هذا حق[٣]، وخَرْقُ العادةِ جائزٌ مطلقاً، وكلُّ ما خُرِقَ لنبي من العادات يجوز أن يُخرق لغيره من الصالحين؛ بل من السحرة والكهان.

لكن الفرق أن هذه[٤] تقترن بها دعوى النبوة، وهو التحدي»[٥].

إلى أن يقول: «وقد يقولون: إنه لا يمكن أحداً أن يعارضها، بخلاف تلك»[٦].

يعني: أن معجزات الأنبياء لا تعارض، بخلاف الخوارق الأخرى؛ إذ يمكن معارضتها.

وبعد أن عرض قولهم هذا قال معلقاً: «وهذا قول من اتبع جهماً[٧] في أفعال الرب من الجهمية، وغيرهم؛ حيث جوزوا أن يفعل كل ممكن؛ فلزمهم جوازُ خرقِ العادات مطلقاً على يد كل أحد»[٨].

---

(١) انظر: النبوات ٢/٨٤١، والجواب الصحيح ٦/٤٠١، وسيأتي نصُّ كلامه في هذا بعد قليل.

(٢) يعني: الأشاعرة.

(٣) يعني: أن كل خرق للعادة حق.

(٤) يعني: خارق الأنبياء وهي المعجزة.

(٥) النبوات ١/١٣٣ ـ ١٣٤، وانظر: مقولة الأشاعرة في ذلك في البيان للباقلاني ص٤٧ ـ ٤٨، و٩٠ ـ ٩٥، و١٠٥ ـ ١٠٦، والإرشاد للجويني ص٢٦٧، و٢٦٩ ـ ٢٧٢.

(٦) النبوات ١/١٣٤، وانظر كلاماً نحو ذلك في: النبوات ١/١٣٤ ـ ١٣٧، و٢١٤ ـ ٢١٦، و٢/٨٤١، ومجموع الفتاوى ١٣/٩٠.

(٧) يعني: الجهم بن صفوان، رأس الفرقة الجهمية، أبو محرز الراسبي، من موالي بني راسب السمرقندي، له آراؤه المعروفة في الصفات والقدر، كان صاحب مجادلات ومخاصمات، قتله سلمة بن أحوز سنة ١٢٨هـ. انظر: ميزان الاعتدال ١/٤٢٦، ولسان الميزان ٢/٥٠٠ ـ ٥٠١.

(٨) النبوات ١/١٣٤ ـ ١٣٥.

إلى أن قال: «واحتاجوا ـ مع ذلك ـ إلى الفرق بين النبي وغيره؛ فلم يأتوا بفرق معقول؛ بل قالوا: هذا يقترن به التحدي؛ فمن ادعى النبوة وهو كاذب لم يَجُزْ أن يَخْرِقَ الله له العادة، أو يخرقها ولا تكون دليلاً على صدقه؛ لما يقترن بها مما يناقض ذلك؛ فإن هذين قولان[١] لهم»[٢].

وبعد أن أورد هذين القولين ناقشهم في ذلك، وألزمهم بأنهم خالفوا قاعدتهم التي عارضوا فيها المعتزلة، وهي عدم إيجاب شيء على الله، **فقال:** «فقيل لهم: لِمَ أوجبتم هذا[٣] في هذا الموضع دون غيره وأنتم لا توجبون على الله شيئاً؟!»[٤].

فقالوا: لأن المعجزة علمُ الصدق؛ فيمتنع أن يكون لغير صادق[٥]، فقلنا: المجموع: هو الممتنع، وهو خارق العادة، ودعوى النبوة، أو هذان مع السلامة عن المعارض»[٦].

ثم يورد عليهم سؤالاً آخر وهو قوله: «فقيل لهم: ولم قلتم: إنه علم الصدق على قولكم؟ فقالوا: إما لأنه يفضي ـ مع ذلك ـ إلى المعجزة، وإما لأنه علم دلالته على الصدق بالضرورة»[٧].

ثم ينقض جوابهم هذا بقوله: «فقيل لهم: إنما يلزم العجز أنْ لو كان التصديق على قولكم ممكناً.

وكون دلالتها معلومةً بالضرورة هو مسَلَّم، لكنه يناقض أصولكم، ويوجب أن يكون أحد الشيئين معلوماً بالضرورة دون نظيره، وهذا ممتنع»[٨].

ثم يعلل وجه امتناع ذلك بقوله: «فإنكم تقولون: يجوز أن يخلق على يدِ مُدَّعي النبوة، والساحر، والصالح.

لكن إن ادعى النبوة دلت على صدقه، وإن لم يدَّع النبوة لم يدل على شيء.

مع أنه لا فرق عند الله بَيْن أن يَخْلُقَها على يد مدَّعي النبوة، وغير مدَّعي النبوة،

---

(١) يعني: أن الأشاعرة قالوا بهذين القولين.

(٢) النبوات ١/ ١٣٥، وانظر: البيان ص٩٤ ـ ١٠٠.

(٣) يعني: قولهم السابق: «أن من ادعى النبوة وهو كاذب لم يَجُز أن يخرق الله له العادة، أو يخرقها ولا تكون دليلاً على صدقه....».

(٤) انظر: الإرشاد للجويني ص٢٣٥ ـ ٢٣٧.

(٥) انظر: البيان ص٣٧ ـ ٣٨، والجواب الصحيح ٦/ ٣٩٩.

(٦) النبوات ١/ ١٣٥.

(٧) المرجع السابق ١/ ١٣٥.

(٨) المرجع السابق ١/ ١٣٥ ـ ١٣٦.

بل كلاهما جائز فيه»[١].

ويواصل ابن تيمية ردَّه، وإلزاماتِه لهم، فيقول: «فإذا كان هذا مثل هذا[٢] لِمَ كان أحدهما دليلاً دون الآخر؟! ولِمَ اقترن العِلْم بأحد المتماثلين دون الآخر؟! ومن أين علمتم أن الرب لا يخرقها مع دعوى النبوة إلا على يدِ صادق وأنتم تجوِّزون ـ على أصلكم ـ كلَّ فعلٍ مقدورٌ، وخَلْقُها على يد الكذاب مقدور؟!»[٣].

ويقول بعد مناقشته لهم في ذلك: «ثم هؤلاء جَوَّزوا كراماتِ الصالحين، ولم يذكروا بين جنسها، وجنس كرامات الأنبياء فرقاً.

بل صرح أئمتهم[٤] أن كل ما خُرِق لنبي يجوز أن يخرق للأولياء، حتى معراج محمد، وفَرْقُ البحر لموسى، وناقة صالح، وغير ذلك»[٥].

إلى أن يقول: «ولم يذكروا بين المعجزة والسحر فرقاً معقولاً؛ بل قد يُجَوِّزون أن يأتي الساحر بمثل ذلك، لكنْ بينهما فرقُ دعوى النبوة، وبين الصالح والساحر، والبِرِّ والفجور»[٦].

وقال في موضع آخر: «فهؤلاء[٧] لما رأوا ما جاءت به الأنبياء، وعلموا أن آياتهم تدل على صدقهم، وعلموا ذلك إما بضرورة، وإما بنظر، واحتاجوا إلى بيان دلائل النبوة على أصلهم ـ كان غاية ما قالوه: إنه[٨] كل شيء يمكن أن يكون آية للنبي بشرط أن يقترن بدعواه، وبشرط أن يُتَحدى بالإتيان بالمثل؛ فلا يُعَارَض.

ومعنى التحدي بالمثل أن يقول لمن دعاهم: ائتوا بمثله»[٩].

إلى أن قال: «وزعموا أنه إذا كان هناك سحرة وكهان؛ وكانت معجزته[١٠] من جنس ما يظهر على أيديهم من السحر والكهانة ـ فإن الله لا بد أن يمنعهم عن مثل ما

---

(١) النبوات ١/١٣٦.

(٢) يعني: ما سبق من أنه لا فرق عند الله أن يخلقها ـ أي: الخوارق ـ على يد مدعي النبوة، وغير مدعي النبوة.

(٣) النبوات ١/١٣٦.

(٤) انظر: أصول الدين للبغدادي ص١٧٤ ـ ١٧٥، والإرشاد للجويني ص٢٦٧، و٢٦٩.

(٥) النبوات ١/١٣٦ ـ ١٣٧.

(٦) المرجع السابق ١/١٣٧.

(٧) يعني: الأشاعرة.

(٨) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: (إن...).

(٩) النبوات ٢/٨٤١، وانظر: مجموع الفتاوى ١٣/ ٩٠.

(١٠) يعني: النبي.

كانوا يفعلونه، وأن من ادعى منهم النبوة فإنه يمنعه من تلك الخوارق، أو يقيض له من يعارضه بمثلها»[١].

ثم يعلق على ذلك بقوله: «فهذا غاية تحقيقهم، وفيه من الفساد ما يطول وصفه»[٢].

وقال في «مجموع الفتاوى»: «لم يعرفوا[٣] الفرق بين الأنبياء والصالحين في الآيات الخارقة، وما لأولياء الشيطان من ذلك من السحرة، والكهان، والكفار من المشركين وأهل الكتاب، وأهل البدع والضلال من الداخلين في الإسلام؛ فجعلوا الخوارق جنساً واحداً، وقالوا: كلها يمكن أن تكون معجزة إذا اقترنت بدعوى النبوة، والاستدلال بها والتحدي بمثلها، وإذا ادعى النبوة مَنْ ليس بنبي من الكفار والسحرة فلا بد أن يسلبه الله ما كان معه من ذلك، وأن يُقَيِّضَ له من يعارضه.

ولو عارض واحد من هؤلاءِ النبيَّ لأعجزه الله[٤]؛ فخاصة[٥] المعجزات عندهم مجرد كون المُرسَل إليهم لا يأتون بمثلِ ما أتى به النبي مما لم يكن معتاداً للناس؛ قالوا: إن عَجْزَ الناس عن المعارضة خرقُ عادةٍ؛ فهذه هي المعجزات عندهم»[٦].

وقال في موضع آخر بعد أن قرر أن المعتزلة ظنوا أن مجرد كون الفعل خارقاً للعادة هو الآية على صدق الرسول، فلا يجوز ظهور خارق إلا لنبي - بزعمهم - **قال:** «فأتى هؤلاء[٧] فأثبتوا ما أثبته الفقهاء، وأهل الحديث من السحر، والكهانة، والكرامات»[٨].

ثم بيَّن وجه تسويتهم المعجزات بالكرامات وغيرها من الخوارق؛ **فقال:** «لكن قيل لهم[٩]: فميِّزوا بين هذا[١٠]، وبين المعجزات.

فقالوا: لا فرق في نفس الجنس، وليس في مقدورات الرب ما يختص بالأنبياء، لكن جنس خرق العادة واحد؛ فهذا إذا اقترن بدعوى النبوة، وسلم من

(١) النبوات ٢/٨٤١.
(٢) المرجع السابق ٢/٨٤١.
(٣) يعني: الأشاعرة.
(٤) من قوله: «قالوا» إلى قوله: «لأعجزه الله»: كله تابع لقول الأشاعرة، وابن تيمية هٰهنا يعرض قولهم.
(٥) يعني: ما تمتاز به المعجزات.
(٦) مجموع الفتاوى ١٣/٩٠.
(٧) يعني: الأشاعرة.
(٨) النبوات ١/٤٨٥.
(٩) يعني: قال مثبتو الكرامات وغيرها من الخوارق دون تسوية لها بالمعجزات للأشاعرة.
(١٠) يعني: خوارق غير الأنبياء.

المعارضة عند تحدي الرسول بالمثل - فهو دليل[١]»[٢].

ثم يعلق ابن تيمية على ذلك **فيقول**: «فهي[٣] عندهم لم تدل؛ لكونها في نفسها وجنسها دليلاً، بل إذا استدل بها المدعي للنبوة كانت دليلاً، وإلا لم تكن دليلاً، ومن شرط الدليل سلامته من المعارضة»[٤].

ثم يعقب على ذلك **بقوله**: «وهي عندهم غاية الفَرْق»[٥].

يعني: أن ذلك غاية الفرق بين المعجزات وغيرها من الخوارق عند الأشاعرة.

إلى أن قال مبيِّناً تسويتهم بين الخوارق عموماً: «قالوا[٦]: وخوارق الأنبياء يظهر مثلها على يد الساحر، والكاهن، والصالح، ولا يدل على النبوة؛ لأنه لم يدَّعِها.

قالوا: ولو ادعى النبوة أحدٌ من أهل هذه الخوارق مع كذبه لم يكن بدٌّ من أن الله يُعْجِزه عنها؛ فلا يَخْلُقها على يده، أو يقيِّض له من يعارضه؛ فتبطل حجته»[٧].

ثم يناقشهم في قولهم هذا بناءً على أصولهم الأخرى؛ **فيقول**: «وإذا قيل لهم: لم قلتم: إن الله لا بد أن يفعل هذا، أو هذا؟

وعندكم يجوز عليه[٨] كل شيء، ولا يجب عليه فعل شيء، ولا يجب منه فعل شيء؟

قالوا: لأنه لو لم يمنعه ذلك، أو يعارضه بآخر لكان قد أتى بمثل ما أتى به النبي الصادق؛ فتبطل دلالة آيات الأنبياء»[٩].

ثم يورد عليهم إشكالاً، ويبين من خلاله وَهَاءَ رأيهم في ذلك. حيث **يقول**: «فإذا قيل لهم: وعلى أصلكم يجوز أنه يبطل دلالتها، وعندكم يجوز عليه فعل كل شيء - أجابوا بالوجهين المتقدمين: إما لزوم أنه ليس بقادر، أو أن الدلالة معلومة بالاضطرار، **وقد عرف ضعفهما**»[١٠].

هذا، وقد مرت مناقشة ذلك بالتفصيل عند الكلام على موقفه من الأشاعرة في المعجزات.

---

(١) انظر: البيان للباقلاني ص٩٤ - ٩٦، والإرشاد للجويني ص٢٦٦ - ٢٧٢.
(٢) النبوات ١/ ٤٨٥.
(٣) يعني: الخارق، أو المعجزة.
(٤) النبوات ١/ ٤٨٥ - ٤٨٦.
(٥) المرجع السابق ١/ ٤٨٦.
(٦) يعني: الأشاعرة.
(٧) النبوات ١/ ٤٨٧.
(٨) يعني: يجوز على الله.
(٩) النبوات ١/ ٤٨٧.
(١٠) المرجع السابق ١/ ٤٨٧.

وقال في «الجواب الصحيح» في معرض مناقشة له لنفاة الحكمة والتعليل، قال: «وكذلك الذين وافقوا[1] جهماً على أصله في القدر ـ لا فرق عندهم بين

(١) يعني بهم: الأشاعرة في قولهم بالكسب، ومحاولتهم التوفيق بين الجبرية، والقدرية، فالجهمية قد ضلو في باب القدر؛ فَهُم فيه جبرية؛ لأنهم غلوا في إثبات القدر، حتى أنكروا أن يكون للعبد قدرة، أو إرادة، أو اختيار، وإنما تنسب إليه الأفعال مجازاً، كما يقال: هبت الريح، وطلعت الشمس، ونحو ذلك.
ويلزم من ذلك إنكار قدرة العباد، واتهام الرب ـ تعالى ـ بالظلم، وتكليف العباد ما لا طاقة لهم به، واتهموه بالعبث، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي. انظر: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة، قدم له، وعلق عليه عمر محمد أبو عمر، دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م، ص٣٠، والبرهان للسكسكي، ص٤٢ ـ ٤٣، وشرح القصيدة النونية لابن القيم لمحمد خليل هراس، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١/ ٣٢٢، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسُّنَّة ومذاهب الناس فيه، د. عبد الرحمٰن المحمود، دار الوطن، ط٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، ص٢٠٢ ـ ٢٠٣، و٣٠٢ ـ ٣٠٥.
والمراد بالكسب عند الأشاعرة: هو قولهم بنظرية الكسب في باب القدر، فالأشاعرة ـ كما هو رأي جمهورهم ومتأخريهم ـ يرون أن الله ﷻ خالق أفعال العباد؛ فيثبتون مرتبتي المشيئة والخلق، ولكنهم يقولون: «إن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله ـ تعالى ـ وحدها، وليس لقدرتهم تأثير فيها؛ بل الله ـ سبحانه ـ أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرةً واختياراً؛ فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارناً لهما؛ فيكون الفعل مخلوقاً لله إبداعاً، وإحداثاً، ومكسوباً للعبد.
والمراد بكسبه إياه: مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك من تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلاً له» انظر: شرح المواقف للزنجاني ـ الموقف الخامس ـ، تحقيق: د. أحمد المهدي، مكتبة الأزهر، ١٣٩٦هـ، ص٢٣٧.
فهم ـ إذاً ـ يرون أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله ـ تعالى ـ وهي كسب للعباد.
وعلى ذلك يترتب الثواب والعقاب، ولا تأثير لقدرة العبد في الفعل.
وهذا قول جمهور الأشاعرة، وهو القول الذي شنع بسببه المعتزلة على الأشاعرة؛ لأنهم لما لم يثبتوا للعبد قدرة مؤثرة لم يكونوا بعيدين من قول الجبرية الجهمية؛ فهم أرادوا أن يوفقوا بين الجبرية والقدرية؛ **فجاءوا بنظرية الكسب**، وهي في مآلها جبرية خالصة؛ لأنها ـ كما مر ـ تنفي أي قدرة للعبد أو تأثير. انظر: أصول الدين للبغدادي ص١٣٣ ـ ١٣٤، والروضة البهية في ما بين الأشاعرة والماتريدية لأبي عذبة، حقَّقه: د. عبد الرحمٰن عميرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٩هـ، ص٤٢، والروض الباسم في الذب عن سُنَّة أبي القاسم لابن الوزير اليماني، طبع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد في المملكة العربية السعودية، ١٤٠٢هـ، ٢/ ٢١.
ومن الأشاعرة من يرى أن الفعل واقع بقدرة العبد، وأن العبد له كسب، وليس مجبر، وهذا قول الباقلاني. انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلاني ص٧٠ ـ ٧١.

كرامات الأولياء وخوارق السحرة، لكن الولي مطيع لله، والساحر غير مطيع لله»[١].

ثم بيَّن بطلان هذا القول، وأن ظهور فساده يغني عن إفساده، فقال: «هذا عمدة هؤلاء النفاة للحكمة والأسباب في أفعال الله ـ تعالى ـ.

وجمهور الناس يخالفونهم، ويقولون: **هذا القول فاسد؛ بل نفس تصوره كافٍ في العلم بفساده**»[٢].

ثم يعلل لذلك بقوله: «فإنه إذا تماثل هذا وهذا من كل وجه فمن أين يُعْلَم وجودُ هذا، أو وجوبه، وعدمُ هذا، أو امتناعه؟

وإذا قيل[٣]: مستندي العادة ـ قيل لهم: منازعوك يقولون: هذا باطل من وجهين»[٤].

ثم يذكر هذين الوجهين قائلاً: «أحدهما: أنك ـ أنت[٥] ـ تجوِّز انتقاض العادة، وليس لانتقاضها عندك سبب تختص به، ولا حكمة انتقضت لأجلها.

بل لا فرق عندك بين انتقاضها للأنبياء والأولياء، والسحرة وغير ذلك.

ولهذا قلتم: ليس بين معجزات الأنبياء وبين كرامات الأولياء والسحرة فرق إلا مجرد اقتران دعوى النبوة والتحدي بالمعارضة مع عدم المعارضة»[٦].

ثم يبيِّن أن التحدي بالمعارضة قد يقع من المشرك؛ بل ومن الساحر.

ويؤكد على أن الأشاعرة لم يثبتوا فرقاً يعود إلى جنس الخوارق المفعولة، ولا إلى قصد الفاعل، والخالق، ولا قدرته، ولا حكمته[٧].

ثم ينتقل إلى الوجه الثاني؛ فيبيِّن من خلاله أن العادة لا بد لها من أسباب وموانع يُعلم اطِّرادُها تارة، وانتقاضها أخرى.

ويقول بعد ذلك: «وبهذا يظهر الجواب عما قالوه من أن أسباب انقلابِ الجبلِ ذهباً، والبحر زئبقاً، والأناسيِّ قروداً، ونحو ذلك ممكن معلوم الجواز مع العلم أنه لم يقع؛ فإنهم يقال لهم: جمهور الناس لا يسلِّمون لكم أن هذا ممكن إلا مع لوازمه، وانتفاء أضداده»[٨].

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٤٠١.
(٢) المرجع السابق ٦/ ٤٠١.
(٣) يعني: إذا أجاب الأشعري عن ذلك بقوله...
(٤) الجواب الصحيح ٦/ ٤٠١.
(٥) يعني: أيها الأشعري.
(٦) الجواب الصحيح ٦/ ٤٠١.
(٧) انظر: المرجع السابق ٦/ ٤٠١.
(٨) المرجع السابق ٦/ ٤٠١ ـ ٤٠٢.

إلى أن يقول راداً عليهم على سبيل الإلزام: «وحينئذٍ يقال: لِمَ قلتم: إن هذا لا يستلزم أسباباً تكون قبله، وموانع ترتفع كسائر ما يحدثه الله من الأمور الخارقة للعادة؛ فإنه لا يُحْدِثُ شيئاً إلا بإحداث أسباب، ودفع موانع؟»[١].

ثم يضرب لذلك أمثلة كغرق قوم نوح؛ فإنه ـ كما يقول ـ لم يكن ماءٌ وُجِد بلا سبب؛ بل أنزل الله ماء السماء، وأنبع ماء الأرض.

وكذلك عاد لما أهلكهم أرسل الريح الصرصر سبع ليال، وثمانية أيام حسوماً.

بل يقرر ـ أيضاً ـ أن كل ما وجد في العالم من خوارق: آياتِ الأنبياء وغيرِها لم يأتِ منها بشيء إلا بأسباب تقدمته.

ويضرب لذلك أمثلة كثيرة من هذا القبيل[٢].

وبعد أن عَرَض في «النبوات» قول المعتزلة في إنكار الكرامات وسائر الخوارق غير المعجزات، وبيَّن أن المعتزلة ظنوا أن هذه الخوارق من جنس آيات الأنبياء، وأنها نظير لها؛ فلو وقعت لم يكن للأنبياء ما يتميزون به، ومن هنا أنكروها[٣] ـ عَرَّج بعد ذلك على الأشاعرة؛ **فقال:** «والذين ردُّوا على هؤلاء[٤] من الأشعرية ونحوهم يشاركونهم في التسوية بين الجنسين، وأنه لا فرق[٥].

لكن هؤلاء[٦] لما تيقنوا وجودها جعلوا الفَرْقَ ما ليس بَفَرْق، وهو اقترانها بالدعوى[٧]، والتحدي بمثلها، وعدم المعارضة.

وهم يقولون: إنا نعلم بالضرورة أن الرب إنما خلقها لتصديق النبي ﷺ[٨].

ويعقب ابن تيمية على هذا بقوله: «وهذا كلام صحيح لكنه يستلزم بطلان ما أصلوه من أنه لا يخلق شيئاً لشيء[٩]»[١٠].

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٤٠٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ٦/ ٤٠٢ ـ ٤٠٨.

(٣) انظر: النبوات ٢/ ١٠٣٦ ـ ١٠٣٧.

(٤) أي: المعتزلة، هم المردود عليهم.

(٥) أي: لا فرق بين جنس المعجزات، وبقية الخوارق، إلا على نحو ما تقدم، وما سيأتي في بقية الكلام.

(٦) يعني: الأشاعرة.

(٧) يعني: بدعوى النبوة.

(٨) النبوات ٢/ ١٠٣٧.

(٩) يريد بذلك: أنه يناقض أصل الأشاعرة في نفي الحكمة والتعليل في أفعال الله ـ تعالى ـ . انظر: تمهيد الأوائل للباقلاني ص٥٠ ـ ٥٢، والنبوات ١/ ٤٨٠ ـ ٤٨٣.

(١٠) النبوات ٢/ ١٠٣٧.

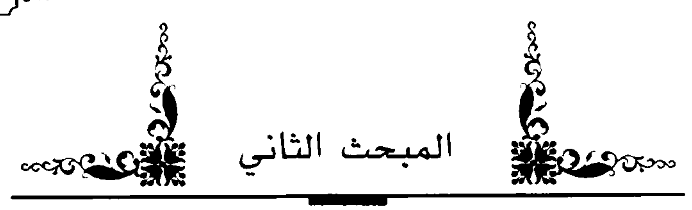
ويقول في خاتمة ذلك: «والمقصود هٰهنا الكلام على الفرق بين آيات الأنبياء وغيرهم، وأن من قال[١]: إن آيات الأنبياء، والسحر، والكهانة، والكرامات وغير ذلك من جنس واحد ـ فقد غلط ـ أيضاً ـ.

والطائفتان[٢] لم يعرفوا قدر آيات الأنبياء؛ بل جعلوها من هذا الجنس؛ فهؤلاء[٣] نفوه، وهؤلاء[٤] أثبتوه، وذكروا فرقاً لا حقيقة له»[٥].

وهكذا يتبين موقفه من الأشاعرة في قولهم في التسوية بين المعجزت والكرامات، وذلك من خلال عرضه لقولهم، ومناقشته له، وإثبات بطلانه[٦].



(١) ويعني: الأشاعرة.
(٢) يعني: المعتزلة والأشاعرة.
(٣) يعني: المعتزلة.
(٤) يعني: الأشاعرة.
(٥) النبوات ٢/ ١٠٦٤.
(٦) انظر: مزيد تفصيل لذلك عند الكلام في المطلب الماضي، وعند الكلام على موقفه من الأشاعرة من قولهم في المعجزات، وعند الكلام على تفريقه بين المعجزات والكرامات.



المبحث الثاني

موقفه من الغلو في إثبات الكرامات

تمهيد: موقفه من غلو الصوفية والشيعة عموماً

لقد كان من منهج ابن تيمية رحمه الله لزوم الاعتدال، والتوسط، ومواجهة الغلو في كافة صوره.

وكثيراً ما يقرر أن هذه الأمة وسط بين الأمم التي تجنح إلى الغلو المهلك، أو الجفاء الضار، وأن أهل السُّنَّة ـ كذلك ـ وسط بين فرق الأمة الغالية أو الجافية(١).

ومن مظاهر مواقفه من الغلو **موقفه من الغلو في إثبات الكرامات**؛ كما هي حال مَنْ يدَّعونها لأنفسهم، أو لمن يعظمونهم من الأولياء، أو الأئمة، أو المشايخ، غير مبالين بشروط قبول الكرامة، ولا ضوابطها؛ فلا ينظرون إلى موافقة الكرامة للشرع، ولا بتحقق الإكرام فيها، ولا بصحة نقلها، وثبوت سندها.

ولئن كان لابن تيمية مواقف ممن ضل في هذا الباب ـ فإن مواقفه من غلو **الصوفية، والشيعة** أظهر وأشهر؛ إذ هو يرى «أن أصل الغلو في النصارى، ويشابههم في بعضه غاليةُ الصوفية والشيعة»(٢).

ومن الأمثلة الدالة على تلك المواقف ـ على وجه العموم ـ هذان المثالان:

المثال الأول: ما جاء في كتابه «جامع الرسائل»: حيث بيَّن في ذلك الكتاب أن «أصل هذه المقالة(٣) ـ هو دعوى العصمة في المؤمنين، وما يشبه ذلك ـ هو أقوال الغالية من النصارى، وغالية هذه الأمة، وابتدعهما في المِلَّتين منافقوها»(٤).

وبعد أن أورد عدداً من الأدلة من الكتاب، والسُّنَّة التي تثبت غلو أهل الكتاب عموماً، والنصارى على وجه الخصوص **قال** مبيِّناً منشأ الغلو عند النصارى: «وهذا الغلو الذي في النصارى حتى اتخذوا المسيح وأمه إلٰهين من دون الله، واتخذوا

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٣/ ١٤١.
(٢) المرجع السابق ١١/ ٣٦٥.
(٣) وهي الغلو في الدين.
(٤) جامع الرسائل ١/ ٢٥٩.

أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ـ قد ذكروا أن أول من ابتدعه لهم بولص(١) الذي كان يهودياً، فأسلم، واتَّبع المسيح نفاقاً؛ لِيُلْبِسَ على النصارى دينهم؛ فأحدث لهم مقالاتٍ غاليةً، وكثرت البدع في النصارى في اعتقاداتهم وعباداتهم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحديد]»(٢).

ثم بيّن بعد ذلك غلوَّ الشيعة في دعوى العصمة.

فقال: «وكذلك ما ابْتُدِعَت مقالة الغالية في الإسلام من جهة بعض من كان قد دخل في الإسلام، وانتحل التشيع.

وقيل: إن أول من أظهر ذلك عبد الله بن سبأ(٣) الذي كان يهودياً؛ فأسلم»(٤).

ثم أوضح ما أحدثه عبد الله بن سبأ من إقامة الفتنة على عثمان، وإظهار موالاة عليٍّ، وابتداع الغلو، وادعاء الإلٰهية في عليّ.

ثم ما حدث بعد ذلك من ابتداع القول بالنص على عليٍّ في الإمامة، وابتداع القول في عصمته(٥).

ثم انتقل بعد ذلك إلى غلو الصوفية فيما يقولون في بعض المشايخ، أو فيمن يزعمون فيه الولاية أنه لا يذنب.

وذكر أن منهم من يزعم أن الشيخ يخلق، ويرزق، ويدخل من يشاء الجنة،

---

(١) بولص: ويقال: بولس، واسمه الأصلي شاؤول، وهو ذو شخصية تآمرية عبقرية عقائدية، وقد اشتهر أول حياته باضطهاد المسيحيين، ثم تحول فجأة؛ ليصبح الشخصية الأولى، والقطب الكنيسي الأعظم.
ومنذ ظهوره إلى الآن لم يحظ أحدٌ في تاريخ الكنيسة بمثل ما حظي به من الإجلال والتقديس.
وتتفق المصادر التاريخية على أن لهذا الرجل اليدَ الطولى في تحريف دين المسيح ﷺ فهو الذي أثار موضوع ألوهية المسيح أول مرة، مدعياً أنه ابن الله، وكانت هذه الدعوى هي البذرة الأولى للتثليث. انظر: جامع الرسائل لابن تيمية ١/ ٢٦٠، والبداية والنهاية ٢/ ٥٢٩ ـ ٥٣٠، ومحاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة، ط٤، مصر، ص٨٤، وانظر: معالم تاريخ الإنسانية، هـ. ويلز، ترجمة: خليل الجر، المنشورات العربية ٣/ ٧٠٥ ـ ٧٠٦.
(٢) جامع الرسائل ١/ ٢٦٠.
(٣) انظر: عبد الله بن سبأ، وأثره في إحداث الفتنة في الإسلام، د. سليمان بن حمد العودة، دار طيبة، ط٣، ١٤١٢هـ.
(٤) جامع الرسائل ١/ ٢٦٠.
(٥) انظر: المرجع السابق ١/ ٢٦٠ ـ ٢٦٢.

ومن يشاء النار إلى غير ذلك من ألوان الغلو[١].

المثال الثاني: ما جاء في رسالته: (قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان، وعبادات أهل الشرك والنفاق).

حيث بيَّن فيها خطر الغلو، وحذَّر منه، وأوضح من خلال نصوص الكتاب والسُّنَّة أن هذه الأمة ستأخذ بسنن من قبلها من أهل الكتاب، وفارس، والروم، **ثم قال مبيِّناً غلو الشيعة والصوفية:** «فالغلاة في هذه الأمة يشبهون النصارى كالغلاة في بعض أهل البيت[٢]، ومن يدَّعي أنه من أهل البيت كالإسماعيلية.

وكالغلاة في بعض المشايخ[٣]»[٤].

إلى أن قال مبيِّناً وجه الشبه بين الصوفية والشيعة وبين النصارى: «فهؤلاء، وهؤلاء فيهم شبه بالنصارى؛ يجعلون قول الحق والعدل الذي دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة فيمن يغلون فيه سبّاً وشتماً، وتنقُّصاً كالنصارى»[٥].

إلى أن قال: «وبسط هذه الأمور له مواضع أخر، وإنما المقصود التنبيه على هذه الجُمل؛ ليعرِف الإنسان الفرق بين ما جاء به الرسول وبين ما يُشَبَّهُ به وليس منه؛ فيعرف شريعة الرسول التي قال الله فيها: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية]»[٦].

ثم بيَّن بعد ذلك أن أمة محمد ﷺ لا تجتمع على ضلالة، ولا يزال فيهم من هو قائم بالحق إلى أن تقوم الساعة، وأنه لهذا السبب لا يزال في أمته مَنْ يفرِّق بين الطريق الشرعية، والبدعية، ويميِّز ما جاء به الرسول مما قال غيره، وأن المسلم إذا طلب الحق أمكنه ذلك؛ لوجود من يعرف هذا من الأمة بخلاف النصارى وأهل البدع[٧].

ثم ذكر العلة لذلك، فقال: «فإن النصارى لما كثرت فيهم البدع، واشتهرت، وقلَّ العلم فيهم ـ صار يتعذر، أو يتعسر عليهم الفَرْقُ بين ما أمر به المسيح، وبين ما

---

(١) انظر: جامع الرسائل ١/٢٦٢ ـ ٢٦٥.
(٢) يشير بذلك: إلى الشيعة.
(٣) يشير بذلك: إلى الصوفية.
(٤) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق ص١٥٩.
(٥) المرجع السابق ص١٥٩، وانظر إلى: الجواب الصحيح ٢/٣١٥.
(٦) قاعدة عظيمة ص١٥٩.
(٧) انظر: المرجع السابق ص١٥٩ ـ ١٦٠.

أمر به غيره؛ بل هذا خُلِطَ بهذا، وصار بأيديهم كُتُبٌ فيها هذا المختلط الذي لُبس فيه الحق بالباطل»[(١)].

ثم بيَّن وجهَ مشابهةِ أهل البدع للنصارى وخصوصاً الصوفية والشيعة.

فقال: «وهكذا أهل البدع كالذين يوجبون اتِّباع غير الرسول ﷺ من شيخ، أو إمام، أو غير ذلك؛ تجد عندهم أموراً منقولة عن شيخهم، أو إمامهم، أو عن علي رضي الله عنه أو غيره، وفيها حق وباطل، ولا يمكنهم التمييزُ بين حقها وباطلها»[(٢)].

وبعد أن بيَّن منهج أهل البدع في ذلك أوضح المنهج الصحيح؛ **فقال:** «بخلاف أهل السُّنَّة، وعلماء الأمة الذين يقصدون متابعة الرسول، والاستنان بسُنَّته، والعمل بشريعته. . .

فإن هؤلاء[(٣)] يميزون بين ما قاله الرسول، وقاله غيره، وما نُقِل عن الرسول؛ فيميزون بين الصدق منه، والكذب، والصحيح، والضعيف، ويعتبرون أحوال سلف الأمة، وأئمتها»[(٤)].

فهذه نبذة يتبيَّن من خلالها منهجه، وموقفه ـ عموماً ـ من غلو الصوفية، والشيعة.

وأما بيان ذلك بشيء من البسط، والتفصيل ـ خصوصاً في باب الكرامات ـ فسيتضح من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: موقفه من غلو الصوفية في إثبات الكرامات.

المطلب الثاني: موقفه من غلو الشيعة في إثبات الكرامات.



(١) قاعدة عظيمة ص١٦٠، وانظر: جامع الرسائل ١/٢٥٩.

(٢) قاعدة عظيمة ص١٦٠.

(٣) يعني: أهل السُّنَّة، وعلماء الأمة.

(٤) قاعدة عظيمة ص١٦٠ ـ ١٦١.

المطلب الأول

موقفه من غلو الصوفية في إثبات الكرامات

الصوفية بحر لا ساحل له، والحديث عنها ذو شجون؛ إذ هو متشعب طويل يبدأ ولا يكاد ينتهي.

والباحثون في التصوف يطرقونه من نواحٍ شتى، فيتعرضون لنشأته، ومفهومه، وسبب تسميته، وأشهر ألقاب الصوفية.

كما يبحثون في مراحله، وبداية الانحراف فيه، وعن طبقات الصوفية، وطرقها، ومصادر التلقي عند أهلها.

ويبحثون ـ كذلك ـ في أبعاد التصوف المنهجية، وأفكار الصوفية ومعتقداتهم، وما لهم، وما عليهم، إلى غير ذلك مما هو داخل في باب التصوف(١).

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: الكتب التي تكلمت على التصوف، أو على شيء من عقائده، ومنها على سبيل المثال:
- بغية المرتاد لابن تيمية.
- مجموع الفتاوى لابن تيمية ـ التصوف ـ.
- مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم.
- مصرع التصوف، أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد للبقاعي، تحقيق وتعليق: الشيخ عبد الرحمٰن الوكيل، ط١، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م، مطبعة السُّنَّة المحمدية، القاهرة.
- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسُّنَّة للشيخ عبد الرحمٰن عبد الخالق، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط٣، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
- هذه هي الصوفية للشيخ عبد الرحمٰن الوكيل مطبعة السُّنَّة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م.
- التصوف: المنشأ والمصادر، تأليف: إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السُّنَّة، لاهور، باكستان، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
- الصوفية في نظر الإسلام، دراسة وتحليل: لسميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت لبنان، ط٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- التصوف في ميزان البحث والتحقيق والرد على ابن عربي الصوفي في ضوء الكتاب والسُّنَّة =

وشيخ الإسلام ابن تيمية من أكثر الناس خبرة بالتصوف، والناظرُ في آثاره يرى ذلك جليّاً؛ فلقد كان من أكثر العلماء تعرضاً للتصوف درساً، وبحثاً، ونقداً، وتحليلاً، ومقارنةً، وإيضاحاً لحقيقة التصوف، وأطواره، ورجالاته، وما ينطوي عليه، ومدى قربه من هدي الإسلام، وبعده عنه[1].

ومما نالته عنايته من ذلك غلو الصوفية في إثبات الكرامات ـ كما مرت الإشارة إلى ذلك في التمهيد ـ.

فلقد تناول ذلك الموضوع بالدراسة، والنقد، وبيان مخالفة ما يدَّعونه لحقيقة الكرامة الشرعية التي لا بد لقبولها عنده من **موافقتها للشرع، وتحقق الإكرام فيها، وصحة وقوعها.**

وهذا مبثوث في كثير من آثاره، وفيما يلي بيان لذلك الموقف دونما نظر إلى موقفه من طائفة معينة، أو شخص معين، وإنما هو بيانٌ للموقف من الانحراف المتمثل **بالغلو في إثبات الكرامة**، لمن ادعاها، أو ادُّعيت له.

ومن خلال ذلك سيتبين موقفُه منهم، ونقده لهم في أمور عدة تتلخص أبرزُ مظاهرِها فيما يلي:

١ ـ ادعاؤهم كراماتٍ لا أصل لها.

٢ ـ مشابهتهم للنصارى في الغلو في الأولياء والمشايخ، وادّعاءِ الكرامات لهم.

٣ ـ تنقصهم لمقام الربوبية فيما ادَّعوه للأولياء من التصرف فيما لا يكون إلا لله.

٤ ـ تنقصهم لمقام النبوة بجعل ما للأولياء من الكرامات كما للأنبياء، أو أعظم.

= لعبد القادر ابن حبيب الله السندي، مكتبة ابن القيم، المدينة النبوية، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

ـ نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام، د. سارة بنت عبد المحسن بن جلوي آل سعود، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

ـ الشعر الصوفي إلى مطلع القرن التاسع للهجرة، أ.د. محمد بن سعد بن حسين، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

ـ الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، محمد عبد الرؤوف القاسم، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط٢، ١٤١٣هـ.

ـ الصوفية نشأتها وتطورها لمحمد العبده، وطارق عبد الحليم، دار الأرقم، برمنجهام، بريطانيا، ط٣، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

(١) انظر: الرد على الشاذلي ص١٢٢ ـ ١٢٤، وموقف ابن تيمية من الصوفية، جمع وتحقيق ودراسة: د. محمد بن عبد الرحمٰن العريفي، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض.

فهذه ـ بإجمال ـ أبرز مظاهر موقفه منهم في غلوهم في إثبات الكرامات.

أما تفصيل ذلك فسيكون من خلال النظر في المواضع التي تطرق فيها لتلك المظاهر من آثاره.

وأهم ما في ذلك ما جاء في «مجموع الفتاوى»؛ حيث تطرق لمن يغلون في الكرامات، ويجوّزونها لكل من زعم الصلاح دون تقيد بالعلم الصحيح، والإيمان الصادق، فيجعلون علامة الصلاح هذه الخوارق[(١)].

ثم قال بعد ذلك عن غلو هؤلاء، وانحرافهم، وضلالهم: «وجوّزوا الخوارق مطلقاً، وحكوا في ذلك مكاشفات، وقالوا أقوالاً منكرة»[(٢)].

ثم بيَّن جملة من ذلك بقوله: «فقال بعضهم: إن الولي يُعطى قول (كن).

وقال بعضهم: إنه لا يمتنع على الولي فعل ممكن؛ كما لا يمتنع على الله ـ تعالى ـ فعل محال»[(٣)].

ثم قال مبيِّناً نسبة هذا القول: «وهذا قول ابن عربي[(٤)]، والذين اتبعوه، قالوا: إن الممتنع لذاته مقدور عليه، ليس عندهم ما يقال: إنه غير مقدور عليه للولي، حتى ولا الجمع بين الضدين، ولا غير ذلك»[(٥)].

إلى أن قال: «وزاد ابن عربي: إن الولي لا يَعْزُبُ عن قدرته شيءٌ من الممكنات»[(٦)].

ثم علَّق عليه ابن تيمية بقوله: «والذي لا يعزب عن قدرته شيء من الممكنات

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٦٤.

(٢) المرجع السابق ١٤/ ٣٦٤، وانظر: النبوات ٢/ ١٠٣٤.

(٣) مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٦٤.

(٤) هو: محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الأندلسي، أبو بكر، المعروف بمحيي الدين ابن عربي، ولد في الأندلس سنة ٥٦٠هـ، وتعلم فيها، وطاف البلاد، وأقام بمكة مدة، وهو من صوفية الفلاسفة، ومن أئمة أهل وحدة الوجود، وله مصنفات مليئة بالأقوال المنكرة. انظر: الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٨٨، وميزان الاعتدال ٢/ ٦٥٩ ـ ٦٦٠، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١/ ٣٢ ـ ٣٩، وانظر تفصيل الكلام عليه في: مصرع التصوف، أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وانظر: جزء فيه عقيدة ابن عربي وما قاله المؤرخون والعلماء فيه، كتبه الشيخ تقي الدين الفاسي، ضبط نصه، وعلق عليه: علي حسن علي عبد الحميد، مكتبة ابن الجوزي، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٥) مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٦٤، وانظر: النبوات ٢/ ١٠٣٤.

(٦) مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٦٤.

هو الله وحده؛ فهذا تصريح منهم بأن الوليَّ مثل الله، إن لم يكن هو الله»[١].

وذكر في «النبوات» نحواً من هذا، ثم علَّق عليه، **وبيَّن** سبب ذلك الغلو الذي ضاهوا به النصارى؛ **فقال:** «فإنه لما كثر في الغلاة من يقول بالحلول، والاتحاد، وإلٰهية بعض البشر كما قاله النصارى في المسيح ـ صاروا يجعلون ما هو من خصائص الربوبية لبعض البشر، وهذا كفر»[٢].

وذكر ـ أيضاً ـ في «النبوات» أن «من الناس من يدعي له من الكرامات ما لا يجوز أن يكون للأنبياء كقول بعضهم: إن لله عباداً لو شاؤوا ألا يقيم الساعة لما أقامها»[٣].

وقال في «مجموع الفتاوى»: «وصرح بعضهم بأنه يعلم كل ما يعلمه الله، ويقدر على كل ما يقدر عليه الله»[٤].

وقال: «وادعوا أن هذا كان للنبي، ثم انتقل إلى الحسن بن علي، ثم من الحسن إلى ذريته واحداً واحداً حتى انتهى إلى أبي الحسن الشاذلي، ثم إلى ابنه»[٥].

يقول ابن تيمية بعد ذلك مبيِّناً معاينته لهذا الأمر: «خاطبني بذلك من هو من أكابر أصحابهم، وحدثني الثقة من أعيانهم أنهم يقولون: إن محمداً هو الله»[٦].

ثم ذكر حكاية من هذا القبيل من الغلو عن ابن هود[٧]؛ **فقال:** «وحدثني بعض الشيوخ الذين لهم سلوك وخبرة أنه كان هو وابن هود في مكة؛ فدخلا الكعبة، فقال له ابن هود ـ وأشار إلى وسط الكعبة ـ: هذا مهبط النور الأول.

وقال له: لو قال لك صاحب هذا البيت: أريد أن أجعلك إلٰهاً ماذا كنت تقول له؟

قال[٨]: فَقَفَّ شعري من هذا الكلام، وانخنست، أو كما قال»[٩].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٦٤.

(٢) النبوات ٢/ ١٠٣٤، وانظر تفصيل ذلك في: حقيقة مذهب الاتحاديين، أو وحدة الوجود، وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، أشرف على تصحيحه وعلَّق حواشيه: السيد محمد رشيد رضا، إدارة الترجمة والتأليف، فيصل أباد، باكستان.

(٣) النبوات ٢/ ١٠٣٣ ـ ١٠٣٤.

(٤) مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٦٥.

(٥) المرجع السابق ١٤/ ٣٦٥.

(٦) المرجع السابق ١٤/ ٣٦٥.

(٧) هو: أبو علي حسن بن علي بن يوسف بن هود الجذامي المرسي الأندلسي، فيلسوف متصوف، ولد سنة ٦٣٣هـ، في مرسية، واشتغل بالطب، والفلسفة، وصحب ابن سبعين. انظر: العبر ٣/ ٣٩٨، وفوات الوفيات ١/ ١٢٧، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤٦.

(٨) القائل: هو الشيخ الذي حدَّث ابنَ تيمية بذلك الحديث.

(٩) مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٦٥.

ثم ذكر المقولة التي أوردها في «النبوات» ونسبها لبعضهم، وهو قول: (إن لله عباداً لو شاء ألا يقيم الساعة لما أقامها) فذكرها بتمامها، وبيَّن أنها تنسب لسهل بن عبد الله التُّسْتَري[1].

فقال: «ومن الناس من يحكي عن سهل بن عبد الله أنه لما دخل الزنج البصرة قيل له في ذلك، فقال: (هاه؛ إن ببلدكم هذا من لو سألوه أن يزيل الجبال عن أماكنها لأزالها، ولو سألوه أن لا يقيم الساعة لما أقامها؛ لكنهم يعلمون مواضع رضاه؛ فلا يسألونه إلا ما يحب)[2]»[3].

ثم علَّق ابن تيمية على هذه المجازفة بما يقتضيه العلم، والعدل؛ **فقال:** «وهذه الحكاية إما كذب على سهلٍ ـ وهو الذي نختار أن يكون حقّاً ـ أو تكون غلطاً منه؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله»[4].

ثم ذكر وجه الغلط، والباطل في الكلام السابق المنسوب لسهل، **فقال:** «وذلك أن ما أخبر الله أن يكون فلا بد أن يكون، ولو سأله أهل السمٰوات والأرض أن لا يكون لم يُجبهم، مثل إقامة القيامة، وأن لا يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين، وغير ذلك.

بل كل ما علم الله أن يكون فلا يقبل دعاءَ أحدٍ في أن لا يكون»[5].

ويعني شيخ الإسلام ابن تيمية بذلك الكلام أن مجردَ الدعاء بما أخبر الله أن

---

(١) هو: أبو محمد بن سهل بن عبد الله بن يونس التُّسْتَري، ولد بتُسْتَر، وهي بلدة من الأهواز من خوزستان، سنة ٢٠٠هـ، وقيل: ٢٠١هـ، وتوفي في البصرة سنة ٢٨٣هـ، وقيل: ٢٧٣هـ، أحد أئمة الصوفية، ومن المتكلمين في علوم الرياضيات، والإخلاص، وعيوب الأفعال. انظر: طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمٰن السلمي، تحقيق: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م، ص٢٠٦ ـ ٢١١، والطبقات الكبرى للشعراني، ط١، الحلبي، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م، ١/٦٦ ـ ٦٨، والبداية والنهاية ١٤/٦٦٥.

(٢) ذكر الغزالي هذه المقولة عن أحد أقطاب الصوفية قولهم: ولما دخل الزنج البصرة؛ فقتلوا الأنفس، ونهبوا الأموال ـ اجتمع إلى سهلٍ إخوانُه، فقالوا: لو سألت الله دَفْعَهم؟
فسكت، ثم قال: إن لله عباداً في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات في ليلة واحدة، ولكنهم لا يفعلون.
قيل: لِمَ؟ قال: لأنهم لا يحبون ما لا يحب.
ثم ذكر من إجابة الله أشياء لا يُستطاع ذِكْرُها، حتى قال: «لو سألوه ألا يقيم الساعة لم يُقِمْها». إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ٤/٣٥٦.

(٣) مجموع الفتاوى ١٤/٣٦٥ ـ ٣٦٦.

(٤) المرجع السابق ١٤/٣٦٦.

(٥) المرجع السابق ١٤/٣٦٦.

يكون ألا يكون[1]، أو الدعاءِ بما أخبر الله ألا يكون[2] أن يكون - باطل، ومحرم شرعاً؛ لأنه دعاء بأمر قد فرغ منه، وأخبر الله بذلك؛ فذاك نوع اعتداء في الدعاء، والله لا يحب المعتدين، ولا يجيب دعاء من دعا بذلك، ولو كان أقرب الأقربين منزلة عنده ﷻ.

ثم بيَّن بعد ذلك أن الدعاء «سبب يقضي الله به ما علم الله أنه سيكون بهذا السبب، كما يقضي بسائر الأسباب ما علم أنه سيكون بها»[3].

ثم أوضح أنه قد سأل اللهَ - تعالى - مَنْ هو أفضل من كل من في البصرة بكثيرٍ - ما هو دون ذلك؛ فلم يجابوا؛ لما سبق الحكم بخلاف ذلك.

ويضرب أمثلة على هذا بسؤال إبراهيم عليه السلام أن يُغْفَر لأبيه، وسؤال نوح عليه السلام نجاةَ ابنه.

بل إن أفضل الخلق محمد ﷺ قيل له في شأن عمه أبي طالب: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣][4].

وبعد أن ساق عدداً من الأمثلة على ذلك **قال** مستبشعاً تلك الكلمة المنسوبة إلى سهل: «وأيُّ اعتداءٍ أعظم وأشنع من أن يسأل العبد ربه ألا يفعل ما قد أخبر أنه لا بد أن يَفْعَلَه؟ أو أن يفعل ما قد أخبر أنه لا يفعله؟»[5].

ثم أورد نصوصاً تشتمل على إجابة الله لدعاء الداعين ما لم تشتمل دعوتهم على اعتداء.

ثم ختم ذلك بقوله: «فالدعوة التي ليس فيها اعتداء يحصل بها المطلوب، أو مثله، وهذا غاية الإجابة؛ فإن المطلوب بعينه قد يكون ممتنعاً، أو مفسداً للداعي، أو لغيره، والداعي جاهل لا يعلم ما فيه المفسدة عليه، والرب قريب مجيب، وهو

---

(١) مثال ذلك: تخليد الكفار في النار؛ فهو أمر قد فُرِغَ منه، وقد أخبر الله بذلك أن يكون؛ فلا يجوز أن يدعوَ أحدٌ بألا يخلد الله الكفار في النار؛ لأن ذلك اعتداء؛ فالله - ﷻ - قال: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة].

(٢) **مثال ذلك:** لو دعا أحدٌ أن يؤتيه الله النبوة بعد محمد ﷺ لكان دعاؤه غير جائز؛ لأنه دعاء بما قد فُرغ منه؛ وقد أخبر الله ﷻ أن محمداً خاتم النبيين؛ فلا نبي بعده؛ فالدعاء بذلك اعتداء، انظر: الرد على الشاذلي ص٥٠، و٩٢، و١١٣، و١١٤؛ ففيه ذكر لبعض صور الاعتداء في الدعاء.

(٣) مجموع الفتاوى ١٤/٣٦٦.

(٤) انظر: المرجع السابق ١٤/٣٦٦ - ٣٦٧.

(٥) المرجع السابق ١٤/٣٦٧ - ٣٦٨.

أرحم به من الوالدة بولدها، والكريم الرحيم إذا سئل شيئاً بعينه، وعلم أنه لا يصلح للعبد إعطاؤه أعطاه نظيره كما يصنع الوالد بولده إذا طلب منه ما ليس له؛ فإنه يعطيه نظيره، ولله المثل الأعلى»(١).

ويذكر في (ردِّه على الشاذلي) أموراً من هذا القبيل، مما يدعيه أتباع الشاذلي من الكرامات المزعومة التي تنضح بالغلو.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا يُحكى عن هؤلاء من المكاشفات ما يطول وصفه؛ فإن أحسن الظن بأحدهم حمل على أنه يتخيل أموراً لا حقيقة لها؛ فيخبر بخياله، أو أن جنيّاً يلقي إليه ما يكون كذباً.

فإن أسيء الظن به قيل: إنه يتعمد الكذب»(٢).

ثم بيَّن أن الكشف النفساني والشيطاني لا بد فيه من الكذب، وأن من كان له خبرة بالحكايات المعروفة عن أصحاب هذا الحزب(٣) وأمثاله وعى من ذلك أموراً.

ثم **ذكر** شيئاً مما عندهم من الغلو في الكرامات، مما فيه تنقُّصٌ لجانب النبوة؛ **فقال:** «والواحد منهم يدعي في نفسه أنه مثل النبي ﷺ أو أفضل منه، حتى إذا قيل له: النبي ﷺ رأى سدرة المنتهى كأن ورقها آذان الفيلة، وكأن نَبْقَها قِلال هجر(٤) يقول هو(٥): رأيتها أكبر من ذلك!!»(٦).

ثم يعلِّق ابن تيمية على تلك المقالة الشنيعة **بقوله:** «ومن يصحح قوله يتأول ذلك أن رآها(٧) من بعيد.

وهذا من الباطل المحض؛ فإن ذلك الموضع لم يصعد إليه غير النبي ﷺ»(٨).

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٣٦٨، وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح ١١/ ٩٥: «كلّ داعٍ يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة؛ فتارة تقع بعين ما دعي به، وتارة بعوَضِه».
وانظر: تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، وأولاده بمصر، ط٣، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٩٦م، ص٢٩.

(٢) الرد على الشاذلي ص٦٤.

(٣) يعني: حزب الشاذلي المعروف بحزب البحر المنسوب إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي. انظر: الرد على الشاذلي ص١١.

(٤) انظر: حديث الإسراء والمعراج في صحيح البخاري (٣٥٧٠)، ومسلم (١٦٢).

(٥) يعني: أحد هؤلاء الغلاة ممن يَدَّعون الكرامات.

(٦) الرد على الشاذلي ص٦٥.

(٧) يعني: سدرة المنتهى.

(٨) الرد على الشاذلي ص٦٥.

ويذكر ابن تيمية حكاية أخرى، **فيقول**: «ويقول أحدهم: دخلت البارحة الجنة، وأصاب يدي من شوك شجرها.

حتى يقول المنكر عليه: شجر الجنة لا شوك فيه!»[(١)].

ثم يقول ابن تيمية: «إلى أمور أُخرى من جنس هذه الحكايات، قد سمعتها أنا وغيري من أتباع هؤلاء، ولولا أني أكره هتيكتهم[(٢)] لسميتُ كل واحد من هؤلاء، وذكرت من حكاياته ما يتبين كثرة ما دخل عليهم من الخطأ والضلال، أو التعمد للكذب»[(٣)].

ويشير ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **في «الجواب الصحيح» إلى** جوانب من الغلو في إثبات الكرامات للصالحين، وذلك بعد أن ذكر أن أهل الكتاب ضاهوا من قبلهم من المشركين، وأن طوائف من هذه الأمة قد ضاهوا أهل الكتاب.

فيقول: «وقد ضاهاهم في ذلك[(٤)] أهلُ البدعِ والضلال المشبهون لهم من المنتسبين إلى الإسلام الذين يقولون نحو قولهم في الغلو في الأنبياء، وأهل البيت، والمشايخ وغيرهم، ومن يدَّعي الوَحْدة، أو الحلول، أو الاتحاد الخاص المعين[(٥)]»[(٦)].

---

(١) الرد على الشاذلي ص٦٥.

(٢) **الهتيكة**: الفضيحة. انظر: لسان العرب ١٠/٥٠٢.

(٣) الرد على الشاذلي ص٦٥.

(٤) يعني: في ذلك الغلو.

(٥) **الوحدة، والحلول، والاتحاد**: مصطلحات صوفية والمقصود بالحلول عندهم: حلول الله ﷻ في بعض مخلوقاته، وهذا هو الحلول العام، أو حلول ببعضها، وهذا هو الحلول الخاص.

«والاتحاد ـ أو وحدة الوجود ـ عندهم: هو اعتقاد أن وجود الكائنات أو بعضها هو عين وجود الله ﷻ.

أو هو اعتقاد اتحاد الله ﷻ بمخلوقاته جميعاً وهذا هو الاتحاد العام.

أو اتحاده في بعض مخلوقاته، وهذا هو الاتحاد الخاص.

والفرق بين الحلول والاتحاد يتلخص في أمرين:

أحدهما: أن الحلول إثبات لوجودين بخلاف الاتحاد فهو إثبات وجود واحد؛ فكأن الخالق ﷻ عندهم اتحد بالمخلوق فصارا شيئاً واحداً.

والثاني: أن الحلول يقبل الانفصال، أما الاتحاد فلا.

ولهذا فإن القائلين بالحلول غير القائلين بالاتحاد. انظر: التعريفات للجرجاني ص٩ و٩٢، والكليات للكفوي ص٣٨٩، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها، وحكم الإسلام فيها، د. محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى، عمَّان، الأردن، دار عالم الكتب، الرياض، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ص٢٣٢ ـ ٢٣٨، و٣٥٦، وهذه هي الصوفية للشيخ عبد الرحمٰن الوكيل ص٢٤ ـ ٢٥.

(٦) الجواب الصحيح ٣/ ١٨٥.

وبعد أن يذكر دعاوى بعض الطوائف الغالية في أهل البيت ـ يذكر بعض ما عليه بعض أهل التصوف من الغلو في هذا الباب.

فيقول: «ودعوى كثير من الناس نحو ذلك في بعض الشيوخ المعروفين بالصلاح، وإما من يُظن به الصلاح وليس من أهله؛ فإن لهم أقوالاً من جنس أقوال النصارى، وبعضَها شر من أقوال النصارى»[١].

ثم يذكر فساد ما هم عليه من التقليد لمشايخهم، واتباعهم فيما يخرجون به عن شريعة الرسول ﷺ وما ابتدعوه مما لم يأذن الله به باتخاذ البدع عبادات، واستحلال المحرمات، شأنهم في ذلك شأن بعض النصارى في تقليدهم لشيوخهم[٢].

ثم يصل إلى غاية هؤلاء التي أوصلتهم إلى ذلك الغلو، وهي اعتقاد ما عند أولئك الشيوخ من نوع **خرقٍ للعادات؛ فيقول** مبيِّناً ذلك، ومفصلاً أحوال من تنسب إليهم تلك **الخوارق**: «وغاية ما عندهم أنهم يحكون عن شيوخهم **نوعاً من خرق العادات** قد يكون كذباً، وقد يكون صدقاً.

وإن كانت صدقاً فقد يكون من أحوال أولياء الشيطان كالسحرة، والكهان.

وقد يكون من أحوال أولياء الرحمٰن»[٣].

ثم يقرر بطلان الغلو فيمن تنسب إليهم **الخوارق** ولو كانوا من أولياء الرحمٰن، وما يجري على أيديهم من **الخوارق** من كرامات الله **لأوليائه**؛ إذ الولي ـ كما يقرر ـ لا يجب أن يكون معصوماً، ولا يجب اتباعه في كل ما يقوله، ولا الإيمان بكل ما يقوله[٤].

ويذكر في «قاعدة عظيمة» أن من أسباب غلو بعض أولئك في شأن **الكرامات** إنما هو **احتجاجهم** بحكايات عن بعض المتقدمين، وفيها ما هو كذب عن المنقول عنه.

ثم يذكر مثالاً لذلك بحكاية يروونها عن الإمام الشافعي، ويزعمونها كرامةً له، ولأبي حنيفة ـ رحمهما الله ـ.

يقول ابن تيمية في ذلك: «مثل حكاية يروونها عن الشافعي أنه قال: (إذا

(١) الجواب الصحيح ٣/ ١٨٦.
(٢) انظر: المرجع السابق ٣/ ١٨٦ ـ ١٨٨، وانظر: قاعدة عظيمة ص١٥٩.
(٣) الجواب الصحيح ٣/ ١٨٨. (٤) انظر: المرجع السابق ٣/ ١٨٨.

كانت لي إلى الله حاجة ذهبت إلى قبر أبي حنيفة وسألت به) أو نحو هذا»[(١)].

ويعلق ابن تيمية على هذه الحكاية مُبَرِّئاً الإمامَ الشافعيَّ من هذا الافتراء، **فيقول:** «والشافعي رحمه الله هو ممن حذَّر الشرك[(٢)] بالقبور، ونهى عن البناء عليها، وحذّر مما حذّر منه النبي ﷺ من الفتنة بها، وقد ذكر ذلك أصحابه»[(٣)].

ثم بيَّن بطلان هذه الحكاية من خلال سيرة الإمام الشافعي فقال: «والشافعي رحمه الله لم يكن يقصد قبر أحدٍ من الأنبياء والصحابة؛ ليدعوه ويسأله؛ فكيف خصَّ بذلك أبا حنيفة؟!»[(٤)].

كما يؤكد على بطلانها بدلالة التاريخ والواقع، فيقول: «ولم يكن على عهد الشافعي لما أتى بغداد قبر يُزار هذه الزيارة، ولا كان بها مشهدٌ البتة.

وكذلك كان بعد موت الشافعي في تمام عمر الإمام أحمد رحمه الله لم يكن ببغداد مشهد ظاهر، ولا قبر يزار للدعاء به، ولا للدعاء عنده، لا قبر معروف[(٥)]، ولا موسى بن جعفر[(٦)]، ولا غيرهما.

بل كل هذه حدثت بعد ذلك لا سيما لما تغيرت أحوال الإسلام في المائة الرابعة»[(٧)].

وقال في «اقتضاء الصراط المستقيم» مبيِّناً بطلان هذه الحكاية: «وإنما يضع مثل

---

(١) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام وعبادات أهل الشرك والنفاق ص١٦١.

(٢) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: (حذّر من الشرك) كما هو واضح من سياق الكلام، أو لعل المراد (حذّر الناسَ الشركَ، ونحو ذلك).

(٣) قاعدة عظيمة ص١٦١ ـ ١٦٢.

(٤) المرجع السابق ص١٦٢.

(٥) هو: أبو محفوظ معروف بن فيروز وقيل: ابن الفيرزان الكرخي؛ نسبة إلى كرخ بغداد، حيث ولد ونشأ في بغداد، وتوفي فيها سنة ٢٠٠هـ، وهو من المعروفين بالزهد. انظر: طبقات الصوفية ص٨٣ ـ ٩٠، وطبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، تصحيح: محمد حامد الفقي، مطبعة السُّنَّة المحمدية ١/ ٣٨١ ـ ٣٨٩.

(٦) موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف بالكاظم، كان ثقةً صدوقاً ذا عبادة، توفي سنة ١٨٣هـ. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، ط١، ١٣٢٧هـ، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدرأباد ١٠/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ جمال الدين أبي الحجاج المزي، حقَّقه وضبط نصّه وعلّق عليه: د. بشار عواد معروف، مؤسسة دار الرسالة، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، ٧/ ٢٥٤ ـ ٢٥٧ (٦٨٤٢).

(٧) قاعدة عظيمة ص١٦٢.

هذه الحكايات من يَقِلُّ علمُه، ودينه»[١].

وقال موضحاً المنهج الصحيح حيال هذه الحكايات وأمثالها: «ونحن لو روي لنا مثل هذه الحكايات الْمُسيَّبة أحاديث عمن لا ينطق عن الهوى ـ لما جاز لنا التمسك بها حتى نتثبت؛ فكيف بالمنقول عن غيره؟»[٢].

ويذكر ـ أيضاً ـ حكاية أخرى عن قبرِ معروف الكرخي؛ **فيقول**: «والحكاية التي تروى عن بعضهم أنه قال: قبر معروف الترياق المجرب»[٣].

ثم يعلق عليها بقوله: «إن كانت صحيحة عمن نقلت عنه فإنه إنما قال ذلك بعد موت الإمام أحمد لا في حياته.

ولو كان من القبور ما هو ترياق مجرب لكانت قبور المهاجرين، والأنصار، والخلفاء الراشدين، والأنبياء ـ أولى من قبر معروف وأمثاله»[٤].

ثم يقرر أن أكثر هؤلاء لا يعتمدون فيما هم فيه من الشرك، والبدعة على الكتاب والسُّنَّة، وإجماع السلف.

بل على ما يرونه ويسمعونه من **الخوارق**.

ويقرر ـ أيضاً ـ أن من **الخوارق** التي يذكرونها ما هو صدق، ومنها ما هو كذب، ومنها ما هو خيال في أنفسهم، ومنها ما هو موجود في الخارج كما يحصل للمشركين منهم؛ حيث يسمع كلاماً، أو خطاباً عند من يشرك به إما الصنم، وإما القبر، وإما التمثال.

ومنهم من يرى صورة إنسان، أو غير إنسان، ومنهم من يخبر ببعض الأمور الغائبة ونحو ذلك من الأمور التي من جنس السحر والكهانة[٥].

ثم يقول بعد ذلك: «فيظن كثير منهم أن هذا من باب **الكرامات**.

وكثير منهم يعتقد أن في الإنس قوماً صالحين أولياءَ الله لا يزالون غائبين عن أبصار الحق يسميهم رجال الغيب»[٦].

ويعلِّق ابن تيمية مبيِّناً بطلان هذا الظن، فيقول: «ورجال الغيب هم الجن، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٨٦.
(٢) المرجع السابق ٢/ ٦٨٦.
(٣) قاعدة عظيمة ص١٦٢ ـ ١٦٣.
(٤) المرجع السابق ص١٦٣.
(٥) انظر: المرجع السابق ص١٦٣، وانظر: الجواب الصحيح ٢/ ٣٢٠ ـ ٣٢١.
(٦) قاعدة عظيمة ص١٦٣، وانظر: الجواب الصحيح ٢/ ٣٢٣.

كانت الإنس تستعيذ بالجن؛ فازدادت الجن طغياناً وكفراً، وقالوا: قد عبدتنا الإنس، واحتاجت إلينا»[1].

ويقول في موضع آخر: «وأما رجال الغيب الذين يغيبون عن الناس؛ فلا يراهم إلا بعض الناس في البراري والجبال، والمغارات المتقطعة عن الناس ـ فهم من الجن لا من الإنس»[2].

ومما يذكره في ذلك قوله بعد أن ذكر ما يلبس به الشيطان على النصارى من ترائي المسيح عليه السلام لهم: «وآخرون يأتي أحدهم إلى قَبْرِ مَنْ يعظمه، ويحسن الظن به من الصالحين وغيرهم؛ فتارةً يرى القبر قد انشق، وخرج منه إنسان على صورة ذلك الرجل، وتارة يرى ذلك الإنسان قد دخل في القبر، وتارة يراه إما راكباً وإما ماشياً داخلاً إلى مكان ذلك الميت كالقبة المبنية على القبر، وتارة يراه خارجاً من ذلك المكان، ويظن أنه ذلك هو ذلك الرجل الصالح»[3].

وهكذا يسترسل في ذكر أمثلة كثيرة جدّاً من هذا القبيل مما يُظن أنه **كرامات**، وهو ـ في الحقيقة ـ من **أحوال الشياطين**[4].

ومما يذكره من ذلك قوله: «كثير من هؤلاء يُرى يقوم من مكانه، ويَدَعُ في مكانه صورةً مثل صورته، وكثير من هؤلاء ومن هؤلاء من يقول يُرى في مكانين، ويُرى واقفاً في عرفات، وهو في بلده لم يذهب»[5].

ثم يبيِّن أن ذلك مُوْقِعٌ في الحيرة؛ فيقول: «فيبقى الناس الذين لا يعرفون حائرين؛ فإن العقل الصريح يعلم أن الجسم الواحد لا يكون في الوقت الواحد في مكانين.

والصادقون قد رأوا ذلك عياناً لا يشكُّون فيه؛ ولهذا يقع النزاع كثيراً بين هؤلاء وهؤلاء كما قد جرى غير مرة»[6].

ثم يوضح ذلك بما يزيل الحيرة عنه بقوله: «وهذا صادق فيما رأى وشاهد، وهذا صادق فيما دلَّ عليه العقل الصريح.

---

(١) قاعدة عظيمة ص١٦٣.
(٢) جامع المسائل ٩/٤١.
(٣) الجواب الصحيح ٢/٣١٨، وانظر: جامع المسائل ٩/٤٢.
(٤) انظر: الجواب الصحيح ٢/٣١٦ ـ ٣٢٦، وسيأتي ذكر لها في الباب الثالث عند الكلام على الأحوال الشيطانية والمتلبسين بها.
(٥) الجواب الصحيح ٢/٣٢٦ ـ ٣٢٧.
(٦) المرجع السابق ٢/٣٢٧.

لكن ذلك المرئي جنِّيٌّ تمثل بصورة إنسان»[(١)].

ثم يذكر ضابطاً يمكن من خلاله السلامة من الوقوع في الحيرة واللبس في هذا الباب، **فقال:** «والحسيات إن لم يكن معها عقليات تكشف حقائقها، وإلا وقع غلط كبير»[(٢)].

ويذكر بعد ذلك صوراً من الغلو، وادعاء **ما ليس بكرامةٍ أنه كرامةٌ** عند الصوفية، كالطيران بمن يزعمون أنهم أولياء، والتصور بصورهم، ثم يعلق على ذلك **بقوله:** «ولا يكون هذا من أولياء الله المتقين الذين لهم **كرامات**؛ بل قد يكون من الكافرين، أو الفاسقين.

وأعرف من ذلك قضايا كثيرة ليس هذا موضع تفصيلها»[(٣)].

إلى أن يقول: «وعند المشركين والنصارى من ذلك شيء كثير يظنونه من جنس **الآيات التي للأنبياء.**

إنما هي من جنس **ما للسحرة والكهان**»[(٤)].

ويشير ابن تيمية في «الفرقان» إلى سبب تفضيلهم لكرامات الأولياء على معجزات الأنبياء، وهو أنهم يفضلون الولاية على النبوة.

وهذا هو صنيع ملاحدة الصوفية ـ كما يقرر ـ.

يقول رحمه الله في ذلك: «وهؤلاء الملاحدة يدَّعون أن الولاية أفضل من النبوة، ويلبسون على الناس، **فيقولون:** ولاية محمد أفضل من نبوته، وينشدون:

مقام النبوة في برزخ ... فويق الرسول ودون الولي[(٥)]

ويقولون: نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته»[(٦)].

---

(١) الجواب الصحيح ٢/ ٣٢٧.
(٢) المرجع السابق ٢/ ٣٢٧.
(٣) المرجع السابق ٢/ ٣٣٢.
(٤) المرجع السابق ٢/ ٣٣٢، وانظر: ٣٤٣.
(٥) البيت هكذا في الفرقان ص١٩٦، وفي منهاج السُّنَّة ٥/ ٣٣٦، والصفدية ص٢٥٣.
وقال الدكتور محمد رشاد سالم رحمه الله في تعليقه على منهاج السُّنَّة ٥/ ٣٣٦: «لم أعثر على هذا البيت، ولكن وجدت بيتاً بمعناه في كتاب: «لطائف الأسرار» لابن عربي، تحقيق: أحمد زكي عطية، وطه عبد الباقي سرور، دار الفكر، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م، ص٤٩، ونصه:
سماء النبوة في برزخٍ ... دُوَيْنَ الوليِّ وفوق الرسول
وفي الفتوحات المكية ٢/ ٢٥٢ يقول:
بين الولاية والرسالةِ برزخٌ ... فيه النبوة حُكْمُها لا يُجهلُ
(٦) الفرقان ص١٩٦ ـ ١٩٧، وانظر: الرسالة الصفدية ٢٤٩ ـ ٢٥١.

وقال في «النبوات» بعد أن تكلم علن ضلال المتفلسفة في النبوة: «وقد ضل بهم طوائف من المتصوفة المدعين للتحقيق وغيرهم.

وابن سينا، وابن عربي، وابن سبعين ضلوا بهم؛ فإنهم اعتقدوا مذهبهم، وتصوفوا عليه»[١].

وقال: «ولهذا يقول ابن عربي: إن الأولياء أفضل من الأنبياء[٢]، وإن الأنبياء وسائر الأولياء يأخذون عن خاتم الأنبياء علم التوحيد، وأنه هو يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسول»[٣].

ويوضح ابن تيمية ذلك فيقول: «فإن المَلَكَ عنده هو الخيال الذي في النفس، وهو جبريل عندهم، وذلك الخيال تابع للعقل؛ فالنبي عندهم يأخذ عن هذا الخيال ما يسمعه من الصوت في نفسه»[٤].

وبعد أن يعرض ابن تيمية ذلك القول **يقرر** أن «هذا من أعظم ضلالهم؛ فإن ولاية محمد لم يماثلْه فيها أحدٌ لا إبراهيم، ولا موسى، فضلاً عن أن يماثله فيها هؤلاء الملحدون»[٥].

ثم يقرر قائلاً: «وكل رسول نبي، وكل نبي ولي؛ فالرسول نبي ولي، ورسالته متضمنة لنبوتهِ، ونبوتهُ متضمنةٌ لولايته؛ فكيف يكون[٦] ولايته المتضمنة في نبوته أفضل من نبوته الداخلة لولايته؟!»[٧].

إلى أن يقول: «وإذا قدروا مجرد إنباء الله إياه بدون ولايته لله فهذا تقدير ممتنع؛ فإنه حال إنباء الله إياه ممتنع أن يكون إلا وليّاً؛ فلا يكون نبوةٌ مجردةٌ عن ولايته.

ولو قدرت مجردة لم يكن أحدٌ مماثلاً للرسول في ولايته»[٨].

وقال في «الصفدية» بعد أن عرض قول من يفضّلون الأولياء على الأنبياء:

---

(١) النبوات ٢/٧١٣.

(٢) انظر: الفتوحات المكية لابن عربي ٢/٢٥٢ ـ ٢٥٣، وانظر: فصوص الحكم لابن عربي ١/ ٦٢.

(٣) النبوات ٢/٧١٣، وانظر: الصفدية ص٢٥١ ـ ٢٥٤.

(٤) النبوات ٢/٧١٣، وانظر: منهاج السُّنَّة ٥/٣٣٥ ـ ٣٣٦، والفرقان ص١٩٨ ـ ١٩٩، وبغية المرتاد ص١٨٣، و٣٨٦ ـ ٣٨٧.

(٥) الفرقان ص١٩٧.

(٦) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: (تكون).

(٧) الفرقان ص١٩٧.

(٨) المرجع السابق ص١٩٧ ـ ١٩٨.

«وشيوخ الصوفية متفقون على تفضيل الأنبياء على الأولياء كما اتفق على ذلك علماء المسلمين.

وقد ذكر أبو بكر الكلاباذي في كتابه «اعتقاد الصوفية» إجماع المسلمين على ذلك»[١].

وقال عن الذين يفضلون الأولياء على الأنبياء كابن عربي وغيره: «وهؤلاء الملاحدة من المتصوفة سلكوا مسلك ملاحدة الفلاسفة في تفضيل الفيلسوف الكبير على النبي ﷺ»[٢].

وقال معلقاً على بيت ابن عربي:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

قال: «وهذا قلب للحقيقة التي اتفق عليها المسلمون، وهو أن الرسول أفضل من النبي الذي ليس برسول، والنبي أفضل من الولي الذي ليس بنبي.

والرسالة تنتظم النبوَّة والولاية كما أن النُّبوة تنتظم الولاية»[٣].

ثم يقرر أن أفضل الأولياء تلقياً عن الأنبياء أبو بكر الصديق؛ فإنه أفضل من عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

كما يقرر أن عمر كان مُحَدَّثاً مُلْهَماً، وهو أفضل المُحَدَّثين من هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس[٤].

هذا، وقد ذكر ابن تيمية ـ زيادة على ما مضى ـ **أموراً** كثيرة، وأحوالاً عدة مما يراه أهل الغلو من الصوفية **كرامات**، وهي ـ في الحقيقة ـ من **الأحوال الشيطانية لا من الكرامات الرحمانية** ـ كما يقول ابن تيمية[٥].

وقد ذكر من ذلك الشيء الكثير خصوصاً في كتابيه «الفرقان»، و«الرد على الشاذلي» ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١ ـ **قال** رحمه الله: «ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان، ويقول له: إنه الخضر، وربما أخبره ببعض الأمور، وأعانه على بعض مطالبه، كما قد جرى لغير واحد من المسلمين واليهود النصارى»[٦].

---

(١) الرسالة الصفدية ص٢٥٠ ـ ٢٥١. (٢) المرجع السابق ص٢٥١.

(٣) المرجع السابق ص٢٥٤، وانظر: الفرقان ص١٩٦، ومنهاج السُّنَّة ٥/٣٣٦.

(٤) انظر: الرسالة الصفدية ص٢٥٤ ـ ٢٥٦. (٥) انظر: الفرقان ص٣٢٨.

(٦) المرجع السابق ص٣٢٩.

٢ ـ **وقال** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن هؤلاء شيخ كان بمصر أوصى خادمه، فقال: إذا مت فلا تدع أحداً يغسلني؛ فأنا أجيء، وأغسل نفسي.

فلما مات رأى خادمه شخصاً في صورته؛ فاعتقد أنه هو دخل وغَسَّل نفسه؛ فلما قضى ذلك الداخل غَسْلَه ـ أي: غَسْلَ الميت ـ غاب»[١].

ويعلق ابن تيمية عن تلك الحادثة **بقوله**: «وكان ذلك شيطان، وقد أضل الميت، وقال: إنك بعد الموت تجيء فتغسل نفسك؛ فلما مات جاء ـ أيضاً ـ في صورته؛ ليغوي الأحياء كما أغوى الميت قبل ذلك»[٢].

وقال: «ويحكون في هذا: أن رجلاً نزل إلى دجلة؛ ليغتسل لصلاة الجمعة؛ فخرج في النيل، وأقام بمصر عدة سنين، وتزوج، وولد له هناك.

ثم نزل؛ ليغتسل للجمعة؛ فخرج من دجلة؛ فرأى غلامه، ودابته، والناس لم يُصَلُّوا بعدُ تلك الجمعة!!»[٣].

ويعلِّق ابن تيمية على هذه الحكاية مبيِّناً بطلانها بالحس والعقل؛ **فيقول**: «ومن المعلوم لكل ذي حِسٍّ أن الشمس يوم الجمعة ببغداد ليس بينه وبينه يوم بمصر فضلاً عن أسبوع، فضلاً عن شهر، فضلاً عن عام، فضلاً عن أعوام.

ولا الشمس توقفت عدة أعوام في السماء، وإنما هذا في الخيال؛ فيظنونه؛ لجهلهم أنه في الخارج[٤]»[٥].

٣ ـ **وقال** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنهم من يرى في منامه أن بعض الأكابر، إما الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أو غيره قد قص شعره، أو حَلَقه، أو ألبسه طاقيته، أو ثوبه؛ فيصبح وعلى رأسه طاقيته، وشعره محلوق، أو مقصوص»[٦].

ويعلِّق ابن تيمية على تلك الحالة؛ **فيقول**: «وإنما الجنُّ قد حلقوه، أو قَصُّوه.

وهذه **الأحوال الشيطانية** تحصل لمن خرج عن الكتاب والسُّنَّة»[٧].

٤ ـ **وقال**: «ومنهم من يرى عرشاً في الهواء، وفوقه نور، ويسمع من يخاطبه، ويقول: أنا ربك؛ فإن كان من أهل المعرفة عرف أنه شيطان؛ فزجره، واستعاذ بالله منه؛ فيزول ذلك»[٨].

---

(١) الفرقان ص٣٣٠.
(٢) المرجع السابق ص٣٣.
(٣) الرد على الشاذلي ص١٩٨.
(٤) يعني: في خارج الذهن؛ أي: في الواقع.
(٥) الرد على الشاذلي ص١٩٨.
(٦) الفرقان ص٣٣١.
(٧) المرجع السابق ص٣٣٠.
(٨) المرجع السابق ص٣٣٠.

٥ ـ **وقال** رَحِمَهُ اللهُ: «فإني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع.
وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها.

ومنهم من يخاطبه الشجر والحجر، وتقول: هنيئاً يا ولي الله؛ فيقرأ آية الكرسي؛ فيذهب ذلك.

ومنهم من يقصد صيد الطيور، فتخاطبه العصافير وغيرها، وتقول: خذني حتى تأكلني الفقراء.

وقد يكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنس، ويخاطبه بمثل ذلك»[(١)].

وبعد أن ذكر أمثلة كثيرة من ذلك؛ قال: «وهذا باب لو ذكرت ما أعرفه منه لاحتاج إلى مجلد كبير»[(٢)].

وهكذا يتبين موقف ابن تيمية من غلو الصوفية في إثبات الكرامات، وما يترتب عليه، ويَسْتَتْبِعُهُ من المبالغات، والمجازفات، والمخالفات، ومشابهة النصارى في الغلو في الأولياء والمشايخ، وادعاء الكرامات لهم، وتنقصهم في ذلك لمقام الربوبية والنبوة.

وسيأتي مزيد بيان لذلك في الباب الثالث عند الكلام على موقفه من **الأحوال الشيطانية، والمتلبسين بها.**



(١) الفرقان ص٣٥١.

(٢) المرجع السابق ص٣٥٣.

المطلب الثاني

موقفه من غلو الشيعة في إثبات الكرامات

مدخل: مفهوم التشيع

قبل الكلام على موقف ابن تيمية من غلو الشيعة في إثبات الكرامات ـ يحسن الوقوف على مفهوم التشيع؛ إذ إنه كالتصوف بحر لا ساحل له؛ إذ ينتسب إليه طوائف شتى، ويمر بأطوار مختلفة، ويتفاوت الغلو بين المنتسبين إليه حتى يؤول ببعض طوائفه إلى الخروج من الملة.

وفيما يلي نبذة عنه:

○ تعريف التشيع في اللغة:

قال ابن فارس: في مادة شيع: «الشين والياء والعين: أصلان يدل أحدهما على معاضدة ومساعفة، والآخر على بثٍّ وإشادة[(١)]»[(٢)].

وقال: «والشيعة: الأعوان والأنصار»[(٣)].

وقال الأزهري: «والشيعة التي تتبع بعضهم بعضاً، والشيع: الفِرَق الذي يتبع بعضهم بعضاً، وليس كلهم متفقين»[(٤)].

«فالشيعة، والتشيع، والمشايعة في اللغة: تدور حول معنى المتابعة، والمناصرة، والموافقة بالرأي، والاجتماع على الأمر، أو الممالأة عليه»[(٥)].

○ تعريف التشيع والشيعة في الاصطلاح:

الكلام في ذلك يطول، ومن أجمع ما قيل في ذلك قول الدكتور ناصر القفاري

---

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: (إشاعة).

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٢٣٥.

(٣) المصدر السابق ٣/ ٢٣٥.

(٤) تهذيب اللغة للأزهري ٣/ ٦١.

(٥) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، د. ناصر القفاري، ط١، ١٤١٤هـ، ١/ ٣١.

حيث قال: «وفي نظري أن تعريف الشيعة مرتبط ـ أساساً ـ بأطوار نشأتهم، ومراحل التطور العقدي لهم؛ ذلك أن الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغير وتطور مستمر؛ فالتشيع في العصر الأموي الأول غير التشيع فيما بعده؛ ولهذا كان في الصدر الأول لا يسمى شيعيّاً إلا من قدَّم عليّاً على عثمان؛ ولذلك قيل: شيعي وعثماني؛ فالشيعي: من قدَّم عليّاً على عثمان، والعثماني: من قدم عثمان على علي.

فعلى هذا يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول أنهم الذين يقدمون عليّاً على عثمان فقط»[1].

بل إن ابن تيمية يقرر أن قدماء الشيعة يفضلون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وفي ذلك:

يقول: «وهذا متفق عليه بين قدماء الشيعة، وكلهم يفضِّلون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

وإن كان النزاع في عليٍّ وعثمان رضي الله عنهما حيث صار لهذا شيعة، ولهذا شيعة»[2].

إلى أن قال: «وأما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فلم يكن أحدٌ يتشيع لهما؛ بل جميع الأمة كانت متفقة عليهما، حتى الخوارج؛ فإنهم يتولونهما، وإنما يتبرؤون من عليٍّ وعثمان رضي الله عنهما»[3].

وقال: «وكان كلٌّ من الشيعتين[4] يذُمُّ الآخر بما برأه الله منه؛ فكان بعض شيعة عثمان يتكلمون في علي بالباطل، وشيعة علي يتكلمون في عثمان بالباطل.

والشيعتان ـ مع سائر الأمة ـ متفقة على تقديم أبي بكر وعمر»[5].

غير أن التشيع لم يستمر على هذا النهج؛ بل إن مبدأ التشيع تغير؛ فأصبحت الشيعة شِيَعاً، وصار التشيع قناعاً يتستر به بعض من أراد الكيد للإسلام والمسلمين.

وأصبحت الشيعة هي القسم المقابل لأهل السُّنَّة والجماعة؛ حيث انفردت الشيعة بعقائدها وآرائها المخالفة للحق.

---

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد ١/ ٥٣، ومسألة التقريب بين أهل السُّنَّة والشيعة، د. ناصر القفاري، دار طيبة، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١/ ١٢٠.

(٢) النبوات ١/ ٥٧٤.

(٣) المرجع السابق ١/ ٥٧٤، وانظر: مقالات الإسلاميين، واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري، المكتبة العصرية، ط. ١٤١١هـ، ١/ ١٩٧، و٢٠٤، والملل والنحل لعبد القاهر البغدادي، دار دمشق، بيروت، ص٥٨، والملل والنحل للشهرستاني، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٣هـ، ١/ ١١٥ ـ ١١٧، والبرهان في معرفة عقائد أهل الإيمان لأبي الفضل عباس بن منصور التريمي السكسكي، تحقيق: د. بسام العموش، مكتبة المنار، ص١٩.

(٤) يعني: شيعة عثمان، وشيعة علي رضي الله عنهما.

(٥) النبوات ١/ ٥٧٥، وانظر: ٥٧٥، و٥٧٦.

وأخيراً استوعبت الشيعة الإمامية الاثنا عشرية معظم آراء الشيعة، واعتقاداتها، وصار التشيع علماً عليها[(١)].

هذا، وإن لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مواقف يطول ذكرها من الشيعة والتشيع، وهي مبثوثة في كثير من آثاره، وخصوصاً كتابه العظيم «منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية».

فلقد تطرق في آثاره لتاريخ التشيع، ومراحله، وأطواره، وفرقه، وكتبه، وأقوال الشيعة في الكتاب والسُّنَّة، وأصول الدين، وأقوالهم في الإمامة، وما يتعلق بها من أخبار الغدير، والغيبة، والرجعة.

وتطرق ـ كذلك ـ إلى عقيدة الشيعة في الصحابة، وأمهات المؤمنين، وإلى عقائدهم الأخرى كالتقية، والمتعة، وغير ذلك.

كما تطرق لمواقفهم، وأعمالهم، وصفاتهم، والحكم عليهم، إلى غير ذلك مما تناولته عنايتُه في ذلك الباب.

والذي يعني هٰهنا: بيان **موقفه من غلو الشيعة في إثبات الكرامات.**

وقد مرَّت الإشارة إلى ذلك في تمهيد هذا المبحث، وأن سبب غلوهم في ذلك هو **غلوهم في بعض أهل البيت**؛ وذلك ناتج عن غلوهم في عقيدة الإمامة؛ التي تدور حولها معظم عقائد الشيعة؛ فالإمامة عندهم لها مفهوم خاص؛ إذ هي الأصل الذي تدور حوله أحاديثهم، وترجع إليه عقائدهم، ويُلْمَسُ أثرُه في فقههم وأصولهم، وتفاسيرهم، وسائر علومهم[(٢)].

---

(١) انظر: أصول مذهب الشيعة ١/ ٥٥.

(٢) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية ١/ ٢٥٩ ـ ٢٦١، وأصول مذهب الشيعة ٢/ ٢٥٣، و٦٥٣، ٣٥٧، ومختصر التحفة الاثني عشرية تحقيق وتعليق: محب الدين الخطيب، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ص١١٦ ـ ١٢٣، وعقيدة الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية دراسة في ضوء الكتاب والسُّنَّة، د. علي السالوس، دار الاعتصام ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، ص٢٨ ـ ٣٣، ونظرية ولاية الفقيه دراسة وتحليل ونقد، د. عرفان عبد الحميد فتاح، دار عمار ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ص١٠ ـ ١٤، والشيعة الإمامية الاثنا عشرية في ميزان الإسلام، ربيع بن محمد السعودي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مكتبة العلم، جدة، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٣٥ ـ ١٤٢، و١٦٣ ـ ١٧٣، وكرامات الأولياء ص٥١٩، وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الرافضة، د. عبد الله بن إبراهيم الشمسان، دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، ص٣٨٣ ـ ٣٩٥، وانظر تفصيل غلو الشيعة عموماً في كتاب: غلاة الشيعة، وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ـ المسيحية ـ اليهودية ـ المجوسية، د. فتحي =

ومن ضمن تلك العقائد قولهم في **الكرامات** التي طوَّعوها؛ لتتلاءم مع عقيدة الإمامة.

لذا سيكون الكلام في هذا المطلب دائراً حول موقف ابن تيمية من **غلوهم في** هذا الباب **خصوصاً في كرامات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب** ﷺ[(١)].

وهذا ما سيتضح من خلال المسائل التالية:

المسألة الأولى: بيانه للطرق التي يعرف بها الكذب

لقد أدرك ابن تيمية أن كثيراً من الكرامات التي يذكرها الشيعة في مدوناتهم مكذوبة؛ لذا كان معظم موقفه منهم في هذا الباب يدور حول كذبهم في ذلك؛ فلا غرو - إذاً - أن يكون الكلام في هذه المسألة، وبعض المسائل بعدها دائرًا حول هذا الأمر.

ولعل من المناسب أن يبدأ الكلام في هذا المطلب بهذه المسألة، **وهي بيانه للطرق التي يعرف بها الكذب**؛ فقد عقد ﷺ فصلاً في «منهاج السُّنَّة» بيَّن فيه الطرق التي يعلم بها كذب المنقول، وذلك من خلال مناقشته لابن المطهر الحلي فيما يرويه من الكرامات المزعومة، والحكايات الباطلة.

قال ﷺ: «فصل في الطرق التي يُعلَم بها كذب المنقول»[(٢)].

ثم ذكر الأول منها، فقال: «منها أن يروى خلاف ما عُلم بالتواتر، والاستفاضة»[(٣)].

ثم ذكر أمثلة على ذلك كالعلم بأن مسيلمة الكذاب ادعى النبوة، واتبعه طوائف من بني حنيفة، وأن أبا لؤلؤة المجوسي قَاتِلَ عمرَ كان كافراً مجوسيّاً، وأن أبا بكر كان يصلي بالناس مدة مرض النبي ﷺ، وأن أبا بكر وعمر دُفنا في حجرة عائشة مع النبي ﷺ.

= محمد الزغبي، مطابع غباشي، طنطا، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، وأثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة، د. عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن الحسن، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

(١) ولا تزال خرافاتهم ومبالغاتهم في الكرامات التي ينسبونها إلى علي ﷺ إلى يومنا هذا، ومن ذلك - على سبيل المثال - ما جاء في كتاب قصص الإمام علي ﷺ لماجد بن ناصر الزبيدي، منشورات الفجر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص٢٢٤ - ٣١٦، فهذه الصفحات تعجُّ بالخرافات، والمبالغة في الكرامات التي ليس لها خطام ولا زمام من نقلٍ أو عقل.

(٢) منهاج السُّنَّة ٧/ ٤٣٧.

(٣) المرجع السابق ٧/ ٤٣٧.

ومثل ما يُعلم من غزوات النبي ﷺ التي كان فيها القتال كبدر، وأُحد، ثم الخندق، ثم خيبر، ثم فتح مكة، ثم غزوة الطائف، والتي ليس فيها قتال كغزوة تبوك وغيرها.

ومثل ما نزل من القرآن في الغزوات كنزول الأنفال بسبب بدر، ونزول آخر آل عمران بسبب أُحد، ونزول أولها بسبب نصارى نجران[١].

وبعد أن ذكر هذه الأمثلة، وغيرها مما هو معلوم بالتواتر والاستفاضة، **قال:** «فإذا روي في الغزوات، وما يتعلق بها ما يُعلم أنه خلاف الواقع **عُلِم أنه كذب**، مثل ما يروي هذا الرافضيُّ[٢]، وأمثالُه من الرافضة وغيرهم من الأكاذيب الباطلة الظاهرة في الغزوات»[٣].

ويعني بالغزواتِ التي وقع فيها الكذب من ابن المطهر ـ الغزواتِ التي **يُذكر** ما وقع فيها لعلي ﷺ من الفضائل والكرامات التي لا تصح؛ بل تخالف ما عُلِم **بالتواتر والاستفاضة**.

ثم يذكر ابن تيمية أمثلةً أخرى على ما هو معلوم ظاهر متواتر كنزول القرآن في أي وقت كان؛ كما يُعلم أن سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة ـ نزلت بعد الهجرة في المدينة، وأن الأنعام، والأعراف، ويونس، وهود، ويوسف، والكهف، وطه، ومريم وغيرها ـ نزلت قبل الهجرة بمكة، وأن المعراج كان بمكة، وأن الصُّفَّة كانت بالمدينة.

وبعد أن أورد هذه الأمثلة وغيرها مما عُلِم، وتواتر، واستفاض.

قال: «فإذا روى الجاهل نقيض ذلك عُلِم **أنه كذب**»[٤].

فهذا ـ كما قرر ـ هو الطريق الأول الذي يُعلم به الكذب، وهو أن **يروى خلاف ما عُلِم بالتواتر، والاستفاضة**.

ثم انتقل **إلى الطريق الثاني** الذي يُعْلَمُ به كذبُ المنقول.

فقال: «ومن الطرق التي يعلم بها الكذب: **أن ينفرد الواحد، والاثنان بما يُعلم أنه لو كان واقعاً لتوفَّرت الهممُ والدواعيْ على نقله**»[٥].

---

(١) انظر: منهاج السُّنَّة ٧/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨.

(٢) يعني: ابن المطهر الحلي في كتابه «منهاج الكرامة».

(٣) منهاج السُّنَّة ٧/ ٤٣٨.

(٤) المرجع السابق ٧/ ٤٣٩.

(٥) المرجع السابق ٧/ ٤٣٩.

ثم يعلل لذلك قائلاً: «من المعلوم أنه لو أخبر الواحد ببلدٍ عظيم بِقَدْر بغدادَ، والشامِ، والعراق ـ لعلمنا كذبَه في ذلك؛ لأنه لو كان موجوداً لأخبر به الناس»[١].

ثم يذكر أمثلة كثيرة من هذا القبيل كمثل **قوله**: «وكذلك لو أَخْبَرَنا الواحدُ بأنه تولى رجل بين عمر وعثمان، أو تولى بين عثمان وعلي. . .»[٢].

إلى أن قال: «أو أنه فرض صوم شهر آخر غير رمضان، أو أنه فرض صلاة سادسة وقت الضحى، أو أن القرآن عارضه طائفة من العرب، أو غيرهم بكلام يشابهه، ونحو هذه الأمور ـ **لكُنَّا نعلم كَذِبَ هذا الكاذب**»[٣].

ثم يعلل لذلك بقوله: «فإنا نعلم انتفاء هذه الأمور بانتفاء لازمها؛ فإن هذه لو كانت ـ مما يتوفر الهمم والدواعي على نقلها عامة لبني آدم، وخاصة لأمتنا شرعاً[٤]؛ فإذا لم ينقلها أحدٌ من أهل العلم فضلاً عن أن تتواتر ـ **عُلِمَ أنها كذب**»[٥].

ثم ينتقل بعد ذلك إلى بيان ما عند الشيعة من كذب.

فيقول: «ومن هذا الباب نقل النص[٦] على خلافة علي؛ فإنا نعلم أنه كذب من طرق كثيرة؛ فإن هذا النص لم ينقلْه أحد من أهل العلم بإسناد صحيح، فضلاً عن أن يكون متواتراً، ولا نُقِل أن أحداً ذكره على عهد الخلفاء مع تنازع الناس في الخلافة، وتشاورهم فيها يوم السقيفة، وحين موت عمر، وحين جُعل الأمر شورى بينهم في ستة، ثم لما قتل عثمان، واختلف الناس على عليٍّ»[٧].

ثم يصل إلى نتيجة ذلك وهي كذب هذه الدعوى؛ **فيقول**: «من المعلوم أن مثل هذا النص لو كان كما تقوله الرافضة من أنه نص على عليٍّ نصّاً جليّاً قاطعاً للعذر علمه المسلمون ـ لكان من المعلوم بالضرورة أنه لا بد أن ينقله الناس نَقْلَ مثله، وأنه

(١) منهاج السُّنَّة ٧/ ٤٣٩.
(٢) المرجع السابق ٧/ ٤٤٠.
(٣) المرجع السابق ٧/ ٤٤٠.
(٤) هكذا في الأصل، وكأن في الكلام محذوفاً، ولو كانت العبارة هكذا: «فإن هذه لو كانت. . . وخاصة لأمتنا شرعاً لنقلت» فلو وضعت كلمة (لنقلت) أو نحوها لاستقام الكلام، أو يكون هناك محذوف تقديره: «فإن هذه لو كانت. . . لكانت مما يتوفر. . .».
(٥) منهاج السُّنَّة ٧/ ٤٤٠، وانظر: الجواب الصحيح ٦/ ٣٢٤ ـ ٣٨٠.
(٦) يعني بذلك: قول الشيعة أن خلافة علي ﷺ نَصِّيَّة من عند الله؛ فهم يرون أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، وأن الإمامة تثبت لعلي مباشرة بلا فصل ولا تراخ، بعد النبي ﷺ. انظر: جامع الرسائل ١/ ٢٦٢، وأصول مذهب الشيعة ٢/ ٦٥٣، ومختصر التحفة الاثني عشرية ص١١٦ ـ ١٢٣، وعقيدة الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية للسالوس ص٢٨ ـ ٣٣.
(٧) منهاج السُّنَّة ٧/ ٤٤٠ ـ ٤٤١.

لا بد أن يذكره لكثير من الناس؛ بل أكثرهم في مثل هذه المواطن التي تتوفر فيها الهمم على ذكره فيها غايةَ التوفر؛ فانتفاء ما يُعلم أنه لازم يقتضي انتفاءَ ما يُعلم أنه ملزوم، ونظائر ذلك كثيرة»[١].

ثم يقرر بعد ذلك أن الكذب نقيض الصدق، وأحد النقيضين يُعْلَم انتفاؤه تارة بثبوت نقيضه، وتارة بما يدل على انتفائه بخصوصه.

ثم يَخْلُص من ذلك إلى أن الكلام مع الشيعة أكثرُه مبنيٌّ على النقل، وأنهم إنما وقعوا في الجهل المركب، أو الجهل البسيط؛ لضعف علمهم بما علمه أهل العلم بالأحاديث والآثار ـ كما سيأتي بيان ذلك ـ[٢].

المسألة الثانية: إيراده أسبابَ كذبهم في الكرامات

فذلك من جملة ما ناقشهم به، وبيَّن من خلاله ضلالَهم في غلوهم في أبواب الفضائل، والكرامات على وجه الخصوص.

ولئن كان يُرْجِع كذَبهم عموماً إلى أسباب عدة ـ فإنه يُرْجِع كذبهم في باب الكرامات إلى **أسباب أربعة** وهي كما يلي:

السبب الأول: ما ورثوه من أسلافهم الغلاة: فلقد أوضح ابن تيمية رحمه الله في معرض مناقشته لابن المطهر الحلي أن العبيديين الباطنيةَ الإسماعيليةَ يدَّعون أنهم من ولد عليّ، وأن أهل العلم بالنسب يبطلون ذلك، ويعلمون أن جدَّ أولئك العبيديين يهوديٌّ في الباطن والظاهر، وأن جدَّهم ديصاني[٣] من المجوس تزوج امرأة هذا اليهودي، وكان ابنه ربيباً لمجوسي؛ فانتسب إلى زوج أمه المجوسي، وكانوا ينتسبون إلى باهلة على أنهم من مواليهم، وادعى هو أنه من ذرية محمد بن إسماعيل بن جعفر وإليه تنسب الإسماعيلية، وادعوا أن الحق معهم دون الاثني عشرية؛ فإن الاثني عشرية يدَّعون إمامة موسى بن جعفر، وهؤلاء يدَّعون إمامة إسماعيل بن جعفر[٤].

---

(١) منهاج السُّنَّة ٧/ ٤٤١.

(٢) انظر: المرجع السابق ٧/ ٤٤١ ـ ٤٤٢.

(٣) **ديصاني**: نسبة إلى ميمون بن ديصان المعروف: بالقداح، الذي أسس دعوة الباطنية. انظر: الفرق بين الفرق ص١٦٩.

(٤) انظر: منهاج السُّنَّة ٨/ ١١ ـ ١٢، وانظر تفصيل ذلك في كتاب: قضية نسب الفاطميين أمام منهج النقد التاريخي، د. عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة للنشر، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

قال ابن تيمية بعد أن قرر ذلك: «وأئمة هؤلاء[١] شرٌّ من الغالية؛ ليسوا من جنس الاثني عشرية، لكن إنما طَرَّقَهُم[٢] على هذه المذاهب الفاسدة، ونسبتها إلى علي ـ ما فعلته الاثنا عشرية، وأمثالهم؛ كذب عليه أولئك[٣] نوعاً من الكذب؛ ففرَّعه هؤلاء[٤]، وزادوا عليه، حتى نسبوا الإلحاد إليه؛ كما نسب هؤلاء إليه مذهب الجهمية القدرية[٥] وغير ذلك»[٦].

ثم بيَّن ابن تيمية ما ترتَّب على تلك النسبة لعلي من الضلالات؛ حيث صار هؤلاء الملاحدة الباطنية يضيفون إلى علي ما برَّأه الله منه، حتى صار بعضهم يزعم أن معهم كتاباً من علي بالإذن لهم في سرقة أموال الناس.

وأوضح ابن تيمية أن ذلك مما أجمع العلماء على أنه كذب على عليٍّ ﷺ[٧].

وبعد أن قرر ذلك بيَّن سبباً من أسباب كذب الشيعة على علي في باب الكرامات خصوصاً؛ **فقال**: «ثم صار هؤلاء يَعُدون ما افتروه عليه من هذه الأمور مدحاً له[٨]، يفضلونه بها على الخلفاء، ويجعلون تنزه أولئك[٩] من مثل هذه الأباطيل عيباً فيهم، وبغضاً»[١٠].

---

(١) يعني: الإسماعيلية الباطنية.

(٢) يعني: جَرَّأهم، وجعلهم يسلكون ذلك الطريق.

(٣) يعني: الاثني عشرية، وأنهم كذبوا على عليٍّ، وغلو فيه.

(٤) يعني: الاسماعيلية الباطنية، وأنهم فرَّعوا، وزادوا على كذب الاثني عشرية.

(٥) سمي الجهمية هٰهنا قدرية؛ باعتبار قولهم في القدر، وهو أن الإنسان مجبر لا اختيار له، وقد مر الكلام على ذلك عند الكلام على الكسب عند الأشاعرة.
فالجهمية يطلق عليهم لقب القدرية بهذا الاعتبار، وإن كان لقب القدرية ألصق بنفاة القدر كالمعتزلة؛ فهم يسمون قدرية. انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ، ص٧٨، وانظر: شرح الأصول الخمسة ص٣٥٥ ـ ٣٦٢، ومفيد العلوم ومبيد الهموم لزكريا بن محمد بن محمود القزويني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ص٣١ ـ ٣٢، وإيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، حقَّقه وعلَّق عليه: محمد صبحي بن حسن حلّاق، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، ص٣٧٧ ـ ٣٩٥.

(٦) منهاج السُّنَّة ٨/ ١٢.

(٧) انظر: المرجع السابق ٨/ ١٢ ـ ١٣.

(٨) يعني: مدحاً لعليٍّ ﷺ.

(٩) يعني بهم: الخلفاء الثلاثة الذين هم قبل عليّ.

(١٠) منهاج السُّنَّة ٨/ ١٣.

إلى أن قال: «وكان من أعظم ما دخل به هؤلاء على المسلمين، وأفسدوا الدين هو طريق الشيعة؛ لفرط جهلهم، وأهوائهم، وبعدهم عن دين الإسلام.

وبهذا وصوا[١] دعاتهم أن يدخلوا على المسلمين من باب التشيع، وصاروا يستعينون بما عند الشيعة من الأكاذيب والأهواء، ويزيدون هم على ذلك ما ناسبهم من الافتراء، حتى فعلوا في أهل الإيمان ما لم يفعله عبدة الأوثان والصلبان»[٢].

وقال في موضع آخر مبيِّناً كذبَ أسلافهم، وأنهم ورثوا ذلك عنهم: «ثم إن أسلافهم كانوا كثيري الكذب؛ فانتقلت أحاديثهم إلى قوم لا يعرفون الصحيح من السقيم؛ فلم يمكنهم التمييز إلا بتصديق الجميع، أو تكذيب الجميع، والاستدلال على ذلك بدليل منفصل غير الإسناد»[٣].

فهذا هو **السبب الأول** من أسباب كذب الشيعة على علي رضي الله عنه في باب الكرامات، **وهو ما ورثوه من أسلافهم.**

السبب الثاني: إفلاس الشيعة من الكرامات: فلقد تطرق ابن تيمية لهذا السبب في معرض مناقشته لابن المطهر الحلي، وذلك فيما يورده من كرامات لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهي دون ما لعلي من التفضيل، والقدر ـ كما سيأتي في المسألة الرابعة من هذا المطلب ـ.

وإنما المقصود هٰهنا: إيراد سبب من أسباب كذب الشيعة في الكرامة، ألا وهو: **إفلاسهم في هذا الباب.**

يقول رحمه الله: «ولكن الرافضة؛ لجهلهم، وظلمهم، وبعدهم عن طريق الأنبياء ليس لهم **من كرامات الأولياء المتقين** ما يُعْتَدُّ به؛ فهم؛ **لإفلاسهم** منها إذا سمعوا شيئاً من **خوارق العادات** عظموه تعظيمَ المُفْلِسِ للقليل من النقد، والجائع للكسرة من الخبز.

ولو ذكرنا ما باشرناه نحن من هذا الجنس مما هو أعظم من ذلك مما قد رآه الناس ـ لذكرنا شيئاً كثيراً»[٤].

إلى أن قال رحمه الله: «والرافضة؛ لفرط جهلهم، وبعدهم عن ولاية الله، وتقواه ـ **ليس لهم نصيب كثير من كرامات الأولياء**؛ فإذا سمعوا مثل هذا عن عليٍّ ظنوا أن

---

(١) يعني: الإسماعيلية.
(٢) منهاج السُّنَّة ٨/١٣، وانظر: الرسالة الصفدية ص٢٣٩.
(٣) منهاج السُّنَّة ٧/٣٧.
(٤) المرجع السابق ٨/٢٠٣.

هذا لا يكون إلا لأفضل الخلق»[١].

ثم بيَّن أن مثل تلك الخوارق التي ينسبها الشيعة لعلي ﷺ ويَرَون أنها من أعظم فضائله، ومناقبه الدالة على تفرده وعظيم منزلته ـ تقع لمن هو دون عليٍّ وبقيةِ الخلفاء الراشدين ﷺ[٢].

ثم ذكر جملة من الخوارق التي وقعت لبعض التابعين، وبيَّن أن الناس في كل عصر يقع لهم من ذلك شيء كثير.

ولكن الشيعة؛ **لقلة الكرامات فيهم** يستعظمون ما يقع، أو يروى لعلي ﷺ ولو لم يكن أمراً ذا بال، أو مما لا يرتقي إلى فضيلة علي ﷺ[٣].

السبب الثالث: جهلهم بالإسناد، وما تصح به الأخبار: فلهذا وقعوا ـ كما يقرر ابن تيمية ـ في خلط، وكذب، وزيف؛ فذكروا من الكرامات ما ليس له أصل.

قال ابن تيمية رحمه الله مقرراً ذلك: «فإن الرافضة ليسوا أهل علم، وخبرة بطريق النظر والمناظرة، ومعرفة الأدلة، وما يدخل فيها من المنع والمعارضة.

كما أنهم **أجهل الناس بمعرفة المنقولات**، والأحاديث، والآثار، **والتمييز بين صحيحها وضعيفها**»[٤].

إلى أن قال مبيِّناً ما يعتمدون عليه من ذلك: «وإنما عمدتهم **في المنقولات** على **تواريخ منقطعة الإسناد**.

وكثير منها من وضع المعروفين بالكذب؛ بل وبالإلحاد»[٥].

وقال في موضع آخر من «منهاج السُّنَّة» بعد أن تكلم على قاعدة في التمييز بين الصدق، والكذب في المنقولات، وما عليه علماء الإسلام من الاتصاف بذلك العلم، وأنه علم عظيم من أعظم علوم الإسلام ـ، **قال:** «ولا ريب أن الرافضة أقل معرفة بهذا الباب، وليس في أهل الأهواء والبدع **أجهل منهم به**؛ فإن أهل الأهواء ـ كالمعتزلة والخوارج ـ مقصرون في معرفة هذا.

ولكن المعتزلة أعلم بكثير من الخوارج، والخوارج أعلم بكثير من الرافضة»[٦].

إلى أن قال: «والرافضة أقل معرفة وعنايةً بهذا؛ إذ كانوا لا ينظرون إلى الإسناد، ولا في سائر الأدلة الشرعية والعقلية: هل توافق ذلك أو تخالفه؟

---

(١) منهاج السُّنَّة ٨/٢٠٣.
(٢) المرجع السابق ٨/٢٠٣.
(٣) انظر: المرجع السابق ٨/٢٠٤.
(٤) المرجع السابق ١/٥٨.
(٥) المرجع السابق ١/٥٨.
(٦) المرجع السابق ٧/٣٦.

ولا يوجد لديهم أسانيد متصلة صحيحة قط؛ بل كل إسناد متصل لهم فلا بد أن يكون فيه من هو معروف بالكذب، أو كثرة الغلط»[١].

السبب الرابع: كونهم أكذبَ الطوائف: فهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقرر ذلك خصوصاً في باب الفضائل والكرامات؛ إذ يرى أنهم يُكَذِّبون ما يُروى في فضائل من لا يوالونهم، ويَكْذِبون في إيراد الكرامات والفضائل فيمن يوالون[٢].

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «ونحن نعلم أنهم كذبوا في كثير مما رووه في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان، كما كذبوا في كثير مما رووه في فضائل عليّ.

وليس في أهل الأهواء أكثر كذباً من الرافضة؛ بخلاف غيرهم؛ فإن الخوارج لا يكادون يكذبون؛ بل هم من أصدق الناس مع بدعتهم وضلالهم»[٣].

ثم بيَّن المنهج الصحيح الذي يسير عليه أهل العلم والدين في هذا الباب.

فيقول: «وأما أهل العلم والدين فلا يصدقون بالنقل، ويكذبون به بمجرد موافقة ما يعتقدون.

بل قد ينقل الرجل أحاديث كثيرة فيها فضائل النبي ﷺ وأمته وأصحابه؛ فيردونها؛ لعلمهم بأن كذب.

ويقبلون أحاديث كثيرة؛ لصحتها، وإن كان ظاهرها بخلاف ما يعتقدونه، إما لاعتقادهم أنها منسوخة، أَوْ لَها تفسير لا يخالفونه، ونحو ذلك»[٤].

وقال في موضع آخر: «وقد اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن **الرافضة أكذب الطوائف**، والكذب فيهم قديم.

ولهذا كان أئمة الإسلام يَعْلَمُون امتيازهم بكثرة الكذب»[٥].

ثم ساق جملة من أقوال علماء الإسلام التي تؤيد ذلك، وتبيِّن أنهم أكذب الطوائف؛ فأورد كلاماً في ذلك عن مالك، والشافعي، وشريك بن عبد الله القاضي، والأعمش، وغيرهم[٦].

فهذه أربعة أسباب يُرْجِع إليها ابنُ تيميةَ كذِبَ الشيعة في الكرامات، وهي ما ورثوه عن أسلافهم الغلاة، وإفلاسهم من الكرامات، وجهلهم بالإسناد، وما تصح به الأخبار، وكونهم أكذب الطوائف.

---

(١) منهاج السُّنَّة ٧/ ٣٧.
(٢) المرجع السابق ٧/ ٤١.
(٣) المرجع السابق ٧/ ٤١.
(٤) المرجع السابق ٧/ ٤٢.
(٥) المرجع السابق ٨/ ٥٩.
(٦) انظر: المرجع السابق ٨/ ٥٩ ـ ٦٢.

المسألة الثالثة: مناقشته لهم في ثبوت الكرامات

لقد ناقش ابن تيمية الشيعة في ثبوت الكرامات، منطلقاً من نصوص الوحيين، ودلالة العقل الصريح، وشهادة الواقع، والتاريخ.

وهو بذلك يسلك طريقاً وسطاً؛ فلا هو ممن يَرُدُّ الكرامات، وينكرها بإطلاق كشأن الفلاسفة، والمعتزلة ومن نحا نحوهم، ولا هو يقبلها بإطلاق كشأن غلاة الصوفية، والشيعة خصوصاً إذا وافقت أهواءهم؛ لذا كان قبول الكرامة عنده متوقفاً على شروطٍ مرَّ ذكرها في الفصل الماضي ألا هي بإجمال: **موافقة الكرامة للشرع، وحصول الإكرام فيها، وصحة وقوعها.**

فإذا اجتمعت هذا الشروط عنده قُبِلت الكرامة، وإن اختل شرط رُدَّت.

وقد سار على هذا النحو أثناء مناقشته للشيعة في ذلك.

والكلام في هذه المسألة سيدور حول مناقشته لهم في **ثبوت الكرامات** من جهة سندها، وصحة وقوعها[١] وذلك من خلال الأمور التالية:

○ **أولاً: وضْعُهم الكتبَ، والحكاياتِ التي تعنى بالكرامات:** حيث ناقشهم في ذلك، وفي نسبتهم تلك الكرامات إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فبَيَّن ـ بالدليل والحجة ـ عوارَ ما في تلك الكتب، والحكايات من الزيف، والكذب الظاهر.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١ ـ **ما صُنِّف في حديث ردّ الشمس لعلي رضي الله عنه:** حيث أُلِّفَ في ذلك الحديث مصنف.

قال ابن تيمية رحمه الله: «وهذا الحديث قد صُنِّف فيه مُصَنَّف جُمعت فيه طرقه، صنَّفَه أبو القاسم عبد الله بن عبد الله بن أحمد الحكاني، سماه تصحيح رد الشمس، وترغيب النواصب الشُّمْس)»[٢].

ثم ذكر ابن تيمية أن المُصنِّف أورد الحديث بسنده إلى أسماء بنت عميس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر ثم أرسل علياً في حاجة؛ فرجع، وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يعني: العصر ـ؛ فوضع رأسه في حجر علي ولم يُحَرِّكه حتى غابت الشمس؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ إن عبدك علياً في طاعتك، وطاعة رسولك، احتبس نفسه على نبيِّه، فرد عليه شَرْقَها**»[٣].

---

(١) أما إثباته مخالفتهم في غلوهم في الكرامة للعقل والنقل فسيكون في المسألة الرابعة.

(٢) منهاج السُّنَّة ٨/ ١٧٢.

(٣) يعني: شرق الشمس.

قالت أسماء: فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال؛ فقام علي، وتوضأ، وصلى العصر ثم غابت»[١].

ثم أورد ابن تيمية كلام المصنف على طرق الحديث، وتتبعه في ذلك كله، وناقشه في جميع ما أورده، وبيَّن بطلان حديث رد الشمس[٢].

وقد مرَّ تفصيل ذلك في الفصل الماضي عند الكلام على شروط قبول الكرامة عند ابن تيمية.

والمقصود من إيراده هٰهنا: التمثيل لمناقشته لهم في وضع الكتب في الكرامات.

٢ ـ ما جاء في كتاب «منهاج الكرامة»: لابن المطهر الحلي؛ فإنه محشوٌّ بالكرامات المكذوبة على علي ﷺ، وقد ناقشه ابن تيمية نقاشاً طويلاً مُفَصَّلاً في منهاج السُّنَّة.

وقد مرَّ شيء من ذلك، وسيأتي أمثلة عليه في فقرات قادمة.

٣ ـ ما جاء من المبالغات في شجاعة علي، وصفةِ السيوف المنسوبة إليه ﷺ: ومن ذلك ما أورده ابن المطهر في «منهاج الكرامة»، حيث قال: «وفي غزاة أُحد انهزم الناس كُلَّهم عن النبي ﷺ إلا علي بن أبي طالب عليه السلام وحده»[٣].

إلى قوله: «وتعجبت الملائكة من شأن عليٍّ عليه السلام وقال جبرئيل: وهو يعرُج إلى السماء:

لا سيف إلا ذو الفقا ... رِ ولا فتى إلا عليّ

وقتل عليٌّ عليه السلام أكثر المشركين في هذه الغزاة، وكان الفتح فيها على يديه عليه السلام»[٤].

قال ابن تيمية معقباً على ذلك الكلام، مبيِّناً بطلانه: «والجواب أن يقال: قد ذكر في هذه من الأكاذيب العظام، التي لا تَنْفق إلا على من لم يعرف الإسلام، وكأنه يخاطب بهذه الخرافات من لا يعرف ما جرى في الغزوات»[٥].

ثم ذكر أمثلة على ذلك فقال: «كقوله: إن علياً قتل أكثر المشركين في هذه الغزاة، وكان الفتح فيها على يده»[٦].

---

(١) منهاج السُّنَّة ٨/ ١٧٣.
(٢) المرجع السابق ٨/ ١٧٣ ـ ١٩٨.
(٣) منهاج الكرامة ص١٦٥.
(٤) منهاج السُّنَّة ٨/ ٩٦.
(٥) منهاج الكرامة ص١٦٦ ـ ١٦٧.
(٦) منهاج السُّنَّة ٨/ ٩٦.

ثم تعقبه قائلاً: «فيقال: آفة الكذب الجهل؛ وهل كان في هذه الغزاة[١] فتح؟

بل كان المسلمون قد هَزَموا العدو أولاً، وكان النبي ﷺ قد وكَّل بثغرة الجبل الرماة، وأمرهم بحفظ ذلك المكان، وأن لا يأتوهم سواء غَلبوا أو غُلِبوا؛ فلما انهزم المشركون صاح بعضهم: أي قوم الغنيمة!

فنهاهم أميرهم عبد الله بن جبير، ورجع العدو عليهم، وأمير المشركين إذ ذاك خالد بن الوليد، فأتاهم من ظهورهم، فصاح الشيطان: قتل محمد.

واستُشهد في ذلك اليوم نحو سبعين، ولم يبق مع النبي ﷺ ذلك اليوم إلا اثنا عشر رجلاً، فيهم أبو بكر وعمر.

وأشرف أبو سفيان فقال: (أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟)[٢]»[٣].

ويواصل ابن تيمية تفنيد ما ذكره ابن المطهر من الفتح يوم أُحد، **فيقول**[٤]: «وكان يوم بلاء، وفتنة، وتمحيص، وانصرف العدو منتصراً»[٥].

ثم ذكر ما كان بعد ذلك، وأورد من خلال النصوص الصحيحة أسماء النفر الذين استجابوا للرسول ﷺ وأن من هؤلاء المُنْتَدَبين أبا بكر، والزبير رضي الله عنهما.

كما ذكر أن العدو قصد النبي ﷺ واجتهد في قتله، وكان ممن ذب عنه يومئذٍ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأبو طلحة، وطلحة بن عبيد الله.

وذكر أنه لم يكن علي، ولا أبو بكر، ولا عمر من الذين كانوا يدفعون عن النبي ﷺ بل كانوا مشغولين بقتال آخرين، وأن النبي ﷺ جُرِحَ في جبينه، ولم يُجْرح علي رضي الله عنه[٦].

ثم ينتقل بعد ذلك إلى قول ابن المطهر: «إن جبرئيل قال وهو يَعْرُج:

لا سيف إلا ذو الفقا ... رِ ولا فتى إلا عليّ[٧]

فيتعقبه بقوله: «هذا كذب باتفاق الناس؛ فإن ذا الفقار لم يكن لعلي، ولكنه كان سيفاً لأبي جهل؛ غنمه المسلمون يوم بدر»[٨].

ثم ساق الأدلة على ذلك، ثم قرر أن ما ذكر عن ذي الفقار شبيه بما يذكر عن سيف آخر لعلي رضي الله عنه نُسجت حوله أكاذيب؛ **فقال:** «وهذا الكذب المذكور في ذي

---

(١) يعني: غزوة أُحد.

(٢) انظر: صحيح البخاري (٤٠٤٣).

(٣) منهاج السُّنَّة ٨/ ٩٧ ـ ٩٨.

(٤) القائل: ابن تيمية.

(٥) منهاج السُّنَّة ٨/٩٨.

(٦) منهاج الكرامة ص١٦٦.

(٧) منهاج السُّنَّة ٨/ ١٠٢.

(٨) المرجع السابق ٨/ ١٠٢.

الفقار من جنس كذب بعض الجهال أنه كان له[١] سيف يمتد إذا ضرب به كذا وكذا ذراعاً؛ فإن هذا مما يَعْلم العلماءُ أنه لم يكن قط، لا سيف علي، ولا غيره، ولو كان سيفه يمتد لمده يوم قاتل معاوية»[٢].

وهكذا يبطل تلك الكتب، والحكايات التي تنسب لعلي ﷺ وتعدُّ في قبيل كراماته.

وسيأتي مزيد بيان وأمثلة من ذلك في الفقرات التالية، والمسألة الرابعة.

○ **ثانياً: نسبة نقلهم الكرامات إلى الجمهور وغيرهم**: وذلك مما يوجد عند الشيعة؛ حيث يذكرون الكرامات، وينسبونها إلى الجمهور؛ كي تروج، وتشيع في الناس مع أن الأمر بخلاف ذلك.

وقد ناقشهم ابن تيمية في ذلك، وأبطل تلك النسبة.

ومن الأمثلة على ذلك ما أورده ابن المطهر الحلي في «منهاج الكرامة» من قصة حكايةِ قتلِ عليٍّ ﷺ لكفار الجن، حيث قال: «الثامن: **ما رواه الجمهور** أن النبي ﷺ لما خرج إلى بني المصطلق؛ جَنَّبَ عن الطريق، وأدركه الليل بقرب وادٍ وعرٍ، فهبط جبرئيل ﷺ آخر الليل، وأخبره أن طائفة من كفار الجن قد استوطنوا الوادي يريدون كيده، وإيقاع الشر بأصحابه؛ فدعا بعلي ﷺ وعوَّذه، وأمره بنزول الوادي؛ فقتلهم ﷺ»[٣].

وقد تعقبه ابن تيمية في ذلك، وبيَّن أن عليّاً أجلُّ قدراً مما نسب إليه، وأن هذا من الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ وعلى عليٍّ عند أهل المعرفة بالحديث، وأنه لم يَجْرِ في غزوة بني المصطلق شيءٌ من هذا[٤].

ثم قال مبطلاً نسبة هذا القول إلى الجمهور: «وقوله: **(إن هذا رواه الجمهور)**: إن أريد بذلك أنه مروي بإسناد ثابت، أو في كتاب يُعْتمد على مجرد نقله، أو صححه مَنْ يُرْجَع إلى تصحيحه ـ فليس كذلك.

وإن أراد أن جمهور العلماء رووه فهذا كذب، وإن أراد أنه رواه من لا يقوم بروايته حجة ـ فهذا لا يفيد»[٥].

---

(١) يعني: لعلي ﷺ.
(٢) منهاج السُّنَّة ٨/١٠٣.
(٣) منهاج الكرامة ص١٧١.
(٤) انظر: منهاج السُّنَّة ٨/١٦١.
(٥) المرجع السابق ٨/١٦١.

ومن ذلك ما تعقب به ابنَ المطهرِ عندما ذكر كرامةً لعلي بن أبي طالب **لما زاد الماء بالكوفة، وخافوا الغرق.**

قال ابن المطهر: «العاشر: ما رواه أهل السيرة: أن الماء زاد في الكوفة، وخافوا الغرق؛ ففزعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فركب بغلة رسول الله ﷺ وخرج الناس معه؛ فنزل على شاطئ الفرات، فصلى، ثم دعا، وضرب صفحة الماء بقضيب في يده؛ فغاض الماء...»[١].

قال ابن تيمية معقِّباً على قوله: **(ما رواه أهل السيرة)**: «**الثالث**: أن هذا لم ينقله أحد من أهل الكتب المعتمد عليهم.

ومثل هذه القصة لو كانت صحيحة لكانت مما تتوفر الهمم والدواعي على نقلها.

وهذا الناقل لم يذكر لها إسناداً؛ فكيف يُقْبَل ذلك بمجرد حكاية لا إسناد لها؟!»[٢].

وهكذا يبيِّن كذبهم في **نسبة الأقوال إلى الجمهور، وغيرهم.**

○ **ثالثاً: مطالبته لهم بصحة الدليل في شأن الكرامة**: وذلك في كثير من مناقشاته للشيعة، خصوصاً في مناقشاته لابن المطهر؛ حيث يطالبهم بذلك أولاً قبل الدخول في تفصيل تكذيبه لهم فيما يذكرونه من الكرامات المزعومة؛ لأنه إذا لم يصح الدليل لم يعد لما ذكروه أي قيمة، فتراه **يَذْكُر** في بداية مناقشاته لابن المطهر مثل **قوله**: «**أين إسناد هذا النقل، وبيان صحته؟**»[٣].

أو مثل قوله ـ كما في الحكاية الماضية التي ذكر ابن المطهر فيها أن الماء زاد بالكوفة، وخاف الناس الغرق؛ ففزعوا إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ـ: «**أحدها**: المطالبة بأن يقال: **أين إسناد هذه الحكاية الذي يدل على صحتها وثبوتها؟**

وإلا فمجرد الحكايات المرسلة بلا إسناد يُقْدِر عليه كل أحد، لكن **لا يفيد شيئاً**»[٤].

وقال في موضع آخر مقرراً هذا المعنى: «فالأصل في النقل أن يرجع فيه إلى أئمة النقل، وعلمائه، وَمَنْ يَشْرِكُهم في علمهم عَلِمَ ما يعلمون، وأن يستدل على الصحة والضعف بدليل منفصل عن الرواية؛ فلا بد من هذا وهذا»[٥].

---

(١) منهاج الكرامة ص١٧٣. (٢) منهاج السُّنَّة ٨/ ١٩٩.
(٣) المرجع السابق ٨/ ١٦١، وانظر: ٧/ ٣٧١. (٤) المرجع السابق ٨/ ١٩٩.
(٥) المرجع السابق ٧/ ٤٢، وانظر: ٧/ ٣٧١.

إلى أن قال: «وإلا فمجرد قول القائل: (رواه فلان) لا يُحْتَجُّ به لا أهل السُّنَّة، ولا الشيعة.

وليس في المسلمين من يحتج بكل حديث رواه كل مُصَنِّف؛ فكل حديث يُحتج به نطالبه من **أول مقام بصحته**»[١].

هذا، وإن من أهم ما يدعوه إلى المطالبة بصحة الدليل أنه يرى أن «الكلام مع الشيعة **أكثره مبني على النقل**؛ فمن كان خبيراً بما وقع، وبالأخبار الصادقة التي توجب العلم اليقيني علم انتفاء ما يناقض ذلك يقيناً»[٢].

المسألة الرابعة: إثباته مخالفَتَهم للنقل والعقل

وهذه المسألة من أهم ما عُني به ابن تيمية في مناقشاته للشيعة في شأن الكرامة، وهي تجمع ما تفرق من المسائل الماضية؛ **فابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ يقرر كثيراً أن الشيعة يخالفون دلالة النقل الصحيح، والعقل الصريح، وذلك فيما ينقلون، ويعتقدون؛ فيخالفون بذلك: المنقول، والمعقول، ودلالة الحس، والواقع، والتاريخ ـ كما سيأتي بيان ذلك ـ.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة «منهاج السُّنَّة» مقرراً هذا المعنى: «والقوم من أكذب الناس في النقليات، ومن أجهل الناس في العقليات»[٣].

ثم يوضح ذلك بقوله: «يُصَدِّقون من المنقول بما يعلم العلماء بالاضطرار أنه من الأباطيل، ويكذِّبون بالمعلوم من الاضطرار المتواتر أعظمَ تواترٍ في الأمة جيلاً بعد جيل، ولا يميزون في نقلة العلم، ورواة الأحاديث والأخبار بين المعروف بالكذب، أو الغلط، أو الجهل بما ينقل، وبين العدل الحافظ الضابط المعروف بالعلم بالآثار»[٤].

ثم بيَّن أن عمدتهم في ذلك: التقليدُ، وإن كانوا يظنون أن ما هم عليه قائم على البرهان، ويوضح أنهم من أجهل الطوائف بالنظريات، وأنهم معروفون عند عامة أهل العلم والدين أنهم من أجهل الطوائف الداخِلِين في الإسلام[٥].

ويقرر في موضع آخر أنهم أقل الناس معرفة وعناية بالإسناد، وسائر الأدلة

---

(١) منهاج السُّنَّة ٧/ ٤٢.
(٢) المرجع السابق ٧/ ٤٤١.
(٣) المرجع السابق ١/ ٨.
(٤) المرجع السابق ١/ ٨.
(٥) انظر: المرجع السابق ١/ ٩.

الشرعية والعقلية؛ إذ كانوا لا يصدِّقون إلا بما يوافق أهواءهم، وعلامةُ كذبه عندهم أنه يخالف هواهم[١].

وإذا كان ابن تيمية يقرر هذا نظرياً فهو ـ كذلك ـ يضرب عليه أمثلة تؤكد ما قرره وأصّله؛ إذ كثيراً ما يورد أمثلة من الكرامات المزعومة عند الشيعة، ويبيِّن من خلالها **ما تشتمل عليه من مخالفات للنقل**، كاشتمالها على الغلو، ومصادمة الأدلة الشرعية، وعلى تحريم الحلال.

كما يبيِّن ـ أيضاً ـ ما تشتمل عليه من مخالفات للعقل؛ كتضمنِها مخالفةَ الواقع، واشتمالِها على ما ليس كرامةً لعلي، ولا مدحاً له، ولا اختصاصاً مع أنهم أوردوها في مقام المبالغة في إطرائه، وعَدِّ ذلك من قبيل الكرامات التي اختص بها.

وفيما يلي ذكر لبعض الأمثلة التي أثبت ابن تيمية من خلالها مخالفة الشيعة للنقل والعقل في باب الكرامات.

○ **المثال الأول: ما جاء في مناقشته لابن المطهر في قصة علي مع الراهب:**
فقد ذكر ابن المطهر في «منهاج الكرامة» قصةً أراد من خلالها أن يبيِّن أنها من جملة الكرامات المنسوبة إلى علي رضي الله عنه.

قال ابن المطهر: «السابع: أنه[٢] لما توجه إلى صِفِّيْن لَحِقَ أصحابَه عطشٌ شديدٌ، فَعَدَلَ بهم قليلاً، فَلاحَ لهم دَيْرٌ[٣]؛ فصاحوا بساكنه، فسألوه عن الماء، فقال: بيني وبينه أكثر من فرسخين، ولولا أني آتى بما يكفيني كل شهر على التقصير[٤] لتلفت عطشاً، فأشار أمير المؤمنين إلى مكان قريب من الدَّير، وأمر بكشفه، فوجدوا صخرة عظيمة، فعجزوا عن إزالتها، فقلعها وحده، ثم شربوا الماء، فنزل إليهم الراهب، وقال له: أنت نبي مرسل أو ملك مقرب؟

فقال: لا، ولكني وصي رسول الله ﷺ فأسلم على يده، وقال: إن هذا الدير بُني على طلبِ قالعِ هذه الصخرة، ومخرج الماء من تحتها، وقد مضى جماعة قبلي لم يدركوه.

وكان الراهب من جملة من استشهد معه، ونظم القصة السيد الحميري في

(١) انظر: منهاج السُّنَّة ٧/ ٣٧.
(٢) يعني: علياً رضي الله عنه.
(٣) الدَّيْر: خان النصارى، وجمعه: أديار، وأديرة، وصاحبه الذي يسكنه: ديار وديراني، ويقال لمن رأس أصحابه: رأس الدير. انظر: لسان العرب ٤/ ٣٠١، والقاموس ص٥٠٦.
(٤) في منهاج السُّنَّة ٨/ ١٥٧: على التقتير.

قصيدته»[١].

ثم تعقبه ابن تيمية مبيِّناً أن هذا الخبر من جنس أمثاله من الأكاذيب التي يظنها الجهال من أعظم مناقب عليٍّ رضي الله عنه.

ثم بيَّن مخالفة ذلك للعقل، فقال: «وليست كذلك؛ بل الذي وضع هذه[٢] كان جاهلاً بفضل علي، وبما يستحقه من الممادح»[٣].

ثم علل لذلك بقوله: «فإن الذي فيه من المنقبة أنه أشار إلى صخرة، فوجدوا تحتها الماء، وأنه قلعها.

ومثل ذلك يجري لخلق كثيرٍ عليٌّ رضي الله عنه أفضل منهم»[٤].

ثم يقرر أنه إذا جرى على يد بعض الصالحين كان نعمة من الله، وكرامة.

ولكن ذلك يقع كثيراً لمن ليس من الصالحين؛ فليس في ذلك ـ إذاً ـ منقبة لعلي رضي الله عنه[٥].

ثم يبيِّن ما اشتملت عليه تلك الحكاية من المخالفة للشرع، فيقول: «وأما سائر ما فيها[٦] مثل قوله: (إن هذا الدَّير بني على طالب هذه[٧] الصخرة، ومخرج الماء من تحتها) فليس هذا من دين المسلمين، وإنما تبنى الكنائس والدَّيارات، والصوامع على أسماء المُقْتَدِيَة بِسِيَر النصارى.

فأما المسلمون فلا يبنون معابدهم ـ وهي المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ـ إلا على اسم الله، لا على اسم مخلوق»[٨].

ثم يُعْقِبُ ذلك برد شرعي عقلي على تلك الحكاية، وذلك بقوله: «وقول الراهب: (أنت نبي مرسل، أو ملك مقرب) يدل على جهله، وأنه من أضل الخلق؛ فإن الملائكة لا تشرب الماء، ولا تحتاج إلى أن تستخرجه من تحت صخرة!»[٩].

إلى أن قال: «ومحمد ﷺ لا نبي بعده، ومعلوم أن هذا الراهب قد سمع بخبر المسلمين الذين فتحوا تلك المواضع؛ فإن كان يُجَوِّزُ أن يُبْعَثَ رسولٌ بعد المسيح فمحمد هو الرسول، ومعجزاته ظاهرة وباطنة، فإن صَدَّقه فقد علم أنه لا نبي بعده،

---

(١) منهاج الكرامة ص١٧٠ ـ ١٧١.
(٢) يعني: هذه الحكاية.
(٣) منهاج السُّنَّة ٨/١٥٨.
(٤) المرجع السابق ٨/١٥٨.
(٥) انظر: المرجع السابق ٨/١٥٨ ـ ١٥٩.
(٦) يعني: سائر ما في الحكاية.
(٧) هكذا في منهاج السُّنَّة، أما ما في منهاج الكرامة ـ كما مر ـ فهي هكذا: «على طلب قالع هذه الصخرة».
(٨) منهاج السُّنَّة ٨/١٥٩.
(٩) المرجع السابق ٨/١٥٩.

وإن لم يصدِّقه فكيف يعتقد في غيره أنه نبي مرسل بمجرد دلالته على ماءٍ تحت صخرة، أو يكون الدّير بُني على اسمه، وهم يبنون الدّيارات على أسماء خلق كثير ليسوا من الملائكة ولا الرسل؟!»[1].

ثم يشير بعد ذلك إلى كذب القول المنسوب إلى علي: (ولكني وصي رسول الله ﷺ) وأن علياً لم يَدَّعِ ذلك قط لا في خلافته، ولا في خلافة الثلاثة، ولا في ليالي صِفِّين.

ويدلل لذلك بواقع حال عليٍّ ﷺ حيث كانت له مع منازعيه مناظراتٌ ومقامات؛ فما ادعى ذلك قط، ولا ادعاه له أحد، وقد حَكَّم الحكمين، وأرسل ابن عباس لمناظرة الخوارج، فذكروا فضائله، وسوابقه، ومناقبه، ولم يذكر أحدٌ منهم أنه وَصِيُّ رسول الله ﷺ.

وختم تعقبه ذلك بأن هذا لو كان صحيحاً لتوفرت الهمم والدواعي على نقله، فلما كان الأمر كذلك عُلِمَ أنه من جملة ما افتراه الكاذبون[2].

وهكذا يثبت مخالفة تلك الحكاية للنقل والعقل.

○ المثال الثاني: ما جاء في حكاية الماء لما زاد في الكوفة فقد أورد ابن المطهر هذه القصة، وقد مرت الإشارة إليها، وهي قوله بتمامه: «أن الماء زاد في الكوفة، وخافوا الغرق، ففزعوا إلى أمير المؤمنين ﷺ فركب بغلة رسول الله ﷺ وخرج الناس معه، فنزل على شاطئ الفرات فصلى، ثم دعا، وضرب صفحة الماء بقضيب في يده، فغاض الماء، وسلم عليه كثير من الحيتان، ولم يَنْطِقِ الجِرِّيُّ والزمار، والمارمَاهي[3]، فسئل عن ذلك، فقال: أنطق الله لي ما طهر من السموك،

---

(١) منهاج السُّنَّة ٨/١٥٩.

(٢) انظر: المرجع السابق ٨/١٦٠.

(٣) في منهاج السُّنَّة ٨/١٩٩: «ولم ينطق الجِرِّي ولا المرماهي»: والجِرِّي: نوع من السمك، زعموا أنه كان أمة، ثم مُسخ. انظر: الحيوان للجاحظ تحقيق: عبد السلام هارون، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٤هـ ـ ١/٣٩٧، والحيوان للدميري، شركة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٥، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، ١/٥٧١.
والمرماهي، ويقال: **المارماهي**: هو سمك شبيه بالحيات، وليس بالحيات. انظر: الحيوان للجاحظ ٤/١٢٩.
وأما الزمار فيقول د. محمد رشاد سالم في حاشية منهاج السُّنَّة ٨/١٩٩: «وأما الزمار فلم أعرف ما هو، ولكني وجدت في «تاج العروس»: «والزمّير: كسكيت: نوع من السمك، له شوك ناتئ وسط ظهره، وله صخب وقت صيد الصياد إياه، وقبضه عليه. =

وأصمت ما حرمه، وأنجسه، وأبعده»[١].

وقد تعقبه ابن تيمية فبيَّن بطلان هذه القصة من ناحية سندها، **ثم ذكر مخالفة شرعية** احتوت عليها تلك الحكاية، وهي **تحريم ما أحله الله، حيث قال في** الوجه الرابع من أوجه تعقُّبه لابن المطهر: «الرابع: أن السمك كله مباح كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال في البحر: «**هو الطهور ماؤه، الحل ميتته**»[٢].

وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦].

وقد أجمع سلف الأمة على حِلِّ السمك كُلِّه، وعليٌّ مع سائر الصحابة يحلون هذه الأنواع؛ فكيف يقولون[٣]: (إن الله أنجسه).

ولكن الرافضة جهال؛ **يحرمون ما أحل الله** بمثل هذه الحكاية المكذوبة»[٤].

ثم يذكر وجهاً عقلياً يبطل ما زعموه في تلك الحكاية، **فيبيِّن أن نُطْقَ** السمك ليس مقدوراً له في العادة، فإذا نطقت كان ذلك من **خوارق العادات**؛ فالله هو الذي أنطق ما أنطق منها، وأسكت ما أسكته إن كان قد وقع؛ فأي ذنب لمن أسكته الله حتى يقال: هو نجس؟![٥].

ثم يتنزل معهم في المناقشة ويفترض جدلاً بأنه إذا قال قائل: بل الله أقدرها على ذلك؛ فامتنعت، **ويجيب عن ذلك بقوله**: «فيقال: إقداره لها على ذلك ـ لو وقع ـ إنما كان كرامة لعلي ﷺ.

والكرامة إنما تحصل بالنطق بالسلام عليه، لا بمجرد القدرة عليه مع الامتناع منه؛ فإذا لم يسلم عليه لم يكن في إقدارها ـ مع امتناعها ـ كرامةٌ له؛ بل فيه تحريم الطيبات على الناس؛ فإن لحمها طيب، وذلك من باب العقوبات»[٦].

ثم يورد في هذا السياق الآية الكريمة وهي قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾ [النساء].

= وأكثر ما يُصطاد في الأوحال، وأصول الأشجار في المياه العذبة»». اهـ.
وضبط الكلمة ـ كما في الأصل ـ هكذا: «والزِّمِّير: كسِكِّيت». انظر: تاج العروس ١١/ ٤٤٥.

(١) منهاج الكرامة ص١٧٣.

(٢) رواه مالك في الموطأ (٤٥)، ومن طريقة أصحاب السنن الأربعة: أبو داود (٣٨)، والترمذي (٦٩)، وقال: (هذا حسن صحيح)، والنسائي (٣٣٢)، وابن ماجه (٣٨٦).

(٣) يعني: الشيعة.

(٤) انظر: منهاج السُّنَّة ٨/ ١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٥) انظر: المرجع السابق ٨/ ٢٠٠.

(٦) المرجع السابق ٨/ ٢٠٠.

ثم يقول: «وقد قيل: إن تحريم ذلك كان من أخلاق اليهود، وما هو من إخوانهم الرافضة ببعيد»[١].

ثم يبيِّن بعد ذلك أن المقصود من تلك الكرامة المزعومة هو نضوب الماء؛ إذ الحاجة إليه قائمة، والكرامة - كما يقرر كثيراً - تكون **لحجة، أو حاجة**؛ فتسليم السمك ليس له حاجة، ولا كان هناك سبب يقتضي خرق العادة؛ لتقوية الإيمان.

ثم يذكر أن انفلاق البحر لموسى عليه السلام كان أعظم من نضوب الماء، ولم يسلم السمك على موسى.

ثم يقرر أن الواقع يشهد أنه لم يُعرف أن السمك سلم على أحد من الصحابة، والتابعين، وغيرهم.

ثم يختم بما يدل على عظم منزلة علي عنده، **فيقرر** أن مثل هذه الحكايات لا تدل على فضل علي رضي الله عنه فهو أجل قدراً من أن يُحتاج إلى إثبات فضائله بمثل هذه الحكايات التي تَعْلَمُ العقلاء أنها من المكذوبات[٢].

○ **المثال الثالث: حديث رد الشمس لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه**: وقد مرَّ الكلام عليه في الفصل الأول من هذا الباب عند الكلام على شروط قبول الكرامة عند ابن تيمية، ومر في المسألة الماضية من هذا المطلب.

وكان الكلام هناك دائراً حول إبطال ابن تيمية له من جهة صحته.

والذي يعني هٰهنا بيان مخالفته للنقل، والعقل، والواقع، فابن تيمية رحمه الله لما ساق حديث رد الشمس ليوشع بن نون عليه السلام أورد إشكالاً **قال فيه:** «فإن قيل: فهذه الأمة أفضل من بني إسرائيل؛ فإذا كانت رُدَّت ليوشع فما المانع أن ترد لفضلاء هذه الأمة؟»[٣].

ثم أجاب عن ذلك بقوله: «فيقال: يوشع لم تُرد له الشمس، ولكن تأخر غروبها؛ طُوّل له النهار.

وهذا قد لا يظهر للناس؛ فإن طولَ النهار، وقِصره لا يُدْرك.

---

(١) منهاج السُّنَّة ٨/ ٢٠١.
(٢) انظر: المرجع السابق ٨/ ٢٠١.
(٣) المرجع السابق ٨/ ١٦٩.

ونحن إنما علمنا وقوفها ليوشع بخبر النبي ﷺ»[(١)][(٢)].

ثم بيَّن إمكان ذلك بقوله: «وأيضاً لا مانع من طول ذلك؛ لو شاء الله لفعل ذلك.

لكن يوشع كان محتاجاً إلى ذلك؛ لأن القتال كان مُحَرَّماً عليه بعد غروب الشمس؛ لأجل ما حرَّم الله عليه من العمل ليلة السبت، ويوم السبت»[(٣)].

ثم بيَّن انتفاء حاجة أمة محمد ﷺ لمثل هذا الخارق، **فقال:** «وأما أمة محمد فلا حاجة لهم إلى ذلك، ولا منفعة لهم فيه؛ فإن الذي فاتته العصر إن كان مُفَرِّطاً لم يسقط ذنبه إلا بالتوبة، ومع التوبة لا يُحتاج إلى رد.

وإن لم يكن مُفرِّطاً ـ كالنائم، والناسي ـ فلا ملام عليه في الصلاة بعد الغروب.

وأيضاً فبنفس غروب الشمس خرج الوقت المضروب للصلاة؛ فالمصلي بعد ذلك لا يكون مصلياً في الوقت الشرعي، ولو عادت الشمس»[(٤)].

وهكذا يستمر في سوق الحجج النقلية، والعقلية التي يؤيد بها بطلان هذه القصة، فيبين أن «الأحكام بغروب الشمس حصلت بذلك الغروب، فالصائم يفطر، ولو عادت[(٥)] بعد ذلك لم يبطل صومه مع أن هذه الصورة لا تقع لأحد، ولا وقعت لأحد؛ فتقديرها[(٦)] تقدير ما لا وجود له.

---

(١) الحديث عن أحمد في المسند (٨٣١٥) قال: حدثنا أسود بن عامر، أخبرنا أبو بكر عن هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الشمس لم تُحبَسْ على بَشَرٍ إلا ليوشع لياليَ سار إلى بيت المقدس»**.
وإسناده صحيح على شرط البخاري، وأبو بكر ـ هو: ابن عياش ـ من رجاله، وباقي رجال الإسناد ثقات من رجال الشيخين، وهشام هو: ابن حسان الفردوسي.
وأخرج الخطيب البغدادي في تاريخه ٢٤/٢٥٠٧ من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه بهذا الإسناد.
وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، (١٠٦٩)، و(١٠٧٠) من طريقين عن الفضل بن سهل الأعرج عن أسود بن عامر به؛ **فقال في الرواية الأولى: (لم تحتبس)** وفي الثانية: **(لم تُرَد)**.
ويرجح رواية **(لم تحبس)** ما سلف عند أحمد برقم (٨٢٣٨) من طريق همام بن منبه عن أبي هريرة.

(٢) منهاج السُّنَّة ٨/ ١٦٩.

(٣) المرجع السابق ٨/ ١٦٩.

(٤) المرجع السابق ٨/ ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٥) يعني: الشمس.

(٦) يعني: تقدير وقوع مثل هذه الحادثة.

ولهذا لا يوجد الكلام على حكمٍ مثل هذا في كلام العلماء المُفَرِّعين[١]»[٢].

وأوضح أيضاً أن النبي ﷺ فاتته العصر يوم الخندق؛ فصلاها قضاءً هو وكثير من أصحابه، ولم يسألِ اللهَ رَدَّ الشمس؛ فهؤلاء الذين كانوا مع النبي ﷺ صلوا العصر بعد غروب الشمس، وليس عليٌّ بأفضلَ من النبي ﷺ فإذا صلاها هو[٣] وأصحابه معه بعد الغروب ـ فعليٌّ وأصحابه أولى بذلك؛ فإذا كانت الصلاة بعد الغروب لا تجزئ، أو ناقصةً تحتاج إلى رد الشمس ـ كان رسول الله ﷺ أولى برد الشمس، وإن كانت مجزئة فلا حاجة إلى ردها[٤].

ثم انتقل إلى ما يدل على بطلان تلك القصة من وجه آخر، ألا وهو أن مثل هذه القضية من **الأمور العظام الخارجة عن العادة**، التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها؛ فإذا لم ينقلها إلا الواحد أو الاثنان **عُلِم بيان كذبهم**[٥].

ثم يقارن بين تلك الحادثة، وحادثة انشقاق القمر، ويبيِّن أنها ـ أي: حادثة انشقاق القمر ـ كانت بالليل، وقت نوم الناس.

ومع هذا، فقد روى الصحابة هذا الحديث، وأُخرج في الصحاح والمسانيد من غير وجه، ونزله به القرآن؛ فكيف برد الشمس التي تكون بالنهار، ولا يشتهر ذلك، ولا ينقله أهل العلم نَقْلَ مثلِه؟![٦].

ثم يقرر حقيقة واقعية تاريخية، وهي أنه لا يُعْرف قطُّ أن الشمس رجعت بعد غروبها، وأنه لو وقع لكان ظهورُ ذلك أعظمَ من ظهور ما دُوْنَه ونَقْلِه؛ فكيف يُقْبَل[٧] وحديثه ليس له إسناد مشهور؟!

وهذا ـ كما يقول ـ يوجب العلم اليقيني بأنه كذب لم يقع.

ثم يبيِّن على سبيل التنزل أن الشمس إن كانت قد احتجبت بغيم، ثم ارتفع سحابها ـ فهذا من الأمور المعتادة، ولعلهم ظنوا أنها غربت، ثم كُشِفَ الغمام عنها.

وهذا ـ كما يقول ـ وإن كان قد وقع ففيه أن الله يبين له بقاء الوقت حتى يُصلى فيه، ومثل هذا يجري لكثير من الناس[٨].

---

(١) أي: الذين يفرعون الأحكام على الحوادث الواقعة، أو المفترضة.
(٢) منهاج السُّنَّة ٨/ ١٧٠.
(٣) يعني: النبي ﷺ.
(٤) انظر: منهاج السُّنَّة ٨/ ١٧٠.
(٥) انظر: المرجع السابق ٨/ ١٧١.
(٦) انظر: المرجع السابق ٨/ ١٧١ ـ ١٧٢.
(٧) يعني: كيف يُقْبَلُ حديثُ ردّ الشمس.
(٨) انظر: منهاج السُّنَّة ٨/ ١٧١ ـ ١٧٢.

وهكذا يبيِّن من خلال هذا الحديث مخالفة الشيعة للنقل، والعقل، والواقع، والتاريخ في ادعائهم الكرامات لعلي ﷺ.

○ **المثال الرابع: ما جاء في ادعائهم قَتل عليٍّ لكفار الجن:** وقد مرَّ إيراد هذه الكرامة المدعاة التي أوردها ابن المطهر، ومر إبطال ابن تيمية لها.

والمراد هٰهنا بيانه لمخالفتها للنقل، والعقل؛ فبعد أن أوضح ابن تيمية بطلانها من ناحية السند.

قال: «ومن هذا الجنس ما يروى أنه[1] قاتل الجن في بئر ذات العلم، وهو حديث موضوع عند أهل المعرفة.

وعليّ أجلُّ قدراً من أن تثبت الجن لقتاله، ولم يقاتل أحدٌ من الإنسِ الجنَّ؛ بل كان الجن المؤمنون يقاتلون الجن الكفار»[2].

ثم أورد حكاية تبيِّن ضعفَ عقول الشيعة في ادعائهم لعلي مثل هذه الدعاوى التي يرونها من قبيل الكرامات؛ **فقال:** «وكان من أهل العلم أبو البقاء خالد بن يوسف النابلسي رحمه الله سأله بعض الشيعة عن قتال عليٍّ الجنَّ، فقال: أنتم معشر الشيعة ليس لكم عقل!

أيما أفضل عندكم: عمر أو علي؟ فقالوا: بل علي.

فقال: إذا كان الجمهور يروون عن النبي ﷺ أنه قال لعمر: «**ما رآك الشيطان سالكاً فجّاً إلا سلَك فجّاً غير فجّك**»[3].

فإذا كان الشيطان يهرب من عمر، فكيف يقاتل عليّاً؟!»[4].

○ **المثال الخامس:** ما جاء في زعمهم أن عليّاً دعا على بغلة؛ فانقطع نسلها: **قال ابن تيمية** رحمه الله: «ومثل ما ينقله طائفة أنه كان في غزوة خيبر نصب علي بن أبي طالب يده؛ ليمر الجيش عليها، وأن البغلة مرت عليها، فقال: (قطع الله نَسْلَكِ) فانقطع نسلها»[5].

وبعد أن أورد هذه الحكاية، وبيَّن بطلانها من ناحية الثبوت، وأنها لم تنقل عن أحد من أهل العلم، وإنما نَقَل ذلك مَنْ هو معروف بالكذب، أو جاهل ـ **أوضح بطلانها** من خلال شهادة واقع الحال، **فقال:** «ولهذا كان هذا من الكذب الذي يقطع

---

(١) يعني: عليّاً ﷺ.
(٢) منهاج السُّنَّة ٨/ ١٦١ ـ ١٦٢.
(٣) انظر: صحيح البخاري (٣٤٨٠).
(٤) منهاج السُّنَّة ٨/ ١٦٢.
(٥) الجواب الصحيح ٦/ ٣٤١.

بكذبه علماء المسلمين، ويعلمون أنه تواتر نقيضُه، وأنه لم يكن في غزوة خيبر بغلةٌ واحدة، ولم يكن بالمدينة، ولا بمكة بغلةٌ إلا بغلته[١] التي أهداها له (المقوقس) النصراني ملك مصر والإسكندرية»[٢].

ثم بيَّن وقت الهدية، وأنه شاهد على كذب تلك الحكاية، **فقال:** «وإنما أهداها له بعد فتح خيبر لما كتب النبي ﷺ إلى ملوك الطوائف يدعوهم إلى الإسلام.

وهو إنما أرسل إلى ملوك الطوائف بعد الحديبية وخيبر لما رجع من خيبر، ويعلمون[٣] أن البغلة لم تزل مقطوعة النسل، لم يكن لها نسلٌ قط»[٤].

فهذه أمثلة يتبين من خلالها إثباته مخالفةَ الشيعة للنقل، والعقل؛ بل وشهادة التاريخ والواقع، وذلك فيما يروونه من كرامات مكذوبة على عليٍّ ﷺ.

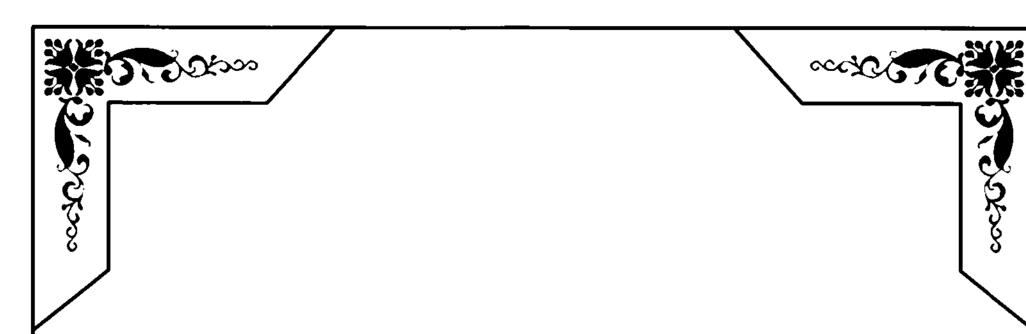
وهكذا يتبين في هذا المطلب موقف ابن تيمية من الشيعة في غلوهم في إثبات الكرامات؛ وذلك من خلال مناقشتهم في بيان الطرق التي يُعرف بها الكذب، وإيراده أسباب الكذب عندهم، ومناقشتهم في ثبوت الكرامات، وبيانه لمخالفتهم العقل والنقل في ذلك الباب.

وبنهاية هذا المطلب ينتهي الباب الثاني الذي دار حول موقف ابن تيمية من كرامات الأولياء والمخالفين فيها، وينتقل الحديث إلى الباب الثالث، وهو موقف ابن تيمية من الأحوال الشيطانية، والمتلبسين بها.



---

(١) يعني: النبي ﷺ.
(٢) الجواب الصحيح ٦/ ٣٤١، وانظر: منهاج السُّنَّة ٨/ ١٠٤.
(٣) يعني: أهل العلم.
(٤) الجواب الصحيح ٦/ ٣٤١ ـ ٣٤٢.



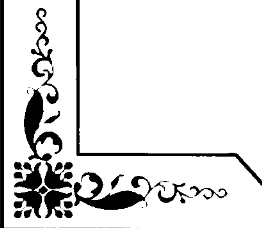
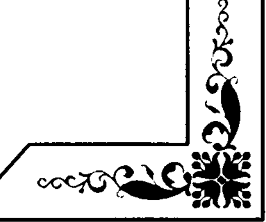
الباب الثالث

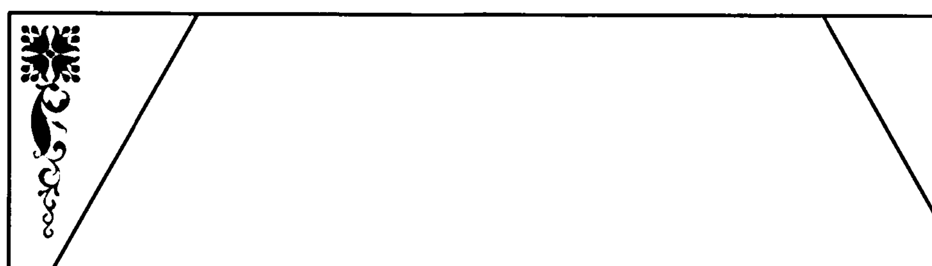
موقف ابن تيمية من الأحوال الشيطانية والمتلبسين بها

وفيه فصلان:

الفصل الأول: مفهومه للأحوال الشيطانية، وبيانه لأسباب ظهورها.

الفصل الثاني: موقفه من المتلبسين بالأحوال الشيطانية.



الفصل الأول

مفهومه للأحوال الشيطانية، وبيانه لأسباب ظهورها

وفيه مدخل، ومبحثان:

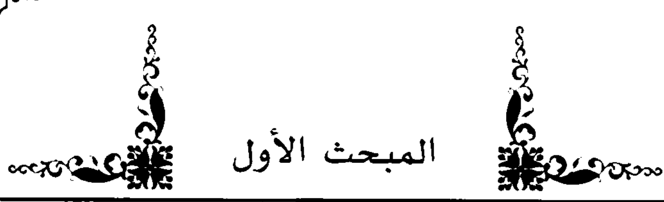
مدخل.

المبحث الأول: مفهومه للأحوال الشيطانية.

المبحث الثاني: بيانه لأسباب ظهور الأحوال الشيطانية.







المبحث الأول

مفهومه للأحوال الشيطانية

مدخل

الأحوال الشيطانية مصطلح يتكوّن من كلمتين: **(الأحوال)**، و**(الشيطانية)**.

والكلام في هذا المبحث سيدور حول مفهوم هذا المصطلح عند ابن تيمية.

وسيبدأ بمفهومه له باعتبار **مفرديه**؛ أي: ببيان مفهوم كلٍّ من كلمة **(الأحوال)** وكلمة **(الشيطانية)** على حدة.

ثم ينتقل الكلام إلى مفهوم هذا المصطلح عنده باعتبار **تركيبه**؛ أي: باعتبار تَكَوُّنه من كلمتين؛ بمدلول واحد؛ فالكلمة الأولى: وهي **(الأحوال)** وصفت بـ**(الشيطانية)**.

والوصف يُخَصِّص الكلام، ويجعل له مدلولاً يتميز به عن غيره كالتركيب.

ثم ينتقل الكلام إلى بيان الأسماء الأخرى لهذا المصطلح عند ابن تيمية، ثم إلى تفريقه بين الأحوال الشيطانية وبقية الخوارق؛ فإلى بيان ذلك من خلال المطلبين التاليين.



المطلب الأول

مفهومه لها باعتبار مفرديها، وتركيبها

المسألة الأولى: مفهومه لها باعتبار مفرديها

○ **أولاً: مفهومه لكلمة (الأحوال)** الأحوال: جمع: حال، وأصل المادة: حول.

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحاء، والواو، واللام: أصل واحد، وهو تحرك في دور»[١].

فهذه المادة في الأصل تدور حول: التحول عن حالةٍ، وتطلق على ما عليه الإنسان من خير، أو شر، وما يعتريه من تغيُّر في نفسه، وجسمه، وصفاته.

والحالُ تُذكَّر وتؤنث، يقال: حال، وحالة، وتجمع على: أحوال، وأَحْوِلة، ومن أَنَّثها جَمَعَهَا على: حالات.

والحالة: واحدةُ حالِ الإنسان، وأحواله.

ويطلق هذا اللفظ على الزمان الحاضر، وعلى المعاني التي لها وجود في الذهن.

ويطلق ـ أيضاً ـ على نهاية الماضي، وبداية المستقبل، وعلى الهيئة النفسية أولَ حدوثها، وعلى المعاني الراسخة الثابتة.

وبالجملة؛ فإن هذه المادة ـ في الأصل ـ من أوسع المواد، وتطلق على معانٍ كثيرة جداً[٢].

ثم إن لهذه المادة **اصطلاحاً ومدلولاً عند أهل التصوف**، ومن لهم عناية بأعمال القلوب.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٢/١٢١.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢/١٢١، ولسان العرب ١١/١٨٤ ـ ١٩٦، والتعريفات للجرجاني ص٨١، والكليات للكفوي، ص٥٧، و٣٦٠، و٣٦١، و٣٧٤، و٧٥٣.

قال الجرجاني: «والحال عند أهل الحق[١] معنىً يَرِدُ على القلب من غير تَصَنُّعٍ، ولا اجتلاب، ولا اكتساب؛ مِنْ طربٍ، أو حزنٍ، أو قَبْضٍ، أو بسط، أو هيئة.

ويزول بظهور صفات النفس سواء يعقبه المثل، أوْ لا»[٢].

إلى أن يقول: «فإن دام وصار مَلَكاً[٣] يسمى مقاماً؛ فالأحوال مواهب، والمقامات مكاسب»[٤].

وقيل: الحال: هو ما يتحول به العبد، ويتغير؛ فإذا صفا تارة، وتغير أخرى قيل له: حال[٥].

وقيل: الأحوال كاسمها؛ يعني: أنها كما تحل بالقلب تزول[٦].

فهذا هو مفهوم لفظ (**الأحوال**) من حيث الأصل اللغوي، وعند أرباب السلوك، ومن لهم عناية بأعمال القلوب.

هذا، وإن ذلك المصطلح (**الأحوال**) يَرِدُ عند شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في بعض رسائله خصوصاً ما يتعلق منها بأعمال القلوب، فتراه يذكر **الأحوال**، والمقامات، وما جرى مجرى ذلك؛ فهو لا يرى أن هناك مشاحةً في الاصطلاح طالما أنه لا يخالف الشرع؛ **لذا** فقد ارتضى هذا المصطلح، وأورده في كتبه، مع ملاحظة أنه يريد من خلاله معانيَ شرعيةً صحيحةً.

يقول رَحِمَهُ اللهُ في مقدمة رسالته (التحفة العراقية في الأعمال القلبية): «فهذه كلمات مختصرة في أعمال القلوب، التي تسمى المقامات، **والأحوال**»[٧].

وهو يقصد من ذلك: **الأحوال الإيمانية الشرعية**.

ومما يعضد ذلك **قوله** بعد الكلام السابق مباشرة **مبيِّناً** أهمية أعمال القلوب التي تسمى ـ كما يقول ـ: المقامات أو **الأحوال ذاكراً** أهم أنواعها: «هي من أصول الإيمان، وقواعد الدين، مثل محبة الله، ورسوله، والتوكل على الله، وإخلاص الدين له، والشكر له، والصبر على حكمه، والخوف منه، والرجاء له، وما يتبع ذلك»[٨].

---

(١) يعني: أرباب السلوك، والتصوف.
(٢) التعريفات ص٨١.
(٣) يعني: مَلَكَةً، وهيئةً راسخة.
(٤) التعريفات ص٨١.
(٥) انظر: إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، دار القلم، بيروت، ١٦/٥.
(٦) انظر: الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري، تحقيق: عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، مطبعة حسان، ٢٠٦/١.
(٧) التحفة العراقية في الأعمال القلبية ص٢٨٩.
(٨) المرجع السابق ص٢٨٩.

ثم **فَصَّلَ** الكلام في ذلك، وربطه بنصوص الكتاب، والسُّنَّة، وآثار السلف الصالح، **وبيَّن** من خلال ذلك أن **الحال**: ما يحل بالقلب من الصبر، والرضا، والتوبة، والحب، والخوف، والرجاء، وغيرها من أحوال القلوب التي تحول بين العبد وبين ما يخالفها من الأمور المحرمة، أو المكروهة؛ فالصبر يحول بين العبد والجزع، والتوبة تحول بين العبد والمعصية، والرضا يحول بين العبد والسخط، وهكذا؛ لأن العبد لا بد له من حال: إما محمودة، أو مذمومة؛ إذ لا يمكن أن يكون فارغاً؛ فبهذا يحصل عنده التوافق بين المعنى الاصطلاحي، وبين ما ورد في الشرع[(١)(٢)].

فهذه أحوال إيمانية رحمانية، ويقابلها أحوال شيطانية.

ثم إن ابن تيمية يرى أن **الأحوال الإيمانية** درجات، وأنها تنال بأعمال صالحة.

ومن أمثلة ذلك **قوله** حاثّاً على قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله) لمن ابتلي ببلاء العشق ونحوه؛ مبيِّناً فضلها: «وليكن هِجِّيراه: (لا حول ولا قوة إلا بالله) فإنها بها تحمل الأثقال، وتكابد الأهوال، **وينال رفيع الأحوال**»[(٣)].

فقوله: (وينال رفيع الأحوال): يوحي بأن الأحوال درجاتٌ يُتَوَصَّل إليها بالعمل الصالح، ويعني **بالأحوال** هٰهنا: الأحوال الإيمانية.

---

(١) انظر: مقدمة تحقيق التحفة العراقية ص٨١.

(٢) هذا وقد ارتضى تلميذه ابن القيم هذه التسمية فقال: «والصحيح في هذا ـ أي: المقامات والأحوال ـ أن الواردات والمنازلات لها أسماء باعتبار أحوالها؛ فتكون لوامع، وبوارق، ولوائح، عند أول ظهورها وبُدُوِّها، كما يلمع البارق ويلوح عن بعد، فإذا نَازَلَتْه ـ أي: القلب ـ وباشرها فهي أحوال، فإذا تمكنت منه وثبتت له من غير انتقال فهي مقامات، وهي لوامع، ولوائح في أولها، وأحوال في أوسطها، ومقامات في نهايتها؛ فالذي كان بارقاً هو بعينه الحال، والذي كان حالاً هو بعينه المقام.
وقد ينسلخ السالك من مقامه كما ينسلخ من الثوب، وينزل إلى ما دونه، ثم قد يعود إليه، وقد لا يعود.
ومن المقامات: ما يكون جامعاً لمقامين، ومنها ما يكون جامعاً لأكثر من ذلك، ومنها ما يندرج فيه جميع المقامات؛ فلا يستحق صاحبه اسمه إلا عند استجماع جميع المقامات فيه، فالتوبة جامعة لمقام المحاسبة، ومقام الخوف؛ لا يتصور وجوده بدونها».
إلى أن يقول رحمه الله: «ومقام الشكر جامع لجميع مقامات الإيمان، ولذلك كان أرفعها وأعلاها». مدارج السالكين لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الفكر ١/ ١٣٥ ـ ١٣٧، وانظر: مقدمة التحفة العراقية ص٨٣ ـ ٨٤.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١٠/ ١٣٧.

وقال في موضع آخر في معرض كلام له عن السماع الشرعي: «والمقصود هنا: أن المقاصد المطلوبة[١] للمريدين تحصل بالسماع الإيماني القرآني النبوي الديني الشرعي الذي هو سماع النبيين، وسماع العالِمين، وسماع العارفين، وسماع المؤمنين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم][٢].

ثم ساق الآيات، والأحاديث، والآثار التي تضمنت الثناء على هذا النوع من السماع، **وقال** بعد ذلك مبيِّناً ما لذلك السماع من الآثار الحميدة، ومنها **الأحوال الإيمانية قال**: «ولهذا السماع من المواجيد العظيمة، والأذواق الكريمة، ومزيد المعارف **والأحوال الجسيمة** ما لا يسعه خطاب، ولا يحويه كتاب»[٣].

وقرر في مقابل ذلك ما يورثه السماع المحرم البدعي من الأحوال الوخيمة، **فقال**: «ويُنْتج لهم ذلك من **الأحوال** بحسبه، كما تنتج لعباد المشركين وأهل الكتاب عباداتهم بحسبها»[٤].

والشاهد من ذلك أنه يرى أن **الأحوال** التي تَحُلُّ بالقلوب هي بحسب ما يُمدّها من خير أو شر.

وهذا ما يؤكد عليه في مواضع عدة، كما في ردِّه على الشاذلي، حيث **يقول**: «ولهذا لا يوجد أحدٌ خرج في العبادات عن الطريق الشرعية إلا أوجب له ذلك **أحوالاً** فاسدة بحسب خروجه؛ فإن **الأحوال** النفسانية، والشيطانية نتيجة الخروج عن متابعة الرسل، كما أن **الأحوال** الرحمانية نتيجة اتِّباعهم»[٥].

إلى أن يقول: «والأحوال نتائج الأعمال...»[٦].

وقال في موضع آخر: «والأحوال ثلاثة: رحماني، ونفساني، وشيطاني؛ فالرحماني: ما وافق الكتاب والسُّنَّة.

وما خرج عنهما فمن النفس، والشيطان، والله ورسوله بريئان منه، وإن كان

---

(١) يعني: ما يُطلب بها صلاح القلوب، وزيادة الإيمان.

(٢) التحفة العراقية ص٤٣٨.

(٣) المرجع السابق ص٤٤٣.

(٤) المرجع السابق ص٤٣٣، وانظر: الاستقامة ٢/١٤٧ ـ ١٤٨.

(٥) الرد على الشاذلي ص١٧.

(٦) المرجع السابق ص١٧.

واقعاً بالقدر»[١].

وبهذا يتبين معنى كلمة (**أحوال**) عند ابن تيمية بمفردها.

○ **ثانياً: مفهومه لكلمة (الشيطانية)**: كلمة (**الشيطانية**) نسبة إلى الشيطان، والشيطان مأخوذ إما من مادة (شطن)، وهي ـ كما يقول ابن فارس ـ: «أصل مُطَّرد يدل على البعد، يقال: شَطَّت الدار، إذا غربت، ونوىً شطون: أي: بعيدة»[٢].

أو من مادة (شيط)، وهي ـ كما يقول ابن فارس ـ: «أصل يدل على ذهاب الشيء إما احتراقاً، وإما غير ذلك، فالشيط من شاط الشيء، إذا احترق، يقال: شيّطت اللحم، ويقولون: شيَّطه: إذا دخَّنه ولم يُنْضِجْه، والأول أصح، وأقيس.

ومن المشتق من هذا: استشاط الرجل، إذا احتد غضبه، ويقولون: ناقة شياط، وهي التي يطير فيها السِّمن.

ومن الباب الشيطان»[٣].

فالشيطان ـ إذاً ـ إما من شطن بمعنى: بَعُدَ، أو من شَيَط بمعنى: ذهب، أو احترق.

فهذا ـ إذاً ـ هو مفهوم كلمة (الشيطانية) في أصلها الوضعي اللغوي.

وهو قريب مما **يقرره ابن تيمية** في مفهوم هذه الكلمة، وإن كان أكثر توسعاً، وربطاً لها بنصوص الشرع، وجمعاً بين الأقوال في مفهومها، وتقويةً لما يراه صحيحاً منها.

وأَجْمَعُ موضعٍ تكلم فيه على مفهوم هذه الكلمة ومدلولها **ما أورده في** «منهاج السُّنَّة النبوية» حيثُ **بيَّن** معنى كلمة (**الشيطان**) عند العرب، **وأَوْضَح** الأقوال في اشتقاقها الأصلي، **وذكر** الشواهد على ذلك، **ورجح** ما رآه صواباً في هذه المسألة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض كلام له عن الوسواس في النفس، وأنه يكون من الشيطان تارة، ومن النفس تارة، وذَكَر النصوصَ الواردةَ في ذلك، وأقوالَ العلماء فيه[٤]، وأن الشيطان يكون من الإنس، ومن الجن، **قال بعد ذلك مبيِّناً معنى الشيطان**: «قال الخليل بن أحمد: (كل متمرد عند العرب شيطان[٥])[٦]».

---

(١) الرد على الشاذلي ص١٢١.
(٢) معجم مقاييس اللغة ٤/ ١٨٤.
(٣) المرجع السابق ٤/ ٢٣٥.
(٤) انظر: منهاج السُّنَّة ٥/ ١٨٦ ـ ١٩٩.
(٥) انظر: العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠ ـ ١٩٨٥م، ٦/ ٢٣٧.
(٦) منهاج السُّنَّة ٥/ ١٨٩.

ثم بيَّن أن لهذا اللفظ اشتقاقين، وذكر الأول منهما، ورجحه، **فقال:** «وفي اشتقاقه قولان: أصحهما أنه من (شطن يَشْطُن) إذا بعد عن الخير، والنون أصليةٌ»[١].

ثم أورد على ذلك شاهدين من شعر العرب، **فقال:** «قال أمية بن أبي الصلت في صفة سليمان ﷺ:

أيـمـا شـاطـنٍ عـصـاه عَـكَـاه ... ثـم يُـلقى في السـجن والأغلال[٢]

عكاه: أوثقه.

وقال النابغة الذبياني:

نـأت بـسـعـادَ عـنـك نـوىً شـطـونُ ... فـبـاتـت والـفـؤاد بـهـا رهـيـن[٣]»[٤]

ثم ذكر بعد ذلك ما يؤيد أنه مشتق من (شطن) **فقال:** «ولهذا قرنت به اللعنة؛ فإن اللعنة هي البعد من الخيرِ، والشيطان بعيد من الخير»[٥].

ثم بيَّن وزنه الصرفي؛ بناءً على ذلك **بقوله:** «فيكون وزنه (**فيعالاً**).

و(فيعالُ) نظير فعَّال، وهو من صفات المبالغة مثل: القيَّام، والقوَّام؛ فالقَيَّام: فيعال، والقوام: فعَّال.

ومثل: العيَّاذ، والعواذ»[٦].

إلى ان قال مؤكداً ترجيح اشتقاق الشيطان من (شطن): «فالشيطان: المُتَّصفُ بصفة ثابتة قوية في كثرة البعد عن الخير؛ بخلاف مَنْ بَعُدَ عنه مرة، وقَرُب منه أخرى؛ فإنه لا يكون شيطاناً.

ومما يدل على ذلك قولهم: تشيطن يتشيطن **شيطنة**»[٧].

ثم ذكر القول الثاني، وهو أنه من شاط يشيط.

فقال: «ولو كان من شاط يشيط لقيل: تشيَّط، يتشيَّط.

والذي قال: هو من شاط يشيط: إذا احترق، والتهب ـ جعل النون زائدة، وقال: وزنه فعلان كما قال الشاعر:

---

(١) منهاج السُّنَّة ٥/ ١٨٩.

(٢) ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق: د. عبد الحفيظ السلطي، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٧٤م، ص٤٤٥، وفيه: ثم يلقى في السجن والأكبال.

(٣) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦م، ص١٢٦.

(٤) منهاج السُّنَّة ٥/ ١٨٩.

(٥) المرجع السابق ٥/ ١٨٩.

(٦) المرجع السابق ٥/ ١٨٩.

(٧) المرجع السابق ٥/ ١٨٩ ـ ١٩٠.

. . . . **وقد يشيط على أرماحنا البطل**[(١)]

وهذا يصح في الاشتقاق الأكبر الذي يعتبر فيه الاشتقاق من جنس الحروف»[(٢)].

ثم ضرب أمثلة لألفاظ يقع فيها مثل ذلك، كلفظ (يتسنه) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

قال ابن تيمية: «وهذه الهاء تحتمل أن تكون أصلية؛ فَجُزِمَتْ بلم، ويكون من (سانهت).

ويحتمل أن تكون هاء السكت كالهاء من (كتابيه)، و(حسابيه)، و(اقتده)، و(ماليه)، و(سلطانيه)»[(٣)].

ثم قال بعد ذلك: «والمقصود أن اللفظين إذا اشتركا في أكثر الحروف، وتفاوتا في بعضها ـ قيل: أحدهما مشتق من الآخر، وهو الاشتقاق الأكبر.

والأوسطُ أن يشتركا في الحروف لا في ترتيبها كقولَ الكوفَيين: (الاسم مشتق من السمة) والاشتقاقُ الأصغرُ الخاصُّ: الاشتراك في الحروف، وترتيبها، وهو المشهور؛ كقولك: عَلِمَ يعلم، فهو عالم»[(٤)].

ثم يصل إلى نتيجة ما مضى، **فيقرر**؛ بناءً عليه **قائلاً:** «وعلى هذا فالشيطان: مشتق من (شطن)[(٥)].

وعلى الاشتقاق الأكبر[(٦)] هو من باب: (شاط يشيط) لأنهما اشتركا في الشينِ والطاءِ، والنونُ والياءُ: متقاربان[(٧)]»[(٨)].

فهذا ـ إذاً ـ هو مفهوم كلمة (شيطان) عند ابن تيمية في أصلها، واشتقاقها.

---

(١) البيت للأعشى، وصدره:

قد نخضب العَيْر في مكنون فَائِلِهِ.

انظر: ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق: د. محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٤م، ص١١٣.

(٢) منهاج السُّنَّة ٥/ ١٩٠.

(٣) المرجع السابق ٥/ ١٩٠ ـ ١٩١.

(٤) المرجع السابق ٥/ ١٩٢.

(٥) يعني: على الاشتقاق الأصغر المشهور، وهو الاشتراك في الحروف، وترتيبها مثل: علم يعلم، وسلم يسلم.

(٦) الذي هو الاشتراك في أكثر الحروف.

(٧) يعني: في المخرج.

(٨) منهاج السُّنَّة ٥/ ١٩٣.

وبذلك يتبين معنى مفهوم كلمة **الأحوال الشيطانية** عنده **باعتبار مفرديها**، وينتقل الكلام بعد ذلك إلى مفهومها لها **باعتبار تركيبها**.

المسألة الثانية: مفهومها لها باعتبار تركيبها

الأحوال الشيطانية اسمُ عَلَمٍ على مدلول معين يُبْحث في موضوع خوارق العادات.

ولكلٍّ من كلمتي هذا المصطلح مفهوم؛ فإذا رُكِّبتا بالوصفية تخصصت دلالته، وصار له معنىً اصطلاحيٌّ خاصٌ به.

والتعريف المحدد لهذا المصطلح يختلف باختلاف النظرة إليه؛ فلا جرم أن تباينت آراء الطوائف في تعريفهم له.

والذي يعني هٰهنا تحديدُ مفهوم ذلك المصطلح عند ابن تيمية، والوقوفُ على ما يمكن أن يكون تعريفاً منه **للأحوال الشيطانية**.

وكما أن الناظر، والباحث في آثار ابن تيمية التي تناولت موضوع الخوارق عموماً[1] لا يمكنه الوقوف على تعريف مُحَدَّد للمعجزات والكرامات؛ بحيث يقال: إن هذا هو تعريف ابن تيمية لهذه أو تلك ـ فكذلك الشأن في باب **الأحوال الشيطانية**؛ إذ لم يصرح بذلك؛ فيذكُر تعريفاً جامعاً مانعاً لها؛ خلافاً لما عليه الحال في كثير من المصطلحات التي ترد في كتبه؛ بحيث يضع لها تعريفاً جامعاً مانعاً.

وقصارى ما يمكن الباحث أن يقف عليه من ذلك أن ينظر في النقول الواردة عنه في شأن **الأحوال الشيطانية**، والتي اشتملت على مجموع آرائه فيها، وذلك من جراء نقده لتعريف بعض الطوائف لها، أو على ذكره لبعض القيود والشروط التي يرى أن حدَّها لا ينضبط إلا باجتماعها.

ومن خلال ذلك يمكن أن يُستخلص تعريفٌ يجمع القيودَ، والشروطَ التي تفرقت في غضون كلامه حول مفهوم **الأحوال الشيطانية**، ويقالَ: هذا هو تعريف ابن تيمية لها.

وقبل ذلك يحسن الاستئناس بشيء مما مضى ذِكْرُه في المسألة الماضية من بيان مفهومه **للأحوال الشيطانية** باعتبار مفرديها؛ فهو يرى أن الأحوال ما يحل بالقلب من أعمال، ومن آثار الأعمال.

---

(١) ككتاب النبوات، والجواب الصحيح، والفرقان.

ويرى أن تلك الآثار تَنْتِج من الأحوال بحسب الأعمال، وما تُمِدُّه من خير أو شر؛ فإن كانت أعمالاً حسنة جارية على مقتضى الشرع ـ أنتجت أحوالاً طيبة مَرْضِيَّة.

وإن كانت أعمالاً سيئة مخالفة للشرع أنتجت أحوالاً خبيثة قبيحة مردودة.

ويرى أن الأحوال درجات في الخير، ودركات في الشر.

وهي بحسب حسنها تكون **أحوالاً رحمانية**، وبحسب قبحها تكون **أحوالاً شيطانية**[1].

كما أن كلمة (**الشيطانية**) عنده تدور حول معانٍ أبرزُها كثرةُ البعدِ عن الخير.

وفي ذلك إشارةٌ يُقْصَد بها ـ في الجملة ـ الأعمالُ المبعدةُ عن الخير، الجالبةُ للشر.

ولا ريب أن ذلك من أجلى ما تَتَّصف به **الأحوال الشيطانية**.

وهذا مما يفتح الباب للوقوف على مفهوم (**الأحوال الشيطانية**) عنده باعتبار تركيبها، وكونِها مَرْتبةً من مراتب الخوارق عنده.

وإذا أضيف إلى ذلك إيرادٌ لبعض آرائه من خلال بعض آثاره في هذا السياق مما فسر به ذلك المصطلح ببعض شروطه، أو أفراده، أو مما انتقده على من فسره تفسيراً خاطئاً، ونحو ذلك مما هو **كالمعالم العامة لذلك المصطلح** ـ أمكن الوصول إلى تعريفٍ محددٍ يَصِحُّ أن يقال: **هذا هو تعريف ابن تيمية للأحوال الشيطانية**؛ فإلى بيان ذلك من خلال ما يلي:

○ **أولاً: إدخاله الأحوال الشيطانية ضمن الخوارق، وبيانه لمن تجري لهم:**
وفي ذلك إشارةٌ إلى أن الحال الشيطاني لا بد أن يشتمل على **خارقٍ**، وإيضاحٌ لأحوال المتلبسين به.

يقول رَحِمَهُ اللهُ مبيِّناً مراتب الخوارق: «فيقال: المراتب ثلاثة[2]: آيات الأنبياء، ثم كرامات الصالحين، **ثم خوارق الكفار والفجار**؛ كالسحرة، والكهان، وما يحصل لبعض المشركين، وأهل الكتاب، والضُّلال من المسلمين»[3].

ويعني بالثالثة وهي من **قوله**: «**ثم خوارق الكفار...**»: **الأحوال الشيطانية**؛ لأن من أسمائها ـ كما سيأتي في المسألة التالية ـ **خوارق الكفار**.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١٠/١٣٧، والتحفة العراقية ٤٣٨ ـ ٤٤٣، والاستقامة ٢/١٤٧ ـ ١٤٨.

(٢) هكذا في الأصل، والصواب: (ثلاث). (٣) النبوات ١/١٤١.

وقال في «الفرقان» في معرض كلام له عمن يغترون بمكاشفات بعض الكفار والمشركين، وخوارقهم: «وكرامات أولياء الله ـ تعالى ـ أعظم من هذه الأمور.

وهذه الأمور **الخارقة للعادة** وإن كان قد يكون صاحبها وليّاً لله فقد يكون عدوّاً لله؛ فإن هذه **الخوارق** تكون لكثير من الكفار، والمشركين، وأهل الكتاب، والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين»[١].

فهو ـ إذاً ـ يرى أن الأحوال الشيطانية من ضمن خوارق العادات، وأنها تكون لكثير من الكفار، والمشركين، والسحرة، ونحوهم.

○ **ثانياً: تقريره أن الخوارق ليست جنساً واحداً وأن الأحوالَ الشيطانيةَ أدناها:** فهو يرى أن لفظ الخوارق لا ينضبط إلا إذا خصص بوصف أو إضافة؛ فبذلك يتميز كل خارق عن غيره؛ لذا فهو يرى أن الأحوال الشيطانية ـ وإن كانت داخلة ضمن الخوارق ـ أدنى درجات الخوارق؛ لأن المعجزاتِ خارقةٌ لعادة جميع الثقلين عدا الأنبياء، والكراماتِ خارقة لعادة غير الأولياء والأنبياء.

أما الأحوال الشيطانية فلا تصل إلى هذا؛ فالكهانة، والسحر ـ وهي من الأحوال الشيطانية ـ معتادة للكهان، والسحرة، وهي **خارق** بالنسبة **إلى غيرهم**، كما أن ما يعرفه أهل الطب، والنجوم، والفقه، والنحو هو معتاد لنظرائهم، وهو خارق بالنسبة إلى غيرهم.

ومن ادعى النبوة، وأخبر بغيوب من جنس أخبار الكهان كان ما أخبر به **خرقاً للعادة** عند أولئك القوم، لكن ليس **خرقاً لعادة** جنسه من الكهان.

وهكذا يقرر أن **الخوارق ليست جنساً واحداً**، وأن **جنس الخارق في الأحوال الشيطانية ليس كجنس الخارق في المعجزات، ولا الكرامات**[٢].

○ **ثالثاً: تقريره أن الأحوال الشيطانية مقدورة للثقلين:** فهو يرى أن ما يأتي به السحرة، والكهان، والمشركون، وأهل البدع من أهل الملل ـ لا يَخْرُج عن كونه مقدوراً للإنس والجن[٣].

○ **رابعاً: تقريره أن الأحوال الشيطانية يمكن معارضتها بمثلها أو أقوى منها**[٤].

---

(١) الفرقان ص١٦٩.

(٢) انظر: النبوات ١/ ١٦٤ ـ ١٦٥، ومجموع الفتاوى ١١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

(٣) انظر: النبوات ٢/ ١٠٨١، وانظر: ١/ ٥٢٥، و٥٤٦، و٥٨٨، و٢/ ٩٩١.

(٤) انظر: المرجع السابق ١/ ١٩٥، و٣١٥ ـ ٣١٧، و٤٨٥ ـ ٤٩٠، و٥٥٩، و٢/ ١٠٨١ ـ ١٠٨٢، ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ٩٢، والجواب الصحيح ٥/ ٤١٠.

○ **خامساً: تقريره أن خرق العادة في الأحوال الشيطانية لا يراد به الإكرام**: إذ إن خرق العادة لا يستلزم الإكرام بكل حال؛ إذ قد تخرق العادة بالإهانة تارة، وبالإكرام تارة.

والأحوال الشيطانية لا يراد بها الإكرام، وإنما يراد بها الإهانة[1].

○ **سادساً: تقريره أن الأحوال الشيطانية سببها الشرك، والظلم، والفاحشة ونحو ذلك**: فلا تتأتى إلا مع نوع فساد في الحس، والعقل، ومخالفة للشريعة[2].

فهذه ـ على سبيل الإجمال ـ أبرز المعالم التي قرَّرها ابن تيمية في باب **الأحوال الشيطانية**، وسيأتي تفصيل لها في باقي مباحث هذا الباب؛ إذ هو يدور عليها في بحثه لهذا الخارق.

ومن خلال ما مضى يمكن أن يقال: إن تعريف الأحوال الشيطانية عند ابن تيمية أنها: **أمورٌ مخالفةٌ للشرع، خارقةٌ لعادة غير أهلها، ويمكن معارضتها بمثلها، أو أقوى منها.**

والمقصود بقول: «أمور»: أنها من جملة ما يدخل في عموم قضاء الله الكوني القدري؛ فلا تَخْرُج عن قدرة الله الشاملة، ومشيئته النافذة.

والمقصود بقول: «مخالفة للشرع»؛ أي: لشرع الأنبياء ﷺ وفيه أن سببها الإعراض عن الشرع، والمخالفة له، وما يندرج تحت ذلك.

وقيل: «مخالفة»، ولم يُقَلْ «على يد مخالفين» لأنها ربما جرت لبعضهم دون علمه، كما يقع لبعض ضُلَّال العباد، وربما جرت على أيدي بعضهم بعلمه وتَعَمُّدِه للشرِّ، والمحادةِ للشرع، كما يقع للسحرة والكهان، ومدعي النبوة، ونحوهم.

ولم يُقَلْ «تجري لمحادِّين، أو محادِّين للشرع» لأن الخارق قد يقع لجاهل، أو متأول يظنها كراماتٍ رحمانيةً، ولا يعلم أنها أحوال شيطانية.

وقد يقع لمعاند، أو محادٍّ؛ فلفظ: **المخالفة** شامل لذلك كله، بغض النظر عن كون المخالف في ذلك جاهلاً، أو عالماً، أو متعمداً، أو محادّاً، أو معارضاً.

والمقصود بقول: «خارقة لعادة غير أهلها»: أنها ليست كالمعجزات من جهة كونها خارقةً لجميع الثقلين ما عدا الأنبياء، ولا كالكرامات من جهة كونها خارقةً لعادة غير الأولياء، والأنبياء.

---

(١) انظر: النبوات ١/ ٥٩٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢/١٠١٦، و١٠٩٦.

بل هي خارقة لجنس السحرة، والكهان، ونحوهم فحسب.

والمقصود بقول: «ويمكن معارضتها بمثلها أو أقوى منها»: أنها ليست كالمعجزات، أو الكرامات من جهة سلامتها من المعارضة بمثلها أو أقوى منها؛ إذ الأحوال الشيطانية يمكن معارضتها، وإبطالها بمثلها، أو أقوى منها؛ فهي من مقدور الجن والإنس، وذلك كما في صنيع سحرة فرعون؛ لذا أبطلها موسى عليه السلام لما ألقى عصاه.

ولم يستطيعوا هم معارضته؛ لأن ما جاء به ليس من مقدورهم[١].

فهذا هو التعريف الذي يمكن أن يقال: **إنه التعريف الذي يجمع القيود والضوابط التي يراها ابن تيمية شروطاً تَصْدُق على مسمى الأحوال الشيطانية**، والله أعلم.

وشأنه في ذلك شأنه في المعجزات، والكرامات؛ حيث يميز بعضها عن بعض، ولا يجعلها ملتبسةً مشكلة[٢].



---

(١) انظر: النبوات ١/ ١٧٠، وانظر: مجموع الفتاوى ١١/٢٨٦، فقد ذكر فيه نماذج لأحوال شيطانية تبطل بمجرد قراءة آية الكرسي، وانظر: الفرقان ص١٧٠ ـ ١٧١.

(٢) سيأتي مزيد تفصيل، وشرح لذلك في باقي مباحث هذا الفصل.

المطلب الثاني

أسماؤها عنده

الأحوال الشيطانية اسم عَلَم على مصطلح له مفهومه، ومدلوله الخاص بوصفه نوعاً من أنواع خوارق العادات.

ولهذا المصطلح عند ابن تيمية أسماء ترادفه، وألقاب تدل عليه، ويعبر بها عنه.

ولقد كان ﷺ يراوح في استعماله لها، فبعضها يذكرها بكثرة، وبعضها بقلة، وكان يراعي في ذلك سياقَ الكلامِ، ونسقه؛ فيختار من هذه التسميات ما يراه مناسباً.

وفيما يلي بيان لتلك الأسماء، واستعماله لها:

١ ـ **الأحوال الشيطانية**: هكذا بذكر (**الأحوال**) ووصفها بـ: (**الشيطانية**) نسبة إلى الشيطان، وهذا الاسم هو الأبرز عنده، والأكثر استعمالاً لديه.

وهو مما اصْطُلِح على تسمية هذا الخارق باسمه؛ فهو أشهرها، وأكثرها سيرورةً عنده.

وقد مرت الإشارة إليه مراراً في البابين الأولين، وفي المسائل الماضية.

ومن الأمثلة على إيراده لهذا الاسم **ما قاله** في معرض كلام له حول الكرامات، وأنها تكون بحسب حاجة الرجل، ومن يجري على يديه الخوارق لهداية الخلق.

قال: «بخلاف **الأحوال الشيطانية** مثل حال عبد الله بن صياد الذي ظهر في عهد النبي ﷺ»[١].

وقال في الفرقان: «وبين كرامات الأولياء، وبين ما يشبهها من **الأحوال الشيطانية** فروق متعددة»[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٢٨٣.

(٢) الفرقان ص٣٢٧ ـ ٣٢٨.

وقال: «وهذه **الأحوال الشيطانية** تحصل لمن خرج عن الكتاب والسُّنَّة»[١].

وبالجملة؛ فإن هذه التسمية هي الأظهر، والأشهر، والأَسْيَر عند ابن تيمية[٢].

٢ ـ **أحوال الشياطين**: هكذا بإضافة كلمة (**أحوال**) مجموعةً منكرةً إلى (**الشياطين**).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفرقان» في معرض كلام له عن بعض ما يحصل للجهال من الخوارق، فيظنها كرامة.

قال: «ويظن بعض الجهال أن هذه من كرامات أولياء الله المتقين، وهو من **أحوال الشياطين**»[٣].

٣ ـ **أحوال شيطانية**: هكذا بتنكير كلمة (أحوال) مجموعةً، ووصفها بـ: (**شيطانية**).

وهي من استعمالاته القليلة لهذه التسمية، كما **في قوله** في معرض كلام له عن السماع البدعي، وبعض ما يجري لأصحابه من المخالفات الشرعية، وهم يظنون أن ذلك من قبيل الكرامات، **قال:** «فهذه **أحوال شيطانية**، وهو ممن يتناوله قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف]»[٤].

وقال في موضع آخر عن بعض من تتمثل لهم الجن، فيسمعون منهم كلاماً.

قال عن ذلك: «فيظنون ذلك كرامات، وإنما هي **أحوال** شيطانية، لا رحمانية، وإنما هي من جنس السحر»[٥].

٤ ـ **الحال الشيطاني**: بإفراد (**الحال**) وتعريفها، ووصفها بكلمة: (**الشيطاني**).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «النبوات» في معرض كلام له عن تقسيم أصحاب الأحوال، وأنهم أصحاب خوارق، وأصحاب كلام واستدلال.

قال: «وأما أصحاب **الحال الشيطاني** فقد عرف أن السحر يغير الحس والعقل، حتى يخيِّل إلى الإنسانِ الشيء بخلاف ما هو»[٦].

---

(١) الفرقان ص٣٣١.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١٠/٢٧٨، و١١/ ٢٨٥، و١١/ ٢٨٦، و٢٨٧، و٢٨٩، والفتاوى الكبرى ٥/ ٢٤٨، والفرقان ص١٧٦، و٣٤٤، والرد على الشاذلي ص١٧.

(٣) الفرقان ص٣٤٩.

(٤) المرجع السابق ص٣٥٥.

(٥) الرد على الشاذلي ص١٩٨.

(٦) النبوات ٢/ ١٠٩٥ ـ ١٠٩٦.

٥ ـ **حال الشياطين**: بإضافة كلمة (**حال**) إلى (**الشياطين**).

وهي تسمية نادرة عنده، كما في **قوله** في معرض كلام له عن العباد، والزهاد ممن ليسوا من أولياء الله المتقين المتبعين للكتاب والسُّنَّة: «ولا بد أن يكون في أحدهم من الكذب جهلاً، أو عمداً، ومن الإثم ما يناسب **حال الشياطين** المقترنة به؛ لِيُفَرِّقَ الله بذلك بين حال أوليائه المتقين، وبين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين»[(١)].

٦ ـ **حال شيطاني**: بإفراد (**حال**) وتنكيره، ووصفه بـ: (**شيطاني**).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض حديث له عن بعض أصحاب الأحوال الشيطانية وما يجري لهم من تلك الأحوال، وضرب مثلاً بالحلاج[(٢)]، **قال**: «ومثل هذا يحدث كثيراً لغير الحلاج ممن له **حال شيطاني**»[(٣)].

وقال متحدثاً عن أثر آية الكرسي: «ولهذا إذا قرأها الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلتها، مثل من يدخل النار **بحالٍ شيطاني**»[(٤)].

وقال في «الجواب الصحيح» متحدثاً عن بعض الخوارق، والأحوال الشيطانية عند النصارى: «ومثل ذلك كثير من حيل النصارى؛ فجميع ما عند النصارى المبدلين لدين المسيح من الخوارق: إما **حال شيطاني**، وإما محال بهتاني ليس فيه شيء من كرامات الصالحين»[(٥)].

٧ ـ **أحوال السحرة والكهان**: بإفراد كلمة (**أحوال**) وتنكيرها، وإضافتها إلى (**السحرة والكهان**).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض كلام له عن أصحاب الأحوال الشيطانية: «وهؤلاء قد يحصل لهم من الخوارق ما يُظن أنه من كرامات الأولياء.

---

(١) الفرقان ص٣٤٣.

(٢) هو: الحسين بن منصور الحلاج، أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسط العراق، وقيل: بِتُسْتَر، ودخل بغداد، وخالط الصوفية، وطاف في البلاد، واتصل بالقرامطة، وقصد الهند، وتعلم أنواعاً من السحر، ثم عاد إلى بغداد، ولم يزل الناس مختلفين فيه، وقد قتل على الزندقة سنة ٣٠٩هـ. انظر: طبقات الصوفية ص٣٠٧ ـ ٣١١، ولابن تيمية رسالة فيه. انظر: جامع الرسائل ١/ ١٨٧ ـ ١٩٩، وسيأتي مزيد تعريف به.

(٣) جامع الرسائل ١/ ١٩٢.

(٤) الفرقان ص٣٢٦.

(٥) الجواب الصحيح ٣/ ٣٤٠، وانظر: ص٣٤٣.

وإنما هو من **أحوال السحرة والكهان**»[١].

٨ ـ **الخوارق الشيطانية**: بتعريف (**الخوارق**) وجمعها، ووصفها بـ: (**الشيطانية**) وهي تسمية ترد عنده كثيراً.

قال رحمه الله في «النبوات»: «وكذلك سائر **الخوارق الشيطانية** لا تأتي إلا مع نوع فساد في الحس والعقل»[٢].

وقال في موضع آخر مبيِّناً ما يفعله أصحاب **الأحوال الشيطانية**: «ويتفقون على ما يفعلونه من **الخوارق الشيطانية** كدخول النار...»[٣].

وقال: «وهذه **الأحوال الشيطانية** تَبْطُل، أو تَضْعُف إذا ذكر اللهُ، وتوحيدُه، وقرئت قوارع القرآن، لا سيما آية الكرسي؛ فإنها تبطل عامة هذه **الخوارق الشيطانية**»[٤].

٩ ـ **خوارق شيطانية**: بتنكير كلمة (**خوارق**) مجموعةً، ووصفها بـ: (**شيطانية**) مُنَكَّرة.

قال رحمه الله في معرض كلام له عن الفروق بين الأحوال الشيطانية وغيرها من الخوارق: «فإن كثيراً من الناس لا يكون من أهل الصلاح، ويكون له **خوارق شيطانية**، كما لِعُبَّاد المشركين وأهل الكتاب؛ فتتجلى لهم على أنها كرامات»[٥].

إلى أن قال: «فلما لم يميزوا بين هذه وهذا[٦]، وكان كثير من الكفار والفجار، وأهل الضلال والبدع لهم **خوارق شيطانية** صار هؤلاء حزبين...»[٧].

١٠ ـ **مخارق الشيطان**: بتنكير كلمة (**مخارق**) مجموعةً، وإضافتها إلى (**الشيطان**).

وهي تسمية نادرة عنده.

قال رحمه الله في «الفرقان» مبيِّناً حال كثيرٍ من الشيوخ الذين حصل لهم كثير من الخوارق، وهم يظنونها كرامات، وأنهم لما بُصِّروا بحقيقتها علموا أنها ليست

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٢٧٨، وانظر: جامع الرسائل ١/١٩٦.
(٢) النبوات ٢/١٠٩٦.
(٣) المرجع السابق ٢/١٠٢٤، وانظر: مجموعة الرسائل الكبرى ١/١٧٣.
(٤) النبوات ٢/١٠٣٠، وانظر: ص١٠٤٠، و١٠٤١.
(٥) المرجع السابق ٢/١٠٣٤.
(٦) يعني: لم يميزوا بين كرامات الأولياء، والأحوال الشيطانية.
(٧) النبوات ٢/١٠٣٥، وانظر: الجواب الصحيح ٢/٣٤٣.

كذلك، **قال**: «فعلموا حينئذٍ أنها من **مخارق الشيطان** لأوليائه، لا من كرامات الرحمٰن لأوليائه»[١].

١١ ـ **خوارق السحرة والكهان**: بتنكير كلمة (**خوارق**) مجموعةً، وإضافتها إلى (**السحرة**) و(**الكهان**) من باب إضافتها إلى بعض أفرادها.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكثير من المتنبئين الكاذبين أتوا بخوارق من جنس **خوارق السحرة والكهان** . . .»[٢].

١٢ ـ **خوارق الجن**: بتنكير (**خوارق**) مجموعةً، وإضافتها إلى (**الجن**).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وخوارق الجن** كالإخبار ببعض الأمور الغائبة، وكالتصرفات الموافقة لأغراض بعض الأنس ـ كثيرة معروفة في جميع الأمم»[٣].

وهذه تسمية قليلة عنده.

١٣ ـ **خوارق أعداء الله**: بتنكير كلمة (**خوارق**) مجموعةً، وإضافتها إلى (**أعداء**)، وإضافة (**أعداء**) إلى لفظ الجلالة (**الله**).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في **«الفرقان»** في معرض تفريقه بين الكرامات، **والأحوال الشيطانية**: «فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان ـ فهو من **خوارق أعداء الله**، لا من كرامات أوليائه المتقين»[٤].

١٤ ـ **خوارق الكفار والفجار**: بتنكير (**خوارق**) وجمعها، وإضافتها إلى (**الكفار**) وعطف (**الفجار**) على (**الكفار**).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ مبيِّناً مراتب الخوارق: «فيقال: المراتب ثلاث: آيات الأنبياء، ثم كرامات الصالحين، **ثم خوارق الكفار والفجار**...»[٥].

١٥ ـ **التلبيسات الشيطانية**: بتعريف كلمة (**التلبيسات**) مجموعةً، ووصفها بـ: (**الشيطانية**).

وهي تسمية نادرة عنده، **قال** رَحِمَهُ اللَّهُ عن حال كثير ممن التبس عندهم حال الكرامات بالأحوال الشيطانية: «وكثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن؛ بل قد سمع أن أولياء الله لهم كرامات خوارق للعادات، وليس عنده من حقائق الإيمان، ومعرفة القرآن ما يفرق به بين الكرامات الرحمانية، وبين **التلبيسات الشيطانية**»[٦].

---

(١) الفرقان ص٣٦٩.

(٢) النبوات ٢/ ٨٦٠، وانظر: ص١٠٤٣.

(٣) النبوات ٢/١٠٢٨.

(٤) الفرقان ص٣٥٤.

(٥) النبوات ١/١٤١.

(٦) الفرقان ص٣٦٥ ـ ٣٦٦.

١٦ ـ **تَنَزُّلات شيطانية**: بتنكير (تنزلات) مجموعة، ووصفها بـ: (شيطانية): وهي تسمية نادرة عنده.

قال في معرض كلام له عما يجري على يد بعض أصحاب الأحوال الشيطانية مما هو من جنس صنيع الكهان، **قال**: «ولهذا تحصل لهم **تنزلات شيطانية** بحسب ما فعلوه من مراد الشيطان»[(١)].

١٧ ـ **مخاريق**: بالجمع والتنكير.

١٨ ـ **حيل**: بالجمع والتنكير، **قال** رَحِمَهُ اللَّهُ في «الجواب الصحيح» في معرض كلام له عما يجري على أيدي الملاحدة المبدلين لدين الرسل، ومن شابههم، من الخوارق: «فالمقصود أنه كثير من **الخوارق**، ما يكون من الشياطين، أو يكون **حيلاً ومخاريق**، يُظَن أنها من كرامات الصالحين»[(٢)].

١٩ ـ **تصرفات شيطانية**: وهي من ضمن ما يطلقه بقلة على الأحوال الشيطانية؛ قال: «وقد علم أن الكفار، والمنافقين من المشركين وأهل الكتاب لهم مكاشفات، وتصرفات شيطانية»[(٣)].

٢٠ ـ **المخاريق**: فإذا أطلق هذا اللفظ فإنما يريد به الأحوال الشيطانية، قال في مناظرته للرفاعية: «قلنا حينئذٍ أن تعارض ما يظهرونه من هذه المخارق بما يؤيدنا الله به من الآيات»[(٤)].

فما مضى من أسماء وألقاب يطلقها ابن تيمية، ويريد بها الأحوال الشيطانية.

وهناك أسماء تطلق على **الأحوال الشيطانية** بالاشتراك مع غيرها من الخوارق، كما في الأسماء التالية:

٢١ ـ **الخارق**[(٥)]. ٢٢ ـ **الخارقة**[(٦)].

٢٣ ـ **التصرفات الخارقة للعادات**[(٧)]. ٢٤ ـ **خوارق العادات**[(٨)].

---

(١) جامع الرسائل ١/١٩٦.
(٢) الجواب الصحيح ٢/٣٤٣.
(٣) الفرقان ص١٢٤.
(٤) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٢٤ ـ٢٥.
(٥) انظر: مجموع الفتاوى ١١/٣٢٩ ـ ٣٣٠، و٣٣١، و٣٣٣، والنبوات ٢/٨٥٣.
(٦) انظر: النبوات ١/٢٤٠.
(٧) انظر: الفرقان ص٣٤٩.
(٨) انظر: المرجع السابق ص٣٤٢، ومجموع الفتاوى ٢/٤٠٨، و١١/٣٢٠، ومنهاج السُّنَّة ٨/٢٠٠، و٢٠٤، واقتضاء الصراط المستقيم ٢/٢٥٥، والنبوات ٢/٨٦٥.

٢٥ ـ الخوارق[١].
٢٦ ـ الأمور الخارقة للعادة[٢].
٢٧ ـ الخارق للعادة[٣].
٢٨ ـ خرق العادة[٤].
٢٩ ـ خارق العادة[٥].
٣٠ ـ خوارق[٦].
٣١ ـ عجائب[٧].
٣٢ ـ الخوارق العجيبة[٨].
٣٣ ـ أمور خارقة عجيبة[٩].
٣٤ ـ الغرائب[١٠].
٣٥ ـ تصرفات خارقة[١١].

٣٦ ـ خوارق الأنبياء: وهذه تشترك فيها الأحوال الشيطانية مع الكرامات[١٢].

وهذه أسماء مشتركة تطلق على المعجزات، والكرامات، والأحوال الشيطانية، وقد يراد بها واحدةٌ منها بحسب السياق، وبحسب ما تضاف إليه، أو توصف به.

فهذه ـ إذاً ـ هي أسماء **الأحوال الشيطانية**، وألقابها الأخرى عند ابن تيمية سواء الخاصة بها، أو التي تشترك بها مع غيرها من الخوارق.



(١) انظر: الفرقان ص٣٤٣، و٣٤٩، و٣٥٠، و٣٥١، و٣٥٢، و٣٦٨، والنبوات ١/ ١٥١، و١٥٣، و١٥٧، و٢/ ١٠٢٩، و١٠٧٧، و١٠٨٥، ومجموع الفتاوى ١/ ١٧٧، و٢٦٦، و١١/ ٣١٣، و٣٢٣، و٣٣٩، و٣٣٢، و٣٣٣، ومنهاج السُّنَّة ٨/ ٢٠٥، و٢٠٦، و٢٠٩، و٢١١، والجواب الصحيح ٢/ ٣٤٣.
(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١١/ ٢١٤، و٢٩٤.
(٣) انظر: النبوات ٢/ ٨٥٦.
(٤) انظر: المرجع السابق ٢/ ٨٦٠.
(٥) انظر: المرجع السابق ٢/ ٨٥٣.
(٦) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٣٤٥، والنبوات ٢/ ٨٥١.
(٧) انظر: المرجع السابق ٢/ ٨٥١.
(٨) انظر: المرجع السابق ١/ ٥١٨.
(٩) انظر: المرجع السابق ١/ ١٦٩.
(١٠) انظر: المرجع السابق ٢/ ٧٠٢.
(١١) انظر: الفرقان ص٨٣.
(١٢) انظر: النبوات ٢/ ١٨٤.

المطلب الثالث

تفريقه بين الأحوال الشيطانية وغيرها من الخوارق

لقد عني ابن تيمية رحمه الله بشأن التفريق بين الأحوال الشيطانية وبين الخوارق الأخرى أيما عناية؛ لإدراكه ما يترتب على التسوية بينهما من الضلال البعيد، والفساد العريض.

وقد مرت إشارات إلى ذلك عند الكلام على تعريفه للمعجزات، والكرامات والأحوال الشيطانية، وعند الكلام على مناقشته للمخالفين في باب المعجزات والكرامات من فلاسفة، ومتكلمين، وغيرهم.

وما ذاك إلا لحرصه الشديد على أن يتميز الحق من الباطل، والصادق من الكاذب؛ إذ التمييز بين ذلك يحتاج إلى علم، ودقة، وحسن نظر؛ فذلك ما يُفَرِّق به بين الهدى والضلال، والولاية والعداوة.

وهذا ما دعاه إلى أن يُوْلِيَ ذلك الباب جل اهتمامه، وعنايته.

وما كان تأليفه لبعض كتبه كالنبوات، والفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان ـ إلا لمثل ذلك الغرض.

يقول رحمه الله في فضل معرفة المعجزات، والتمييز بينها وبين غيرها من الخوارق: «فإن الكلام في المعجزات، وخصائصها، والفروق بينها وبين غيرها ـ من أشرف العلوم.

وأكثر أهل الكلام خلَّطوا فيه تخليطاً ليس هذا موضعه»[(١)].

ويقول مبيِّناً أهميةَ فهم موضوع الخوارقَ على الوجه الصحيح: «فهذا الموضوع مَن فَهِمَهُ فهماً جيداً تبيَّن له الفرقان في هذا النوع؛ فإن كثيراً من الناس يصفها[(٢)] بأنها خوارق، وعجائب، ونحو ذلك، ولا يحقق الفرق بين من يجب أن يُخرق عادتُه، ومن لا يجب أن تكون في حقه كذلك»[(٣)].

---

(١) قاعدة عظيمة ص١٦٤.

(٢) يعني: آيات الأنبياء.

(٣) النبوات ٢/ ٨٥١ ـ ٨٥٢.

ويقرر أن «دلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية؛ فيها الظاهر البيِّن لكل أحد؛ كالحوادث المشهودة؛ فإن الخلق محتاجون إلى الإقرار بالخالق، والإقرار بالرسالة»[(١)].

وفيما يلي بَسْط لما قرره من **الفروق** في ذلك الشأن من خلال المسألتين التاليتين اللتين سيتبين من خلالهما الفرق بين الأحوال الشيطانية والمعجزة، والأحوال الشيطانية والكرامة؛ فإلى بيان ذلك، وبسطه، مع ملاحظة ما بين بعض تلك الفروق التي قررها من التقارب والتداخل.

المسألة الأولى: تفريقه بينها وبين المعجزات

من خلال النظر في كلام ابن تيمية في هذا الباب يتضح أنه فرَّق بين **الأحوال الشيطانية والمعجزات** بفروق كثيرة؛ يتبيَّن من خلالها ما بينهما من التمايز، والاختلاف بما لا يحصل فيه اللبس لمن له أدنى نظر.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض كلام له مجمل في هذا السياق: «فينبغي أن يُتدبر هذا الموضع، وتُعرف الفروق الكثيرة بين آيات الأنبياء، وبين ما يشتبه بها، كما يُعْرف الفرق بين النبي، والمتنبي، وبين ما يجيء به النبي، وما يجيء به المتنبي»[(٢)].

ثم يُبيِّن وجه الفرق على نحو مجمل، فيقول: «فالفرق حاصل في نفس صفات هذا وصفات هذا، وأفعال هذا وأفعال هذا، وأمر هذا وأمر هذا، وخبر هذا وخبر هذا، وآيات هذا وآيات هذا»[(٣)].

ثم يبيِّن مدى الحاجة إلى ذكر هذا الفرق، فيقول: «إذ الناس محتاجون إلى هذا الفرقان العظيم أعظم من حاجتهم إلى غيره، والله - تعالى - يبينه، وييسره»[(٤)].

وقال في موضع آخر مبيِّناً عظم الفرق بين النبي وبين أحد أصحاب الأحوال الشيطانية وهو الساحر، **قال:** «والفرق بين النبي والساحر أعظم من الفرق بين الليل والنهار»[(٥)].

وقال في «الجواب الصحيح» في معرض كلام له على بعض مدعي النبوة، **معللاً** وجه ضلال مَنْ التبس عليه الأمر.

---

(١) الجواب الصحيح ٥/ ٤٣٥، وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٤٢.
(٢) النبوات ١/ ١٥٢.
(٣) المرجع السابق ١/ ١٥٢.
(٤) المرجع السابق ١/ ١٥٢.
(٥) المرجع السابق ٢/ ٧٠٤.

قال: «لأن الله ـ تعالى ـ جعل بيْن الملائكة والشياطين، وبيْن الأنبياء الصادقين وبيْن المتشبهين بهم الكاذبين من الفرق ـ ما لا يحصيه غيره من الفروق»[١].

إلى أن قال: «ومن استقرأ أحوال الرسل وأتباعهم، وحال الكهان والسحرة ـ تبين له ما يحقق ذلك»[٢].

وقال في «النبوات» مُنْكِراً على من لم يفرِّق بين آيات الأنبياء وغيرهم من أهل الأحوال الشيطانية: «وهذا افتراءٌ عظيم على الأنبياء، وعلى آياتهم، وتسويةٌ بين أفضل الخلق، وشرار الخلق.

بل تسويةٌ بين ما يدل على النبوة، وما يدل على نقيضها»[٣].

وهكذا يتبين ـ بإجمال ـ ما يقرره من وجود الفرق بين المعجزات والأحوال الشيطانية.

أما تفصيل ما قرره من الفروق بينهما فسيتضح من خلال ما يلي:

○ **أولاً: أنهما يفترقان في الأسماء:** فالمعجزات والأحوال الشيطانية ـ وإن كانت تسمى خوارق وعجائب ونحو ذلك ـ هي تفترق من جهة أنَّ لكل واحدٍ منهما أسماءَه الخاصةَ به عند ابن تيمية.

حيث مرَّ في الباب الأول ذكر لأسماء المعجزات عنده، ومرَّ في المبحث الأول من الباب الثالث أسماء الأحوال الشيطانية عنده.

فالمعجزات عنده تسمى: معجزات الأنبياء[٤]، وتسمى المعجزة[٥]، وتسمى الآيات الكبرى أو الكبيرة[٦]، وتسمى الآية، والبرهان، والبينة، والبراهين[٧]، والآيات الخارقة[٨]، إلى غير ذلك من الأسماء الخاصة التي لا يطلقها إلا على المعجزات.

والأحوال الشيطانية لها أسماء خاصة بها، لا يطلقها على غيرها من الخوارق؛

---

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٢٩٧.

(٢) المرجع السابق ٦/ ٢٩٧.

(٣) النبوات ١/ ٦٠٦.

(٤) انظر: النبوات ١/ ٤٨٠، و٥٠٤، و٢/ ٨٠٢، ومجموع الفتاوى ١١/ ٣٢٤.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى ٤/ ٢١٤، و١١/ ٣١١، والجواب الصحيح ٢/ ٤٣، و٥/ ٤١٢، والرسالة الصفدية ص١٦٠، ومنهاج السُّنَّة ٣/ ٩٤.

(٦) انظر: النبوات ٢/ ٨٠٣.

(٧) الجواب الصحيح ٥/ ٤١٤، والنبوات ١/ ١٣٩، و١٤١، و١٤٢.

(٨) انظر: مجموع الفتاوى ١٣/ ٩.

كالأحوال الشيطانية[١]، وأحوال الشياطين[٢]، وأحوال السحرة والكهان[٣]، والخوارق الشيطانية[٤]، إلى غير ذلك من الأسماء التي يطلقها، ولا يريد بها من الخوارق إلا الأحوال الشيطانية.

○ **ثانياً: أنهما يفترقان من جهة الصدق والكذب**: حيث قرر أن المعجزاتِ مشتملة على الصدق، وأصحابها أصدق الناس، والأحوالَ الشيطانيةَ مشتملة على الكذب، وأصحابها أكذب الناس، أو من أكذبهم.

ومما قرره في ذلك أن آيات الأنبياء يصدِّق بعضها بعضاً.

قال رحمه الله: «فإن الأنبياء يصدق بعضهم بعضاً؛ فآية كل نبي آية لجميع الأنبياء كما أن آيات أتباعهم آيات لهم ـ أيضاً ـ.

وهذا من **آيات** الأنبياء، وهو تصديق بعضهم بعضاً»[٥].

بخلاف الأحوال الشيطانية؛ إذ يقرر أنها بعكس ذلك، **يقول** رحمه الله: «فلا يوجد من أصحاب **الخوارق العجيبة** التي تكون لغير الأنبياء ـ كالسحرة، والكهنة، وأهل الطبائع، والصناعات ـ إلا من يخالف بعضهم بعضاً فيما يدعو إليه، ويأمر به، ويعادي بعضهم بعضاً»[٦].

إلى ان قال مؤكداً هذا المعنى: «وكذلك أتباعهم[٧] إذا كانوا من أهل الاستقامة؛ فما أتى به الأول من الآيات فهو دليل على نبوَّته، ونبوة من يُبشر به[٨].

وما أتى به الثاني فهو دليل على نبوته، ونبوةَ مَن يصدِّقه ممن تقدم؛ فما أتى به موسى والمسيحُ وغيرهما من الآيات فهي آيات لنبوة محمد؛ لإخبارهم بنبوته؛ فكان هذا الخبر مما دلت آياتهم على صدقه.

وما أتى به محمد من الآيات فهو دليل على إثبات جنسه مطلقاً، وعلى نبوة كل من سُمِّي في القرآن»[٩].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١٠/٢٧٨، و١١/٢٨٦.
(٢) انظر: الفرقان ص٣٤٩.
(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١٠/٢٧٨، وانظر: جامع الرسائل ١/١٩٦.
(٤) النبوات ٢/١٠٢٤، وانظر: ص١٠٣٠، و١٠٤٠، و١٠٤١.
(٥) المرجع السابق ١/٥١٨.
(٦) المرجع السابق ١/٥١٨.
(٧) يعني: أتباع الأنبياء عليهم السلام.
(٨) كما في تبشير المسيح بمحمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ.
(٩) النبوات ١/٥١٨ ـ ٥١٩.

وقال في فصل عقده من الفروق بين آيات الأنبياء وغيرها: «**الأول**: أن النبي صادق فيما يخبر به عن الكتب لا يكذب قط.

ومن خالفهم من السحرة والكهان لا بد أن يكذب، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝﴾ [الشعراء]»[1].

وقال في موضع آخر مبيِّناً الفرقَ بين أصحاب هذه، وأصحاب تلك: «والسحرة يذم بعضهم بعضاً، والأنبياء يصدق بعضهم بعضاً»[2].

وقال في موضع آخر مبيِّناً **وجه الافتراق** بينهما من جهة الصدق والكذب في أخبار كلٍّ منهما.

قال: «ما تخبر به الأنبياء لا يكون إلا صدقاً، وأما ما يخبر به من خالفهم من السحرة والكهان، وعباد المشركين، وأهل الكتاب، وأهل البدع والفجور من المسلمين ـ **فإنه** لا بد فيه من الكذب»[3].

هذا، وسيأتي مزيد بيان لذلك في الفقرة التالية.

○ **ثالثاً: يفترقان من جهة الاستلزام والموافقة للمدلول، والمنقول، والمعقول**: وهذه الفقرة قريبة من الفقرة الماضية؛ فشيخ الإسلام ابن تيمية يقرر أن المعجزات مستلزمةٌ للنبوة، موافقةٌ للمدلولِ، والأدلةِ السمعيةِ والعقليةِ، بخلاف الأحوال الشيطانية.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض مناقشته للأشاعرة في **الفرق بين المعجزات والسحر**.

قال: «والتحقيق أن آيات الأنبياء مستلزمة للنبوة، ولصدق المُخْبِر بالنبوة؛ فلا يوجد إلا مع الشهادة للرسول بأنه رسول، ولا يوجد مع التكذيب بذلك، ولا مع عدم ذلك البتة»[4].

إلى أن قال: «وما يأتي به السحرة والكهان يمتنع أن يكون آيةً للنبي؛ بل هو آيةٌ على الكفر؛ فكيف يكون آيةً للنبوة وهو مقدور للشياطين؟!»[5].

وقال في موضع آخر: «فآيات الأنبياء مستلزمة لصدقهم، وصدق من صدَّقهم،

---

(١) النبوات ١/٥٥٨، وانظر: شرح الأصبهانية ص٥٤١ ـ ٥٤٢.
(٢) النبوات ٢/ ٦٦٥ و٦٦٦، وانظر: الجواب الصحيح ٦/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨.
(٣) النبوات ٢/ ١٠٧٤، وانظر: ص١٠٩٠ ـ ١٠٩٢، وانظر: شرح الأصبهانية ص٥٣٩ ـ ٥٤٣، ففيه تفصيل لذلك.
(٤) النبوات ٢/ ٨٠٠.
(٥) المرجع السابق ٢/ ٨٠١.

وشهد لهم بالنبوة»[(١)].

ثم ذكر بعض آيات الأنبياء المستلزمة لصدقهم كآيات موسى والمسيح عليهما السلام.

ثم قرر بعد ذلك أنْ «ليس من مدلول الآية هو مجرد دعواه[(٢)] أن الله أرسلني، وإخباره عن نفسه بذلك؛ لأن ذلك معلوم بالحس لمن سمعه، وبالتواتر لمن لم يسمعْه.

بل صِدْقُه في هذا الخبر، وهو ثبوت نبوته»[(٣)].

إلى أن قال: «فآيات الأنبياء، وسائر أنواع الآيات والأدلة لا تكون مع نقيض المدلول عليه؛ أي: مع عدمه؛ فإنها إذا كانت مع وجوده وعدمه لم تكن دالة على وجوده ولا على عدمه، ولم يكن الاستدلال به على وجوده أولى به من الاستدلال على عدمه كالأمور المعتادة التي توجد مع الصادق والكاذب؛ كطلوع الشمس، وغروبها؛ فإن هذه لا تدل على صِدْقِ أحد، ولا كذبه»[(٤)].

ثم بيَّن أن خوارق السحرة، والكهان من الأمور المعتادة؛ فلا تدل على الصدق ولا الكذب؛ فالاستدلال بها على الصدق كالاستدلال على الكذب، وهي على الكذب أولى؛ إذ كان كَذِبُهم[(٥)] أكثرَ من صِدْقِهم[(٦)].

وقال في موضع آخر مبيِّناً الفرق بين المعجزات والأحوال الشيطانية من جهة **الموافقة، والمخالفة للمعقول، والمنقول**: «وآيات الله السمعية، والعقلية: العيانية والسماعية كلها متوافقة متصادقة متعاضدة لا يناقض بعضها بعضاً»[(٧)].

ثم بيَّن مخالفة أهل الأحوال الشيطانية في ذلك؛ **فقال:** «والذين يخالفون الأنبياء من أهل الكفر، وأهل البدع؛ كالسحرة، والكهان، وسائر أنواع الكفار، وكالمبتدعين من أهل الملل: أهل العلم والعبادة ـ فهؤلاء مخالفون **للأدلة السماعية والعيانية**؛ مخالفون **لصريح المعقول، وصحيح المنقول**»[(٨)].

---

(١) النبوات ٢/ ٨٠٧.
(٢) يعني: دعوى النبي.
(٣) النبوات ٢/ ٨٠٩، وانظر: ص٨١٠ ـ ٨١٢، والجواب الصحيح ٥/ ٤٣، و٦/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩.
(٤) النبوات ٢/ ٨١٢.
(٥) يعني: السحرة والكهان.
(٦) انظر: النبوات ٢/ ٨١٢ ـ ٨١٤، و٨٤٨ ـ ٨٤٩، ومنهاج السُّنَّة ٣/ ٣٥٨ ـ ٣٦٠.
(٧) النبوات ٢/ ١٠٩١، وانظر: الرد على المنطقيين ص٣٧٣، ومجموع الفتاوى ٦/ ٣٠٠، و١٦/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣.
(٨) النبوات ٢/ ١٠٩٢، وانظر: الرد على المنطقيين ص٥٧ ـ ٥٨.

وهكذا يبيِّن أن من الفروق بين المعجزات والأحوال الشيطانية ـ ما هو من جهة الاستلزام والموافقة للمدلول، والمنقول، والمعقول.

○ رابعاً: **أنهما يفترقان من جهة حصولهما بأسباب، أو بدون أسباب:** فهو يقرر هذا المعنى كثيراً، حيث يبيِّن أن آيات الأنبياء لا تتحصل بالأسباب، وإنما هي اصطفاء واختيار من الله، فلا تنال باكتساب الإنسان، واستعداده كما تنال بذلك العلوم المكتسبة[١].

بخلاف الأحوال الشيطانية، وما يستتبعها؛ فإنها تنال بالأسباب.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ مقرراً ذلك في فصل عقده في الفروق بين آيات الأنبياء وغيرها: «الرابع: أن الكهانة، والسحر، يناله الإنسان بتعلمه، وسعيه، واكتسابه، وهذا مجرب عند الناس.

بخلاف النبوة؛ فإنه لا ينالها أحد باكتسابه»[٢].

ثم يذكر في الوجه الخامس على سبيل التنزل: «أن النبوة ـ لو قدِّر أنها تنال بالكسب ـ فإنما تنال بالأعمال الصالحة، والصدق، والعدل، والتوحيد، لا تحصل مع الكذب على من دون الله، فضلاً عن أن تحصل مع الكذب على الله؛ فالطريق الذي تحصل به[٣] ـ لو حصلت بالكسب ـ مستلزم للصدق على الله فيما يخبر به»[٤].

وقال في موضع آخر: «وهي[٥] ـ أيضاً ـ لا تنال بالاكتساب؛ فإن الإنس والجن قد يقدرون بأسباب مباينة لهم على أمور؛ كما يقدرون على قتل من يقتلون، وإمراضه، ونحو ذلك.

وآيات الأنبياء لا يقدر أحد على أن يتوصل إليها بسبب»[٦].

إلى أن قال: «والسحر، والكهانة مما يمكن التوصل إليه بسبب؛ كالذي يلقي بأقوال وأفعال تُحَدِّثه بها الجن؛ فالنبوة لا تنال بكسب العبد، ولا آياتها بكسب العباد.

وهذا من الفروق بين آيات الأنبياء، وبين السحر والكهانة»[٧].

---

(١) انظر: الرسالة الصفدية ص٢٣٣.
(٢) النبوات ١/٥٥٨.
(٣) يعني: النبوة.
(٤) النبوات ١/٥٥٩.
(٥) يعني: آيات الأنبياء.
(٦) النبوات ٢/١٠٧٣، وانظر: مجموع الفتاوى ١١/٨٩.
(٧) النبوات ٢/١٠٧٤.

وقال في موضع آخر في معرض ذكر الفروق بينهما: «الرابع: أن آيات الأنبياء، والنبوة لو قدِّر أنها تنال بالاكتساب ـ فهي إنما تنال بعبادة الله، وطاعته؛ فإنه لا يقول عاقل: إن أحداً يصير نبيّاً بالكذب والظلم؛ بل بالصدق والعدل، سواء قال: إن النبوة جزاء على العمل[(١)]، أو قول من قال: إذا زكّى نفسه فاض عليه ما يفيض على الأنبياء[(٢)]؛ فعلى القولين: هي مستلزمة لالتزام الصدق والعدل.

وحينئذٍ فيمتنع أن صاحبها يكذب؛ فإن ذلك يفسدها»[(٣)].

إلى أن قال مبيِّناً ما تُنال به الأحوال الشيطانية من المخالفات الشرعية: «بخلاف من خالف الأنبياء من السحرة والكهان، وعباد المشركين، وأهل البدع والفجور؛ من أهل الملل: أهل الكتاب والمسلمين؛ فإن هؤلاء تحصل لهم الخوارق مع الكذب والإثم؛ بل خوارقهم مع ذلك أشد؛ لأنهم يخالفون الأنبياء.

وما ناقض الصدق والعدل، لم يكن إلا كذباً وظلماً.

فكلٌّ من خالف طريق الأنبياء لا بدَّ له من الكذب والظلم إما عمداً، وإما جهلاً»[(٤)].

وهكذا يقرر هذا الفرق بين المعجزات، والأحوال الشيطانية، وهو الاختلاف بينهما من جهة **السبب**؛ فيقرر أن النبوة **اصطفاء واختيار** من الله، والأحوال الشيطانية **اكتسابية** تنال بالتعلم، وطريقها الكذب، والظلم، والإثم.

○ **خامساً: أنهما يفترقان من جهة الإعانة:** حيث يقرر أن أصحاب المعجزات تعينهم الملائكة، وأصحاب الأحوال الشيطانية تعينهم الشياطين.

قال رحمه الله: «والنبي يأتيه ملك كريم من عند الله ينبئه الله.

والساحر، والكاهن إنما معه شيطان يأمره، ويخبره.

قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء]»[(٥)].

---

(١) يشير بذلك إلى قول المعتزلة، وقد مر بيان ذلك في الباب الأول. انظر: المغني لعبد الجبار ١٥/١٦، ومنهاج السُّنَّة ٢/ ٤١٥ ـ ٤١٧.

(٢) يشير بذلك إلى قول الفلاسفة، وقد مر الكلام عليه في الباب الأول. انظر: الرسالة الصفدية ص٥٢ ـ ٥٤.

(٣) النبوات ٢/١٠٧٦ ـ ١٠٧٧.

(٤) المرجع السابق ٢/١٠٧٧، وانظر: ٢/ ١٠٨٤.

(٥) المرجع السابق ٢/ ٧٠٤.

ثم يضرب المثل بالقرآن، وكونه معجزاً، **فيقول**: «فالقرآن قول رسولٍ أرسله الله، لم يرسله الشيطان، وهو ملَك كريم، ذو قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين؛ فهو مطاع عند ذي العرش في الملأ الأعلى[١].

والشياطين لا يطاعون في السمٰوات؛ بل ولا يصعدون إلى الملأ الأعلى»[٢].

وقال في موضع آخر: «فإن هؤلاء[٣] تُعينهم الشياطين؛ تُخبرهم، وتعاونهم بتصرفات خارقة.

ومقصودهم: الكفر، والفسوق، والعصيان.

والأنبياءُ تُعينهم الملائكة، هم الذين يأتونهم، فيخبرونهم بالغيب، ويعاونونهم بتصرّفات خارقة؛ كما كانت الملائكة تُعين النبيّ ﷺ في مغازيه، مثل يوم بدر أمدّه الله بألف من الملائكة، ويوم حنين»[٤].

وبعد أن أورد الآيات في ذلك، قال: «ولمّا كانت الأنبياءُ مُؤَيَّدةً بالملائكةِ، والسحرةُ والكهان تقترن بهم الشياطين ـ كان من الفروقِ التي بينهم الفروقُ التي بين الملائكة والشياطين»[٥].

○ سادساً: **أنهما يفترقان من جهة ما يقوى به أصحاب كلٍّ منهما**: فيقرر أن أصحاب كلٍّ واحد منهما يقوى بأسبابٍ غيرِ ما يقوى به الآخر؛ **فأصحاب الآيات يقوون** بذكر الله، وتوحيده.

وأصحاب الأحوال الشيطانية يقوون عند المكاء والتصدية، وطاعة الشياطين، ويضعفون، أو تبطل أحوالهم عند ذكر الله، وتوحيده، وقراءة القرآن لا سيما آية الكرسي[٦].

○ **سابعاً: أنهما يفترقان من جهة الأمر والنهي**: **قال** رَحِمَهُ اللهُ مبيِّناً هذا الفرق: «الثاني: من **جهة ما يأمر به هذا**، ويفعله، ومن **جهة ما يأمر به هذا** ويفعله؛ فإن الأنبياء **لا يأمرون إلا بالعدل**، وطلب الآخرة، وعبادة الله وحده، وأعمالهم البر والتقوى.

ومخالفوهم **يأمرون** بالشرك، والظلم، ويعظمون الدنيا، وفي أعمالهم الإثم

---

(١) يعني: جبريل عليه السلام.
(٢) النبوات ٢/ ٧٠٤.
(٣) يعني: السحرة، والكهان.
(٤) النبوات ٢/ ٨٣٥.
(٥) المرجع السابق ٢/ ٨٣٧، وانظر: الجواب الصحيح ١/ ٨٦.
(٦) انظر: النبوات ٢/ ١٠٣٠.

والعدوان»[١].

وقال في موضع آخر في معرض مناقشته للأشاعرة: «فإن الكهان، والسحرة **يأمرون** بالشرك، وعبادة الأوثان، وما فيه طاعة الشيطان.

والأنبياء **لا يأمرون إلا بعبادة الله** وحده، **وينهون** عن عبادة ما سوى الله، وطاعةِ الشياطين»[٢].

وقال في موضع آخر بيَّن فيه الفروق بينهما: «وهؤلاء[٣] يأمرون بعبادة الله وحده، والصدق، والعدل، ويتبرأون من الشرك وأهله.

وهؤلاء[٤] **يحبون** أهل الشرك، ويوالونهم، ويبغضون أهل التوحيد، والعدل؛ فهذان جنسان متعاديان كتعادي الملائكة والشياطين»[٥].

وبالجملة؛ فهو كثيراً ما يقرر أن الأنبياء **يأمرون** بكل خير، **وينهون** عن كل شر.

وأصحاب الأحوال الشيطانية **عكس ذلك.**

○ **ثامناً: أنهما يفترقان من جهة الإصلاح والإفساد:** وهذا قريب مما مضى؛ فهو يقرر أن الأنبياء يفتحون الأعين العمي، والآذان الصم، والقلوب الغلف.

كما **يقرر** أن السحرة ـ وهم من أصحاب الأحوال الشيطانية ـ يفسدون السمع، والبصر، والعقل؛ حتى ليخيل للإنسان الأشياءُ بخلاف ما هي عليه؛ فيتغير حِسُّه، وعَقلُه.

ويستشهد على ذلك بقول الله ـ تعالى ـ في قصة موسى ﷺ: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف].

ويوضح ما أحدثه سحرُهم من فساد؛ حيث إن أعين الناس حصل فيها تغيُّر.

كما قرر أن من فساد السحر أنه يوجب المرض، والقتل[٦].

ومما قاله في ذلك زيادة على ما مضى: «والأنبياء يصححون سمع الإنسان، وبصره، وعقله.

---

(١) النبوات ١/٥٥٨.

(٢) المرجع السابق ١/٦٠٧، وانظر: ٢/٦٦٤.

(٣) يعني: الأنبياء.

(٤) يعني: أصحاب الأحوال الشيطانية.

(٥) النبوات ٢/٦٦٥، وانظر: ص١٠٨٦ ـ ١٠٨٧، و١٠٩٠ ـ ١٠٩١.

(٦) انظر: المرجع السابق ٢/١٠٥٢ ـ ١٠٥٣، وانظر: ٢/١٠٩٥ ـ ١١٠٣، ففيه تفصيل لأنواع من إفسادهم في الحس والعقل، والأدلة الحسية والعقلية، وانظر: الرسالة الصفدية ص٢٣٩.

والذين خالفوهم صمٌّ بُكْمٌ عميٌ؛ فهم لا يعقلون؛ فالسحرة يزيدون الناس عمىً، وصمماً، وبكماً.

والأنبياء يرفعون عماهم، وصَمَمَهم، وبكمهم»[١].

وقد **استشهد** لذلك بما جاء في البخاري عن عطاء بن يسار أنه قال: «لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب]. وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا سَخَّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يَقْبِضَهُ الله حتى يقيم به المِلَّة العوجاء، بأن يقُولوا: لا إلٰه إلا الله، ويفتح بها أعيناً عُمياً، وقُلُوباً غُلْفاً»[٢].

○ **تاسعاً: أنهما يفترقان من جهة القدرة:** فهو يقرر أن ما تأتي به الأنبياء من آيات ـ خارج عن **مقدور الثقلين**: الجن والإنس.

وما يأتي به أصحاب الأحوال الشيطانية من الخوارق لا يخرج عن **مقدور** الإنس والجن.

ويعني **بالمقدور**: ما يمكن التوصل إليه بطريق من الطرق التي أقدر الله عليها الإنس والجن[٣].

يقول ﵀ مقرراً هذا المعنى: «والآيات الخارقة جنسان: جنس في نوع العلم، وجنس في نوع **القدرة**؛ فما اختص به النبي من العلم خارج عن **قدرة** الإنس والجن، وما اختص به من **المقدورات** خارج عن **قدرة** الإنس والجن»[٤].

وهذا من أعظم الفروق، وأجلاها، وأكثر ما أبدى فيه وأعاد.

ويقول ﵀ في معرض التفريق بين آيات الأنبياء وغيرها: «السادس: أن ما يأتي الكهان، والسحرة لا يخرج عن كونه **مقدوراً** للإنس، والجن، وهم مأمورون[٥] بطاعةِ الرسل، وآياتُ الرسلِ لا يقدر عليها لا جن ولا إنس»[٦].

---

(١) النبوات ٢/ ١٠٥٠.

(٢) البخاري (٢١٢٥ و٢٨٣٨)، وقال بعد إيراده الحديث: «وهذا مذكور عند أهل الكتاب في نبوءة أشعياء». النبوات ٢/ ١٠١٥.

(٣) انظر: النبوات ٢/ ٩٩٢.

(٤) المرجع السابق ١/ ١٥٠.

(٥) يعني: الإنس والجن.

(٦) النبوات ٢/ ٨٠٠.

وقال في موضع آخر بعد أن قرر أن آيات الأنبياء مستلزمة للنبوة، ولصدق الخبر بالنبوة، **قال**: «وليست من جنس **ما يقدر** عليه لا الإنس ولا الجنّ؛ فإنّ **ما يقدر** عليه الإنس والجنّ يفعلونه؛ فلا يكون مختصّاً بالأنبياء»[١].

إلى أن قال: «وما يأتي به السحرة والكهان، يمتنع أن يكون آيةً لنبيّ، بل آية على الكفر، فكيف يكون آيةً للنبوّة، وهو **مقدور** للشياطين؟!.

وآيات الأنبياء **لا يقدر** عليها جنٌّ ولا إنس»[٢].

وقرر في موضع آخر أن **مقدورات** الجن هي من جنس **مقدورات** الإنس، لكن يختلف في المواضع؛ فما **يقدر** عليه السحرة من سحر بعض الناس حتى يمرض، أو يموت هو من **مقدور** الجن، وهو من جنس **مقدور** الإنس.

ثم ذكر أمثلة من **المقدورات** للجن والإنس؛ **كالقدرة** على الطيران، والتأثير في الحب، والبغض، ونحو ذلك[٣].

بل يقرر في موضع آخر أن الآياتِ خارجةٌ عن **مقدور** جميع العباد حتى الملائكة فضلاً عن الجن والإنس.

ويضرب مثلاً بإنزال القرآن، وأن الملائكة إنما **يقدرون** على النزول به، لا على إحداثه ابتداءً؛ فهم لا **يقدرون** على الإتيان بمثله؛ لأن الله لا يكلم بمثله الجن والإنس ابتداءًا[٤].

وسيأتي مزيد بيان لذلك في الفقرات التالية؛ إذ بعضها داخل في بعض.

○ **عاشراً: أنهما يفترقان من جهة خرق العادة: فهو** يقرر كثيراً أن ما يأتي به أصحاب **الأحوال الشيطانية** من سحر، أو كهانة، ونحوهما ـ أمور معتادة معروفة لأصحابها، وليست **خارقة لعادتهم**، ولا عادات بني آدم عموماً.

بل كل ضرب منها معتاد لطائفة غير الأنبياء.

وأما آيات الأنبياء فمختصة بهم لا تكون إلا لهم، ولمن تبعهم.

ويعنى بخرق العادة بالنسبة للأنبياء: أنها لا توجد إلا للنبوة، لا مرة، ولا أقل، ولا أكثر؛ فالعادة هنا تثبت بمرة.

---

(١) النبوات ٢/ ٨٠٠.
(٢) المرجع السابق ٢/ ٨٠١.
(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١/ ٨٢ ـ ٨٣، و١٦٨ ـ ١٧٨، ومنهاج السُّنَّة ٨/ ٣١١، والنبوات ٢/ ٩٩٥ ـ ٩٩٩، و١٠٨١.
(٤) انظر: النبوات ٢/ ١٠٧٢ ـ ١٠٧٣.

لذلك، **قرر** أنه لا بدَّ لمن يُسَمُّون آياتِ الأنبياء خوارقَ أن يقيِّدوها حتى لا تشترك مع غيرها؛ فيقولوا: خوارق العادات التي تختص بالأنبياء، أو خوارق عادات الناس كلهم إلا الأنبياء؛ لأن آياتهم لا بد أن تخرق عادة كلِّ أمةٍ من الأمم، وطائفةٍ من الطوائف إلا الأنبياء؛ فإنها معتادة لهم مثل الخبر الصادق بغيب الله ـ تعالى ـ فإنه لا يعرف إلا من جهتهم؛ فلا يوجد خرقُ عادةٍ لجميع الناس إلا وهو من آيات الأنبياء[١].

○ **حادي عشر: أنهما يفترقان من جهة المعارضة**: ويعني بذلك: أن آيات الأنبياء سالمة من المعارضة بمثلها، أو أقوى منها؛ فلا يمكن ذلك لأحد.

بخلاف الأحوال الشيطانية؛ فإنه يمكن معارضتها بمثلها أو أقوى.

يقول رَحِمَهُ اللهُ في معرض ذكره للفروق بينهما: «السادس: أن ما يأتي به السحرة والكهان، وكل مخالف للرسل تمكن معارضته بمثله، وأقوى منه، كما هو الواقع لمن عرف هذا الباب.

وآيات الأنبياء لا يمكن أحد أن يعارضها لا بمثلها، ولا بأقوى منها»[٢].

○ **ثاني عشر: أنهما يفترقان من جهة النظير**: وهذه الفقرة قريبة من الفقرات الثلاث الماضية، ومكملة لها؛ فهو يقرر أن «آيات الأنبياء لا يكون لها نظير لغير الأنبياء ومن يصدِّقهم؛ فإذا وجد نظيرها من كل وجه لغير الأنبياء، ومن شهد لهم بالنبوة ـ لم تكن تلك من آياتهم؛ بل كانت مشتركة بين من يخبر بنبوتهم، ومن لا يخبر بنبوتهم، كما يشترك هؤلاء وهؤلاء في الطب والصناعات»[٣].

قال رَحِمَهُ اللهُ في معرض كلام له عن تسمية آيات الأنبياء بالخوارق، أو المعجزات، أو العجائب، مقرراً ما مضى ذِكْرُه، **قال**: «وكذلك إذا وصفت[٤] بأنها معجزات فلا بد أن يعجز كل من ليس بنبي، ومن لم يشهد للنبي بالنبوة؛ فيعجز جميع المكذبين، والشاكِّين في نبوته من الجن والإنس»[٥].

إلى أن قال: «وكذلك إذا قيل هي عجائب، والعجب ما خرج عن نظيره؛ فلم

---

(١) انظر: النبوات ٢/ ٨٠٠، و١/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩، و٢/ ٨٤٨ ـ ٨٤٩، و٨٥٥، و١٠٨٢.

(٢) المرجع السابق ٢/ ١٠٨٢، وانظر: ١/ ٥٥٩، ومجموع الفتاوى ١٣/ ٩٠، ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ٩٦.

(٣) النبوات ٢/ ٨٣٠، وانظر: ٢/ ٨٥٩.

(٤) يعني: آيات الأنبياء.

(٥) النبوات ٢/ ٨٥١.

يكن له **نظير**؛ فلا بد أن يكون من العجائب التي لا **نظير** لها أصلاً عند غير الأنبياء لا من الجن، ولا من الإنس.

أما إذا كانت ليست لها **نظير** في شيء آخر فهذا يؤيد أنها من خصائص الأنبياء، ومن آياتهم»[١].

ثم ذكر بعد ذلك أهمية هذا الفرق، فقال: «فهذا الموضع من فهمه فهماً جيداً تبيَّن له **الفرقان** في هذا النوع؛ فإن كثيراً من الناس يصفها[٢] بأنها خوارق، ومعجزات، وعجائب، ونحو ذلك، **ولا يتحقق الفرق** بين من يجب أن يُخرق عادته ومعجزته، ومن لا يجب أن تكون في حقه كذلك»[٣].

○ **ثالث عشر: أنهما يفترقان من جهة الخبر**: والمقصود بذلك: ما يخبر به أصحاب كلٍّ منهما؛ حيث قرر أن أخبارهما ليست على طريقة واحدة متماثلة؛ بل بينهما من التفاوت ما بينهما.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ مبيِّناً **امتياز** أخبار الأنبياء عن أخبار أصحاب **الأحوال الشيطانية**: «وكذلك **الإخبار** ببعض الأمور الغائبة مع الكذب في بعض **الأخبار**؛ فهذا تفعله الجن كثيراً مع الكهان، وهو معتاد لهم مقدور.

بخلاف **إخبارهم** بما يأكلون، وما يدَّخرون مع تسمية الله على ذلك؛ فهذا لا تظهر عليه الشياطين.

وبنو إسرائيل كانوا مسلمين يسمون الله.

وأيضاً **فخبر**[٤] المسيح وغيره من الأنبياء ليس فيه كذب قط، والكهان لا بد لهم من الكذب»[٥].

ومما قرره من الافتراق في شأن الخبر - الافتراق في غايته، وعِظَمِه، وتفصيله.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض الكلام على الفرق بين خبر الرسول، وخبر الجن: «والجن غايتها أن **تخبر** ببعض الأمور المستقبلية؛ كالذي يستَرِقُه الجن من السماء، مع ما في الجن من الكذب؛ فلا بد لهم من الكذب.

---

(١) النبوات ٢/ ٨٥١.

(٢) يعني: آيات الأنبياء.

(٣) النبوات ٢/ ٨٥١ - ٨٥٢.

(٤) يعني: إخباره عَلَيْهِ السَّلَامُ بما يأكل بنو إسرائيل، وما يدخرون في بيوتهم، كما قال - تعالى - عنه: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

(٥) النبوات ١/ ١٤٦ - ١٤٧.

والذي يخبرون به هو مما يُعلم بالمنامات وغير المنامات؛ فهو من جنس المعتاد للناس»[١].

ثم بيَّن امتياز خبر الرسول عن خبر الجن؛ **فقال:** «وأما ما **يخبر** الرسل[٢] من الأمور البعيدة الكبيرة مفصلاً، مثل إخباره: «**إنكم تقاتلون الترك صغار الأعين ذُلْف الأُنُف، ينتعلون الشعر كأنّ وجوههم المجان المُطْرقة**»[٣].

وقوله: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تُضيء لها أعناق الإبل ببصرى**»[٤] ونحو ذلك[٥] ـ فهذا لا يقدر عليه إنسي، ولا جني»[٦].

إلى أن قال: «والمقصود: أن ما **يخبر** به غير النبي من الغيب معتاد معروف نظيره من الجن والإنس؛ فهو من غيب الله الذي قال فيه: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن]»[٧].

وهكذا يبيِّن هذا الفرق الذي يعد من أعظم الفروق بين **المعجزات والأحوال الشيطانية، ألا وهو الافتراق في خبر كلٍّ منهما.**

○ **رابع عشر: أنهما يفترقان في العاقبة والمصير:** فلقد قرر ابن تيمية ذلك كثيراً، وقد مرَّ الكلام على ذلك مفصَّلاً، وذلك عند تقريره أن من آيات الأنبياء وبراهينهم نَصْرَهم على قومهم، وإهلاك أعدائهم[٨].

والشاهد هٰهنا بيان أنه يرى أن ذلك مما يُفَرَّقُ به بين **آيات الأنبياء، والأحوال الشيطانية**؛ إذ يرى أنهما يفترقان في **العاقبة، والمصير** لأصحاب كلٍّ منهما؛ **فعاقبة** الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم رشد، وفلاح، **ومصيرهم إلى** خير وسعادة في الدارين.

وعاقبة أعدائهم شقاء، وخزي، وخسارة، **ومصيرهم إلى** شقاء في الدارين.

ولهذا ذكر ذلك في معرض تفريقه بين آيات الأنبياء، وما يأتي به مكذبوهم.

قال رحمه الله في الوجه الحادي عشر من الفروق التي ذكرها في (النبوات) بعد أن بيَّن أن آيات الله مختصة بهم، **قال:** «وسواء في آياتهم التي كانت في حياة قومهم، وآياتهم **التي فرَّق الله بها بين أتباعهم، وبين مكذبيهم**؛ بنجاة هؤلاء، وهلاك

---

(١) النبوات ١/١٤٨.

(٢) هكذا في الأصل، ولعلها: (الرسول).

(٣) انظر: صحيح مسلم (٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٦)، وسنن أبي داود (٤٣٠٣).

(٤) أخرجه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢).

(٥) يعني: من أخبار الغيب المستقبلي.

(٦) النبوات ١/١٤٩.

(٧) المرجع السابق ص١٥٠، وانظر: ص١٥٠ ـ ١٥٢.

(٨) وذلك في المطلب الأول من المبحث الثاني من الفصل الأول من الباب الأول.

هؤلاء»[١].

ثم بيَّن أن ذلك ليس من جنس ما يوجد في العادات المختلفة لغيرهم، **وذكر** أمثلة على ذلك كتغريق الله لجميع أهل الأرض إلا نوحاً ومن معه في السفينة، وكإهلاك قوم عاد، وصالح، ولوط، وقوم فرعون، وقرر أن ذلك لم يكن له نظير في العالم[٢].

فهذه أربعة عشر فرقاً عليها مدار تفريق ابن تيمية بين المعجزات والأحوال الشيطانية.

وبالجملة فإن كلامه في ذلك كثير جدّاً داخلٌ بعضُه في بعض.

وبهذا يتبين تفريقه بين هذين النوعين اللذين **قرر** أن الفرق بينهما كالفرق بين الليل والنهار، والملائكة والشياطين.

وقال في ذلك كلمة يحسن الختام بها، وهي **قوله:** «فمن جعل النبي ساحراً، أو مجنوناً هو بمنزلة من جعل الساحر أو المجنون نبيّاً.

وهذا من أعظم الفِرْيَةِ والتسويةِ بين الأضداد.

وهو شرٌّ مِنْ قولِ مَنْ يجعل العاقل مجنوناً، والمجنون عاقلاً، أو يجعل الجاهل عالماً، والعالم جاهلاً؛ فإن الفرق بين النبي والساحر والمجنون أعظم من الفرق بين العاقل والمجنون، والعالم والجاهل»[٣].

المسألة الثانية: تفريقه بينها وبين الكرامات

لقد كان من عناية ابن تيمية الفائقة بالخوارق تفريقُه بين **الأحوال الشيطانية والكرامات.**

والناظر في آثاره التي عُنيت بهذا الشأن يلاحظ أن تفريقَه بينهما قريبٌ من تفريقه بين الأحوال الشيطانية والمعجزات.

ولا غرو في ذلك؛ فالكرامات فرع عن المعجزات، ونوعٌ منها.

كما يلاحظ أنه ميَّز كل واحدةٍ من الكرامات والأحوال الشيطانية عن الأخرى

---

(١) النبوات ١/٥٠٨.
(٢) انظر: المرجع السابق ١/٥٠٨ ـ ٥١٠.
(٣) المرجع السابق ٢/٦٦٥، وانظر: الجواب الصحيح ١/٨٦، و١٢٧ ـ ١٢٩، ومجموع الفتاوى ١/٢٨٩ ـ ٢٩٢، و٤/١٦٨ ـ ١٦٩، و٦/٤٨٩ ـ ٤٩١، ومنهاج السُّنَّة ٢/٤١٩ ـ ٤٢٠.

بما لا يدع مجالاً لالتباس إحداهما بالأخرى؛ فهو يرى أهمية التفريق بينهما، ويرى أن بينهما فروقاً كثيرة.

يقول رحمه الله بعد أنْ **قرر** أنَّ كرامات الأولياء من جملة آيات الأنبياء، وأنها مستلزمة لنبوتهم.

قال: «ولكن يُحتاج أن يُفَرَّقَ بين كرامات الأولياء، وبين خوارق السحرة، والكهان، وما يكون للكفار والفساق، وأهل الضلال والغي بإعانة الشياطين لهم كما يُفَرَّق بين ذلك وبين آيات الأنبياء.

والفروق بين ذلك كثيرة»[١].

وقال في كتابه «الفرقان» الذي ألفه لهذه الغاية: «وبَيْنَ كرامات الأولياء، وما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة»[٢].

وقرر أن كثيراً ممن التبس عليه الأمر لا يفرق بينهما، حيث «سمع أن أولياء الله لهم كرامات وخوارق للعادات، وليس عنده من حقائق الإيمان، ومعرفة القرآن ما يفرق به بين **الكرامات الرحمانية، والتلبيسات الشيطانية**؛ فيمكرون به بحسب اعتقاده»[٣].

وقرر في موضع آخر أن الرجل إذا كان خبيراً بحقائق الإيمان الباطنة ـ فرَّق بين **الأحوال الرحمانية، والأحوال الشيطانية**؛ فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٨][٤].

وقبل الدخول في تفصيلات تفريقه بينهما يحسن أن يُذكر ما يقرره من أوجه الاتفاق بينهما؛ فهما عنده يتفقان فيما يلي:

١ ـ **في كونهما من خوارق العادات:** فمراتب الخوارق عنده ـ كما مرَّ ـ: المعجزات، والكرامات، والأحوال الشيطانية.

٢ ـ **في بعض الأسماء:** فهناك أسماء مشتركة تجمعهما، وتَصْدُق ـ في العموم ـ على كل واحد منهما؛ بل تَصْدُق على أنواع الخوارق الثلاثة.

ومن تلك الأسماء: الخارق، والخوارق، وخوارق العادات، والتصرفات الخارقة للعادة.

---

(١) النبوات ٢/ ٨٢٤.
(٢) الفرقان ص٣٢٧ ـ ٣٢٨.
(٣) المرجع السابق ص٣٦٥ ـ ٣٦٦.
(٤) انظر: المرجع السابق ص١٧٦.

٣ ـ **أن خوارقهما تحصل بالأسباب، والاكتساب: فتحصل** للصالحين بأفعالهم كعبادتهم، ودعائهم، **وتحصل** لأهل الأحوال الشيطانية بشركهم وفجورهم ونحو ذلك؛ فهما بخلاف النبوة؛ إذ هي اصطفاء من الله، وليست اكتسابية[١].

فهذه ـ بإجمال ـ أهم ما قرره من أوجه الاتفاق بينهما.

أما أوجه الاختلاف بينهما فكثيرة، وفيما يلي بيان لما قرره من الفروق في ذلك:

○ **أولاً: أنهما يفترقان في بعض الأسماء:** فكما يتفقان ـ عنده ـ في بعض الأسماء؛ حيث يطلق على كلٍّ منهما خوارق، أو خوارق العادات، أو الخوارق ـ فكذلك لكل واحدٍ منهما أسماء مختصة به؛ فلا يسمى بها الآخر.

مثل كرامات الصالحين[٢]، والكرامات الرحمانية[٣]، وخوارق الأولياء[٤]، ونحوها؛ **فهذه عنده** أسماء مختصة بالكرامات، ولا يطلقها على غيرها من الخوارق.

وكذلك الحال بالنسبة للأحوال الشيطانية فهناك أسماء مختصة بها، وقد مرَّ ذكرها في المسألة الماضية؛ كالأحوال الشيطانية، وخوارق السحرة والفجار، ونحوها.

○ **ثانياً: أنهما يفترقان من جهة الصدق والكذب:** فقد قرر أن **الكراماتِ** قريبة من المعجزات في ذلك؛ إذ هي مشتملة على الصدق، وأصحابُها من أصدق الناس.

وأن الأحوالَ الشيطانيةَ بعكس ذلك؛ إذ هي مشتملة على الكذب، وأصحابها أكذب الناس، أو من أكذبهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في النبوات بعد أن **قرر** أن الأنبياء يصدِّق بعضهم بعضاً، وأن آية كل واحد منهم آية لجميعهم، **قال:** «كما أن آيات أتباعهم آيات لهم ـ أيضاً ـ.

وهذا ـ أيضاً ـ من آيات الأنبياء، وهو تصديقُ بعضهم لبعض»[٥].

ثم بيَّن حال أصحاب الأحوال الشيطانية، **فقال:** «فلا يوجد من أصحاب الخوارق العجيبة التي تكون لغير الأنبياء كالسحرة، والكهنة، وأهل الطبائع،

---

(١) انظر: النبوات ٢/ ١٠٨٤.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٥/ ٤٢٠، والنبوات ٢/ ١٠٨٢، والرسالة الصفدية ص٢٠٣.

(٣) انظر: الفرقان ص٣٢٨، و٣٦٥ ـ ٣٦٦، والنبوات ٢/ ١٠٣٥.

(٤) انظر: الجواب الصحيح ٥/ ٤١٩.

(٥) النبوات ١/ ٥١٨.

والصناعات ـ إلا من يخالف بعضهم بعضاً فيما يدعو إليه، ويأمر به، ويعادي بعضهم بعضاً»[١].

وقال في «الفرقان» في وصف أصحاب الأحوال الشيطانية: «وهؤلاء جميعهم الذين ينتسبون إلى المكاشفات، وخوارق العادات إذا لم يكونوا متبعين للرسل ـ فلا بد أن يكذبوا، وتكذبهم شياطينهم»[٢].

○ **ثالثاً: أنهما يفترقان من جهة أسباب تحصيلهما:** ويُقصد من ذلك الأسباب التي ينالون بها الخارق أيّاً كان رحمانياً، أو شيطانياً.

فأصحاب الكرامات، والأحوال الشيطانية يتفقان ـ كما مرَّ ـ من جهة أن خوارقهما تنال بالأسباب.

وهذا ما يفترقان به عن النبوة؛ **فهي** لا تكتسب، وإنما هي اصطفاء من الله.

ولكنهما يختلفان في كيفية تحصيل الخارق، ونيله؛ **فهذا هو المراد هٰهنا.**

وابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ **يقرر ذلك، ويذكر** أن أسباب تحصيل الكرامة ـ على الجملة ـ: التوحيد، والتقوى، والعلم، والاتِّباع، وما يتفرع عنها.

وأن أسباب تحصيل الأحوال الشيطانية ـ إجمالاً ـ: الشرك، والكفر، والفجور، والابتداع، والظلم، والجهل، وما يستتبعها.

قال رَحِمَهُ اللهُ في النبوات بعد أن ذكر بعض ما يحصل من الكرامات لبعض الأولياء، **قال** مبيِّناً السبب: «أما السبب فإن الصالحين يُسمون الله، ويذكرونه، ويفعلون ما يحبه الله من توحيده، وطاعته؛ فييسر لهم بذلك ما ييسره»[٣].

إلى أن قال مبيِّناً السبب فيما يكون لأصحاب الأحوال الشيطانية من إعانة الشياطين لهم: «وما تفعله الشياطين يحصل بسبب الشرك، والكذب، والفجور»[٤].

وقال في موضع آخر بعد أن ذكر ما تقوم به الجن من خدمة، أو إعانة على فساد لأصحاب الخوارق الشيطانية، **قال:** «وليس شيء من ذلك من معجزات الأنبياء، ولا كرامات الصالحين»[٥].

ثم بيَّن العلة في ذلك، فقال: «فإن ذلك إنما يفعلونه[٦] بسبب شرك، وظلم،

---

(١) النبوات ١/٥١٨، وانظر: ٢/٨٠٧ـ٨١٤.
(٢) الفرقان ص٨٤.
(٣) النبوات ٢/١٠٠٢.
(٤) المرجع السابق ٢/١٠٠٣.
(٥) المرجع السابق ٢/١٠١٦.
(٦) يعني: أصحاب الأحوال الشيطانية.

وفاحشة»[١].

وقال في موضع آخر في معرض ذكره للفروق بين الخوارق مبيِّناً أسباب ما تنال به هذه، وهذه، **قال:** «التاسع[٢]: أن خوارق غير الأنبياء: الصالحين، والسحرة، والكهان، وأهل الشرك والبدع ـ تنال بأفعالهم: كعبادتهم، ودعائهم، وشركهم، وفجورهم، ونحو ذلك»[٣].

إلى أن قال: «فالخوارق التي ليست آيات[٤]: تارة تكون بدعاء العبد، والله يجيب دعوة المضطر إذا دعاه وإن كان كافراً، لكن للمؤمنين من إجابة الدعاء ما ليس لغيرهم.

وتارة تكون بسعيه في أسبابها؛ مثل توجهه بنفسه، وأعوانه، وبمن يطيعه من الجن والإنس في حصولها»[٥].

هذا، وقد أبدى في الفرقان، وأعاد كثيراً حول هذا المعنى، **يقول** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبيْن كرامات الأولياء، وما يشبهها[٦] من الأحوال الشيطانية فروق متعددة، منها: أن كرامات الأولياء **سببها الإيمان والتقوى**.

والأحوال الشيطانية يكون سببها **ما نهى الله عنه ورسوله**»[٧].

وقال في موضع آخر مبيِّناً سبباً من أسباب حصول الكرامات: «وكرامات الأولياء إنما حصلت ببركة اتباع رسول الله ﷺ»[٨].

وقال في موضع آخر مبيِّناً أعمال أصحاب الأحوال الشيطانية: «فلا بد أن يكون في أعمالهم ما هو إثم وفجور؛ مثل نوع من الشرك، أو الظلم، أو الفواحش، أو الغلو، أو البدع»[٩].

ثم بيَّن أن تلك الأعمال سبب لحصول الأحوال الشيطانية؛ **فقال:** «ولهذا تنزلت عليهم الشياطين، واقترنت بهم؛ فصاروا من أولياء الشيطان لا مِن أولياء الرحمٰن»[١٠].

هذا، وقد ذكر أسباباً أخرى لحصول الأحوال الشيطانية كالسماع المحرَّم،

---

(١) النبوات ٢/١٠١٦.
(٢) يعني: من الفروق بينهما.
(٣) النبوات ٢/١٠٨٤.
(٤) يعني: ليست آيات الأنبياء، ويعني بذلك: الكرامات والأحوال الشيطانية.
(٥) النبوات ٢/١٠٨٥.
(٦) يعني: ما يشبهها من جهة خرق العادة.
(٧) الفرقان ص٣٢٨.
(٨) المرجع السابق ص٢٩٢.
(٩) المرجع السابق ص٨٤.
(١٠) انظر: المرجع السابق ص٣٤٤ ـ ٣٥٠.

والغناء، والملاهي، وضعف العقول[١].

وسيأتي مزيد بيان لذلك في المباحث التالية، وإنما المقصود هٰهنا بيان هذا الفَرْقِ بين الكرامات والأحوال الشيطانية، **ألا وهو الفرقُ بينهما من جهة السبب.**

○ **رابعاً: أنهما يفترقان من جهة الغاية:** فهو يقرر أن الكرامة **تقع لحجة في الدين، فيظهر بها الدين،** ويعلو؛ لِيؤمنَ الكافر، ويُخْلِصَ المنافق، ويزداد الذين آمنوا إيماناً.

كما تقع لحاجة المسلمين، وما فيه منفعة لهم في دينهم، ودنياهم.

وغاية ذلك: الدلالة على صحة الدين، وحصول الاستقامة على الشرع[٢].

كما يقرر أن الأحوال الشيطانية بعكس ذلك؛ إذ تقع ـ في الأغلب ـ **لمناقضة الدين،** ومحادة ما جاء به المرسلون.

وغاية ذلك: الصَّدُّ عن الدين، والاستعانة بها على ما نهى الله عنه ورسوله[٣].

قال رَحِمَهُ اللهُ في النبوات بعد أن بيَّن السبب في إعانة الله للصالحين، وتيسيره أمورَهم، **قال** مبيِّناً **غاية** الصالحين من ذلك: «**ومقصودهم**: نصر الدين، والإحسان إلى المحتاجين»[٤].

وبعد أن بيَّن سبب ما تعين به الشياطين أولياءها؛ **قال** **مبيِّناً الغاية من ذلك:** «**والمقصود** به: الإعانة على ذلك»[٥].

ويعني: **أن الغاية** من إعانة الشياطين لأوليائها هو الإعانة على الشرك، والكذب، والفجور.

وقد مرَّ الكلام على ذلك مفصلاً في الفصل الأول من الباب الثاني.

وإنما المقصود هٰهنا بيان أنهما **يفترقان من جهة الغاية.**

○ **خامساً: أنهما يفترقان من جهة الولاية:** فابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ يفرق بينهما من هذه

---

(١) انظر: الرسالة الصفدية ص٢٣٧.

(٢) انظر تفصيل ذلك في: النبوات ١/١٤٣، ٥٢٨، ٥٥٨، و٢/١٠٨٢، والفرقان ص٣٠٠ ـ ٣٢٠، و٣٢٨، ومجموع الفتاوى ١١/٣٢٥ ـ ٣٢٦، و٣٣١ ـ ٣٣٥، وقاعدة عظيمة ص١٦٨، وجامع الرسائل ٢/٣٥٢.

(٣) انظر: الفرقان ص٣٢٥، والنبوات ٢/١٠١٦.

(٤) النبوات ٢/١٠٠٢.

(٥) المرجع السابق ٢/١٠٠٣.

الناحية؛ **فيقرر** أن أصحاب الكرامات **أولياء للرحمٰن**، وأن أصحاب الأحوال الشيطانية **أولياء للشيطان**.

قال كَلَلهُ: «وقد بيَّن الله في كتابه وسُنَّة رسوله ﷺ أن لله أولياءَ من الناس، وللشيطان أولياء، وفرَّق بين أولياء الرحمٰن، وأولياء الشيطان»[١].

ثم ذكر أوصافَ كلٍّ من الفريقين، **وساق** النصوص الواردة في ذلك[٢].

وكما أنه **فرَّق** بين أصحاب كلٍّ منهما في أصل الولاية ـ فقد فرَّق بينهما في ما يندرج تحت الولاية، وهذا ما سيتبين في فقرات آتية.

○ **سادساً: أنهما يفترقان في التقوى: فلقد قرر** كَلَلهُ **أن أصحاب الكرامات الرحمانية** هم أولياء الله المتقون «الذين فعلوا المأمور، وتركوا المحظور، وصبروا على المقدور؛ فأحبهم، وأحبوه، ورضي عنهم، ورضوا عنه»[٣].

وقرر أن أصحاب الأحوال الشيطانية هم أعداؤه، وهم أولياء الشيطان، وهم وإن كانوا تحت قدرته ﷻ فهو يبغضهم، ويمقتهم، ويلعنهم، ويعاديهم[٤].

○ **سابعاً: أنهما يفترقان من جهة الاتباع والابتداع: قال** كَلَلهُ مقرراً هذا المعنى في معرض تفريقه بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، **قال**: «وبسط هذه الجمل له موضع آخر، وإنما كتبت هذا تنبيهاً على مجامع الفرق بين أولياء الرحمٰن، وأولياء الشيطان»[٥].

ثم ذكر أهم تلك الفروق **فقال**: «وجماع الفرق بينهما: **اعتبارهم بموافقة** رسول الله ﷺ فإنه هو الذي فرَّق الله به بَيْن أوليائه، وأعدائه؛ بَيْن أوليائه السعداء، وأعدائه الأشقياء، وبين أوليائه أهل الجنة، وأعدائه أهل النار، وبَيْن أوليائه أهل الهدى والرشاد، وأعدائه أهل الغي والضلال والفساد، وبين أوليائه جند الرحمٰن، وأعدائه حزب الشيطان»[٦].

وقال في موضع آخر: «ولو بلغ الرجل في الزهد والعبادة ما بلغ، ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمد ﷺ ـ فليس بمؤمن، ولا ولي»[٧].

وقال ـ أيضاً ـ في موضع آخر مقرراً أن الحجة بالاتباع في الخوارق:

---

(١) الفرقان ص٤٤ ـ ٤٥.
(٢) انظر: المرجع السابق ٤٤ ـ ٥٦.
(٣) المرجع السابق ص٢٧٦.
(٤) انظر: المرجع السابق ص٢٧٦.
(٥) المرجع السابق ص٢٨٦.
(٦) المرجع السابق ص٢٨٦ ـ ٢٨٧.
(٧) المرجع السابق ص٧٩، وانظر: ص٨٠ ـ ٨٥.

«فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي الله، لا سيما أن تكون حجته على ذلك إما مكاشفة سمعها منه، أو نوع تصرف مثل أن يراه أشار إلى أحد فمات، أو صُرِع»[١].

ثم يبيِّن العلة في ذلك قائلاً: «فإنه قد عُلِم أن الكفار والمنافقين من المشركين، وأهل الكتاب لهم مكاشَفات، وتصرفات شيطانية؛ كالكهان، والسحرة، وعباد المشركين، وأهل الكتاب»[٢].

ثم يقرر بناءً على ذلك أنه: «لا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص وليّاً لله، وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله؛ فكيف إذا عُلم منه ما يناقض ولايةَ اللهِ؟ مثل أن يُعلم أنه لا يعتقد وجوبَ اتباعِ النبي ﷺ باطناً وظاهراً»[٣].

ثم ذكر أمثلة عديدة على ذلك ممن يُعتقد فيهم الولايةُ، وهم فاقدون لشرطها وهو الاتباع، وترك الابتداع.

○ **ثامناً: أنهما يفترقان من جهة القوة والضعف:** فلقد قرر أن كلَّ واحدٍ منهما **يقوى، ويضعف** بأسبابٍ غيرِ ما يقوى، **ويضعف** به الآخر؛ فأصحاب الكرامات **يقوون** بتوحيد الله، وذكره، وبالعمل الصالح عموماً.

ويضعفون إذا قصروا بشيء من ذلك سواء كان واجباً، أو مندوباً.

وأصحاب الأحوال الشيطانية يقوون عند المكاء، والتصدية، والاستعانة بالشياطين، ونحو ذلك من المنكرات.

ويضعفون ـ كما مرَّ في المسألة الماضية ـ عند ذكر الله، وتوحيده، وقراءة القرآن لا سيما آية الكرسي[٤].

يقول رحمه الله مقرراً هذا المعنى: «فإن الجن قد يخبرون بما يأكله بعض الناس، وبما يدَّخرونه.

لكن الشياطين إنما تتسلط على من لا يذكر اسم الله؛ كالذي لا يذكر اسم الله إذا دخل؛ فيدخلون معه، وإذا لم يذكر اسم الله إذا أكل فإنهم يأكلون معه.

وكذلك إذا ادخر شيئاً ولم يذكر اسم الله عرفوا به، وقد يسرقون بعضه كما جرى لكثير من الناس»[٥].

---

(١) الفرقان ص١٢٤.
(٢) المرجع السابق ص١٢٤.
(٣) المرجع السابق ص١٢٤ ـ ١٢٥.
(٤) انظر: النبوات ٢/ ١٠٣٠.
(٥) المرجع السابق ٢/ ١٠٢٢، وانظر: مجموع الفتاوى ١٩/ ٥٣.

إلى أن قال: «وأما من يذكر اسم الله على طعامه، وعلى ما يختاره ـ فلا سلطان لهم عليه، ولا يعرفون ذلك، ولا يستطيعون أخذه»[(١)].

ثم بيَّن أن «من تكون أخباره عند شياطين تخبره لا يكاشف أهل الإيمان والتوحيد، وأهل القلوب المُنَوَّرة بنور الله؛ بل يهرب منهم، ويعترف أنه لا يكاشف هؤلاء وأمثالهم»[(٢)].

وقرر أن أهل الأحوال الشيطانية يعترفون بأن أحوالهم «لا تظهر قُدَّام الشرع، والكتاب والسُّنَّة، وإنما تظهر عند الكفار والفجار»[(٣)].

كما قرر أنهم يقوون في الأماكن التي تأوى إليها الشياطين؛ كالمقابر، والمشاهد، والحمامات، والمواخير[(٤)].

وأن كيدهم يضعف في المساجد، وفي شهر رمضان، وحال الصوم؛ إذ شرهم على أهل الصوم قليل بخلاف أهل الشراب، وأهل الظلمات؛ فهم يحبون الظُّلْمَة، ويكرهون النور، ولهذا ينتشرون في الليل[(٥)].

والمقصود هٰهنا: بيان هذا الفرق، وهو **ما يقوى به ويضعف هؤلاء، وما يقوى ويضعف به أولئك.**

وأما تفصيل ذلك ففي الفصل الثاني من هذا الباب.

○ **تاسعاً: أنهما يفترقان من جهة الأمر والنهي:** فقد قرر أن أصحاب الكرامات **يأمرون** بما يأمر به الأنبياء من المعروف عموماً، **وينهون** عما ينهون عنه من المنكر عموماً.

وأصحاب الأحوال الشيطانية **عكسهم**، وقد مرَّ الكلام على ذلك في المسألة الماضية[(٦)].

○ **عاشراً: أنهما يفترقان من جهة خرق العادة، والمعارضة، والنظير:** وهذه مسائل متداخلة، ومر الكلام عليها في المسألة الماضية خصوصاً ما كان في شأن الأحوال الشيطانية؛ حيث قرر ابن تيمية أن ما يأتي به أصحاب الأحوال الشيطانية من

---

(١) النبوات ٢/١٠٢٢. (٢) المرجع السابق ٢/١٠٢٣.

(٣) المرجع السابق ٢/١٠٢٤، وانظر: مجموع الفتاى ١٣/٨٥، و٩١.

(٤) **المواخير**، ويقال: المواخر: جمع: ماخور، والماخور: بيت الريبة، ومجمع أهل الفسق والفساد. انظر: المعجم الوسيط ٢/٨٥٧.

(٥) انظر: النبوات ٢/١٠٢٦ ـ ١٠٢٩، والفرقان ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

(٦) انظر: النبوات ١/٥٥٨، و٦٠٧، و٢/٦٤٤ ـ ٦٦٥، و١٠٨٦ ـ ١٠٨٧، و١٠٩٠ ـ ١٠٩١.

الخوارق لا يخرج عن مقدور الإنس والجن، وأن ما يأتي به أصحاب الأحوال الشيطانية من سحر وكهانة ونحوها ـ أمور معتادة معروفة لأصحابها، وليست خارقة لعادتهم، ولا لعادة بني آدم عموماً.

كما يقرر أن الأحوال الشيطانية يمكن معارضتها؛ بمثلها أو أقوى منها، وأن خوارقهم يوجد لها نظير، وبعضها يعارض بعضها[(١)].

في حين يقرر أن كرامات الأولياء عكس ذلك، فهي خارقة لعادة غير الصالحين، ولا يمكن معارضتها بمثلها، أو أقوى منها.

فهذه أجلى الفروق التي فرَّق فيها بين الأحوال الشيطانية، والكرامات.

وهي ـ كما يلاحظ ـ فروق واضحةٌ مؤثرة، لا تدَعُ مجالًا لالتباس إحداهما بالأخرى لمن تأمل ذلك، وتدبره.

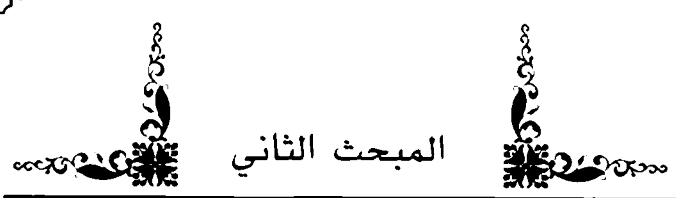
وسيأتي مزيد بيان لذلك في المبحث التالي، وفي الفصل الثاني من هذا الباب.

وبهذا ينتهي المبحث الأول من هذا الفصل الذي دار حول مفهوم ابن تيمية للأحوال الشيطانية، وينتقل الكلام في المبحث الثاني إلى بيانه لأسباب ظهورها.



---

(١) انظر: النبوات ١/ ١٥٠، و٥٥٨ ـ ٥٥٩، و٢/ ٨٠٠ ـ ٨٠١، و٨٣٠، و٩٩٢، و١٠٧٤ ـ ١٠٧٥، ومجموع الفتاوى ١/ ٨٢ ـ ٨٣.



المبحث الثاني

بيانه لأسباب ظهور الأحوال الشيطانية

الأحوال الشيطانية تظهر، وتنتشر لأسباب عدة، ويتفاوت ذلك باختلاف **الأزمنة، والأمكنة، والدواعي.**

ولقد عني ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان تلك الأسباب؛ حيث قرر أنها تبدو، وتقوى حال وجود تلك الأسباب، وتخبو، أو تضعف إذا عدمت، أو ضعفت.

والأسباب التي يراها عوامل لظهور الأحوال الشيطانية كثيرة، وقد مرت الإشارة إليها عند الكلام على الفروق بين الأحوال الشيطانية والمعجزات، وبين الأحوال الشيطانية والكرامات؛ إذ إن من الفروق بينهما الفروقَ من جهة السبب، وذُكر هناك ـ بإجمال ـ بعض أسباب ظهورها.

وأما تفصيل هذه الأسباب فهي مدار الكلام في هذه المبحث، وذلك من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: التفريط بالعلم والعمل.

المطلب الثاني: الاستغاثة، والاستعانة بغير الله.

المطلب الثالث: إيثار العزلة، والوَحْدَة، وحضور مجالس الباطل.

فهذه المطالب، وما يندرج تحتها من مسائل هي ما يراه ابن تيمية أسباباً لظهور الأحوال الشيطانية؛ فإلى بيان ذلك وتفصيله.



المطلب الأول

التفريط بالعلم والعمل

فهذا أهم ما يراه ابن تيمية سبباً لظهور الأحوال الشيطانية.

ويعني بذلك: التفريط في باب العلم الشرعي، والتفريط في باب العمل به، وهذا ما سيتضح من خلال المسائل التالية:

المسألة الأولى: البعد عن الكتاب والسُّنَّة

فهذا هو رأس الأسباب الجالبة لكل شر، ويأتي في مقدمة الأسباب لظهور الأحوال الشيطانية؛ سواء كان ذلك إعراضاً عنهما، أو مخالفةً لهما، أو جهلاً بهما، أو غير ذلك.

وهذا ما يقرره ابن تيمية كثيراً، وفي مواطن مختلفة من آثاره، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

○ **أولاً: ما قرره في «النبوات»: يقول** رَحِمَهُ اللهُ بعد فصل عقده في الفروق بين آيات الأنبياء وغيرها: «ومن تدبر هذا وغيره تبيَّن له أن جميع ما ابتدعه المتكلمون، وغيرهم مما يخالف **الكتاب والسُّنَّة** ـ فإنه باطل»[1].

ولا يكتفي بهذا الكلام المجمل؛ بل يزيد الأمر وضوحاً، وتفصيلاً.

فيقول: «ولا ريب أن المؤمن يعلم من حيث الجملة أن كل ما خالف الكتاب والسُّنَّة ـ فهو باطل.

لكنْ كثيرٌ من الناس لا يعلم ذلك في المسائل المفصَّلة؛ لا يعرف ما الذي يوافق الكتاب والسُّنَّة، وما الذي يخالفه؛ كما قد أصاب كثيراً من الناس في الكتب المصنفة في الكلام في أصول الدين، والرأي والتصوف، وغير ذلك؛ فكثير منهم قد اتبع طائفةً يظن أن ما يقولونه هو الحق، وكلهم على خطأ وضلال»[2].

---

(١) النبوات ١/ ٥٦١.

(٢) المرجع السابق ١/ ٥٦١، وانظر: الرد على الشاذلي ص١٥.

ثم أورد خطبة الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ التي ورد فيها ذم الكلام، وأهله، ثم علَّق عليها، **وبيَّن** ضلال مَنْ خالف الكتاب والسُّنَّة، وتفاوتَ الطوائف في ذلك، وأن مَنْ عرف السُّنَّة ظهر له مخالفةَ مَنْ خالف.

ثم تطرق لبعض الفرق المخالفة في ذلك؛ كالرافضة، والخوارج، والقدرية، والجهمية، والمرجئة، وغيرهم، وفصَّل الكلام في تلك الفرق.

ثم انتهى إلى الكلام على المخالفين في خوارق العادات؛ كالجويني، والرازي، والباقلاني وغيرهم.

وبيَّن ضلال من انحرف في التسوية بين آيات الأنبياء، وكرامات الأولياء وما تأتي به الكهان والسحرة وسائر أهل الأحوال الشيطانية[١].

وختم ذلك ببيان السبب الأعظم لذلك الضلال، ألا وهو **البعد عن الكتاب والسُّنَّة**، والجهل بما جاء عن الرسول ﷺ.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ **في ذلك**: «ومن أعظم أسبابه: تفريط أولئك، وجهلهم بما جاء به الأنبياء؛ فالنبوة التي ينتسبون إلى نصرها لم يعرفوها، ولم يعرفوا دليلها، ولا قدرها.

وهذا يظهر من جهات متعددة، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[٢].

○ **ثانياً: ما قرره في «الفرقان»**: حيث قرر في مواضع متعددة منه أن **البعد عن الكتاب والسُّنَّة** من أعظم أسباب الضلال، **وظهور الأحوال الشيطانية**.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١ ـ ما جاء في فصل عقده في وجوب التفريق بين أولياء الرحمٰن، وأولياء الشيطان: حيث **ساق** الأدلة من الكتاب والسُّنَّة، ثم **بيَّن** معنى الولاية والعداوة، **وذكر** سادة الأولياء، وادعاء بعض الكفار والمنافقين الولاية.

ثم قرر بعد ذلك نفاق من يُقِرُّ برسالة النبي ﷺ العامة في الظاهر ويعتقد في الباطن ما يناقضها، وأنه لا بد في الإيمان من الإيمان بالأركان الستة، وأن محمداً خاتم النبيين وأنه الواسطة بين الله وخلقه في تبليغ دينه؛ وأن من اعتقد طريقاً إلى الله غير متابعة محمدٍ ﷺ فهو كافر من أولياء الشيطان، وأن الرجل لو بلغ ما بلغ في الزهد، والعبادة، والعلم، ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمد ﷺ فليس بمؤمن، ولا ولي لله ـ تعالى ـ كالأحبار والرهبان من علماء اليهود، والنصارى، وعبَّادهم،

---

(١) انظر: النبوات ١/ ٥٦١ ـ ٦١٢.

(٢) المرجع السابق ١/ ٦١٢، وانظر: ٢/ ٨٠٧ ـ ٨٠٨، وانظر: الرد على الشاذلي ص١٧ ـ ١٨.

وكالمتسبين إلى العلم والعبادة من مشركي العرب، والتُّرك والهند وغيرهم[١].

٢ ـ **ما جاء في فصل عقده في أن العصمة ليست شرطاً في الولاية، قال** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأي أحدٍ ادعى، أو ادعى له أصحابُه أنه وليٌّ لله، وأنه مخاطب يجب على أتْباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله، ولا يعارضوه، ويسلموا له حاله من غير اعتبار **الكتاب والسُّنَّة** ـ فَهُوَ وَهُمْ مخطؤون»[٢].

٣ ـ **وقال:** «وهذا الذي ذكرته من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام **بالكتاب والسُّنَّة**، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له، أو لغيره اتِّباعُ ما يقع في قلبه من غير اعتبار **بالكتاب والسُّنَّة** ـ هو مما اتفق عليه أولياء الله عَزَّ وَجَلَّ.

ومن خالف في هذا فليس من أولياء الله ـ سبحانه الذين أمره الله باتِّباعهم.

بل إما أن يكون كافراً، وإما أن يكون مُفْرِطاً في الجهل»[٣].

٤ ـ **وقال في موضع آخر** بعد أن ذكر جملة من أخبار أهل الأحوال الشيطانية، **قال:** «وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن **الكتاب والسُّنَّة**»[٤].

ثالثاً: ما قرره في جامع الرسائل: حيث ذكر أخباراً عن بعض أصحاب **الأحوال الشيطانية**، وما يكون منهم من مخاريقَ، وشركٍ، وفجورٍ، واستعانةٍ بالشياطين[٥].

ثم قال بعد ذلك: «فكل من خرج عن **الكتاب والسُّنَّة**، وكان له حال من مكاشفة، أو تأثير ـ فإنه صاحب حال نفساني، أو شيطاني، وإن لم يكن له حال؛ بل هو يتشبه بأصحاب الأحوال فهو صاحب حال بهتاني»[٦].

ثم قرر أن «عامة أصحاب **الأحوال الشيطانية** يجمعون بين الحال الشيطاني، والحال البهتاني كما قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء]»[٧].

ثم ذكر أن الحلاج كان من أئمة هؤلاء: أهل الحال الشيطاني، والحال البهتاني، وذكر أخبار من يستغيثون بالمشايخ، وأحوالهم مع الجن، وما يحصل لهم من تنزلات شيطانية.

---

(١) انظر: الفرقان ص٤٩ ـ ٨٤.
(٢) المرجع السابق ص١٥٧.
(٣) المرجع السابق ص١٦١، وانظر نحواً من هذا في: ص١٦٢ ـ ١٦٣، و١٦٨، و٢٧٠ ـ ٢٧٥.
(٤) المرجع السابق ص٣٣١، وانظر: الرد على الشاذلي ص١٨ ـ ٢٣.
(٥) انظر: جامع الرسائل ١/ ١٩٤، وانظر: الرد على الشاذلي ص٧٠.
(٦) جامع الرسائل ١/ ١٩٤.
(٧) المرجع السابق ١/ ١٩٤.

وقال بعد ذلك: «**فكلما بعدوا عن الله ورسوله** ﷺ وطريق المؤمنين ـ قربوا من الشيطان»(١).

وبالجملة فهذه أمثلة يسيرة تدل على ما يقرره من أن البعد عن **الكتاب والسُّنَّة** أعظم الأسباب **لظهور الأحوال الشيطانية**.

المسألة الثانية: اندراس معالم التوحيد

والمقصود بذلك: خفاءُ معالم التوحيد، وظهور الجهل، وقلة العلم، واضمحلال آثار النبوة، ونحو ذلك؛ فهذا من الأسباب الرئيسة **لظهور الأحوال الشيطانية** كما يقرر ابن تيمية.

يقول رَحِمَهُ اللهُ في «الوصية الصغرى» بعد أن بيَّن عِظَمَ الوصية بتقوى الله، وما يندرج تحتها من معرفة ما يُتَّقى، ومعرفة أثر الذنوب، ووجوب التخلص منها، وكيفية ذلك، ومعرفة ما جاء عن الله ورسوله ﷺ ولو على سبيل الإجمال(٢): «واعلم أن العناية بهذا من أشد ما بالإنسان الحاجة إليه»(٣).

ثم علَّل لذلك بقوله: «فإن الإنسان من حين يبلغ خصوصاً في هذه الأزمنة ونحوها من أزمنة الفترات التي تشبه الجاهلية من بعض الوجوه؛ فإن الإنسان الذي ينشأ بين أهل علم ودين قد يتلطخ من أمور الجاهلية بعدة أشياء؛ فكيف بهذا»(٤).

ويقصد **بالفترات**: الأوقات والأزمنة التي تضعف فيها السُّنَّة، ويقل العلم، وتخفت أنوار الرسالة، ويشيع الجهل، وتكثر البدع.

ويعني **بقوله: (تشبه الجاهلية)**: أي: شبه ما عليه أهل الجاهلية من الجهل، والبعد عن الحق.

ويقرر في كلامه السابق أن من عاش في بيئة علم، وصلاح قد يتدنس بشيء من الخرافات، والدجل، والأهواء؛ فكيف بمن كان في بلاد قد استحكمت فيها الغربة، والجهل؟!

لا ريب أن تدنسه بذلك من باب أولى.

---

(١) جامع الرسائل ١/١٩٦، وانظر: مجموع الفتاوى ٢/٢٣٣، و١٤/٢٧٧، و٤٦٠.
(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١٠/٦٥٣ ـ ٦٥٦. (٣) المرجع السابق ١٠/٦٥٦.
(٤) المرجع السابق ١٠/٦٥٦.

فلهذا يقرر أن هذا السبب ـ وهو اندراس معالم التوحيد ـ من أعظم أسباب ظهور الأحوال الشيطانية.

قال رَحِمَهُ اللهُ في «النبوات»: «والكهانة كانت ظاهرة كثيرة بأرض العرب؛ فكلما ظهر التوحيد هربت الشياطين، وبطلت، أو قلَّت»[(١)].

إلى أن قال: «ثم إنها تظهر في المواضع التي **يخفى فيها أثر التوحيد.**

وقد كان حول المدينة بعد أن هاجر النبي ﷺ كهان يتحاكمون إليهم، وكان أبو برزة[(٢)] بن نيَّار كاهناً، ثم أَسَلَم بعد ذلك، وهو مِنْ أَسْلَم.

والأصنام لها شياطين كانت تتراءى للسدنة أحياناً، وتكلمهم أحياناً»[(٣)].

وقال في «الصفدية» في معرض كلام له عن الضلال في حقيقة النبوة، وعدم معرفة حقيقة النبي الصادق والمتنبئ الكاذب، وأن كثيراً من ذلك يوجد في المنتسبين إلى الفقه، والحديث، والتصوف، والزهد، والعبادة، والملك، والإمارة، والقضاء، وأن ذلك بسبب نقص معرفتهم بكمال النبوة، والرسالة، وحقيقة أقوال من يناقضها من بعض الوجوه دون بعض، **قال:** «ويكثر هؤلاء في أماكن **الفترات** التي تضعف فيها آثار **النبوة** إذا لم يكن هناك من يقوم بحقائقها»[(٤)].

إلى أن قال: «وهؤلاء يكثرون في الدول الجاهلية كدولة بني عبيد، ودولة التتار»[(٥)].

ثم فصَّل القول في أحوالهم؛ **فقال:** «ومن هؤلاء من يغفر الله له؛ فإنه إذا اجتهد وسعه في الإيمان بالله والرسول، ولم يَبْقَ له قدرةٌ على أكثر مما حصل له من الإيمان به ـ لم يكلف الله نفساً إلا وسعها، وإن كان قوله بعد قيام الحجة عليه كفراً»[(٦)].

وقال في منهاج السُّنَّة في معرض ردِّه على ابن المطهر، وبيان حال نصير الدين

---

(١) النبوات ٢/١٠١٩.

(٢) هكذا في طبعة يسري ص٦٤٥، وفي طبعة د. الطويان: (أبو بردة) في الأصل، ونبه في الحاشية ٢/ ١٠٢٠ إلى أن المشهور أن اسمه أبو برزة الأسلمي الصحابي ﷺ. انظر: مجموع الفتاوى ١٣/ ٨٣.

(٣) النبوات ٢/١٠١٩ ـ ١٠٢٠.

(٤) الرسالة الصفدية ص٢٣٦، وانظر: الرد على المنطقيين ص١٨٧.

(٥) الرسالة الصفدية ص٢٣٦، وانظر: مجموع الفتاوى ١١/٤٥٦ ـ ٤٥٧.

(٦) الرسالة الصفدية ص٢٣٦.

الطوسي، **قال** في الوجه الثاني: «الثاني: أن هذا الرجل[١] قد اشتهر عند الخاص والعام أنه كان وزير الملاحدة الباطنية الإسماعيلية بالألموت[٢]، ثم لما قدم الترك المشركون إلى بلاد المسلمين، وجاؤوا إلى بغداد دار الخلافة كان مُنَجِّماً مشيراً لملك الترك هولاكو؛ أشار عليه بقتل الخليفة، وقتل أهل العلم والدين، واستبقاء أهل الصناعات والتجارات الذين ينفعونه في الدنيا»[٣].

ثم بيَّن شيئاً من حال النصير الطوسي لما استولى على الوقف الذي للمسلمين، وأنه كان يعطي ما شاء الله لعلماء المشركين، وشيوخهم، والسحرة، وأمثالهم.

وأن أبخس الناس نصيباً منه من كان إلى الملل أقرب، وأوفرهم من كان عن الملل أبعد.

وأوضح أن المشهور عنه وأتباعه الاستهانة بواجبات الإسلام، ومحرماته[٤].

ثم قال بعد ذلك: «ولم يكن لهم قوة وظهور إلا مع المشركين الذين دينهم شر من دين اليهود والنصارى.

---

(١) يعني: محمد بن محمد بن الحسن الطوسي، والمعروف بنصير الدين الطوسي، أو النصير الطوسي (٥٩٧ ـ ٦٧٢هـ). انظر: البداية والنهاية ١٧/ ٢١٤، و٣٥٨، و٣٥٩، و٤٧٨، و٥١٤ ـ ٥١٥، و١٨/ ١٥٤، و٢٧٢، ومنهاج السُّنَّة ٣/ ٤٤٦ ـ ٤٤٨، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد كيلاني، طبعة الحلبي، مصر، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م، ٢/ ٢٦٣.

(٢) **الألموت**: وتسمى: قلعة الموت، أو حصن الموت، قلعة في جبال الديلم في منطقة طالقان، جنوب بحر قزوين، بناها أحد ملوك الديلم، واستولى عليها الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن صباح الحميري سنة ٤٨٣هـ، وجعلها مركزاً لدعوته، وظلت بعده مركزاً لأئمة الإسماعيلية، حتى عام ٦٥٤هـ، حين استولى عليها هولاكو، وهدمها مع سائر قلاعهم. انظر: الملل والنحل ١/ ١٧٥، وتاريخ الدعوة الإسماعيلية لمصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٩م، ص٢٦٢ ـ ٢٩٠، وهامش منهاج السُّنَّة ٣/ ٤٤٥.

(٣) منهاج السُّنَّة ٣/ ٤٤٦.

(٤) انظر: منهاج السُّنَّة ٣/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧، وقال ابن تيمية في خاتمة حديثه عن النصير الطوسي: «وبالجملة فأمر هذا الطوسي، وأتباعه عند المسلمين أشهر، وأعرف من أن يعرف، ويوصف.
ومع هذا فقد قيل: إنه في آخر عمره يحافظ على الصلوات الخمس، ويشتغل بتفسير البغوي، وبالفقه، ونحو ذلك.
فإن كان قد تاب من الإلحاد فالله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، والله ـ تعالى ـ يقول: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]». منهاج السُّنَّة ٣/ ٤٤٨.

ولهذا، كان كلما **قوي الإسلام** في المَغْل وغيرهم من التُرك **ضعف** أمر هؤلاء؛ لِفرط معاداتهم للإسلام وأهله»[١].

وقال في «قاعدة جليلة»: «فحيث **قوي** الإيمان والتوحيد، ونور الفرقان والإيمان، وظهرت آثار النبوة والرسالة ـ **ضعفت** هذه الأحوال الشيطانية.

وحيث ظهر الكفر، والفسوق، والعصيان ـ **قويت** هذه الأحوال الشيطانية»[٢].

والشاهد من ذلك كلّه أن من أعظم أسباب انتشار الأحوال الشيطانية، وعلو شأن أصحابها ـ **كما يقول ابن تيمية** ـ: «**طموس آثار الرسول في أكثر الأمصار، ودروس حقيقة الإسلام**»[٣].

المسألة الثالثة: ترك الفرائض، وارتكاب المحرمات

وهذا مما يقرره ابن تيمية رحمه الله كثيراً؛ فهو يرى أن الفرائض التي أوجبها الله على عباده هي شرط الولاية؛ فأولياء الله هم المتقون، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

فمن ترك الفرائض لم يكن تقياً، ولا لله ولياً.

ومن اعتقد أن محمداً ﷺ نبي، ولكن لا يجب اتباعه ـ فليس بولي، وليس بمؤمن، ولا مسلم.

بل هو كافر من أولياء الشيطان[٤].

قال رحمه الله: «ولا يكون مؤمناً تقياً حتى يتقرب إلى الله بالفرائض؛ فيكون من الأبرار أهل اليمين، ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يكون من السابقين المقربين»[٥].

إلى أن قال: «فمن لم يتقرب إليه لا بفعل الحسنات، ولا بترك السيئات لم يكن من أولياء الله»[٦].

---

(١) منهاج السُّنَّة ٣/٤٤٧.
(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٣هـ، ص١٦١.
(٣) مجموع الفتاوى ١١/٤٥٧.
(٤) انظر: الفرقان ص٤٩ ـ ٥٧، و٧٦ ـ ٧٩.
(٥) الفرقان ص١٢١.
(٦) المرجع السابق ص١٢٢.

وبناءً على ذلك يقرر أن **ترك الفرائض، وارتكاب المحرمات** من أعظم أسباب تسلط الشياطين، وحصول **الأحوال الشيطانية**.

وقد **قرر** ابن تيمية ذلك كثيراً خصوصاً في كتابه «الفرقان».

قال رَحِمَهُ اللهُ مبيِّناً أن وجود الخوارق لا يقتضي أن تكون كرامات؛ إذ قد تكون أحوالاً شيطانية: «فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين، والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين»[١].

إلى أن قال: «فلا يجوز أن يُظن أن كل من له شيء من هذه الأمور أنه ولي؛ بل يُعتبر أولياءُ الله بصفاتهم، وأفعالهم التي دل عليها الكتاب والسُّنَّة، ويعرفون بنور الإيمان، والقرآن، وبحقائق الإيمان الباطنة، وشرائع الإسلام الظاهرة»[٢].

ثم ضرب مثالاً على ذلك، **فقال:** «مثال ذلك: أن الأمور[٣] المذكورة، وأمثالها قد توجد في أشخاص، ويكون أحدهم **لا يتوضأ، ولا يصلي الصلواتِ المكتوبةَ**.

بل يكون ملابساً للنجاسات، معاشراً للكلاب، يأوي إلى الحمامات والقَمَّامين، والمقابر، والمزابل، رائحته خبيثة، **لا يتطهر الطهارة الشرعية، ولا يتنظف**»[٤].

ثم أورد جملة من الأحاديث التي تنهى عن تلك المخالفات، **وقرر** بعدها أن من كانت هذه حاله كان من أولياء الشيطان؛ إذ إن تلك الأحوال هي علاماتهم، لا علامات أولياء الرحمٰن[٥].

وقال في موضع آخر: «فكرامات أولياء الله لا بد أن يكون سببها الإيمان، والتقوى؛ فما كان سببه **الكفر والفسوق والعصيان** فهو من خوارق أعداء الله، لا من كرامات أولياء الله»[٦].

إلى أن قال: «فمن كانت خوارقه لا تحصل **بالصلاة، والقراءة، والذكر، وقيام الليل، والدعاء**، وإنما تحصل عند الشرك، مثل **دعاء الميت، أو الغائب، أو بالفسق، والعصيان**، وأكل المحرمات... فهذه أحوال شيطانية، وهو ممن يتناوله قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف]»[٧].

---

(١) الفرقان ص١٦٩.
(٢) المرجع السابق ص١٦٩.
(٣) يعني: الخوارق.
(٤) الفرقان ص١٦٩.
(٥) انظر: المرجع السابق ص١٦٩ ـ ١٧٤.
(٦) المرجع السابق ص٣٥٤ ـ ٣٥٥.
(٧) المرجع السابق ص٣٥٥.

هذا، **وقد ذكر في «جامع الرسائل»** في فتواه عن الحلاج أخباراً عن بعض أصحاب الأحوال الشيطانية، وذكر أن سبب وقوع تلك الأحوال **ارتكاب المحرمات، وترك الفرائض**.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر بعض أحوال الحلاج: «ومثل هذا يحدث كثيراً لغير الحلاج ممن له **حال شيطاني**.

ونحن نعرف كثيراً من هؤلاء في زماننا وغير زماننا»[(١)].

ثم ضرب أمثلة على ذلك، ومنها ما يلي:

○ **المثال الأول: قال** رَحِمَهُ اللَّهُ: «مثل شخص هو الآن بدمشق كان الشيطان يحمله من جبل الصالحية إلى قرية حول دمشق؛ فيجيء من الهواء إلى طاقة البيت الذي فيه الناس، فيدخل، وهم يرونه، ويجيء بالليل إلى باب الصغير[(٢)]، فيعبر منه هو ورفيقه»[(٣)].

قال ابن تيمية معلقاً: «وهو من أفجر الناس»[(٤)].

○ **المثال الثاني: قال** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وآخر كان بالشَّوْبَك من قرية يقال لها: الشاهدة يطير في الهواء إلى رأس الجبل، والناس يرونه، وكان شيطان يحمله، **وكان يقطع الطريق**، وأكثرهم **شيوخ الشر**، يقال لأحدهم: البَوْشي أبي المجيب، ينصبون له خركاء[(٥)] في ليلة مظلمة، ويصنعون خبزاً على سبيل القربات؛ فلا يذكرون الله، ولا

---

(١) جامع الرسائل ١/١٩٢.

(٢) **باب الصغير**: أحد أبواب دمشق الستة. انظر: مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه، ليدن، ١٣٠٢هـ، ص١٠٦، وهامش جامع الرسائل ١/١٩٢.

(٣) جامع الرسائل ١/١٩٢.

(٤) المرجع السابق ١/١٩٢.

(٥) **خركاء**: لم أجد هذه التسمية، وربما تكون كلمة أعجمية.

وإنما في المعاجم: خرقاء، وتطلق على عدة معانٍ، منها: الأرض الواسعة، والمفازة؛ لأن الريح تنخرق فيها، وتطلق على الشاة مثقوبة الأذن، والناقة التي لا تتعهد مواضعها.

والسيف يقال له: خارق، **والخرقة**: الثوب الممزق.

والمخراق: منديل يلوى؛ فيضرب به، أو يفزَّع به في لعبة الصبيان. انظر: المعجم الوسيط ١/٢٢٩ ـ ٢٣٠، والمعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، ص١٩٢ ـ ١٩٣.

ولعل المعنى الأخير هو المراد، وهو أن الخركاء: ما يوضع من الخرق، والنسيج، ونحوها؛ فيكون على هيئة معينة، كالذي يوضع على هيئة إنسان؛ لإخافة الطيور، ونحوها. ـ والله أعلم ـ.

يكون عندهم من يذكر الله، ولا كتاب فيه ذكر الله، ثم يصعد ذلك البَوْشي في الهواء، وهم يرونه، ويسمعون خطابه للشيطان، وخطاب الشيطان له.

ومن ضحك، أو سرق من الخبز ضربه الدف، ولا يرون من يضرب به»[١].

إلى أن قال مبيِّناً ما يرتكبونه من الموبقات في ذلك: «ثم إن الشيطان يخبرهم ببعض ما يسألونه عنه، ويأمرهم بأن **يُقَرِّبوا** له بقراً، وخيلاً، وغير ذلك، وأن **يخنقوها خنقاً، ولا يذكرون اسم الله عليها**؛ فإذا فعلوا قضى حاجتهم»[٢].

وهكذا يذكر ابن تيمية هذه المحرَّمات من البعد عن ذكر الله، والتقرب بالذبح إلى الشيطان، والذبح على غير الطريقة الشرعية؛ **فيقرر** أن ذلك كله من الفجور الذي يتسبب في ظهور الأحوال الشيطانية.

○ **المثال الثالث: قال** رَحِمَهُ اللهُ: «وشيخ آخر أخبرني نفسُه أنه كان يزني بالنساء، ويتلوط بالصبيان الذين يقال لهم: (الحوارات).

وكان يقول: يأتيني كلب أسود بين عينيه نكتتان بيضاوان؛ فيقول لي: فلان ابن فلان نذر لك نذراً، وغداً نأتيك به، وأنا قضيت حاجته لأجلك؛ فيصبح ذلك الشخص يأتيه بذلك النذر، ويكاشفه هذا الشيخ الكافر»[٣].

إلى ان قال ابن تيمية عن ذلك الشيخ: «قال[٤]: وكنت إذا طلب[٥] مني تغيير مثل اللاذن[٦] أقول حتى أغيب عن عقلي، وإذا باللاذن في يدي، أو في فمي، وأنا لا أدري مَنْ وضعه.

قال: وكنت أمشي وبين يدي عمود أسود عليه نور»[٧].

قال ابن تيمية معلِّقاً، ومبيِّناً أن من أسباب ما حصل له **تركَه للفرائض، وارتكابَه للمحرمات**، وأنه لما تاب ذهب عنه ذلك الحال، **قال**: «فلما تاب هذا الشيخ، وصار **يصلي، ويصوم، ويجتنب المحارم** ذهب الكلب الأسود، وذهب التغيير؛ فلا يأتي بلاذنٍ، ولا غيره»[٨].

---

(١) جامع الرسائل ١/ ١٩٣.
(٢) المرجع السابق ١/ ١٩٣. (٣) المرجع السابق ١/ ١٩٣.
(٤) القائل هو: الشيخ الذي يذكر عنه ابن تيمية ما يذكر.
(٥) الذي يطلب منه: هو الكلبُ الأسود.
(٦) **اللاذن**: شجر له صمغ، ويتخذ منه العطر والدواء. انظر: القاموس المحيط ص١٥٨٧ - ١٥٨٨، والمعجم الوسيط ٢/ ٨٢٢.
(٧) جامع الرسائل ١/ ١٩٣. (٨) المرجع السابق ١/ ١٩٤.

فهذه أمثلة ذكرها؛ ليدلل من خلالها على أن **ترك الفرائض، وارتكاب المحرمات** سبب عظيم لاستحواذ الشياطين، وتسلطهم، **وحصول الأحوال الشيطانية** لمن كانت هذه حاله.

والحاصل: أن **التفريط بالعلم والعمل** وما يندرج تحت ذلك أعظم أسباب ظهور الأحوال الشيطانية.

هذا، وسيأتي مزيد بيان، وتفصيل لما ورد في هذه المسألة في المسائل الآتية، وفي الفصل الثاني من هذا الباب.



المطلب الثاني

الاستغاثة، والاستعانة بغير الله

المسألة الأولى: الاستغاثة ببعض الإنس أحياءًا وأمواتاً

فذلك من الأسباب التي يُرجِع إليها ابن تيمية ظهور الأحوال الشيطانية.

ووجه ذلك ـ كما يقرر ـ: أن كثيراً ممن تُدَّعى لهم الولاية، أو من لا علم لهم من الشيوخ، أو مريديهم ـ قد **يستغيثون** بشيوخهم **الموتى، أو الغائبين**، فيرون من أتاهم في الهواء، فيظنونه من استغاثوا به، وهو في الحقيقة شيطان أتاهم على صورته.

وربما أجابهم ما سألوه، وحصل لهم مطلوبهم، ونجوا مما هم فيه، ومن هنا يقع اللبس.

فهذا وجه كون ذلك سبباً من أسباب ظهور الأحوال الشيطانية[1].

وقد مرت الإشارة إلى ذلك عند الكلام على شروط قبول الكرامة عند ابن تيمية، وعند الكلام على موقفه من غلو الصوفية في إثبات الكرامات.

فلقد بيَّن هذا الأمر، وأوضح أنه يشكل على من لا علم لهم من الشيوخ؛ **فَيُخَيِّل** له الشيطانُ صوتَ **المستغيث** به؛ فيجيبه، **ويُخَيِّل للمستغيث** صوتَ الشيخ، **ويُوْهِم** كلاًّ منهما أنه سمع صوتَ الآخر.

وهكذا يقع اللبس، وتُتوهَّم الكرامةُ، وهي ليست كرامة ـ في الحقيقة ـ كما يقرر ابن تيمية، وإنما هي أحوال شيطانية.

كما أنه يقرر أن كثيراً من هؤلاء يعتقد أن في الإنس قوماً صالحين أولياء لله لا يزالون غائبين عن أبصار الخلق يسميهم رجال الغيب.

ثم يفند ابن تيمية هذا الزعم **قائلاً**: «ورجال الغيب هم الجن، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن]»[2].

---

(١) انظر: قاعدة عظيمة ص١٦٥ ـ ١٦٦، والجواب الصحيح ٢/ ٣٢١ ـ ٣٢٢.

(٢) قاعدة عظيمة ص١٦٣، وانظر: جامع المسائل ٩/ ٤١ ـ ٤٢.

إلى أن يقول: «والتعازيم، والأقسام التي فيها شرك هي من هذا الباب.

لكن من هذه الأمور ما قد عرفت العامة أنه من الجن، ومنها ما قد اشتبه؛ مثل ما يرى عند قبور الأنبياء والصالحين من شفاء مريض، أو حصول طعام من الغيب، ونحو ذلك؛ **فيُظن أنه معجزة، أو كرامة؛** لأجل عكوفه، ودعائه لصاحب القبر»[1].

ثم يذكر صوراً من هذا القبيل مما يقع فيه الشرك عند القبور، وغيرها مما يكون من الاستغاثة بغير الله؛ **فيقرر** أن ذلك ليس من باب **المعجزات ولا الكرامات**[2].

وعقد في «الجواب الصحيح» فصلاً، بيَّن فيه سبب ضلال النصارى، ونحوهم من الغالية كغالية العباد، والشيعة وغيرهم، وذكر لذلك أسباباً ثلاثة.

وقال في الثاني منها: «والثاني: **خوارق** ظنوها آيات، وهي من أحوال الشياطين مما ضل به كثير من الضُّلال المشركين، وغيرهم»[3].

ثم ذكر أمثلة على ذلك مما يُظَنُّ أنه **من كرامات الأولياء؛ فقال:** «مثل دخول الشياطين في الأصنام، وتكليمها للناس، ومثل إخبار الشياطين للكهان بأمور غائبة، ولا بد لهم مع ذلك من كذب، ومثل تصرفات تقع من الشياطين»[4].

ويذكر بعد ذلك أمثلة كثيرة لبعض **الخوارق** التي جرت لخلق كثير في زمانه وغير زمانه؛ فيظن بعض الغلاة أنها **كرامات.**

ويذكر في «**النبوات**» صوراً من ذلك مما يتوهم أنه كرامة، وهو من قبيل الأحوال الشيطانية.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد **يستغيث** المشرك بشيخ له غائب، فيحكي الجني صوته لذلك الشيخ، حتى يظن أنه سمع صوت ذلك المريد مع بعد المسافة بينهما.

ثم إن الشيخ يجيبه؛ فيحكي الجني صوت الشيخ للمريد، حتى يظن أن شيخه سمع صوته وأجابه»[5].

ثم يعلق ابن تيمية على ذلك مفنداً **بقوله:** «وإلا فصوت الإنسان يمتنع أن يبلغ مسيرة يوم، ويومين، وأكثر»[6].

ويذكر صوراً أخرى من ذلك، فيقول: «وقد يكونون يأكلون طعاماً، فيصوِّر

(١) قاعدة عظيمة ص١٦٣ ـ ١٦٤.
(٢) انظر: المرجع السابق ص١٦٤ ـ ١٦٨.
(٣) الجواب الصحيح ٢/ ٣١٥.
(٤) المرجع السابق ٢/ ٣١٥.
(٥) النبوات ٢/ ١٠٥٩.
(٦) المرجع السابق ٢/ ١٠٥٩، وانظر: مجموع الفتاوى ١٣/ ٨٤.

نظيره للشيخ، ويجعل يده فيه، ويجعل الشيطان يده في طعام أولئك، حتى يتوهم الشيخ وَهُمْ أن يد الشيخ امتدت من الشام إلى مصر، وصارت في ذلك الإناء»[(١)].

ثم يقارن بين ذلك وبين ما جاء في قصة عمر بن الخطاب ﷺ لما نادى: يا ساريةُ! الجبل، وبيَّن أن عمر قال: إن لله جنداً يبلغونهم صوتي[(٢)]؛ «فعلم أن صوته إنما يبلغ بما ييسره الله من تبليغ بعض الملائكة، أو صالحي الجن؛ فيهتفون بمثل صوته؛ كالذي ينادي ابنه، أو غير ابنه، وهو بعيدٌ لا يسمع: يا فلان، فيسمعه من يريد إبلاغه، فينادي: يا فلان؛ فيسمع ذلك الصوت، وهو المقصود بصوت أبيه.

وإلا فصوت البشر ليس في قُوَّته أن يبلغ مسافة أيام»[(٣)].

فهذه صور مما ذكره من هذا القبيل، مما تقع فيه الاستغاثة ببعض الإنس أحياءً، أو أمواتاً.

وأما ما ذكره من الأخبار في ذلك، مما عاينه، أو سمعه، فكثير جداً.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومثل هذا يجري كثيراً لكثير من المشركين، والنصارى، وكثيرٍ من المسلمين، ويرى أحدهم شيخاً يحسن به الظن، ويقول[(٤)]: أنا الشيخ فلان، ويكون شيطاناً.

وأعرف مِنْ هذا شيئاً كثيراً، وأعرف غير واحد **يستغيث** ببعض الشيوخ **الغائبين، أو الموتى**؛ يراه قد أتاه في اليقظة، وأعانه»[(٥)].

وقال في موضع آخر: «وكثير ممن **يستغيث** بالمشايخ؛ فيقول: يا سيدي فلان! اقضِ حاجتي، فيرى صورة ذلك الشيخ يخاطبه ويقول: أنا أقضي حاجتك، أو أطيِّب قلبك؛ فيقضي حاجته، أو يدفع عنه عدوَّه، ويكون ذلك شيطاناً قد تمثل في صورته لما أشرك بالله، فدعا غيره»[(٦)].

إلى أن قال: «وهكذا جرى لغير واحد من أصحابنا المشايخ مع أصحابهم؛ يستغيث أحدهم بالشيخ؛ فيرى الشيخ قد جاء، وقضى حاجته.

---

(١) النبوات ٢/١٠٥٩، وانظر: مجموع الفتاوى ١٣/ ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) انظر ذلك الأثر في: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، حقَّقه: د. محمد رواس قلعه جي، وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م (٥٢٧) ص٢١٠، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة ٩/ ١٧٣، وحسن إسناده ابن كثير في البداية والنهاية ١٠/ ١٧٣ ـ ١٧٦.

(٣) النبوات ٢/ ١٠٥٩ ـ ١٦٠.

(٤) القائل هو: المرئي الذي يُظن أنه الشيخ.

(٥) الجواب الصحيح ٢/ ٣٢١.

(٦) جامع الرسائل ١/ ١٩٥.

ويقول ذلك الشيخ: إني لم أعلم بهذا؛ فتبَيَّن أن ذلك كان شيطاناً»[1].

وقال ـ أيضاً ـ: «وقد قلت لبعض أصحابنا لما ذُكر لي أنه **استغاث** باثنين كان يعتقدهما، وأنهما أتياه في الهواء، وقالا له: طيِّبْ قلبك؛ نحن ندفع عنك هؤلاء، ونفعل ونصنع.

قلت له: فهل كان من ذلك شيء؟

فقال: لا؛ فكان هذا مما دلَّه على أنهما شيطانان؛ فإن الشياطين ـ وإن كانوا يخبرون الإنسان بقضية، أو قصة فيها صدق ـ فإنهم يكذبون أضعاف ذلك، كما كان الجن يخبرون الكهان»[2].

وكما يذكر كَلَّلَهُ بعض ما جرى لبعض أصحابه ـ فإنه يذكر بعضَ ما جرى له من هذا القبيل.

يقول كَلَّلَهُ في «جامع الرسائل»: «وأنا أعرف من هذا وقائع متعددة حتى إن طائفة من أصحابي ذكروا أنهم **استغاثوا بي** في شدائد أصابتهم، أحدهم كان خائفاً من الأرمن، والثاني كان خائفاً من التتر؛ فذكر كلٌّ منهم أنه لما استغاث بي رآني في الهواء، وقد دفعت عنه عَدوَّه؛ فأخبرتهم أني لم أشعر بهذا، ولا دفعت عنكم شيئاً.

وإنما هذا شيطان تمثَّل لأحدهم؛ فأغواه لما أشرك بالله ـ تعالى ـ»[3].

وقال في «الجواب الصحيح»: «وقد جرى مثل هذا لي، ولغيري ممن أعرفه؛ وذكر غير واحد أنه استغاث بي من بلاد بعيدة، وأنه رآني قد جئته.

ومنهم من قال: رأيتك بلباسك، وصورتك.

ومنهم من قال: رأيتك على جبل، ومنهم من قال غير ذلك؛ فأخبرتهم أني لم أُغِثْهُمْ، وإنما ذلك شيطان تصور بصورتي؛ ليضلهم لما أشركوا بالله، ودعوا غير الله»[4].

ثم ذكر أخباراً عن بعض أصحابه ممن جرى لهم مثل ذلك، **وقرر** أن هذا مما تفعله الجن بمن يعزم عليهم، ويقسم عليهم، وأن الشيطان إنما يضل الناس، ويغويهم بما يظن أنهم يطيعونه فيه؛ فيخاطب النصارى بما يوافق دينهم، ويخاطب من يخاطب

---

(١) جامع الرسائل ١/ ١٩٥، وانظر: الجواب الصحيح ٢/ ٣٢١.

(٢) جامع الرسائل ١/ ١٩٥، وانظر: الجواب الصحيح ٢/ ٣٢٢.

(٣) جامع الرسائل ١/ ١٩٥، وانظر: قاعدة عظيمة ص١٦٥ ـ ١٦٦.

(٤) الجواب الصحيح ٢/ ٣٢١ ـ ٣٢٢.

من ضُلَّال المسلمين بما يوافق اعتقاده، وينقله إلى ما يستجيب لهم فيه بحسب اعتقادهم.

ولهذا يتمثل للنصارى بصورة معظميهم، وأكابرهم، ويتمثل لضُلَّال المسلمين بصورة بعض شيوخهم، وهكذا[١].

هذا وقد ذَكَر في «الفرقان» أمثلة كثيرة من هذا القبيل، ممن **يستغيثون** بأناس أحياء، أو أموات، ويحصل لهم ما يحصل من المخاريق[٢].

وسيأتي مزيد أمثلة على ذلك في المطالب، والمباحث الآتية.

وإنما المقصود هٰهنا: بيان أن **الاستغاثة ببعض الإنس أحياءً، أو أمواتاً** سبب من أسباب **ظهور الأحوال الشيطانية**[٣].

المسألة الثانية: الاستعانة بالجن

وهذه قريبة من المسألة الماضية من جهة ما يحصل فيها من إعانة الجن للإنس.

ولكنها تختلف من حيث **إن الاستغاثة طلبٌ في حال كرب، أو شدة.**

على حين أن الاستعانة لا يلزم منها ذلك.

والمقصود من ذلك هٰهنا: بيان أن الاستعانة بالجن سبب **لظهور الأحوال الشيطانية.**

وإلا فإن تفصيل الكلام على إعانة الجن للإنس، وأنواع تلك الإعانة سيأتي عند الكلام على ما يحصل للمتلبسين بالأحوال الشيطانية.

فالإنس إذا استعانوا بالجن، **وأعانهم** الجن على ذلك؛ فأخبروهم بأمور غائبة، أو أجروا على أيديهم عجائب، أو غرائب ـ ظن بعض من لا علم عنده أن ذلك من خوارق العادات، أو أنها دليل على الولاية، وأن ما يحصل من جراء ذلك من قبيل الكرامات، وإنما هو **أحوال شيطانية.**

ولقد قرر ابن تيمية ذلك كثيراً، وفي مواضع عدة من آثاره.

ومن ذلك: أنه عقد فصلاً في «النبوات» **قال فيه:** «فصل في معنى خرق العادة، وأن الاعتبار أن تكون خارقةً لعادة غير الأنبياء مطلقاً؛ بحيث تختص بالأنبياء؛ فلا توجد إلا مع الإخبار بنبوتهم»[٤].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٣٢٢ ـ ٣٢٥. (٢) انظر: الفرقان ص٣٢١ ـ ٣٤٢.

(٣) انظر: الفصل الثاني من هذا الباب. (٤) النبوات ٢/ ٨٢٦.

ثم قال مبيِّناً حقيقةَ بعضٍ ما يجري على أيدي الكهان والسحرة: «وأما إخبار الكهان ببعض الأمور الغائبة لهم بذلك، وسحر السحرة؛ بحيث يموت الإنسان من السحر، أو يمرض، ويمنع من النكاح، ونحو ذلك مما هو **بإعانة الشياطين** ـ فهذا أمر موجود في العالم، معتاد يعرفه الناس، ليس هذا من خرق العادة؛ بل هو من العجائب الغريبة التي يختص بها بعض الناس»(١).

ثم ذكر أمثلة على ذلك، **فقال:** «كما يختص قوم بخفة اليد، والشعبذة، وقوم بالسباحة الغريبة على الماء كما يضطجع أحدهم على الماء، وكما يختص قوم بالقيافة(٢)، حتى يباينوا غيرهم، وكما يختص قوم بالعيافة(٣)، ونحو ذلك مما هو موجود»(٤).

ثم ذكر السحر والكهانة، وقرر أنهما من **إعانة الشياطين**، وذكر أنواعاً من تلك **الإعانة، فقال:** «وأما السحر، والكهانة ـ فهو من **إعانة الشياطين** لبني آدم؛ فإن الكاهن تخبره الجن.

وكذلك الساحر إنما يقتل، أو يُمْرِض، ويصعد في الهواء، ونحو ذلك ـ **بإعانة الشياطين** لهم»(٥).

واستشهد على ذلك بقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

ويعلق على هذه الآية **بقوله:** «فالجن والإنس قد استمتع بعضهم ببعض؛ فاستخدم هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء في أمور كثيرة؛ كلٌّ منهم فعل للآخر ما هو

---

(١) النبوات ٢/ ٨٢٦.

(٢) **القيافة**: معرفة الأثر، **والقائف**: الذي يعرف الآثار، والجمع: قافة، والفعل قافَ يقوف، والمصدر قيافة. انظر: لسان العرب ٩/ ٢٩٣.

(٣) **العيافة**: هي زجر الطير، وتنفيرها، وإرسالها، والتفاؤل أو التشاؤم بأسمائها، وأصواتها، وممراتها؛ فعن العيافة ينشأ التفاؤل أو التشاؤم. انظر: العمدة لابن رشيق القيرواني، حقَّقه وعلَّق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة السعاد بمصر، ط٢، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م، ٢/ ٢٥٩ ـ ٢٦٤، ولسان العرب ٩/ ٢٦١، ومفتاح دار السعادة لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٤) النبوات ٢/ ٨٢٧.

(٥) المرجع السابق ٢/ ٨٣٠.

غرضه؛ **ليعينه على غرضه**، والسحرُ والكهانة من هذا الباب»[١].

ثم ذكر أن من ذلك «ما يوجد لعباد الكفار من المشركين، وأهل الكتاب، ولعباد المنافقين، والملحدين من المظهرين للإسلام، كلها **بإعانة الجن والشياطين**»[٢].

ثم بيَّن أن الشياطين تظهر عند كل قوم بما لا ينكرونه؛ فإذا كان القوم كفاراً لا ينكرون السحر والكهانة كما كانت العرب، وكالهند، والترك، والمشركين - ظهروا بهذا الوصف.

وتارة تظهر عند أهل الملل على أيدي مَنْ يُظهر العبادة، وهو على بدعة وضلالة ودون اتباع للأنبياء حتى يُظَنَّ أن هذه الأحوال من كرامات الصالحين، وأن ما عليه هذا الشخص من العبادة هو طريق أولياء الله، وهكذا[٣].

كما ذكر في «مجموع الفتاوى» نحواً من ذلك مما يجري على أيدي مدعي النبوة من إخبار الشياطين لهم ببعض المغيبات كما هي الحال بالنسبة لمسيلمة، والأسود العنسي[٤].

وأن الشياطين قد **تعينهم** بأنواع أخرى من **الإعانات** كما في شأن الحارث الدمشقي.

يقول ابن تيمية في شأنه بعد كلام له عن مسيلمة والأسود العنسي، **قال:** «وأمثال هؤلاء كثيرون، مثل الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان، وادعى النبوة»[٥].

ثم ذكر نوعاً من إعانة الشياطين له، فقال: «وكانت الشياطين يُخرجون رجليه من القيد، وتمنع السلاح أن يَنْفُذ فيه، وتسبِّح الرخامة إذا مسحها بيده، وكان يرى الناس رجالاً وركباناً على خيل في الهواء، ويقولون: هي الملائكة، وإنما كانوا جِنّاً»[٦].

ثم يذكر قصة قتله، **فيقول:** «ولما أمسكه المسلمون؛ ليقتلوه طعنه الطاعن

---

(١) النبوات ٢/ ٨٣٠، وانظر: مجموع الفتاوى ١١/ ٢٨٣ - ٢٨٥.
(٢) المرجع السابق ٢/ ٨٣١. (٣) انظر: المرجع السابق ٢/ ٨٣١.
(٤) انظر: مجموع الفتاوى ١١/ ٢٨٤ - ٢٨٥.
(٥) المرجع السابق ١١/ ٢٨٥.
(٦) المرجع السابق ١١/ ٢٨٥.

بالرمح؛ فلم يَنْفُذْ فيه، فقال له عبد الملك: إنك لم تُسَمِّ الله، فسمى الله، فطعنه، فقتله»[(١)].

ثم يعلِّق ابن تيمية على ذلك **قائلاً:** «وهكذا **أهل الأحوال الشيطانية** تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذُكِرَ عندهم ما يطردها كآية الكرسي»[(٢)].

ثم ذكر صوراً أخرى من تلك **الإعانات** التي **تعين بها الشياطين** أولياءها من الإنس[(٣)].

وقال في «النبوات» بعد أن بيَّن أن خوارق الإنس التي تكون بمعاونة الجن لا تظهر بحضرة أهل الإيمان والقرآن، وإنما تظهر عند الكفار والفجار، **قال معللاً:** «وهذا لأن أولئك أولياء الشياطين، ولهم شياطين **يعاونون** شياطين المخدومين، ويتفقون على ما يفعلونه من الخوارق الشيطانية؛ كدخول النار مع كونها لم تَصِر عليهم برداً وسلاماً؛ فإن الخليل لما ألقي في النار كانت عليه برداً وسلاماً»[(٤)].

إلى أن قال: «فهؤلاء الشياطين إذا كانوا مع جنسهم الذين لا يهابونهم فعلوا هذه الأمور[(٥)].

أما إذا كانوا عند أهل إيمانٍ، وتوحيدٍ، وفي بيوت الله التي يذكر فيها اسمه ـ لم يتجرؤوا على ذلك»[(٦)].

وقال: «ولهذا يكون كثير من الذين **تخدمهم** الشياطين من أهل الشياطين.

وهذا معروف لكثير ممن تخدمه الشياطين.

بل من طوائف المخدومين من يكونون كلهم من هذا الباب»[(٧)].

وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك في «الفرقان» حيث **أوضح** أن شياطين الجن **يعينون** الإنسي إذا وافقهم في الكفر، والشرك، والمعاصي.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن قرر أن أصحاب الأحوال الشيطانية درجات، وأن الإنسي إذا كان كافراً، أو فاسقاً، أو جاهلاً ـ دخلوا معه في ذلك: «وقد **يعاونونه** إذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر، مثل: الإقسام عليهم بأسماء من يعظمونه من الجن

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٢٨٥.
(٢) المرجع السابق ١١/ ٢٨٥، وانظر: النبوات ٢/ ١٠٢٢ ـ ١٠٢٦.
(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١١/ ٢٨٦، وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الثاني.
(٤) النبوات ٢/ ١٠٢٤.
(٥) يعني: الخوارق التي يقومون بها.
(٦) النبوات ٢/ ١٠٢٥ ـ ١٠٢٦.
(٧) المرجع السابق ٢/ ١٠٢٩.

وغيرهم، ومثل أن يكتب أسماء الله، أو بعض كلامه بالنجاسة، أو يقلب فاتحة الكتاب، أو سورة الإخلاص، أو غيرهن، أو يكتبهن بنجاسة؛ فيغوِّرون لهم الماء، أو ينقلونه بسبب ما يرضيهم به من الكفر، وقد يأتونه بما يهواه من امرأةٍ، أو جنيٍّ، إما في الهواء، وإما مدفوعاً مُلجأً إليه، إلى أمثال هذه الأمور التي يطول وصفها»[(١)].

وبالجملة فإن كلامه في هذا الباب كثير، وإنما المقصود هٰهنا: بيان أن **الاستعانة بالجن من أسباب ظهور الأحوال الشيطانية**.



(١) الفرقان ص٣٣١ ـ ٣٣٢.

المطلب الثالث

إيثارُ العُزْلةِ والوَحْدةِ، وحضورُ مجالسِ الباطلِ

المسألة الأولى: الانقطاع إلى المغارات والجبال والبوادي

كما يقرر ابن تيمية أن هناك **أزمنةً** تمر ببعض البلاد، تشبه الفترات من ناحية اندراس آثار التوحيد، وأنوار النبوة؛ فتكون سبباً لظهور الأحوال الشيطانية ـ فكذلك يقرر أن الانقطاع إلى بعض الأماكن التي لم يَرِدِ الشرع بها قد تكون من جملة الأسباب **لظهور الأحوال الشيطانية**.

يقول رحمه الله مبيِّناً ذلك: «ولما كان **الانقطاع إلى المغارات، والبوادي** من البدع التي لم يشرعها الله، ولا رسوله ـ صارت الشياطين كثيراً ما تأوي إلى المغارات، والجبال»[1].

ثم **يذكر** أمثلة على ذلك، **فيقول:** «مثل مغارة الدم التي بجبل قاسيون، وجبل لبنان الذي بساحل الشام، وجبل الفتح الذي بأسوان بمصر، وجبال الروم، وخرسان، وجبال الجزيرة، وغير ذلك.

وجبل الأحيش، وجبل سَبَلان قرب أردبيل، وجبل سهل عند تبريز، وجبل ماشكو عند أنشوان، وجبل نهاوند، وغير ذلك من الجبال[2] التي يَظُن بعض الناس أن بها رجالاً من الإنس صالحين، ويسمونهم رجال الغيب[3]، وإنما هم

---

(١) الفرقان ص٣٣٩، وانظر: جامع المسائل ٩/ ٤٨ ـ ٤٩.

(٢) انظر في تفصيل الكلام على تلك الجبال إلى: آثار البلاد، وأخبار العباد لزكريا القزويني، بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ، ص١٨٩، و٢٠٨، ورحلة ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي، دار صادر، ودار بيروت، ١٣٨٤هـ، ص٢٤٧ ـ ٢٤٨، ورحلتي إلى القدس، عبد الغني النابلسي، مصور عن مطبعة جريدة الإخلاص بمصر، ١٩٠٢م، مكتبة القاهرة، ص٢٧، وفضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد بن الربيعي، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٠م، ص٥٧، وتاريخ القدس، د. شفيق جاسر أحمد محمود، ط١، ١٤٠٤هـ، دار البشير للنشر والتوزيع، ص٢٥.

(٣) وقد عقد ابن تيمية رحمه الله فصلاً في جامع المسائل ٩/ ٤١ ـ ٤٢ في مفهوم رجال الغيب، وأنهم =

رجال من الجن»[1].

ثم يذكر صفةَ بعضِ مَنْ في تلك الأمكنة، وما يُعتقد بهم، **فيقول**: «ومن هؤلاء[2] من يظهر بصورة رجل شعراني جلده يشبه جلد الماعز، فَيَظُنُّ من لا يعرفه أنه إنسي، وإنما هو جني.

ويقال: بكل جبل من هذه الجبال: الأربعون، وهؤلاء الذين يظن أنهم الأبدال[3] هم جن بهذه الجبال، كما يُعرف ذلك بطرق متعددة.

وهذا باب لا يتسع في هذا الموضع بسطه، وذكر ما نعرفه عن ذلك؛ فإنا قد رأينا، وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه»[4].

= من يغيبون عن الناس؛ فلا يراهم إلا بعض الناس في البراري، والجبال، والمغارات، وأن هؤلاء هم رجال الجن.
وأن من الناس من يكون صالحاً وليّاً لله، ويكون حاله، وصلاحه، ونور قبله، وهدى فؤاده، وولايته غائباً من أكثر الناس؛ فهذا هو حال الولي حقّاً.
وأما من يغيب جسده عن أبصار الناس دائماً فهذا لا حقيقة له.

(١) الفرقان ص٣٣٩ ـ ٣٤١.

(٢) يعني: بعض من يوجد في تلك الأماكن ممن يعتقد فيهم الولاية.

(٣) **الأبدال**: مصطلح صوفي؛ يعني: عند الصوفية سبعة رجال، يسافر أحدهم في موضع، ويترك جسداً على صورته، بحيث لا يعرف أحدٌ أنه فقد، وهم ـ كما يزعمون ـ على قلب إبراهيم ﷺ.
وهذا الاصطلاح باطل، ولا أصل له. انظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٤/ ١٣٢، واصطلاحات الصوفية للسمرقندي ص٨.
والصوفية يزعمون أنه قد ورد في هؤلاء الأبدال حديث، وهو ما روي أن من أصحاب الصَّفة غلاماً للمغيرة بن شعبة، وأن النبي ﷺ قال: «هذا واحد من السبعة؛ يعني: الأبدال».
قال عنه ابن تيمية ﷺ: «وهذا الحديث باطل باتفاق أهل العلم». انظر: الفرقان ص٦٨ ـ ٦٩.
كما ورد فيهم حديث آخر، قال ابن تيمية في «الرد على الشاذلي»: «وأما الأبدال فقد جاء فيهم ما رواه الإمام أحمد في مسنده من طريق الشاميين، وإسناده منقطع عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «لا تسبوا أهل الشام؛ فإن النبي ﷺ قال: **«إن فيهم الأبدالَ أربعون رجلاً، كلما مات منهم رجل أبدل الله ـ تعالى ـ مكانه رجلاً»**.
وهذا ليس بصحيح». الرد على الشاذلي ص٤٣ ـ ٤٤.

(٤) الفرقان ص٣٤١، وانظر: مسألة المرابطة بالثغور أفضل أم المجاورة بمكة شرفها الله ـ تعالى ـ، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م، ص١٨ ـ ١٩.

هذا ويُلحِق ابن تيمية بهؤلاء مَنْ يأوون إلى الحمامات، والقمامين، والمزابل، ونحوها من المواضع النجسة.

وكذلك من يأوون إلى المقابر، ولا سيما مقابر الكفار من اليهود، والنصارى، أو المشركين.

فهذا ـ كما يقرر ـ من علامات أولياء الشيطان، ومن أسباب حصول **الأحوال الشيطانية**[١].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «النبوات» في معرض كلام له عن خوارق الشياطين، وأنها لا تظهر أمام أهل الإيمان، ولا يمكنهم ذلك في المساجد المعمورة بذكر الله.

قال: «إنما يمكنهم ذلك في الأماكن التي يأتيها الشياطين كالمساجد المهجورة، والمشاهد، والمقابر، والحمامات، والمواخير»[٢].

ثم بيَّن العلة في ذلك، قائلاً: «فالمواضع التي نهى النبي ﷺ عن الصلاة فيها؛ كالمقبرة، وأعطان الإبل، والحمام، وغيرها؛ فتكون حال هؤلاء[٣] فيها أقوى؛ لأنها مواضع الشياطين؛ كالمجزرة، والمزبلة، والحمام، ونحو ذلك.

بخلاف الأمكنة التي ظهر فيها الإيمان، والقرآن، والتوحيد»[٤].

ثم بيَّن أن هذه الأمكنة كالمساجد المعمورة بذكر الله هي أمكنة النور، والصالحين، والملائكة؛ فلا تتسلط عليها الشياطين بكل ما تريد؛ بل كيدهم فيها ضعيف[٥].

وهكذا يقرر أن من **أسباب ظهور الأحوال الشيطانية** ما يرجع إلى بعض الأمكنة التي ينقطع، أو يأوي إليها أصحاب تلك الأحوال سواء كانت مغاراتٍ، أو جبالاً، أو بواديَ، أو أماكنَ ورد النهي عن الصلاة فيها، أو غشيانها.

المسألة الثانية: حضور مجالس اللهو، والأغاني، والسماع البدعي

وهذا السبب من أكثر ما قرره ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فهو يرى أن الأحوال الشيطانية تقوى بالسماع، وأن من يحضر تلك المجالس تتنزل عليه الشياطين؛ فتتلاعب به، وتورثه أحوالاً تجعله أشبه بحال أهل السُّكْر إلى غير ذلك مما قرره في هذا الشأن.

---

(١) انظر: الفرقان ص١٦٩ ـ ١٧٥.
(٢) النبوات ٢/١٠٢٦.
(٣) يعني: أصحاب الأحوال الشيطانية.
(٤) النبوات ٢/١٠٢٧.
(٥) انظر: المرجع السابق ٢/١٠٢٦ ـ ١٠٢٧.

خصوصاً ذلك **السماع البدعي** الذي يزعم أصحابه أنه قربة، ويرون أنه سبب لنيل الكرامة.

وقد أبدى وأعاد حول هذا المعنى في كثير من آثاره، خصوصاً كتابيه (الفرقان)، و(الاستقامة).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفرقان»: «ومن أعظم ما يُقَوّي الأحوال الشيطانية **سماع** الغناء والملاهي، وهو سماع المشركين.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]. قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وغيرهما من السلف: (التصدية: التصفيق باليد، والمكاء: مثل الصفير).

فكان المشركون يتخذون هذا عبادة»[1].

ثم **بيَّن** أن هذا مخالف لما كان عليه النبي ﷺ، وما أمر الله به من الصلاة، والقراءة، والذكر، والدعاء، ونحو ذلك من الاجتماعات الشرعية، وأن النبي ﷺ وأصحابه لم يجتمعوا على سماع غناء قط، لا بِكَفٍّ، ولا بِدُفٍّ، ولا تَواجُد، وأن السماع المُحْدَثَ إنما هو من صنيع الزنادقة، وأن للشيطان فيه نصيباً وافراً[2].

ثم بيَّن ما يورثه ذلك السماع من أثر؛ **فقال**: «وهو بمنزلة الخمر؛ بل هو يؤثِّر في النفوس أعظم من تأثير الخمر.

ولهذا إذا قويت سكرة أهله **نزلت عليهم الشياطين**، وتكلمت على ألسنة بعضهم، وحملت بعضهم في الهواء.

وقد تحصل بينهم عداوة، كما تحصل بين شراب الخمر؛ فتكون شياطين أحدهم أقوى من الآخر، فيقتلونه»[3].

إلى أن قال موضحاً ما التبس على بعض الناس من ذلك: «ويظن بعض الجهال أن هذا من كرامات **أولياء الله المتقين**.

وإنما هذا مُبْعِدٌ لصاحبه عن الله، وهو من **أحوال الشياطين**»[4].

وبيَّن في موضع آخر ضلال من يستعين بالجن فيما يظن أنه من الكرامات «مثل أن يستعين بهم على أن يطيروا به عند **السماع البدعي**»[5].

---

(١) الفرقان ص٣٤٤، وانظر: مجموعة الرسائل الكبرى ٢/ ٢٨٢.
(٢) انظر: الفرقان ص٣٤٤ ـ ٣٤٩، وانظر: الاستقامة ١/ ٢٨٠، و٣٠٤ ـ ٣٠٥.
(٣) الفرقان ص٣٤٩.
(٤) المرجع السابق ص٣٤٩.
(٥) المرجع السابق ص٣٦٥.

وقال في موضع آخر مبيِّناً فضل آية الكرسي، وأثرها في إبطال الأحوال الشيطانية، **قال**: «ولهذا إذا قرأها الإنسان عند **الأحوال الشيطانية** بصدق أبطلتها»[(١)].

ثم ضرب أمثلة لما تُبْطِلُه آية الكرسي، ومنها ما يحصل من تنزل الشياطين على من يحضر سماع المكاء والتصدية[(٢)].

وقال في معرض ذكره لبعض صور **الأحوال الشيطانية**: «ومن هؤلاء من إذا حضر **سماع المكاء والتصدية** ينزل عليه شيطان، حتى يحمله في الهواء، ويخرجه من تلك الدار؛ فإذا حضر رجل من أولياء الله ـ تعالى ـ طرد شيطانه؛ فيسقط، كما جرى لغير واحد»[(٣)].

فهذا شيء مما قرره في كتابه «الفرقان» حول كون السماع وحضور مجالسه سبباً في حصول الأحوال الشيطانية.

أما ما جاء في «الاستقامة» فكثير؛ إذ الكتاب في غالب مواضعه يدور حول **مسألة السماع**.

حيث قرر فيه أن كثيراً من أهل **السماع** يُبتلى بشعبة من حال النصارى من الغلو في الدين، واتباع أهواء قومٍ قد ضلوا من قبل، وإن كان فيهم فضل وصلاح.

ووجه ضلالهم ـ كما يقرر ـ أنهم يحسبون هذه البدعة تهديهم إلى محبة الله ﷻ[(٤)].

وقال في بيان عظم تأثير **السماع**، وما يوجبه للنفوس من أحوال: «وهو يفعل في النفوس أعظم حُمَيًّا الكؤوس؛ حتى يوجب للنفوس أحوالاً عجيبة، يظن أصحابُها أن ذلك من **جنس كرامات الأولياء**.

وإنما هو من الأمور الطبيعية الباطلة المبعدة عن الله؛ إذ **الشياطين** تمدهم في هذا السماع بأنواع الإمداد»[(٥)].

ثم ذكر حادثة حصلت في هذا الشأن تؤكد ما ذكره، **فقال**: «ولهذا كان مرة في سماع يحضره الشيخ شبيب الشطي، فبينما هم في سماع أحدهم، وإذا بعفريت يرقص

---

(١) الفرقان ص٣٢٦. (٢) انظر: المرجع السابق ص٣٢٦.

(٣) المرجع السابق ص٣٢٦، وانظر: النبوات ٢/١٠٢٦.

(٤) انظر: الاستقامة ١/٢٥٢، وانظر: ٢٦٠ ـ ٢٦١، و٢٧٩ ـ ٢٨٠، و٣٠٤.

(٥) الاستقامة ١/٣٠٩، وانظر: رسالة في العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية لابن تيمية، علَّق عليها: محمد رشيد رضا، خرَّج أحاديثها: بدر بن عبد الله البدر، مكتبة ابن الجوزي، الأحساء، الدمام، ط١، ص٥٦ ـ ٥٨.

في الهواء على رؤوسهم؛ فتعجبوا منه، وطلب الشيخُ لمريدهِ الشيخَ أبا بكر[1] بن فينان، وكان له حالٌ ومعرفة؛ فلما رآه صرخ فيه؛ فوقع؛ فلما فرغوا طلب منه أن يُنصِفه، وقال: هذا سلبني حالي.

فقال الشيخ: لم يكن له حال، ولكن كان بالرحبة؛ فحمله شيطانه إلى هنا، وجعل يرقص به؛ فلما رأيت الشيطان صرخت فيه؛ فهرب؛ فوقع هذا.

والقصة معروفة، يعرفها أصحاب الشيخ»[2].

ثم أوضح أن مثل ذلك السماع يحضره الشياطين، وتتنزل عليهم، كما أن سماع أهل الإيمان تحضره الملائكة، وتتنزل عليهم.

وأن كثيراً من أهل ذلك السماع البدعي يغلب على واحدهم الوجد، فيُصعق كما يُصعق المصروع، ويصيح كصياحه، ويجري على لسانه من الكلام ما لا يفهم معناه، ولا يكون بلغته كما يجري على لسان المصروع.

وربما كان ذلك من شياطين قومٍ من الكفار الذين يكون أهل ذلك السماع مشابهين لقلوبهم.

ثم بيَّن ضلال مَن يعتقدون أن ذلك قربة إلى الله، **وقرر** أن ذلك من أعظم تبديل الدين، ومتابعة الشياطين[3].

وختم ذلك بحادثة طريفة، **حيث قال:** «وحدثني بعض المشايخ أن بعض ملوك فارس قال لشيخ رآه قد جمع الناس على مثل هذا الاجتماع: يا شيخ! إن كان هذا هو طريق الجنة فأين طريق النار؟!»[4].

---

(١) علَّق د. محمد رشاد سالم على هذا بقوله: «في الأصل: أبي بكر، ولعل الصواب ما أثبتُّه؛ فيكون المعنى: أن الشيخ الشطي طلب الشيخ أبا بكر بن فينان؛ ليرى حالة مريده».

(٢) الاستقامة ١/٣١٠، وانظر: الرسالة الصفدية ص٢٠٤.

(٣) انظر: الاستقامة ١/٣١٢ ـ ٣١٧.

(٤) الاستقامة ١/٣١٧، وانظر في تفصيل القول في هذه المسألة إلى: ذم ما عليه مدَّعو التصوف من الغناء والرقص والتواجد، وضرب الدف ورفع الأصوات المنكرة بما يسمونه ذكراً وتهليلاً بدعوى أنها من أنواع القرب إلى الله ـ تعالى ـ للموفق ابن قدامة، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، والكلام على السماع البدعي لابن قيم الجوزية، تحقيق: راشد بن عبد العزيز الحمد، دار العاصمة، الرياض، النشرة الأولى، ١٤٠٩هـ، ونزهة الأسماع في مسألة السماع لابن رجب الحنبلي، تحقيق: أم عبد الله بنت محروس العسيلي، دار العاصمة، الرياض، النشرة الأولى، ١٤٠٧هـ.

والحاصل: أن ابن تيمية يقرر من خلال ما مضى أن **حضور مجالس اللهو الأغاني والسماع البدعي سبب لظهور الأحوال الشيطانية، وقوَّتها.**

وبنهاية هذا المطلب ينتهي هذا المبحث الذي دار حول بيانه لأسباب ظهور الأحوال الشيطانية؛ والتي ترجع إلى **التفريط بالعلم والعمل، والاسغاثة والاستعانة بغير الله، وإيثار العزلة، وحضور مجالس الباطل.**

وهناك أسباب أخرى فرعية عنده، وقد تكون راجعة إلى طبيعة أصحابها.

ومما ذكره في ذلك: ضعف العقول؛ حيث يرى أن ذلك من أسباب **ظهور الأحوال الشيطانية.**

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهكذا تأثير الشياطين كلما ضعفت العقول قوي تأثيرهم.

وأما البيت[1]، والقرآن، والنبوة ـ فإنما قوي تأثيرها في أكمل الناس عقلاً، وأتمّهم علماً ومعرفة»[2].



(١) يقصد: الكعبة.

(٢) الصفدية ص٢٢٧.




الفصل الثاني

موقفه من المتلبسين بالأحوال الشيطانية

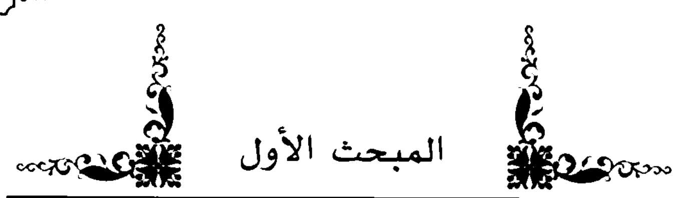
بعد تفصيل الكلام على مفهوم ابن تيمية للأحوال الشيطانية باعتبار مفرديها، وتركيبها، وأسمائها، وبيانه لأسباب ظهورها ـ يصل الكلام إلى موقفه من المتلبسين بها.

وهذا ما سيتضح من خلال المبحثين التاليين:

المبحث الأول: بيانه لأصنافهم وما يحصل لهم من آثارها.

المبحث الثاني: إبطاله لما عليه أصحاب الأحوال الشيطانية.

فإلى بيان ذلك، وتفصيله.



المبحث الأول

بيانه لأصنافهم، وما يحصل لهم من آثارها

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: أصناف المتلبسين بالأحوال الشيطانية عنده.

المطلب الثاني: ما يحصل للمتلبسين بالأحوال الشيطانية.

المطلب الأول

أصناف المتلبسين بالأحوال الشيطانية عنده

الناظر في آثارِ ابن تيمية، ودراستِه للأحوال الشيطانية يَلْحَظ أنه يصنفهم في طوائف عدة، وأجناس مختلفة، وربما كان المتلبس بها داخلاً في أكثر من صنف؛ بل هذا هو الحاصل في الأغلب؛ إذ قد يجتمع ـ على سبيل المثال ـ في بعضهم شرك، وبدعة، وفجور، ونحو ذلك.

كما يَلْحَظ أنه يذكر هذه الأصناف على نحو مجمل أحياناً، وعلى نحو مفصل أحياناً أخرى.

وهذا ما سيتضح من خلال ما يلي:

أولاً: السحرة[1].

---

(١) **السحرة**، جمع: ساحر من السحر، والسحر يدور في اللغة حول عدة معانٍ؛ فيطلق على صرف الشيء عن حقيقته، وعلى الخداع، وعلى إخراج الباطل في صورة الحق، وعلى كل ما لَطُف، ودَقَّ مَأخَذُه. انظر: أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطابي، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الله آل سعود، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م، ٢/ ١٤٩٩ ـ ١٥٠٥، والتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للفخر الرازي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م، ٣/ ١٨٧، والمفردات للراغب الأصفهاني ص٢٢٥، ولسان العرب لابن منظور ١٦/ ١١ ـ ١٦.

أما تعريفه في الاصطلاح فإن السحر ليس نوعاً واحداً يشمله حدٌّ جامع مانع؛ لكثرة الأنواع الداخلة فيه، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حدّه اختلافاً متبايناً. انظر: الكافي في فقه الإمام أحمد لابن قدامة، تحقيق: زهير الشاويش، ط٤، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي ٤/ ١٦٤، وأضواء البيان ٤/ ٤٤٤.

ومن أجمع التعريفات للسحر ما عرَّفه الدكتور أحمد الحمد بعد أن ساق جملة من التعريفات، وبيَّن ما فيها من القصور؛ حيث قال في تعريفه: «السحر: هو المخادعة، أو التأثير في عالم العناصر بمقتضى القدرة المحدودة، بِمُعِينٍ من الجن، أو بأدويةٍ؛ أَثَرَ استعدادات لدى الساحر». السحر بين الحقيقة والخيال، ص٢٠.

ثم قال بعد أن عرَّف السحر بذلك: «وأرى أن في هذا شمولاً لما كان من السحر عن طريق التخييل والمخادعة، وما كان منه حقيقة يؤثر بالهمة، أو بِمُعِيْنٍ من الشياطين، أو بدعوى =

ثانياً: الكهان[1]: فهذان الصنفان من أصناف المتلبسين بالأحوال الشيطانية ـ هما أكثر من تعرض لهما ابن تيمية في آثاره خصوصاً في كتابه «النبوات».

وكثيراً ما يقرن بينهما عند الكلام على الأحوال الشيطانية.

وأحياناً يذكر أحدهما دون الآخر في معرض الكلام على الأحوال الشيطانية.

وفيما يلي بيان لمظاهر عَدِّه هذين الصنفين من جملة **الأصناف المتلبسين** بتلك الأحوال:

١ ـ **جعله خوارقهما مرادفاً لمصطلح الأحوال الشيطانية**: وقد مرَّ تفصيل ذلك عند الكلام على أسماء الأحوال الشيطانية الأخرى عند ابن تيمية؛ حيث عَدَّ من تلك الأسماء: أحوال السحرة والكهان[2]، وخوارق السحرة والكهان[3].

٢ ـ **نصُّه على أن للسحرة والكهان خوارق**: **قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض كلام له عن كون آيات الأنبياء عليهم السلام مختصةً بهم، **قال** بعد أن قرر ذلك: «وما يوجد لغير الأنبياء، وأتباعهم **فهذا** هو الذي لا يدلُّ على النبوة **كخوارق السحرة والكهان**.

= موافقة مزاج الأفلاك والعناصر، أو نحو ذلك، والله أعلم». السحر بين الحقيقة والخيال، ص٢٠.

(١) **الكهان**، جمع: كاهن من الكهانة، والكهانة تطلق على الحازي، والطبيب، وعلى كل من يتعاطى علماً دقيقاً، ويخبر عن المستقبل، ويدَّعي معرفة الأسرار، سواء كان له تابع من الجن، أو ممن يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله، أو فعله، أو حاله.

وقيل: **الكاهن**: هو الساحر، وقيل: العرَّاف، الذي يُحدِّث، ويتخرص. انظر: حاشية ابن عابدين، ٤/ ٢٤٠، ولسان العرب ١٧/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥، و١١/ ١٤٢، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ضبط: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م ص٤٦١، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، ط٣، المكتب الإسلامي، ص٦٠٤، و٤١١ ـ ٤١٢، وأضواء البيان ٤/ ٤٥٥.

والكاهن عند العرب: من يتكلم بكلام مسجوع، وله قرين من الجن.

واسم الكاهن ليس يذم عند أهل الكتاب؛ بل يسمون أكثر العلماء بهذا الاسم، ويسمون هارون عليه السلام وأولاده بهذا الاسم؛ لأنه يخبر عن الغيوب. انظر: النبوات ٢/ ١٠٤٨ ـ ١٠٤٩.

هذا وقد مر ذكر السحرة والكهان قبل هذا الموضع، ولكني أرجأتُ التعريف بهما إلى هذا الموضع؛ لأجل أن الكلام عليهما هُهنا خاصٌّ بهما، وبعضهم يكمِّل بعضاً.

وسيأتي مزيد بيان لمفهوم الكهانة والكاهن من كلام ابن تيمية.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٧٨، وجامع الرسائل ١/ ١٩٦.

(٣) انظر: النبوات ٢/ ٨٦٠، وانظر: ص١٠٤٣.

وقد عرف الناس أن السحرة لهم **خوارق**[(١)]، ولهذا كانوا[(٢)] إذا طعنوا في النبي قالوا: ساحر»[(٣)].

ثم ذكر بعض الآيات التي رمى فيها فرعون موسى عليه السلام بالسحر، كما في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [الشعراء].

وما قيل عن المسيح عليه السلام، كما في قوله ـ تعالى ـ عنه: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف].

وقوله عن كفار العرب: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ [القمر][(٤)].

ثم بيَّن براءة القرآن من أن يكون شعراً، أو كهانةً.

فقال: «وشبهة الكهانة أن الكاهن يخبر ببعض الأمور الغائبة؛ فذكر الله ـ تعالى ـ الفرق بين هذين[(٥)] وبين النبي، فقال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء].

ثم قال: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الشعراء]»[(٦)].

ثم ذكر قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحاقة].

وقال بعد ذلك: «ولهذا لما عرض الكفار على كبيرهم الوليد[(٧)] أن يقول للناس: هو شاعر، ومجنون، وساحر، وكاهن ـ صار يبيِّن لهم أن هذه أقوال فاسدة، وأن الفرق معروف بينه[(٨)] وبين هذه الأجناس»[(٩)].

---

(١) ولهذا كان من تعريفات السحر: الإتيان بخارق؛ فقد ذكر التهانوني (ت١١٥٨هـ) أن المشهور عند الحكماء في تعريف السحر: الإتيان **بخارق** عند مزاولة قولٍ، أو فعلٍ محرَّم في الشرع أجرى الله ـ سبحانه ـ سُنَّته بحصوله ابتداءاً. انظر: كشاف اصطلاحات الفنون: لمحمد علي الفاروقي التهانوني، تحقيق: لطفي عبد البديع، مراجعة: أمين الخولي، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٨٢هـ، ٣/ ١٥٢.

(٢) يعني: أعداء الأنبياء.

(٣) النبوات ١/ ١٨٨.

(٤) انظر: النبوات ١/ ١٨٨ ـ ١٩٠.

(٥) يعني: الشاعر والكاهن.

(٦) النبوات ١/ ١٩٠ ـ ١٩١.

(٧) هكذا في نسخة يسري ص١٦٦: (الوليد)، ويعني به: الوليد بن المغيرة الذي قال الله عنه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [المدثر]. انظر: منهاج السُّنَّة ١/ ٤١، ودرء تعارض العقل والنقل ٥/ ١٦٢، وفي نسخة د. الطويان ١/ ١٩١: (الوحيد).

(٨) يعني: النبي ﷺ.

(٩) النبوات ١/ ١٩١.

٣ ـ تفريقه بين المعجزات والكرامات وبين خوارق السحرة والكهان: وقد مرَّ الكلام على ذلك مفصلاً في الفصل الأول من هذا الباب عند الكلام على الفروق بين الأحوال الشيطانية والخوارق الأخرى[(١)].

وإنما المقصود هٰهنا: إثبات أن ابن تيمية يجعل **السحرة والكهان من أصناف المتلبسين بالأحوال الشيطانية.**

وقريب من ذلك مناقشته للأشاعرة في تسويتهم بين المعجزات، والكرامات وبين خوارق السحرة والكهان[(٢)].

وقد مرَّ الكلام على ذلك مفصّلاً في الباب الأول والثاني عند الكلام على موقفه من الأشاعرة في المعجزات، والكرامات.

٤ ـ بيانه وجه كون الكهان، والسحرة من جملة أهل الأحوال الشيطانية: **قال** رَحِمَهُ اللَّهُ منزهاً القرآن عن الشعر، **والكهانة والسحر**: «وكذلك **الكاهن** يخبر ببعض المغيبات، ولكن يكذب كثيراً، وهو يخبر عن الشياطين، وعليه من آثارهم ما يدل على أنه أفّاك أثيم»[(٣)].

ثم قال: «وكذلك **الساحر** لما كان يتصرف في العقول والنفوس بما يغيرهما...»[(٤)].

٥ ـ بيانه لوجه الفرق بين السحرة والكهان: **قال** رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض مناقشته للأشاعرة في معنى **الكاهن**: «والقرآن أخبرنا **بالسحر** في سورة البقرة[(٥)] بخلاف **الكاهن**؛ فإن القرآن ذكر اسمه.

ولو تدبروا لعلموا أن الكاهن هو المذكور في قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء]»[(٦)].

---

(١) انظر: النبوات ١/٥١٨، و٥٥٨، و٢/٨٠٧٤، وشرح الأصبهانية ص٥٣٩ ـ ٥٤٣، والجواب الصحيح ١/٨٦، و١٢٧ ـ ١٢٩، ومنهاج السُّنَّة ٢/٤١٩ ـ ٤٢٠، ومجموع الفتاوى ١/٢٨٩ ـ ٢٩٢، و٤/١٦٨ ـ ١٦٩.

(٢) انظر: النبوات ١/٦٠٦ ـ ٦٠٨، و٢/٧٩٥ ـ ٧٩٨.

(٣) النبوات ٢/٨٣٤.

(٤) المرجع السابق ٢/٨٣٤.

(٥) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ الشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(٦) النبوات ٢/١٠٤٤.

وذكر بعض النصوص من السُّنَّة على ذلك، **ثم بيَّن** الفرق بين الكاهن والساحر.

فقال: «لكن الكاهن إنما عنده أخبار، والساحر عنده تصرف بِقتلٍ، وإمراض، وغير ذلك؛ وهذا تطلبه النفوس أكثر»[١].

ثم ساق بعض النصوص والآثار عن الكهان، والسحرة، ثم بيَّن معنى اسم الكاهن عند علماء أهل الكتاب، وعند العرب، **فقال:** «فعلماء أهل الكتاب يخبرون بالغيب، ويحكمون به عن الوحي الذي أوحاه الله.

وكهان العرب تفعل ذلك بوحي الشياطين، وتمتاز بأنها تسجع الكلام»[٢].

ثم بيَّن أمر الساحر في ذلك.

فقال: «بخلاف الساحر فإنه اسم معروف في جميع الأمم، وقد يدخل في ذلك المخدوع الذي تخبره الشياطين ببعض الأمور الغائبة»[٣].

ثم بيَّن وجه خرق العادة في السحر، **فقال:** «ولكون الساحر يأتي بالخوارق شبهوا النبي به، وقالوا: **ساحر**؛ فدل ذلك على وجود قدرٍ مشترك.

لكن الفرق بينهما أعظم كالفرق بين الملائكة والشياطين...»[٤].

وبالجملة فكلام ابن تيمية عن السحر والكهانة كثير جداً[٥].

وإنما المقصود هٰهنا: الإشارة إلى أن **السحرة، والكهان** من أعظم **الأصناف الداخلين في مسمى الأحوال الشيطانية.**

وسيأتي مزيد ذكر لهما مقروناً مع أصناف أخرى، وذلك في الفقرات التالية.

○ **ثالثاً: مُدَّعو النبوة:** وهذا الصنف يكثر تَلَبُّسهم بالأحوال الشيطانية؛ بل لا يكادون ينفَكُّون عنها؛ إذ هي وسيلتهم الكبرى التي يُثْبِتُون بها صدقَ دعواهم[٦].

وقد أبدى ابن تيمية وأعاد في إثبات تَلَبُّسِ هؤلاء بالأحوال الشيطانية، وذِكر ما كانوا عليه من الباطل، والفساد، سواء كان ذلك في مَعْرِض مناقشته لمنكري الخوارق عموماً، أو منكري خوارق غير الأنبياء، أو المسوين بين الخوارق.

---

(١) النبوات ٢/١٠٤٥.

(٢) المرجع السابق ٢/١٠٤٨.

(٣) المرجع السابق ٢/١٠٤٩.

(٤) المرجع السابق ٢/١٠٤٩.

(٥) انظر على سبيل المثال: النبوات ٢/٨٣٤، و٨٣٥، و٩٩١ ـ ٩٩٦، و١٠٤٤ ـ ١٠٤٩، و١٠٧٤، و١٠٨١، و١٠٨٤، و١٠٩٢، و١٦٩٦.

(٦) انظر: المتنبؤون في الإسلام وخطرهم على الفكر والمجتمع، تأليف: د. غالب بن علي عواجي، دار النصيحة، المدينة النبوية، ط١، ١٤٣٣هـ، ص١٧٩ ـ ٢٢٥، و٢٢٨ ـ ٢٦٣، و٢٦٦ ـ ٣٨٩.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «النبوات» في معرض مناقشته للأشاعرة الذين قالوا: إن الكذاب إذا أتى بخارق فلا بد أن يمنعه الله ذلك الخارق، أو يقيض له من يعارضه[١].

قال في الوجه السادس: «وهو أنه قد ادَّعى جماعة من **الكذابين النبوَّة**، وأتوا بخوارق من جنس خوارق الكهان والسحرة، ولم يعارضهم أحد في ذلك الزمان والمكان؛ فبطل قولهم[٢]: إن الكذاب إذا أتى بمثل خوارق السحرة، والكهان ـ فلا بد أن يمنعه الله ذلك الخارق، أو يقيض له من يعارضه»[٣].

ثم ذكر أمثلة لمدعي النبوة، وظهرت على أيديهم خوارق.

فقال: «وهذا كالأسود العنسي الذي ادعى النبوة باليمن في حياة النبي ﷺ واستولى على اليمن، وكان معه شيطانان: سُحَيق، ومُحَيْق، وكان يخبر بأشياء غائبة من جنس أخبار الكهان، وما عارضه أحد، وعُرِف كذبه بوجوه متعددة، وذكر من كذبه وفجوره ما ذكره الله بقوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء]»[٤].

وقال في موضع آخر في معرض كلام له عن كون المعجزة مختصة بالنبي، وعن مفهوم الكهانة، وكثرتها في كل موضع ينقص فيه أمر النبوة.

قال: «فهؤلاء لا بد أن يكون في أحدهم كذب وفجور، وذلك يناقض النبوة؛ فمن ادعى النبوة، وأخبر بغيوب من جنس أخبار الكهان كان ما أخبر به خرقاً للعادة عن أولئك القوم، لكن ليس خرقاً لعادة جنسه من الكهان»[٥].

إلى أن قال: «وهم إذا جعلوا ذلك آية لنبوته كان ذلك لجهلهم بوجود هذا الجنس لغير الأنبياء؛ كالذين صدقوا مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، والحارث الدمشقي، وبابا الرومي[٦]، ....

---

(١) انظر: البيان للباقلاني ص٩٤ ـ ٩٥. (٢) يعني: قول الأشاعرة.

(٣) النبوات ١/٤٩٦.

(٤) المرجع السابق ١/٤٤٩٧، وانظر: مجموع الفتاوى ١٠/٦٦٦، و١١/٢٨٤، وانظر ترجمة الأسود في: البداية والنهاية ٦/٢٦، و٨/٢٣٩.

(٥) النبوات ١/١٦٧.

(٦) ذكر ابن تيمية هذا المتنبئ في كثير من كتبه كما في الجواب الصحيح ٢/٢٤، والفرقان ص١٧٩ ـ ١٨٠، والنبوات ١/٤٩٧، وغيرها، ويسميه أحياناً باباه.
والبابا: اسم يطلق على الرئيس الأعلى للكنيسة الكاثوليكية.
وأطلق أخيراً على رئيس الكنيسة الأرثوذكية أيضاً. انظر: دائرة المعارف الحديثة، أحمد =

وغير هؤلاء من المتنبئين الكذابين»[١].

ثم بيَّن أمر هؤلاء، وما يأتون به من الخوارق الشيطانية.

فقال: «وكان هؤلاء لا يأتون بأمور عجيبة خارقة لعادة أولئك القوم، لكن ليست خارقة لعادة جنسهم ممن ليس بنبي؛ فمن صدقهم ظن أن هذا مختص بالأنبياء، وكان هذا من جهله بوجود هذا لغير الأنبياء، كما أنهم كانوا يأتون بأمور تناقض النبوة»[٢].

والحاصل: أن كلامه حول ما يأتي به هؤلاء المتنبؤن من الخوارق والأحوال الشيطانية كثير[٣].

والمقصود هٰهنا: بيان ذكره لهذا الصنف من أصناف المتلبسين بتلك الأحوال، ألا وهم **مدَّعو النبوَّة**.

○ **رابعاً: مُدَّعو الإلٰهية والربوبية:** فأولئك من جملة من عَدَّهم من الأصناف المتلبسين بالأحوال الشيطانية.

ويضرب ابن تيمية المثال لذلك **بالدجال الأعور الكذاب**، وبعضِ **من يدَّعون إلٰهية بعض البشر**؛ لما يرون منهم من خوارق العادات.

قال رَحِمَهُ اللهُ في «بيان تلبيس الجهمية» في معرض مناقشته للرازي في حديث الصورة: «فإن **الدجال** أعظم فتنة تكون، وهو يدَّعي الإلٰهية، ويظهر على يديه الخوارق»[٤].

وقال في «الجواب الصحيح»: «ولهذا أعظم الفتن فتنة **الدجال الكذاب** لمَّا اقترن **بدعواه الإلٰهيةَ** بعضُ الخوارق ـ كان معها ما يدل على كذبه من وجوه.

منها: **دعواه الإلٰهية**، وهو أعور، واللهُ ليس بأعور، مكتوب على عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن قارئ، وغير قارئ، واللهُ لا يراه أحد حتى يموت...»[٥].

وقال في «النبوات» بعد أن قرر أن لا يوجد خرق عادةٍ لجميع الناس إلا وهو

= عطية الله، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٥٣م، ص٢٤٢، و٦١٧، والمعجم الوسيط ١/ ٣٥.

(١) النبوات ١/ ١٦٧ ـ ١٦٩.

(٢) المرجع السابق ١/ ١٦٩، وانظر: ٢/ ٨٦٠.

(٣) انظر: النبوات ١/ ١٦٩، و٢/ ٨٦٠، والفرقان ص١٧٨ ـ ١٨٠، و٣٢٤ ـ ٣٢٥، ومنهاج السُّنَّة ٢/ ٢٢٦ ـ ٢٢٨، والجواب الصحيح ٢/ ٣٤٣.

(٤) بيان تلبيس الجهمية ١/ ١٣١.

(٥) الجواب الصحيح ٦/ ٤٣٠، وانظر: النبوات ٢/ ٨٥٥ ـ ٨٥٨، وجامع الرسائل ١/ ١٩٧ ـ ١٩٨.

من آيات الأنبياء، واستشهد بقصة **الدجال**، وقتله للرجل، وإحيائه له، ثم محاولة قتله ثانية وعجزه عن ذلك، **قال**: «فعجزه[١] عن قتله ثانياً، مع تكذيب الرجل له بعد أن قتله، وشهادته[٢] للرسول محمد بالرسالة ـ هو من خوارق العادات التي لا توجد إلا لمن شهد للأنبياء بالرسالة»[٣].

إلى أن قال: «ومعلوم أن قتله ممكن في العادة؛ فعجزه عن قتله ثانياً هو الخارق للعادة»[٤].

ثم ذكر وصف النبي ﷺ **للدجال**، وأنه ذكر لهم آياتٍ ظاهرةً يشترك فيها الناس تُبيِّن لهم كذبَ **الدجال** فيما يدعيه من الربوبية.

وقال بعد ذلك: «إذ كثير من الناس يُجَوِّزون ظهورَ **الإلٰه في البشر**: النصارى، وغير النصارى[٥].

وما يأتي به **الدجال** إنما يحار فيه، ويراه معارضاً لآيات الأنبياء ـ من لم يُحْكِمِ الفرقان[٦]»[٧].

ثم ذكر الطوائف التي ضلت في هذا الباب، وبيَّن خطأ من أطلق خرق العادة دون أن يفسِّره، ويبيِّنه.

وأوضح ضلال النصارى؛ لاعتقادها الإلٰهيةَ في المسيح؛ لكونه أتى بالخوارق مع إقراره بالعبودية؛ فكيف بمن يدعي الإلٰهية؟![٨].

وهكذا يبيِّن أن من **أصناف المتلبسين بالأحوال الشيطانية ـ مُدَّعي الإلٰهية والربوبية.**

خامساً: عبَّاد الأصنام. سادساً: أهل الكتاب. سابعاً: أهل البدع، والشرك، والنفاق. ثامناً: جهلة العبَّاد. تاسعاً: أهل الفسق والفجور. عاشراً: أصحاب الطلاسم والعزائم: فهذه الأصناف من جملة من يراهم متلبسين بالأحوال الشيطانية.

وغالباً ما يقرن بينها؛ حيث يذكرها جميعاً، أو أكثرها في سياق واحد؛ لذا

---

(١) يعني: عجز الدجال.
(٢) شهادة الرجل الذي قتله الدجال أولاً.
(٣) النبوات ٢/٨٥٦.
(٤) المرجع السابق ٢/٨٥٦.
(٥) يقصد: ملاحدة الصوفية، وغيرهم. انظر: الجواب الصحيح ٤/٣١٥، و٤٩٧ ـ ٥٠٠.
(٦) يعني: من لم يميز الفرق بين الخوارق؛ بل جعلها جنساً واحداً.
(٧) النبوات ٢/٨٥٧، ومنهاج السُّنَّة ٣/٢٢٧ ـ ٢٢٨، ومجموع الفتاوى ٢/٣٩٧، و٤٨١، وبغية المرتاد ص٤٨٣.
(٨) يعني: قول الأشاعرة.

يصعب فصلها عن بعض؛ فَقُرِنَت هٰهنا؛ لأجل ألا يتكرر النقل؛ إذ المقصود الإشارة إلى تلبّس تلك الأصناف بالأحوال الشيطانية فحسب.

قال رَحِمَهُ اللهُ في «النبوات» في معرض مناقشته لمن يكذِّب بالخوارق، أو من يجعل أهلها أولياء بإطلاق.

قال: «وأيضاً فإن كثيراً من الناس لا يكون من أهل الصلاح، ويكون له خوارق شيطانية، كما **لعُبَّاد المشركين، وأهل الكتاب**، فتتجلى لهم على أنها كرامات، فمن الناس من يجعل أهلها أولياء لله، وذلك لأن الطائفتين ظنت أن مثل هذه الخوارق لا يكون إلا لأولياء الله»[١].

إلى أن قال: «ولم يميزوا بين الخوارق الشيطانية التي هي من جنس ما **للسحرة والكهان، ولعبَّاد المشركين، وأهل الكتاب، وللمتنبئين الكذابين**، وبين الكرامات الرحمانية التي يكرم الله بها عباده الصالحين؛ فلم يميزوا بين هذا وهذا.

وكان كثير من **الكفار، والفجار، وأهل الضَّلال، والبدع** لهم خوارق شيطانية»[٢].

وقال في موضع آخر في معرض الكلام على الفروق بين أيات الأنبياء وخوارق مخالفيهم: «إن ما تخبر به الأنبياء لا يكون إلا صدقاً.

وأما ما يخبر به من خالفهم من **السحرة والكهان، وعباد المشركين، وأهل الكتاب، وأهل البدع والفجور** من المسلمين فإنه لا يكون إلا كذباً»[٣].

وقال ـ أيضاً ـ في معرض كلام له عما يناقض النبوة: «فجمع ما يختص به **السحرة والكهان** مناقض للنبوة؛ فوجود ذلك يدل على أن صاحبه ليس بنبي، ويمتنع أن يكون شيء من ذلك دليلاً على النبوة؛ فإن ما استلزم عدم الشيء لا يستلزم وجوده»[٤].

إلى أن قال مشيراً إلى صنف آخر من **المتلبسين بالأحوال الشيطانية**: «وكذلك ما يأتي به **أهل الطلاسم**[٥]، **وعبادةِ الكواكب**، ومخاطبتها ـ مناقض للنبوة»[٦].

وقال في معرض كلام له عن أرسطو، وأتباعه، وأنهم لم يعرفوا الأنبياء،

---

(١) النبوات ٢/ ١٠٣٤ ـ ١٠٣٥. (٢) المرجع السابق ٢/ ١٠٣٥.

(٣) المرجع السابق ٢/ ١٠٧٤، وانظر: ١٠٧٧، و١٠٨١، و١٠٨٤، و١٠٨٦، و١٠٩٢.

(٤) المرجع السابق ٢/ ٩٩١.

(٥) **الطلاسم**: سبق تعريفها عند تعريف الطلّسمات.

(٦) النبوات ٢/ ٩٩١ ـ ٩٩٢، وانظر: مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٧٠، والجواب الصحيح ٦/ ١٣، والصفدية ص٢٠٥.

وآياتهم، ولكن السحر موجود قبلهم، **قال**: «فإن حدوث هذه الغرائب[١] من الجن، واقترانهم **بالسحرة، والكهان** مما قد عرفه عامة الأمم وذكروه في كتبهم غير العرب، مثل الهند، والترك، وغيرهم من **المشركين، وعباد الأصنام، وأصحاب الطلاسم، والعزائم**، وعرفوا أن كثيراً من هذه **الخوارق** هو من الجن والشياطين»[٢].

وقال في موضع آخر: «والذين يدعون الكواكب تتنزل عليهم أشخاص يسمونها رُوحانية الكواكب، وهو شيطان نزل عليه لما أشرك؛ ليغويَه.

كما تدخل الشياطين في الأصنام، وتتكلم أحياناً لبعض الناس، وتتراءى للسدنة[٣] أحياناً، ولغيرهم أيضاً»[٤].

وقال في «مجموع الفتاوى» في معرض كلام له عن عبادة المشركين: «والشيطان يضل بني آدم بحسب قدرته؛ فمن **عبَدَ الشمس، والقمر، والكواكب**، ودعاها كما يفعل أهل دعوة الكواكب ـ فإنه ينزل عليه شيطان يخاطبه ببعض الأمور، ويسمون ذلك رُوحانية الكواكب، وهو شيطان»[٥].

إلى أن **قال**: «ويوجد **لأهل** البدع، **وأهل الشرك** المتشبهين بهم من **عبَّاد الأصنام، والنصارى، والضلَّال من المسلمين** أحوال يظنونها كرامات، وهي من الشياطين»[٦].

ثم ذكر أمثلة على ذلك.

وقال في «الجواب الصحيح» بعد أن أورد بعض خوارق الضلَّال، والمرتدين، ونحوهم ذاكراً بعض أصناف المتلبسين بالأحوال الشيطانية: «فالمقصود: أنه كثير من

---

(١) يعني بها: الأحوال الشيطانية.

(٢) النبوات ٢/٧٠٢، وانظر: ص١٠٣٥.

(٣) **السدنة**: جمع سادن، وهو خادم الكعبة، أو خادم بيت الأصنام، ويقصد بهم هُهنا خدم بيت الأصنام. انظر: لسان العرب ١٣/٢٠٧.

وكانت لأصنام العرب في الجاهلية سدنة يقوم على خدمتها. انظر: كتاب الأصنام لهشام بن محمد بن السائب الكلبي، تحقيق: د. محمد عبد القادر أحمد، وأحمد محمد عبيد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص٣٨، و٥٠.

(٤) النبوات ٢/١٠٥٨ ـ ١٠٥٩، وانظر: الرد على المنطقيين ص٢٨٦، والفرقان ص٢٢٢ ـ ٢٢٣، والجواب الصحيح ٢/٣٢٦ ـ ٣٢٧.

(٥) مجموع الفتاوى ١١/٢٩٢.

(٦) المرجع السابق ١١/٢٩٣، وانظر: النبوات ٢/١٠٤١، والجواب الصحيح ٢/٣٣٣ ـ ٣٤٠، واقتضاء الصراط المستقيم ١/٥٣٧، وجامع الرسائل ١/١٩٢ ـ ١٩٤، والرسالة الصفدية ص٢٠٣ ـ ٢٠٤.

الخوارق ما يكون من الشياطين، أو يكون حِيَلاً، ومخاريق، ويظن أنها من كرامات الصالحين؛ فإن ما يكون شبيه **الشرك، والفجور إنما يكون من الشيطان**»[١].

ثم ذكر أمثلة على ذلك، فقال: «مثل أن يشرك الرجل بالله؛ **فيدعو الكواكب،** أو **يدعو مخلوقاً** من البشر، أو ميتاً، أو غائباً، **أو يَعْزِم ويُقْسِم** بأسماء مجهولة لا يعرف معناها، أو يعرف أنها أسماء الشياطين، أو يستعين **بالفواحش والظلم**»[٢].

ثم يصل إلى النتيجة من ذلك، **فيقرر قائلاً:** «فإن ما كان هذا سببه من الخوارق فهو من الشيطان»[٣].

وذكر في «الفرقان» بعض أصناف هؤلاء **من المشركين، ومن ضلَّال العبَّاد، فقال:** «**وفي أصناف المشركين من مشركي العرب، ومشركي الهند، والتِّرك، واليونان، وغيرهم** ـ ممن له اجتهاد في العلم، والزهد، والعبادة، ولكن ليس بمتبع للرسل، ولا مؤمن بما جاؤوا به، ولا يصدقهم بما أخبروا، ولا يطيعهم فيما أمروا»[٤].

إلى أن قال مبيِّناً حكمهم، وما قد يحصل لهم من جراء عبادتهم وزهدهم غير الشرعي: «فهؤلاء ليسوا بمؤمنين، ولا من أولياء الله.

وهؤلاء قد تقترن بهم الشياطين، وتتنزل عليهم؛ **فيكاشَفون** ببعض الأمور، **ولهم تصرفات خارقة** من جنس **السحر**، وهم من جنس **الكهان والسحرة** الذين تتنزل عليهم الشياطين»[٥].

إلى أن قال مبيِّناً ما يكون عند هؤلاء من **فسق وفجور**: «وهؤلاء جميعهم ينتسبون إلى **المكاشفات، وخوارق العادات**، إذا لم يكونوا متبعين للرسل فلا بد أن **يكذبوا**، وتكذبهم شياطينهم، ولا بد أن يكون في أعمالهم ما هو **إثم، وفجور**، مثل نوع من **الشرك، أو الظلم، أو الفواحش، أو الغلو، أو البدع في العبادة**؛ ولهذا تنزلت عليهم الشياطين، واقترنت بهم؛ فصاروا من أولياء الشيطان، لا من أولياء الرحمٰن»[٦].

وقال في «النبوات»: «فإن كثيراً من الناس لا يكون من أهل الصلاح، ويكون له خوارق شيطانية، **كالعبَّاد، والمشركين، وأهل الكتاب**؛ فتتجلى لهم على أنها كرامات»[٧].

---

(١) الجواب الصحيح ٢/ ٣٤٣.
(٢) المرجع السابق ٢/ ٣٤٣.
(٣) المرجع السابق ٢/ ٣٤٣.
(٤) الفرقان ص٨٣.
(٥) المرجع السابق ص٨٣.
(٦) المرجع السابق ص٨٤.
(٧) النبوات ٢/ ١٠٣٤.

وقال في «الفتاوى الكبرى» مشيراً إلى صنف من هذه الأصناف ألا وهو **النفاق**، **قال**: «القلب يكون فيه شعبة من **نفاق**، وشعبة إيمان؛ فإذا كان فيه شعبة **نفاق** كان فيه شعبةٌ من ولايته، وشعبة من عداوته»[١].

ثم يقول مفرعاً على ذلك: «ولهذا يكون بعض هؤلاء يجري على يديه **خوارق** من جهة إيمانه بالله، وتقواه تكون من **كرامات الأولياء**.

وخوارق من جهة نفاقه، وعداوته تكون من **أحوال الشياطين**»[٢].

وقال رَحِمَهُ اللهُ في «مجموع الفتاوى» في نصٍّ جامعٍ لأكثر الأصناف التي مضى ذكرها: «فإن كثيراً من **الكفار**، **والمشركين**، فضلاً عن **أهل الكتاب** يكون لهم من **المكاشفات**، **وخرق العادات** بسبب شياطينهم أضعاف ما لهؤلاء؛ لأنه كلما كان الرجل أضل وأكفر كان الشيطان إليه أقرب.

لكن لا بد في جميع مكاشفة هؤلاء من الكذب والبهتان، ولا بد في أعمالهم من **فجور وطغيان**، كما يكون لإخوانهم من **السحرة والكهان**»[٣].

إلى أن قال مقرراً تلازم بعض الصفات لدى أصناف المتلبسين بتلك الأحوال: «**فكل من تنزلت عليه الشياطين لا بد أن يكون فيه كذب وفجور في أي قسم كان**»[٤].

وبالجملة؛ فإن تقريراته التي هي من هذا القبيل كثيرةٌ جدّاً؛ إذ كثيراً ما يتعرض لمثل ذلك، ويقرن هذه الأصناف أو بعضها ببعض[٥].

والمقصود هٰهنا ـ كما مرَّ ـ: إنما هو ذكر **الأصناف التي يرى ابن تيمية أنها متلبسة بالأحوال الشيطانية**.

○ **حادي عشر: أصحاب الأحوال الغريبة**: وهذا الصنف من جملة من يدخلهم ابن تيمية ضمن المتلبسين **بالأحوال الشيطانية**.

ويُقصد بهم من لهم أحوال غريبة يقومون، أو يظهرون بها.

وهذه الأحوال تبعث على الاشمئزاز، أو الكراهية، أو الغرابة، وتكون مخالفة لما جاء في الشرع، وجرى به العرف.

---

(١) الفتاوى الكبرى ١/ ١٩٤.

(٢) المرجع السابق ١/ ١٩٤.

(٣) مجموع الفتاوى ١١/ ٤٤٥.

(٤) المرجع السابق ١١/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

(٥) انظر على سبيل المثال لا الحصر: مجموع الفتاوى ١١/ ٣٠٢، و٤٤٥ ـ ٤٥٠، و١٣/ ٩١، و٢٨/ ٦١، والفتاوى الكبرى ١/ ١٩٤، و٥/ ٢٤٨، والجواب الصحيح ٢/ ٣١٨، والنبوات ٢/ ١٠٢٩، و١٠٧٧.

وفيما يلي ذكر لأبرز أهل هذا الصنف عنده:

١ ـ أكلة المستقذرات والمحرمات، وأهل السماع المحرم، وما يلحق بذلك:

قال رَحِمَهُ اللهُ في «الفرقان» بعد أن **قرر** أن كرامات الأولياء لا بد أن يكون سببها الإيمان، والتقوى، وأن ما كان سببه الكفر والفسوق **فهو من خوارق أعداء الله**.

قال بعد ذلك: «وإنما تحصل[1] عند الشرك، مثل دعاء الميت، أو الغائب، أو بالفسق والعصيان، **وأكل المحرمات**؛ كالخبائث، مثل: الحيات، والزنابير، والخنافس، والدم، وغيره من النجاسات»[2].

إلى أن قال مبيّناً صنفاً من المتلبسين بتلك الأحوال، وهم أهل السماع المحرم، وما يلحق بذلك، موضحاً حالةً غريبةً عندهم، وهي انبعاثهم الشديد، وقوّتهم على القيام بالرقص طيلة الليل، ثم كسلهم الشديد إذا قاموا إلى الصلاة.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «ومثل: **الغناء، والرقص**، لا سيما مع النسوة الأجانب، والمردان.

وحالُه، **وخوارقه تنقص عند سماع القرآن، وتقوى عند سماع مزامير الشيطان**؛ فيرقص ليلاً طويلاً، وإذا جاءت الصلاة صلى قاعداً، أو ينقر الصلاة نقر الديك، وهو يبغض سماع القرآن وينفر عنه، أو يتكلفه، ليس له في محبة، ولا ذوق، ولا لذة عند وجده، ويحب سماع المكاء والتصدية، ويجد عنده مواجيد»[3].

ثم قرر أن من كان متَّصفاً بذلك فأحواله شيطانية، وأنه ممن يتناوله قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف]»[4].

ويُلْحِق بهذا الصنف من ذوي الأحوال الغريبة من لا يتوضأ، ولا يصلي الصلوات المكتوبة، ومن يكون ملابساً للنجاسات، معاشراً للكلاب، يأوي إلى الحمامات، والقمامين، والمقابر، والمزابل.

ومن يكون خبيث الرائحة من جراء ترك النظافة، والطهارة الشرعية؛ فهؤلاء ومن على شاكلتهم ـ هم ممن يعدهم من أصناف **أهل الأحوال الشيطانية**[5].

قال رَحِمَهُ اللهُ مبيِّناً حال من اتصفوا بتلك الصفات، ومقرراً أنهم **من أصناف المتلبسين بالأحوال الشيطانية**: «فإذا كان الشخص مباشراً ملابساً للنجاسات، والخبائث التي يحبها الشيطان، أو يأوي إلى الحمامات، والحشوش التي

---

(١) يعني: هذه الأحوال.

(٢) الفرقان ص٣٤٥ ـ ٣٥٥.

(٣) المرجع السابق ص٣٥٥.

(٤) انظر: المرجع السابق ص٣٥٥ ـ ٣٥٦.

(٥) انظر: المرجع السابق ص١٦٩.

تحضرها الشياطين، أو يأكل الحيات، والعقارب، والزنابير، وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق، أو يشرب البول، ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان»[١].

إلى أن قال: «أو يدعو غير الله؛ فيستغيث بالمخلوقات، ويتوجه إليها، أو يسجد إلى ناحية شيخه، ولا يخلص الدين لربِّ العالمين، أو يلابس الكلاب، والنيران، أو يأتي المزابل، والمواضع النجسة، أو يأوي إلى المقابر لا سيما مقابر الكفار من اليهود والنصارى أو المشركين، أو يكره سماع القرآن، وينفر عنه، ويقدم سماع الأغاني، والأشعار، ويُؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمٰن ـ **فهذه علامات أولياء الشيطان** لا علامات أولياء الرحمٰن»[٢].

٢ ـ **ذوو الظهور بهيئات غير مألوفة**: سواء في ملبسهم، أو مظاهرهم، أو مشيتهم، أو نحو ذلك مما هو باعث على الغرابة، ومخالف لما أُلِف من عادات الناس، وأعرافهم.

فهذا الصنف من الناس هم من جملة من جعلهم ابن تيمية من **المتلبسين بالأحوال الشيطانية**.

ويذكر عنهم أمور يطول ذكرها.

ومن ذلك ما ذكره عن طائفة الرفاعية، ومناظرته لهم؛ حيث **قال:** «فلما كان قبل هذه الوقعة بمدة كان يدخل منهم جماعة مع شيخ لهم من شيوخ البر **مُطوَّقين بأغلال الحديد في أعناقهم**.

وهو وأتباعه معروفون بأمور، وكان يحضر عندي؛ فأخاطبه بالتي هي أحسن»[٣].

وسيأتي في المبحث التالي تفصيل مناقشته لهم في ذلك.

وإنما المقصود هٰهنا: بيان ما عليه هذا الصنف من الظهور بتلك **الحالة الغريبة**.

وقال ـ أيضاً ـ عن هؤلاء مبيِّناً بعض **أحوالهم الغريبة** التي يظهرون بها: «وذُكر

---

(١) الفرقان ص١٧٥.

(٢) المرجع السابق ص١٧٥، وانظر: مجموع الفتاوى ١١/٤٤٧، ومناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية، قدَّم لها وعلَّق عليها: عبد الرحمٰن دمشقية، دار طيبة، ط١، ١٤٠٨هـ، ص١٢ ـ ١٣.

(٣) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص١٤.

لي أنهم قدموا من الناحية الغربية[١] مظهرين الضجيج، والعجيج، والإزباد، والإرعاد، واضطراب الرؤوس، والأعضاء، والتقلب في نهر بردى، وإظهار التولّه الذي يخيلوا[٢] به على الرؤى[٣]، وإبراز ما يدَّعونه من الحال، والمحال الذي يسلمه إليهم من أضلوا من الجهال»[٤].

وقال ـ أيضاً ـ واصفاً قدومهم لمناظرته: «وقد قَدِمَ البطائحية، وهم جماعةٌ كثيرون، وقد أظهروا **أحوالهم الشيطانية**، من الإزباد، والإرعاد، وحركة الرؤوس، والأعضاء، والطَّفْر[٥]، والحبو، والتقلب، ونحو ذلك من الأصوات المنكرات الخارجة عن العادات، والمخالفة لما أمر به لقمان الحكيم لابنه في قوله: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾ [لقمان: ١٩]»[٦].

وقال في «الفرقان» واصفاً حالَ بعضهم ممن ينقطعون في الجبال: «ومن هؤلاء من يظهر بصورة رجلٍ شعراني جلده يشبه جلد الماعز؛ فيظن من لا يعرفه أنه إنسي، وإنما هو جني»[٧].

وذكر في موضع آخر أن من **الأحوال الغريبة** لبعض هؤلاء كتابتَهم أسماء الله، أو بعض كلامه ﷻ بالنجاسة، أو قلب فاتحة الكتاب، أو سورة الإخلاص، أو آية الكرسي، أو غيرهن، وكتابتهن بنجاسة إلى غير ذلك مما ذكره في هذا الشأن[٨].

كما ذكر من ذلك حال من ينقطعون إلى المغارات، والبوادي، والجبال، ومن يتقصدون التعبد بالجوع، والخلوة، والسهر، والصمت ونحو ذلك مما لم يشرعه الله، ومما مرَّ ذكره عند الكلام على أسباب وقوع الأحوال الشيطانية[٩].

وكما يقرر أن هذه الأحوال الغريبة، وما جرى مجراها تقع من بعض أصناف المتلبسين بالأحوال الشيطانية ـ **فإنه يقرر** أن أولياء الله حقّاً ليس لهم

---

(١) في الأصل: (الغريبة) والصواب ما ذكر، انظر: مجموع الفتاوى ١١/٤٤٩.
(٢) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: (يخيلون، أو خيلوا).
(٣) هكذا في مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية، وفي مجموع الفتاوى ١١/ ٤٤٤: (الردى).
(٤) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص١٨.
(٥) **الطَّفر**: الوثب في ارتفاع. انظر: القاموس ص٥٥٣.
(٦) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٢٦ ـ ٢٧.
(٧) الفرقان ص٣٤١.
(٨) انظر: المرجع السابق ص٣٣١ ـ ٣٣٢.
(٩) انظر: المرجع السابق ص٣٣٩ ـ ٣٤٢، ومجموع الفتاوى ١١/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨.

شعار معين، أو حال غريبة تميزهم عن غيرهم؛ حيث **يقول** رَحِمَهُ اللَّهُ **في ذلك**: «وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات؛ فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحاً، ولا بحلق شَعرٍ، أو تقصيره، أو ظفْره إذا كان مباحاً»(١).

كما قرر أن ليس لأولياء الله مكان معين، أو عمل معين يخصهم دون غيرهم، وإنما هم موجودون في جميع طبقات الناس.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع والفجور؛ فيوجدون في أهل القرآن، والعلم، ويوجدون في أهل الجهاد، والسيف، ويوجدون في التجار، والصُّناع، والزراع»(٢).

ويوضح أن الله ـ تعالى ـ قد ذكر أصناف أمة محمد ﷺ في القرآن، ويستشهد على ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل](٣).

---

(١) الفرقان ص١٢٨. (٢) المرجع السابق ص١٢٨.

(٣) انظر: الفرقان ص١٢٩، **وقال** في جامع المسائل مقرراً هذا المعنى، وهو أن أولياء الله ليس لهم ما يتميزون به عن غيرهم: «وليس لأولياء الله، وعباده الصالحين زي مخصوص يتميزون به على غيرهم في الظاهر؛ لا حلق رأس، ولا لبس صوفٍ أو شعرٍ، ولا اعتزالٌ في المنزل دائماً، ولا ترك مخالطة الناس دائماً، ولا غير ذلك من الأمور التي هي غير مستحبة في الشريعة» ٩/ ٤٩.

إلى أن قال: «بل ولا من خصائصهم، أو لوازمهم لزوم شيء معين مستحب في الشريعة، ولا الزهد في فضول المباح، ولا صوم الاثنين والخميس، ولا صلاة الضحى، ولا التسوك، ولا غير ذلك.

بل أولياء الله هم الذين آمنوا، وكانوا يتقون: من جميع أصناف الناس، وتقوى كل شخص بحسب ما أمر الله ـ تعالى ـ به ونهاه» ٩/ ٤٩.

ثم ذكر أمثلة من أصناف أولياء الله، وما يليق بهم من الولاية والتقوى، **فقال**: «فولاة الأمور: تقواهم في العدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحكم بالكتاب والسُّنَّة بحسب الإمكان.

وتقوى التاجر: أن يكون صدوقاً أميناً مع ما يلزمه من الواجبات في غير تجارته؛ فكل من آمن الإيمان الذي أمره الله ـ تعالى ـ به، واتقى الله التقوى التي أمره الله بها ـ فهو من =

وبهذا ينتهي الكلام على بيانه **لأصناف المتلبسين بالأحوال الشيطانية**.

وسيأتي مزيد بيان، وأمثلة لذلك في المطلب والمبحث التاليين.



= أولياء الله ـ تعالى ـ سواء كان من العلماء، أو الأجناد، أو الزهاد، أو التجار، أو الصناع» ٩/٤٩ ـ ٥٠٢.

ثم ذكر نماذج كثيرة من ذلك من أحوال الصحابة ﷺ.

المطلب الثاني

ما يحصل للمتلبسين بالأحوال الشيطانية

بعد أن تبيَّن أصناف المتلبسين بالأحوال الشيطانية عند ابن تيمية في المطلب الماضي ـ يصل الحديث إلى إيضاحه لما يحصل للمتلبسين بها؛ إذ هو يقرر ذلك كثيراً، سواء في مناقشته لأصحابها، أو لمن ينكرون تلك الأحوال، أو من يسوون بينها وبين بقية الخوارق، أو حين يناقش مفهوم الكرامة الحقة، والولاية الصحيحة.

وقد مرت الإشارة إلى شيء من ذلك عند الكلام على شروط قبول الكرامة، وعند الكلام على موقفه من غلو الصوفية في الكرامة، وعند بيانه لأسباب ظهور الأحوال الشيطانية.

والكلام هٰهنا تفصيل لما يحصل للمتلبسين بالأحوال الشيطانية؛ إذ هو ـ هٰهنا ـ مقصود لنفسه، وليس تابعاً لغيره، وهذا ما سيتبين من خلال المسائل التالية:

المسألة الأولى: خدمة الشياطين لهم

وتتجلى هذه الخدمة ـ كما يقرر ابن تيمية ـ من خلال صور عدة، ويمكن حصرها فيما يلي:

أولاً: قضاء حوائجهم.

ثانياً: الطيران بهم.

ثالثاً: إخبارهم بالغائبين.

رابعاً: الدفاع عنهم.

ويدخل تحت هذه الصور جملة من صنوف الخدمة، وفيما يلي أمثلة مما أورده في ذلك، مع ملاحظة تداخل بعضها ببعض.

١ ـ **يقول** رَحِمَهُ اللَّهُ **في «النبوات» مبيِّناً صورةً من صور الخدمة لهم:** «ونحن نعرف من هؤلاء عدداً كثيراً، وليسوا صالحين؛ بل فيهم كفار، ومنافقون، وفساق، وجهال

لا يعرفون الشريعة تحملهم[١]، وتطير بهم من مكان إلى مكان، وتحملهم إلى عرفات؛ فيشهدون عرفات من غير إحرام، ولا تلبية، ولا طواف بالبيت»[٢].

إلى أن قال: «وهذا الفعل حرام، والجهال يحسبون أنه من كرامات الصالحين، فتفعله الجن بمن يحب ذلك؛ مكراً به، وخديعةً، أو خدمةً لمن يستخدمهم من هؤلاء الجهال بالشريعة، وإن كان لهم زهد، وعبادة»[٣].

وقال ذاكراً صوراً من صور تلك الخدمة: «وكذلك الجن كثيراً ما يأتون الناس بما يأخذونه من أموال الناس؛ من طعام، وشراب، ونفقة، وماء، وغير ذلك.

وهو من جنس ما يسرقه الإنسي، أو يأتي به إلى الإنسي، لكن الجن تأتي بالطعام والشراب في مكان العدم»[٤].

ثم يقارن بين تلك الأحوال الشيطانية وما يكون من آيات الأنبياء؛ **فيقول:** «ولهذا لم يكن مثل هذا آيةً لنبي، وإنما كان النبي ﷺ يضع يده في الماء؛ فينبع الماء من بين أصابعه، وهذا لا يقدر عليه لا إنس، ولا جن.

وكذلك الطعام القليل يصير كثيراً، وهذا لا يقدر عليه لا الجن، ولا الإنس»[٥].

٢ ـ وقال في موضع آخر من «النبوات» في معرض كلام له عن مراتب الجن، وأنواعهم، وخدمتهم للإنس، مبيِّناً أنواعاً من تلك الخدمة، قال: «أن يَسْتَخدم[٦] الجنَّ في أمور محظورة، أو بأسباب محظورة، مثل قتل نفس، وإمراضها بغير حق، ومثل منع شخص من الوطء، ومثل تبغيض شخص إلى شخص، ومثل جلب من يهواه الشخص إليه؛ فهذا من السحر»[٧].

ثم بيَّن أن مثل هذا «قد يقع لكثير من الناس، ولا يعرف السحر؛ بل يكون موافقاً للشياطين على بعض أغراضهم، مثل: شرك، أو بدعة، وضلالة، أو ظلم، أو فاحشة؛ فيخدمونه؛ ليفعل ما يهوونه»[٨].

---

(١) يعني: الشياطين؛ فهي التي تحمل أولئك.
(٢) النبوات ١/ ٥٢٤، وانظر: ٢/ ٩٩٨، والفرقان ص١٦٨، والصفدية ص٢٠٣ ـ ٢٠٤.
(٣) النبوات ١/ ٥٢٤، وانظر: ٢/ ٩٩٨ ـ ١٠٠٠.
(٤) المرجع السابق ١/ ٥٢٤، وانظر: جامع الرسائل ١/ ١٩٢ ـ ١٩٣.
(٥) النبوات ١/ ٥٢٥، وانظر: ص١٤٥.
(٦) يعني: بعض الإنس.
(٧) النبوات ٢/ ١٠١٣.
(٨) المرجع السابق ٢/ ١٠١٣.

وأوضح أن هذا كثير في عُبَّاد المشركين، وأهل الكتاب، وأهل الضلال من المسلمين.

وأن كثيراً من هؤلاء لا يعرف أن ذلك من الشياطين؛ بل يظنهُ من كرامات الصالحين.

وقرر أن منهم من يعرف أنه من الشياطين، ويرى أنه بذلك حصل له ملكٌ، وطاعةٌ، ونيلُ ما يشتهيه من الرياسةِ، والشهواتِ، وقتلِ عدوه؛ فيدخل في ذلك كما تدخل الملوك الظلمة في أغراضهم[(١)].

كما قرر أنه ليس أحد من الناس تعطيه الجن طاعة مطلقة كما كانت تطيع سليمان ﷺ بتسخيرٍ من الله، وأمرٍ منه من غير معاوضة.

وأن الجن كالإنس فيهم المؤمن المطيع، والمسلم الجاهل، أو المنافق، أو العاصي، وفيهم الكافر.

كما بيَّن أن كل جنيٍّ فوقه من هو أعلى منه، وأن الجن قد يخدمون بعض الناس طاعة لمن فوقهم كما يخدم بعض الإنس لمن أمرهم سلطانُهم بخدمته؛ لكتاب معه منه، وهم كارهون لطاعته، وقد يأخذون منه ذلك الكتاب، ولا يطيعونه، وقد يقتلونه، أو يمرضونه؛ بل يقرر أن كثيراً من الناس قتلته الجن[(٢)].

ثم ذكر بعد ذلك أنواعاً من الخدمة التي تخدم بها الشياطينُ الإنسَ، **فقال**: «ثم الذي يخدمونه: تارة يسرقون له شيئاً من أموال الناس مما لم يذكر اسم الله عليه، ويأتونه إما بطعام، وإما شرابٍ، وإما لباسٍ، وإما نقودٍ، وإما غير ذلك.

وتارةً يأتونه في المفاوز[(٣)] بماءٍ عَذْبٍ، وغير ذلك»[(٤)].

وقال بعد ذلك: «وليس شيء من ذلك معجزات الأنبياء، ولا كرامات

---

(١) انظر: النبوات ٢/ ١٠١٣ ـ ١٠١٤، وانظر: مجموع الفتاوى ١/ ١٧٨، و١٣/ ٩١، ٩١، و١٧/ ٤٥٧.

(٢) انظر: النبوات ٢/ ١٠١٤ ـ ١٠١٥، والفرقان ٣٨، و٢٥٠ ـ ٢٥١، ومجموع الفتاوى ١/ ٨٢، و١٧٣، و١٩/ ٣٤ ـ ٣٥.

(٣) **المفاوز**، جمع: مفازةٍ، وهي المهلكة، وقيل: سميت بذلك لأنها مهلكة من فوَّز إذا مات، وهلك.
وقيل: سميت المهلكة مفازة؛ تفاؤلاً من الفوز، وهو النجاة. انظر: لسان العرب ٥/ ٣٩٢.

(٤) النبوات ٢/ ١٠١٥، وانظر: مجموع الفتاوى ١٣/ ٧١ ـ ٧٧، والفرقان ص٨٢، و٨٥، و٣٦٤ ـ ٣٦٥.

الصالحين؛ فإن ذلك إنما يفعلونه[(١)] بسبب شرك، وظلم، وفاحشة.

ولو كان مباحاً لم يَجُزْ أن يفعل لهذا السبب؛ فكيف إذا كان في نفسه ظلماً محرماً؛ لكونه من الظلم، أو الفواحش، أو نحو ذلك»[(٢)].

ثم ذكر من صور خدمة الشياطين أنهم قد يخبرون بأمور غائبة، مما رأوه وسمعوه، **وقرر** أن سلطانهم إنما هو على الذين يتولونهم وهم بهم مشركون[(٣)].

٣ ـ وقال في «الفرقان» مبيِّناً جوانب مما تخدم به الشياطين الإنسَ: «ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة، وفواكه، وحلوى، وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع.

ومنهم من يطير به الجني إلى مكة، أو بيت المقدس، أو غيرهما»[(٤)].

إلى أن قال: «ومنهم من تحمله عشية عرفة، ثم تعيده من ليلته؛ فلا يحج حجّاً شرعيّاً؛ بل يذهب بثيابه، ولا يحرم إذا حاذى الميقات، ولا يلبي، ولا يقف بمزدلفة، ولا يطوف بالبيت، ولا يسعى بين الصفا والمروة، ولا يرمي الجمار.

بل يقف بعرفة بثيابه، ثم يرجع من ليلته»[(٥)].

٤ ـ وذكر في «النبوات» أيضاً صوراً أخرى للخدمة، **ألا وهي دفاع الجن عن الإنس، فقال:** «وقد يحصل للمريد من يؤذيه، فيدفعه الجني، ويخيل للمريد أن الشيخ هو دفعه.

وقد يُضرَب الرَّجُل بحجر، فيدفعه عنه الجنيُّ، ثم يصيب الشيخَ بمثل ذلك، حتى يقول: إني اتقيت عنك الضرب، وهذا أثره فيَّ»[(٦)].

٥ ـ وقال في «منهاج السُّنَّة» في معرض ردِّه على ابن المطهر، مبيِّناً فضل العلم، وسلوك الطريق الشرعية في العبادة، موضحاً حال من لم يكن كذلك، ذاكراً ضمن ذلك صوراً من خدمة الجن للإنس، **قال:** «ولهذا من لم يسلك في عبادته الطريق الشرعية التي أمر الله بها، ورسوله، وتعلقت همته بالخوارق ـ فإنه قد يقترن به من الجن والشياطين من يحصل له به نوع من الخبر عن بعض الكائنات، أو يطير به في الهواء، أو يمشي به على الماء؛ فيظن ذلك من كرامات الأولياء، وأنه ولي الله،

---

(١) يعني: أصحاب الأحوال الشيطانية.
(٢) النبوات ٢/١٠١٦.
(٣) انظر: المرجع السابق ٢/١٠١٦.
(٤) الفرقان ص٣٢٧.
(٥) المرجع السابق ص٣٢٧، وانظر: ص٣٦٥، والجواب الصحيح ٢/٣٤٢ ـ ٣٤٣.
(٦) النبوات ٢/١٠٥٩، وانظر: مجموع الفتاوى ١٣/٧٧ ـ ٨٢.

ويكون سبب شركه، أو كفره، أو بدعته، أو فسقه»[١].

ثم أوضح أن هذا الجنس قد يحصل لبعض الكفار، وأهل الكتاب، وغيرهم.

وأنه قد يحصل لبعض الملحدين المنتسبين إلى الإسلام؛ فقد تغويهم الشياطين ببعض الخوارق كما تغوي المشركين، وتقترن بالكهان والأوثان[٢].

وهكذا يتبين من خلال ما مضى صور كثيرة يعدها ابن تيمية من **خدمة الشياطين** لكثير من المتلبسين بالأحوال الشيطانية.

المسألة الثانية: ترائي الشياطين لهم يقظة أو مناماً

فذلك مما يحصل لكثير من المتلبسين بالأحوال الشيطانية؛ إذ كثيراً ما تتراءى لهم الشياطين سواء في حال يقظتهم، أو حال نومهم؛ فيظنون، أو يُدَّعى لهم أن حصول ذلك من قبيل الكرامات.

وما هو من قبيل الكرامات، وإنما هو أحوال شيطانية كما يقرر ابن تيمية ذلك كثيراً.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الجواب الصحيح»: «والخوارق التي تُضِل بها الشياطين لبني آدم مثل تصور الشيطان بصورة شخص غائب، أو ميت، ونحو ذلك ـ ضل بها خلق كثير من الناس المنتسبين إلى المسلمين، أو إلى الكتاب، وغيرهم»[٣].

وقد مرَّ أمثلة كثيرة من هذا القبيل: عند الكلام على شروط قبول الكرامة عنده، وعلى بيانه لأسباب ظهور الأحوال الشيطانية؛ حيث يذكر في ذلك ما يكون من **ترائي الشياطين** لبعض المتلبسين بالأحوال الشيطانية؛ بحيث يكلمونهم، ويسمعون كلامهم[٤]، أو يتصورون لهم بصورةِ أحياءٍ أو أموات[٥].

ومن الأمثلة التي يذكرها من هذا القبيل ما ذكره في «الجواب الصحيح» عن النصارى، **قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والنصارى عندهم منقول في الأناجيل أن الذي صلب، ودفن في القبر رآه بعض الحواريين، وغيرهم بعد أن دفن قام من قبره، رأوه مرتين، أو ثلاثاً، وأراهم موضع المسامير، وقال: لا تظنوا أني شيطان»[٦].

---

(١) منهاج السُّنَّة ٨/ ٢١٠ ـ ٢١١.
(٢) انظر: المرجع السابق ٨/ ٢١١.
(٣) الجواب الصحيح ٢/ ٣٣٨.
(٤) انظر: جامع الرسائل ١/ ١٩٣.
(٥) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٣١٥، والنبوات ٢/ ١٠٥٩، ومجموع الفتاوى ١٣/ ٨٤ ـ ٨٥.
(٦) الجواب الصحيح ٢/ ٣١٧.

ثم **يعلِّق** ابن تيمية تلك القصة **بقوله**: «وهذا إذا كان صحيحاً فذاك **شيطان** ادعى أنه المسيح، والتبس على أولئك»[(١)].

ثم **ذكر** أمثلة أخرى مشابهة لتلك القصة مما جرى في زمانه وغير زمانه.

ومما ذكره من ذلك قوله: «ومثل ما جرى لخلقٍ عظيم في زماننا، وقبل زماننا، كَنَاسٍ كانوا بـ(تدمر)[(٢)] **فرأوا** شخصاً عظيماً طائراً في الهواء، وظهر لهم مراتٍ بأنواع من اللباس، وقال لهم: أنا المسيح ابن مريم، وأمرهم بأمور يمتنع أن يأمر بها المسيح عليه السلام وحضروا إلى عند الناس، وبيَّنوا لهم أن ذلك هو **شيطان** أراد أن يضلهم»[(٣)].

ثم **ذكر** أمثلة أخرى لمن استغاثوا بأموات أو أحياء، فتتصور لهم الشياطين بصورة من استغاثوا بهم.

ومن ذلك قوله: «وتارة يستغيث أقوام بشخص يحسنون الظن به، إما ميت، وإما غائب؛ **فيرونه بعيونهم** قد جاء، وقد يكلمهم، وقد يقضي بعض حاجاتهم؛ فيظنونه ذلك الشخص الميت.

وإنما هو **شيطان** زعم أنه هو، وليس هو إياه»[(٤)].

إلى أن **قال**: «وكثيراً ما يأتي الشخص بعد الموت في **صورة الميت**، **فيحدثهم** ويقضي ديوناً، ويرد ودائع، ويخبرهم عن الموتى، ويظنون أنه هو الميت نفسه قد جاء إليهم.

وإنما هو **شيطان** تصور بصورته»[(٥)].

وذكر في «النبوات» طريقة تمثيل الجنيِّ الأشياءَ الغائبةَ للإنسيِّ، **فقال**: «والجني إذا أراد أن يري قرينه أموراً غائبة سُئل عنها[(٦)] ـ مَثَّلها[(٧)] له؛ فإذا سئل

---

(١) الجواب الصحيح ٢/٣١٨.

(٢) تَدْمر: مدينة قديمة في برية الشام، تقع شمال دمشق، وهي قريبة من حمص، وهي إحدى مدن سوريا الآن. انظر: معجم البلدان ٢/١٧، ومراصد الاطلاع ١/٢٥٤، وانظر: الموسوعة العربية الميسرة ص٥٠٠.

(٣) الجواب الصحيح ٢/٣١٨.

(٤) المرجع السابق ٢/٣١٨ ـ ٣١٩.

(٥) المرجع السابق ٢/٣١٩.

(٦) أي: سُئل الإنسيُّ عنها؛ فالإنسي هو المسؤول.

(٧) يعني: مثلها الجني للإنسي.

عن المسروق أراه شكل ذلك المال، أو سئل عن شخص أراه صورته، ونحو ذلك.

وقد يظن الرائي أنه رأى عينه، وإنما رأى نظيره»[١].

ثم **بيَّن** طريقة أخرى **فقال:** «وقد يتمثل **الجني** في صورة الإنسي، حتى يظن الظان أنه الإنسي.

وهذا كثير كما تَصَوَّر لقريش في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، وكان من أشراف بني كنانة»[٢].

ثم **استشهد** على ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وعلَّق على هذه الآية **بقوله:** «فلما عاين[٣] الملائكةَ ولَّى هارباً.

ولما رجعوا ذكروا ذلك لسراقة، فقال: (والله ما علمت بحربكم حتى بلغتني هزيمتكم)[٤]»[٥].

ثم قرر أن هذا واقعٌ كثيراً، حتى إنه يتصور[٦] لمن يُعَظِّم شخصاً في صورته[٧]؛ فإذا استغاث به أتاه، فيظن ذلك الشخص أنه شيخُه الميت.

وقد يقول له: إنه بعض الأنبياء، أو بعض الصحابة، ويكون هو **الشيطان**[٨].

وقرر أن كثيراً «من الناس: أهل العبادة والزهد من يأتيه في **اليقظة** من يقول: إنّه رسول الله، ويظنّ ذلك حقّاً، ومن **يرى** إذا زار بعض قبور الأنبياء، أو الصالحين أنّ صاحب القبر قد خرج إليه، فيظن أنه صاحب القبر ذلك النبي، أو الرجل الصالح.

وإنما هو **شيطان** أتى في صورته إن كان يعرفها، وإلا أتى في صورة إنسان، وقال: إنه ذلك الميت»[٩].

---

(١) النبوات ٢/١٠٥٣.
(٢) المرجع السابق ٢/١٠٥٣ ـ ٥٤.
(٣) يعني: الشيطان.
(٤) انظر: تفسير الطبري ١٠/١٤، والجواب الصحيح ٢/٣٣٠ ـ ٣٣١، وزاد المعاد ٣/٥٥.
(٥) النبوات ٢/١٠٥٤.
(٦) يعني: الشيطان.
(٧) يعني: في صورة المُعَظَّم.
(٨) انظر: النبوات ٢/١٠٥٤.
(٩) المرجع السابق ٢/١٠٥٥، وانظر: مجموع الفتاوى ١/١٧٨ ـ ١٧٩.

ثم **ذكر** كثرة **تمثل الشيطان بالخضر**، واعتقاد كثير من الناس أنه كذلك.

وإنما هو جني.

وذكر أن **الشيطان** لم يجترئ على أن يقول لأحد من الصحابة إنه الخضر، ولا قال أحد من الصحابة ذلك.

وإنما وقع ذلك بعد الصحابة؛ فكلما تأخر الأمر كثر حتى إن **الشيطان** يأتي اليهود والنصارى، ويقول: **إنه الخضر**.

كما ذكر أن لليهود كنيسةً معروفة بكنيسة **الخضر**، وأن كثيراً من كنائس النصارى يقصدها هذا **الخضر**.

وأوضح أن **الخضر** الذي يأتي هذا الشخص غير **الخضر** الذي يأتي هذا.

ولهذا يقول من يقول منهم: لكل ولي **خضر**، وإنما هو **جني**[1].

كما **ذكر** في «الجواب الصحيح» صوراً أخرى من ذلك **الترائي**، **فقال**: «وقد يرى أشخاصاً في **اليقظة**، إما ركباناً، وإما غير ركبان، ويقولون هذا فلان النبي: إما إبراهيم، وإما المسيح، وإما محمد.

وهذا فلان الصِّدِّيق: إما أبو بكر، وإما عمر، وإما بعض الحواريين.

وهذا فلان لبعض من يُعتقد فيه الصلاح: إما جرجس، أو غيره ممن تعظمه النصارى، وإما بعض شيوخ المسلمين»[2].

ثم **يعلِّق** ابن تيمية على ذلك **بقوله**: «ويكون ذلك **شيطاناً** ادعى أنه ذلك النبي، أو ذلك الشيخ، أو الصديق أو القِدِّيس»[3].

ثم **ذكر** أمثلة كثيرة مما جرى من هذا القبيل لكثير من المشركين، والنصارى، وكثير من المسلمين، ممن يستغيثون بمن يحسنون بهم الظن من الشيوخ الغائبين، أو الموتى، فيزعمون أنهم يرونهم في **اليقظة**، **وذكر** ما جرى من مثل هذا له ولغيره.

ثم **ذكر** تمثل الشيطان بمن يستغاث به من أكابر النصارى، ورهبانهم، وبعض

---

(١) انظر: النبوات ٢/١٠٥٧ ـ ١٠٥٨، ومجموع الفتاوى ١/٢٤٩، و١٣/٩٣، والرد على المنطقيين ص٨٥، والجواب الصحيح ٢/٣٢١، و٣٢٤، والفرقان ص٣٦٦ ـ ٣٦٧.

(٢) الجواب الصحيح ٢/٣٢١.

(٣) المرجع السابق ٢/٣٢١، وانظر: جامع الرسائل ١/١٩٤ ـ ١٩٥، وانظر تفصيل ذلك في: الجواب الصحيح.

بطارنتهم[١]، ومطارنتهم[٢]، أو ببعض شيوخ المسلمين، ومَن تُدَّعى لهم الولاية[٣].

وذكر في «مجموع الفتاوى» ما كان من الخوارق من باب العلم، **فقال:** «فما كان من الخوارق من باب العلم فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمع غيره، وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره **يقظةً أو مناماً**»[٤].

وذكر في موضع آخر صوراً كثيرة من **ترائي الشياطين** للإنس، **ثم ذكر ما يكون من ذلك مناماً، فقال:** «**ودخلت الشياطين** في أنواع من ذلك؛ فتارة يأتون الشخص **في النوم** يقول أحدهم: أنا أبو بكر الصديق، وأنا أتَوِّبك لي، وأصير شيخك، وأنت تتوّب الناس لي، ويلبسه؛ **فيصبح** وعلى رأسه ما ألبسه؛ فلا يشك أن الصدِّيق هو الذي جاءه ولا يعلم أنه **الشيطان**.

وقد جرى مثل هذا لعدةٍ من المشايخ بالعراق، والجزيرة، والشام»[٥].

إلى أن قال: «وتارة يقص شعره **في النوم**، فيصبح؛ فيجد شعره مقصوصاً.

وتارة يقول: أنا الشيخ فلان؛ فلا يشك أن الشيخ جاءه، **وقص شعره**»[٦].

وذكر أمثلة من هذا القبيل لأشخاص؛ **فقال:** «أصحاب الحلاج لما قتل كان يأتيهم من يقول: أنا الحلاج؛ **فيرونه في صورته عياناً**.

وكذلك شيخ بمصر يقال له: الدسوقي بعد أن مات كان يأتي أصحابه من جهته رسائل وكتب مكتوبة.

وأراني صادقٌ من أصحابه الكتاب الذي أرسله»[٧].

وفيه كلام من كلام الجن[٨].

ثم ذكر عدَّة أمثلة **في** ذلك الشأن، **ثم قال:** «فهذا باب واسع واقع كثيراً، وكلما كان القوم أجهل كان عندهم أكثر؛ ففي المشركين أكثر مما في النصارى، وهو في النصارى كما هو في الداخلين في الإسلام»[٩].

---

(١) **البطارنة**: لم أجدها بهذا اللفظ، وإنما يقال: بَطرك، وهم مقدم النصارى، ورئيس رؤساء الأساقفة، والعالم عند اليهود. انظر: المعجم الوسيط ١/ ٦١.

(٢) **المطارنة**، جمع: مِطران، والمِطران: رئيس ديني عند النصارى، وهو دون البطريرك، وفوق الأسقف. انظر: المعجم الوسيط ٢/ ٨٧٥.

(٣) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٢٢٢ ـ ٢٣٧، ومجموع الفتاوى ١٣/ ٨٤ ـ ٨٥.

(٤) مجموع الفتاوى ١١/ ٢١٣.

(٥) المرجع السابق ١٣/ ٩١.

(٦) المرجع السابق ١٣/ ٩١.

(٧) المرجع السابق ١٣/ ٩٤.

(٨) المرجع السابق ١٣/ ٩٤.

(٩) المرجع السابق ١٣/ ٩٥.

ثم بيّن بِعَدْلِهِ، وسعة علمه أنَّ «هذه الأمور يُسْلِم بسببها ناسٌ، ويتوب بسببها ناس يكونون أضل من أصحابها؛ فينتقلون بسببها إلى ما هو خير مما كان[1] عليه، كالشيخ الذي فيه كذب، وفجور من الإنس قد يأتيه قوم كفار؛ فيدعوهم إلى الإسلام؛ فيسلمون، ويصيرون خيراً مما كانوا»[2].

ويذكر في «الفرقان» صوراً أخرى من **ترائي الشياطين** لمن يظنون أن ذلك من قبيل الكرامات، **فيقول**: «فإني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع، وإنما يخاطبه **الشيطان** الذي دخل فيها.

ومنهم من يخاطبه الحجر، والشجر، وتقول: هنيئاً لك يا ولي الله؛ فيقرأ آية الكرسي؛ فيذهب ذلك»[3].

إلى أن يقول: «ومنهم من يقصد صيد الطيور؛ فتخاطبه العصافير، وغيرها، وتقول: خذني، حتى يأكلني الفقراء، ويكون الشيطان قد دخل فيها، كما يدخل في الإنسي ويخاطبه بمثل ذلك»[4].

ويواصل ذكر تلك الصور من **الترائي الشيطاني**، **فيقول**: «وأعرف من يخاطبه مخاطب، ويقول له: أنا من أمر الله، ويظهر له الخوارق، مثل أن يَخطُرَ بقلبه تصرفٌ في الطير، والجراد في الهواء، وفي المواشي؛ فإذا خطر بقلبه ذهاب الطير، أو الجراد يميناً، أو شمالاً ـ ذهب حيث أراد.

وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي، أو نومه، أو ذهابه ـ حصل له ما أراد من غير حركة منه في الظاهر»[5].

ثم قال بعد ذلك: «وهذا باب لو ذكرت ما أعرف منه لاحتاج إلى مجلد كبير»[6].

وبالجملة؛ فإن كلامه في ذلك كثيرٌ جدّاً[7]، وإنما المقصود هٰهنا: الوقوف على بيانه لما **يحصل للمتلبسين بالأحوال الشيطانية من ترائي الشياطين لهم يقظةً، أو مناماً**.

---

(١) هكذا في الأصل ولعل الصواب: (مما كانوا عليه).
(٢) مجموع الفتاوى ١٣/ ٩٥.
(٣) الفرقان ص٣٥١.
(٤) المرجع السابق ص٣٥١.
(٥) المرجع السابق ص٣٥٢ ـ ٣٥٣.
(٦) المرجع السابق ص٣٥٣.
(٧) انظر: جامع الرسائل ١/ ١٩٢ ـ ١٩٧، والفرقان ٣٥١ ـ ٣٥٤، و٣٦٧ ـ ٣٦٨، والنبوات ٢/ ١٠٥٢ ـ ١٠٦٢، وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص١٥٨ ـ ١٦٠.

المسألة الثالثة: دخولهم النيران دون أن تحرقهم

فمن جملة ما تطرق له ابن تيمية مما يحصل للمتلبسين بالأحوال الشيطانية مسألة **دخولهم النيران دون أن تحرقهم**؛ حيث يرون أن ذلك من خوارقهم التي يلبسون بها على الناس، ويوهمونهم بأنهم أولياء، وأن ما يقومون به دليل على ذلك.

والكلام في هذه المسألة بيان لذلك دون تفصيل لموقف ابن تيمية من صنيعهم؛ إذ إن ذلك سيكون في المبحث الثاني.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنهم من يدخل النار، ويأكلها، ويبقى لهبها في بدنه، وشعره»[1].

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض كلام له على خوارق الشياطين لأوليائهم: «ولهم **شياطين** يعاونون شياطين المخدومين، ويتفقون على ما يفعلونه من **الخوارق الشيطانية كدخولهم النار**»[2].

ثم يقارن بين ما يحصل لهم في تلك النار، وما حصل لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما ألقي في النار، وكما حصل لأبي مسلم الخولاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **فيقول** بعد كلامه السابق: «مع كونها[3] لم تَصِر عليهم برداً وسلاماً؛ فإنّ الخليل لمّا أُلقي في النَّار صارت عليه برداً وسلاماً.

وكذلك أبو مسلم الخولاني لمّا قال له الأسود العنسي المتنبي: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أنَّ محمّداً رسول الله؟ قال: نعم، فأمر[4] بنارٍ، فأُوقدت له، وألقي فيها؛ فجاءوا إليه، فوجدوه يصلي فيها، وقد صارت عليه برداً وسلاماً»[5].

إلى أن قال: «وأما إخوان **الشياطين**: فإذا دخلت فيهم الشياطين، **فقد يدخلون النار، ولا تحرقهم**؛ كما يُضرب أحدهم ألف سوط، ولا يحسّ بذلك؛ فإن الشياطين تلتقي[6] ذلك»[7].

وقال في «الفرقان» في معرض بيانه لبعض ما يحصل للمتلبسين بالأحوال

---

(١) الجواب الصحيح ٢/ ٣٤٢.

(٢) النبوات ٢/ ١٠٢٤، وانظر: الفرقان ص٣٣١، ومجموع الفتاوى ١٣/ ٨٥ ـ ٩١.

(٣) يعني: النار التي يدخلونها.

(٤) الآمر: الأسود العنسي.

(٥) النبوات ٢/ ١٠٢٤.

(٦) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: (تتلقى).

(٧) النبوات ٢/ ١٠٢٥، وانظر: مجموع الفتاوى ٤/ ١٦.

الشيطانية: «وكان كثير من الشيوخ الذين حصل لهم كثير من هذه الخوارق إذا كذَّب بها من لم يعرفها، وقال: إنكم تفعلون هذا بطريق الحيلة كما يدخل النار بحجر الطلق[١]، وقشور النارج[٢]، ودهن الضفادع، وغير ذلك من الحيل الطبيعية ـ يتعجب هؤلاء المشايخ، ويقولون: نحن ـ والله ـ لا نعرف شيئاً من هذه الحيل»[٣].

إلى أن قال: «فلما ذكر لهم الخبير أنكم صادقون في ذلك، ولكن هذه **أحوال شيطانية** ـ أقروا بذلك، وتاب منهم من تاب الله لما تبيَّن له الحق، وتبيَّن لهم من وجوه كثيرة أنها من **الشيطان**»[٤].

إلى أن قال: «فعلموا أنها من **مخارق الشيطان لأوليائه**، لا من كرامات الرحمٰن لأوليائه»[٥].

والمقصود مما مضى في هذه المسألة: بيان ذكر ابن تيمية لأمر من الأمور التي تحصل للمتلبسين بالأحوال الشيطانية، **ألا وهو دخولهم النيران دون أن تحرقهم**.

هذا وسيأتي مزيد بيان لذلك في المبحث الثاني.



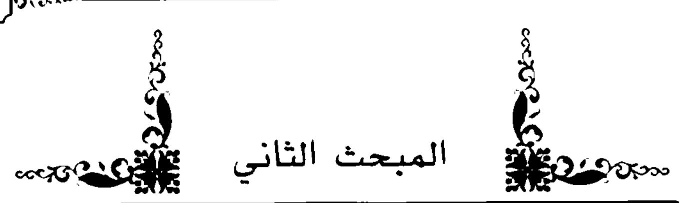
(١) حجر براق شفاف ذو أطباق؛ فإذا طحن كان مسحوقاً أبيض، وإذا ذُرَّ على البدن أكسبه برداً، ونعومة.
وقيل: هو نبت تستخرج عصَارَتُه؛ فيطلى بها الذين يدخلون النار. انظر: لسان العرب ١٠/ ٢٣١، والمعجم الوسيط ٢/٥٦٣.

(٢) النارج، أو النارنج: شجرة مثمرة الخضرة، تَسْمُقُ بضعة أمتار، أوراقها جلدية، خضر لامعة، لها رائحة عطرية. أزهارها بيض عَبِقة الرائحة تظهر في الربيع، وعصارتها حمضية، وتستعمل أزهارها في صنع ماء الزهر، وفي زيت طيار، يستعمل في العطور، وقشرة الثمرة مستعملٌ دواءً أو في عمل المرَبَّيات. انظر: المعجم الوسيط ٢/٩١٢ ـ ٩١٣، وانظر: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات لزكريا بن محمد القزويني، المكتبة الأموية، عمَّان، الأردن، ص٢٣٥.

(٣) الفرقان ص٣٦٨ ـ ٣٦٩.

(٤) المرجع السابق ص٣٦٩.

(٥) المرجع السابق ص٣٦٩.



إبطاله لما عليه أصحاب الأحوال الشيطانية

لئن كان لابن تيمية موقف من الأحوال الشيطانية من حيث بيانُه لمفهومها، وأسبابِ ظهورها، وإيضاحُه لأصناف المتلبسين بها، وما يحصل لهم من آثارها ـ فإن له موقفاً يوازي ما سبق، وذلك من ناحية وقوفه أمام أصحاب تلك الأحوال؛ وذلك بإثباته لبطلان ما هم عليه بالحجة، ومواجهتهم المباشرة بالتحدي والمناظرة.

وهذا ما سيتبين من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: إبطاله لما هُمْ عليه بالحجة.

المطلب الثاني: إبطاله لما هُمْ عليه بالمواجهة المباشرة.

المطلب الأول

إبطاله لما هم عليه بالحجة

لقد قام ابن تيمية رَحِمَهُ الله بجهد كبير أثبت من خلاله بطلان ما يدعيه، ويقوم به أصحاب الأحوال الشيطانية، ويتجلى ذلك من خلال الأمور الآتية:

○ **أولاً: إثباته معارضَتَهم للأنبياء: قال** رَحِمَهُ الله مقرراً ذلك: «وحقيقة الأمر أن **هؤلاء**[١] **عارضوا الأنبياء كما كان تعارضهم السحرة والكهان؛ كما عارضت السحرة لموسى**، وكما كان كثير من المنافقين **يتحاكمون إلى** بعض الكهان دون النبي ﷺ **ويجعلونه** نظير النبي ﷺ»[٢].

وقال في موضع آخر: «فجميع ما يختص بالسحرة والكهان هو **مناقض للنبوة**»[٣].

إلى أن قال: «وكذلك ما يأتي به أهل الطلاسم، وعبادة الكواكب ومخاطبتها كل ذلك **مناقض للنبوة**»[٤].

فهذا ـ بإجمال ـ بيان لإثباته معارضةَ أصحاب الأحوال الشيطانية للأنبياء.

أما تفصيل ذلك فمن جهات عِدَّة، ويمكن إرجاعها إلى ما يلي:

١ ـ **من جهة إثباته لمن تقع لهم**: فهو يرى أن الأحوال الشيطانية تقع لكثير من الكفار، والمشركين، وأهل الكتاب، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين، والسحرة، والكهان، وأهل الفسق والفجور.

وأقل أحوالها أن تجري لضُلَّال العبَّاد من المسلمين وأهل الكتاب[٥].

ولا ريب أن أولئك المذكورين أظهر **المعارضين** للأنبياء، وإن كانوا يتفاوتون في ذلك.

---

(١) يعني: أصحاب الأحوال الشيطانية.
(٢) النبوات ٢/ ٨٣١.
(٣) المرجع السابق ٢/ ٩٩١.
(٤) المرجع السابق ٢/ ٩٩١ ـ ٩٩٢.
(٥) انظر: المرجع السابق ١/ ١٤١، و١٦٤ ـ ١٦٥، والفرقان ص١٦٩، ومجموع الفتاوى ١١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨، والجواب الصحيح ٢/ ٣٤٣، و٦/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨، وشرح الأصبهانية ص٥٣٩ ـ ٥٤٣.

٢ ـ من جهة سببها، وباعثها، وآثارها: فابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يثبت أن سببَ الأحوال الشيطانية، **وباعثَها** ـ الشرك، والظلم، والفاحشة، والجهل، والابتداع، والكذب، والفجور، ونحو ذلك.

وهذا الأمور **معارضة** لما جاء به الأنبياء.

وقد **قرر** ذلك مراراً في مواطن كثيرة جدّاً من آثاره[١].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ مبيِّناً ما تنال به الأحوال الشيطانية من الأمور المعارضة لما جاء به الأنبياء: «بخلاف من **خالف الأنبياء** من السحرة، والكهان، وعباد المشركين، وأهل البدع، والفجور من أهل الملل: أهل الكتاب، والمسلمين؛ فإن هؤلاء تحصل لهم الخوارق مع الكذب، والإثم.

بل خوارقهم مع ذلك أشد؛ **لأنهم يخالفون الأنبياء**»[٢].

إلى أن قال: «وما ناقض الصدق والعدل لم يكن إلا كذباً وظلماً.

فكل من **خالف الأنبياء** لا بد له من الكذب، والظلم إما عمداً، وإما جهلاً»[٣].

كما قرر أن آثارها تعارض ما جاءت به الأنبياء؛ فهو يقرر أن أهل الأحوال الشيطانية يفسدون السمع، والبصر، والعقل، ويتسببون في المرض، والقتل ونحو ذلك من الآثار الوخيمة التي **تعارض** ما جاءت به الأنبياء مما هو عكس ما ذكر[٤].

٣ ـ من جهة ما يتميزون به من الشعارات: وقد مرت الإشارة إلى ذلك عند الكلام على أصناف المتلبسين بالأحوال الشيطانية؛ حيث ذكر هناك ما قرره من أصنافهم، وأن من أولئك **ذوي الظهور** غريبة[٥].

والمقصود هٰهنا: إثبات ابنِ تيمية معارضتهم لما جاءت به الأنبياء من هذه الناحية.

أما إبطاله لتلك الشعارات ونحوها من الأمور الغريبة فسيأتي في المطلب الثاني.

---

(١) انظر: النبوات ٢/١٠١٦، والجواب الصحيح ٣/ ٣٤٠، و٣٤٣.
(٢) النبوات ٢/١٠٧٧.
(٣) المرجع السابق ٢/١٠٧٧، وانظر: ٦٦٥، و١٠٨٤ ـ ١٠٨٧، و١٠٩٠ ـ ١٠٩١.
(٤) انظر: المرجع السابق ٢/ ١٠٥٢ ـ ١٠٥٣، و١٠٩٥ ـ ١١٠٣، والرسالة الصفدية ص٤٣٩.
(٥) انظر: مجموع الفتاوى ١١/٤٤٧ ـ ٤٤٩، والفرقان ص١٧٥.

٤ ـ **من جهة مخالفتهم للكتاب والسُّنَّة:** فذلك جماع لما مضى من وجوه مخالفتهم ومعارضتهم للأنبياء عليهم السلام.

فلقد قرر في مواضع كثيرة «أن الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج **عن الكتاب والسُّنَّة**»[١].

وأن «كل من خرج عن **الكتاب والسُّنَّة**، وكان له حال من مكاشفة، أو تأثير ـ فإنه صاحب حال نفساني، أو شيطاني، وإن لم يكن له حال فهو يتشبه بأصحاب الأحوال ـ فهو صاحب حال بهتاني»[٢].

وأن «أصحاب الأحوال كلما **بعدوا عن الله ورسوله**، وطريق المؤمنين قربوا من الشيطان»[٣].

ولا ريب أن البعد عن الكتاب والسُّنَّة من أعظم المعارضة لما جاءت به الرسل.

وبالجملة؛ فإن كلامه، الذي يثبت من خلاله **معارضة أصحاب الأحوال الشيطانية للأنبياء** كثير جدّاً، وقد مرت إشارات عديدة من ذلك.

○ ثانياً: **إثباته أنْ لا سلطان لهم على أهل الإخلاص:** فذلك مما يستدل به على بطلان الأحوال الشيطانية، وفساد ما يأتي به أهلها من الخوارق.

قال رحمه الله بعد أن قرر أن خوارق الشياطين سببها الشرك، والظلم، والفاحشة.

قال: «وقد يخبرون بأمور غائبة مما رأوه، أو سمعوه، ويدخلون في جوف الإنسان.

قال النبي ﷺ: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»[٤]»[٥].

ثم قرر أنَّ سلطان الشياطين إنما يكون على الذين يتولونهم، والذين هم به مشركون.

فقال: «لكن إنما سلطانهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل].

---

(١) الفرقان ص٣٢١. (٢) جامع الرسائل ١/ ١٩٤.
(٣) المرجع السابق ١/ ١٩٦، وانظر: مجموع الفتاوى ٢/ ٢٣٣، و١٤/ ٢٧٧، و٤٦٠.
(٤) أخرجه البخاري (٢٠٣٥، و٢٠٣٩، و٣٠٣١)، ومسلم (٢١٧٥).
(٥) النبوات ١/ ١٠١٦.

ولما قال الشيطان: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر].

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ ثم قال: ﴿إِلَّا﴾؛ أي: لكن ﴿مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر]»[١].

ثم قال بعد ذلك: «**فأهل الإخلاص والإيمان** لا سلطان له عليهم[٢]، ولهذا يهربون من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة، ويهربون من قراءة آية الكرسي، وأواخر سورة البقرة، وغير ذلك من قوارع القرآن»[٣].

وقرر هذا المعنى في «النبوات» كثيراً، ومن ذلك **قوله**: إن الإنسان «إذا ادخر شيئاً، ولم يذكر اسم الله عليه عرَّفوا به، وقد يسرقون بعضه كما جرى لكثير من الناس.

وأما من يذكر اسم الله على طعامه وعلى ما يختاره فلا سلطان لهم عليه لا يعرفون ذلك، ولا يستطيعون أخذه»[٤].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ معللاً لما مضى تقريره: «ولهذا من تكون أخباره عن شياطين تخبره لا يكاشف أهلَ الإيمان والتوحيد، وأهلَ القلوب المنوَّرة بنور الله؛ بل يهرب منهم، ويعترف أنه لا يكاشف هؤلاء وأمثالهم»[٥].

هذا، وسيأتي مزيد بيان لهذه الفقرة في الفقرة التالية.

○ **ثالثاً: إثباته أن الأحوال الشيطانية لا تظهر أمام أهل القرآن والإيمان:** فكما يقرر أن لا سلطان لأهل الأحوال الشيطانية على أهل الإخلاص ـ يقرر كذلك أن أحوالهم لا تظهر أمام أهل الإيمان والتقوى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ **في «الفرقان»**: «وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذكر عندهم ما يطردها مثل آية الكرسي؛ فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما وكَّله النبي ﷺ بحفظ زكاة الفطر، فسرق منه

---

(١) النبوات ٢/١٠١٧.

(٢) يعني: لا سلطان للشيطان عليهم.

(٣) النبوات ٢/١٠١٨ ـ ١٠١٩، وانظر: مجموع الفتاوى ١/٨٢، و١١/٦١١، و١٩/٣٤ ـ ٣٥، و٤١ ـ ٤٢، والجواب الصحيح ٢/٣٢٤، والفرقان ص٣٣١ ـ ٣٣٢.

(٤) النبوات ٢/١٠٢٢.

(٥) المرجع السابق ٢/١٠٢٣.

الشيطان ليلة بعد ليلة، وهو يمسكه، فيتوب، فيقول له النبي ﷺ: **«ما فعل أسيرك البارحة؟»** فيقول: زعم أنه لا يعود، فيقول: **«كذبك، وإنه سيعود»**.

فلما كان في المرة الثالثة قال[1]: (دعني حتى أعلمك ما ينفعك؛ إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة]؛ فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح).

فلما أخبر النبي ﷺ قال: **«صدقك، وهو كذوب»**[2] وأخبر أنه شيطان»[3].

قال ابن تيمية معلقاً على هذا الحديث: «ولهذا إذا قرأها الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلها»[4].

وقال: «ومن هؤلاء[5] من إذا حضر سماع المكاء والتصدية ينزل عليه شيطانه حتى يحمله في الهواء ويخرجه من تلك الدار.

فإذا حضر رجل من أولياء الله ـ تعالى ـ طرد شيطانَه؛ فيسقط كما جرى لغير واحد»[6].

وقرر هذا المعنى في «النبوات» كثيراً، ومن ذلك:

قوله: «فهؤلاء الشياطين إذا كانوا مع جنسهم الذين يهابونهم فعلوا هذه الأمور.

وإذا كانوا عند **أهل إيمان وتوحيد**، وفي بيوت الله التي يذكر فيها اسمه لم يجترؤوا على ذلك.

بل يخافون الرجل الصالح أعظم مما يخافه فجار الإنس»[7].

وقال: «وهذه الأحوال الشيطانية تَبْطُل، أو تضعف إذا ذكر اللهُ، وتوحيدُه، وقُرِئت قوارع القرآن لا سيما آية الكرسي؛ فإنها تُبطِلُ عامةَ هذه الخوارق الشيطانية»[8].

---

(١) القائل: هو الشيطان.
(٢) انظر: صحيح البخاري (٢١٨٧).
(٣) الفرقان ص٣٢٥ ـ ٣٢٦.
(٤) المرجع السابق ص٣٢٦، وانظر: ص٣٣٩.
(٥) يعني: من أهل الأحوال الشيطانية.
(٦) الفرقان ص٣٢٨ ـ ٣٢٩، وانظر: الاستقامة ١/ ٣١٠، والرسالة الصفدية ص٢٠٤.
(٧) النبوات ٢/ ١٠٢٥ ـ ١٠٢٦.
(٨) المرجع السابق ٢/ ١٠٣٠، وانظر: مجموع الفتاوى ١/ ١٦٩، و١١/ ٥٣٨، و٦٣٥، و١٩/ ٥٣ ـ ٥٥.

ويقرر في موضع آخر أن التأييدَ بحسب الإيمان؛ فمن كان إيمانه أقوى من غيره كان جنده من الملائكة أقوى.

وأن حسناتِ الإنسان إذا كانت أقوى أُيِّد بالملائكة تأييداً يقهر به الشيطان، وإن كان سيئاته أقوى كان جند الشيطان معه أقوى.

وأنه قد يلتقي شيطان المؤمن بشيطان الكافر؛ فشيطان المؤمن مهزول ضعيف، وشيطان الكافر سمين قوي.

كما **يقرر** ـ أيضاً ـ أن الإنسان بفجوره يُؤَيِّد شيطانه على مَلَكِه، وبصلاحه يؤيِّد مَلَكَهُ على شيطانه.

ويستدل على ذلك بنصوص من الكتاب والسُّنَّة وآثار السلف الصالح[١].

ويذكر في «مناظرته لطائفة الرفاعية» قصة طريفة في هذا السياق، وهي قصة لأحد شيوخ تلك الطائفة.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ بعد أن ذكر بعض ما جرى بينه وبين ذلك الشيخ: «وحكى لي ذلك الشيخ مرة أنه كان مرة عند بعض أمراء التتر بالمشرق، وكان له صنم يعبده، قال[٢]: فقال لي[٣]: هذا الصنم يأكل من هذا الطعام كل يوم، ويبقى أثر الأكل من الطعام بيِّناً يُرى فيه.

فأنكرت ذلك، فقال لي: إن كان يأكل أنت تموت[٤]؟

فقلت: نعم، قال: فأقمت عنده نصف النهار، ولم يظهر في الطعام أثر؛ فاستعظم ذلك التتري، وأقسم بأيمان مغلظة أنه كل يوم يُرى فيه أثر الأكل، ولكن اليوم بحضورك[٥] لم يظهر ذلك»[٦].

قال ابن تيمية بعد أن سمع هذا الكلام من الشيخ: «أنا أبيِّن لك سبب ذلك؛ ذلك التتري كافر مشرك، ولصنمه شيطان يغويه بما يُظهره من الأثر في الطعام، وأنت كان معك من نور الإسلام، وتأييد الله ـ تعالى ـ ما أوجب انصراف الشيطان **أن يفعل ذلك بحضورك**.

---

(١) انظر: النبوات ٢/١٠٦٢ ـ ١٠٦٣، وانظر: مجموع الفتاوى ١/ ٨٤ ـ ٨٥، و٤/ ٢٥٤، وجامع الرسائل ١/١٩٦ ـ ١٩٨.

(٢) القائل: هو ذلك الشيخ.

(٣) القائل: هو الأمير التتري.

(٤) يعني: ترضى أن ينزل بك الموت.

(٥) يعني: بحضور ذلك الشيخ.

(٦) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص١٣.

وأنت وأمثالك بالنسبة إلى أهل الإسلام الخالص كالتتري بالنسبة إلى أمثالك، فالتتري، وأمثاله: سود[١]، وأهل الإسلام المحض: بيض[٢]، وأنتم بُلْقٌ؛ فيكم سواد، وبياض[٣].

فأعجب هذا الكلام من كان حاضراً»[٤].

إلى أن قال ابن تيمية مؤكداً هذا المعنى: «وقلت لهم في مجلس آخر لما قالوا: تريد أن نُظْهِر هذه الإشارات[٥]؟

قلت: إن عملتموها بحضور من ليس من أهل الشأن من الأعراب، والفلاحين، أو الأتراك، أو العامة، أو جمهور المتفقهة، والمتفقِّرة، والمتصوفة ـ لم يحسب لكم ذلك»[٦].

ثم بيَّن ابن تيمية السبب فقال: «فمن معه ذهب فليأتِ به إلى سوق الصرف؛ إلى عند الجهابذة[٧] الذين يعرفون الذهب الخالص من المغشوش من الصفر، ولا يذهب إلى عند أهل الجهل بذلك.

فقالوا لي: لا نعمل هذا إلا أن تكون همتك معنا.

فقلت: همتي ليست معكم؛ بل أنا معارض لكم، مانع لكم؛ لأنكم تقصدون بذلك إبطال شريعة رسول الله ﷺ فإذا كان لكم قدرة على إظهار ذلك فافعلوا؛ فانقلبوا صاغرين»[٨].

---

(١) يعني: أن كفرهم محض.

(٢) يعني بأهل الإسلام المحض: أهل الإيمان الخالص من كل شوب وبدعة، وهم نقاوة المسلمين.

(٣) يعني: أن إيمان هؤلاء مشوب بجهل، وابتداع.

(٤) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص١٣، وقال في «النبوات» مؤكداً هذا المعنى: «وقد يجتمع كفار، ومسلمون، ومبتدعة، وفجَّار؛ فيؤيِّد هؤلاء بخوارق تعينهم عليها الجن، والشياطين. ولكنَّ جِنَّهم، وشياطينهم أقرب إلى الإسلام؛ فيترجحون على أولئك الكفار عند من لا يعرف الكفار مثل ما يجري للأحمدية وغيرهم مع عباد المشركين البخشيّة قدام التتار، كانت خوارق هؤلاء أقوى؛ لكونهم كانوا أقرب إلى الإسلام». النبوات ١/ ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٥) يعني: أحوالهم.

(٦) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص١٣.

(٧) يعني: فليأتِ به إلى العلماء بالله وأمره الذين يميزون الحق من الباطل، والصحيح من الزيوف.

(٨) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص١٣.

والشاهد من ذلك وما قبله: **إثباته أن الأحوال الشيطانية لا تظهر أمام أهل القرآن والإيمان.**

○ **رابعاً: إثباته أن خوارقهم مما هو من مقدور الإنس والجن:** وقد مرت الإشارة إلى ذلك عند الكلام على الفروق بين المعجزات والأحوال الشيطانية.

والمقصود هٰهنا: ليس المقارنة بين هذين الخارقين.

وإنما هو إثباته لبطلان ما هم عليه بالحجة.

ومن الحجة إثبات أن أحوالهم ليست خارقة لعادة الثقلين، وإنما هي من مقدوراتهم.

لذا؛ فهو يقرر أن جميعَ ما يختص بالسحرة، والكهان، وغيرهم ممن ليس بنبي ـ لا يخرج عن مقدور الإنس والجن.

ويعني بالمقدور: ما يمكنهم التوصل إليه بطريق من الطرق[١].

كما يقرر أن خوارق مخالفي الرسل كالسحرة، والكهان هي من جنس أفعال الحيوان من الإنس، وغيره من الحيوان، والجن؛ مثل قتل الساحر وتمريضه لغيره؛ فهذا أمر مقدور، معروف للناس بالسحر، وغير السحر[٢].

ثم يضرب أمثلة أخرى بيَّن من خلالها أن ما يأتي به مخالفو الرسل من الخوارق لا يخرج عن قدرة الإنس والجن، **فيقول:** «وكذلك ركوب المكنسة[٣]، أو الخابية[٤]، أو غير ذلك حتى تطير به.

وطيرانه في الهواء من بلد إلى بلد هذا فعل مقدور للحيوان؛ فإن الطير يفعل ذلك، والجن تفعل ذلك»[٥].

وهكذا يستمر في ضرب الأمثلة كإحضار الطعام، أو النفقة، أو الثياب، أو غير ذلك من الغيب؛ فذلك ـ كما يقول ـ نَقْلُ مالٍ من مكان إلى مكان.

وهذا تفعله الإنس، والجن، لكن الجن تفعله، والناس لا يبصرون ذلك.

ويقول بعد ذلك: «وهذا بخلاف كون الماء القليل نفسه يفيض حتى يصير كثيراً بأن ينبع من بين الأصابع من غير زيادة يراها؛ فهذا لا يقدر عليه إنسيٌّ،

---

(١) انظر: النبوات ٢/٩٩٢. (٢) انظر: المرجع السابق ١/١٤٤.

(٣) **المكنسة**: ما يكنس به، والكُناسة: ما يكنس، وهي الزبالة. انظر: المصباح المنير ص٥٤٢.

(٤) **الخابية**: وعاء الماء، الذي يحفظ به، والجمع: خوابي. انظر: المعجم الوسيط ١/١٣.

(٥) النبوات ١/١٤٥.

ولا جنيٌّ»[١].

ويُلْحق بهذا ما يقرره من أن خوارق أصحاب الأحوال الشيطانية أمور معتادة لأصحابها، وليست خارقة لعادتهم، ولا لعادات بني آدم عموماً[٢].

وأن الأحوال الشيطانية يمكن معارضتها بمثلها أو أقوى منها[٣].

○ **خامساً: إثباته أنْ لا عبرة بخارق إلا باتباع الشرع:** فمن أعظم ما يُلبس به أصحاب الأحوال الشيطانية على الناس ما يأتون به من خوارق؛ حيث يدعون من خلالها أنهم أولياء لله، وأن ما يأتون به من ذلك دليل الولاية كما أن المعجزة دليل على النبوة.

وابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ يقرر أنْ لا عبرة بخارق إلا باتباع الشرع مهما كان الخارق، ومهما كان الآتي به.

يقول رَحِمَهُ اللهُ **مقرراً ذلك:** «وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيمان، والتقوى، ولا التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، وامتنع أن يكون وليّاً لله ـ فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه وليُّ الله، لا سيما أن تكون حجته على ذلك إما مكاشفة سمعها منه، أو نوع تصرف مثل أن يراه قد أشار إلى أحد فمات، أو صُرِع»[٤].

ثم يبيِّن العلة من ذلك بقوله: «فإنه قد علم أن الكفار، والمنافقين من المشركين وأهل الكتاب لهم مكاشفات، أو تصرفات شيطانية؛ كالكهان، والسحرة، وعبَّاد المشركين، وأهل الكتاب ـ فلا يجوز لأحد أن يستدلَّ بمجرد ذلك على كون الشخص وليّاً لله ـ وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله ـ.

فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله؟!»[٥].

ثم يضرب أمثلة على ما يناقض ولاية الله، **فيقول:** «مثل أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي ﷺ باطناً، أو ظاهراً.

بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة، أو يعتقد أن لأولياء الله

---

(١) النبوات ١/ ١٤٥، وانظر مزيد أمثلة على ذلك في: ١/ ١٤٥، و١٥٢، و١٩٢، و٥٠٢، و٥٢٣ ـ ٥٢٥، و٢/ ١٠٢٨ ـ ١٠٢٩، و١٠٧٣، و١٠٨١، ومجموع الفتاوى ١/ ٨٢ ـ ٨٣، ومنهاج السُّنَّة ١٨/ ٣١١.

(٢) انظر: النبوات ١/ ٥٥٨، و٢/ ٨٠٠، و٨٤٨، و٨٥٥، و١٠٨٤.

(٣) انظر: المرجع السابق ٢/ ١٠٨٢، ومجموع الفتاوى ٣/ ٩٠، ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ٩٦.

(٤) الفرقان ص١٢٤.

(٥) المرجع السابق ص١٢٤ ـ ١٢٥، وانظر: النبوات ٢/ ١٠٣٤ ـ ١٠٣٥.

طريقاً إلى الله غير طريق الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أو يقول: إن الأنبياء ضَيَّقوا الطريق، أو هم قدوة العامة دون الخاصة، ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدَّعي الولاية»[(١)].

وقال في موضع آخر: «اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء، أو مشى على الماء ـ لم يُغْتَرَّ به حتى يُنْظر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره، ونهيه»[(٢)].

إلى أن قال: وهذه الأمور الخارقة للعادة ـ وإن كان قد يكون صاحبها وليًّا لله ـ فقد يكون عدوًّا لله»[(٣)].

ثم بيّن العلة في ذلك، **فقال:** «فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار، والمشركين، وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع وتكون من الشياطين»[(٤)].

إلى أن قال: «فلا يجوز أن يُظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه وليٌّ لله؛ بل يُعْتَبر أولياء الله بصفاتهم، وأفعالهم، وأحوالهم التي دلَّ عليه الكتاب، والسُّنَّة، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن، وبحقائق الإيمان الباطنة، وشرائع الإسلام الظاهرة»[(٥)].

وهكذا يقرر أنْ **لا عبرة بخارق إلا باتباع الشرع.**

○ **سادساً: تقريره أن الله يخذل الكذاب عليه:** فيرى أن سُنَّة الله ماضية في الكذابين عليه، وأن القرآن دلَّ على أنه ـ سبحانه ـ لا يؤيد الكذاب عليه؛ بل لا بد أن يظهر كذلك، وأن ينتقم منه.

ويستدل على ذلك بمثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة][(٦)].

ويقول بعد ذلك مفسراً الآيات، **ومقرراً** ما مضى ذكره: «وقوله: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ الوتين: عرق في الباطن، يقال: هو نياط القلب،

---

(١) الفرقان ص١٢٥.

(٢) المرجع السابق ص١٦٨، وانظر: الرسالة الصفدية ص٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٣) الفرقان ص١٦٩، وانظر: جامع الرسائل ص١٩٢ ـ ١٩٦.

(٤) الفرقان ص١٦٩، وانظر: مجموع الفتاوى ١٠/٤٢١، و١٤/٢٦٤، والجواب الصحيح ٢/٨٤.

(٥) الفرقان ص١٦٩، وانظر: النبوات ١/١٥٢ ـ ١٥٣، و٥٢٨، و٩٩٨ ـ ١٠٠٣.

(٦) انظر: النبوات ٢/٨٩٧.

وإذا قُطِع مات الإنسان عاجلاً، وذلك يتضمن هلاكه لو تقوَّل على الله»[١].

ثم بيَّن معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾، فيقول: «قيل: لأخذنا بيمينه كما يُفعل بمن يهان عند القتل، فيقال: خذ بيده، فيجر بيده، ثم يقتل؛ فهذا هلاك بعزة وقدرة من الفاعل، وإهانة وتعجيل هلاك للمقتول.

وقيل: لأخذنا منه باليمين؛ أي: بالقوة، والقدرة؛ فإن الميامن أقوى ممن يأخذ بشماله، كما قال: ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾ [القمر]، وكما قال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج].

لكن قال: (أخذنا منه) ولم يقل: (أخذناه) فهذا يقوي القول الأول»[٢].

ثم يقرر بعد ذلك أن سُنَّة الله جرت بأنه لا بد أن يُبْطِل الباطل، ويحق الحق بكلماته، وأن من عدله ﷻ أن يجعل الصادق عليه، المبلغ لرسالته حيث يصلح من كرامته ونصره، وأن يجعل الكاذب عليه حيث يليق به من إهانته، وذُلِّهِ.

ويستدل على ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأعراف].

ويستشهد بقول أبي قلابة[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنها لكل مُفترٍ إلى يوم القيامة.

ويقرر أن من أعظم الافتراء على الله: دعوى النبوة والرسالة كذباً كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣][٤].

ويعلق على هذه الآية بقوله: «ذكر في هذا الكلام جميع أصناف الكاذبين الذين يعارضون رسله الصادقين كما ذكر فيما قبله حال الكاذبين»[٥].

إلى ان قال: «فذكر الأصناف الثلاثة، فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ فهذان نوعان من جنس، ثم قال: (ومَن) ولم يَقُل: (أو قال) إذ كان هذا معارضاً لا يدَّعي أنه رسول؛ فقال: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

---

(١) النبوات ٢/ ٨٩٧ ـ ٨٩٨.
(٢) المرجع السابق ٢/ ٨٩٨.
(٣) هو: عبد الله بن زيد الجرمي البصري، عالم بالقضاء والأحكام، ناسك من أهل البصرة، ومن رجال الحديث الثقات، مات بالشام سنة ١٠٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٦٨، وشذرات الذهب ١/ ١٢٦.
(٤) انظر: النبوات ٢/ ٨٩٩ ـ ٩٠١.
(٥) المرجع السابق ٢/ ٩٠١.

وهؤلاء المعارضون قد تحداهم في غير موضع، وقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء](1).

فهذه الأمور الستة هي أهم ما أثبت من خلالها بطلان ما يأتي به أهل الأحوال الشيطانية من الخوارق التي يلبسون بها على الناس.

ويضاف إلى ذلك ما مضى تقريره من الفروق بين الأحوال الشيطانية، وغيرها، وما تضمنته تلك الفروق من إبطاله لما عليه أهل تلك الأحوال.

وسيأتي مزيد إيضاح لذلك في المطلب التالي.



(١) النبوات ٢/٩٠٢.

المطلب الثاني

إبطاله لما هم عليه بالمواجهة المباشرة

فكما أن ابن تيمية قد وقف أمام أصحاب الأحوال الشيطانية مثبتاً بطلان ما هم عليه من طريق الحجة في الكتابة ـ فكذلك كان له موقف منهم من خلال المواجهة المباشرة بالمناظرة والتحدي؛ حيث كانت له منازلات عدة مع أصحاب تلك الأحوال.

وأعظم ما في ذلك ما كان من مناظرته لطائفة البطائحية الأحمدية المشهورة بالرفاعية[١] المنسوبة للشيخ أحمد الرفاعي[٢]:

ولقد دوَّن ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المناظرة في رسالة خاصة[٣].

---

(١) هي: فرقة صوفية تنتسب إلى مؤسسها منصور البطائحي، خال أحمد الرفاعي.
والبطائح عِدة قرى بين البصرة، وواسط في العراق، وقد خَلَفَ البطائحيَّ ابنُ أخته أحمدُ الرفاعي؛ فنسبوا إليه؛ فيقال: **الأحمدية**، **والرفاعية إضافة إلى البطائحية**. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ١٧١ ـ ١٧٢، ومعجم البلدان ١/ ٤٥٠.

(٢) هو: الشيخ أحمد بن الحسين الرفاعي نسبة إلى بني رفاعة، قبيلة من العرب، ولد في العراق سنة ٥١٢هـ، وقيل: ٥٠٠هـ، وإليه تنسب الطريقة الرفاعية.
وعرف بتربية مريديه بالبطائح، وانتهت إليه الرياسة في علوم الطريق، وتوفي سنة ٥٧٠هـ.
وقد أثنى عليه الذهبي، ووصفه بأنه الإمام القدوة، العابد، الزاهد، وبأنه كان كثير الاستغفار عالي المقدار، رقيق القلب، عزيز الإخلاص.
وبيَّن الذهبي ـ كذلك ـ أن الرفاعي له أصحاب فيهم الجيد، والرديء، وأن الزَّغَلَ قد كثر فيهم، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذ التتار العراق؛ من دخول النيران، وركوب السباع، واللعب بالحيات.
ونبّه الذهبي على أن هذه الأحوال لم يعرفها الشيخ، ولا صلحاء أصحابه. انظر: الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٤٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢١/ ٧٧ ـ ٨٠، والعبر ٤/ ٢٣٣.

(٣) انظرها في: مجموع الفتاوى ١١/ ٤٤٥ ـ ٧٧٥، بعنوان «مناظرة ابن تيمية للدجاجلة البطائحية».
كما أنها موجودة ضمن مجموعة الرسائل والمسائل، وقد أفردها، وعني بها، وجعلها في رسالة خاصة الشيخ عبد الرحمٰن دمشقية، وجاءت في ٤٧ صفحة، بعنوان: «مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية».

وهذه المناظرة تجلي بعض جوانب العبقرية من شخصية ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ حيث يتضح من خلالها: قوةُ عارضته، وسرعةُ بديهته، وحضورُ جوابه، وسعة علمه.

كما أنها تبيِّن عن عدله، وإنصافه، وغيرته على الإسلام والسُّنَّة، وحرصه على بيان الحق، ورحمة الخلق.

كما يتجلى فيها ما الكلام بصدده، ألا وهو **مواجهته المباشرة لهذه الطائفة**، وبيانه لتلبيساتهم، وإبطاله لما هم عليه، ودعوتهم إلى الرجوع إلى الحق.

وهذا ما سيتبين من خلال المسائل التالية.

المسألة الأولى: وصفه الإجمالي للمناظرة، وباعثها

مرت الإشارة آنفاً إلى أن ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ قد دوَّن هذه المناظرة، وأثبت وقائعها.

والكلام هٰهنا إيضاح **لوصفه المجمل** لتلك المناظرة، **وباعثها**.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة تلك الرسالة: «أما بعد فقد كتبت ما حضرني ذِكْرُهُ في المشهد الكبير بِقَصْر الإمارة والميدان بحضرة الخلق من الأمراء، والكتاب، والعلماء، والفقراء، والعامة، وغيرهم في أمر البطائحية يوم السبت تاسع جمادى الأولى سنة خمس[(١)]»[(٢)].

ثم بيَّن الباعث لذلك الجمع، وتلك المناظرة، **فقال**: «لتشوُّف الهمم إلى معرفة ذلك، وحرص الناس على الاطلاع عليه؛ فإن من كان غائباً عن ذلك قد يسمع بعض أطراف الواقعة، ومن شهدها فقد رأى، وسمع ما رأى وسمع»[(٣)].

إلى أن قال: «ومن الحاضرين من سمع، ورأى ما لم يَسْمَعْ غيره، ويَرَه؛ لانتشار هذه الواقعة العظيمة، ولما حصل بهذا من عزّ الإسلام، وظهور كلمته العليا، وقهر الناس على متابعة الكتاب والسُّنَّة، وظهور زيف من خرج عن ذلك من أهل البدع المضلة، والأحوال الفاسدة، والتلبيس على المسلمين»[(٤)].

ثم بيَّن أنه قد كتب في غير هذا الموضع صفة حال هؤلاء البطائحية،

---

(١) أي: سنة خمس وسبعمائة للهجرة. انظر: أحداث هذه السنة في البداية والنهاية ١٨/ ٥٠ ـ ٥٣.

(٢) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص١١. (٣) المرجع السابق ص١١.

(٤) المرجع السابق ص١١.

وطريقهم، وطريقة شيخهم أحمد الرفاعي، وحاله، وما وافقوا فيه المسلمين، وما يخالفونهم فيه، وأن ذلك مما يطول وصفه.

ثم **أوضح** أنه إنما كتب هٰهنا ما حضره في ذكر حكاية تلك الواقعة المشهورة في مناظرتهم ومقابلتهم، وأنه كان يعلم حالهم قبل ذلك، وأنهم على جانب من التأله والوجد، والمحبة، والزهد، والتواضع، ولين الجانب، والملاطفة في المخاطبة والمعاشرة، ونحو ذلك.

ولكن مع ذلك ـ يوجد في بعضهم ما يوجد من الشرك، وغيره من أنواع الكفر، والغلو، والبدع، والإعراض عما جاء به الرسول، والاستخفاف بالشريعة، والكذب، والتدليس، وإظهار المخارق، وأكل أموال الناس بالباطل.

كما أوضح أنه قد تقدمت له معهم وقائع متعددة بيَّن فيها لمن خاطبه منهم، ومن غيرهم بعضَ ما فيهم من حق وباطل، وأحوالَهم التي يسمونها الإشارات، وأنه قد تاب جماعة منهم، وأُدِّب منهم جماعة من شيوخهم(١).

كما بيَّن لهم صورة ما يظهرونه من المخاريق، مثل ملابسة النار، والحيات، وإظهار الدم، واللاذن، والزعفران، وماء الورد، والعسل، والسكر، وغير ذلك، وأن عامة ذلك عن حيل معروفة، وأسباب مصنوعة(٢).

وأورد قصة حكاها له أحد شيوخهم مع بعض أمراء التتر بالمشرق، وقد كان لذلك الأمير صنم يزعم أنه يأكل الطعام.

وقد بيَّن له ابن تيمية وجه الحق في تلك الحكاية(٣).

---

(١) ومن تلك الوقائع ما ذكره ابن كثير في أحداث سنة ٧٠٥هـ، قال كَلَّلهُ: «وفي رجب منها أحضِر إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية شيخٌ كان يلبس دِلْقاً ـ وهو رداء من عدة قطع من القماش على ألوان مختلفة يشبه العباءة ـ كبيراً متسعاً يسمى: المجاهد إبراهيم القطان؛ فأمر الشيخ بتقطيع ذلك الدِّلق، فتناهبه الناس من كل جانب، وقطعوه، حتى لم يدَعوا منه شيئاً، وأمر بحلق رأسه، وكان ذا شعر، وقلَّم أظفاره، وكانوا طوالاً جدّاً، وحف شاربه المسبل على فمه المخالف للسُّنَّة، واستتابه من كلام الفحش، وأكل ما لا يجوز أكله من المحرمات، ومما يغير العقل من الحشيشة وغيرها».

إلى أن قال: «وبعده استحضر الشيخ محمد الخبار البلاسي؛ فاستتابه ـ أيضاً ـ عن أكل المحرمات، ومخالفة أهل الذمة، وكتب عليه مكتوباً ألا يتكلم في تعبير المنامات، ولا في غيرها مما لا علم له به». البداية والنهاية ١٨/ ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص١١ ـ ١٣.

(٣) مر ذكر ذلك في المطلب الماضي.

فهذه صورة مجملة تصف حال تلك المناظرة.

المسألة الثانية: إبطاله لأحوالهم الغريبة

فقد مرت الإشارة إلى أن لذوي الخوارق الشيطانية أحوالاً غريبة سواء في مظهرهم، أو مشيتهم، أو حركاتهم، أو أصواتهم، أو نحو ذلك.

والكلام هٰهنا بيان لإبطاله لتلك الأحوال في مواجهته المباشرة لهم من خلال المناظرة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مناظرته لطائفة الرفاعية بعد أن ذكر ما كان قبل تلك الواقعة بمدة من أن جماعة منهم يدخلون مع شيخ لهم مطوَّقين بأغلال الحديد في أعناقهم.

قال: «فلما ذكر الناس ما يظهرونه من **الشعار المبتدع** الذي يتميزون به عن المسلمين، ويتخذونه عبادة ودِيناً، ويوهمون به الناس أن هذا لله سر من أسرارهم، وأنه سيماء أهل الموهبة الإلٰهية السالكين طريقهم ـ أعني: طريق ذلك الشيخ وأتباعه ـ خاطبته في ذلك بالمسجد الجامع، وقلت له: هذه **بدعة** لم يشْرَعها الله ـ تعالى ـ ولا رسوله، ولا فعل ذلك أحد من سلف هذه الأمة، ولا من المشايخ الذين يُقتدى بهم، ولا يجوز التعبد بذلك، ولا التقرب به إلى الله ـ تعالى ـ **لأن عبادةَ اللهِ بما لم يَشْرَعْهُ ضلالةٌ**»(١).

إلى أن قال مبيِّناً **وجه معارضتهم للأنبياء بذلك الشعار:** «ولباس الحديد على غير وجه التعبد قد كرهه من كرهه من العلماء؛ للحديث المروي في ذلك، وهو أن النبي ﷺ رأى على رجل خاتماً من حديد، فقال: «**ما لي أرى عليك حِلْيَةَ أهل النار**»(٢).

وقد وصف الله أهل النار بأن في أعناقهم الأغلال(٣).

وقال بعض الناس قد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الرؤيا،

(١) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص١٤.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٢٣)، والترمذي (١٧٨٦) وصحّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، أشرف عليه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٦هـ، (٥٥٤٠).

(٣) يشير بذلك إلى مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ [غافر: ٧١]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [سبأ: ٣٣].

وقال في آخره: «**أحب القيد، وأكره الغُلَّ؛ القيد ثبات في الدين**»[(١)][(٢)].

إلى أن قال مبيِّناً معارضة ذلك الصنيع **لما جاءت به الرسل**: «وذلك أن الأمور التي ليست مستحبة في الشرع لا يجوز التعبدُ بها باتفاق المسلمين، ولا التقربُ بها إلى الله، ولا اتخاذُها طريقاً إلى الله وسبباً لأنْ يكونَ الرجلُ من أولياء الله وأحبائه، ولا اعتقادُ أن الله يحبها، ويحب أصحابها كذلك، أو أن اتخاذَها يزداد به الرجل خيراً عند الله وقربةً إليه، ولا أن يجعل شعاراً للتائبين المريدين وجهَ اللهِ الذين هم أفضل ممن ليس مثلهم»[(٣)].

ثم قرر بعد ذلك أن هذا أصل عظيم تجب معرفته، والاعتناء به، وأنه إذا كان هذا في المباحات فكيف بالمكروهات أو المحرمات؟!

ثم بيَّن لهم أن المسلمين متفقون على أنه لا يجوز لأحد أن يعتقد أو يقول عن عمل: إنه قُربة، وطاعة، وطريق إلى الله واجب، أو مستحب إلا أن يكون مما أمر الله به، ورسوله ﷺ وأن ذلك يعلم بالأدلة المنصوبة.

وهكذا يسترسل في بيان هذا الأصل العظيم[(٤)]، **ثم يقول** موضحاً ما جرى بينه وبينهم بعد ذلك البيان: «فلما نبَّهتهم عن ذلك أظهروا الموافقة والطاعة، ومضت على ذلك مدة، والناس يذكرون عنهم الإصرار على الابتداع في الدين، وإظهار ما يخالف شرعة المسلمين، ويطلبون[(٥)] الإيقاع بهم[(٦)]»[(٧)].

ثم قال مبيْناً عن عدله، ورحمته، بهؤلاء: «**وأنا أسلك مسلك الرفق والأناة، وأنتظر الرجوع والفيئة**[(٨)]، وأؤخر الخطاب إلى أن يحضر ذلك الشيخ لمسجد الجامع»[(٩)].

ثم ذكر أن ذلك الشيخ من طائفة الرفاعية قد كتب له كتاباً بعد كتاب فيه احتجاج، واعتذار، وعتب، وآثار.

---

(١) هذا اللفظ لمسلم (٢٢٦٣).

(٢) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص١٤ ـ ١٥.

(٣) المرجع السابق ص١٥.

(٤) انظر: المرجع السابق ص١٦.

(٥) يعني: عامة الناس.

(٦) يعني: إيقاع العقوبة بأتباع الطائفة.

(٧) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص١٧.

(٨) يعني: أنه ينتظر رجوع هؤلاء عما هم فيه من البدع والضلالات.

(٩) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص١٧.

ويصف ابن تيمية بما جاء في ذلك الكتاب بأنه كلام باطل، لا تقوم به حجة؛ بل إما أحاديث موضوعة، أو إسرائيليات غير مشروعة، وأن حقيقة أمرهم: الصد عن سبيل الله، وأكل أموال الناس بالباطل.

ثم بيَّن لهم أن الجواب يكون بالخطاب؛ فإن جواب مثل ذلك الكتاب لا يكون إلا بذاك؛ حيث دعاهم إلى المواجهة، والمقابلة؛ ليكون ذلك أدعى للوصول إلى الحق.

ثم بيَّن أنه حضر عنده أحد هؤلاء من ذوي الأحوال الغريبة، فنزع ابن تيمية الغُلَّ من عنقه، وأوضح أن هؤلاء هم أهل الأهواء الذين يتعبدون في كثير من الأمور بأهوائهم، وأن فيهم شبهاً قوياً من النصارى(١).

وقال موضحاً ما كان منهم بعد ذلك من التحزب، والاجتماع، وإظهار الأحوال الغريبة مرة أخرى.

قال: «فحملهم هواهم على أن تجمعوا تجمّع الأحزاب، ودخلوا المسجد الجامع مستعدين للحراب، بالأحوال التي يُعِدُّونها للغلاب.

فلما قضيت الصلاة أرسلت إلى شيخهم؛ لنخاطبه بأمر الله ورسوله ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ»(٢).

ثم بيَّن صفة خروجهم، **فقال:** «فخرجوا من المسجد الجامع في جموعهم إلى قصر الإمارة، وكأنهم اتفقوا مع بعض الأكابر على مطلوبهم، ثم رجعوا إلى مسجد الشاغو ـ على ما ذكر لي ـ وهم من الصياح والاضطراب على أمرٍ من أعجب العجاب»(٣).

ثم بيَّن أنه أرسل إليهم مرة ثانية؛ لإقامة الحجة والمعذرة، وطلباً للبيان والتبصرة، ورجاء المنفعة والتذكرة؛ فعمدوا إلى القصر مرة ثانية.

ثم بيَّن حال قدومهم، وما كانوا عليه من الأحوال الغريبة، من إظهار العجيج، والضجيج، والإزباد، والإرعاد، واضطراب الرؤوس والأعضاء، ونحو ذلك مما أرادوا به التخييل على الناس، وإبراز ما يدَّعونه من الحال والمحال(٤).

---

(١) انظر: مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص١٧.
(٢) المرجع السابق ص١٧. (٣) المرجع السابق ص١٧.
(٤) انظر: المرجع السابق ص١٧ ـ ١٨.

وقال بعد ذلك: «فلما رأى الأمير ذلك هاله ذلك المنظر، وسألهم عنه، فقيل له: هم مُشْتكون.

فقال: ليدخل بعضهم، فدخل شيخهم، وأظهر من الشكوى عليَّ، ودعوى الاعتداء مني عليهم كلاماً كثيراً لم يَبْلُغْنِي جميعُهُ، لكن حدثني من كان حاضراً أن الأمير قال لهم: فهذا الذي يقوله من عنده، أو يقوله عن الله ورسوله ﷺ؟

فقالوا: لا؛ بل يقوله عن الله ورسوله.

قال: فأي شيء يقال له؟!

قالوا: لنا أحوالنا، وطريق يُسَلَّم إلينا.

قال: فنسمع كلامه؛ فمن كان الحق معه نصرناه.

قالوا: نريد أن تَشُدَّ.

قال: لا، ولكن أشدُّ في الحق سواء كان معكم، أو معه.

قالوا: ولا بدَّ من حضوره؟

قال: نعم.

فكرروا ذلك، فأمر بإخراجهم»[١].

قال ابن تيمية بعد ذلك: «فَأَرْسل إليَّ بعض خواصهم من أهل الصدق والدين ممن يعرف ضلالهم[٢]، وعرَّفني بصورة الحال، وأنه[٣] يريد كشف أمر هؤلاء»[٤].

ثم قال ابن تيمية مبيِّناً عن عدله، وبعده عن الظلم، وحرصه على الإحسان لمن خاصمة: «فلما علمت ذلك ألقي في قلبي أن ذلك لأمرٍ يريده الله من إظهار الدين، وكشف حال أهل النفاق والمبتدعين؛ لانتشارهم في الأرضين.

ولا أحببت **البغي والعدوان، ولا أن أسلك معهم إلا أبلغ ما يمكن من الإحسان**؛ فأرسلت إليهم من عرَّفهم بصورة الحال، وأني إذا حضرت كان ذلك عليكم من الوبال، وكثر فيكم القيل والقال، وأن من قعد، أو قام قُدَّامَ رماحِ أهلِ الإيمان فهو الذي أوقع نفسه في الهوان»[٥].

إلى أن قال: «فجاء الرسول، وأخبر أنهم اجتمعوا بشيوخهم الكبار الذين يعرفون

---

(١) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص١٨.

(٢) يعني: ممن عرف ضلال الطائفة الرفاعية. (٣) يعني: الأمير.

(٤) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص١٨. (٥) المرجع السابق ص١٨.

حقيقة الأسرار، وأشاروا عليهم بموافقة ما أُمروا به من اتباع الشريعة، والخروج عما يُنكر عليهم من البدع الشنيعة.

وقال شيخهم الذي يسيح بأقطار الأرض ـ كبلاد الترك ومصر وغيرهما ـ: **أحوالنا تظهر عند التتار، لا تظهر عند شرع محمد بن عبد الله، وأنهم نزعوا الأغلال من الأعناق**، وأجابوا إلى الوفاق»[١].

وهكذا أبطل ابن تيمية أحوالهم الغريبة، والتزموا بترك ما هم عليه من تلك الأحوال الغريبة.

هذا، وسيأتي مزيد بيان لذلك في المسألة التالية.

المسألة الثالثة: بيانه لتلبيساتهم على الأمراء والعامة

فهذه المسألة جماع لما تفرق في المسألتين الماضيتين؛ فلقد تبيَّن في المسألة الماضية إبطال ابن تيمية لما عليه البطائحية من الأحوال الغريبة، وأنهم أجابوا إلى الوفاق، وترك تلك الأحوال.

وبعد أن بيَّن ما حصل من ذلك، **قال:** «ثم ذُكر أنه جاءهم بعض أكابر غلمان المطاع[٢]، وذَكَر أنه لا بد من حضورهم لموعد الاجتماع؛ فاستخرت الله ـ تعالى ـ تلك الليلة، واستعنته، واستهديته، وسلكت سبيل عباد الله في مثل هذه المسالك، حتى أُدخل في قلبي أن أدخل النار عند الحاجة إلى ذلك[٣]، وأنها تكون برداً وسلاماً على من اتبع ملة إبراهيم الخليل، وأنها تحرق أشباه الصابئة أهل الخروج عن هذا السبيل»[٤].

ثم **قرن** بين أعداء إبراهيم السابقين، وهؤلاء الذين يلبسون على الناس دينهم.

فقال: «وقد كان بقايا الصابئة أعداء إبراهيم إمام الحنفاء بنواحي البطائح منضمين إلى من يضاهيهم من نصارى الدهماء.

وبَيْن الصابئة ومَنْ ضل من العُبَّاد المنتسبين إلى هذا الدين نسبٌ يعرفه من عرف

---

(١) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص١٨ ـ ١٩.

(٢) يعني به: الأمير.

(٣) لأن بعض تلك الطائفة يُلَبِّسون على الأمراء والعامة، ويزعمون أنهم أولياء لا تضرهم النار، وابن تيمية يريد إبطال ذلك الزعم، والتلبيس؛ فيرى أن يدخل النار إذا استدعى الأمر ذلك ـ كما سيأتي ـ ليتبين الصادق من الكاذب.

(٤) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص١٩.

الحق المبين»[١].

ثم ذكر بعض الفرق الغالية الذين يخرجون إلى مشابهة الصابئة الفلاسفة، ثم إلى الإشراك، ثم إلى جحود الخالق؛ كالغالية من القرامطة[٢]، والباطنية[٣]؛ كالنصيرية[٤]، والإسماعيلية[٥].

---

(١) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص١٩.

(٢) **القرامطة**: مر التعريف بهم.

(٣) **الباطنية**: هم من يزعمون أن لنصوص الشرع ظاهراً وباطناً؛ حيث يفسرون الكتب المقدسة تفسيراً رمزيّاً، أو مجازيّاً.
والباطنية مسمى واسع، ويدخل تحته فرق كثيرة، تكاد تنحصر في طائفتين، ويدخل تحت هاتين الطائفتين فرق شتى:
الطائفة الأولى: وهي التي تتظاهر بحب النبي ﷺ وهم غلاة الصوفية القائلين بتقسيم الدين إلى شريعة، وحقيقة.
فالشريعة عندهم: هي أحكام الدين الظاهرة، أو الأحكام التكليفية.
والحقيقة: هي ما وراء هذه الأحكام من إشارات وأسرار؛ فإذا وصل معها العابد إلى الحقيقة لم يحتج معها إلى القيام بأمور الشرع.
الطائفة الثانية: وهي المقصودة هٰهنا: وهي الباطنية التي تتظاهر بحب آل البيت، وتبطن الكفر، وتزعم أن لنصوص الشرع ظاهراً عَلَّمه الرسول ﷺ أمته، وباطناً علَّمه عليّاً رضي الله عنه وبلغه عليٌّ الأئمةَ من بعده سرّاً.
ويدخل تحت هذه الطائفة فرق كثيرة؛ كالشيعة الإمامية، والإسماعيلية، والنصيرية، والدروز، والبابية، والبهائية، وسائر الفرق الباطنية التي انبثقت من الشيعة الاثني عشرية. انظر: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم للشيخ محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة الساعي ص٢٢ ـ ٣٤، وفضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي، تحقيق: د. عبد الرحمٰن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، ص١١ ـ ١٢، والحركات الباطنية للخطيب ص٣٠، والمعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧١م، ١/ ٢٣٤.

(٤) **النصيرية**: هي فرقة باطنية غالية، انبثقت من الشيعة الاثني عشرية في القرن الثالث الهجري على يدِ رَجُلٍ يقال له: محمد بن نصير النميري.
ويسمون: العلوية، والعلي إلٰهية، ويقولون بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويغالون في التأويل الباطني. انظر: مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٤٥ ـ ١٦٠، والحركات الباطنية ص٣٢١، والباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة العلوية النصيرية لسليمان أفندي الأذني، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، ص٥، و٣٨، و١٢٤ ـ ١٢٦، والنصيرية، د. سهير الفيل، دار المنار، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، ص١٦ ـ ٢٠، و٤٨ ـ ٥٠، وتاريخ العلويين لمحمد أمين غالب الطويل، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٩م، ط١، ص٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(٥) **الإسماعيلية**: طائفة باطنية غالية، انبثقت من الشيعة الاثني عشرية، وتنسب إلى إسماعيل بن =

وذكر أن من شركهم الغلوَّ في البشر، والخروجَ عن الشريعة[١].

ثم ذكر بعد ذلك خروجه إلى تلك المناظرة.

فقال: «فلما أصبحنا ذهبت للميعاد، وما أحببت أن أستصحب أحداً للإسعاد[٢].

ولكن ذهب بعض من كان حاضراً من الأصحاب، والله المسبب لجميع الأسباب»[٣].

ثم أوضح تلبيس أولئك القوم على الناس.

فقال: «وبلغني بعد ذلك أنهم طافوا على عدد من أكابر الأمراء، وقالوا أنواعاً مما جرت بهم عادتهم من التلبيس والافتراء الذي استحوذوا به أكثر أهل الأرض من الأكابر والرؤساء[٤]»[٥].

ثم ذكر نماذج من تلبيساتهم؛ كزعمهم أن لهم أحوالاً لا يقاومهم فيها أحد من الأولياء، وأن شيخهم هو من المشايخ كالخليفة، وأن المُنْكِرَ عليهم هو آخذ بالشرع الظاهر، وغير واصل إلى الحقائق والسرائر، وأن لهم طريقاً يصلون به دون غيرهم إلى كُنْه التحقيق، إلى غير ذلك من تلك الدعاوى العريضة[٦].

= جعفر الصادق؛ حيث زعموا أن جعفر الصادق نص على ولده إسماعيل بأنه الإمام من بعده، وجعل الوصية إليه؛ فمات إسماعيل في حياة والده سنة ١٤٣هـ، فزعموا أنه لم يمت، وأن والده احتال في إخفائه؛ خوفاً عليه.

وقد انقسمت الإسماعيلية إلى فرق كثيرةٍ غالية؛ كالفاطمية، والعبيدية، وانقسم من العبيديين: الدروزُ، والبهرةُ، والحشاشون، والأغاخانية، وغيرهم. انظر: كشف أسرار الباطنية ص٣١ ـ ٣٨، والحركات الباطنية ص١٩ ـ ٣٥، و٥٧ ـ ٨٣، وحركات الغلو في الإسلام، د. أحمد عبد القادر الشاذلي، الدُّر المصرية للكتاب، ص٣٥ ـ ٤١، و٨٣ ـ ٨٧، وغلاة الشيعة، وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ـ اليهودية ـ المسيحية ـ المجوسية، د. فتحي محمد الزغبي ص١٤٧ ـ ٢٤٦، وانظر تفصيل الكلام عليها في كتاب: الإسماعيلية تاريخ وعقائد لإحسان إلهي ظهير، دار ترجمان السُّنَّة، لاهور ـ باكستان، طباعة دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(١) انظر: مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٢٠.

(٢) وهذا من قوة توكله؛ حيث لم يستنصر، ولم يَسْتَقْوِ بأحدٍ إلا الله.

(٣) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٢٠.

(٤) يلاحظ في هذه الرسالة أن ابن تيمية يكثر من السجع، وهو ما يفعله في بعض رسائله على غير عادته؛ فهو يميل إلى الكتابة التَّرَسُّلِية، دون التزام بالسجع إلا ما يأتي عرضاً.

(٥) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٢٠.

(٦) المرجع السابق ص٢٠.

ثم ذكر سبب انتشار تلبيسهم على الأمراء، وعامة الناس.

فقال: «وكانوا؛ لفرط انتشارهم في البلاد، واستحواذهم على الملوك، والأمراء، والأجناد؛ لخفاء نور الإسلام، واستبدال أكثر الناس بالنور الظلام، وطموس آثار الرسول في أكثر الأمصار، ودروس حقيقة الإسلام في دولة التتار - لهم في القلوب موقع هائل، ولهم فيهم من الاعتقاد ما لا يزول بقول ولا قائل»[١].

إلى أن قال: «قال المخبر: فغدا أولئك الأمراء الأكابر، وخاطبوا فيهم نائب السلطان بتعظيم أمرهم الباهر.

وذكر لي أنواعاً من الخطاب، والله - تعالى - أعلم بحقيقة الصواب، والأمير مستشعر ظهور الحق عند التحقيق؛ فأعاد الرسول إليَّ مرة ثانية، فبلغه أنَّا في الطريق، وكان كثير من أهل البدع الأضداد، كطوائف من المتفقهة والمتفقرة وأتباع أهل الاتحاد مجدّين في نصرهم بحسب مقدورهم، مجهزين لمن يعينهم في حضورهم»[٢].

ثم **وصف** ابن تيمية لحظة وصولهم إلى مكان المناظرة، وما كان من تشوّق النفوس، وتشوّفها إلى هذا الاجتماع، وما سيسفر عنه.

ثم **أوضح** أن نائب السلطان، وغيره من الأمراء ذكروا بعض الأقوال التي افتراها أولئك الضلَّال عليه، وأنه قال: إنك طلبت منهم الامتحان، وأن يُحْموا الأطواق ناراً، فقال ابن تيمية لهم: هذا من البهتان[٣].

ثم **أوضح** ابن تيمية حقيقة الأمر لنائب السلطان، **فقال**: «وها أنا ذا أصِف ما كان، قلت للأمير: نحن لا نستحل أن نأمر أحداً بأن يَدْخل ناراً، ولا يجوز طاعة مَنْ يأمر بدخول النار، ومن ذلك: الحديث الصحيح[٤].

وهؤلاء يكذبون في ذلك، وهم كذابون مبتدعون، قد أفسدوا من أمر دين

---

(١) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٢٠. (٢) المرجع السابق ص٢١.

(٣) انظر: المرجع السابق ص٢١، وانظر: البداية والنهاية ١٨/٥١.

(٤) يشير بذلك إلى حديث علي ﷺ في الصحيحين: قال: «بعث النبي ﷺ سريَّة، فاستعمل عليها رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه؛ فغضب، فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطباً، فجمعوا، فقال: أوقدوا ناراً، فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فَهَمُّوا، وجعل بعضهم يمسك بعضاً، ويقولون: فررنا إلى النبي ﷺ من النار؛ فما زالوا حتى خمدت النار؛ فسكن غضبه، فبلغ النبي ﷺ فقال: **«لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة؛ الطاعة في المعروف»**». البخاري (٤٠٨٥)، ومسلم (١٨٤٠).

المسلمين، ودنياهم ما الله به عليم»[١].

إلى أن قال: «وذكرت تلبيسهم على طوائف من الأمراء، وأنهم لبَّسوا على الأمير المعروف بالأيدمري، وعلى قفجق نائب السلطنة، وعلى غيرهما.

وقد لبَّسوا ـ أيضاً ـ على الملك العادل كتغا[٢] في ملكه، وفي حالة ولاية حماة، وعلى أمير السلاح أجل أمير بديار مصر، وضاق المجلس عن حكاية جميع تلبيسهم»[٣].

ثم ذكر صوراً من تلبيسهم على الأيدمري، وأنهم كانوا يرسلون من النساء من يستخبر عن أحوال بيته الباطنية، ثم يخبرونه بها على طريق المكاشفة، ووعدوه بالملك، وأن يُرُوه رجال الغيب؛ فصنعوا خشباً طوالاً، وجعلوا من يمشي كهيئة الذي يلعب بأُكر الزجاج؛ فجعلوا يمشون على جبل المَزَّة، وذاك يرى من بعيد قوماً يطوفون على الجبل، وهم يرتفعون عن الأرض، وأخذوا منه مالاً كثيراً، ثم انكشف أمرهم.

ثم ذكر شيئاً من تلبيسهم على قفجق، وأنهم أدخلوا عليه رجلاً يتكلم، وأوهموه أن الموتى تتكلم، وأتوا به في مقابر باب الصغير إلى رجل زعموا أنه الرجل الشعراني الذي بجبل لبنان، ولم يُقَرِّبوه منه؛ بل من بعيد؛ لتعود عليه بركته.

وقالوا: إنه طلب منه جملة من المال؛ فقال قفجق: الشيخ يكاشف، وهو يعلم أن خزائني ليس فيها هذا كله؟!

وتقرَّب قفجق منه، وجذب الشعر؛ فانقلع الجلد الذي ألصقوا على جلده من جلد الماعز[٤].

كما ذكر ابن تيمية للأمير أن هؤلاء مبتدعون بأنواع من البدع، مثل الأغلال ونحوها، وأنه نهاهم عن ذلك.

ثم أجاب ابن تيمية عن تلبيسهم، ودعواهم أنه طلب منهم الامتحان ودخول

---

(١) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٢١.

(٢) هكذا في الأصل، والصواب: (كتبغا) وهو الملك المغلي، انظر ترجمته في: البداية والنهاية ١٧/ ٦٣٢، و٦٦٣ ـ ٦٦٥، و٦٧٢ ـ ٦٧٣، وشذرات الذهب ٦/ ٥.

(٣) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٢١ ـ ٢٢.

(٤) انظر: المرجع السابق ص٢٢ ـ ٢٣.

النار، **بقوله:** «قلت للأمير: أنا ما امتحنت هؤلاء، لكن هم يزعمون أن لهم **أحوالاً** يدخلون بها النار، وأن أهل الشريعة لا يقدرون على ذلك.

ويقولون لنا: هذه الأحوال التي يعجز عنها أهل الشرع ليس لهم أن يعترضوا عليها؛ بل يُسلَّم إلينا ما نحن فيه سواء وافق الشرع، أو خالفه»[(١)].

إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأنا استخرت الله ـ سبحانه ـ أنهم إن دخلوا النار أدخل أنا وهم، ومن احترق منا ومنهم فعليه لعنة الله، وكان مغلوباً، وذلك بعد أن نغسل جسومنا بالخلِّ، والماء الحار.

فقال الأمير: ولِمَ ذاك؟

فقلت: لأنهم يَطْلُون جسومهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع، وباطن قشر النارنج، وحجر الطلق، وغير ذلك من الحيل المعروفة.

وأنا لا أطلي جلدي بشيء؛ فإذا اغتسلت أنا وَهُمْ بالخل، والماء الحار ـ بطلت الحيلة، وظهر الحق»[(٢)].

ثم **ذكر** ابن تيمية ما كان من أمر الأمير بعد أن سمع ذلك الكلام، فقال: «فاستعظم الأمير هجومي على النار، وقال: أتفعل ذلك؟ فقلت له: نعم؛ وقد استخرت الله في ذلك، وأُلقي في قلبي أن أفعله، ونحن لا نرى هذا وأمثالَه ابتداءً؛ فإن خوارق العادات إنما تكون لأمة محمد ﷺ المتبعين له باطناً، وظاهراً؛ لحجة، أو حاجة؛ فالحجة لإقامة الدين، والحاجة لما لا بد منه من النصر، والرزق الذي يقوم به دين الله»[(٣)].

وقال: «وهؤلاء إذا أظهروا ما يسمونه إشاراتهم، وبراهينهم التي يزعمون أنها تبطل دين الله، وشرعه ـ وجب علينا أن ننصر اللهَ ورسولَه ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ ونقوم في نصر دين الله وشريعته بما نَقْدِر عليه من أرواحنا، وجسومنا، وأموالنا؛ فلنا حينئذٍ أن نعارض ما يظهرونه من هذه المخاريق بما يؤيدنا الله به من الآيات، وليعلم أن هذا مثل معارضة موسى للسحرة لما أظهروا سحرهم أبدل الله موسى بالعصا التي ابتلعت سحرهم»[(٤)].

---

(١) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٢٣، وانظر: البداية والنهاية ١٨/ ٥١.

(٢) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٢٣.

(٣) المرجع السابق ص٢٣ ـ ٢٤.

(٤) المرجع السابق ص٢٤ ـ ٢٥.

وهكذا بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية تلبيس هؤلاء القوم، وأنهم يسترهبون الخاصة والعامة بما يدَّعون، وبما يُلبسون.

ولما سمع الأمير ذلك الكلام، وما أوقفه عليه ابن تيمية، وأوضحه له من الحق جعل ـ كما يقول ابن تيمية ـ يخاطب مَنْ حضره من الأمراء على السماط بذلك، وفرح، وكأنهم أوهموه أن هؤلاء لهم حال لا يَقْدِرُ أحدٌ على ردِّه.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسمعته ـ أي: الأمير ـ يخاطب الأمير الكبير الذي قدم من مصر الحاج بهادر ـ وأنا جالس بينهما على رأس السماط ـ بالتركي ما فهمته منه إلا أنه قال: اليوم ترى حرباً عظيماً.

ولعل ذلك كان جواباً لمن خاطبه فيهم على ما قيل»[(١)].

ثم **انتقل** ابن تيمية إلى بيان ما حصل لَمَّا حضر شيوخ الطائفة الرفاعية.

فقال: «وحضر شيوخهم الأكابر، فجعلوا يطلبون من الأمير الإصلاح، وإطفاء هذه القضية، ويترفقون؛ فقال الأمير: إنما يكون الصلح بعد ظهور الحق»[(٢)].

ثم **ذكر** أن الأمير أمر ببساط، وأحب أن يشهد بهادر هذه الواقعة؛ ليتبين له الحق، وأن البطائحية ـ وهم جماعة كثيرون ـ قَدِموا، وأظهروا أحوالهم الشيطانية من الإزباد، والإرعاد، وحركة الرؤوس، والأعضاء، ونحو ذلك من الأصوات المنكرات، والحركات الخارجة عن العادات.

ثم **أوضح** أن المناظرة بدأت بمحضر خلق عظيم من الأمراء، والكُتَّاب، والعلماء، والفقراء، والعامة، وغيرهم.

وأنه قد حضر شيخ البطائحية الأول المشتكي، وشيخ آخر يسمي نفسه: سيده أحمد، ويركب بعلمين، ويسمونه عبد الله الكذاب.

وأنهم لما حضروا تكلم منهم شيخ يقال له حاتم بكلام مضمونه، طلب الصلح، والعفو عن الماضي والتوبة، وأنَّا مجيبون إلى ما طلب من ترك هذه الأغلال، وغيرها من البدع، ومتبعون للشريعة[(٣)].

يقول ابن تيمية بعد أن سمع ذلك الكلام: «فقلت: أما التوبة فمقبولة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [غافر: ٣].

---

(١) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٢٥. (٢) المرجع السابق ص٢٥.

(٣) انظر: المرجع السابق ص٢٦ ـ ٢٧.

هذه إلى جنب هذه، وقال ـ تعالى ـ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر].

فأخذ شيخهم المشتكي ينتصر لِلُبسهم الأطواق، وذكر أن وهب بن منبه روى أنه كان في بني إسرائيل عابدٌ، وأنه جعل في عنقه طوقاً في حكاية من حكايات بني إسرائيل لا تثبت»[1].

فأجاب ابن تيمية بكلام يطول، **وحاصله**: أنْ ليس لنا أن نتعبد في ديننا بشيء من الإسرائيليات المخالفة لشرعنا، ولا يجوز لنا اتِّباع موسى، وعيسى عليهما السلام فيما علمنا أنه أنزل عليهما من عند الله إذا خالف شرعنا، وإنما علينا أن نتبع ما أنزل علينا من ربنا، ونتبع الشرعة والمنهاج الذي بعث الله به إلينا رسولنا.

واستدل على ذلك بأدلة من الكتاب والسُّنَّة[2].

وبعد ذلك بيَّن ما دار بينه وبين الشيخ المشتكي، **بقوله**: «فقال هذا الشيخ منهم يخاطب الأمير: نحن نريد أن تجمع لنا القضاة الأربعة، ونحن قوم شافعية.

فقلت له: هذا غير مستحب ولا مشروع عند أحد من علماء المسلمين؛ بل كلُّهم ينهى عن التَّعَبُّد به، ويَعُدُّه بدعة.

وهذا الشيخ كمال الدين بن الزملكاني[3] مفتي الشافعية، ودعوته، فقلت:

يا كمال الدين! ما تقول في هذا؟ فقال: هذا بدعة غير مستحبة؛ بل مكروهة، أو كما قال»[4].

ثم **قرر** ابن تيمية أنه ليس لأحد أن يخرج عن شريعة محمد ﷺ ولا عن الكتاب والسُّنَّة.

فانتدب ذلك الشيخ عبد الله، ورفع صوته، وقال: لنا أحوال وأمور باطنة لا يُوْقَفُ عليها، وذكر كلاماً مثل: المجالس، والمدارس، والباطن، والظاهر، ومضمونه أن لنا الباطن، ولغيرنا الظاهر.

فقال له ابن تيمية بغضب، ورفع صوت: الباطن، والظاهر، والمجالس، والمدارس، والشريعة، والحقائق ـ كل هذا مردود إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ

(١) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٢٨.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٢٨.

(٣) سبق ترجمته في ص٣٦.

(٤) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٢٩.

ليس لأحد الخروج عنهما لا من المشايخ والفقراء، ولا من الملوك والأمراء، ولا من العلماء والقضاة وغيرهم.

بل جميع الخلق عليهم طاعة الله ورسوله ﷺ وذكرت هذا، ونحوه.

فقال ـ ورفع صوته ـ: نحن لنا الأحوال كذا وكذا، وادعى الأحوال الخارقة كالنار، وغيرها، واختصاصهم بها، وأنهم يستحقون تسليم الحال إليهم لأجلها.

فقال ابن تيمية ـ ورفع صوته ـ: أنا أخاطب كلَّ أحمدي[1] من مشرق الأرض إلى مغربها: أي شيء فعلتموه في النار فأنا أصنع مثل ما تصنعون، ومن احترق فهو مغلوب، وربما قلت: فعليه لعنة الله.

ولكن بعد أن نغسل جسومنا بالخل، والماء الحار.

فسألني الأمراء، والناس عن ذلك، فقلت: لأن لهم حيلاً في الاتصال بالنار، يصنعونها من دهن الضفادع، وقشر النارنج، وحجر الطلق[2].

قال ابن تيمية بعد ذلك: «فأخذ[3] يظهر القدرة على ذلك، فقال: أنا وأنت نُلَف في بارية[4] بعد أن تُصلى جسومنا بالكبريت، فقلت: فقم، وأخذت أكرر عليه في القيام إلى ذلك؛ فمدَّ يدَه يظهر خلع القميص، فقلت: لا حتى تغتسل في الماء الحار والخل.

فأظهر الوهم على عادتهم، فقال: من كان يحب الأمير فليحضر خشباً، أو قال: حزمةَ حطبٍ.

فقلت: هذا تطويل، وتفريق للجمع، ولا يحصل به مقصود؛ بل قنديل يوقد، وأدخل أصبعي، وأدخل أصبعك فيه بعد الغسل، ومن احترقت أصبعه، فعليه لعنة الله، أو قلت: فهو مغلوب.

فلما قلت ذلك تغيَّر، وذلَّ، وذُكِرَ لي أن وجهَهُ اصْفَرَّ»[5].

قال ابن تيمية مقرراً ومؤكداً ما عليه البطائحية من الباطل: «ثم قلت لهم: ومع

---

(١) يعني: أصحاب الطريقة الرفاعية؛ لأن من أسمائهم الأحمدية، والبطائحية ـ كما مر ـ.

(٢) انظر: مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٢٨ ـ ٣٠.

(٣) يعني: شيخهم المسمى عبد الله.

(٤) البارية: هي حصير منسوج، يفرش على الأرض، ويقعد عليه. انظر: لسان العرب ٤/ ٨٧.

(٥) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٣٠ ـ ٣١.

هذا فلو دخلتم النار، وخرجتم منها سالمين حقيقة، ولو طرتم في الهواء، ومشيتم على الماء، ولو فعلتم ما فعلتم ـ لم يكن في ذلك ما يدل على صحة ما تدَّعونه من مخالفة الشرع، ولا على إبطال الشرع»[١].

ثم **استشهد** بقصة الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان، وما يكون معه من الخوارق، ومع هذا فهو دجال كذاب ملعون.

وذكر أقوالاً لأبي يزيد البسطامي، والشافعي تؤكد أن المعيار في صدق أي دعوى إنما هو اتباع الشرع، لا بما يجري من الخوارق[٢].

ثم ذكر أن مشايخهم الكبار جعلوا يتضرعون عند الأمير في طلب الصلح، وأنه يُلِحُّ عليهم في إظهار[٣] ما ادَّعوه من النار مرة بعد مرة، وهم لا يجيبون[٤].

وقال بعد ذلك: «وقد اجتمع عامة مشايخهم الذين في البلد، والفقراء، والمولهون منهم، وهم عدد كثير، والناس يضجون في الميدان، ويتكلمون بأشياء لا أضبطها؛ فذكر بعض الحاضرين أن الناس قالوا ما مضمونه: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأعراف]»[٥].

إلى أن قال مبيِّناً ظهور تلبيسهم، وانكشاف أمرهم: «فلما ظهر للحاضرين عجزهم، وكذبُهم، وتلبيسُهم، وتبين للأمراء الذين كانوا يشدون منهم أنهم مبطلون ـ رجعوا، وتخاطب الحاج بهادر ونائب السلطان، وغيرهما بصورة الحال، وعرفوا حقيقة المحال، وقمنا إلى داخل ودخلنا»[٦].

وهكذا انتهت تلك المناظرة العظيمة التي غلب فيها ابن تيمية تلك الطائفة، وأظهر زيفها، وأبان للخاصة والعامة بطلانها.

ثم كان ما كان بعد هذه المناظرة من توابعها، وذيولها، وهو ما سيتبين في المسألة التالية.

---

(١) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٣١، وانظر: البداية والنهاية ١٨/٥١ ـ ٥٢.
(٢) انظر: مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٣١.
(٣) هكذا في مجموع الفتاوى ١١/٤٦٧، وفي المناظرة: (إظهاره).
(٤) انظر: مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٣١.
(٥) المرجع السابق ص٣١ ـ ٣٢.
(٦) المرجع السابق ص٣٢.

المسألة الرابعة: دعوتهم للتوبة، وإقبالهم عليها

وبعد أن تمت الغلبة لابن تيمية على أتباع الطائفة الرفاعية ـ طلبوا التوبة عما مضى، فسأل الأمير أبنَ تيمية عما يطلب منهم؛ فأوضح ابنُ تيمية أن توبتهم تكون من أمور عدة، ويأتي على رأسها ما يلي:

○ **أولاً: التزام الكتاب والسُّنَّة: قال ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ في بداية جوابه للأمير عندما سأله عما يطلب منهم، **قال:** «**متابعة الكتاب والسُّنَّة**، مثل أن يُعْتقد أنه لا يجب عليه اتباعهما، وأنه يسوغ لأحد الخروج عن حكمهما، ونحو ذلك من وجوه الخروج عن الكتاب والسُّنَّة التي توجب الكفر، وقد توجب القتل دون الكفر، وقد توجب قتال الطائفة الممتنعة دون قتل الواحد المقدور عليه.

فقالوا: نحن ملتزمون الكتاب والسُّنَّة، أتنكر علينا غير الأطواق؟ نحن نخلعها.

فقلت: الأطواق وغير الأطواق؛ ليس المقصود شيئاً معيناً، وإنما المقصود أن يكون جميع المسلمين تحت طاعة الله ورسوله ﷺ»[1].

ثم **انتقل** الحوار مرة أخرى مع الأمير؛ فسأل ابن تيمية قائلاً: فأي شيء الذي يلزمهم من الكتاب والسُّنَّة؟

فأجابه ابنُ تيمية قائلاً: **حكم الكتاب والسُّنَّة** كثير، ولا يمكن ذكره في هذا المجلس.

ولكن المقصود: أن **يلتزموا هذا التزاماً تامّاً**، ومن خرج عنه ضُرِبت عنقه.

وكان مقصود ابن تيمية: أن يكون حُكْماً عامّاً في حق جميع الناس؛ فإن هذا مشهد عام مشهور، وقد توفرت الهمم عليه؛ فيتقرر عند جميع الناس أن من خرج عن الكتاب والسُّنَّة ضربت عنقه[2].

○ **ثانياً: العناية بإقامة الصلوات الخمس على الوجه المشروع:** فقد ذكر ابن تيمية أموراً يجب عليهم أن يتوبوا منها، وعلى رأسها **الصلاة، فقال:** «ومن ذلك: الصلوات الخمس في مواقيتها كما أمر الله ورسوله؛ فإن من هؤلاء من لا يصلي، ومنهم من يتكلم في صلاته، حتى إنهم بالأمس بعد أن اشتكوا عليَّ في عصر الجمعة جعل أحدهم يقول في صلب الصلاة: (يا سيدي أحمد شيء لله).

وهذا ـ مع أنه مبطل للصلاة ـ فهو شرك بالله، ودعاءٌ لغيره في حال مناجاته

---

(١) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٣٢، وانظر: البداية والنهاية ١٨/ ٥٢.

(٢) انظر: مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٣٢ ـ ٣٣، وانظر: البداية والنهاية ١٨/ ٥٢.

التي أمرنا أن نقول فيها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة]»[١].

ثم بيَّن أن شيخهم أَمَرَ فاعلَ ذلك ـ لما أنكر عليه المسلمون ـ بالاستغفار على عادتهم في صغائر الذنوب، ولم يأمره بإعادة الصلاة.

كما أنكر عليهم أنهم يصيحون في الصلاة صياحاً عظيماً، وأن هذا منكر يبطل الصلاة.

فقيل له: هذا يغلب على أحدكم كما يغلب العطاس.

فقال: العطاس من الله، والله يحب العطاس، ويكره التثاؤب، ولا يملك أحدٌ دفْعَه[٢].

وأما هذا الصياح فهو من الشيطان، وهو باختيارهم، وتكلفهم، ويقدرون على دفعه.

ثم ذكر أنه قد بلغه عنهم منكرات أخرى تقع منهم في الصلاة، وأنهم يرتكبون فيها من الأعمال والأقوال ما لا تفعله اليهود والنصارى، مثل قول أحدهم: أنا على بطن امرأة الإمام، ونحو ذلك من الأقوال الخبيثة، وأنهم إذا أنكر عليهم المُنْكِرُ ترك الصلاة يصلونها بالنوبة[٣].

ويوضح ابن تيمية أنهم ـ كذلك ـ متولون للشياطين، وليسوا مغلوبين على ذلك كما يغلب الرجل في بعض الأوقات على صيحة، أو بكاء في الصلاة، أو غيرها[٤].

○ **ثالثاً: ترك الأصوات والحركات الشيطانية: يقول ابن تيمية** ﵀ بعد أن أمرهم بمتابعة الكتاب والسُّنَّة: «فلما أظهروا التزام الكتاب والسُّنَّة، وجموعهم بالميدان **بأصواتهم وحركاتهم الشيطانية يظهرون أحوالهم ـ قلت لهم**: أهذا موافق للكتاب والسُّنَّة؟

فقال[٥]: هذا من الله حالٌ يَرِدُ عليهم.

---

(١) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٣٣.

(٢) يشير إلى ما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب؛ فإذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم أن يُشمِّته. وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان؛ فليردَّه ما استطاع؛ فإذا قال: ها، ضحك منه الشيطان**». رواه البخاري (٥٨٦٩).

(٣) لعله يعني: أنهم يتناوبون على الصلاة، لا يصليها جميعَها كلُّ واحدٍ منهم.

(٤) انظر: مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٣٣.

(٥) يعني: شيخهم.

فقلت: هذا من الشيطان الرجيم لم يأمر به الله، ولا رسوله ﷺ ولا أحبه الله، ولا رسوله.

فقال: ما في السمٰوات والأرض حركةٌ، ولا كذا ولا كذا إلا بمشيئة الله وإرادته.

فقلت له: هذا من باب القضاء والقدر، وهكذا كل ما في العالم من كفر، وفسوق، وعصيان هو بمشيئة الله وإرادته، وليس ذلك بحجة لأحد في فعله؛ بل ذلك مما زيَّنه الشيطان، وسخطه الرحمٰن»[1].

ثم **انتقل** الكلام على كيفية إبطال تلك الأحوال، وطريقة تركها.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال: فبأي شيء تبطل تلك الأحوال؟

فقلت: بهذه السياط الشرعية؛ فأعجب الأمير، وضحك، وقال: إي والله! بالسياط الشرعية تبطل الأحوال الشيطانية، كما قد جرى مثل ذلك لغير واحد، ومن لم يُجب إلى الدين بالسياط الشرعية فبالسيوف المحمدية.

وأمسكت سيف الأمير، وقلت: هذا نائب رسول الله ﷺ فمن خرج عن كتاب الله، وسُنَّة رسوله ضربناه بسيف الله، وأعاد الأمير هذا الكلام»[2].

إلى ان قال رَحِمَهُ اللَّهُ مبيِّناً شيئاً من تلبيسهم وشبههم، ومُفَنِّداً لها، **قال:** «وأخذ بعضهم يقول: فاليهود والنصارى يُقَرّون ولا نُقَرّ؟

فقلت: اليهود والنصارى يُقَرُّون بالجزية على دينهم المكتوم في دورهم، والمبتدع لا يُقَرُّ على بدعته؛ فأفحموا لذلك»[3].

ثم **قرر** أن من أظهر منكراً في دين الإسلام لا يُقَرُّ سواء من أظهر بدعةً، أو فجوراً، أو كان من أهل الذمة؛ فإنهم لا يُقَرُّون على منكرات دينهم.

فهذه أهم المطالب التي طالبهم ابن تيمية بها؛ كي تتحقق توبتهم.

ثم **تطرق** في نهاية ذلك المجلس إلى ذم البدعة، والمبتدعة، وساق الآثار الواردة في ذلك من الكتاب، والسُّنَّة، وأقوال السلف الصالح بكلام يطول[4].

وبعد أن قرر ذلك، وبسط القول فيه **قال** في خاتمة كلامه: «فلما ظهر قبحُ

---

(١) يعني: شيخهم.

(٢) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٣٤.

(٣) المرجع السابق ص٣٥.

(٤) انظر: المرجع السابق ص٣٥ ـ ٣٧.

البدع في الإسلام، وأنها أظلم من الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وأنهم[١] مبتدعون بدعة منكرة؛ فيكون حالهم أسوأ من حال الزاني، والسارق، وشارب الخمر ـ أخذ شيخهم[٢] عبد الله يقول: يا مولانا! لا تتعرض لهذا الجناب العزيز ـ يعني: أتباع أحمد بن الرفاعي ـ.

فقلت منكراً بقول غليظ: ويحك! أي شيء هو الجناب العزيز، وجناب من خالفه أولى بالعزة يا ذو الزرجنة[٣]؛ تريدون أن تبطلوا دين الله ورسوله؟!»[٤].

ثم بيَّن تهديد ذلك الشيخ له، وردّه عليه، **بقوله:** «قال[٥]: يا مولانا! يحرقك الفقراء بقلوبهم.

فقلت: مثل ما أحرقني الرافضة لما قَصَدْتُ الصعود إليهم، وصار جميع الناس يخوفني منهم، ومن شرهم، ويقول أصحابهم: إن لهم سرّاً مع الله؛ فنصر الله، وأعان عليهم»[٦].

إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: «وكان الأمراء الحاضرون قد عرفوا بركة ما يسَّره الله في أمر غزو الرافضة بالجبل[٧].

وقلت لهم: يا شبه الرافضة! يا بيت الكذب؛ فإن فيهم[٨] من الغلو، والشرك، والمروق عن الشريعة ما شاركوا به الرافضة في ذلك، أو يساوونهم، أو يزيدون عليهم؛ فإنهم أكذب الطوائف حتى قيل فيهم: لا تقولوا: أكذب من اليهود على الله، ولكن قولوا: أكذب من الأحمدية على شيخهم»[٩].

ثم ختم تلك المناظرة العظيمة بكلمة عظيمة، أعلن فيها براءته من تلك الطائفة، وتوكله على الله ﷻ مقتدياً بأنبياء الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مُعيناً مَنْ صدق من هؤلاء

---

(١) يعني: هذه الطائفة.
(٢) هكذا في مجموع الفتاوى ١١/ ٤٧٤، وفي المناظرة ص٣٨: (شيخه).
(٣) الزرجنة: كلمة تطلق على الخديعة، والتخارج، ونحوها. انظر: القاموس ص١٥٥٣.
(٤) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٣٨.
(٥) القائل: شيخ الطائفة.
(٦) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٣٨.
(٧) ذكر هذه القصة الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية في أحداث محرم سنة خمس وسبعمائة هجري، انظر: ١٨/ ٥٠.
(٨) يعني: البطائحية الرفاعية.
(٩) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٣٩ ـ ٤٠.

وأقبل على التوبة، حيث **قال**: «وقلت لهم: أنا كافر بكم، وبأحوالكم ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥﴾ [هود].

ولما رَدَدْت عليهم الأحاديث المكذوبة أخذوا يطلبون مني كتباً؛ ليهتدوا بها؛ فبذلت لهم ذلك، وأعيد الكلام أنه من خرج عن الكتاب والسُّنَّة ضُربت عنقه، وأعاد الأمير هذا الكلام، واستقر الكلام على ذلك.

والحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»[1].

وهكذا تنتهي هذه المناظرة العظيمة التي دارت رحاها بين ابن تيمية، والطائفة الرفاعية الأحمدية البطائحية؛ فأبطل من خلالها أحوالهم، وتلبيساتهم، ودعاهم إلى الهدى ودين الحق.

وبهذا المطلب الذي دار حول مواجهة ابن تيمية المباشرة لأصحاب الأحوال الشيطانية ينتهي هذا الباب الذي دار حول موقف ابن تيمية من الأحوال الشيطانية والمتلبسين بها.



---

(١) مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص٤١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

ففي خاتمة البحث هذا ملخص لأهم ما ورد فيه من النتائج، وذكر لبعض التوصيات:

١ ـ مصطلح **خوارق العادات** من حيث تركيبه يفيد معنى خاصاً.

ويمكن أن يُعَرَّف هذا المصطلح بأنه: **ما كان خارجاً عن قوانين الطبيعة، وخواص المادة، وعارياً عن الأسباب المعقولة المعتادة في الكون.**

٢ ـ **مصطلح خوارق العادات** يشمل: معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء، والأحوال الشيطانية.

٣ ـ لشيخ الإسلام ابن تيمية عناية بالغة في موضع خوارق العادات، وما يندرج تحته من المعجزات، والكرامات، والأحوال الشيطانية.

٤ ـ يرى ابن تيمية أن مصطلح **المعجزات** مصطلح حادث، وأن الشرع لم يرد به من جهة إطلاقه على ما **اصطُلح** عليه من كونه مرادفاً للآية والبرهان، وأن هذا المصطلح لما غلب صار كالعرف في مجرى كلام السلف؛ فشاع التعبير به أكثر من التعبير بالآية والبرهان؛ فلا مشاحة عنده في هذا الاصطلاح بعد أن شاع.

٥ ـ من خلال النظر في آرائه حول **المعجزات** يمكن أن يقال: إنه يشترط لتعريفها شروطاً يمكن إجمالها بـ:

أ ـ أن تكون من فعل الله، وإقداره، ومحض اختياره.

ب ـ أن تكون مختصة بالأنبياء، وإن كانت معتادة لهم.

ج ـ أن تكون خارقة لعادة الثقلين من غير الأنبياء.

د ـ سلامتها من المعارضة.

هـ ـ جريانها على مقتضى حكمته، وعدله، ورحمته.

٦ ـ وبناءً على ما مضى يمكن أن يقال: إن تعريف ابن تيمية للمعجزات هو

أنها: **أمر يجريه الله ـ تعالى ـ خارق لعادة الثقلين، مختص بالأنبياء، سالم من المعارضة.**

٧ ـ من خلال التتبع لآثار ابن تيمية يلاحظ أنه في غضون كلامه على مصطلح **(معجزات الأنبياء)** يستعمل أسماءً أخرى مرادفة لذلك، وأشهر أسماء هذا المصطلح وألقابه عند ابن تيمية: آيات الأنبياء، ومعجزات الأنبياء، والمعجزة، والمعجزات، ومعجزات المرسلين، والآية، والبينة، والبرهان.

٨ ـ من التسميات النادرة لهذا المصطلح عنده: الآيات المعجزات، والآيات الكبرى أو الكبيرة، آية النبي، الآيات الخارقة، كرامات الأنبياء.

٩ ـ لقد عني ابن تيمية **بمعجزات الأنبياء** أيما عناية؛ فكان ما حرره في ذلك الشأن تنقيحاً للمناهج التي تسلك في إثبات النبوة، وتمييزاً لما يصلح أن يكون دليلاً وما لا يصلح، وتوضيحاً للطرائق الصحيحة في الاستدلال المنطلق من النقل الصحيح، والعقل الصريح.

١٠ ـ منهج ابن تيمية في **معجزات الأنبياء** يدور حول عدة مسائل يبدي حولها كثيراً ويعيد؛ ردًّا، ومناقشةً، وضربَ أمثلةٍ، وتنظيراً، وتقريراً.

١١ ـ عناية ابن تيمية بباب **المعجزات المحمدية** لا تكاد تضارع من حيث كثرةُ مادتها، وتنوعها، وعمق دلالتها، والغوص في أسرارها، وتنقيح مناهج المتكلمين فيها، والمؤلفين في شأنها.

١٢ ـ يرى ابن تيمية أن **معجزات النبي** محمد ﷺ تفوق معجزات باقي الأنبياء من حيث تنوعها، وكثرتها، وتواترها، وكون صاحبها خاتم الأنبياء وأقربهم عهداً، وكونُه رسولَ اللهِ إلى الناس جميعاً.

١٣ ـ عُني ابن تيمية بتقسيم **المعجزات المحمدية**، وبيان الطرق التي تثبت بها.

١٤ ـ عني ابن تيمية بتفسير **النبوءات** الواردة في الكتب السابقة المبشرة بنبوة محمد ﷺ.

١٥ ـ أولى ابن تيمية شرح **المعجزات المحمدية** عناية بالغة، وصرف جانباً عظيماً من دراسته للمعجزات لهذا الغرض.

١٦ ـ كان لابن تيمية موقف من المخالفين في المعجزات، وعلى رأس هؤلاء: الفلاسفةُ، والمعتزلةُ، والأشاعرةُ، ومن وافقهم.

١٧ - أولى ابن تيمية موضوع **كرامات الأولياء** اهتماماً بالغاً، وكان له منهج متميز في دراستها.

وقد تناول من خلال ذلك المنهج: مسائل عدة أبدى فيها، وأعاد.

١٨ - الباحث في آثار ابن تيمية لا يمكنه الوقوف على تعريف محدد له لمصطلح (**كرامات الأولياء**) باعتبار تركيبه.

وإنما يمكنه أن يستخلص ذلك من مجموع آرائه، وأقواله حول **الكرامات**، ونقده للمخالفين في حدها.

١٩ - من خلال النظر في آثار ابن تيمية، وأقواله في موضوع **الكرامات** يمكن استنباط الشروط والقيود التي يرى أنها لا بد من اجتماعها في **الكرامة**، ويمكن إجمالها فيما يلي:

أ - كونها من فعل الله وإقداره.

ب - جريانها لوليٍّ لله؛ لحجة أو حاجة.

ج - كونها خارقة لعادة غير الأولياء وإن كانت معتادة لهم وللأنبياء من باب أولى.

د - سلامتها من المعارضة بمثلها أو أقوى منها.

٢٠ - وبناءً على ذلك يمكن أن يقال: إن تعريف **كرامات الأولياء** عند ابن تيمية هو أنها: **أمرٌ يجريه الله؛ لحجة أو حاجة، مختص بأوليائه، خارق لعادة غيرهم، سالم من المعارضة بمثله، أو أقوى منه.**

٢١ - لمصطلح **كرامات الأولياء** عند ابن تيمية ألقاب وأسماء ترادفه، سواء كانت مختصة بها، أو مشتركة مع بقية الخوارق في التسمية.

ومن أشهرها: الكرامات، والكرامة، وكرامات الصالحين، وآيات الصالحين، وخوارق المقربين السابقين، وغيرها.

٢٢ - لقد عني ابن تيمية بشأن التفريق بين **المعجزة والكرامة** أيما عناية؛ لإدراكه أهمية ذلك، ولعلمه بما يترتب على الخلط بينهما من الضلال البعيد.

٢٣ - يرى أن بين **المعجزات والكرامات** فروقاً كثيرة جلية تميز كل واحدةٍ منهما عن الأخرى.

٢٤ - من خلال تتبع كلام ابن تيمية حول قبول الكرامة يتبين أنه يشترط لقبولها شروطاً تنحصر في ثلاثة، وهي:

أ ـ موافقة الكرامة للشرع.

ب ـ حصول الإكرام فيها.

ج ـ صحة وقوعها.

٢٥ ـ تطرق ابن تيمية لمسائل عدة تتعلق **بالكرامات**، وأهم تلك المسائل: أن الإيمان بالكرامات من أصول الاعتقاد، وأن وقوعَها لحجة أو حاجة، وأن حصولها لا يقتضي العصمة والتفضيل، وأن عدمها لا يقدح في الولاية، وأن أعظم الكرامة لزوم الاستقامة، وأن كرامات الأولياء معجزات لأنبيائهم.

٢٦ ـ لابن تيمية موقف من المخالفين في شأن **الكرامات**؛ من ناحية عرض أقوالهم، ومناقشتها، وبيان وجه مخالفتها.

٢٧ ـ يرى أن المخالفين في **الكرامات** ما بين جَافٍ عنها، أو غالٍ فيها؛ لذا كان له موقف من منكريها وهم المعتزلة ومن وافقهم، والمسويين بينها وبين **المعجزات** وهم الأشاعرة ومن وافقهم.

كما كان له موقف من الغالين في إثباتها، وهم الصوفية، والشيعة.

٢٨ ـ لمصطلح **الأحوال الشيطانية** باعتبار تَكوُّنه من هاتين الكلمتين مفهوم عند ابن تيمية، يؤخذ من مجموع آرائه وأقواله في ذلك الشأن.

ويمكن أن يقال: إن تعريفها عند ابن تيمية هو أنها: **أمور مخالفة للشرع، خارقة لعادة غير أهلها، ويمكن معارضتها بمثلها، أو أقوى منها.**

٢٩ ـ لمصطلح **الأحوال الشيطانية** عند ابن تيمية أسماء ترادفه، وتدل عليه، ويُعبَّر بها عنه.

ومنها: أحوال الشيطان، والحال الشيطاني، وأحوال السحرة والكهان، والخوارق الشيطانية، وخوارق السحرة والكهان، وخوارق الجن، وخوارق الكفار والفجار، والتلبيسات الشيطانية، ونحوها.

٣٠ ـ اهتم ابن تيمية بالتفريق بين **الأحوال الشيطانية وبقية الخوارق**؛ فهو يرى أن ذلك أشرف العلوم، وأن أكثر أهل الكلام خلَّطوا فيه تخليطاً كثيراً.

٣١ ـ فَرَّقَ ابن تيمية بين **الأحوال الشيطانية والمعجزات والكرامات** بفروق كثيرة يتبين من خلالها ما بينهما من التمايز والاختلاف بما لا يحصل فيه لبس لمن له أدنى نظر.

٣٢ ـ تطرق ابن تيمية لأسباب ظهور **الأحوال الشيطانية**، ويمكن إرجاعها عنده

إلى التفريط بالعلم والعمل، والاستغاثة والاستعانة بغير الله، وإيثار العزلة والوَحْدة، وحضور مجالس الباطل وللهو والسماع البدعي؛ فهذه الأمور وما يندرج تحتها هي أسباب ظهور الأحوال الشيطانية عنده.

٣٣ ـ لابن تيمية موقف من المتلبسين **بالأحوال الشيطانية**، ويتجلى ذلك من خلال بيانه لأصنافهم، وما يحصل لهم من آثارها.

٣٤ ـ كان لابن تيمية موقف من أصحاب **الأحوال الشيطانية** من جهة إبطاله لما هم عليه بالحجة، والمواجهة المباشرة بالتحدي والمناظرة.

فهذه خلاصة ما احتوى عليه هذا البحث، وأهم النتائج من خلاله.

وفي ختام هذا البحث أرى أن هناك موضوعاً يتعلق به، وهو جدير بالدراسة، ألا وهو: **الأحوال الشيطانية المعاصرة، دراسة تطبيقية تأصيلية.**

وذلك لكثرة تلك الأحوال، واختلافها، ومدى الحاجة إلى تمييز بعضها عن بعض، وإعطاء كلٍّ منهما حكم الله الخاص به.

كما أرى أن هناك موضوعات جديرة بالدراسة حول ابن تيمية، ومنها:

١ ـ منهج ابن تيمية في دراسة الكتب العقدية وتقويمها.

٢ ـ منهج ابن تيمية في الحكم على المخالفين في العقيدة.

٣ ـ التلازم بين العقيدة والشريعة عند ابن تيمية.

وختاماً: أسأل الله ـ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ـ أن أكون قد وفقت في إخراج هذا البحث إلى ما أصبو إليه، من إيضاح **موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من خوارق العادات والمخالفين فيها**.

كما أسأله ﷻ أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع قريب، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وسلام على المرسلين، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس قوافي الأشعار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس البلدان.
- فهرس الفرق والطوائف.
- فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة.
- فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس قوافي الأشعار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس البلدان

فهرس الفرق والطوائف

فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة

فهرس المصادر والمراجع

(أ)

١ ـ **آثار البلاد، وأخبار العباد**، لزكريا القزويني، بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ.

٢ ـ **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع**، للإمام الشاطبي، تأليف: الإمام عبد الرحمٰن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة، تحقيق، وتقديم، وضبط: إبراهيم عطوه عوض، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

٣ ـ **ابن تيمية**، لعبد العزيز المراغي، دار إحياء الكتاب العربي، حقَّقه: عيسى البابي الحلبي، وشركاه، مصر.

٤ ـ **ابن تيمية**، د. محمد يوسف موسى، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت.

٥ ـ **ابن سينا بين الدين والفلسفة**، حمود غرابة، القاهرة، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

٦ ـ **أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة**، د. عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن الحسن، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

٧ ـ **الأجوبة الفاخرة**، للقرافي، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٨ ـ **إحصاء العلوم**، للفارابي، قدَّم له وشرحه وبوَّبه: علي بو ملحم، دار مكتبة الهلال، ط١، ١٩٩٦م.

٩ ـ **أحكام القرآن**، لابن العربي، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٠ ـ **أحكام القرآن**، لأبي بكر الجصاص، ضبط نصه: عبد السلام محمد علي شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١١ ـ **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد الغزالي، دار القلم، بيروت.

١٢ ـ **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٣ ـ **الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة**، لابن قتيبة، قدَّم له وعلَّق عليه: عمر محمد أبو عمر، دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

١٤ ـ **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، تأليف: إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني، تحقيق: أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٥ - **إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على علم التوحيد والمعاد والنبوات**، للشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٦ - **أساس البلاغة**، للزمخشري، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

١٧ - **الاستقامة**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، توزيع مكتبة السُّنَّة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ.

١٨ - **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لابن الأثير، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم البنّا، ومحمد أحمد عاشور، ومحمد عبد الوهاب فايد، الشعب.

١٩ - **أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية**، تأليف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: د .صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٠ - **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، لإحسان إلهي ظهير، دار ترجمان السُّنَّة، لاهور، باكستان، طباعة دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢١ - **الإشارات والتنبيهات**، لابن سينا، تحقيق: د. سليمان دنيا، المعارف، القاهرة، ١٩٥٧ - ١٩٦٠م.

٢٢ - **الأشاعرة**، عرض ونقد، د. سفر الحوالي، كتاب البيان، ١٤٣٠هـ.

٢٣ - **الاشتقاق**، لعبد الله أمين، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م.

٢٤ - **الاشتقاق والتعريب**، للشيخ عبد القادر المغربي، ط٢، القاهرة، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.

٢٥ - **الإصابة في تمييز الصحابة**، لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٦ - **الأصنام**، لهشام بن محمد بن السائب الكلبي، تحقيق: د. محمد عبد القادر أحمد، وأحمد محمد عبيد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٢٧ - **أصول الدين**، للبغدادي، طبعة مصورة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.

٢٨ - **أصول الدين - وهو الكتاب المسمى معالم أصول الدين -**، للفخر الرازي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢٩ - **أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية**، عرض ونقد: د. ناصر القفاري، ط١، ١٤١٤هـ.

٣٠ - **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، طبع على نفقة الأمير أحمد بن عبد العزيز.

٣١ - **الأطوار العقدية في المذهب الأشعري**، د. عبد الله بن دجين السهلي، دار كنوز إشبيلياء، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٣٢ ـ **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، للفخر الرازي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
٣٣ ـ **إعجاز القرآن**، لأبي بكر الباقلاني، دار إحياء العلوم، بيروت، قدَّم له وشرحه وعلَّق عليه: الشيخ محمد شريف سكر، ط٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
٣٤ ـ **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، لمصطفى صادق الرافعي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٧، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.
٣٥ ـ **الأعلام**، لخير الدين الزركلي، ط٢، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.
٣٦ ـ **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن دين الإسلام، وإثبات نبوة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ**، للقرطبي، تقديم ودراسة وتعليق: د .أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي.
٣٧ ـ **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**، للخطابي، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الله آل سعود، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
٣٨ ـ **الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية**، للحافظ عمر بن علي البزار، حقَّقه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٦هـ.
٣٩ ـ **أعلام النبوة**، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، قدَّم له وشرحه وعلَّق عليه: محمد شريف سُكَّر، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٤٠ ـ **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة الساعي، الرياض، ١٩٨٩م.
٤١ ـ **أعيان العصر وأعوان النصر**، لخليل بن آيبك الصفدي، ضمن الرسائل الموجودة في كتاب الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، خلال سبعة قرون، جمعه ووضع فهارسه: محمد عُزير شمس، وعلي العمران، إشراف وتقديم: د. بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٢هـ.
٤٢ ـ **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، لابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد كيلاني، طبعة الحلبي، مصر، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.
٤٣ ـ **إفحام اليهود، وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ**، للإمام المهتدي السموأل بن يحيى المغربي، تقديم وتحقيق وتعليق: د. محمد بن عبد الله الشرقاوي، دار الهداية، مدينة نصر، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٤٤ ـ **الإقناع لطالب الانتفاع**، لشرف الدين أبو النجا الحجاوي، تحقيق: د. عبد الله التركي، مركز البحوث والدراسات العربية الإسلامية بدار هجر، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٤٥ ـ **الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف**، للأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: د. عبد الرزاق البدر، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٢١هـ.

٤٦ ـ **الإنصاف فيما يجب اعتقاده، ولا يجوز الجهل به**، للقاضي أبي بكر بن الباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٤٧ ـ **إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة**، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، حقَّقه وعلَّق عليه: محمد صبحي بن حسن حلّاق، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(ب)

٤٨ ـ **باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي نقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلٰهيات**، تأليف: د. محمد خليل هراس، المطبعة اليوسفية بطنطا، ط١، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م.

٤٩ ـ **الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة العلوية النصيرية**، لسليمان أفندي الأذني، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٥٠ ـ **البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح**، للشيخ زيادة بن يحيى الراسي، تحقيق: د. سعود بن عبد العزيز الخلف، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عمادة البحث العلمي، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٥١ ـ **بدائع الفوائد**، لابن القيم، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط٤، ١٤٣٧هـ.

٥٢ ـ **البداية والنهاية**، لابن كثير، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٥٣ ـ **البرهان في معرفة عقائد أهل الإيمان**، لأبي الفضل عباس بن منصور التريمي السكسكي، تحقيق: د. بسام العموش، مكتبة المنار.

٥٤ ـ **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، لمجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.

٥٥ ـ **بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ في نصوص كتب العهدين، ردٌّ على شبه المنصرين والمستشرقين، وهو القسم الثاني لكتاب المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمه الله، والقسيس الدكتور فندر**، تأليف: محمد أحمد ملكاوي، مطابع الفرزدق التجارية، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٥٦ ـ **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. موسى بن سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٠٨هـ.

٥٧ ـ **بلاغة القرآن**، للشيخ محمد الخضر حسين، إعداد وضبط: علي الرضا الحسيني، دار الحسينية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٥٨ ـ **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، لابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط١، ١٤٢٦هـ.

٥٩ ـ **البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات**، لأبي بكر الباقلاني، عني بتصحيحه ونشره: الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٥٨م، منشورات جامعة الحكمة في بغداد.

(ت)

٦٠ ـ **تاج العربية**، للجوهري، تحقيق: د. إميل يعقوب، ود. محمد نبيل طريفي، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٦١ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**، للسيد المرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الكريم العرباوي، راجعه: السيد أحمد فراج، ط٢، مصورة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، مطبعة حكومة الكويت.

٦٢ ـ **تاريخ الأديان، دراسة وصفية**، محمد خليفة حسن.

٦٣ ـ **تاريخ الحكماء، مختصر الزوزني، لكتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، للقفطي، مكتبة المثنى، بغداد.

٦٤ ـ **تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، لمصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٩م.

٦٥ ـ **تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف بمصر.

٦٦ ـ **تاريخ الطبري المسمى تاريخ الأمم والملوك**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٦٧ ـ **تاريخ العالم**، السير جون أ. هامرتن، مكتبة النهضة المصرية.

٦٨ ـ **تاريخ العلويين**، لمحمد أمين غالب الطويل، دار الأندلس، ط١، بيروت.

٦٩ ـ **تاريخ الفلسفة الإسلامية**، لهنري كوربان، ترجمة: نصير مروة، وحسن قبيسي، منشورات عويدات، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

٧٠ ـ **تاريخ القدس**، د. شفيق جاسر أحمد محمود، ط١، ١٤٠٤هـ، دار البشير للنشر والتوزيع.

٧١ ـ **تأويل مختلف الحديث**، لابن قتيبة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ.

٧٢ ـ **تاريخ مدينة السلام**، للخطيب البغدادي، حقَّقه وضبط نصه وعلَّق عليه: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٧٣ ـ **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة**، لأبي المظفر الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٧٤ ـ **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الشعري**، لابن عساكر، ط. القدسي، دمشق، ١٣٤٧هـ.

٧٥ ـ **تثبيت دلائل النبوة**، للقاضي عبد الجبار الهمذاني، حقَّقه وقدَّم له: د. عبد الكريم عثمان، دار العربية، بيروت، لبنان.

٧٦ ـ **تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين**، للشوكاني، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، وأولاده بمصر، ط٣، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٧٧ ـ **التحفة العراقية في الأعمال القلبية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، حقَّقه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه: د. يحيى بن محمد الهنيدي، مكتبة الرشد، الرياض ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٧٨ ـ **تخجيل من حرف التوراة والإنجيل**، صالح بن الحسين الجعفري، دراسة وتحقيق: محمود بن عبد الرحمٰن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٨م.

٧٩ ـ **تذكرة الحفاظ**، للذهبي، تصحيح: عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٠ ـ **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**، للقرطبي، دار الفكر، لبنان، بيروت.

٨١ ـ **التصوف: المنشأ والمصادر**، تأليف: إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السُّنَّة، لاهور، باكستان، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٨٢ ـ **التصوف في ميزان البحث والتحقيق والرد على ابن عربي الصوفي في ضوء الكتاب والسُّنَّة**، لعبد القادر بن حبيب الله السندي، مكتبة ابن القيم، المدينة النبوية، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٨٣ ـ **التعريفات**، للشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٨٤ ـ **تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد في طائفة من كتب في التفسير فيها القول الصواب؛ بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن محمد الخليفة، مكتبة الرشد الرياض، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٨٥ ـ **تفسير التحرير والتنوير**، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

٨٦ ـ **تفسير الطبري**، حقَّقه وعلَّق حواشيه: محمود محمد شاكر، راجعه وخرَّج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر.

٨٧ ـ **تفسير عبد الرزاق**، دراسة وتحقيق: د. محمد محمود عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٨٨ ـ **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، كتب هوامشه: حسين بن إبراهيم زهران، دار الفكر، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٨٩ ـ **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، للفخر الرازي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

٩٠ ـ **تقريب التهذيب**، لابن حجر، قدَّم له وقابله بأصل مؤلفه: محمد عَوَّامة، دار الرشيد، سوريا، حلب، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٩١ ـ **تلبيس إبليس**، لابن الجوزي، دراسة وتحقيق: د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٩٢ ـ **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، للباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٩٣ ـ **تنقيح الأبحاث للملل الثلاث**، تأليف: عز الدولة سعد بن منصور بن كمونة، قدَّم له وعلَّق عليه: سعيد الغانمي، بغداد، بيروت، دار الجمل، ٢٠١٣م.

٩٤ ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، للحافظ جمال الدين أبي الحجاج المزي، حقَّقه وضبط نصه وعلَّق عليه: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٩٥ ـ **تهذيب التهذيب**، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، ط١، ١٣٢٧هـ، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدرآباد.

٩٦ ـ **تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد**، للشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، ط٣، المكتب الإسلامي.

(ث)

٩٧ ـ **ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً، والمعجزات والكرامات**، لابن تيمية، تحقيق: د. محمد يسري سلامة، دار ابن الجوزي، القاهرة ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م.

(ج)

٩٨ ـ **جامع الرسائل**، لابن تيمية، د. محمد رشاد سالم، مطبعة المدني، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

٩٩ ـ **جامع العلوم والحكم**، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

١٠٠ ـ **الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون**، جمعه ووضع فهارسه: محمد عُزير شمس، وعلي العمران، إشراف وتقديم: د. بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٢هـ.

١٠١ ـ **جامع المسائل**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المجموعة الأولى، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٠٢ ـ **جامع المسائل**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المجموعة الخامسة، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٠٣ ـ **جامع المسائل**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المجموعة التاسعة، تحقيق: عبد الرحمٰن بن حسن قائد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٧هـ.

١٠٤ ـ **جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام**، لابن قيم الجوزية، تحقيق: رائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٣٧هـ.

١٠٥ ـ **جمال القراء وكمال الإقراء**، لعلم الدين السخاوي، تحقيق: د. علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

١٠٦ ـ **جمهرة الأمثال**، لأبي هلال العسكري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، حقَّقه وعلَّق حواشيه: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٠٧ ـ **جهود الإمام ابن القيم الجوزية في تقرير توحيد الأسماء والصفات**، د. وليد العلي، دار البشائر الإسلامية، لبنان، ط٢، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

١٠٨ ـ **الجواب الصحيح**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق: د. علي بن حسن بن ناصر وصاحبيه، دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، النشرة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٠٩ ـ **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح وابن القيم في هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الريان، تقديم وتحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار المطبعة السلفية.

(ح)

١١٠ ـ **حاشية ابن عابدين ـ حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار**، ط٢، ١٣٨٦هـ، مصطفى البابي الحلبي.

١١١ ـ **حجة القراءات**، للإمام أبي زرعة عبد الرحمٰن بن محمد بن زنجلة، حقَّقه وعلَّق عليه: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١١٢ ـ **الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، عقائدها، وحكم الإسلام فيها**، د. محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى، عمَّان، الأردن، دار عالم الكتب، الرياض، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١١٣ ـ **حركات الغلو في الإسلام**، د. أحمد عبد القادر الشاذلي، الدار المصرية للكتاب.

١١٤ ـ **حقيقة مذهب الاتحاديين، أو وحدة الوجود، وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية**، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، أشرف على تصحيحه وعلَّق حواشيه: السيد محمد رشيد رضا، إدارة الترجمة والتأليف، فيصل آباد، باكستان.

١١٥ ـ **حياة الحيوان**، للدميري، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٥، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

١١٦ ـ **الحيوان**، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٤هـ.

(خ)

١١٧ ـ **الخرشي على مختصر سيدي خليل**، دار صادر، بيروت.

١١٨ ـ **خزانة الأدب، ولباب لسان العرب**، لعبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي.

١١٩ ـ **الخصائص**، لابن جني، تحقيق: محمد علي البجاوي، الكتاب العربي، بيروت.

١٢٠ ـ **الخصائص الكبرى، أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب**، للسيوطي، تحقيق: د. محمد خليل هراس، دار الكتب الحديثية، شارع الجمهورية بعابدين.

١٢١ ـ **الخطط المقريزية، المسمى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، للمقريزي، مصورة طبعة بولاق، دار صادر، بيروت.

١٢٢ ـ **خوارق العادات في القرآن الكريم**، لعبد الرحمٰن الحميضي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في مكة المكرمة التابعة لجامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٠هـ.

(د)

١٢٣ ـ **دائرة المعارف الحديثة**، أحمد عطية الله، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٥٣م.

١٢٤ ـ **درء تعارض العقل والنقل**، لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٢٥ ـ **الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية**، د. هادي أحمد فرحان الشجيري، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٢٦ ـ **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، للسيوطي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٢٧ ـ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، لابن حجر العسقلاني، حقّقه وقدّم له: محمد سيد جاد الحق، ط٢، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م، مطبعة المدني ودار الكتب الحديثة، مصر.

١٢٨ ـ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، لابن حجر العسقلاني، ط٢، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م، دار المعارف العثمانية، الهند.

١٢٩ ـ **الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم**، دراسة وتحقيق وتعليق: د. أحمد بن ناصر الحمد، ود. سعيد بن عبد الرحمٰن القرني، مكتبة التراث، مكة المكرمة، مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٣٠ ـ **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، وثَّق أصوله وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٣١ ـ **دلائل النبوة**، لأبي نعيم الأصبهاني، حقَّقه: د. محمد رواس قلعه جي، وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٣٢ ـ **دلالة المعجزة على صدق النبوة عند الأشاعرة دراسة نقدية**، د. عبد الله بن محمد القرني، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، ط١، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م، المملكة العربية السعودية، الخبر.

١٣٣ ـ **الديانات والعقائد**، لأحمد عبد الغفور عطار، ط١، ١٤٠١هـ، طبع بإشراف: دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت.

١٣٤ ـ **الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ**، تأليف: علي بن ربن الطبري، حقَّقه وقدَّم له: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

١٣٥ ـ **ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس**، شرح وتعليق: د. محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٤م.

١٣٦ ـ **ديوان أمية بن أبي الصلت**، جمع وتحقيق: د. عبد الحفيظ السلطي، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٧٤م.

١٣٧ ـ **ديوان حسان**، تحقيق: د. وليد عرفات، دار صادر، بيروت.

١٣٨ ـ **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

(ذ)

١٣٩ ـ **الذيل على الروضتين**، لأبي شامة المقدسي، عناية: محمد زاهد الكوثري، نشر: عزت العطار الحسيني، ط٢، ١٩٧٤م.

١٤٠ ـ **الذيل على طبقات الحنابلة**، لابن رجب الحنبلي، مطبعة السُّنَّة المحمدية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ١٩٥٣م.

١٤١ ـ **ذم ما عليه مدَّعو التصوف من الغناء والرقص والتواجد، وضرب الدف ورفع الأصوات المنكرة بما يسمونه ذكراً وتهليلاً بدعوى أنها من أنواع القرب إلى الله ـ تعالى ـ**، للموفق ابن قدامة، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(ر)

١٤٢ ـ **رحلة ابن جبير**، محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي، دار صادر، ودار بيروت، ١٣٨٤هـ.

١٤٣ ـ **رحلتي إلى القدس**، عبد الغني النابلسي، مصور عن مطبعة جريدة الإخلاص بمصر، ١٩٠٢م، مكتبة القاهرة.

١٤٤ ـ **الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنَّفه في آداب الطريق**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. علي العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٧٣هـ.

١٤٥ ـ **ردٌّ على شبه المنصرين والمستشرقين، وهو القسم الثاني لكتاب المناظرة الكبرى بين الشيخ** رَحِمَهُ اللَّهُ**، والقسيس الدكتور فندر**، تأليف: محمد أحمد ملكاوي، مطابع الفرزدق التجارية، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٤٦ ـ **الرد على المنطقيين**، لابن تيمية، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٤٧ ـ **الرسالة الصفدية قاعدة في تحقيق الرسالة وإبطال قول أهل الزيغ والضلالة**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق: أبو عبد الله سيد بن عباس الجليمي، وأبو معاذ أيمن بن عارف الدمشقي، أضواء السلف، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٤٨ ـ **رسالة في العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية**، لابن تيمية، علق عليها: محمد رشيد رضا، خرج أحاديثها: بدر بن عبد الله البدر، ط١، مكتبة ابن الجوزي، الأحساء، الدمام.

١٤٩ ـ **رسالة الفرقان بين الحق والباطل، في مجموعة الرسائل الكبرى**، المطبعة العامرة، الشرقية، بمصر، ط١، ١٣٢٣هـ.

١٥٠ ـ **الرسالة القشيرية**، لأبي القاسم القشيري، تحقيق: عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، مطبعة حسان.

١٥١ ـ **الرسل والرسالات**، د. عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٥٢ ـ **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية**، لابن هشام، للسهيلي، علَّق عليه ووضع حواشيه: مجدي بن سيد الشورى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٥٣ ـ **الروض الباسم في الذب عن سُنَّة أبي القاسم**، لابن الوزير اليماني، طبع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد في المملكة العربية السعودية، ١٤٠٢هـ.

١٥٤ ـ **الروضة البهية في ما بين الأشاعرة والماتريدية**، لأبي عذبة، حقَّقه: د. عبد الرحمٰن عميرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٩هـ.

(ز)

١٥٥ ـ **زاد المسير في علم التفسير**، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط٤، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٥٦ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، توزيع دار الريان للتراث، ط٥، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

(س)

١٥٧ ـ **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، توزيع مكتبة عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٥٨ ـ **السحر بين الحقيقة والخيال**، د. أحمد بن ناصر الحمد، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، جائزة المدينة المنورة.

١٥٩ ـ **السحر**، لمحمد محمد جعفر، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٥٨م.

١٦٠ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي.

١٦١ ـ **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط٥، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي.

١٦٢ ـ **سنن ابن ماجه**، دار الدعوة، دار سحنون، ترقيم: محمد عبد الباقي، ط٢.

١٦٣ ـ **سنن أبي داود**، دار الدعوة، دار سحنون، ط٢.

١٦٤ ـ **السُّنَّة**، لأبي بكر بن الخلال، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١٦٥ ـ **سنن الترمذي**، دار الدعوة، دار سحنون، ط٢.

١٦٦ ـ **السياسة المدنية، الملقب بمبادئ الموجودات**، لأبي نصر محمد بن محمد بن طرفان الفارابي، المكتبة العربية.

١٦٧ ـ **سير أعلام النبلاء**، للذهبي خرج أحاديثه وأشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، ط٤، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(ش)

١٦٨ ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لعبد الحي بن العماد الحنبلي، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٦٩ ـ **شرح الأصبهانية وهو شرح عقيدة مختصرة**، لأبي عبد الله محمد بن محمود بن محمد بن عباد العجلي الأصبهاني الأشعري، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٣٣هـ.

١٧٠ ـ **شرح الأصول الخمسة**، للقاضي عبد الجبار الهمذاني، مكتبة وهبة، ط١، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م، مطبعة الاستقلال الكبرى.

١٧١ ـ **شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة**، للالكائي، تحقيق: د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض.

١٧٢ ـ **شرح ديوان عنترة بن شداد**، تحقيق وشرح: عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

١٧٣ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**، لابن أبي العز الحنفي، حققها وراجعها: جماعة من العلماء، وخرَّج أحاديثها: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٨، ١٤٠٤هـ.

١٧٤ ـ **شرح القصيدة النونية**، لابن القيم، لمحمد خليل هراس، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

١٧٥ ـ **شرح مشكل الآثار**، للطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

١٧٦ ـ **شرح منتهى الإرادات**، لمنصور البهوتي، عالم الكتب، بيروت.

١٧٧ ـ **شرح المواقف**، للزنجاني ـ الموقف الخامس ـ، تحقيق: د. أحمد المهدي، مكتبة الأزهر، ١٣٩٦هـ.

١٧٨ ـ **الشعر الصوفي إلى مطلع القرن التاسع للهجرة**، أ. د. محمد بن سعد بن حسين، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٧٩ ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، للقاضي عياض، تحقيق: علي محمد البجاوي، طُبِعَ بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة.

١٨٠ ـ **الشمائل المحمدية**، للإمام الترمذي، إخراج وتعليق: محمد عفيف الزعبي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٨١ ـ **شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه**، لابن كثير، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأدبية العربية، ط١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٨٢ ـ **الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية**، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، تحقيق وتعليق: نجم عبد الرحمٰن خلف، دار الفرقان، دار الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

١٨٣ ـ **الشيعة الإمامية الاثنا عشرية في ميزان الإسلام**، ربيع بن محمد السعودي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مكتبة العلم، جدة، ط٢، ١٤١٤هـ.

(ص)

١٨٤ ـ **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، لابن تيمية، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٨٥ ـ **الصحاح، وتاج العربية**، للجوهري، تحقيق: د. إميل يعقوب، ود. محمد نبيل طريفي، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٨٦ ـ **صحيح الأدب المفرد**، للإمام البخاري، بقلم: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١٨٧ ـ **صحيح البخاري**، للإمام البخاري، بيت الأفكار الدولية، عناية: أبي صهيب الكرمي، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
١٨٨ ـ **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، أشرف عليه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٦هـ.
١٨٩ ـ **صحيح سنن الترمذي**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
١٩٠ ـ **صحيح مسلم بشرح الإمام النووي**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٩١ ـ **صحيح مسلم**، عناية: أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
١٩٢ ـ **صفة الصفوة**، لابن الجوزي، ضبطها وكتب هوامشها: إبراهيم رمضان، وسعيد اللحام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
١٩٣ ـ **الصوفية في نظر الإسلام دراسة وتحليل**، لسميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٩٤ ـ **الصوفية نشأتها وتطورها**، لمحمد العبده، وطارق عبد الحليم، دار الأرقم، برمنجهام، بريطانيا، ط٣، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

(ض)

١٩٥ ـ **الضعفاء الكبير**، للعقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

(ط)

١٩٦ ـ **طبقات الشافعية**، للإسنوي تحقيق: عبد الله الجبوري، ط١، الإرشاد، بغداد.
١٩٧ ـ **طبقات الشافعية الكبرى**، للسبكي، تحقيق: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، ط١، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
١٩٨ ـ **طبقات الصوفية**، لأبي عبد الرحمٰن السلمي، مكتبة الخانجي، ١٣٨٩هـ.

(ع)

١٩٩ ـ **عبد الله بن سبأ، وأثره في إحداث الفتنة في الإسلام**، د. سليمان بن حمد العودة، دار طيبة، ط٣، ١٤١٢هـ.
٢٠٠ ـ **العبر في خبر من غبر**، للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٠١ ـ **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، لزكريا بن محمد القزويني، المكتبة الأموية، عمَّان، الأردن.
٢٠٢ ـ **عصمة الأنبياء**، للفخر الرازي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٠٣ ـ **العقل والنقل عند ابن رشد**، د. محمد أمان الجامي، ط٢، ١٤٠٤هـ، الجامعة الإسلامية.

٢٠٤ ـ **العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي، دارسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٠٥ ـ **عقيدة ابن عربي وحياته وما قاله المؤرخون والعلماء فيه**، للشيخ تقي الدين الفاسي، ضبط نصه وعلّق عليه: علي حسن عبد الحميد، مكتبة ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الدمام، الإحساء، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٠٦ ـ **عقيدة الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية، دراسة في ضوء الكتاب والسُّنَّة**، د. علي السالوس، دار الاعتصام، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٠٧ ـ **عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية**، د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٠٨ ـ **العلم الخفاق في علم الاشتقاق**، لمحمد صديق خان، تحقيق: أحمد عبد الفتاح تمام، ط١، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

٢٠٩ ـ **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، للشيخ أحمد بن يوسف بن عبد الدايم، المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢١٠ ـ **العمدة**، لابن رشيق القيرواني، حقَّقه وعلّق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة السعادة بمصر، ط٢، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

٢١١ ـ **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، للعيني، دار الفكر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٢١٢ ـ **عوارف المعارف**، للسهروردي، المكتبة المكية.

٢١٣ ـ **العين**، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠ ـ ١٩٨٥م.

٢١٤ ـ **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، لابن أبي أصيبعة، تحقيق: د. نزار رضا، دار الحياة، بيروت.

٢١٥ ـ **عيون التاريخ**، لابن شاكر الكتبي، تحقيق: فيصل السامر، ونبيلة عبد المنعم محمود، نشر وزارة الثقافة والإعلام العراقية، سلسلة كتب التراث، ١٩٨٤م.

(غ)

٢١٦ ـ **غاية المرام في علم الكلام**، لعلي بن أبي علي الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ.

٢١٧ ـ **الغريبين في القرآن والحديث**، لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٢١٨ ـ **غلاة الشيعة، وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ـ اليهودية ـ المسيحية ـ المجوسية**، د. فتحي محمد الزغبي، مطابع غباشي، طنطا، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(ف)

٢١٩ ـ **الفتوى الحموية الكبرى**، لابن تيمية، دراسة وتحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢٢٠ ـ **الفتاوى الكبرى**، لابن تيمية، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٢١ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، لابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، ط١، القاهرة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٢٢ ـ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، للشوكاني، تحقيق: عبد الرازق المهدي، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٢٣ ـ **الفخر المتوالي فيمن انتسب للنبي ﷺ من الخدم والموالي**، للسخاوي، ضبط نصه وعلَّق عليه: مشهور حسن سلمان، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٢٤ ـ **الفرق بين الفرق**، لعبد القاهر البغدادي، حقَّقه وعلَّق عليه: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة.

٢٢٥ ـ **الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: سليمان الغصن، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

٢٢٦ ـ **الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٢٧ ـ **الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان**، حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: د. عبد الرحمٰن بن عبد الكريم اليحيى، دار الفضيلة.

٢٢٨ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، لابن حزم، تحقيق: د. إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمٰن عميرة، ط١، ١٤٠٣هـ، مكتبة عكاظ.

٢٢٩ ـ **فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال**، للقاضي أبي الوليد ابن رشد، قدَّم له وعلَّق عليه: د. البير نصري نادر، ط٢، دار المشرق، بيروت، لبنان.

٢٣٠ ـ **فصوص الحكم**، لابن عربي، تحقيق: د. أبي العلاء عفيفي، ط. عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٤٦م.

٢٣١ ـ **فضائح الباطنية**، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: د. عبد الرحمٰن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.

٢٣٢ ـ **فضائل الشام ودمشق**، لأبي الحسن علي بن محمد بن الربعي، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٠م.

٢٣٣ ـ **الفكر الشرقي القديم**، تأليف: جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: د. إمام عبد الفتاح إمام.

٢٣٤ ـ **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسُّنَّة**، للشيخ عبد الرحمٰن عبد الخالق، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط٣، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٣٥ ـ **الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه**، د. إبراهيم مدكور، ط٣، دار المعارف بمصر.

٢٣٦ ـ **الفلسفة المعاصرة في أوروبا**، لبوشنسكي، ترجمة: د. عزت قرني، عالم المعرفة.

٢٣٧ ـ **الفهرست**، لابن النديم، تحقيق: رضا تجدّد، طهران، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

٢٣٨ ـ **في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين**، د. أحمد محمود صبحي، دار النهضة العربية، ط٥، ١٩٨٥م.

(ق)

٢٣٩ ـ **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، لابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٣هـ.

٢٤٠ ـ **قاموس القرآن، أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، للحسين بن محمد الدَّامغاني، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٨٣م.

٢٤١ ـ **القاموس المحيط**، للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٢٤٢ ـ **القرامطة**، لابن الجوزي، تحقيق: محمد الصباغ، منشورات الكتاب الإسلامي، ط١، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

٢٤٣ ـ **قصص الإمام علي** ﷺ، لماجد بن ناصر الزبيدي، منشورات الفجر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٢٤٤ ـ **قصص الأنبياء**، لابن كثير، مكتبة الرياض الحديثة.

٢٤٥ ـ **قصة الفلسفة اليونانية**، لأحمد أمين، ود. زكي نجيب محمود، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٣٥م.

٢٤٦ ـ **القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسُّنَّة ومذاهب الناس فيه**، د. عبد الرحمٰن المحمود، دار الوطن، ط٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٤٧ ـ **قضية نسب الفاطميين أمام منهج النقد التاريخي**، د. عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة للنشر، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

(ك)

٢٤٨ ـ **الكافي في فقه الإمام أحمد**، لابن قدامة، تحقيق: زهير الشاويش، ط٤، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي.

٢٤٩ ـ **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.
٢٥٠ ـ **الكامل**، للمبرد، عارضه بأصوله وعلَّق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم، والسعيد شحاته، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.
٢٥١ ـ **كتاب سيبويه**، أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٢٥٢ ـ **كتاب الصفدية**، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٦هـ.
٢٥٣ ـ **كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر**، تصنيف: أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
٢٥٤ ـ **كرامات الأولياء دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة**، د. عبد الله العنقري، دار التوحيد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.
٢٥٥ ـ **كرامات أولياء الله**، للالكائي، تحقيق: د. أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٢٥٦ ـ **كشاف اصطلاحات الفنون**، لمحمد علي الفاروقي التهانوني، تحقيق: لطفي عبد البديع، مراجعة: أمين الخولي، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٨٢هـ.
٢٥٧ ـ **كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم**، للشيخ محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة الساعي.
٢٥٨ ـ **كشف الظنون**، حاجي خليفة، دار الفكر، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٢٥٩ ـ **الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ**، محمد عبد الرؤوف القاسم، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط٢، ١٤١٣هـ.
٢٦٠ ـ **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة**، لابن رشد، تقديم: د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
٢٦١ ـ **الكلام على السماع البدعي**، لابن قيِّم الجوزية، تحقيق: راشد بن عبد العزيز الحمد، دار العاصمة، الرياض، النشرة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٢٦٢ ـ **الكليات**، لأبي البقاء الكفوي، قابله على نسخة خطية وأعدَّه للطبع ووضع فهارسه: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٢٦٣ ـ **كنوز الأجداد**، لمحمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، مطبعة الترقي بدمشق، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م.

(ل)

٢٦٤ ـ **لسان العرب**، لابن منظور الأفريقي، دار الفكر، بيروت.

٢٦٥ ـ **لسان الميزان**، لابن حجر، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، واعتنى بإخراجه وطباعته: سلمان عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٦٦ ـ **لوامع الأنوار البهية شرح الدرة المضيَّة في عقيدة الفرقة المرضية**، للشيخ محمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي، دار الخاني، ط٣، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(م)

٢٦٧ ـ **مآثر الأنافة معالم الخلافة**، للقلشندي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٦٤م، وأُعيد طبعه في الأوفست، ١٩٨٠م.

٢٦٨ ـ **مباحث في إعجاز القرآن**، أ. د. مصطفى مسلم، دار التدمرية، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

٢٦٩ ـ **المتنبؤون في الإسلام وخطرهم على الفكر والمجتمع**، تأليف: د. غالب بن علي عواجي، دار النصيحة، المدينة النبوية، ط١، ١٤٣٣هـ.

٢٧٠ ـ **مجاز القرآن**، لأبي عبيد معمر بن المثنى، عارضه بأصوله وعلَّق عليه: د. محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٧١ ـ **مجمع الزوائد**، للهيثمي.

٢٧٢ ـ **مجمل اللغة**، لابن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٧٣ ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، جمع وترتيب: الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، إشراف: الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

٢٧٤ ـ **مجموعة الرسائل الكبرى**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط١، ١٣٢٣هـ، المطبعة العامرة الشرقية بمصر، على نفقة شركة طبع الكتب العلمية بمصر.

٢٧٥ ـ **محاضرات في النصرانية**، للشيخ محمد أبو زهرة، ط٤، مصر.

٢٧٦ ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٧٧ ـ **المحكم والمحيط الأعظم**، لابن سيده، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٧٨ ـ **محمد رسول الله ﷺ**، تأليف: محمد رضا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٧٩ ـ **محمد رسول الله ﷺ**، للعلَّامة أحمد تيمور باشا، دار الآفاق العربية، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٨٠ ـ **محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى**، تأليف: عبد الأحد داود، ترجمة: محمد فارق الزين، مكتبة نرجس، الناشر: مكتبة العبيكان.

٢٨١ ـ **محمد كرد علي مؤسس المجمع العلمي العربي**، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة الحجاز، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

٢٨٢ ـ **محيط المحيط**، لبطرس البستاني، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.

٢٨٣ ـ **مختصر التحفة الاثني عشرية**، تحقيق وتعليق: محب الدين الخطيب، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

٢٨٤ ـ **مختصر كتاب البلدان**، لابن الفقيه، ليدن، ١٣٠٢هـ.

٢٨٥ ـ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق وتعليق: المعتصم بالله البغدادي، توزيع دار النفائس، الرياض ط١، ١٤١٠هـ.

٢٨٦ ـ **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، لصفي الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق البغدادي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م.

٢٨٧ ـ **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، للسيوطي، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاد المولى وصاحبيه، دار الجيل، بيروت، دار الفكر.

٢٨٨ ـ **مسألة التقريب بين أهل السُّنَّة والشيعة**، د. ناصر القفاري، دار طيبة، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٨٩ ـ **مسألة المرابطة بالثغور أفضل أم المجاورة بمكة شرفها الله ـ تعالى ـ**، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٩٠ ـ **المستدرك**، للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٢٩١ ـ **المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية**، جمعه ورتَّبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٩٢ ـ **مسند أبو داود الطيالسي**، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٩٣ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، دار الدعوة، دار سحنون، ط٢، ب.ت.

٢٩٤ ـ **المسند**، للشاشي، تحقيق: د. محفوظ الرحمٰن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠هـ.

٢٩٥ ـ **مشكلة الفلسفة**، د. زكريا إبراهيم، الناشر: مكتبة مصر.

٢٩٦ ـ **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، للرافعي، تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، تصحيح: مصطفى السقا، مطبعة البابي الحلبي.

٢٩٧ ـ **مصرع التصوف، أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد**، للبقاعي، تحقيق وتعليق: الشيخ عبد الرحمٰن الوكيل، ط١، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م، مطبعة السُّنَّة المحمدية، القاهرة.

٢٩٨ ـ **المعارف**، لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٩٩ ـ **معالم تاريخ الإنسانية**، هـ. ويلز، ترجمة: خليل الجر، المنشورات العربية.

٣٠٠ ـ **المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السُّنَّة منها**، د. عواد المعتق، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٠١ ـ **المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات ومضارها ومنافعها**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق ودراسة: أحمد العيسوي، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٠٢ ـ **معجم البلدان**، لياقوت الحموي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٠٣ ـ **معجم الفلاسفة**، لجورج طرابيشي، ط٣، بيروت، دار الطليعة.

٣٠٤ ـ **المعجم الفلسفي**، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧١م.

٣٠٥ ـ **المعجم الكبير**، للطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٣٠٦ ـ **معجم مقاييس اللغة**، لابن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣٠٧ ـ **المعجم الوجيز**، مجمع اللغة العربية، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان.

٣٠٨ ـ **المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية**، قام بإخراج هذه الطبعة: د. إبراهيم أنيس، وزملاؤه، عُني بها: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، مطابع قطر الوطنية، على نفقة إدارة إحياء التراث بدولة قطر.

٣٠٩ ـ **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، للذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي عباس، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣١٠ ـ **المعرفة والتاريخ**، لأبي يوسف يعقوب بن سليمان البسوي، رواية عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٣١١ ـ **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، شرح: الشيخ محمد الخطيب الشربيني على متن منهاج الطالبين، لأبي زكريا النووي، دار الفكر، بيروت.

٣١٢ ـ **المغني في أبواب التوحيد العدل**، مطبعة دار الكتب، ط١، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م.

٣١٣ ـ **مفتاح دار السعادة**، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١٤ ـ **المفردات في غريب القرآن**، للراغب الأصفهاني، ضبط: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٣١٥ ـ **مفيد العلوم ومبيد الهموم**، لزكريا بن محمد بن محمود القزويني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣١٦ ـ **مقارنات الأديان ـ الديانات القديمة ـ**، للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

٣١٧ ـ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، لأبي الحسن الأشعري، المكتبة العصرية، ط١٤١١هـ.

٣١٨ ـ **المقنع**، للموفق ابن قدامة المقدسي، **والشرح الكبير**، لشمس الدين أبي الفرج ابن قدامة، ومعهما: **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف**، للمرداوي، تحقيق: د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٣١٩ ـ **الملل والنحل**، لعبد القاهر البغدادي، دار دمشق، بيروت.

٣٢٠ ـ **الملل والنحل**، للشهرستاني، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٣هـ.

٣٢١ ـ **مناحي نقد ابن تيمية**، لابن رشد، لعبد العزيز العماري، جداول للنشر والتوزيع، لبنان، ط١، ٢٠١٣م.

٣٢٢ ـ **مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية**، قدَّم لها وعلَّق عليها: عبد الرحمٰن دمشقية، دار طيبة، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٢٣ ـ **منهاج السُّنَّة النبوية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار الكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٣٢٤ ـ **منهاج الكرامة**، لابن المطهر الحلي، تحقيق: عبد الرحيم مبارك، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ، مطبعة الهادي، قم، الناشر: انتشارات تاسوعاء، مشهد.

٣٢٥ ـ **الموسوعة العربية الميسرة**، إشراف: شفيق غربال، دار الشعب، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٧٢م.

٣٢٦ ـ **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ**، إعداد: مجموعة من المختصين بإشراف: معالي الشيخ د. صالح بن حميد، وعبد الرحمٰن بن محمد مَلُّوح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٢٧ ـ **موقف ابن تيمية من الأشاعرة**، د. عبد الرحمٰن المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٢٨ ـ **موقف ابن تيمية من الصوفية**، جمع وتحقيق ودراسة: د. محمد بن عبد الرحمٰن العريفي، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض.

٣٢٩ ـ **موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها**، د. صالح غرم الله الغامدي.

٣٣٠ ـ **موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الرافضة**، د. عبد الله بن إبراهيم الشمسان، دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٣٣١ ـ **موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من المعتزلة في مسائل العقيدة**، د. قدرية عبد الحميد شهاب الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٤ ـ ١٤٠٥هـ.

٣٣٢ ـ **الموطأ**، للإمام مالك بن أنس، محمد عبد الباقي، دار الحديث.

٣٣٣ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، وشركاه، ط١، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

(ن)

٣٣٤ ـ **النبوات**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٣٣٥ ـ **النبوات**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دراسة وتحقيق: محمد عبد الرحمٰن عوض، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٣٦ ـ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، لجمال الدين الأتابكي، نسخة مصورة عن دار الكتب.

٣٣٧ ـ **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، لأبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري، طبعة ليبنريج، ١٩٢٣م.

٣٣٨ ـ **نزهة الأحداق في علم الاشتقاق**، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: شريف عبد الكريم النجار، دار عمار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٣٩ ـ **نزهة الأسماع في مسألة السماع**، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: أم عبد الله بنت محروس العسيلي، دار العاصمة، الرياض، النشرة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٤٠ ـ **نشأة الأشعرية وتطورها**، د. جلال محمد موسى، ط١، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٣٤١ ـ **نشأة الفكر الفلسفي**، د. علي سامي النشار، ط٧، ١٩٧٧م، دار المعارف بمصر.

٣٤٢ ـ **النصيرية**، د. سهير الفيل، دار المنار، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٤٣ ـ **نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام**، د. سارة بنت عبد المحسن بن جلوي آل سعود، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣٤٤ ـ **نظرية ولاية الفقيه**، دراسة وتحليل ونقد: د. عرفان عبد الحميد فتاح، دار عمار ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٣٤٥ ـ **نقد ابن تيمية**، لابن رشد، لعبد العزيز العماري، جداول للنشر والتوزيع، لبنان، ط١.

٣٤٦ ـ **نقض المنطق**، لابن تيمية، صحَّحه: الشيخ حامد الفقي، مكتبة السُّنَّة المحمدية.

(هـ)

٣٤٧ ـ **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، لابن القيم، دار الريان، تقديم وتحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار المطبعة السلفية.

٣٤٨ ـ **هذه هي الصوفية**، للشيخ عبد الرحمٰن الوكيل، مطبعة السُّنَّة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م.

(و)

٣٤٩ ـ **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، للإمام ابن قيم الجوزية، دراسة وتحقيق: محمد عبد الرحمٰن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٥٠ ـ **وفيات الأعيان**، لابن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر.

٣٥١ ـ **الوفيات والذيل عليها**، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ١٩٧٣م.

(ي)

٣٥٢ ـ **ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن**، لأبي عُمَر بن محمد بن عبد الواحد البغدادي الزاهد، المعروف بغلام ثعلب، حقَّقه وقدَّم له: د. محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحِكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع | الصفحة

الباب الثاني

موقف ابن تيمية من كرامات الأولياء والمخالفين فيها

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة